

الصّراع بين الإسلام الوثنية

تأليف

عبدالله علي آيتي

الجزء الأول

« نداء ورجاء ونصيحة الى
خميني ايران وانباعه
ليقرأوا هذا الكتاب
بكل الصدق والحماس
والاخلاص والايمان
والتقوى »

الطبعة الثانية

القاهرة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف :

الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م

الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين ، أما بعد .
فإننا بعد أن كتبنا هذا الجزء وثرنا فيه ماسوف يجده القارىء من المذاهب الشيعية
ظفرنا بنصوص شيعية أخرى مدونة في كتاب معدود لدى القوم من أوثق الكتب
بل يكاد يكون أوثقها إطلاقاً ، واسم هذا الكتاب « أصول الكافي » تأليف محمد
ابن يعقوب المعروف بالكلينى ، وهذا الكتاب ومؤلفه محسوبان عند الشيعة كصحاح
البخارى ومؤلفه عند أهل السنة ، وهو مطبوع في فارس حيث تربض عصية التشيع
وعصائره . وقد استحسنا أن نضع أمام القارىء نماذج مختلفة من هذا الكتاب في
هذه المقدمة إتماماً للغرض الذي قصدناه ، وتثبيتاً لما قد يخالفنا بعض رجال الشيعة
في ثبوته عنهم

(الأئمة يوحى اليهم عند الشيعة)

قال في الكافي : « كتب الحسن بن العباس الى الرضا يقول : ما الفرق بين
الرسول والنبي والامام ؟ فقال : الرسول هو الذى ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع
كلامه وينزل عليه الوحي ، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع ،
والامام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص » ص ٨٢ وقال « والأئمة لم
يفعلوا شيئاً ولا يفعلونه إلا بعهد من الله وأمر منه لا يتجاوزونه » ص ١٣٥
وفي الكتاب نصوص أخرى متعددة في هذا المعنى ، فالأئمة لدى هؤلاء أنبياء
يوحى اليهم ، ورسل أيضاً ، لأنهم مأمورون بتبليغ ما يوحى اليهم ، وهذا هو معنى
ادعائهم فى أئمتهم العصمة وأنهم لا يقولون خلاف الحق لا سهواً ولا عمداً ، بل
وأنهم لا ينسون ولا يسهون . والأئمة بهذا أعظم من الأنبياء والرسل عند أهل

(ب)

السنة ، لأن أهل السنة لا يزعمون أن الأنبياء لا يفسون ولا يسهون ، بل عندهم أن محمداً عليه السلام كان ينسى ، وكان يقول إنما أنا بشر أنسى كما تنسون . والنقل في هذا بالغ مبلغ التواتر المعنوي ، ونسيان الأنبياء في حوادث معلومة نازل به القرآن الكريم

ولاعتقاد الشيعة أن الأئمة يوحى اليهم كالأنبياء يكفرون من أنكر أحداً منهم أو شك فيه ، أو لم يفضلهم على سائر الخلق ، وكذلك يكفرون من لم يقبهم من المسلمين ، ولأجل هذا يجعلون الإمامة أساس الدين وقاعدته التي عليها النجاة والملايك ، فالأئمة عندهم كالأنبياء فيما هم به أنبياء ، بل هم عندهم أعظم وأجل من أكثر النبيين ، وهذا أمر لا يختلفون فيه وسوف يمر بالقارىء في أثناء هذا الكتاب الذى تولينا مناقضته أن صاحبه يفضل العلماء ، بله الأئمة ، على بعض الأنبياء . وهذه مآسى علمية لا يكبح القوم عن الجهر بها

وعلماء الاسلام اليوم يرون أن فرقة القاديانية خارجة من نطاق الاسلام لزعمها أن باب النبوة لا يزال مفتوحاً ، فما قولهم في هؤلاء الذين يزعمون أن الأئمة أنبياء ثم يزعمون أن الإمامة واجبة على الله في كل زمان ، ومعنى هذا أن النبوة بأبلغ معانيها واجبة على الله وموجودة أيضاً في كل زمان ؟

(الأئمة عند الشيعة يعلمون كل شىء)

ثم قال : « والأئمة اذا شاءوا أن يعلموا شيئاً أعلمهم الله إياه ، وهم يعلمون متى يموتون ، ولا يموتون إلا باختيارهم ، وهم يعلمون علم ما كان وعلم ما يكون ولا يخفى عليهم شىء » ص ١٢٥ و ص ١٢٦

وفى الكتاب نصوص أخرى أيضاً فى المعنى ، فالأئمة يشاركون الله فى هذه الصفة ، صفة علم الغيب وعلم ما كان وما سيكون ، وأنه لا يخفى عليهم شىء ،

(ج)

والمسلمون كلهم يعلمون أن الأنبياء والمرسلين أنفسهم لم يكونوا يشاركون الله في هذه الصفة ، والنصوص في الكتاب والسنة وعن الأئمة في أنه لا يعلم الغيب إلا الله متواترة لا يستطيع حصرها في كتاب . وهذا ضيق الأدلة بشواهد ، ومن المؤسف المحجل لعمر الله أن يزعموا أن الأئمة يعلمون الغيب ، ويعلمون ما كان وما سيكون ، ويزعمون أنه لا تخفى عليهم خافية ، وهم يصفون الله جل جلالته وعظمته بالبذاء كما سوف يمر بالقارىء . ومعنى البذاء أنه تعالى يعلم ما لم يكن يعلم ويبدوله من الأمر ما لم يكن باديا . فالأئمة عند القوم أعلم من الأنبياء والمرسلين وأعلم من الله نفسه !

وعلى أساس هذه العقيدة الغالية في الأئمة اتجه لهم أن يضرعوا إليهم كما يضرع الناس إلى الله ، وأن يدعوا في السراء والضراء كما يدعو المؤمنون ربهم ، وأن يسألوهم كل ما يسأله الموحدين من عظيم الحاجات وجليل المطالب

(الأئمة أعلم من الأنبياء عند الشيعة)

ثم قال : « وعند الأئمة جميع الكتب التي نزلت من عند الله ، وهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها ص ١٠٧ وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين . ثم أورد الله الأئمة الكتاب الذي فيه تبيان كل شيء ص ١٠٧ وعند الأئمة اسم الله الأعظم ص ١١٠ و ص ١١٢ وعندهم الجفر وهو وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم الذين مضوا من بني إسرائيل ص ١١٥ وقال أبو جعفر إن الله علمه ملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فمن علمه » ص ١١٣

وقال في الوشيعة : « كان الصادق يقول على ما تروى كتب الشيعة إنى لأعلم ما في الجنة وما في النار ، وأعلم كل ما كان وكل ما يكون ، ولو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنى أعلم منهما ولأنبأتكما بما ليس لهما » ص ٩٣

(د)

فالائمة أعلم من الأنبياء ومن الملائكة ومن جميع العالمين ، لأنهم يعلمون علم الملائكة ، وعلم الأنبياء ، وعلم جميع الفسارين من بنى اسرائيل ، بل ويعلمون كتاب الله المبين الذى أحاط بالغيوب الكائنة فى الأرض أو فى السماء ، ويعلمون جميع اللغات التى نزلت بها كتب الله على أنبيائه ، ولا يتنازع المسلمون فى أن نبياً من الأنبياء مهما عظم قدره ومنزلته لم يكن يعلم ذلك كله ولا يحيط بجميع ما ذكره لأنهم خبروا ، ولا أحد من المسلمين المتهتدين يزعم أن سيد الأنبياء كان يعلم علم جميع الأنبياء وجميع العالمين ، وعلم جميع الملائكة ، وعلم ما فى الكتاب المبين الذى ضمن كل غائبة فى الأرض أو فى السماء ، وأنه يعلم جميع اللغات التى نزلت بها كتب الله . هذا من الأمور الضرورية ، والنصوص على ذلك لا يحصىها محص فالائمة أعلم من الأنبياء جميعاً فى مذاهب الشيعة ! فإقول العلماء فيمن يزعمون هذا المزعم ؟

(القرآن ضائع منه ثلاثة أرباعه عند الشيعة)

ثم قال : « ولم يجمع القرآن كله إلا الأئمة . وهم يعلمون علمه كله ، وقد كذب من ادعى من الناس أنه جمع القرآن كله ، فاجمع وحفظه كما أنزله الله إلا على بن أبى طالب والأئمة من بعده ص ١١٠ وعند الأئمة مصحف فاطمة وفيه مثل قرآننا ثلاث مرات . وليس فيه من قرآننا حرف واحد » ص ١١٥

هذا قول الشيعة ورأيهم فى كتاب الله ، والمسلمون لا يختلفون فى أن من زعم أن القرآن قد نقص منه حرف واحد فقد ارتد ، وليس من شك أن من زعموا أنه قد ضاع ثلاثة أرباع القرآن أو زعموا أن هذا المصحف الذى بين أيدي المسلمين ليس هو كلام الله الذى أنزله على نبيه قوم أدعياء فى الاسلام ، وأن أمرهم فوق أمر المرتدين ، بل لا ترتاب أن هذه مزاعم زنادقة قالوا انهم أسلموا ليقوضوا

(٥)

دعائم الاسلام وليضر به الضربة القاتلة المميتة ، ولا نتأثم من أن نقول ان أهل
الملك الأخرى المصارحين للاسلام بالعداوة والبغضاء ، أقرب اليه من هؤلاء ، واتنا
تقبه هؤلاء المسلمين الذين يحفلون ويحتفلون برجال هذه الطائفة ويدعونهم اخوانهم
المخلصين ، ويألفون في إكرامهم ورعاية ضيافتهم الى هذه الحقيقة المرة ونقول لهم
ان الاسلام أجل في نفس المسلم من أن يتقبل مصانعة قوم هذا زعمهم في كتاب
الله ، وما أقر عيون القادحين في الاسلام لو ظفروا بهذه الآراء الشيعة في أمر
الاسلام وكتابه ! وما عسى خصم الاسلام يقول فيه شراً من هذا أو ينال منه
أعظم مما نالته منه الشيعة !

(الناس عبيد للآئمة والأرض ملك للامام عند الشيعة)

ثم قال الكافي « قال الرضا : الناس عبيد لنا في الطاعة موال لنا في الدين ،
فليبلغ الشاهد الغائب ص ٨٨ والأرض كلها للامام . قال الله « ان الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » وأهل البيت هم الذين أورثهم الله
الأرض وهم المتقون ، وفي كل من الفنائم والفوس والكنوز والمعادن والملاحه
الحبس ، قال الله « واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة الآية » وما لله ولرسوله
ولقبي القربى للامام ص ٢٨٩ وكذلك الأجام والمعادن والبحار والمفاوز فهي للامام
خاصة . فان عمل فيها قوم باذن الامام فلهم أربعة أخماس وللإمام الخمس » ص ٢٨٨
قال في الوافي ^(١) : « كل أنهار الأرض خرقت بابها جبريل هي لنا ولشيعتنا
وليس لعدونا من ذلك شيء ، وإن ولينا في أوسع مما بين السماء والأرض » . وقال
في الوافي والتهذيب ^(٢) أيضاً « الأرض كلها لنا وما أخرج الله منها من شيء فهو لنا

(١) الوافي أحد كتب الشيعة المعتمد عليها لديهم

(٢) التهذيب أحد كتب الشيعة القديمة

(و)

وقد أحللتها لشيعتنا ، وسائر الناس يتقبلون في حرام الى يوم القيامة ، وقال الصادق
إنا أحللتنا أمهات شيعتنا لأباء شيعتنا لتطيب ولادة الشيعة ، وكل الأموال رقابها
يختص بها الامام دون سائر الناس ، فلا يحل لأحد نكاح ولا تجارة ولا طعام على
وجه من الوجوه وسبب من الأسباب إلا بإباحة من الامام وإطلاق منه في
التصرف »

فالناس كما ترى عبيد لأئمة الشيعة ، والأرض وما فيها ملك أيضا لامامهم ،
فالعالم الأرضي بناسه وحيواناته ومعادنه وكنوزه وبحاره وكل ما فيه ملك الامام
يتصرف فيه تصرف المالك في ملكه ، فليس في هذه الأرض انسان واحد حر
وليس فيها مالك سوى الامام إلا ما يهبه هذا الامام لمن يشاء من عبيده تفضلا منه
وأجراً لكسبهم وأعمالهم ! نحن لانسى مثل هذا خروجاً على الدين أو على الأديان
كلها ، فهو أقل من هذا كله ، بل هو الفناء الديني والانتحار العلمي الشنيع . ولا
نعلم كيف يمكن أن يعطى الامام نصيبه من هذه المغام والكنوز والملاحات وغير
ذلك مما يملكه ، وهو كما تزعم الشيعة مختلف منذ أكثر من ألف عام في مفارقة من
المغارات المجهولة المنقطعة ، لا تمكن معرفتها ولا معرفته ولا الاتصال بها أو به ؟
هذا لعمر الله سوء الدهر وقاصمة الظهر

(الأئمة خزان علم الله وكل ما لم يكن من عندهم فهو ضلال)

ثم قال في الكافي : « قال أبو جعفر نحن خزان علم الله ونحن تراجمه وحى الله
ص ٩١ . . . وليس من الحق في أيدي الناس الا ما خرج من عند الأئمة . وإن
كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل » ص ٢١٢

والقول عندهم في هذا المعنى كثيرة . فالأئمة المعلومون المعلومون لدى الشيعة
هم الخزان لعلم الله وهم التراجم لكلام الله ووحيه ، وهم المخصوصون بمعرفة الهدى

(ز)

والحق . قلن يصل الى ملك مقرب ولا الى نبي مرسل قبس من علم الله الا من طريق
الائمة والا باذنتهم وامرهم ، ولن يعرف عبد من عباد الله معنى من معاني وحى الله
ولا سرّاً من أسرارهِ ولا أمراً أو نهياً من أوامره ونواهيه الا ما ترجمه الائمة
ويبنوه ، والا ما شاءوا ليعيدم الناس أن يعلموه . وكل علم لم يأت من طريق الائمة
فهو جبل ، وكل هدى لم يخرج من عندهم فهو ضلال ، وكل حق لم يصدر من
ساحتهم فهو باطل ، لأنهم هم الخزان والتراجم لعلم الله ووحية وكلامه . فلا للملائكة
مهندون ولا عالمون ، ولا غيرهم مهتدون ولا عالمون ان لم يتفضل عليهم أئمة الشيعة
بالهداية والعلم . ولا أحد يستطيع أن يفهم من كلام الله آية واحدة ولا حرفاً واحداً
إن لم يترجمه له ترجمة كلام الله ووحية من أئمة الشيعة . فلا هدى إدس ولا علم ولا
سعادة ولا نجاة إلا للشيعة ! ؟ والمصيبة الكبرى أن يكون لعلم الله خزان تعالى
الله عن ذلك ! ولا ريب أن خازن علم الله أعلم من الله أو مساوٍ له ! جل الله وتعالى
جده وأعلى شأن أنبيائه ورسله وملائكته ! !

(الشيعة للجنة وإن أساءوا ، وأهل السنة للنار وإن أحسنوا)

ثم قال في الكافي : « قال الله تبارك وتعالى لأعذبن كل رعية في الاسلام
دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله وان كانت الرعية في أعمالها برة تقية ،
ولأعفون عن كل رعية في الاسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله وان كانت
الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة » ص ١٩٠ وقال في الكافي أيضاً « قيل للصادق انى
أخالط الناس فيكثر عجبى من أقوام لا يتولونكم ويتولون أبا بكر وعمر لهم أمانة
وصديق ووفاء ، ومن أقوام يتولونكم ليس لهم أثر من صدق ولا وفاء ولا أمانة ،
فاستوى الصادق جالساً ، فأقبل كالفضببان ! ثم قال لادين لمن دان الله بولاية إمام
جائر ، ولا عتب على من دان الله بولاية إمام عادل . قلت لا دين لأولئك ولا

(ح)

عجب ولا ذنب على هؤلاء ؟ قال الصادق نعم ! ألا تسمع الى قول الله « الله ولي
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » من ظلمات الذنوب الى نور التوبة
والغفرة بولاية إمام عادل من الله « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
من النور الى الظلمات » كانوا على نور الاسلام فلما تولوا كل إمام جائر ليس من
الله خرجوا من نور الاسلام الى ظلمات الكفر . وقال في الكافي أيضاً وهو في
التهذيب أيضاً : « قلت للصادق أ أنزل مكة ؟ قال لا تفعل . أهل مكة يكفرون
بالله جرة . قلت أ أنزل في حرم النبي ؟ قال هم شر منهم . أهل المدينة أخبث من
أهل مكة سبعين ضعفا . عليك بالعراق بالكوفة . أهل الشام شر من الروم ،
والمخالف شر من سائر الكفار . لعنة الله عليهم وعلى أسلافهم ... »

والتصوص في كتب القوم في تثبيت هذا البلاء متواترة . فأهل السنة الموالون
لأبي بكر وعمر لن تقبل منهم حسنة ، والشيعة المهجؤون لأبي بكر وعمر المؤمنين
بالامام المنتظر لن يؤخذوا بسيئة واحدة ! فاعظم الشيعة صائر الى الجنة ولا بد !
وأبقى أهل السنة صائر الى النار ولا بد ! فهؤلاء لن تنفعهم الحسنات ، وهؤلاء لن
تضرهم السيئات ! فليعمل خصوم أبي بكر ما يشاؤون من الفسوق والمروق ، فلن
يسألوا عن شيء مما يصنعون ، وليقلل أولياء أبي بكر وعمر من البر والصلاح فلن
يجزوا بحسنة مما يصنعون ؟ !

وهذه الآراء تصير بأصحابها ، وأسفاه ، الى الفوضى والاباحية المطلقة ، وسيجد
القاريء أنها قد حلت طوائف من الشيعة على أن دانوا برفع التكليف الالهية عنهم
لاعتقادهم أن من وصل الى الاعتراف بالامام فقد وصل الى السكال ، فلا جناح
عليه أن يعمل ما يشاء وأن يدع ما يشاء ! فلا حلال ولا حرام ولا واجب ولا
محظور . فلتنغم الشهوات إذن قبل الفوات ، ولترتشف النفوس حاجاتها من هذه
الحياة ، فكل ذنب مغفور ، فن ترك شهوة خوف عقابها فقد جهل وخسر . ونحن

(ط)

لا نشك أن وضعة هذه الأقوال التي تعزوها كتب الشيعة الى أئمة آل البيت -
قوم ما كرون منافقون . نأوهوا الاسلام بهذا السلاح للردول ، ومن أعظم الهجاء
لآل البيت عزو هذه الأقاويل اليهم ، ومن الواضح أن النواصب لم ينالوا منهم
ما قال هؤلاء الشيعة

(الامام عند الشيعة)

ثم قال في الكافي : « وقال الرضا : إن الامامة هي منزلة الأنبياء وإرث
الأوصياء . إن الامامة خلافة الله وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين وميراث
الحسن والحسين . إن الامامة زمام الدين ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا وعز
المؤمنين . الامامة أس الاسلام النأى وفرعه السامى ، وبالامامة تمام الصلاة
والزكاة والصيام والحج وتوفير النأى والصدقات وامضاء الحدود والأحكام ومنع
الثغور والأطراف . الامام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله
ويذب عن دين الله . الامام الماء العذب على الظأ ، والدال على الهدى ، والمنجى
من الردى . الامام المطهر من الذنوب وللبرأ من العيوب ، المخصوص بالعلم الموسوم
بالعلم . الامام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ولا يماذله عالم ، ولا يوجد منه بدل
ولا له مثل ولا نظير . مخصص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب
بل اختصاص من المفضل الوهاب ، فمن ذا الذى يبلغ معرفة الامام أو يمكنه
اختياره ؟ هيهات هيهات ، ضلت العقول وتاهت الخلوم وحارت الآلباب ، وكلت
الشعراء وعجزت الأدباء وعيت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من
فضائله وأقرت بالعجز والتقصير . وكيف يوصف بكلمة أو ينمت بكلمة أو يفهم
شأى من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويقبى غناه ، وهو بحيث النجم من يد
المتأولين ووصف الواصفين ؟ لقد راموا صعبا وقالوا إفكاً إذ تركوا أهل بيته عن

(٥)

بصيرة . ورغبوا عن اختيار الله ورسوله الى اختيارهم والقرآن ينادى « وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة من أمرهم » فكيف لهم باختيار الامام ؟ عالم لا يجمل ، وداع لا ينكل ، معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة ، والعلم والعبادة . مخصوص بدعوة الرسول . إن العبد اذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم الهاماً ، فلم يعى بجواب ، ولا يجيد فيه عن الصواب . فهو معصوم ، قد أمن من الخطأ والزلل والشار . ينحصر الله بذلك ليكون حجة على عباده وشاهد على خلقه ص ٩٦ و ص ٩٧ . والله لم يعلم نبيه علماً إلا أمره أن يعلمه علياً ، وأنه كان شريكه في العلم ص ١٢٧ ثم انتهى هذا العلم الى الأئمة ولو كان لالسنه الناس أوكية لحدثهم الأئمة بما لهم وما عليهم ص ١٢٨ ، والله أمر بطاعتهم وسمي عن معصيتهم ، وهم بمنزلة رسول الله إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للأنبياء ، فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله ص ١٣١ ، وكان مع رسول الله روح أعظم من جبرائيل وميكائيل ، وهذا الروح مع الأئمة ص ١٣٢ ، وكل امام يؤدي الى الامام الذي بعده الكتب والعلم والسلاح ص ١٣٣ ، والامام لا يلبو ولا يلعب ولا يستطيع أحد أن يظعن عليه في قم ولا بطن ولا فرج ص ١٣٨ ، وكل امام يعهد الى الذي يليه ويترك له كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة ، وفي هذا الكتاب ما يحتاج اليه ولد آدم منذ خلق الله آدم الى أن تفتى الدنيا . وللإمام غيبة وللإمام الثاني عشر غيبة قال الله « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس » ص ١٤٩ وقال . « قال أبو عبد الله من ادعى الامامة وليس من أهلها فهو كافر » ص ١٨٧ ، وقال أبو جعفر كل من دان الله بعبادة يجهل نفسه فيها . وليس له امام من الله فسميه غير مقبول وهو ضال متحير والله شاني . لأعماله ص ١٨٩ ، والامام اذا مات لا يفصله إلا امام ، وقال أبو عبد الله اذا أراد الله أن يخلق الامام من الامام بعث ملكاً فأخذ شربة من

(ك)

تحت العرش ودفعها الى الامام فشرها فيمكث في الرحم أربعين يوماً لا يسم الكلام . فاذا وضعت أمه بعث الله اليه ذلك الملك فكتب على عضده الأيمن « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته » فاذا قام بهذا الأمر رفع الله له في كل بلدة مناراً ينظر به الى أعمال العباد ص ١٩٦ ، والملائكة تدخل بيوت الأئمة وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار ص ١٩٩ ، والأئمة هم أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجته على من فوق الأرض ومن تحت الثرى » ص ٩٣ ، وفي الوافي « قال الصادق كنا عند الله وليس عنده أحد سوانا لا ملك ولا غيره . ثم بدا له في خلق السموات والأرض فخلق ونحن معه ، وكان الصادق يقول إن الله خلق أرواحنا من نور عظمت ثم خلق أبداننا من طينة مكنونة تحت العرش . فنحن خلق نورانيون لم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا ، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وخلق أبدان الشيعة من طينة مخزونة أسفل من تلك الطينة ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلق الشيعة منه نصيبا إلا للأنبياء ، ولذلك صرنا نحن والشيعة « الناس » وصار سائر الناس همجاً للنار والى النار » الباب السابع والثامن بعد المائة . وفي الوافي أيضا « على مثل النبي كلفه الله بمثل ما كلف به نبيه في التبليغ والهداية بيده مفتاح الجنة والنار ، لا يدخلهما داخل إلا على حد قسمته . وهو المؤدى عن كل من تقدم لا يتقدمه أحد إلا أحمد هو والنبي على سبيل واحد ، وقد أعطى الست . المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب ، وهو صاحب الكرات والدولة والمصا والميسم ، وهو الدابة التي تكلم الناس »

وفي كتاب الوشيعة ص ١٠١ « روت كتب الشيعة مثل الكافي والوافي والتهذيب أن الله خلق محمداً وعلياً وفاطمة أول ما خلق فكتبوا ألف دهر . ثم خلق العالم وأشهد هؤلاء الثلاثة خلق العالم ثم فرض طاعة هؤلاء على العالم وفوض أمور العالم اليهم . فهم يفعلون ما شاءوا ويحلون ما شاءوا ويمرمون ما شاءوا »

(ل)

هذه بعض صفات الامام وبعض ما يخلوونه عليه من التقديس . فالامام عندهم
يفعل ويقول ما يشاء ، وكل ما يقول وما يفعل فهو كما يقول وكما يفعل . فهو معصوم
من الخطأ والزلل وسائر أعراض البشرية ، وهو عالم لا يبجل شيئاً فطاعته لأجل
ذلك فرض على الجميع فمن خالفه أو حاد عنه أو قدم مخلوقاً عليه فهو من الكافرين
وهو كالنبي في رفعة الشأن ، وهو شريكه في العلم ، والشركة هنا يجب أن تفهم
فهماً يخالف أن يكون المراد أنه يتلقى عنه ما يوحى اليه لأن الناس جميعاً مثل على
في هذا ، وإنما الشركة هنا هي الشركة في الرسالة . فعلى شريك محمد عليه السلام
وقد قدمنا أن الأئمة يوحى اليهم وأن الملائكة تأتيهم بالآخبار كالأنبياء . ثم الامام
مخصوص بالفضل كله محض تفضل من الله . فلا فضل إلا والامام مخصوص به
فهو كامل من جميع الوجوه ، والفضل هنا كل معنى جميل . فالامام مخصوص بالعلم
والقدرة وفهم شرائع الله والاحاطة بجميع أسرارهِ وشئونهِ ، وفي الاحاطة بجميع
العلوم والافان ، وبالأجمال مخصوص بكل وصف حسن من أوصاف الانبياء
وصفات الله . ثم هو محل حلال الله ومحرم حرامه . فمن خالفه فقد خالف الله
لأنه ينطق بمراد الله نصليته به ، وهذا المعنى مستعار من عقيدة النصارى ، ومن
قولهم ما حل الاحبار والرهبان في الارض فهو محلول في السماء وما ربطوه في الارض
فهم مربوط في السماء . ثم الامام هو المنجى من الردى فهو الذي يدفع عن العباد
الآفات وأقانين الاقدار الفادحة ، وهو المطهر من العيوب والذنوب ، وهو
المخصوص بالعلم كما هو المخصوص بالفضل ، وكلمة مخصوص فيها معنى الاقتران
فالأئمة هم العلماء وحدهم لا يشار كهم في العلم مشترك والناس لا يطلون إلا
ما عليهم آياه الأئمة والامام لا يدانيه أحد إذ ليس له نظير لأنه هو الكامل
الجامع لأشتات الفضائل . ثم لا تستطاع معرفته ولا اختياره لعظم شأنه ، وفي
هذا المعنى قال أحد الشيعة في الامام على :

ألا إنما الاسلام لولا حسامه كحفظة عنز أو قلامة ظافر
يجل عن الاعراض والآين والتي ويكبر عن تشبيهه بالناصر
وقد عجز الناس عن أن يصفوا شأنا من شؤونه أو يقدروا فضيلة من فضائله
فلا يمكن أن يعرف شيء من أموره وأصراره أو يوجد من يقوم مقامه ، فليس
كشئ شيء . ثم هو مقدس ، بل هو معدن القداسة ، فهو مقدس في نفسه مقدس
غيره ، وقد ألهم الحكمة والعلم الهاما فأحاط بأفراد الحكم والعلوم فلا يعجزه جواب
ولا يحيد عن صواب ، بل كل أمره علم وحكمة وصواب . ثم ان علوم الامام
لا تستطاع الاحاطة بها ، ولو كان للناس استعداد لحديثهم بمالهم وما عليهم دنيا
وأخرى ، وقد أمر الله بطاعته ونهى عن معصيته تخصيصاً وتنصيهاً . فهو كالرسول
في كل شيء إلا في النساء ، وأما فيما خلا ذلك فهو كهو ، ولهذا فان له جميع
النواميس النبوية ، وقد كان مع رسول الله روح أعظم من جبرائيل وميكائيل
وهذا الروح مع الامام ، ولا نعلم ماذا يريدون بالروح ، وأية روح هي أعظم من
جبريل وميكائيل ؟ ولعلمهم يريدون الحلول المشهور عنهم كما سوف يجيء . ثم
هناك سلاح وعلم وكتب تتوارثها الائمة ، وكل امام يهدى الى الامام الذي بعده
كتاباً فيه جميع ما يحتاج اليه البشر ، ولهذا فان الائمة أركان الارض يسكنونها
عن الميدان والزوال ولولاهم لا نكفأت بأهلها ، ومن ادعى أنه امام وليس كذلك
فهو كافر كما أن من ادعى أنه إله أو رسول فهو كافر ، والامام مخالف للمخلوقات
في خلقته وفي موته وفي كل شيء . فهو مخلوق من شربة تحت العرش ، وإذا ما ولد
جاءه ملك وكتب على يده آية ثم رفع له منار يرى به أعمال العباد أين كانوا .
والائمة متقدمو الوجود على الموجودات ، فقد كانوا مع الله قبل أن يكون معه أحد
ثم بدا له أن يخلق خلق وهم معه . وأرواح الائمة وأبدانهم مغايرة لأرواح
الناس وأبدانهم . فأرواحهم من نور عظمة الله فهي الهية ، وأبدانهم مخلوقة من

(ن)

طينة تحت العرش ، وأما سائر الناس فهمج للنار وإلى النار ، والامام مكلف بمثل ما كلف به النبي من البلاغ والهداية لانه مثله يوحى اليه ، ويده الخير والشر والاسعاد والاشقاء . فلا يدخل الجنة داخل ولا يدخل النار داخل إلا بقسمته وأمره ، وقد أعطى التصرف في ست في المنايا والبلايا يميت ويحيي ويبتلى ويمافى من يشاء ، وقد وكل اليه أمر الوصايا وفصل الخطاب وفوض اليه أمور العالم فهو يحل ويحرم ويفعل كل ما يشاء

هذه مجموعة من الاوصاف اذا ما نسقت لموصوف واحد ونسق معها ما قدمنا خرج من بينها رب عظيم جامع لاوصاف الربوية ، فاذا ما أضيف إلى هذا ما يمنحونه الأئمة من المضراعات ومعاني العبودية خرج من ذلك إله عظيم معبود ، ولا فرق بين الامام عند الشيعة وبين اللاهوت والناسوت وروح القدس أو المسيح عند النصارى ، ولعل هذه مستعارة من تلك ، والشيعة تقول بحلول اللاهوت في ناسوت الأئمة ، وقد جهر قدامى الشيعة بهذا ، وهذه الأوصاف التي يخلعونها على الامام لا فرق بين قولهم بها وبين أن يقولوا ان الامام شريك لله أو مساو له أو هو هو ، لأن هذه الأوصاف الامامية هي أخص أوصاف الله . ولهذا كثيراً ما يجهر المتشيعون بتأليه أئمتهم وتأيليه أنفسهم كما صنع الفاطميون ودعاتهم ، ومن هـ الطريق دخل الى الاسلام القائلون بوحدة الوجود وبحلول الخالق في خلقه ، وكان هذا أصل الأصول لما أصاب الاسلام والمسلمين من الفساد واعتلال العقائد

(المسلمون في رأى الشيعة)

للشيعة في سائر الأمة ولا سيما الصدر الأول رأى شنيع وقد تعبدوا بتأليف اللعنات الملتبها وارسالها على المسلمين ، وقد خصوا بأشد ذلك أكابر المسلمين كالخلفاء وقد ملثوا كتبهم بهذه اللعنات وأبدعوا أي ابداع في إجادتها وإسباغ الآثواب الشرعية الخيالية عليها ، وهم لا يشكون في كفر كبار الصحابة كالخليفين وكفر من

(ص)

تولهم في جميع المصور . والنقل في كتبهم لا يحصره كتاب . وفي كتابنا هذا
أقاني من هذا النوع . وقد تقدم قولهم ان الشيعة والأئمة هم الناس وأن المسلمين
وغيرهم هج النار الى النار ، وأن الله لا يتقبل من مسلم حسنة معها أحسن وبالغ
في الاحسان إن لم يكن شيعياً . وتقدم أن من أنكر أحداً من أئمتهم فهو كافر ضال
والله شاني لأعماله ، وأن من تولى اماماً جائراً كان بكراً وعمره فهو كافر ضال والنار الى
النار . وقد روى الوافي « ان أول من بايع أبا بكر هو إبليس ، وأن النبي قال أول
من يبايع أبا بكر في منبري هذا هو إبليس » وفي الوافي أيضاً عن الصادق « ان
قول الله وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » نزل في أبي بكر وعمر حين
قالا يوم وصاة النبي بالامر املوا انظروا الى عينيه (أي عني للنبي) ثم رآنا
كأنهما عينا مجنون » وفي الكافي : « أن النبي قال لا يكر ما رأى جزعه في
الغار أسكن ثم أراه النبي معجزات فأضمر أبو بكر في نفسه حينذاك أن النبي ساحر
فسمى صديقاً » وفي الكافي والوافي « ان قول الله ضرب الله مثلا للذين كفروا
امرأة نوح وامرأة لوط - الآية نزل في عائشة وحفصة وإيهما كافرتان مناققتان
خالدتان في النار » وروى الوافي وغيره عن الصادق أنه قال « ما من مولود يولد
الا وإبليس من الأبالسة يحضرته فان علم الله أن المولود من شيعتنا حجه من الشيطان
وإن لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان اصبعه في دبر الغلام فكان مأيوماً وفي فرج
الجارية فكانت فاجرة » وفي التهذيب : « كان الصادق يقول خذ مال الناصبي
حيث ما وجدته وادفع اليها الخمس » وفي الوافي قال : « كل راية ترفع قبل قيام
القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله » وقال في الوافي أيضاً « الجهاد مع غير
الامام حرام مثل حرمة الميتة والخنزير ، ولا شهيد الا الشيعة ، والشيعة شبيك ولو
مات على فراشه حتف أنفه ، والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فالويل
يتسجلون »

(ع)

وفي الوافي « قال رجل لباقر قد حجبت وأنا مخالف فقال أحد حبيك » وفي الوافي : « ما اختص بروايته الامة فلا تلتفت اليه » وفي الكافي « أن قول الله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الآية قد نزل في الصحابة بعد موت النبي » وفي الكافي « أن قول الله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) الآية نزل في أولياء أبي بكر وعمر » وفي الكافي أيضا أن قوله « ان الذين آمنوا ثم كفروا » الآية نزل في أبي بكر وعمر وعثمان آمنوا بالنبي ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية علي ، ثم آمنوا بالبيعة لعلي ، ثم كفروا بعد موت النبي ، ثم ازدادوا كفراً بأخذ البيعة من كل الامة »

(تفسير الشيعة للقرآن)

لم يعتمد على كتاب الله بتفسيره التفسير المذكورة المضحكة مثل الشيعة . وقد وضعنا أمام القاري نماذج من هذه التفسير . فيفسرون الجبت والطاغوت بأبي بكر وعمر ، ويفسرون الأنداد في قوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) بالخليفين أيضا . ويقولون في قول الله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) الآية أنهم هم الصحابة اذ تولوا الخلفاء . ويقولون إن امرأة لوط وامرأة نوح الكافرتين المذكورتين في القرآن هما عائشة وحفصة ، ويقولون في قول الله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر) الآية أنه نزل في أبي بكر وعمر . ويقولون في آئمة الكفر في قوله (قاتلوا آئمة الكفر) أنهم طلحة والزبير ، وأن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية ، وأن البقرة التي أمر بذبحها هي عائشة ، ويقولون في « مرج البحرين » انهما علي وفاطمة وفي « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » انهما الحسن والحسين وقد حمل طوائف منهم الفرائض والمحرمات على أنها رجال ، فاستحلوا المحرمات وتركوا الواجبات ، ومن الظريف أن شيئا منهم واسمه بيان كان يزعم أن الله يعنيه بقوله « هذا بيان للناس » وكان آخر منهم يلقب بالكسف

(ف)

فزعم هو وزعم له أنصاره أنه المنى بقول الله « وإن يروا كسفاً من السماء » الآية ،
وقد جاء المختار بن أبي عبيد من ذلك بأعاجيب الأعاجيب
كربلاء أفضل من مكة عند الشيعة :

لما ان كان مذهب الشيعة قائماً على عداوة الصحابة وعلى القلوب في آل البيت
كره المتشيعون كل أرض يوالى أهلها الصحابة وقتلوا كل أرض يماديهم أهلها ،
ولهذا قاتلهم بكرهون الحجاز أشد الكراهة لأن أهلهم لم يزالوا من أولياء أبي بكر
وعمر ولأن في الحجاز جسدي هذين الخليفين ، وقد قلنا أن بعض الناس سأل
أحد أئمة الشيعة عن النزول في مكة والمدينة فهناك سبب أهلها أمر السب ، ونصح
له بالنزول في العراق . وهجوم القرامطة على مكة وتخريبها وانتهاك الحجر الأسود
وقتل الحجيج مرجعه هذا ، لأن القرامطة فرقة من فرق الشيعة . ولأجل هذا فإنه
يندر أن يحج الشيعة وهم يعتقدون أن بلادهم محل مشاهد من مشاهد آل البيت أفضل
من مكة ، وزيارة واحدة لمشهد من المشاهد أفضل من الحج . ومن أقطع ذلك أن
ثلاثة من رجال الشيعة وهم محسن الأمين العاطي وأحمد عارف الزين صاحب مجلة
العرفان وعبد الحسين شرف الدين ألفوا رسالة سموها « الشيعة والمنازل » وقد جاء
في هذه الرسالة ص ٢٥ أن كربلاء أفضل من مكة وأن زيارة آل البيت فيها أفضل
من حج بيت الله ، وذكروا في وجه ذلك أن كربلاء تضم رفات آل البيت . ومن
الجرأة أنهم ذكروا لهذا عنواناً في رأس الصفحة ونصه : « وجه تفضيل كربلاء
على مكة عند الشيعة »

فكربلاء أفضل من مكة ، وزيارة المشاهد أفضل من الحج ، والأئمة أفضل
من الأنبياء ، وظلمة الشيعة أفضل من أبي بكر وعمر ، ومن أتقى أهل السنة ،
وسينات الشيعة أبر وأفضل من حسنات أهل السنة ، وأهل السنة لا تقبل لهم حسنة

(ص)

والشيعة لا يؤخذون بسنة ، والأئمة يعلمون كل شيء ، ويقدرّون على كل شيء ،
ويصنعون كل ما يصنعه الله ، ويسألون كل ما يسأله الله . هذا كله من عقل الشيعة
ودينها وإسلامها منقولا من أصح كتبهم . وإنا ندع للقاريء وحده هذا السؤال :
هل يمكن أن يكون أصحاب هذه الآراء من أصدقاء الاسلام ؟؟ أما أنا فلا أشك
أن مذهبها هذه الروايات بعض نصوصه . لا بد أن يكون قائما على عداوة الاسلام
والكيد للمسلمين ، ولا أستطيع أن أفهم أن مرجع هذا هو الخطأ والزلل ، والله
العليم بذات الصدور غير أن لفحات النفاق لا تشبهه بنفحات الايمان ، ومما تم
الكذب المحرقة لا تلبس بنسائم الصدق المنعشة . ومن العجيب أن يحاول هؤلاء
النيل من أهل السنة ومن الحكومة السعودية خيرة على الاسلام والمسلمين فيما يزعمون !
ان الحكومة السعودية اليوم هي الأمل المنبجج للمسلمين وللعرب بين دياجي اليأس
القائمة المحيطة بأرجاء الاسلام وأرجاء كل شيء عربي . فن قدح فيها كان قدحه
مسدداً الى فؤاد الاسلام النابض وقلب العروبة الخائض الراجي . ها نحن وأسفاه
نرى حكومات البلاد العربية والاسلامية تتنكر للاسلام وتقلب لكل شيء عربي
واسلامي ظهر المجن ، اجابة لدسائس القرب وخدعه المجرمة ، فحق على كل مسلم
الغيرة على هذه الحكومة ما استطاع ، وحق على كل مسلم وعربي النصيح لها
ولربان سفيتها

ان الحكومات الاسلامية واسفاه تسعى بخطوات جريئة الى الهوة السحيقة ،
قواجب علينا المحافظة على ممانتنا وعقائدنا وأخلاقنا من هذا المرض العنيف الذي
ألح على أكثر الناس حتى وقعوا صرعى على مذبح المدنية الطائشة . والويل
للمسلمين وللعرب وحدهم إن لم يحافظوا على أنفسهم وإن لم يتهاسكوا إزاء هذه
العواصف . والويل لهم ان تركوا الغرض تمر بهم وهم عنها غافلون نياماً
عبد الله على القصيمي

الشعاع الهابط

في سنة (٢) ميلادية فصلت الارض من السماء فصلا تاما وغلقت جميع أبواب السماء دون الارض وأهلها وفزعت الاملاك الى أقطار السماء وانقطع ذلك المدد الروحي الذي كانت تمان به الارض وأهلها على اجتياز ظلمات المادة وفسق المادة وكثافات المادة سيرا الى عالم الارواح ومستقر الروحانيين ، فخبط الناس في ظلمات ثلاث : ظلمة العقائد ، وظلمة القانون ، وظلمة الانفس . أما العقائد فلا يجد المتأمل فيها بصيص نور يهتدى به الى هداية أو يخلص به من ضلالة . وأما القوانين فلا يجد المتأمل فيها ما يعين على عدالة أو ما يخرج من ظلمة . وأما الانفس فلا يجد المتأمل فيها مكانا لمقيدة صحيحة سليمة ولا لقانون عادل إنساني رحيم فبظلمة العقائد استبد رجال الدين بقلوب الناس وعواطفهم ، وبظلمة القانون استبد رجال السلطة الزمنية بأموال الناس وظهورهم ، وبظلمة الانفس واتى رجال الدين ورجال السلطة الزمنية الاستبداد بأموال الناس وقلوبهم وعواطفهم وظهورهم فما زالت الانسانية تتخبط في هذه الظلمات الثلاث ، وتنهدر الى الهاوية السحيقة ، وتتخلى من المعاني الانسانية شيئا فشيئا ، ومن تراث رسالات السماء وبقايا تعاليم الانبياء ، حتى تمحضت عن أسم كان من قسوتها وفظاعتها أن تقتل بنينا شر القتلات خيفة أن يشاركهم في ما كاهم ومكسبهم ، ومن عقلها ودينها أن تصنع بأيديها معبودها ، ومن مجدها الذي يتفنى به الرائح والغادي والطفل والشيخ وتفسح له برود الثناء الخندق في انتزاع الارواح والمهارة في إيتام الاطفال وإرمال النساء وإكمال الامهات والآباء ، ومن كرمها وخلقتها أن تقتصب أموال العاجزين من الادياد عنها لتقدمها للاضياف مكرمة ونزلا . حق لقد صدق في تلك الامم قول الحق « أولئك كالانعام بل هم أضل »

(٢)

وفي ذات ليلة من عام ٦١٠ ميلادية بينما كان الكون ساكنا صامتا والاشياء
راكدة مصغية متوجسة كأنها تتوقع حدوث أمر عظيم ، انفتحت فرجة من السماء
فعلقت بها الأبصار انبعث منها شعاع قوى وهاج باهر فهبط على غار يقيم هناك
في جانب من جوانب قرية تقع هناك في جانب خامل مهجور من جوانب
أركان الارض الخاملة المهجورة يقيم في ذلك النار رجل لا كالرجال يحمل نفسا
لا كالأنفس وقلبا لا كالألوب ، هرب بنفسه وقلبه وفطرته من أولئك للناس
وعقائدهم وأعمالهم الى السكون والهدوء والى الطهارة التى لا يظفر بها بين الناس
في حدود القرية والمدينة مخليا بين روحه وما فطرت عليه من الطهر والنبل
والعظمة والتأملات السامية الحادة النافذة ، واصلا بين نفسه وربّه بصلة هذا الكون
وما أودع فيه من آياته وبيئاته

فكان هذا الشعاع الهابط هو ما عرف بعد بالاسلام ، وكان هذا النار هو
ما عرف بعد بفارحاء ، وكان هذا الرجل الذى لا كالرجال هو متقّد الانسانية
الاكبر من كبوتها محمد بن عبد الله ﷺ ، وكانت هذه القرية هى مكة المكرمة
الواقعة في قلب بلاد العرب الجدياء المتينة .

تسلل ذلك النور الموصول بالسماء العليا ، من غار حراء الى مكة متوجسا
متوجها في صدر محمد ﷺ مشعا من جوانب صدره . فغمر بيوت مكة وفجأها ،
وسال في طرقاتها ونواديها ، وتناثر على وجوه الرائعين فيها والفادين .

فانبهر الناس ودهشوا لهذا النور الوهاج الذى لم يبرده ولم يبعثه ولم
يسموا به . فوقفوا منه موقفين متباينين متخاصمين : وقف الجمهور الاكثري منه
موقف الوجه الخائف الكاره المنكر فأوصدوا دونه أبوابهم ونوافذهم ، ثم قلوبهم
ونفوسهم ، وقاموا منه مقام العداء والنضال الحاد العنيف .

ووقف منه القليل النزر موقف الراضى المسرور المعجب المنبسط ، ففتحوا له

أبو إنيهم ونوافذهم وفتحوا له قبل هذا قلوبهم ونفوسهم وطلبوه في مكانه وسعوا إليه خفافا وثقالا .

فكان من هذا القليل النزر بيوت عرفت بالسبق الى الهداية والاسلام ونصرته ، وكان من هذه البيوت أبيات أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب ، هؤلاء الذين عرفوا فيما بعد بالعلماء الأربعة الراشدين ، وكان من هذا القليل النزر غير هؤلاء .

فقبست هذه الصدور من نور محمد ﷺ ، كل صدر بقدره وما أهّل له ، فتعددت مصادر هذا النور الالهي وزاد إشعاعه وانتقاده وزاد في مكة وضوحا وإشراقا وتوجها ، وهكذا ظل يتزايد إشعاعا وإشراقا في تلك القرية المحمدية الضيقة حتى ضاقت به فسال منها وتناثر الى الجارات ، ثم انتقل مصدره الأول الأكبر الى قرية عرفت فيما بعد بالمدينة المنورة ، فغشاها هذا النور الوهاج الهابط وتدفق الى بيوتها ، فقبست منه الصدور ، فازداد إشعاعه وإشراقه ، حتى ضاقت به تلك المدينة ، ولم تعد واسعة له ، فتدفق منها الى هاهنا وهاهنا ، الى الشرق والغرب ثم الى الشمال والجنوب ، هازما كل ما أمامه من الظلمات الثلاث ظلة القانون ، وظلة العقائد ، وظلة الأنفس ، وما استطاعت ظلة من هذه الظلمات الثلاث أن تثاقفه أو تواقفه لا طويلا ولا قصيرا

تكاثف هذا النور واتسع نطاقه في السماء وفي الأرض ، وتفاعل تفاعلا إلهيا وتجسد تجسدا محماديا ، حتى صار دينا قيما باهرا ، ذا تعاليم وقوانين ، وشرائع محكمة سامية يعشقها القلب إن لم يحبها العقل ، ويحبها العقل إن لم يعشقها القلب ، ويدينها عشقا من لم يدنها برهانا ، ويدينها برهانا من لم يدنها عشقا .

ثم صار لهذا الدين أنصار وقواد ، يحملونه في إحدى اليدين وفي الأخرى الحديد ذوالبأس الشديد ، ويعرضونه على الناس في حالة مفرغة من الأسياف الظاه

(٤)

في قباب نطاق من الأبطال الأشداء ، يذودون عنه الإيذاء والاعتداء ، ويخلون
له الطريق إلى القلوب والعقول ، وما أجمل الحق تعرضه للقوة ، وما أحمل القوة
تنصر الحق ، وما أوضح الحق متدعرا !!

فأصبح ذا قوتين هفيمتين : قوة تعاليمه ، وقوة رجاله وأنصاره ، فتعاليمه قوية
بالغة نهاية القوة لأنها مفهومة ميسورة ، لا تعقيد فيها ولا ضلال ، فالعبد يتصل بربه
مباشرة فيدعوه ويعبده ويرفع إليه حاجاته مباشرة لا وسيط ولا شريك ، ويخصه
بكل معاني عبادته ودينه وحده ، والمعرض المبعد عن ربه إذا ما أراد التوبة
والرجوع إليه فما عليه إلا أن يخلص له قلبه وعمله ، ويبسط إليه تعالى يد المتاب
فيقبله ويغفر له ذنوبه وإن كانت عدد ذنوب الخلق جميعا ، ولا يحتاج إلى أن
يذهب إلى قسيس أو راهب أو وثن أو حجر أو قبر رجل صالح ، فيذل له ويشكو
إليه ليرفع أمره وتوبته إلى الله ، كي يغفر له ، وكي يمفو عنه ، فتعاليمه ليست سوى
إحاطة الفطرة الانسانية وتخليصها من الأخطا والأغلاط ، فאלله كما خلق الخلق
وحده بلا شريك ولا معين ، فكذلك يعبدوه وحده لا شريك له ولا نديد

وأين من هذه التعاليم الأقانم الثلاثة : الآب ، والابن ، والروح القدس
شيء واحد ، وحلول اللاهوت في الناسوت ، والاعتراف ، وبيع الجنة ، والصلب ،
والفداء . وما في هذه من التخليط والتضليل ؟ ! وأين من هذا إلها الجوس ، وأوثان
العرب ودعاوى اليهود وتشبيهم وأقوالهم المظيمة في الله وفي أنبيائه والأغلاط
والأصاار التي كانت عليهم

وأما رجاله وقواده فكانوا أقويا . أيضاً غاية القوة لأنه علمهم ألا يخاف للعبد
إلا ربه وذنبه ، وألا يذل إلا لمن ذل له كل شيء وخلق كل شيء ، ولمن بيديه
أسباب الخوف وأسباب الأمن وحده ، وألا يتأخر عن الموت من طلب الحياة
وأحبها . . فان من رغب في الموت ذلت له ناصية الحياة ، ومن رغب في الحياة

ذلت ناصيته هو للموت . . فكانوا يقدمون على الموت إقدام من ليست حياته ملكا له .
فأخذوا بنواصي الأكامرة والقياصرة وذروا التراب على جباه المظالم الطاغين الذين
طالما جرعوا الانسان جرعا الذل والموان وأذاقوه غصص الخسف والاستبداد . .
فتهاوت العروش المتيدة الظالمية تحت أقدامهم وحوافر خيولهم ، وتساقطت
تحت منامهم إبلهم شرفات إيوانات طالما تساقطت تحتها رؤوس الملوك والمظالم
والقواد . فطروا بأطراف سيوفهم وعصيتهم وقسيهم ممالك وملوكا كانت تستعدي
على الدهر ويشتكى اليها الزمان . ووضعوا كل أنف عات أشم في الرغام ، وأنزلوا كل
بطريق متأله من سماء الأحلام والالوهية الى أرض الحقيقة وبساط العبودية ، فكانت
فترة من الزمن تجتمع فيها الزمن ، ورواية فصولها ثلاثة : الايمان ، والشجاعة ،
والعدالة . خاتمتها تلك السعادة التي تتمتع بها الانسان أحيانا متطاولة . طأطأ الخوصوم
رؤوسهم حينئذ وعلموا أنه لا قبل لهم بمواقفة هذا الدين ولا بمناقفة أنصاره ووجهه
من طريق الحرب والنضال المادى العسكرى ، وعلموا أن منازلهم ولا محالة مصيرهم
الى الفناء ، وعلموا أيضا أنه لا قبل لهم بمنازلته علميا برهانيا وأنه لا يمكن من
هذه السبيل أن ينتصر عليه دين من الأديان ، ولا أن يواقفه حينئذ من الزمان

فإذا إذن يصنعون لاضعاف هذا الدين الهائل العظيم الذى فعل بهم وبقومهم
وملكهم الطاغى الباغى ما فعل من القلب والاحباط ؟ ؟ وهم لا بد فاعلون شيئا بل
أشياء ، فاتقون حيلة بل حيلة . أيقنحون فيه ويحشدون عليه الشبهات والشكوك
ليزعزعوا عقيدة أهله وإيمانهم به ؟ كلا ان هذا أمر غير ممكن لأن هذا الدين
ليس دين شكوك وشبهات لأنه دين الفطرة الخالصة من الأخلاط والأغلاط . ثم
ان أهله لن يدعوه للشكوك والمشككين يعبثون به . فهذا ما لا يستطيع . فإذا
إذن يصنعون ؟ أينتمحرون استشفاء مما فى صدورهم من غيظ وحسد ؟ كلا إن موتهم
هم لا يشفى صدورهم بل موت هذا الدين . أهربون الى حيث لا يرون هذا الدين

(٦)

ولا يسمعون به ؟ وأين يهربون ؟ أليس قد سار مسير الليل والنهار ، وبانح مبالغ الليل والنهار ؟ أيدخلون فيه كما دخل الناس باخلاص وصدق ؟ كلا ان الاخلاص يملك ولا يملك ، وإن الاخلاص لشيء مع احتقاب الحمد له أمران لا يجتمعان أبداً . هذا إذن كله ليس برأى ولا عقل ، فإذا إذن يفعلون ؟

إن ما هنا حيلة واحدة لانفاذ هذا المشروع المدام لا حيلة غيرها ولا حيلة أفضل منها . هذه الحيلة هي أن يدخلوا في هذا الأمر لا إيماناً وتصديقاً ، ولكن نفاقاً ومكيدة ليستطيعوا افساده والعبث به من كذب فيبتدعون فيه ويدخلون فيه الأباطيل والضلالات باسم الدين والتقوى وبمجة الاستزادة من العبادة والتقرب الى الله فيخدع بذلك المؤمنون ويتقبلونه بسلامة نية وطهر قصد ، وتخفى عليهم الأغراض الباعثة على هذا ويخفى عليهم ما يضره هؤلاء الخادعون المنافقون ، فيحسب على مرّ الدهور ما ليس من الدين ديناً ، بل ويحسب ما يتأبد أصول الدين وأصوله وأصوله . والحق اذا لابس الباطل أصبح نسيب للباطل وعز تخليص أحدهما من الآخر ، والحق نزيه كريم اذا نزل به الباطل ارتحل عنه وهذه حيلة من حيل أهل النفاق والدهاء المرّ ، ما زال يلجأ اليها المكره الدهاة حتى عصرنا هذا

وقد اتقن الأوروبيون في هذه الحيلة والمكيدة أيما اقتنان فلا يرى الواحد منهم بأما في أن يتظاهر بالاسلام عشرات الأعوام ويبدى ضرو با من الزهد وطلاء الورع والتقشف ليدل المسلمين على صحة اسلامه وإيمانه باطنياً وظاهراً . وقد لبس ثوب الاسلام من وراء بشرته رجل هولندي وجاور في مكة المكرمة خمسة وعشرين عاماً مظهراً الاسلام والإيمان والزهد والورع كل هذه الأعوام صابراً مصابراً حتى ان القمل كان يتناثر من أثوابه ومن بدنه في طرق مكة المكرمة وفي المسجد الحرام حتى استطاع أن يخدع المسلمين ، وأن يقتنعهم بأنه مسلم الباطن والظاهر وأنه من

(٧)

أكبار الزاهدين وحتى استطاع أن يفقه الاسلام وأن يلم بفقه المذاهب الاربعة الفقهية واستطاع أن يمتحن نفوس المسلمين وأن يسبر مبلغ تدينهم واصلامهم ؛ وأن يلمس أما كن الضعف والقوة فيهم إن كانت لقوة فيهم أما كن وحتى ثم له أن يعرف من أحوال المسلمين في أنحاء الأرض وما يشتملون عليه من آلام وآمال ما لم يعرفه المسلمون من أنفسهم وما لن يعرفوه فيما أظن

وهذا الرجل الهولندي كان يشغل الى وقت قريب أعظم منصب حكومي في الشؤون الاسلامية في حكومة هولندا الجاوية

وأمثال هذا الرجل كثيرون اليوم وقبل اليوم ومنهم من يدعى حب العرب والحرص على حقوقهم وانصافهم كي يقرّبوه ويطعنوا بمجانبه فيطاعوه على أمرارهم وعلى ذات صدورهم ، ويدلوّه على تفورهم . ولهم في هذا حيل غريبة ... وهذا من شر أنواع النضال ومن شر ما جيل عليه رجل الغرب من لؤم وفذالة ودهاء كره مرذول . وقد كان رجل الجاهلية العمياء يتنسم من مثل هذا الدهاء ويأنف منه ويرى به من الصغار ما يحمله على الرغبة والعزوف عنه . وحكومات أوروبا للعاتية الجبارة البائسة من القوة المادية مالا مطعم وراءه لطامع ، تلجأ الى هذا الدهاء والنفاق ، لايقاع الدويلات الصغيرة الضعيفة في فخاخ كيدهم ومكرهم ، ولسلبهم ما بقى في أيديهم من حرية وحصانة . ولكن هيهات ثم هيهات ، فقد برح الخلفاء وعرف الناس هذه المكاييد والمصاييد ، وصاروا لا يثقون بأمر من أمور أوروبا لما شهدوا وعلموا من خداعها وتضليلها . والمخروور لعمر إلهك من غروره بعد اليوم . -

صمم هؤلاء الاعداء اللاداء للاسلام على إنفاذ هذا الامر ، وعلى التظاهر بالاسلام لإرادة إفساده واحباطه وإفساد أهله ، فدخل فيه من هذا الصنف لأجل هذا الغرض رجال من اليهود ورجال من المجوس الفرس ورجال من غير هؤلاء

وغير هؤلاء وكل منهم يختبأ أنواعاً من الضلال والخبال وكل منهم مصمم على إنفاذ ما هم به وما ادعى الاسلام لأجله ، وكان من برنامجهم أيضا اغتيال الخلفاء الذين تم على أيديهم تهطيم ممالك الظالمين واجتياح ظلمهم وظلماتهم . وبأيدي هؤلاء الأئمة قتل الخليفةان بلا ريب عندما عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وكذلك قتل الخليفة على وأريد قتل معاوية وعمر بن العاص وغير هؤلاء ، وذلك أن هؤلاء ماعداء عمر قتل منهم من قتل وأريد قتل من أريد بدعوى الغيرة على الدين والخروج على الظلم والظالمين لأنهم زعموا أن هؤلاء الخلفاء والامراء كفروا فحق قتالهم واغتيالهم انتصاراً للدين ولحق . هذه هي دعوى القوم . ولكن الفاحص للحوادث النافذة في أحشائها المستقرىء لما أحاط بها يعلم أن هذه الآراء الغريبة في الاسلام الشاذة الباطلة إنما دخلت على جماعات المسلمين من سبيل هؤلاء الأدعياء الخونة الضلال ومنهم انبعثت في الجماعات الاسلامية وخيلت رشداً وديناً وقد أشار الى هذا النبي الكريم إذ حذر في أخبار معلومة كثيرة المنافق المتناول للقرآن الواضع له في غير موضعه

ويقرب هذا اليك أننا إذا ما تتبعنا تاريخ كل بدعة ورأى شاذ في الاسلام وجدنا مصدر ذلك من غير العرب من الأمم الموثورة من الاسلام وآهل الاسلام كاليهود والمجوس الفرس وكغير هؤلاء . أما المبتدعة من العرب فهم تبع هؤلاء مستقون منهم أصول ما عندهم من البدع والشذوذ مخدوعون بهم . والعربي بطبعه نزاع الى التصديق لأنه مجبول على الصديق . والصادق في نفسه ميال الى تصديق غيره . ولا شك عندنا في أن كل الاخلال التي أصيب بها الدين الاسلامي ترجع الى غير العرب . ومن أشهر الفرق المبتدعة في الاسلام الرافضة والمعتزلة والخوارج . وقد اجتمع لهذه الفرق الثلاث من أصول الابتداع والشذوذ ما لم يجتمع لغيرها من الفرق المنتسبة للاسلام . والواضعون لأصول هذه الفرق الثلاث

المنافية لأصول الاسلام مباشرة يرجعون الى أصول غير عربية . فان الواضع
 لأصول مذهب التشيع والرفض هم اليهود كما سوف يجيء . والخوارج ليسوا
 سوى فرقة من الشيعة خالفوا عليا وشيعته فخرجوا عليه وعليهم وأكفروهم
 وأكفروه . وضلالات المعتزلة منها ما يرجع الى هؤلاء ومنها ما يرجع الى هؤلاء والباقي
 يرجع الى الفرس وكذلك جميع ما أصيب به الدين الاسلامي من الآراء الفاسدة
 كالقول بوحدة الوجود والتناسخ وإنكار صفات الله والقول بمصمة الأئمة والقول
 فيهم وعبادة القبور والانتقاع الى الاموات وما تبع هذا من زخرفة القبور والبناء
 عليها ، الى غير هذا من التشبيه والاقوال المنكرة في الله وفي صفاته وفي رحله
 من مستبشع الآراء .

وكان من أشهر هؤلاء الذين زعموا للناس أنهم أصاموا ليخرجوهم من الاسلام
 رجل ماكر خبيث يهودي من يهود صنعاء يقال له عبد الله بن سبأ ، ويعرف أصحابه
 من فرق الشيعة بالسبئية .

نبغ هذا اليهودي في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وأظهر الاسلام والزهد
 والغيرة على الدين وأهل الدين وبالغ ظاهراً في حب آل البيت النبوي ومواليتهم
 والمطاف عليهم لأنهم مظلومون ، ويتضمن الحق كما زعم هذا الرجل وكما زعم
 أصحابه وكما زعمت فرق الشيعة من بعده ، وراح يزعم ويدعو سراً وجهرآ الى
 ما يزعم أن الخليفة بعد رسول الله هو علي بن أبي طالب ، ثم أولاده من بعده وراثته
 وبزعم أن رسول الله قد أوصى بهذا الأمر وصاية جارية ظاهرة عرفها الخاص
 والعام ، وحل الناس على هذه الوصية دلالة واضحة في المجامع الحافلة العامة ، وربما
 زعم أن شيئاً من هذه الوصية كان في القرآن يتلى ، وزعم أن الصحابة أنفسهم
 ومنهم الخلفاء الثلاثة الراسدون ما كانوا يجهلون أمر هذه الوصية ولا يجهلون هذا
 الوصي صاحب هذا الأمر الحقيقي به ، ولكنهم لعداوتهم عليا وولده ولحرصهم

على الدنيا والملك والرئاسة ، ثم تمكن مرض الحسد في صدورهم ككتموا هذه الوصية ، وأخفوا هذا الأمر ، وحاربوا هذا الوصي ، واختصبوا حقه وما قضى به له رسول الله وما قضى به القرآن . ثم أخذ يزعم ثانيا ويدعو الى زعمه أن علياً رضي الله عنه كان ملتبس الفضائل ، ملتقى المعجزات كما تسمى الشيعة الكرامات ومعجزات ، وراح يمل عليه خياله من هذه الفضائل والمعجزات ما لا يقره العلم والعقل والدين ، ومالاتسده الرواية الصحيحة ، وراح يبالغ في تكثير هذه الفضائل وهذه المعجزات حتى طفق ينزل كثيراً من آيات الكتاب الحكيم في فضل علي ويقسرها على هذا قسراً ، وراح يزعم أن هناك آيات قرآنية نزلت في فضل علي قرأها الناس أزماناً متطاولة قد صادرها الصعابة المناقون ومحوها من المصاحف كتماناً لفضل هذا الفاضل الوصي والخليفة بنص النبي ، ثم تهو وتطور في المبالغة والدعوى حتى تفوه بالسوء الكبيرى وآتى بالجريمة العظمى فزعم أن الله سبحانه ينزل من علياء صحابته خل في علي رضي الله عنه إعظاماً لقدمه كما قال النصراني أن الله حل في عيسى وزعم أنه لحلول الاله في شخصه يستحق العبادة والتأليه ، ويستحق ما يستحقه الرب في علياء صحابته فدعا جبهة الى عبادة علي وتأليهه والقيام له على قدم العبودية الخالصة ، وأخلص في دعوته هذه وصاير عليها حتى أضل بها قوما خلقوا الضلال والنار فآمنوا بدعواه النكراء وصدقوه في هذه السوءة الفاضحة وجهروا بها وراحوا الى الامام علي رضي الله عنه وقالوا له : أنت الله ، أنت خالقنا ورازقنا ، فارتاع على هذه المقالة وفزع أشد الفزع وهاله الأمر واهتزت له جوانب قلبه وحله فدعا القوم الى التوبة والرجوع الى المقل فأمروا على دعوام وأبوا المتاب فأمر باضرام نيران عظيمة قذفهم فيها أحياء وقالوا وهم يحترقون فيها : الآن صح عندنا أنك أنت الله إذ لا يغيب بالنار إلا رب النار

واصرار هؤلاء الضلال على دعواهم هذه على رغم تكذيب الاله في زعمهم لهم وعلى رغم قوله لهم انكم كاذبون في مقاتلتكم هذه كافرون بالله تستحقون غضبي وغضب الله ما و نارى في الدنيا و نار الله في الآخرة يستوقف النظر ، إذ كيف يكذب الاله اذا كانوا يظنون حقاً أنه إله وكيف يمتدح الاله عباده اذا ما عبدهم و قاموا له بفروض العبودية ؟؟؟ ان الجواب المقول المقبول على هذا السؤال لسير . ولأجل هذا أذهب الى أن دعواهم هذه حيلة مدبرة و مكيدة يخفى مكانها على الالباب العلمية . وأذهب الى أن القوم ما كانوا صادقين فيما زعموا . ولكن هذا الزعم كان تضليلاً والاصرار عليه أيضاً كان تضليلاً والأمر كله كان ضلالاً في تضليل .

أما واضح بنور هذه الضلالة و متولى كبرها عبد الله بن سبأ فطلبه على لوقع به أشد العقاب ولكنه كان أحقر من العراب فهرب وترك له البلاد ، وما كان هروبه وضعافاً لأوزار هذه الفتنة المدمرة وتسليماً بالمزينة بل كان هروباً بهذه الأراء ضناً عليها بالقبور والقتل ، ليضل بها المسلمين ويقن بها المفتونين وتبقى عارا و فاراً الى يوم الدين

تطارت دعاوى هذا الرجل ومبتدعاته في كل جانب ورنّ صداها في أركان المملكة الاسلامية رنيناً مراراً مرعجاً واهتزت لها قلوب ومسامع وطربت لها قلوب ومسامع ورددت صداها أفواه خلقت لهذا ورددتها أفواه أخرى وطال التردد والترجيع حتى فننت إلى قلوب رخوة لا تماسك فخلتها حلول العقيدة ثم فاعلت حتى صارت عقيدة ثابتة تراق الدماء في سيلها ويغادى الأهل والصحاب غضباً لها وصارت فيما بعد معروفة بالمنهج الشيعي والعقيدة الشيعية وقوامها الفلو ظاهراً في على وبنيه إلى حد التأليه والعبادة ثم الفلو في معاداة سائر المسلمين ومنهم الحلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان والكرام الآخرون إلى حد الفت والافتداف

العلمي .. وقوامها أصالة في صدور مبتدعيها نفس الاسلام وتحطيم ما شيده من ملك
ثابت الأساس ثابت المبادئ والشرائع ..

ثم دخل هذا المذهب الشيعي كسائر المذاهب الصحيحة والباطلة التحوير
والتلطيف والتكليل والتغيير وسائر ما تمضي به طبيعة الأشياء وطبيعة العقائد والآراء
وقام بزعامته وقيادته رجال كثيرون كل منهم يحنثب أغراضاً خاصة وآراء خاصة
وأسياب لا تقاذ هذه الآراء والأغراض خاصة ولكل من هؤلاء الزعماء أسلوب
خاص في زعامته وقيادته وطريف يضيفه الى هذا المذهب وهذه النحلة وبدعة
خاصة تكل بها .. حتى خلص من هذا كله المذهب الشيعي أو المذهب الرافضي
وصارت له فروع وأصول في أكثر الممالك الاسلامية وأصيب به الاسلام وأهله
في عصور مختلفة إصابات لا تزال دماؤها تتقاطر ولا تزال جراحاتها مفتوحة لم تلتئم
في أعماق القلوب المسلمة .. وهل تصاب قلوب المؤمنين حقاً بأشد إجماعاً وإيلاماً من
إكفار أمثال أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأزواج النبي وخاله
ابن الوليد وطلحة والزبير وعمر بن العاص وطارق بن زياد .. وأمثال هؤلاء
الذين بهم لا يبرم تطلق اليوم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله من أربعمائة
مليون شقة تجلجل في أفواه السماء ومسارب الأرض والهواء لا يستطيع راد أن
يردها ولا كاذم أن يكظمها ولو كان أهل الأرض جميعاً ??? وهل تصاب قلوب
المسلمين بأشد إجماعاً وإيلاماً من رمى هؤلاء السادة القادة بالنفاق والخيانة حتى
في كتاب الله وكلام الله كما تدعى الشيعة الرافضة أن هؤلاء الصحابة حرفوا
القرآن وحذفوا منه أشياء نفاقاً وبغضاً وحسداً لعل وبنيه

وتنفرد هذه الطائفة بأمور تخصها دون سواها من طوائف الأهواء .. فما
تفرد به أنها تحقت العرب أشد المقت وتكرههم كراهة تكاد تكون مرضاً يأكل
صدر صاحبه ويستل منه الحياة ومعاني الحياة . ومن كره القوم للعرب كرهوا كل ما

أتوا به من دين وافسة وأدب وكرهوا ملوك العرب الذين جمع الله كلمتهم بهم ورفع بهم ذكركم وأعلى شأنهم . ولعل من الشواهد على هذه القضية مفتهم أمثال أبي بكر وعمر وعثمان . وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وبنو أمية وبنو العباس جميعا فان هؤلاء قد أعز الله بهم العرب ، ورفعهم بهم أيام خلافتهم . وبعدها الى اليوم ولعل من الشواهد على هذه القضية أيضا موقف أكثر الشيعة من الحكومة العربية السعودية بعد أن رأوا بوارق نصرها ونصر العرب والاسلام بها تتألق في سماء العروبة وبعد أن جمع الله بها قلب جزيرة العرب ولفهم تحت رايتها وراية الدين الحق والاسلام الصحيح . بعد الشتات والضلال والفتن الهوج ، فان كثيرا من رجال الشيعة المسؤولين وقفوا من هذه الحكومة موقفا لا يغبطون عليه بحجة الفيرة على الدين وعلى آل النبي اذ هدمت بعض القباب المقامة على بعض القبور . واذ منعت العامة الجهاد من الاستغاثة بالأموات والانتطاع الى القبور والتقييل لها والتمسح بها وغير ذلك من الأمور الشاذة الخارجة عن حدود الدين والعقل . وقد حاولوا نفس هذه الحكومة وحاولوا اثارة العالم الاسلامي بها وأرجفوا أيما إرجاف بعد أن دخلت جيوشها الحجاز ظافرة وبعد أن تألق نجمها ونجم العرب بها وملأ اسمها فم الزمان وحديثها اذن الجوزاء واتخذت من خيوط الشمس سلما الى مجد السماء

ولرجال الشيعة المسؤولين محاولات في هذا معروفة مؤلمة ومن هذه المحاولات العقيمة التي قاموا بها ذلك الكتاب الذي قام باختلافه وطبعه الشيخ محسن الأمين العالمي أحد كبار علماء الشيعة ومجتهدهم في جبل عامل في سوريا . وهذا الكتاب ألف بعيد دخول العساكر السعودية الحجاز وتمزق القوات الهاشمية واستبشار المسلمين في أطراف العمورة بهذه النتيجة الحاسمة وهذا الانقلاب الذي علقوا عليه سعادة الجزيرة ورفعته شأنها وحفظها من أخطار كانت توعددها وتهدها

وكان الغرض من هذا الكتاب تغيير نفوس المسلمين وانهاضهم لمقاومة الحكومة
 العربية وإخراجها من الحجاز والقضاء عليها واحلال دولة أخرى حتى ولو غير
 مسلمة محلها في الحجاز وفي قلب الجزيرة العربية . وذلك أن هذا الكتاب مملوء
 بالكاذب الفاضحة الواضحة وبالاعتقادات التي يندى لها جبين الحق وجبين
 الاسلام الصحيح ومملوء بالهملات على الحكومة العربية وعلى سياستها ودينها وعلى
 ادارتها ورجالها وزعمائها وعلمائها ، أشياء صريحة بأنه لا يراد بها سوى التحريض
 والارجاج لا القدر العلمى الاعتقادى ، فان رجال الشيعة بعيدون عن هذا
 ولا تزال مجلات شيعية تلحن هذا الكتاب تلحيناً مشجياً مبكياً وتضرب
 أرقاره ضربات تبعث الأسمى فى أعماق الصدور المؤمنة
 وصاحب هذا الكتاب واخوانه يزعمون أنهم ما فعلوا ذلك الادفاعا عن
 الاسلام والاغيرة على الحق وعلى القباب المهتدة ...

وليت هذا هو الباعث لهم على هذا الموقف المريب المريب ، ولو أن الأمر هو
 هذا قلنا لا بأس ، قوم خرجوا عن سبيل الله وضلوه فيوشك أن يعرفوه فيتبعوه ،
 ونشأوا فى الباطل فأحبوه ولزموه فيوشك أن يتكروه فيهجروه ، واستوحشوا من الحق
 فأبغضوه ونبذوه فيوشك أن يأنسوا به فيحبوه ، لكن الأمر كما ما ذكرنا هو مقت
 العرب بلا ذنب سوى نصرتهم الدين واقتصارهم على الأعداء المهاجرين
 وقد ذكر الأمير الجليل شكيب أرسلان فى كتاب حاضر العالم الاسلامى أنه
 التقى بأحد رجال الشيعة المثقفين البارزين فكان هذا الشيعى يمقت للعرب أشد
 المقت ويزرى بهم أيما إزراء ويقولون فى على بن أبى طالب وولده غلوا ياباه الاسلام
 وللعقل فعجب الأمير الجليل لأمره وسأله كيف تجمع بين مقت العرب هذا المقت
 وحب على وولده هذا الحب ؟ وهل على وولده الا من ذروة العرب وسنامها
 الأثم ؟ فانقلب الشيعى ناصبياً محضاً واحتاج وأصبح خصماً لعلى وبنيه ، وقال

الفاظ في الاسلام والعرب مستكرهة

ولو أن هؤلاء الشيعة صادقون فيما فعلوا ، صادقون في أنهم ما فعلوا هذا الا خيرة وزيادا عما حسبوه حقا وديننا لوجدوا لملاتهم وارجاقتهم مناديج رفسعا في غير هذا الجو ولوجدوا من الحكومات الأخرى ومن الملحدن المحسوبين على الاسلام والمسلمين ما يشغلون به وقتهم وعلمهم وهجاءهم ونقدهم عن السلفين السعوديين ، ولوجدوا أعراضا خصبة اللدام يصدر عنها المهاجم الدام ريان شبعان ، ولكن نيات القوم وعقائدهم مدخولة

ومما ينفردون به أنهم يكرهون الرء بمقدار ما عنده من حب الدين ومناصرة و إعزازه ، ويمقدار ماله من آثار في خذلان الكفر وأهله والظلم ونهبرائه .. فمن كان حظه من نصرة الاسلام وتأيينه ومن دحر الكفر واجناده عظيم كان حظه من مقت هؤلاء وبفضائهم عظيم ، ومن كان دون ذلك كان حظه عندهم من هذا المعنى دون ذلك .. وهذا أمر مشهور معلوم عن طائفة الشيعة الغالية .. ومن الدلائل التي لا ترد على وجود هذا المعنى فيهم أنهم يخلصون أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وخالد بن الوليد وعمر بن العاص وعائشة وحنيفة وغير هؤلاء من عظماء الاسلام وأبطاله بأشد الكراهة ويعتقونهم مقتلا لا يعقونهم أحدا من البشر . حتى إنهم ليتأولون الآيات النازلة في صناديد الكفر وأركان الشرك في هؤلاء الصحابة الاجلاء يل ويتأولون آيات نزلت في الشيطان الرجيم في أبي بكر وعمر وقد قالوا ان قوله تعالى « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر » نزل في أبي بكر وعمر وقالوا في قوله تعالى « فقاتلوا أئمة الكفر » إنه نزل في طلحة والزبير ، في قوله « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » إن البقرة هي السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق أحظى أزواج النبي إليه . ونظائر هذه الروايات والآقاويل عن الشيعة سوف يأتي في كتابنا هذا نقلها من مصادرها الشيعة الثابتة عندهم وعند الناس جميعا

وهؤلاء لا يتنازحون في أن هؤلاء الصحابة كفروا وفسقوا وضلوا السبيل وطوائف منهم تزعم أنهم كانوا منافقين وأنهم مازالوا كذلك في حياة الرسول وبعد وفاته وأن الرسول كان مخدوعا بهم أو كان يداريهم ويتقيهم لأنه عالم بفنائهم وكفرهم المضمّر

ثم يجيء بعد هؤلاء الصحابة في كراهية هؤلاء أئمة السنة والحديث كالأئمة الأربعة وكأئمة الحديث أمثال البخارى ومسلم ومن يفضلهم أو يفضلونه وهكذا يتسفلون في عداوتهم وينحدرون في بغضائهم يبدؤن بالخلفاء الثلاثة من الصحابة وبكبار المهاجرين ثم بعامة الصحابة ثم بأعظم التابعين ثم بأعظم الأئمة المشهورين المعروفين بنصرة السنة والعناية بجمع الحديث وتسويته وهكذا يظنون يهودون في عداوتهم ومقتنهم من الأعلى الى الأدنى الى أن يصلوا الى جمهور أهل السنة والعامة من المسلمين

والشيخ محمد أمين العامل قد وضع القناع عن هذا وقطع الظنون وجاء بالأمير اليقين . وذلك أنه في كتابه المذكور الذى سوف ننقذه عليه راج يدافع وينافح دون جهلاء المسلمين ودهائم المنقطعين الى الأموات والى الأحداث متأولا لهم أخطائهم وألغائهم المستكرهة الدالة على الاعتقادات الشنعاء وراح يفض لهم وينضح عنهم آيا أن تضاف اليهم ضلالة أو خطيئة مما فعلوا وقالوا ومهازلوا وضلوا . بل كل ما يقولونه من أقاويل الضلال والسوء واجب أن يتأول لهم وأن يحمل على المجاز ولا يصح أبدا غير هذا . هذا هو رأى هذا المجتهد الشيعى فى هؤلاء الجهلاء الضلال أما الصحابة وأما الخلفاء الرشيدون أمثال أبى بكر وعمر وعثمان فهم عند هذا الشيعى العامل وعند الشيعة قديما وحديثا كفار منافقون وجماع للآثام والخطايا . ومن لم يقل فيهم هذا القول فهو كافر منافق مثلهم ومن أراد التأويل وإحسان الظن بما بعده الخصم لهم سيئات فهو ضال . منافق مثلهم وهو من الضالين المالكين . فما تأويل هذا فى عالم التأويل والفهم ؟؟؟

قوم يمتنون صحابة رسول الله ﷺ والخلفاء منهم ويمتتون من لا يمتتهم ومن يروى فضائلهم وجلال أعمالهم من المحدثين ، ثم يقومون يدفعون عن الجهاد وعامة الناس الذين ليس لهم من الاسلام الا أن قالوا انهم مسلمون ، حاملين كل ما يصدر عنهم من أعمال الضلال وأقواله أحسن المحامل ، مخرجين لها أحسن التخريج ، لا يقبلون فيهم قدحا ولا انتقادا لا شيء غير انتسابهم إلى الاسلام وغير أن ولدوا في جو يقال انه جو املاى ، فما تأويل هذا ؟ ؟ ؟ إنه لا تأويل له غير ما ذكرناه من مقتهم الرجل بقدر ما معه من الايمان والدين ، وبقدر جهاده خصوم الدين .

وعلى هذا السبيل وبهذه الطريقة كرهوا النجديين وعلماؤهم النجديين ، وكرهوا الحكومة العربية وكرهوا علماء السلف والسنة مثل ابن تيمية وابن القيم ، وغضبوا للجهلاء المبتدعين وامتدحوا هؤلاء وذموا أولئك ولم يقبلوا في هؤلاء قدحا ولا في أولئك مدحا

ومما تفرد به هذه الطائفة أن هواها أبدا مع خصوم الاسلام الكائدين له المريرين به كل داهية دهياء . وما تقابل المسلمون والمشركون أو تناضلوا أو اختلفوا إلا ركنت طائفة الشيعة الغالية إلى خصوم الاسلام والا كانت معهم في الهوى وفي العمل وفي الظاهر والباطن بل وربما سعوا ليؤثكوا الكفار من نواصي المسلمين ومن جز رقابهم وافتتاح بلادهم . وهذه أشياء معلومة يحفظها التاريخ الحفيظ ولا ينساها قد سجلها على حساب هذه الطائفة المقبوضة

وحادثة ابن الملقم الشيعي مع هولاء كو طاغية التتار مخفوظة تقطر ألما ودما على صفحات التاريخ وصفحات قلوب المسلمين إلى اليوم وإلى يوم الدين . فان ابن الملقم هذا كان شيعيا وكان وزيرا للمستعصم آخر خلفاء بني العباس ، فلما أن قدم للطاغية هولاء كو لمهاجرة عاصمة الاسلام ومقر عرش الخلافة دار

للإسلام سهل هذا الوزير الشيعي ابن العلقمي لجيش التتار افتتاح العاصمة ومكنه من فتحها ودخولها وقد كاتبهم بذلك .. ثم جمع الخليفة وكبار رجال الدولة وكبار علماء المسلمين وذهب بهم إلى هولاكو ليقتلهم صبرا وغدراً وهواً مرة كلها نذاله وضمة فكان هذا . ولهذا كان جزاء ابن العلقمي من هولاكو أعدل الجزاء فإنه قتله بعد ذلك شر القتل بعد أن قتله لوماً وتمنيفاً

وكذلك كان للنصير الطوسي الشيعي شر المواقف من الإسلام والمسلمين في هذه الفتنة النادرة ، وقد سعى جهده لاستئصال العلماء وكبار المسلمين وقد ذكر علامة العراق الألوسي المرحوم محمود شكرى أن الشيعة في إيران نصبوا أقواساً للنصر ورفعوا أعلاماً للسرور والابتهاج في كل مكان من بلادهم لما أن انتصر الروس على الدولة العثمانية في حروبها الأخيرة .

وذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه « الفاطميون في مصر »^(١) راوياً عن الحافظ مؤرخ الإسلام الإمام الذهبي أن أبا القاسم بن عبيد الله الفاطمي الشيعي أمر بلعن الأنبياء وأطلق منادياً ينادى بلعن النار ومن لا ذ بالغار وأنه كان يكاتب القرامطة الذين ابتلى بهم الإسلام والمسلمون ينصح لهم بتحريق الكعبة والمصاحف . وفي بلاد إيران الشيعية تحارب اليوم اللغة العربية وآدابها حرباً زعم أنها لأجل السمو باللغة الفارسية

وهذه أمور يطول عددها وتوالم ذكرها المريرة النفوس المؤمنة ومما تنفرد به هذه الطائفة الغلو في على وذريته رضى الله عنهم . فهي تبالغ في تقديرهم مبالغة هي فوق الهوس وفوق حدود العقول . ولا نفي بهذا أنها ترفضهم فوق الناس أجمعين ، وفوق أبي بكر وعمر وعثمان والصحابية الآخرين ، أو أنها ترفضهم على الأنبياء والمرسلين ، أو أنها تضعهم فوق حدود البشرية وآفاقها

بل نفى أنها تسويهم بالله رب العالمين بل قد ترفعهم على الله . أما من جهة التعظيم والتقديس والرغبة والرهبة فليس من شك أنها تمنحهم من ذلك كله مالا تمنحه الله . وقد قالت بالحلول وزعمت أن الله حل في علي وأن الأئمة فيهم جزء الهى وأنهم لهذا يستحقون العبادة وكل ما يستحقه الله من عباده . وقد زعم هذا أصحاب عبيد الله بن سبأ وغيرهم من فرق الشيعة وقالوا لعلي أنت الله أنت خالقنا ورازقنا . وقد روى الامام ابن الامام عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة له عن الشعبي عن علقمة قال لقد خابت هذه الشيعة في علي كما غلت النصارى في عيسى بن مريم . قال : وكان الشعبي يقول لقد بنضوا إلينا حديث على .

وهذا حق لا ريب فيه . فان هؤلاء إن خالفوا النصارى في شيء إنما يخالفونهم في الاسماء أما في الحقائق فلا . فهم قائلون في علي وبنيه قول النصارى في عيسى بن مريم سواء آ أمثلا من القول بالحلول والتقديس والمعجزات ، ومن الاستغاثه به وفدائه في الضراء والمرء والانتطاع اليه رغبة ورهبة وما يدخل في هذا المعنى . ومن شاهد مقام على أو مقام الحسين أو غيرها من آل البيت النبوى وغيرهم في النجف ركبلاء وغيرها من بلاد الشيعة وشاهد ما يأتونه من ذلك هنالك علم أن ما ذكرناه عنهم دوين الحقيقة وأن العبارة لا يمكن أن تفى بما يقع عند تلك المشاهد من هذه الطائفة . ولأجل هذا فان هؤلاء لم يزالوا ولن يزالوا من شر الخصوم للتوحيد وأهل التوحيد المتمسكين بالكتاب والسنة وبالاسلام الصحيح المنقى من المبتدعات والاخلاط النكراء

ومن العجيب غير العجيب أن توجد هنالك نبوءات نبوية صادقة تحدث عن خروج هذه الطائفة وعما تحدثه في الاملام من الاحداث الجسام . وما كان هذا الا لمظلم خطر هذه الفرقة ولمظلم ما أتى به من الارزاء المظيمة في الملة والدولة . وقد عهد كثيرا أن يحدث النبي الكريم عن الحوادث المقبلة المستقبلية وعما سوف

يصيب أمته من أشتات المصائب المادية والمعنوية الخاصة والعامة وعما سوف يصيبها من الضعف والفرقة والشتات وفساد الدين والدولة . ولكن هذا عهد بالاجمال والابهام . أما التحديث والانباء عن هذه الفرقة الخطيرة فقد كان بالتميين والتعريض بإصحها ووصفها اللذين لا يختلف الناس فيهما البتة

وذلك مارواه الامام ابن الامام عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتابه السنة بأسانيداه قال حدثني محمد بن أبي جعفر أبو عمران الوركاني حدثنا أبو عقيل يحيى بن المتوكل عن كثير النواء عن ابراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده قال قال علي بن أبي طالب قال رسول الله « يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام » ثم ذكر هذا الحديث بأسانيد أخرى وذكر بعده بإسناد آخر عن علي بن أبي طالب قال قال النبي عليه السلام : « يا علي أنت وشيعتك في الجنة . وإن قوما لهم نبي يقال لهم الرافضة إن أدر كنتم قاتلهم فانهم مشركون » قال علي يفتعلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك . وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر

وذكر هذا الحديث أيضاً الحافظ ابن قتيبة في كتاب تأويل مختلف الحديث عن عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ . وقطع ابن قتيبة بثبوت انقلبه النبوى . وذكر القاضي عياض في آخر كتاب الشفاء أحاديث أخرى في معاني هذه الأحاديث بألفاظ أخرى . وروى أيضاً الامام ابن الامام عبد الله بن أحمد في كتاب السنة بسنده عن علي قال : دعاني رسول الله ﷺ فقال : « ان فيك مثلاً من عيسى بن مريم ، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به » قال علي : ألا وانه يهلك في اثنتان محب مفرط يقرظني بما ليس في ومبغض مفرط يحمله شتاتي علي أن يبهتني . ورجال الشيعة يمتزفون بأن علياً قال : يهلك في اثنتان غال وقال . ولا ريب أن هذه الأحاديث إنباءات صادقة عن خروج هذه الطائفة وهما

تصيب به الاسلام وأهل الاسلام من الأرزاء الكبرى . والواقع قد صدق هذه الأنباء وهذه الأنباء قد صدقت الواقع فصدق الخبر والخبر

وللما قل أن يسأل - لو كان أمر هؤلاء القوم يدخل تحت مسألة العقلاء : كيف أمكن أن يتفق لهم حب على وذريته وموالاتهم مع مقتهم العرب جملة ، ومع مقتهم أعظم رجالات الاسلام وأعظم قواده وفاتحيه الممكنين له في امتلاك الرقاب والبلاد وهذا السؤال قد سألته الأمير شكيب أرسلان ذلك الشيبي المتغالي في على وولده ، وفي كره العرب ومقتهم كما تندم . لأن من الغرابة والنعارة بمكان بعيد أن تكره العرب لأنهم عرب والمسلمين لأنهم مسلمون ، ثم تذهب تعالى في حب طائفة منهم وتقديرها لأنها من العرب ولأنها من المسلمين ومن نصراء الدعوة الاسلامية . هذا أمر ظاهر الاستحالة أو أمر متناقض متدافع على الأقل . ولكن جواب هذا السؤال أن يقال إن في الأمر أموراً غير شريفة وأموراً معروفة للقوم . ومن جواب هذا السؤال أن يقال إن زعماء هذا المذهب ومبتهديه لم يكونوا حقاً يحجبون علياً ولا بنيه ولا يضمرون لهم ولا ولاء ومودة نظير عبد الله بن سبأ وإخوانه ولا كنهم لجأوا الى هذه الحيلة وإلى هذا الحب لأنهم وجدوا مشروعيهم الهدام في حاجة الى هذا الحب الكاذب وإلى هذه الدعوى المناقضة . وذلك أنهم وجدوا شؤون المسلمين قد انتظمت وسياساتهم قد ارتقت وأحكمت بقيادة أبي بكر وعمر وعثمان ، وإن جانب المسلمين والاسلام قد عز في تلك العهود ووطئ كل جانب عزيز في الأرض فأرادوا إثارة الناس على تلاب الخلفاء والخلفاء ، وأرادوا بالتالي تفريق المسلمين وتمزيق كلمتهم ثم اضعافهم وتقويض ملكهم الثابت الدعائم . وعلموا أن علياً وبنيه من بعده هم أولى من يدعى أنهم أصحاب الحق المعلوم في الخلافة وفي قيادة المسلمين وزعامة الاسلام الحسية والمعنوية لقرابتهم من النبي الكريم ، ولعظم مكانتهم من الدين ، والفضل والمجد ومن قلوب المسلمين ونفوسهم . وعلموا أن هذه الدعوة لا محالة أن

يجد قلوبنا وآذاننا تلتئمها التهاما . بيد أن الهدف الأقصى لهذا كله هو إثارة المسلمين بخلافتهم التي عزوا بها وسادوا وركبوا كاهل المجده ، ثم قتل أولئك الخلفاء بأيدي مسلمة أو بأيدي أخرى كافرة . ولو أن الأمر كان بيد علي وبنيه وكانوا هم الخلفاء الذين قام عليهم أمر المسلمين وعمود الاسلام لكانت دعوى هؤلاء القوم غير دعواهم اليوم ولسعوا بلا ريب لتأليب المسلمين ضد علي وآل بيته ، ولقتلهم كما يقتلوا أبا بكر وعمر والخلفاء الآخرين ، لأنه ليس المراد من هذه المناورة حب علي وبفض أبي بكر وغيره ولا معاداة فلان وموالاة فلان ؛ ولكن المراد الذي عودى من أجله من عودى و قدس من قدس هو القضاء على هذا الدين ونسف هذا الملك الذي قام على هذا الدين بقيادة هؤلاء الخلفاء .

أولم تتركف عادى هؤلاء المدعون حب النبي وعترته دولة بني العباس وخلفاء العباسيين كما عادوا أبا بكر وعمر وعثمان وبني أمية والخلفاء الأمويين ؟ أفلم يكن بنو العباس من عترة النبي الكريم وقربائه الأقربين ؟ فانهم بنو العباس عم النبي وعم الرجل من عترته ولا ريب ومن أولى الناس به . ولكن هؤلاء المدعين التشيع لآل النبي وقربائه يعتقدون بنو العباس أمراً ملقاً ، ويكفرونهم ويسبونهم السب العاني الصريح .. فلماذا هذا يارعاك الله ؟ وكيف يمت الرجل بنو عم من يتمصب لقرباه وأقربيه التعصب الأعمى الأهوج ؟

الجواب عن هذا أن بنو العباس عودوا وعدوا من زمرة المغضوب عليهم الممقوتين لأنه تم لهم الأمر واجتمع عليهم المسلمون وعز بهم الاسلام وحوا بيضته وثغوره من العوادي والخصوم ما شاء الله أن يهز وأن يحموها . ولو أن بنو العباس أخفقوا ولم يتم لهم ماتم ولم ينالوا من الخلافة ما نالوا لا عودوا وكرهوا ، وهذا ما لا شك فيه

والعجب في الأمر أن هؤلاء كانوا يفتشرون الدعاية لبني العباس قبل أن

تصير إليهم الخلافة فلما أن صارت إليهم عادوم وجعلوا الدعاية ضدّهم والدعوة لغيرهم وذلك كله لأن الغرض هو إفساد هذا الأمر بدورون معه كيف دار ، فإن قضى هذا بمعاذاة النبي وعترته عادوم ولا كرامة ، وإن قضى بموالاتهم والغلو الشديد فيهم والوهم وغلوا في موالاتهم ، وإن قضى بغير ذلك لم يتأخروا عنه . ولكنهم ليسوا صادقين في الولاية وإتمام صادقون في العداوة

فمن لا ننكر أن في هذه الطائفة من يحبون عليا وبنيه ظاهرا وباطنا حبا متجاوزا الحد المشروع بل يغفلون فيهم أشد الغلو ، ولكن هذا الفريق هو الفريق المقلد الخدوع السليم النية والطوية من لا يريد سوى الحق والخير لكنه مخدوع مضل بأهواء الزعماء الدهاة الخونة . وهذا له وجه وذلك له وجه . والله العليم بما تشتمل عليه صدور الجيم

ومن الجواب على هذا السؤال أن نقول من المعلوم أن الفرس هم أنزع للناس إلى هذا المذهب ، وأكثرهم تعلقا واستمساكا به ، ومكانته ومكانه في قلب بلادهم وعصبيتهم وعصائبه هنالك ، والغلو فيه منهم يبدأ ولهم يعود . فلماذا هذا والإمام يرجع سببه فإن فيه مخالفة لطبائع الأشياء في الظاهر وإلا فلماذا كانت بلاد الفرس دون سواها شيعية محضة خالصة ولماذا آثروا التشيع على مذهب أهل السنة ولماذا انتشر هذا المذهب في إيران ولم ينتشر في الحجاز وبلاد العرب والأقطار الأخرى ولماذا امتاز المسلمون من الفرس بموالاة علي وأهله دون أكثر المسلمين بل دون جهمرة العرب بل دون بني هاشم وآل علي من أهل السنة ؟ ولا ريب أن هذه أسئلة تتطلب الجواب . والجواب عنها سهل على من ألم بأغراض ما قدمناه . ول هؤلاء نظرة تمسب جنسى في تحيزهم إلى علي وبنيه . وذلك أنهم يذكرون أن عليا كان بطبعه ومواقفه ميالا إلى الفرس وإلى موالاتهم وصدائقتهم ويذكرون لذلك شواهد يذكر بعضها التاريخ وإن كانت ليست في سبيل مما أرادوا : من هذه الشواهد التي

يتعلقون بها انهم يذكرون أن عليا رضى الله عنه قد وقف موقف المدافع المناضل عن الهرمزان الفارسي حينما قتله عبيد الله بن عمر بعد أن قتل أباه عمر أبو واوثة الغلام المجوسي . وقد كان عبيد الله بن عمر اتهم هذا الهرمزان بأنه كان متآمرا مع أبي واوثة مماثله على جريمته المنكرة . فهؤلاء يزعمون أن عليا طالب عثمان بقتل عبيد الله بن عمر قصاصا اذ قتل الهرمزان

ومن الشواهد عندهم على هذه القضية أنهم يذكرون أن عليا كان مواليا لسلطان الفارسي كل الموالاته وانه كان يهواه ويقول سلمان منا والينا أهل البيت وانه كان يقول في سلمان ما تقولون في رجل أوتى حكمة لقمان الى أشياء أخرى يتخذها هؤلاء برهانا على أن عليا كان نزاعا الى الفرس محبا لهم مظهرا حبهم وولاءهم لتجانس تام بينه وبينهم لم يغيره أمر من تلك الأمور التي غيرت غيره . ثم يذهبون مذهبا آخر وينظرون في هذا نظرة أكثر دخولا في الجفسيات وهوى الجفسيات العمياء . وذلك وانهم يذكرون لآل علي مصاهرة فارسية وان أولاد علي يمتون بهذه المصاهرة الى الفرس وأفهم محسوبون من أجملها فرسا لان الدم الفارسي يجري حارا متدفقا في عروقهم فن والاهم وأحبهم فقد والى الدم الفارسي وأحبه . ومن دعا اليهم وطلب الأمر لم فقد دعا الى آل ساسان وطالب الأمر لفروع أنوشروان . فالفارسي إذا ما تعصب لآل علي إنما يتعصب لقومه ولآل جرثومته وإذا فضلهم على الصحابة وعلى سائر العرب الأولين والآخرين وطلب انتزاع الخلافة من أبي بكر وعمر وسائر الخلفاء لوضعها في أيدي العلويين إنما يفضل قومه وبني ارمته ويطلب الأمر لهم لا لسواهم

وحقيقة هذه المصاهرة أنهم يذكرون ان الحسين بن علي بن أبي طالب قد تزوج شهربانوه ابنة يزجرد آخر ملوك ساسان الفارسيين وبهذه المصاهرة أصبح العلويون فرس الدم والاهم فحق التعصب لهم والدعوة اليهم على الفارسيين . هذا سر من

أسمار تشيع الفلوسيين وغلوم الظاهر في آل علي . واسنا نزع أن أمثال هذه
الأسرار والمعاني يعرفها ويحيط بها الجمهور الفارسي الشيعي وأنه يرى إليها . كلا
لا نزع هذا وإنما نزع أن هذه الأسرار والمعاني يعرفها الزعماء والعلماء ويرمون
إليها ويحيطون بها ، أما الجماهير أما الدهماء فلا ننكر أن يكونوا مخلصين حقا
متدينين حقا محبين لآل النبي ولنبي وللعرب كافة حبا خالصا ظاهرا وباطنا وانهم
لا يريدون سوى وجه الله الأعلى وسوى الدار الأخرى ، ولكن الجماهير تبع لآراء
الزعماء والقادة . على أننا نزع أيضا أن جماعات من العلماء الفارسيين قد يكونون
طاهري القصد والنية محبين للحق وللعرب ولكن هذا القسم تناقص أخيرا كثيرا
ونحن نموذ بالله من الهوى ومن التعصب لغير الحق ووجه الحق الأعلى ونموذ
بوجهه من أن نبغض مؤمنا لشهوة نفس أو أن نحب ظالما باغيا لهوى باغ ظالم
في المذهب الشيعي معتقدات في غاية الشذوذ والنكارة وآراء لا يمكن أن
تقر في قلب قر فيه الإيمان بالله ورسوله وكتابه ، ولا يمكن أن تقر في قلب فيه
موضع للإسلام ومكان حرمة لأهل الإسلام . وسيعبد القاريء من هذه المعتقدات
أفانين مبثوثة في كتابنا هذا . وهذه الآراء في هيكل الإسلام والمسلمين تشبه
الجرثومة المرضية للنازلة في الجسم النامي الحى لا يمكن علاجه ولا يبرئ شفاؤه
إلا بقتل تلك الجرثومة وإبادة من الجسم وتلقيه جوه من وبائها وضرائها أما
محاولة العلاج وارتجاء الشفاء مع ترك تلك الجرثومة والمواد المرضية ترعى في
الجسم فمحاولة عابثة ناصبة وارتهاء لما لا يمكن أن يكون . وشفاء تحت مادة
الأمراض ان أمكن أن يكون ليس سوى وضع قناع شفاف سريع البلى والفناء
على الخطر القريب الا كسب لا يلبث أن يتكاثف ويتكاثر ثم يعود ويظهر جلجا
عنيفا حادا . وكذلك لا يمكن البتة التوحيد بين سائر المسلمين وبين هذه الطائفة
إلا بتطهير الجو من هذه المعتقدات وإبادة من البين اما بأقبار الكتب التي
تحمل هذه الآراء الخطيرة وتحرقها واما ببراءة القوم من هذه الكتب ومما فيها

من تلك المعتقدات والبراءة من كذبها . وأما بغير هذا افهيرات الوحدة والصفاء التام بين المسلمين وبين هذه الطائفة . والذين يرجون هذه الوحدة وهذا الصفاء مع ثبوت هذه المعتقدات في كتب القوم ورضاهم بها وعنهم إنما هم عابثون في رجائهم وأنا لا أحسب شخصا يؤمن بالله وباليوم الآخر يستطيع أن يصفى قوما يكفرون أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وسائر قواد الاسلام وفاتحيه في جميع عصوره الاموية والعباسية وما بعد ذلك . ولا أحسب قلبا استشعر الايمان بالله وحمل احترام الاسلام يستطيع أن يحمل وداً وولاء لقوم يسبون أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير وطارق بن زياد وموسى بن نصير وخالد بن الوليد وعمر بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان سبا علنيا ويضيفون اليهم كبريات الجرائم والتهم المفاضحة الواضحة كدأب الشيعة المغبونة الغابنة . ان امرأاً يصفى هؤلاء بخليق بأن لا يكون من المؤمنين بالله ورسوله . وان فرقة فيها متابذة هؤلاء خير من وحدة فيها موالاتهم ، وان عداء فيه مفاضبتهم خير من صداقة وسلم فيها مراضاتهم

إنه يجب أن نكون هنا صرحاء كل الصراحة ، ويجب أن نجانب الأدهان والأمور الغمما والجمجمة بالحقيقة الواحدة الخالصة ، فنقول اننا نكذب ان ادعينا مصافاة خصوم الصحابة وخلفاء المسلمين ونفضل ضلالا ميلنا ان دعونا المسلمين الى ذلك وان امرأاً يدعى مصافاة هؤلاء أو مصادقتهم لكاذب اما في اسلامه ودينه واما في دعواه هذه الصداقة والمصافاة واما في هذا كله

أنت لاتستطيع أن تكون صديقا مخلصا لمن تعلم أنه يمقتك ويكرهك ويرميك بكل صيلم . والمؤمن المسلم لا يستطيع أن يكون صديقا مخلصا لخصم أبي بكر صاحب النبي الأكبر ولخصم جميع الصحابة والخلفاء وان يرميهم بالطامات المفضعات هما اثنتان لا بد منهما اما كره حماة الاسلام وكره الاسلام نفسه ، واما كره

خصوم حماة الاسلام والبراءة لله منهم . أما أن تحب الاسلام وحماته وتحب من يكرهم فأمر لا يكون ولا استطاع ومدعى هذا كاذب . ولو أراد من قلبه ونفسه ذلك لأراد تكليفها مالا يستطيعه ، ولأراد منها شيئا ليس في طوقها ولا في طبيعتها

فعل هؤلاء الذين يريدون التوحيد بين طائفة الشيعة الغالية وبين سائر المسلمين ويسعون لذلك أن يسعوا أولا وقبل كل شيء لحل الشيعة على رفض هذه المعتقدات وتطهير كتبهم وصدورهم وألسنتهم منها . أى عليهم أن يسعوا أولا لاستئصال الداء وجراثيمه التي هي متروكة على اختلاف والاقتراق والنزاع والصراع . فإذا ما قضوا على هذه الجراثيم بالموت والفناء كانت نتيجة ذلك بلا شك زوال أعراض هذه الجراثيم التي هي الخلاف والنزاع والصراع بين الحزبين وعلاج الداء بالنزاع جرثومته أشفى واحب من محاولة علاجه بالأعراض عنه وتسميته واغماض العينين عنه . بل هذا ليس علاجا طبيعيا وهو قبيح بأن يزيد الداء وينمي جرثومته ومادته ، ولا ريب أيضا أن العلاج بهذه الطريقة أيسر وأقرب من العلاج بالطريقة التي يقبها هؤلاء المترئون بأناشيد الوحدة وأغاني الجماعة . الوحدة والجماعة لفظان لذيذان وألذ منهما معناهما وليس من ريب فيما لهما من الأثر النافع في الدولة والدين والأمة ولكن الأمر كما قيل :

فان الجرح ينتر بعد حين اذا كان البناء على فساد
فان ذلك كما تقضى طبيعة الأشياء ليس ممكنا ولا مستطاعا . والسعى له
كذلك سعى عايب ناصب لا أجر ولا حمد

وأنت إذا أردت أن تشيد بناء منيعا باقيا على العوادي وجب عليك أن تشيده
على أساس ثابت قوى بعيد عن الضعف والخلل من مادة قوية سليمة صلبة ووجب
أن تبعد عن ذلك المواد الضعيفة وما به خلل وضعف أو قبول للخلل والضعف ،

وإلا أنهار عليك بناؤك وخسرت نفسك وأهلك ومالك . وكل صلح بين اثنين
ان لم يكن صادراً عن القلب والضمير فليس صلحاً وليس إلا كذبا وخداعا وزوراً
ميميت أسماء صالحة وليس سوى مكيمة مشتركة بين اثنين يصطلحان عليها ويوقعانها
على أنها خديعة وجريمة نالت الرضا بالاجماع أى اجماع المتخادعين

فالصلح يجب أولاً أن يعمد الى القلب فيفسله من خسلين العداوة وينزع منه
موادها وفداءها انتزاعاً تاماً شاملاً ثم يضم فيه حب المحبة ويسقيه بحباب الحب
الانسانى الصحيح ، فاذا ما كان كذلك وهذا هو ما يجب أن يكون فقد تم الصلح
وتم توقيعه بوثيقة لا يمكن أن تحل ولا أن تمسها يد النكث والنقض وان لم توقع
هذا الصلح يد وان لم يعقد له مؤتمر وتؤلف له جمعية . فاذا ما تقاطعت القلوب فقد
قطع البلى ورائق الصلح وان كانت لا تزال كما وقعت جدة ووضوحاً بل وان كان
مدادها لا يزال رطباً لم يجف بل اذا ما كانت القلوب كذلك فقد تمد احدى يديها
للصلح وتوقيع معاهدة الصداقة والمحبة وتمد يدها الأخرى في الساعة نفسها للقتل
والضرب ولتمزيق ما وقعته اليد الأخرى . وهذا هو البلاء الأجر العتيد التليد الذي
لا تفتأ الانسانية النابئة المغبونة تصرخ وتستصرخ منه

ان الصلح لا يوقع توقيعاً ولا يطلب طلباً وهو شئ لا يكتب بالأقلام ولا
يدون في القراطيس ، بل صلح احتاج الى هذا فليس صلحاً ولو كان صلحاً لما
احتاج اليه ، ولكن الصلح يقوم بين الناس حين تزول عوارض العداوة ومواد
الشروع من غير أن يطلبوه وأن يسعوا اليه . فاذا ما انتزعت أسباب العداوات
والضغائن لم تبق هنالك حاجة الى الصلح الرسمى المفيل بالأسماء الضخمة . وهم
ما احتاجوا الى هذا الصلح وما بادروا اليه وأجمعوا عليه إلا لما يصرونه في الأفق
العام من بوارق الشر وهامم الفتن وصراخ الويلات ، وان صلحاً يوقعه بنان الظلم
لا يقال له اذا مرزقه يده وإن صداقة تبعث عليها الحاجة لا يقال كيف اذا أفسدتها

الحاجة نفسها ، ووحدة تنال بالسؤال تفقد أيضا بالسؤال وبغير السؤال
ولو كنت دولة لما عاهدت دولة ، وذلك أنى أعلم أن دولة من الدول لن تلتزم
القيام بشروط معاهدة وقعتها بدمائها قبل أن توقعها بدمادها إلا حين تضطر الى
ذلك اضطراراً وحين تعلم أن بقاءها وحياتها فى الوفاء بتلك للمعاهدة ، ودولة من
الدول اذا ما اضطرت الى أمر لأنها شعرت أن بقاءها وحياتها فيه لا بد أن تأخذ
به وقعته بمعاهدة أم لم توقعه ، ولو عاهدتها لكنت أتيقها وأحذر شرها فوق
ما كنت أتيقها وأحذرهما قبل إبرام المعاهدة التى وصفت بمعاهدة الصداقة والمخافة
ولما قدرت تلك للمعاهدة إلا أنها إعلان بالعداوة وإدلاء بأن الشر قد تفاقم
واقترب لأخذ الحذر والحيلة

ما هذه الحفلات التى تؤلف لاحتلال الصالح والمحبة بين الدول أو الأفراد
والمعاهدات التى توقع وتسمى بأسماء المخافات ومبادلة النافع والصدقات لإمناظر
سينمائية يراد بها التأثير الهاجم من طريق الخيال وحده على مواطن الضعف والوهن
فى الانسان فاضحا كه حيناً وإبكاه أحياناً أخرى وخديته قبل كل شيء على
ما يملكه من معانى القوة وأسباب الحياة الفانية فاستلاب ماله وإضحا كه بما ينطوي
على البكاء وإفراحه بما يشتمل على الحزن الجسم وتوقيصه بما لو أبصره بعين ليست
سينمائية لاستصرخ وصرخ ولأعول ولدم

اذهب الى هذه السينمات وانظر ما تعرضه من مناظر الحب والبغض والحزن
والسرور والحرب والسلم ومناظر ما شئت واعلم قبل أن تبهر شيئاً من ذلك أنك
لست أمام شيء مما نحسب وتنتظر وأن من حبسوا هذه الصور والمواقف لهم كانوا
يكون حيناً أروك أنهم يضحكون ، ولعلم كانوا يضحكون حيناً أروك أنهم يبكون
وأنهم ما تلونوا هذه الألوان الكاذبة المزربة بالانسان إلا حرصاً على مالك واغتصابك
ما تلك لا شيء غير هذا ؟ اذهب الى هذه السينمات واعلم هذا كله وضع خيالك

وحواسك تحت سلطان عقلك وانظر هل تستطيع بعد هذا أن تضعك مع الناس حينما يضحكون أو تطرب معهم حينما يطربون أو تصفق حينما يصفقون أم هل تعود الى هذه المعارض المزرية مرة أخرى ، لا ريب انك إن فعلت هذا كله سوف تنظر الى هؤلاء المصنفين المتضاحكين الطريين حينما يكشف الغطاء عن هذه المناظر فنظرنا الى الأطفال والى ذوى الأمراض العقلية فنظر الرثاء والرحمة ولو أن هؤلاء المصنفين المهللين بهذه المعاهدات والمخالفات والصدقات الاجتماعية نظروا اليها فنظرنا الساعة الى حقيقة السيدنا ، وما طويت عليه ، وما قامت لأجله ، لصفقوا تصفيق الحمرة ، ولأهلوا بالأعوال والوعدة ، ولنظروا الى هؤلاء المحجيين المسرورين بذلك نظرتهم الى الأطفال والى ذوى الأمراض العقلية ، أعنى نظرة الرثاء والرحمة والمطف

أقد أخرجنا هذا الحديث المثير للاشجان الكامنة ، الحاشد-الذكريات المرة الشتيعة عما كنا فيه ، فلنقطعه اضطرابا ، وانعد الى ما كنا بصدده :
أما شعاعنا الهابط فقد أدركه ما أدرك الشمس من اختلاط أشعتها النيرة القوية بخيوط الليل المظلمة الضعيفة ، ومن تشويهاها بما يملو طبعها النوري الناري فيما يرى الرائي بما تضعه الطبيعة والهواء على محياها الالهى المشرق الوضاء من تراب مظلم كثيف وقسطل أهوج بليد ، ومن طفول نحو المقيب فى أحشاء هذا الفضاء اللانهائى . ولكن سوف يدركه بلا ريب ما أدرك الشمس أيضا من اشراق وصفاء وجمال واكتمال . وليس من شك عندنا أن الاسلام لم يحارب بيده أقوى وأمضى من يد تدس فيه الخرافات والمبتدعات المكروهة باسم الدين والتدين ويدعوى للتزبد من عبادة الله والتعديل على شرعه . فالتنا نعلم أن الاسلام دين الله الحق بحجج كثيرة معلومة حسية وممنوية ولكن أبين للبراهين وأقنطها على أنه دين الله الحق هو أنه جاء كما جاء ونزل كما نزل ألقى ما يتصوره العقل

البشرى من سمو وجمال وحكمة ومطابقة لفطر الالهية التى لم تكدرها الأهواء والدعاوى والدعايات المدخولة.. فان العقل للفنى البارع فى معرفة الحق من حيث هو حق ولأنه حق يدرك من صدق هذا الدين وصحته ما لا يدركه الرجل الحسى بما يشاهده من المعجزات الكونية المادية على أنه دين الله الحق النازل من تحت سدرة المنتهى ، وهذا هو السر العظيم فى خلود هذا الدين ، وفى معاركته الخطوب والموادى وخروجه من بين أيديها مظفرا عزيز الجانب . . ولا ريب أن أقوى ما فى الحق هو ما فيه من صفة الحق ومعنى الحق ، ولكن هذا الدين الجميل البالغ الجمال القويه ان يبقى له هذا الوصف حينما تدخله الآراء البشرية التى تصدرها التراب والانسان

وليس مثله حينئذ الا صورة فنية رائعة الصنعة والجمال جاءت وفق ما يتخيله أفرس خيال فنان سيال بارع وضمت عرضة لكل اقتراح يلقيه من يلقيه من مريض العقل الى مريض القلب إلى طفل للنفس الى أسير الهوى والحسد . وكل من اقترح اقتراحا فى هذه الصورة الفنية أجيب اقتراحه وعدل فيها ما اقترح تعديله : ألا ترى أن هذه الصورة سوف تصبح ولا محالة من أقبح ما ينتج الخيال وما تراه العين

وهكذا الدين إذ ما ترك عرضة لابتداع المبتدعين واقتراح المقترحين لا محالة من أن يشوه وجهه وينطفىء جماله وحسنه : وهذا هو ما أصاب الاسلام وما فطن له خصومه الدهاة فجدوا فى حر به من هذه الناحية وفى أخذه من وجهها .
ويقال بنحو آخر ان الله تعالت قدرته وحكمته قد بنى شرعه أفضل بناء فجاء علاجا لكل ما بنيت عليه النفوس من داء وأفضل ما يوصف لها وما تحتاج اليه من دواء لأنه تعالى وهو العليم بداء النفوس ودوائها قد قدر شرعه على ما جلست عليه النفوس تقديرآ محكما متقنا وفصله عليها تفصيلا تاماً موجبا بحيث لا يصلحها

(٣٢)

غيره ولا تصلح هي بغيره وبحيث لا يروضها ولا يسوسها في أمورها كلها مثل
أن تأخذ جملة كما جاء لا زيادة ولا نقصان ولا تغيير ولا تحوير . ولو دخله شيء
من ذلك لأفسده ولأبطل حكمته وما وضع من أجله .

وذلك أن الشرع الإلهي وضع كعلاج لأمراض النفوس التي جبلت عليها
من شهوة وشبهة وفسوق . وكل علاج يضعه حكيم عارف بصنعتة يفسد لا محالة
إذا تناوته يد التغيير والتبديل والزيادة والنقصان . بل ويعود ضاراً مؤذياً وإن
يكون علاجاً نافعاً مجدياً إلا إذا أخذ كما وضع وركب عن طواعية ورضى

ولو أن مريضاً أراد أن يتصرف وأن يجتهد فيما يركبه له طبيبه من علاج
ودواء حسب علته ومرضه فناله بالتغيير والتحوير والزيادة أو النقصان وغير
الوقت الموقوت لتعاطيه لكان خليقاً بأن يضر نفسه بل ربما قتلها وإلّا كان خائفاً
يأن يعد من السفهاء الجاهلاء .

والذين يتعدون على الشريعة وعلى حدودها بالتغيير كالزيادة والنقصان
لا يقلون عن هذا المريض سفاهة وجهالة وإفساداً لهذا العلاج السماوي المابط به
جبريل سيد الملائكة من لدن رب العالمين إلى محمد سيد الخلق عليه الصلاة والسلام
ليبلغه أفضل الأهم وسيدتها سابقها ولاحقها

فالذين يتناولون هذا الدين بالتغيير والتحوير وقد نزل محكماً متقناً وأعد
إعداداً حكيمياً لمعالجة أدواء النفوس ومعالجة ما جبلت عليه من ضعف خلقي وشهوة
وشبهة ولدت جرثومتها يوم أن ولدت جرثومة الإنسان الأول إنما يعملون
بهذا جهلاً وقد يكون قصداً لإفساد الدين ولإبطال الحكمة التي أنزل الله دينه لأجلها
وابطال أثره الجليل الحميد الفعال في هذه النفوس التي هي أبداً في حاجة إلى علاج
سماوي قدسي لينتشلها من ورطات المادة ونقصان المادة الأثيمة الفاسدة وليسمو
بها فوق هذا العالم الأرضي وما كُبل به من أنكال الضمة والهبوط والضعف اللازم

الوجود ولتعلق بأسبابه الموصولة بأعلى السماوات العليا لتعلقها الى حيث يكون مستقر هذا الدين ومبطله الأول الأعلى

ولهذا فانتاحمل الدعاء الى الابتداء في هذا الدين أوزار ضعف أقره في النفوس وأوزار صدورها عنه رغبة عما مزج به من مبتدعات المبتدعين السخفاء الأغبياء . . ولقد دعاة البدع من شر خصوم الأديان وخصوم الانسان ، ونهيب المؤمنين إلى أن يتضافروا على تطهير الدين وتخليصه من هذه الزلات والعورات والقرهات التي حملت عليه فشوهت محاسنه أو بالأصح ألفت عليه مرادقا كثيفا من جفاء وغباء ووحشة ينظر اليها بعين الحذر والريبة والزراية الآلية والمضاضة المرة .

ونحن في كتابنا هذا نهد إن شاء الله ركنا من أركان هذا الباطل ونهيك حجابا من هذه الحجب التي ضربت على الدين والتي فرضت على عقول جمهرة كبيرة من الناس

وليس في المخلوقات كلها ما هو أعجب أمراً من الانسان ولا ما هو أكثر جهما للمختلفات منه . فالانسان أمره كله عجب . انظر اليه فيينا ترى فريقا منه ينازع الملائكة الطهر والسمو الروحي والجمال المعنوي النفسى إذا بك ترى فريقا آخر منه ينازع الشياطين الخبيث والأنحطاط الروحي والقبح المعنوي النفسى ثم انظر اليه فيينا ترى فريقاً منه يسمو ويمعن في سموه حتى يتصل بالملأ الأعلى هل ويتجاوزه حتى يتصل بالرب الأعلى فيحظى بمخطابه نجيها فيصطفية بكلامه ويرسلاته إذا أنت ترى فريقا آخر منه يهوى ثم يفلو في هوى به في ذركات الصغار والضمة والهوان المزرى حتى يرضى لنفسه بأن تتعبد الأحجار والأشجار والجناد الصامت الوضيع وتتلصص حاجاتها وشفاء كلومها تحت أطباق الرغام وبين ضرائح الرمم وعظام الموتى وهياكل الانسان الفانية البالية وحتى تشكو قضاء السماء الى

وهين الثرى واللبى وحتى يفزع الانسان الحى السوى الى الانسان الميت يستدفع
به قوادح الاقدار

ضل الانسان رغوى فعبد الشمس والقمر والأجرام العلوية فقيل أغراه بهذه
الضلالة وبهذا النزول الفكرى الاعتقادى ما رآه فى هذه الأفلاك العلوية النيرة من
الجلال والجمال والاشراق الباهر والاعظم المشهود للفتان ، ثم ضل و غوى فعبد
الملائكة فقيل أغراه بعبادتهم ما أكرمهم الله به من طهارة وعلو ومن اتصال به
تعالى ومن خصائص خلقية عجيبة ، ثم ضل و غوى فعبد هذه الأنهار المتدفقة عن
اليمن وعن الشمال فقيل أغراه بعبادتها ما أودعها الله من المنافع للانسان والحيوان ،
ثم ضل و غوى وانحط غيه وضلاله فعبد الأحجار والأخشاب والسنائر المنصوبة
على هيكल مخلوق ضعيف عاجز عن نفع نفسه وعن ضررها حيا . فلما أن قيل ما الذى
أغراه بعبادة هذه الأخشاب والأحجار والأجداث وما الذى أبصره هنالك حتى
ضل هذا الضلال المبين لم يكن الجواب سوى أن يقال أغراه بهذا نقص الانسان
وإفلاس الانسانية وانحدار مداركها انحداراً يصرخ فى وجه الانسان المزهو
بانسانيته قائلاً : ها هنا ينتحر العجب الانسانى وها هنا تنتحر الانسانية

عرج على قبر من تلك القبور ثم استمع حشرة تلك الصدور بهتافات الرغبة
وإعوال الرهبة وتسمع تساقط الرغبات الملحة من تلك الشفاه الذابلة بحرارة الذعر
وتوهج الرجاء وانفاز الى تلك الوجوه الذاهلة الساهمة بنشوة الخضوع وجلال
الخشوع والى تلك الدموع المتحدرة فى الحس ماء من العين وفى العقل عبادة
واستسلاما لنير الله من القلب والعقل وإهانة كبرى للانسانية أينما كانت ، والى
تلك الأيدى المبسوطة ظاهراً بالأمل المبسوط على تلك السنائر والأبواب
والأخشاب والعمد المبسوطة معنى الى كرامة الانسان ومجد العبودية الالهية
تمزيقها شراً مزيقاً الى الشرف الانسانى الرفيع تهبط به تحت أقدام الموتى وأشلاء

الفناء وانظر الى تلك الوفود المختلفة المزدهجة ذات الحاجات المختلفة المزدهجة
والجموع المتدافعة على تلك القباب والأبواب ذات الأنواط والحبال وعلى تلك
الاضرحة رجاء البعيد القعى وقرّة عين القريب النجى

انظر الى ذلك كله وتسمع ما هنالك كله ثم صب الدمع سخيناً غزيراً على
كرامة الانسان ومجده وعلى عزة العبودية الماجدة الواحدة الموحدة المراقبة بلائمن
سوى الخزي والعار في الدنيا ثم الويل والنار في الآخرة ثم قل والخطاب للمسلم
وحده :

ويحك أيها المسلم ماذا دهالك ؟ ان أسلافك الأماجد لم يقتنعوا بهذا العالم
كله مطلباً وغاية حتى عقدوا من أسياهم وصالح أعمالهم درجات يمتطون بها ثبج الهواء
ويشقون بها حواجز المادة والطبيعة ليتصلوا بغاية الغايات ونهاية كل موجود فما أنت
والرضا بالقراب ؟؟ ولقد كان المسلم يتلو قول الله « أليس الله بكاف عبده » فيعمل
سيفه المثلث ورمحه المحطم من مسايقة الأبطال ومقارعة الصناديد المغاوير فيقتذف
نفسه في غمرات الموت يطعن ويضرب فلا يفكر في أن ينهزم وصدره يعى هذه الآية
ومعناها للملوك السماوى، حتى لو وقف العالم كله ليصدده عما أراد وليحول بينه
وبين الانتصار للحقيقة الواحدة الخالدة . فما أنت وخشية التراب ؟؟

ولقد كان الأعز ابنى يلقى محمداً ﷺ فيتلو عليه قول الله : « كل شيء هالك
إلا وجهه » فتتضائل الخلوقات وتتلاشى في عينه ومن نفسه حتى يدركها الفناء
فيروح يضرب الباطل وينلق هامات الضلال غير حاسب لغير الله حساباً وغير
قابل إلا لخالفه حكماً وغير محس لغير الحق وحده وجوداً . فيكبر هو في عين الوجود
وفي نفسه حتى يتصدع له بناء الطبيعة وينفث له إجلالاً قانون المادة ، ويجل في
حساب الباطل والضلال حتى يبصر في كل شعرة منه ألف جعل يقاتل في حيل
الله . فما أنت والرغبة في التراب ؟؟

وكان المشرك الدنس يلتقي لا إله إلا الله فتتمشى فيه فتعقم جسمه ونفسه
وأطهرهما من معاني الشهوة والفسوق والحيوانية النهمه فيسمو على الشهوات
وحاجات النفوس وعلى مآرب الطبيعة وحاجات المادة فيزوح ويفدو ملكا في
أثواب انسان ومعنى طاهرا مقدسا في صورة مادة . فما أنت ومساءلة الأطلال
الفانية ١٢٢

وكان المسلم الأول يمر على قول الله « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا »
فتحول بينه وبين الخلق جميعا وتسد عليه طريق الرغبة في العباد كافة فتعمر به
مصائب الناس جميعا ويلقى في حياته معنى صفة الله الجبار المحض في معناها الجلى
الظاهر الكامل فلا يدل مخلوقا على مكان الله ولا يكشف لغير الله عن موضع علة
ولا تسمع منه أذن مخلوقة قوله آم ولا يسأل مخلوقا عونا حتى لقد كان تسقط منه
عصاه فلا يقول لأحد ناولنيه . فما أنت ودعوة الأموات والشكوى الى الرمم
والعظام النخرة

وبلك أيها المسلم ماذا غرك بهذه الانصباب والأجدات ؟؟ أرأيت شيئا منها خلق
شيئا منك فاستحق خضوعه وعبادته ورغبته ورهبته . أم علمت أن شيئا منها خلق
شيئا من هذا العالم فملكه حتى طمعت فيما خلق وملك فرحت تسأله وتستوهبه إياه
برغب ورهب . أم وجدت أن شيئا منها امتنع على الله حتى رحت ترجو منعه أو
أطاه وشاركه حتى رغبت في معونته ومشاركته . أم وجدت هذه الأخشاب
والأبواب والأموات أقرب اليك من الله وأرحم بك وأعلم بحاجتك منه أم أسرع
لإجابة وأوسم سلطانا وأعظم فضلا من رب العالمين فطقت تسألها حاجاتك يوم
يسأل المؤمنون ربهم . أم علمت أن الله لا يسمع دعائك ولا يتقبل عبادتك حتى
تنزل لعبيده وحتى تسألهم أن يعطوك ما لا يملك وما لا يقدر على ملكه واعطائه
سوى رب العالمين . . ؟؟؟

ويحك أيها المسلم رغبت عن الله فرغب الله عنك ، ورغبت في غير الله فرغب من رغبته فيه في الله عنك . فلا أنت أدركت رضا الله ولا أنت أدركت رضا من رغبته في رضا فخرت الرضوانين وهذا هو أشد الخسران ، فتخلى الله عنك بنصره وعونه إذ تخليت أنت عن استنصاره واستعانت به ، وتخلى عنك الخيار من عباده إذ تخليت عن إرشادهم وسنتهم فخلاً بك الشرار من خلقه فافترسوك فهلكك بين نسيان الله والخيار من عباده لك وبين ثورة الشرار من خلقه بك ، فأصبحت في الهالكين الغابرين

ويحك أيها المسلم ؟ ! شرب المؤمنون صفواً وشربت أنت كمرأ ، ودعواهم رباً واحداً ودعوت أنت ألف رب « أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ، ورغبواهم في السماء ورغبت أنت في الأرض ، ونادواهم خالق الأحياء وناديت أنت أشلاء الأموات ، ورفعوا أبصارهم إلى السماء ونكست طرفك وخفقت برأسك أنت إلى الثرى ، وأين الثرى من السماء وأين عابد الأموات من عابد الهوى الميت الذي لا يموت ؟ « هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون »

أو لم يملكك أيها المسلم مصارع المشركين الأولين وكيف فعل الله بمن عبدوا به غيره من الأوثان والصالحين والأنبياء ؟ ألم يأخذ الله أولئك المشركين كلهم إلى الهلاك ثم إلى النار سوقاً بكلمة لا إله إلا الله إذ تواصوا بابائهم قائلين « أجل الآلهة إله واحد إن هذا شيء عجاب ؟ »

أما وجدت في كتاب الله مثلات الأولين والآخرين وأمثال الهدى والضلال المبين ؟ ويحك لقد انقطعت الرسائل واحتبست السماء الكتب فلا رسالة بعد رسالة محمد عليه السلام ولا كتاب بعد كتاب الله القرآن فان لم تجد فيهما الهدى فلن تجده ولن تكون من المهتدين

هذا في المسلمين بلاء أى بلاء ومنكر ما فوقه منكر . وليس هنالك ما هو شر منه سوى أن يقوم رجال محسبون على العلم والعلماء وعلى الاسلام والمسلمين يذودون عن ذلك بغيرة لا أدري بماذا أصفها ، ويثابون من أنكره من صالح المؤمنين ثلباً صراً مزعجاً ويملئون عليه لافضاء صراخاً واعوالاً ويرجعون به وبأمره أرجافاً رناناً هائلاً زاعمين أنه خرج على الاسلام والمسلمين وعاند الكتاب والسنة وقال قول للفرقة الضالة الملتحدة متهميه بإرادة الاسوء بالاسلام وبالهدوى وبالشنم الاخرى متلهمسين في كتاب الله ورسالة نبيه البراهين على بطلان أمره وضلال رأيه مزورين هذا في كتب وقراطيس مطبوعة ومحاولين اقناع المسلمين بها وخديعتهم بأمرها هذا من شر مافى المسلمين ومن أظهر مافيهم من باطل قامت عليه عيوبهم المشهودة المشهود أثرها في كل حال من حالاتهم وسيشهد الفارسي لكتابنا هذا أسلوباً من هذه الاساليب الملتوية وصراعاً عظيماً بين هذا الهداء العنيد في الانسانية الضالة وبين علاجه الحاسم . والله من وراء كل قصد واليه المسآب وعليه الحساب

المؤلف

١٤ رمضان سنة ١٣٥٥

لماذا ألفت هذا الكتاب ؟

في ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هجرية بعث إلى الوجيه المجازي المعروف محمد أفتدى نصيف بكتاب « كشف الارتياح في أتباع محمد بن عبد الوهاب » وقد كتب حضرته على طرته العبارة الآتية : « إن مؤلف هذا الكتاب قد أتى بأشياء لم يأت بها أحد قبله من أعداء الدعوة الاسلامية . فأرسلته لكم لابتداء رأيكم فيه ، ولرد عليه »

فقلبت صفحات الكتاب مرة ومرة فرأيت فيه ما جعلني أتردد في الكتابة عنه . ثم بعث هذا الوجيه خطاباً الى أحد الاعزة في مصر يطلب اليه فيه أن يطلب إلى الرد على الكتاب . فصح عزمي وكتبت ما يأتي :

ليس عجيباً أن تسيء الشيعة الى أهل نجد وغيرهم من أهل السنة وتضيف اليهم من المعاييب والشنع أفظعها وأكذبها ، أو ترميهم بالفسوق والكمور وبالامور الكبريات الأخريات ، أو تجدد في مناوأتهم وإيقاع الأذى بهم ، أو تؤلف الكتب المملوءة بذمّة ووقاحة . ليس شيء من ذلك عجيباً من طائفة الشيعة وقد أكرموا خيار البشر وقدحوا فيهم أمر القدرح وأكذبوه ، فلسنا نطلع منهم في ولاء أو ثناء وقد عادوا أبا بكر وعمر والسيدة عائشة وحفصة وطلحة والزبير وفضلهم المهاجرين والانصار ومن تولاهم . وآذوا الله عز شأنه فوصفوه بالبداء ومعناه أنه يفعل الامر فيبدو له منه ما كان خافياً فيستأنف الحكم والعمل . ومعنى هذا وصفه بالجهالة ، وقد وصفه اشيائهم ايضاً بصفات النقص كالخلول والجسمانية كما سوف توى ذلك . وآذوا رسول الله ﷺ فقال فريق من اشيائهم : إن الرسالة كانت للإمام على ولكن جبريل غلط فأداها الى محمد عليه الصلاة والسلام . واذا جبريل

نفسه فوصفه بالفاط في أشرف الأمور وهو أداء رسالة الله . فمدوه لذلك عدوهم
المبين . وآذوا سائر المسلمين إذ لم يوافقهم على عداوة صحابة رسول الله ، وعلى
الغلو في من يعدونهم أئمتهم المعصومين ، فدعوا المسلمين لذلك (النواصب) ،
ويعنون بذلك أنهم أعداء بيت النبوة ، فقدحوا في عقائدهم ودينهم وأئمتهم ،
واستحلوا دماءهم وأموالهم . ومن أقوال كتبهم عن أئمتهم : « خذ مال الناصبي
وادفع الخس » وفارقهم في الجمع والجماعات ، وخالفهم في شعائر الاسلام كالصلاة
والحج والشعائر الاخرى ، وتخلفوا عنهم في الجهاد ، وناصروا أمراءهم العداوة
والبغضاء وسعوا في تمكين أعدائهم منهم وأخذ نواصبهم . وأعانوا أخصام الاسلام
نقمة من أمراء النواصب وسلاطينهم - كما يزعمون - وقعدوا عنهم في كل أمر به
نصرة الاسلام أو نصرة أوطان المسلمين ، وأتوا كل ما من شأنه إلقاء العداوة
والفشل بين صفوف الاسلام ، وكل ما من دأبه أن يبعث الأحقاد القديمة الكامنة
والحزازات الساكنة

ولا يزالون يأتون ذلك في كل المناسبات وفي كل وقت تتحرك به نفوس
المسلمين الى نصرة الاسلام أو نصرة أوطانه . وفي الله دينه وعباده شرم
وقد كان أول أمر هذه الطائفة أن رجلا يهودياً يقال له عبد الله بن سبأ في
فجر الاسلام رأى سلطان الاسلام وقوته وعلوه على سائر الأديان وتهاوى عروش
الباطل تحت عرشه الحق فماظه ذلك فأراد الكيد له والاياع الفظيع بأهله . وقد
يكون عضواً قويا لجمعية مصرية هائلة أنشئت لهدم الاسلام . وليس ببعيد أن يكون
من أعضاء هذه الجمعية أبو اؤلؤة الغلام المجوسى الذى قتل الخليفة عمر . فان
طوائف من الشيعة يحبون هذا الغلام المجوسى ويرون أنه قد أسدى اليهم يداً إذ
قتل عمر . فتظاهر هذا اليهودى بالاسلام وادعى الايمان بالله وبرسوله ولجأ الى الزهد
والى عون المظلومين فى زعمه فجهر بأن علياً مظلوم ظلمه أصحاب محمد النواصب

حسداً منهم وطعماً في الرئاسة والملك ، فاعتصبوا الخلافة منه وهي حقه المعلوم ، واستبدوا بالأمم دونه فهم الظالمون وهو وآله المظلومون وهم الخونة المستبدون وهو وآله المستضعفون المقبونون . وطوبى لمن رجع الحق الى أهله ومستحقه ، فدعا إلى الانتقام من محابة رسول الله ﷺ خصوم على ، وإلى عون على صاحب الأمر ووليه ولم يقف أمر هذا اليهودي الخائن عند هذا الحد بل غلا وأمر في غلوه طمعاً منه في تفاقم الفتن والفشل والمهراج والمرج فادعى في على الألوهية وزعم أن فيه جانباً إلهياً ، وريماً زعم أن الله قد حل فيه كدعوى المسيحيين في المسيح . فأتت عليها دعواه فهم بالانتقام منه ، وأراد الايقاع به ، فهرب منه وظل يقتل من بلد إلى بلد مدعياً دعواه المنكرة داعياً الناس إليها ، وليس أمثال هذا الرجل منا يعمد فكثير من الأوربيين اليوم يدعون الإسلام ، أو يدعون حب العرب ونصرتهم . ومرادهم الذي يضمرون وله يسعون ، هو هدم الإسلام ، وإفتراس أهل الإسلام كيداً وغشاً

فتطير صدى دعوى هذا اليهودي إلى بعض الأذهان المريضة ، ونادى قوم بألوهية على وبأنه الله سبحانه وتعالى . فتنة يهودية محكمة . فاستتابهم الإمام على فلم يتوبوا ، فأضرم نيراناً عظيمة وقذفهم فيها فازدادوا بذلك ضللاً وكفراً وقالوا الآن علمنا بأنك أنت الله ، إذ لا يهذب بالنار إلا رب النار . فأخاف عقاب على قوماً منهم فكتموا كفرهم وضلالتهم لا أبداً ولكن إلى حين ، إلى أن تنهأ لهم الفرصة ويأتى اليوم الذى به يستطيعون أن يقولوا كل ما يضمرون ، والتقية والتفانى من أبرز صفات الشيعة وعقائدهم . وهؤلاء هم أهل الدهاء منهم والمكر السيء

وكانت هاتان الحادثتان أساس المذهب الشيعى والحجر الأول في بنائه ، هليهما أقيم المذهب وعنهما تفرعت حماقات الشيعة وعقائدهم للباطلة الأثيمة ، ومن هذا الطريق أتى أهل الاتحاد المدعون التشيع والغلو في على وأولاده كالفاطميين والاصماعيليين والختمانيين

حماقات الشيعة

في هذا الفصل نقتل من أوثق المصادر التاريخية طائفة من حماقات الشيعة ومعتقداتهم السخيفة في الله ورسوله وآله وفي المؤمنين

قال ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان « فصل في مذاهب الشيعة » :

« ومن الشيعة طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والايمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة ، إما على أنهم بشر انصفوا بصفات الألوهية أو أن الاله حل في ذاته البشرية . وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه . ولقد حرق على رضى الله عنه بالنار من ذهب فيه الى ذلك منهم ، وسخط محمد بن الحنفية المختار بن أبى عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه ، فصرح بلعنته والبراءة منه . وكذلك فعل جعفر الصادق رضى الله عنه بمن بلغه مثل هذا عنه . ومنهم من يقول إن كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقلت روحه الى امام آخر ليكون فيه ذلك السكال ، وهو قول بالتناسخ

ومن هؤلاء الغلاة من يقفون عند واحد من الأئمة لا يتجاوزونه الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم ، وهؤلاء هم الواقفية . فبعضهم يقول هو حى لم يميت وأنه غائب عن أعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة الخضر . قيل مثل ذلك في على رضى الله عنه وأنه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه . قالوا مثل ذلك في محمد بن الحنفية وأنه في جبل رضوى من أرض الحجاز . وقال مثله خلافة الامامية وخصوصا الاثنا عشرية منهم يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري وياقبونه المهدي دخل في سرداب بالحلة وتقيب حين اعتقل مع أمه وغاب هناك وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الارض عدلا وهم الى الآن ينتظرونه ويسمون المنتظر لذلك . ويقضون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب

وقد قدموا مركبا فيهمفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشبك النجوم ثم ينفذون ويرجعون الأمر الى الليلة الآتية وهم على ذلك لهذا العهد ، وبعض هؤلاء الراقضة يقول ان الامام الذي مات يرجع الى حياته الدنيا »

وقال أبو حفص بن شاهين في كتاب اللطف في السنة : حدثنا محمد بن أبي القاسم بن هرون حدثنا أحمد بن الوليد الواسطي حدثنا جعفر بن نصير الطوسي الواسطي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال : قال الشعبي « أحذركم أهل هذه الأهواء المضنة وشرها الراقضة . لم يدخلوا في الاسلام رغبة ولا رهبة ولكن مقلدات لأهل الاسلام وبغيا عليهم قد حرقهم على رضى الله عنه ونفاهم الى البلدان منهم عبد الله بن سبأ يهودى من يهود صنعاء نفاه الى ساباط وعبد الله بن يسار الى خازر . وأيد ذلك أن محنة الراقضة محنة اليهود : قالت اليهود لا يصلح الملك إلا فى آل داود وقالت الراقضة لا تصلح الامامة إلا فى ولد على . وقالت النصراني لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل سيد من السماء وقالت الراقضة لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي مناد من السماء ، واليهود يؤخرون الصلاة الى اشتباك النجوم وكذلك الراقضة يؤخرون المغرب الى اشتباك النجوم . والحديث عن النبي ﷺ أنه قال : لا تزال أمتى على النظره ما لم يؤخروا المغرب الى اشتباك النجوم . واليهود تزول عن القبلة شيئا وكذلك الراقضة ، واليهود تنود فى الصلاة وكذلك الراقضة ، واليهود تسدل أثوابها فى الصلاة وكذلك الراقضة ، واليهود لا يرون على النساء عدة وكذلك الراقضة . واليهود حرقوا التوراة وكذلك الراقضة حرقوا القرآن . واليهود قالوا افترض الله علينا خمسين صلاة وكذلك الراقضة ، واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين انما يقولون السلام عليكم والسلام الموت وكذلك الراقضة ، واليهود لا يأكلون

الجرى والمرامى^(١) وكذلك الرافضة ، واليهود لا يرون مسح الأنفين وكذلك الرافضة ، واليهود يستحلون أموال الناس كلهم وكذلك الرافضة ، وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن قالوا « ليس علينا في الأميين سبيل ، واليهود تسجد على قرونها في الصلاة وكذلك الرافضة ، واليهود لا تسجد حتى تحفق برؤسها مراراً تشبهاً بالركوع وكذلك الرافضة ، واليهود يتنقصون جبريل ويقولون هو عدونا من الملائكة وكذلك الرافضة يقولون غلط جبريل بالوحى على محمد ، وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة ، النصارى ليس لفسائهم صدقات إنما يمتنعون بهم تمتعاً وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة ويستحلون المتعة . وفضلت لليهود والنصارى على الرافضة بمخصاتين : سألت اليهود من خير أهل ماتكم ؟ قالوا أصحاب موسى ، وسألت النصارى من خير أهل ماتكم ؟ قالوا حوارى عيسى ، وسألت الرافضة من شر أهل ماتكم ؟ قالوا أصحاب محمد . أصرروا بالاستغفار لمفسوبهم ، والسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة . لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا مجتمع . ولا تجاب لهم دعوة ، دعوتهم مدحوضة وكلتهم مختلفة وجمعهم متفرق وكلما أوقفوا ناراً للحرب أطفأها الله »

وقال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل تحت عنوان « الشيعة » :
 « ومنهم الكيسانية أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقيل تلميذ لسيد محمد بن الحنفية يمتقنون فيه اعتقاداً بالغاً من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السديدين الأمرار بجمليتها . ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج

(١) نوعان من السمك تزعم الشيعة أن هلياً رضى الله عنه وقف على البحر فخرج إليه أنواع السمك وسلت عليه ماسوى هذين النوعين فهما حرام لذلك

وغيرها على رجال فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الى طاعة الرجل . وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت ، فن مقتصر على واحد معتقد أنه لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع ، ومن معه حقيقة الامامة الى غيره ثم منحسر عليه متحير فيه ومن يدع حكم الامامة فليس من الخيرة . وكلهم حيارى منقطعون ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له . واهوذ بالله من الخيرة والخور بعد الكور »

قال ومنهم الهاشمية أتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية وفرقة من أتباع هذا الرجل قالت إن أبا هاشم أوصى الى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي . وكان من مذهب عبد الله أن الارواح تناسخ من شخص الى شخص وأن الثواب والعقاب في هذه الاشخاص اما أشخاص بني آدم وإما أشخاص الحيوانات قال وروح الله تناسخت حتى وصلت اليه وحلت فيه . وادعى الألوهية والنبوة معاً وأنه يعلم الغيب فعبدته شيعة الحق وكفروا بالقيامة لاعتقادهم أن التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الاشخاص . وتأول قول الله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح في ما طعموا » الآية على أن من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم ووصل الى الكمال وعنه نشأت الحرمية والمزدكية بالعراق وهلك عبد الله بخراسان وافتقرت أصحابه فمنهم من قال إنه حي لم يموت ويرجع . ومنهم من قال بل مات وتحولت روحه الى اسحاق بن زيد بن الحارث الانصاري وهم الحارثية الذين يبيعون المحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه . قال ومنهم البينانية أتباع بنان بن سمعان قالوا بانتقال الامامة من أبي هاشم اليه . وهو من الخلة القائلين بالهية أمير المؤمنين على . قال حل في علي جزء إلهي واتحد جسده فيه . كان يعلم الغيب اذا أخبر عن الملاحم وصح أخبر وبه كان يجارب الكفار وله النصرة والظفر ، وبه قلع باب خيبر

وعن هذا قال والله ما قلعت باب خير بقوة جسدانيه ولا بحركة غذائية ولكن قلعت بقوة ملكوتية بنور ربها مضية . فالقوة الملكوتية في نفسه كالمصباح في المشكاة والنور الالهى كالنور في المصباح . قال وربما ظهر على في بعض الأزمان . وقال في تفسير قوله تعالى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » أراد به علياً فهو الذى يأتى في ظلل ، والرعد صوته والبرق تبسمه . ثم ادعى بنان أنه قد انتقل اليه الجزء الالهى بنوع من التناسخ . ولذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة وذلك الجزء هو الذى استحق به آدم سجود الملائكة . وزعم أن معبوده على صورة إنسان عضواً فعضواً جزءاً فجزءاً . وقال يهلك كله إلا وجهه لقوله تعالى « كل شيء هالك إلا وجهه » . ثم قال الشهرستان ومنهم الرزامية أتباع رزام ادعوا حلول روح لاله في أبى مسلم الخراسانى وقالوا بتناسخ الارواح . والمنفع الذى ادعى الألوهية لنفسه كان على هذا المذهب وتابعه مبيضة ما وراء النهر وهؤلاء صنعة من الخرمية دافوا يترك الفرائض وقالوا الدين معرفة الامام فقط . ومنهم من قال الدين أمران معرفة الامام وأداء الامانة ومن حصل له الأمران وصل الى حال الكمال وارتفع عنه التكليف قال ومنهم الغالية الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الالهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق بهم على طرفي الغلو والتقصير . وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغالية حتى حكمت بأحكام إلهية في حق بعض الأئمة . وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة وبدع الفلاة محصورة في أربع التشبيه والبدع والرجمة ^(١) والتناسخ

(١) المراد بالرجمة رجوع من مات أو غاب من أئمتهم الى الدنيا

قال : ومنهم السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال املئ : أنت أنت .
يعنى أنت الاله ، وزعموا أنه كان يهودياً فأسلم وعنه انشعبت أصناف الغلاة ،
وزعموا أن علياً حتى لم يقتل وفيه الجزء الالهى ، ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو
الذى يجيء بالسحاب والرعده صوته والبرق تبسمه ، وأنه سينزل بعد ذلك الى
الأرض ، وهم أول فرقة قالت : لتوقف والغيبة والرجمة وقالت بتناسخ الجزء الالهى
في الأئمة بعد على

قال : ومنهم الكاملية أصحاب أبي كامل أكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة على
وطعن في على بتركه طلب حقه ، قال : وكان عليه أن يخرج ويظهر الحق ، على أنه
غلا في حقه . وكان يقول الامامة نور يتناسخ من شخص الى شخص وذلك للنور
في شخص يكون نبوة وفي شخص يكون إمامة ، وربما تناسخ الامامة فتصير نبوة
وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت . والغلاة على أصنافهم متفقون على التناسخ
والحلول^(١) ، ولقد كان لبتناسخ مقالة لفرقة في كل أمة تلقاها من المجوس المزدكية
والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصائبة ، ومذهبهم أن الله قائم بكل مكان ناطق
بكل اسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر ، وذلك معنى الحلول ، وقد يكون
الحلول بجزء وقد يكون بكل

قال : ومنهم العلوية أصحاب العلوية بن ذراع الدوسي ، كان يفضل علياً على
النبي عليه الصلاة والسلام ، وزعم أنه الذي بعث محمداً ومما إلهاً وكان يقول بنم
محمد لأنه بعث ليدعو الى على فدعا الى نفسه ، ويسمون هذه الفرقة الذمية ، ومنهم
من قال بالهيتما معاً ويقدمون علياً في أحكام الالهية ويسمونهم المينية ، ومنهم
من قال بالهيتما معاً ويقدمون محمداً في الالهية ويسمونهم الميمية ، ومنهم من قال
بالهية خمسة أشخاص أصحاب الكساء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، وقالوا :

(١) المراد بالحلول في كلام القوم حلول ذات الله في بعض ذوات المخلوقين

خمسهم شيء واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر وكرهوا
أن يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم
قال ومنهم المغيرة أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ادعى أن الامام بعد محمد
ابن علي بن الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن وزعم أنه حي لم يموت . وكان المغيرة
مولى لخالد بن عبد الله القسري ، وادعى الامامة لنفسه بعد الامام محمد وبعد ذلك
ادعى النبوة وغلا في حق علي غلو لا يمتد به عاقل وزاد على ذلك قوله بالتشبيه
فقال ان الله صورة وجسم ذو أعضاء على حروف الهجاء وصورته صورة رجل
من نور على رأسه تاج من نور وله قلب تدفع منه الحكمة . وزعم أن الله لما أراد خلق
العالم تكلم بالاسم الأول فلم يطرأ فوقه على رأسه تاجا . قال وذلك قوله : « سبح
اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى » ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على
كفه ففضب من المعاصي ففرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما ملح والآخر عذب
والمالح مظام والعذب نير . فاطلع في البحر النير فأبصر ظله فانزع عين ظله فخلق
منها الشمس والقمر وأبقى باقي ظله . وقال لا ينبغي أن يكون معي إله غيري . قال
ثم خلق الخلق كله من البحر بين المؤمنين من البحر النير والكافرين من البحر المظلم
وخلق ظلال الناس . وأول ما خلق هو ظل محمد وعلى قبل ظلال الكل ثم عرض
على السموات والأرض والجبال أن يحمي الأمانة وهي أن يضمن علي بن أبي طالب
من الامامة فأبين ذلك ثم عرض على الناس فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن
يتحمل منه من ذلك وضمن أن يمينه على الغد به على شرط أن يجعل الخلافة له
من بعده فقبل منه وأقدهما على المنع متظاهرين . فذلك قوله « وحملها الانسان إنه
كان ظلوها جهولا » وزعم أنه نزل في عمر قوله تعالى « كمثل الشيطان إذ قال
للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك » . ولما أن قتل المغيرة اختاف أصحابه
فمنهم من قال بانتظاره ورجسته ، ومنهم من قال بانتظار إمامة محمد كما كان يقول

هو بائظفاره . وقد قال المفيرة لأصحابه انتظروه فإنه يرجع وجبريل وميكائيل
يبايعانه بين الركن والمقام »

وقال « ومنهم المنصورية أصحاب أبي منصور العجلي . زعم هذا الرجل أن عليا
رضي الله عنه هو الكسف الساقط من السماء وربما قال الكسف الساقط من السماء
هو الله عز وجل . وزعم حين ادعى الامامة لنفسه أنه عرج به الى السماء ورأى
معبوده فمسح بيده رأسه وقال له : يا بني انزل فبلغ عني ثم أهبطه الى الأرض فهو
الكسف الساقط من السماء . وزعم أن الرسل لا تنقطع أبداً والرسالة لا تنقطع .
وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو امام الوقت وأن النار رجل أمرنا بمعاداته
وهو خصم الامام . وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله بمعاداتهم
وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم . واستحل أصحابه قتل مخالفينهم
وأخذ أموالهم واستحلل نساءهم . وإنما مقصودهم من حل الفرائض والمحرمات
على أسماء رجال هو أن من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف
وارتفع عنه الخطاب إذ وصل الى الجنة وبلغ الكمال . وما أبدعه العجلي أن قال
أول « ما خلق الله هو عيسى بن مريم ثم علي بن أبي طالب »

قال « ومنهم الخطائية أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي . زعم
أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بالهية جعفر بن محمد والهية آبائه وهم أبناء الله
وأحباؤه . والالهية نور في النبوة والنبوة نور في الامامة ولا يخلو العالم من هذه
الآثار والأنوار . وزعم أن جعفر هو الاله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يروونه
ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها . ولما وقف عيسى
ابن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبحة الكوفة : وافترقت الخطائية
بعده فرقا : زعمت فرقة أن الامام بعد أبي الخطاب رجل يقال له معمر ودانوا به
كما دانوا بأبي الخطاب وزعموا أن الدنيا لا تنفى وأن الجنة هي ما يصيب الناس من

خير ونعمة وعافية وأن النار هي ما يصيب الناس من شر ومشقة وبلية واستحلوا
الحرق والزنى وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض وتسمى هذه الفرقة
المصرية . وزعمت طائفة أن الامام بعد أبي الخطاب بزيغ وكان يزعم أن جعفرأ
هو الاله أى ظهر بصورته للخلق وزعم أن كل مؤمن يوحى اليه وتأول قول الله
« ما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله » أى إلا يوحى من الله إليه . وكذلك
قوله تعالى « وأوحى ربك إلى النحل » وزعم أن في أصحابه من هو أفضل من
جبريل وميكائيل وزعم أن الانسان إذا بلغ الكمال لا يقال إنه مات لكن الواحد
منهم اذا بلغ النهاية قيل رفع إلى الملكوت وادعوا كلهم مائة أمواتهم وزعموا
أنهم يرونهم بكرة وعشيا : وتسمى هذه الطائفة البريقية . وزعمت طائفة أن الامام
بعد أبي الخطاب حمير بن بنان المجلى وقالوا كما قالت الطائفة الأولى ، الا أنهم
اعترفوا بأنهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على
عبادة الصادق فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأخذهم ففصله في كناسة
الكوفة وتسمى هذه الطائفة العجلية . وزعمت طائفة أن الامام بعد أبي الخطاب
مفضل الصيرفي وكان يقول برؤية جعفر دون نبوته ورسالته «

وقال « ومنهم المشامية أصحاب المشامين هشام بن الحكم صاحب المقالة في
التشبيه وهشام بن سالم الجوابلي الذي نسج على منواله في التشبيه . حكى ابن
الراوندى عن هشام أنه قال : ان بين معبوده وبين الأجسام تشابها ما بوجه من
الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه . وحكى الكلبى عنه أنه قال هو جسم ذو أبعاد له
قدر من الاقدار ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شيء . ونقل عنه أنه
قال هو صفة أشبار بشير نفسه وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة وأنه يتحرك
وحركته فعله وليست من مكان الى مكان . وقال هو متناه بالذات غير متناه
بالقدرة . وحكى عنه أبو هيسم الوراق أنه قال ان الله تعالى مماس لمرشه لا يفضل

منه شيء من العرش ولا يفضل على العرش شيء منه

وقال هشام بن سالم إنه تعالى على صورة انسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء وهو نور أسود لكنه ليس بلحم ولا دم . وقد قل عنه أنه أجاز المصية على الأنبياء مع قوله بمصمة الائمة

وقال « ومنهم البيهقي أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي » زعم أن الملائكة تجمل العرش والعرش يحمل الرب . وهو من مشبهة الشيعة وقد صنف لهم كتباً في ذلك (١) »

وقال الامام ابن حزم في كتاب الملل والنحل تحت عنوان « ذكر شنع الشيعة » :

ومن قول الامامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبديل منه كثير . حاشا على بن الحسن بن موسى وكان إمامياً يتظاهر بالاعتزال مع ذلك . فانه كان يذكر هذا القول ويكفر من قاله . وكذلك أصحابه أبو يعلى وأبو القاسم الرازي . قال ابن حزم : والقول بأن بين الوحيين تبديلاً كفر صحيح وتكذيب لرسول الله . وقالت طائفة من الكيسانية بقناسخ الأرواح وبهذا يقول السيد الجعفي الشاعر . قال ويبلغ الأمر بمن يذهب الى هذا الى أن يأخذ أحدهم البغل أو الحمار فيعذبه ويضربه ويمطشه ويجمعه على أن روح أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيه وكذلك يفعلون بالمنز على أن روح أم المؤمنين رضي الله عنها فيها . وجمهور متكلميهم كهشام بن الحكم الكوفي وتلميذه أبي علي الصمكاك وغيرهما يقول ان علم الله محدث وانه لم يكن يعلم شيئاً حتى أحدث لنفسه

(١) هذا بعض ما كتبه الشهرستاني عن فرق الشيعة مع أنه قد اشترط على نفسه في مقدمته أنه لا ينقل عن طائفة الا شيئاً وجده في كتبها

علما . وقد قال هشام هذا في حين مناظرته لأبي الهذيل العلاف . وكان داود الجوازي من كبار متكلميهم يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الانسان ، ولا يختلفون في أن الشمس ردت على علي بن أبي طالب مرتين ، وطائفة منهم تقول ان الله يريد الشيء ويعزم عليه ثم يسدوله فلا يفعله ، ومنهم من يحرم الكرنب لأنه انما ثبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك ، وكان يزعم كثير منهم أن عليا لم يكن له مهي قبله . ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار . ثم قال بعد كلام « فهذه مذاهب الامامية وهي المتوسطة في العلوم من فرق الشيعة ، وأما الغالية من الشيعة فهم قسم قسم أوجب النبوة بعد النبي لغيره والقسم الثاني أوجبوا الالهية لغير الله فالحقوا بالنصارى واليهود وكفروا أشنع الكفر ، فالطائفة التي أوجبت النبوة بعد النبي فرق قنهم الغرابية وقولهم ان محمداً ﷺ كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب وأن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي الى علي فقلط جبريل بمحمد ولا لوم على جبريل في ذلك لأنه غلط ، وقالت طائفة منهم بل تعد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه »

« وفرقة قالت بنبوة علي وفرقة قالت بأن علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر بن الحسن أنبياء كلهم . وفرقة قالت بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر . وفرقة قالت بنبوة علي وبنه الثلاثة . وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد وهو الذي أحرقه خالد بن عبد الله القسري ، وكان يقول ان معبوده على صورة رجل على رأسه تاج وأن أعضائه على عهد حروف الهجاء »

« وذكر هشام بن الحكم الرافضى في كتابه المعروف بالميزان وهو أعلم الناس بهم لأنه جارم بالكوفة وجارم في المذهب : « ان الكسفية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم ويقولون نعيجل المؤمن الى الجنة والكافر الى النار .

وكانوا بعد موت أبي منصور يؤدون الخمس مما يأخذون ممن خنقوه الى الحسن
ابن أبي منصور . وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك . وفرقة قالت بنبوة معمر بائع
الحنطة بالكوفة . وقالت فرقة بنبوة عمير النبان بالكوفة ، وكان يقول لأصحابه :
لو شئت أن أعيد هذا التبن تهرأ لفعلت »

ثم نقل ابن حزم أشياء كثيرة من شتم الشيعة أعرضنا عن نقلها ، وقال في
آخره : « اعلّموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى الى الاسلام
فإنما عنصرهم الشيعة والصوفية ، فإن من الصوفية من يقول ان من عرف الله تعالى
سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واتصل بالله . وبلغنا أن « بنيسابور » اليوم في
عصرنا هذا رجلا يكنى أبا سعيد من الصوفية ، مرة يلبس للصوف ومرة يلبس
الحريير المحرم على الرجال ومرة يصلي في اليوم ألف ركعة ومرة لا يصلي لا فريضة
ولا نافلة ونعوذ بالله من الضلال »



مع اعتقاد الشيعة هذه العقائد الشنعاء الموبقة فتتضيها التي لا أمحيها أن
 تناول أهل نجد وأهل الحجاز وغيرهم من أهل السنة بالقسم والتجريح وتلصق بهم
 كبريات التهم وعظائمها وتزنيهم بالكفار المسلمين ، ومفارقة جماعة المؤمنين وتصنف
 الكتب الأثيمة في تلبيهم وإفساقهم وإحراج صدورهم بما تختلقه عليهم وعلى عقائدهم
 وأخلاقهم وعلى أئمتهم وزعمائهم من البهائم المنكرة والمختلقات المفضوحة
 ثم تحاول أن تهم المسلمين أن أهل نجد وحدهم هم أهل الزيغ والكفر والحاقة .
 ومع هذه العقائد المشبهة المجسمة التي تصف الحق بصفات الحدوث والضعف والنقص
 والجهالة والرعونة تجرؤ أن تجاهر بأن السلف من أهل نجد وغيرهم هم الكفار
 المجسمون الضالون ، لأنهم آمنوا بملأ الله على خلقه كما ذكر القرآن علواً يليق به
 ليس كمثل شيء وهو السميع البصير

إن هذه هي الصفاة التي لا تنف عند حد ، والظلم الذي لا يجزئ عليه سوى
 هذه الطائفة الباغية . .

وبهذا الفلو الذي رأيت من طائفة الشيعة في أئمتهم وبهذا التأليه الذي سمعت
 منهم لعلى وولده ، عبدوا القبور وأصحاب القبور وأشادوا المشاهد وأتوها من كل
 مكان سعيق وفج عميق ، وقدموا لها النذور والهدايا والقرايين ، وأراقوا فوقها
 الدماء والدموع ، ورفعوا لها خالص الخشوع والخشوع . وأخلصوا لها ذلك
 وخصوها به دون الله رب الموحدين . وعلى هذا الأساس الواهي كانت كراهية القوم لمن
 الله وحده ومن يدعوه وحده . ومن جعل عياله وعماته وصلاته ونفسه وخشوعه
 وخشوعه له وحده لا شريك له . وعلى هذا الأساس الواهي كانت كراهية القوم لمن
 دعا إلى عبادة الله وحده ، وإلى دعائه ورجائه وخوفه وحبه ، وتمظيمه والرجوع إليه
 وحده . ومن هذا الطريق - لامن غيره - مقتوا أهل نجد وخصومهم بشديد المداوة
 والبغضاء والكراهية والأذى . فان طائفة الشيعة تمقت القوم بمقدار ما عندهم من

الدين والايمان والاخلاص لله . وتحب القوم بمقدار ما عندهم من الشرك والالحاد والكفر بالله . ولهذا كانت كرايتهم لأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير لا تماثل كراهة ، فانهم لا يكرهون أبطال الكفر والضلالة من العرب وقريش وغيرهم كرايتهم لخليار الصحابة والأنصار والمهاجرين الأولين ، بل قد يحبون الكافرين بالله ورسوله لانهم يبنضون هؤلاء الصحابة ، أو لأن هؤلاء الصحابة حاربهم ووقعوا معهم في خصام ، مثل ذلك أن طوائف من أئمة هؤلاء الشيعة الامامية يخلصون الود والولاية لبني حنيفة الكفار الذين آمنوا بمسيلة الكذاب المنتهى . ويمتدحونهم مسلمين موحدين ، وذلك ليدهوا أن أبا بكر والصحابة الذين كانوا معه ما كانوا محقين ولا راشدين يوم أن حاربوا بني حنيفة وقتلهم وعدوهم مارقين من الاسلام ، ومثله أيضا أن قوما منهم يترضون عن أبي لؤلؤة الغلام المجرى الذى قتل الخليفة عمر رضى الله عنه وقد يمدونه من أهل الجنة ولا فضل له عندهم سوى قتله الطاغوت عمر في زعم القوم أبعدهم الله والسبب في هذا كله هو ما ذكرناه من كرايتهم أهل الايمان والاخلاص والتوحيد ، وجنوحهم الى أهل النفاق والالحاد والشرك

ويوضح هذا أن هؤلاء الشيعة الامامية لا يرون في بني حنيفة الذين آمنوا بمسيلة المنتهى الكذاب وكفروا بالله ورسوله بأساً ولا يجدون لهم ذنباً يؤاخذونهم عليه كخروجهم في بلاد نجد المقتولة عندهم لى قال فيها الرسول : من هاهنا تخرج للفتنة والكفر والفسوق كما يدعون ، ولكنهم يذمون النجديين ولا يرضونهم اليوم ، ويمدون من الدلائل على ضلالتهم وكفرهم خروجهم من بلاد نجد لى قال فيها الرسول ما قال كما زعموا ، وقد يمدون من ذنوبهم خروجهم في بلاد بني حنيفة ومسيلة ، وينسون في سبيل ذلك أن بني حنيفة من اخوانهم أعداء أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار كما ينسون أن أشياخهم القدماء كانوا من أنصار بني حنيفة ،

كما ذكر ذلك ابن المطهر في كتابه الذي رد عليه شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه
منهاج السنة ، وذلك قبل أن تصير نجد بلاد التوحيد والايمان واقامة شعائر الاسلام ،
والسبب في ذلك كله هو ما ذكرناه من خلق الشيعة ودينهم

وعلى هذا النحو ألف الشيعة كتاب « كشف الارتياح في اتباع محمد بن
عبد الوهاب » فجاء آية في أفانين النقص واختلاق الكذب والارتجاج الفكري
وسوء المصير

يشتمل هذا الكتاب على موضوعين أحدهما تاريخ الوهابيين ومبدأ دعوتهم كما
يقول صاحب هذا الكتاب ، والموضوع الثاني في عقيدتهم ، وبيان مذهبهم والرد
عليهم تفصيلاً وجملة كما ذكرنا

اما الموضوع الأول :

أى الموضوع التاريخى فالتالى نعرض له فى هذا الكتاب . فلما نبعاً أو يعياً
الله أو يعياً أحد من عباده المؤمنين أن تغلط الشيعة فى تاريخ إمام من أئمتنا أو
زعيم من زعمائنا أو فى نعت موقعة من مواقع حروبنا دفاعاً عن الدين والوطن
والخلق . غير أننا نقول هنا إن كل ما يذكره هذا الرافضى فى هذا الموضوع من
قتل الأطفال والنساء والرجال غير المحاربين ، وأخذ الأموال بكل ما لا يميزه
الجروب المشروعة دفاعاً عن العدل والدين ، فكذب واختلاق ، ليس له من سند
غير المنصب ونصوب الحياء والدين . وكل ما يذكره من القبح فى سيرة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب كقوله إنه كان موافقاً بقتل أخبار مدعى النبوة وأخبار الضلال
وكقوله إن أهله وعشيرته كانوا يقتبثون له الشر والمروق والالحاد ، أقول إن كل
ما يذكره فى هذا الموضوع من أمثال هذه المقادح كذب مبین . وكذلك ما يذكره
على طريق التهويل والتشنيع والارجاج

اما الموضوع الثانى من الكتاب :

وهو ما يخص العقائد والمباحث العلمية التى طرقها هذا الكتاب فهو الموضوع الذى سوف نقنأوله . . . ويميز فيه الحق من الباطل والصحيح من السقيم . ونسأل الله أن يعيننا على اجتناب الهوى والتمسب للباطل مع من نحب ومع من نكره . وطريقة صاحب هذا الكتاب فى هذا الموضوع على سبيل الاجال أنه عهد الى جميع ما ابتدعه المنتسبون للاسلام سواء فى ذلك الخاصة والعامة من أكابر وحالين وزبالين وصنعة وفعلة ، وسواء فى ذلك أيضاً المناقون والمخادعون الذين دخلوا فى الاسلام لافساده وإفساد أهله وكتابه ، ومن لا خلاق لهم من طلاب الدنيا والشهوات والأغراض على حساب اختراع الغريب من الأقوال والعقائد فى الدين والعلوم والفنون ، وما أكثر هذه الأصناف ، عهد إلى ما ابتدعه هؤلاء وما قد يبتدعونه فحكم عليه كله بأنه حق ودين وذوق وهدى . وحكم بأن من ردمته أو أنكره أو شك فيه فهو جامد الفكر ضيق العطن قليل الحيلة عدو لأولياء الله والمسلمين . ثم تحيل لاستخراج الدلائل من الكتاب والسنة والعقل والاجماع . وما أبعد هذا الرجل عن هذه الأمور . على أن كل ما يعمل من يقول إنه مسلم حق لا باطل فيه وخير لا شر معه ولو كان ظاهره الكفر والاشراك والنفاق . ولو كان ظاهره الحق البارء والمصفاة المكشوفة بل وإن كان ظاهره ما كان وما قد يكون فان كل ما يقع من ذلك إن لم يجد له دليلاً من الكتاب والسنة حسب فهمه فهو محمول على الهجاز العقلى والهجاز بالاستناد والهجاز بالكذب وفساد الذوق . وعلى ذلك أجاز للمسلم أن يقول يا رسول الله اغفر ذنبى واكشف كربى . وباسمته زينب أغثينى واشفينى واهدى قلبى ونحو ذلك وما هو أعظم منه بما سوف يأتيك

ومن رأى هذا المؤلف أنه ما دام هنالك هجاز فى كلام العرب فلا مانع من أن

يقول من ينتسب إلى الاسلام أو من يقول إنه مسلم ما شاء من الالفاظ والآوال ولا مانع من أن يستغيث بالأموات ويسألم غفران الذنوب وكشف الكرب وهداية القلوب ويهيبهم ما يشاء من كلمات التعظيم والاكبار . فان كلام العرب لن يضيق أن يجد ذلك مخرجا من مخارج التأويل أو ضربا من ضروب المجاز قرب ذلك المخرج أو بعد . وإذا ما جاز أن يقول المؤمن أنبت الربيع البقل جاز أن يقول شفاني رسول الله أو أغثنى أو غفر لي ذنوبي أو هدى قلبي ، فان هذا مجاز على قرينته إيمان القائل ومثله الأول والقرينة هي ولا فارق بين الأمرين ولو أننا أيقنا جواز شفاني الرسول لأيقنا جواز أنبت الربيع البقل أو أنبت الماء العشب ، لأن الأمرين سواء ، وإذا جاز هذا جاز ذلك وإذا امتنع امتنع ، والتفريق بينهما جهل وتحكم ، ولا ريب في جواز أنبت الربيع البقل فليكن مثله شفاني رسول الله أو أغثنى

ومصاصة هذا الكلام أنه يجوز لمن يدعى الايمان أن يقول ما يشاء وأن يفعل ما يشاء فان كل كلام في الدنيا يستطيع أن يحمل على المجاز وأن يلتمس له ضرب من ضروب التأويل . فربيع فيوجد وليس هنالك كلام يعيا صاحبه أو سامعه من أن يجد له نوما من ذلك ، ولو كان ظاهرا في ارادة الحقيقة كل الظهور ، فان قول القائل : عيسى ابن الله أو هو الله نفسه يستطيع أن يحمل على المجاز ، مثل أن يراد أنه ابن أمة الله أو أن الله يعطف عليه عطوف الوالد على ولده ، أو نحو ذلك ، وهذا له نظائر في خطاب العرب لا يستطيع جردها ، وليست أبعد عن قبول المجاز من قول القائل شفاني الولي أو الرسول ، والقرينة في المثالين واحدة ، بل ان قول القائل الله ليس موجودا يستطيع على هذا الجنون المسمى بالمجاز أن يحمل على وجه صحيح كأن يراد أنه ليس موجودا لذاته في كل مكان أو في الأرض مثلا ، والقرينة على هذا التأويل هي حال القائل لأنه من المدعين الايمان ، وهذا غاية الكفر والجنون

و كذلك لو صممنا مدعيًا للإسلام يقول ان محمد بن عبد الله ليس رسولاً ولا نبياً لما جاز لنا أن نبادر الى الحكم بكفره ، بل وجب أن نقول انه يريد ليس رسولاً للأمم التي كانت قبله أو ليس رسولاً الى الملائكة وأشباه ذلك من التأويل البارد السقيم الذي من اتبعه وحافظ عليه عدده للناس من الحق ، ولو صبح هذا القانون لصح لمن شاء أن يقول ما شاء فيمن شاء ولما استطاع قانون أن يؤخذ أحداً على كلام ما إذ يقدر كل أحد على أن يؤول كل كلامه وأن يمره على أنواع المجازات ويمر أنواع المجازات على كل كلامه بحيث لا يستطيع قانون ولا قضاء أن يؤخذه بشيء إذا ما قال اني عنيت بكلامي كذا وكذا وذكر احتمالاً بعيداً أو قريباً

وهذا فساد في الدين والدنيا ، وسيجيء نقضه . وأما نقول هنا ان دفاع صاحب هذا الكتاب عن جميع ما يقوله ويعمله من انتسب للإسلام وادعاه أن ذلك كله من الدين باطل ضرورة وعادة وشرعاً وعقلاً فانه لا العقل ولا الشرع ولا العادة تتقبل أن يكون هناك كتاب من الكتب مما ويا كان أو أرضياً يأتي بأحكام وقوانين وشرع في جميع شئون الدين والدنيا وتؤمن بذلك الكتاب أمم كثيرة مختلفة الأغراض والبيئات والأفهام والاعتماد فتظل تلك الامم الكثيرة موافقة أعمالها كلها وأعمال أفرادها اعتقادية وقولية وعملية لذلك الكتاب الذي آمنت به موافقة عامة بحيث لا تخالف عقيدة فرد من أفراد تلك الامم لما جاء في ذلك الكتاب من العقائد وبحيث لا تفضل جماعة من جماعات تلك الامم في فهم من أفهامها لذلك الكتاب وبحيث يجيء كل عمل وكل عقيدة وكل رأى يراه كل فرد من أفراد تلك الامم مطابقاً للكتاب الذي آمنت به لا خلاف ولا خلل . أحسب أن مثل هذا لم يقع فيما مضى ولا يمكن أن يقع فيما سيأتي وأحسب أن ادراك هذا جيداً كاف للنقض على صاحب هذا الكتاب الذي أراد في كتابه هذا أن يجعل كل ما صدر أو يصدر ممن ادعى الاسلام أو من كان مسلم الأب والمولد من دين الله الذي ضمنه رسالة جبريل

الى محمد بن عبد الله ، وهذه مخزقة لم يأت بها أحد قبل صاحب هذا الكتاب ، وهو في الواقع لا يؤمن بها . كيف وطائفة الشيعة تكفر الصحابة ، فكيف يمدون مسلي أهل هذا العصر مسلمين

هذا ونحن نعلم أن عامة الناس ودهماء لا يصدرون في أعمالهم وعقائدهم عن كتاب أو سنة أو برهان أو قول إمام حجة ، ولكنهم يصدرون في الأكثر الغالب عن العادة والتموى أو العاطفة والتعصب والخرص . وهذه الأمور أو الأدواء لا يمكن أن تساير الكتاب والبرهان والحجة أبداً بل هي في الغالب الخضم المبين للكتاب والسنة والبرهان . وما نحسب عالماً يستطيع أن يدعى أن جمهور الناس ولا سيما اليوم يعملون ما يعملون ويعتقدون ما يعتقدون ويقولون ما يقولون لأنهم علموا له دليلاً من الشرع أو العقل أو الحس أو يدعى أنهم لا يصدرون إلا عن ذلك الدليل . وإذا كان ذلك كذلك كان من الحق المبين أن يقوم من يدعى للعالم والايان والعقل يزعم أن جميع ما تليه عواطف الجمهور وعاداته وأهواؤه وغباواته من دين الله وما يصدقه كتاب الله كما فعل هذا الرافضى المتعصب ...

هذا من جهة النظر والمقول . أما من جهة الشرع والدين فقد تواتر عن النبي الكريم ما معناه أن الآ . الاسلامية لا بد أن تصير إلى مثل ما صارت اليه الأمم الصالفة من المخالفات والوقوع في البدع المنكرة والشرك الخفى والجلى والقلوب في الخلق غلوآ يفارق الايمان والتوحيد . ولقد تواتر عنه عليه السلام ما معناه : لتقبح سنن من كان قبلكم سواء سواء ومثلاً مثلاً . وتواتر عن علماء الأمة سلفاً وخلفاً أن هذه الأمة لا محالة صائرة مصائر الأمم قبلها وواقع منها الشرك والضلال والجهل بالدين والايان . وهذا من أوليات الدين . ومن عجب أن هذا الشيعى يدافع عن عامة من ادعى الاسلام ويؤول لهم كل ما يأتونه من المنكرات والخرافات ويحملها عملاً حسناً متكلفاً أو غير متكلف وإن كان ظاهرها الكفر والشرك ،

والشيعة يدعون أن صحابة رسول الله ﷺ كفار منافقون أو مرتدون بعد وفاة رسول الله ﷺ ويحملون كل ما يعملونه من البر والتقوى على النفاق والخداع والغش . وقد يزعمون أنهم قد ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أعقابهم ويحتجون بالحديث المشهور : « لينادن أقوام عن حوضي ، فأقول أصحابي أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، انهم ما زالوا على أعقابهم مرتدين فأقول سحفاً سحفاً » أى بعداً بعداً » ولكن الحق أن الشيعة لا يرون أحداً من المسلمين لا من الصحابة ولا ممن بعدهم مسلماً ما لم يطالبهم على عقائدهم الغالية المهوجاء من الايمان بالرجعة وبالآئمة المعصومين وتكفير من لم يفعل في حلي وولده غلو تأليه وعبادة ، وما يدعيه صاحب هذا الكتاب من الدفاع عن عقائد المسلمين ومن ادعائه الاعتراف بايمانهم هو اختلاق اضطره اليه طمعه في أن يجد لأهل نجدة عيباً يشنع عليهم به ، ومثله في هذا مثل اليهود : كانوا يشنعون قبل بعثة الرسول على العرب ويسبون عقائدهم ويدعونهم الوثنيين المشركين . فلما أن بعث الله رسوله ﷺ ودعا الى الاسلام وتوحيد الله ، الأمر الذي يفخر به اليهود ، رجعت اليهود الى ما كانت تصيب من عقائد العرب فأثنت عليهم وعلى دينهم وما هم فيه . وما يريدون من ذلك غير عناد الاسلام والوقوف في حيله وتقدمه . وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً »

وهذا الكتاب أى كشف الارتباب موضوع في ثلاث مقدمات وثلاثة أبواب وخاتمة . « المقدمة الأولى في تاريخ الوهابية ، والثانية في أمور يتوقف عليها المقصود من رد شبهات الوهابية ، والمقدمة الثالثة في شبه الوهابيين بالخواارج

أما الأبواب : فالأول في ذكر جميع معتقدات الوهابية ومهور مناهيهم ،
والثاني في معتقدات الوهابية التي كفروا بها المسلمين وحججهم وردعها على وجه
المعوم ، والباب الثالث في تفصيل الأمور التي كفر بها الوهابية المسلمين ورد كل
واحد منها بخصوصه . أما الخاتمة فهي متفرقات من مقالات الوهابيين ،
هنا ما ذكره صاحب هذا الكتاب في كتابه وهذه هي عناصر ما كتب عنه
وهذا ما نقض عليه فيه بطله

أما المقدمة الخاصة بالتاريخ فلا تعرض لها كما ذكرنا آنفاً للسبب
المذكور نفسه

والسبيل الذي نلتزمه في هذا النقض أننا لن نلتزم ذكر عبارات الكتاب
بنصها دائماً لأننا لو فعلنا ذلك لطلال بنا القول . وأما نعمد إلى غرضه وإلى حججه
وشبهه ونستقصي ذكرها بمبارتنا غالباً ، وقد نبقى على عبارات التي انقضت نفسها
أحياناً ونحن أيضاً لن نلتزم إبطال كل ما في كلامه من الباطل كالتهاويل والأخطاء
التاريخية أو اللغوية وكسوء الأدب الذي يتناول به علماء الإسلام واللاهوت وكل ما لا
يتصل بالموضوع الذي نحن بصدده فإن القيام بذلك كله يحتاج إلى مجلدات ضخمة
والى زمن قد يكون طويلاً ، وأخطاء هذا الرجل أقل عندنا من أن نضيع لها وقتاً
طويلاً ولكن النقض عليه في الصميم يفى عن ذلك كله وإذا ما هتفنا إليه البناء الذي
أدس كتابه عليه أغنانا عن أن نمدل على كل ما في كتابه من خطأ وضلال مبين

مقدمة الكتاب الثانية

هذه المقدمة هي أول شروع الكتاب في الموضوع وقد ذكر فيها أموراً :
الامر الاول :

ذكر أن الأحكام الشرعية منها ضروري ومنها نظري . أي منها ما لا يحتاج إلى الاجتهاد لوضوحه ، ومنها ما يحتاج إلى ذلك لحفائه . وذكر أن منكر الضروري كافر . وأن منكر النظري الاجتهادي لا يكفر ولا يفسق بل هو معذور مأجور لا يجوز معارضته ولا معانته . وذكر من مثل القسم الاول وجوب الصلاة والزكاة وتحريم الكذب والزنى . وذكر من مثل القسم الثاني حكم البناء على القبور وحكم شرب الدخان والتبرك بقبر الرسول وتقبيله وشد الرحال إليه والاختلاف في خلق أفعال العباد ورؤية الله والكلام النفسي وهل صفات الله عين ذاته وهل الامامة بالنص أو باختيار الأمة . هذا ما ذكره في هذا الأمر . ونحن نقول إن في هذا الكلام ما أخذ :

(أولاً)

لا ريب أن الأحكام الشرعية منها ضروري ومنها نظري ولكن الشأن كله في معرفة الضروري من النظري وتمييز أحدهما من الثاني . . ولا مبالاة أن ذلك قد يخفى . وإن الناس قد يختلفون فيه . فقد يرى عالم أن أمراً معيناً ضروري ثم يراه عالم آخر نظرياً اجتهادياً . وقد يكون أهل جهة من الجهات يرون أشياء نظرية يراها غيرهم من أهل الجهات الأخرى ضرورية فيختلف الناس في الحكم على الأمر الواحد نظراً إلى هذا الاختلاف . ولا مبالاة أن المسلمين إذا

ما أخرجنا من بينهم الشيعة يصفون إيمان أبي بكر وعمر وحفصة وعائشة وكتاب
الانصار والمهاجرين أمراً ضرورياً لا يحتاج أحداً منهم الشك فيه ، ولكن الشيعة
ينكرون هذا الأمر الضروري وينكرون إيمان أبي بكر وعمر وفضلاء الصحابة
ويعصرون على الكفارم والقدح فيهم وعلى أنهم مرتدون منافقون . فالشيعة على
حكم هذه القاعدة اثبتوا ذكرها هذا الشيعة ورضيها كفار مارقون ، لانهم
نازعوا في أمر ضروري من الدين

ولا ممارسة أيضاً في أن المسلمين مأكلاً الرافضة يعلمون علماً ضرورياً أن ادعاء
الشيعة عصية أئمتهم وادعاءهم تلقيهم العلوم عنهم ووجود الامام المنتظر في السرداب
ادعاء كاذب بالضرورة الدينية . فالشيعة على هذا كفار مارقون لانهم خالفوا
أمرأ ضرورياً . ثم هم يزعمون أن هناك قسماً من القرآن الكريم نزل في حق علي
وولده وفيه الوصاة بالخلافة له ولبن يدعونهم أئمتهم قد حذفه الصحابة وكتبوه
ليدعوا الأمر لأنفسهم وينتهبوا الخلافة من علي وولده كما فعل الخلفاء الثلاثة .
ويزعمون أن النسخة الكاملة من القرآن قد كتبها علي رضي الله عنه وهي موجودة
إلى اليوم في الأرض سوف يبرزها الامام المنتظر عند ما يخرج ويزعمون أيضاً أن
محمد المهدى ابن الحسن العسكري قد دخل في سرداب في « سر من رأي » منذ
أكثر من ألف عام وأنه خارج لاحتمال وآت بالنسخة الكاملة من القرآن . والمسلمون
جميعاً يرون أن هذه الدعاوى الرافضية كاذبة بالضرورة . ولا يعدون بطلان شيء
منها نظرياً البتة . فالشيعة مخالفون إذن في أمور ضرورية . فهم خارجون كما يقول
هذا الرافضي من الاسلام . وليس من ريب أننا نحن نعلم بالبداية الحاكمة أنه لم
يكن رسول الله ولا أحد من أصحابه ولا أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم من علماء
الأثر والحديث والفقهاء في الدين يصنعون ما تصنعه الشيعة ونظرائهم من المكوف

على الأحداث والانتقاع إليها والذبح والنذر لها والاستغاثة بأصحابها والتسبح بها وبأبوابها ونظير ذلك من منكر القول والفعل . ولا نشك في أن ذلك كله من البدع المحمودة على الاسلام حلالا شبهة فيه . ولا نرتاب أن من يدعو إلى ذلك أو يدعى جوازها إنما يدعو إلى أمر نعلم بطلانه ضرورة . وكذلك نعلم بداهة أن تشييد المشاهد على النحو الموجود اليوم في بلاد الشيعة « كالنجف وكر بلا » ومن يحاكمهم أمر مبتدع مخالف لروح الدين ونصوصه وإجماع العلماء ، مخالف لحكم العقل والمنطق ، وكذا نعلم أن الشيعة مخالفون في أمور ضرورية أخرى

وهذا الرجل ذكر ما ذكر هنا لأجل القدح في النجديين والقدح في دينهم . ذلك ليقول أن البناء على القبور والطواف بها ودعاء المقبورين على النحو الذي يدعو إليه ، ليس من ضرورات الدين ولا يعلم بطلانه إذا افترض بطلانه بالضرورة ، وإذن فالدين ينهون عنه ويعانمون فيه غاطلون آمنون

ولكن ما ذكر إذا صح هو رد عليه كما رأيت وليس فيه شيء يتوقف عليه النقض على الوهابيين كما زعم بل هو نقض عليه وعلى شيعته

(ثانيا)

قوله : أن منكر غير الضروري لا يمانع ولا يعارض ، لا يصح على وجه الإطلاق فإن علماء الاسلام في كل مكان وزمان ما زالوا يعارض بعضهم بعضا ويعانم بعضهم بعضا في مسائل غير ضرورية ، بل ويرد بعضهم على بعض ويضعون في ذلك الكتب والمجلدات وتنشأ بينهم المعارك القولية والمساجلات القلمية ، وقد يكون في ذلك نوع من الشدة غير يسير ، وقد يكون فيه شيء من الجرح والايلام وأكثر من إثارة الجدل والنزاع عند علماء الاسلام قد كان في ما لا يمدح هذا الرجل

ضرورياً وأهل السنة وأهل الحديث ينكرون على الشيعة انكاراً شديداً لاهوادة فيه انكارهم صفات الله السمعية وينكرون عليهم انكارهم رؤية الله وزعمهم أن العباد خالقون لأفعالهم وإنكارهم أن يكون الله خالقهم وينكرون عليهم استحلال منعة النساء وإنكارهم المسح على الخفين وإنكارهم غسل الرجلين وجمعهم بين الصلاتين . وينكرون عليهم جميع ما اختصوا به من الأمور التي يزعم هذا الرافضي أنها ليست ضرورية وليس منكرها كافراً

بل المسلمون كاهم ينكرون على الشيعة ومن طابقها هذه الأمور ويشهدون في الانكار ويمدّونهم لأجلها ضللاً يستحقون القوم والتخريب . وقد صنفوا في الرد على الشيعة كتباً وما زالوا كذلك . وهل هذا الرجل في مقاله هذه صادق أم هل يعمل بها ؟ كلا . فان طائفة الشيعة ينكرون على أهل السنة تحريمهم هذه الأمور الشيعة ويعمدون أهل السنة لأجل ذلك ضللاً يستحلون لأجله لعنهم ومعاداتهم . وفي كتب القوم الوعيد الشديد والألم العنيف لمن ينكر منعة النساء أو يستحل غسل الرجلين أو يجيز المسح على الخفين . وهذه الأمور كلها نظرية في زعم هذا الرافضي .

وكيف يصدق في مقاله ان منكر النظرى لا يمارض ولا يعالج ولا يفسق ، ولدى الشيعة أن من لم يؤمن بالامام المنتظر ومن لم يعترف بالمصمة له ويعترف بوجوده عيرت ميتة جاهلية كما يقولون في كتبهم المطبوعة ، إلا أن يدعى أن ذلك كله ضرورى وحينئذ يصير الى ا كفار المسلمين ، لأنهم ينكرون هذه الأمور ، وحينئذ يقع في الأمر الذى اتهم به أهل السنة من أهل نجد وغور وأنجد في ذمهم لأجله . ثم لندع هذا كله جانبا ولنبتل قوله هذا بكتابه الذى بين أيدينا . فانه في هذا الكتاب قد رد على النجديين في أمور لا يستطيع هو مطلقاً أن يزعم أنها ضرورية ولا يستطيع أن يمارى في كونها نظرية . ولا يمكن مهما أمرف في

خروب الابتداء والفلو أن يدهى أن جواز الاستغناء بالأموات والمكوف على القبور وشد الرحال إليها أمر ضرورى يكون المخالف فيه كافراً . فلا ريب أنه يعمد هذه الأمور التي ادعى الرد على النجديين بها أموراً نظرية فإذا ما كانت كذلك وكان زعمه أن منكر للنظري لا يمارض ولا يمانع ولا يفسق صحيحاً ، فلماذا مارض أهل السنة من أهل نجد في هذه الأمور النظرية ، ولماذا غدا وراح في إبدائهم ؟ ولماذا حرص على تأليب المسلمين عليهم وحرص على أن يبغضها شعواء وهو لا يراهم غلطوا إلا في أشياء نظرية اجتهادية وهو يسلم أن المجتهد في النظري يثاب وإن أخطأ ؟ لا ريب أن الرجل مخطئ . في تأليف هذا الكتاب أو في مقاله هذا أو في الأمرين معاً . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور

على أننا ندلل هذا الشيعي ونأفيه من طريق لا يمارى فيها وذلك أن نقول إما أن تجوز معارضة المخالف في النظري وممانعته أو لا تجوز ذلك فإن قال بالجواز بطل قوله هذا . وإن قال بالامتناع صار إلى أمر كبير وهو أن كل متنازعين إما أن يكون نزاعهما في أمر نظري وإما في أمر ضرورى . فإن كان في الأول كان أحدهما عاصياً فاسقاً . وذلك لأن المعارضة والمنازعة لا تجوز في النظريات كما يذكر هذا الرجل ، وإن كان النزاع في أمر ضرورى كان أحدهما كافراً ولا عمالة . لأنه خالف في الضرورى والخلاف فيه كفر كما ذكر ، فالنزاع بين المسلمين لا يجوز البته سواء أكان في ضرورى أم في نظري وهذا باطل بالضرورة والاجماع . وهو لا يرضاه أحد وهذا ما يقضى به كلام هذا الرافضى

ولا ندري علم الله لماذا لا تجوز المعارضة في النظري ؟ وهل يكشف الصواب إلا المعارضة ؟ وهل تسمو المدارك إلا بذلك وهل تزدهر العلوم على اختلافها إلا بالبحث والنزاع والممانعة ؟ وهل إذا ارتكب مسلم أو إنسان ما ذنباً من الذنوب أو خطأ من الأخطاء أدعه على ذنبه وخطئه لأن ما فعله ليس من الأمور الضرورية

وأنا أعلم أنه غلط وأنه بعيد عن الصواب ؟ ان الناس كلهم لا يقرّون هذا القول
 لا في أمور دينهم ولا في أمور دنياهم
 ويريد هذا الزائف أن يصل بقوله هذا هو وشيئته الى الفساد الكبير ولا
 يتعرض لهم أهل الحق ، لأنه يزعم أن أغلب منكرات الشيعة ليست معلومة البطلان
 بالضرورة . فلمهم أن يسبوا صحابة رسول الله ﷺ ويكفروهم ويستحلوا متعة
 النساء وكل ما سمعت من عقائد الموحدة . ولا يجوز للمسلمين نزاعهم وجدالهم
 لأنه نظري والمنازعة في النظري لا تجوز بل كل معذور مأجور . فالشيعة معذورة
 مأجورة في اكفارها الصحابة وفي ثلبها المسلمين ، وهذا هو الفساد الكبير
 والقول الزور

(ثالثا)

تذهب الشيعة تبعاً للمعتزلة الى انكار رؤية الله يوم القيامة وإنكار صفاته
 وإنكار أن يكون خالقاً أفعال العباد لشبهات باطلة معلومة . وقد أجمع العلماء من
 أهل الحديث والسنة والاثار كالأئمة الأربعة على الايمان بذلك كله ليس بينهم
 خلاف في أن الله خالق كل شيء حتى العباد وأفعالهم ولا في رؤية الله يوم القيامة
 ولا الايمان بصفاته التي جاءت بها النصوص الثابتة ، والنصوص في الكتاب والسنة
 على هذه الأمور لا تحصى

وهذا الرجل جاء بذكر هذه الأمور عرضاً ليست من موضوع كتابه وإلا
 لكتبتنا عليها كتاباً منسوبة . والشبهات التي أنكروا ذلك لأجلها شبهات واهية
 ردها عليهم أهل السنة حديثاً وقديماً

ومن عجب أن تنكر الشيعة ذلك خوف التشبيه وهم كما تقدم يقولون بالحلول
 بالتشبيه المبرح وبتأليه البشر ووصف الله بصفات النقص . وأهل السنة يمدون

الشيعة والمعتزلة مبتدعين غير مهتدين في جحدم هذه الصفات
وقوله « ان الامامة بالنص أو باختيار الأمة » تقول عليه ان الشيعة ترى أن
الامامة بالنص وأنه تد نص على خلافة علي رضي الله عنه وخلافة أئمتهم فصلاً جلياً
واضحاً ولكن الصحابة لعداوة على وذريته وطعنهم في الرئاسة والمالك جحدوا ذلك
النص وحرفوه ليولوا أبا بكر وعمر وعثمان . والشيعة تكفر الصحابة أو تفسقهم
فذلك ، بل قد يكفرون من ينكر ذلك النص من بعد الصحابة . وصاحب هذا
الكتاب لقلته إناصافه ومخادعته أهل السنة يدعي أن هذه المسألة من المسائل النظرية
التي لا يضل بها أحد ولا يفسق بل ولا يمارض أو يمانع ، ومذهب الشيعة قائم على
هذه المسألة والدعوة اليها ، ولا تشك الشيعة في أن من أنكر النص على خلافة علي
وولده فهو ظالم فاسق ، فما ذكره هنا كله مخادعة وتضليل ..
وأما التبرك بقبر الرسول وتقبيله وشبه الرحال اليه فسوف يجيء الكلام فيه
وكذلك لعله يجيء على شرب الدخان

الامر الثاني

قال فيه ما معناه . « إن القرآن كلام الله وهو يقينى السند ولكن منه المجمل
والمتشابه والمنسوخ والمطلق والمجاز والعام والخاص . ولوجود هذه الأمور فيه
استطاعت كل فرقة حتى الضالة المبطلة أن تحتج لأقوالها الباطلة به ، حتى
الوهابيون استدلوا على عقيدتهم بقوله « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقوله : « قل
لله الشفاعة جميعاً » . وغيرهم استدل به أيضاً ، كما سوف تجيء أدلتهم »
هذا خلاصة الأمر الثاني في مقدمته الثانية

ونحن نقول :

(أولاً)

ان الشيعة لا تقول هذه المقالة ولا تعتقد هذه العقيدة ، بل تقول أن القرآن قد زيد فيه وحرف كما تقدم ذلك في كلام ابن حزم وغيره وقد قال : « ومن قول الامامية قديماً وحديثاً ان القرآن مبدل ، زيد فيه ما ليس منه ونقص كثير منه وبدل منه كثير . . . »

ولعلمهم يعنون بالآيات المزيمة الآيات التي فيها الثناء على الصحابة كافة ، والتي فيها الثناء على أبي بكر أو عمر أو عائشة خاصة . . . لأنهم يقدحون في الصحابة ويستقنون بضعة رجال . . . والآيات المثنية على الصحابة تناقض قولهم هذا كل المناقضة فهم في حاجة الى تكذيبها . فقول هذا الرافضى كذب وخداع

(ثانياً)

هم وان صدقوا بأن كل ما في المصحف كلام الله لا يصدقون بأنه كل كلام الله بل يرون بأنه بعض كلام الله . وان هنالك آيات نزلت في الثناء على علي وولده جعدها الصحابة النواصب المنافقون وحذفوها من المصحف عمداً وذلك قد سلف وقد ألف بعض علماء الشيعة كتاباً سماه « اثبات تحريف كلام رب الارباب » وهذا الكتاب قد طبع في ايران . وفي كتاب « الوشيعه » : « القول بتحريف القرآن الكريم باسقاط كلمات وآيات قد نزلت وبغير ترتيب الكلمات والآيات أجمع عليه كتب الشيعة . وأخبار التحريف مثل أخبار الامامة متواترة عند الشيعة . من رد أخبار التحريف أو أولها يلزم عليه رد أخبار الامامة والولاية . وللأئمة مثل مبقر والصادق في تحريف الكتاب الكريم إيمان بالغة ، ولهم في تكذيب ما ثبت في القرآن الكريم والمصاحف على التواتر كلمات شديدة ، والأحرف السبعة والوجوه المعرية قد أتت في القرآن الكريم متواترة عن الأمة كافة في القرون كافة : ويقول

فيها الصادق كذبوا على الله أعداء الله لكن القرءان نزل على حرف واحد من عند الله الواحد، ويروى الكافي^(١) عن الصادق أن القرآن الذي نزل به جبريل على محمد سبعة آلاف آية واللقى بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون والبواقي مخزونة عند أهل البيت فيما جمعه على . ويروى الكافي أن القائم يخرج المصحف الذي كتبه على وأن المصحف غلب بشيعة الامام
فهمذا الكلام من هذا الشيعي خداع فاضح

(ثالثا)

زعمه أن كل مبطل يمكنه الاحتجاج بالقرءان على صحة ما ذهب اليه زعم كاذب قبيح ، وهو من أشد المطاعن في القرءان . فانه اذا كان ذلك كذلك لم يكن القرآن هدى وشفاء لما في الصدور ولم يكن في نزوله رحمة للعالمين بل ولم يكن فيه فائدة مطلقاً بل يكون قمة وزيادة في الفتن والضلال والمهرج والمرج . وأية فائدة في كتاب تكون فيه الدلائل على كل شيء حتى على الكفر والنفاق والضلالات جهيماً ١٩ وهل يقال في مثل هذا الكتاب انه هدى وانه شفاء وانه نور وبيان وانه الصراط المستقيم وانه آية الله الكبرى وحبّة الله على العالمين ؟ ولماذا يؤمر بالرد اليه عند التنازع اذا كان فيه كل شيء وقد قال الله تعالى « وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ولكن الشيعة لا تعنى بالقرءان ولا بما فيه وليست له قيمة في صدور القوم وفي كتاب (الوشيعة) : « لم أر بين علماء الشيعة ولا بين أولاد الشيعة لافي العراق ولا في إيران من يحفظ القرآن ولا من يقيم القرآن بهض الاقامة بلسانه ولا من يعرف وجوه القرآن الادائية »

(١) الكافي أسد كتب الشيعة الأربعة المعتمدة

وذلك لأنهم يرون أن هذا المصحف الموجود محرف فهم لا يعتمدون عليه ولا يرون فيه الهدى المبين . وإذا كان هذا الشيعى صادقاً في قوله إن القرآن حجة لكل مبطل وصاحب حق فهل يستطيع أن يأتي بآية واحدة تعد دليلاً له ولاخوانه على قدحهم في صحابة رسول الله ﷺ وإكفارهم إياهم وتخصيصهم بأشد ذلك أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة ؟ وهل يستطيع أن يأتينا بحرف واحد يعارض قول الله في الصحابة « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » وقوله « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين أتبعوه في ساعة العسرة » وقوله « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيأمن في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في الثوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستناظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » . وغير ذلك من الآيات المثنية على الصحابة عموماً ؟ أم هل يستطيع أن يجيء بحرف واحد من القرآن يدل على قول الشيعة بتناسخ الارواح وحلول الله في أشخاص أئمتهم وقولهم بالرجمة وعصمة الأئمة وتقديم على أبى بكر وعمر وعثمان أو يدل على وجود علي في السحاب وأن البرق تبسمه والرعد صوته كما تقول الشيعة الامامية ؟ أم هل يقدر على الاتيان بحرف واحد من القرآن يدل على جواز دعوة الأموات والذبح والندب لهم والمكوف على الأجداث والتمسح بها والتقبيل لها الى غير ذلك مما تأتية الشيعة عند قبور آل البيت وسائر المشاهد ؟

ليس من ريب أنه لا يستطيع أن يدعى القدرة على الاتيان بشيء من ذلك إلا أن يلجأ الى التأويل والتعريف ويصير الى المحالات

وأما ما ذكره من استدلال الوهابيين واستدلال غيرهم ممأً بالقرآن وأن الطائفتين استطاعتا الاحتجاج على دعواهما به ، فترجى القول فيه الى مواضعه

الخاصة به الآتية . وسوف يرى هو وغيره أنه لم يكن صادقا ولا راشداً في دعواه هذه

وأما ما زعمه هذا الرجل وغيره من أصحاب الاهواء من أن القرآن يدل على رؤية الله يوم القيامة بقوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » . وعلى ضدها بقوله تعالى « لا تدركه الأبصار » . وعلى الجبر بقوله تعالى « وخلق كل شيء » وقوله « قل كل من عند الله » إلى آيات في ذلك كثيرة . وعلى ضد الجبر بقوله « وما الله يريد ظلاماً للعباد » وقوله « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » إلى غير ذلك . وعلى التجسيم بقوله « بل يدها مبسوطتان » وقوله « تجري بأعيننا » إلى نظائر ذلك . وعلى ضده بقوله « ليس كمثل شيء » . إلى آخر المثل التي يدلون بها في هذا المقام . فليس كتابنا هذا موضوعاً للجواب عن مثل ذلك فتوسع فيه ولكن لما كان كتاب هذا الرجل قد وضع لإيراد الشبهات على القرآن وعلى عقائد الاسلام اليقينية فلا مانع من أن ننبه إلى غلط القائلين بذلك بذكر جواب وجيز عما ذكرناه هنا ليكون جواباً يحتذى مما لم نذكر . . فنقول :

أما مسألة الرؤية فالآيتان فيها لا تتعارضان البتة وكل واحدة منهما واردة في جهة كما هو واضح من اللفظ نفسه . فان قوله « إلى ربها ناظرة » صريحة في رؤية الله يوم القيامة وقوله « لا تدركه الأبصار » صريحة في نفى إدراك الأبصار إياه ، ومعلوم أن الإدراك أخص من مطلق الرؤية ولا يدل نفى الأخص على نفى الأعم بالضرورة البينة . فقد يصدق أن تقول رأيت الشمس ولا يصدق أن تقول أدركت الشمس أو أدركت الشمس ببصري وذلك لاختلاف الإدراك والرؤية معنى . والذين ينفون رؤية الله يوم القيامة ينفونها بحجة العقل كما يدعون وكما يؤخذ من كلامهم ولا يحتاجون بالآية . ولكنهم يزجون بها هنا زجاً ترشيعاً لدعواهم المتزعة مما يدعونه العقل وعلى كل حال لا يصح لدع أن يدعى أن الآيتين تتعارضان حتى

يفكر الحجة التي لا تدفع على أن الإدراك والرؤية يتفقان معنى . وبغير ذلك لا يصح الادعاء . . هذا عن الرؤية

وأما الجبر وضده فنقول : أن قوله تعالى « وخلق كل شيء » وقوله « كل من عند الله » . لا يناهيان قوله « وما الله يريد ظلاماً للعباد » وقوله « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » فإن معنى الآيتين الأوليين أن الله هو الخالق لكل شيء المسبب لكل شيء يصيب الإنسان من خير وشر . وليس في هذا المعنى ما يناهى كون الله لا يظلم الناس ولا يريد بهم إلا اليسر . بل قد يكون خلقه لكل شيء من إرادة التيسير لا التعسير . ولكن قوماً قد يرون بمقولهم أنه إذا كان الله خالق كل شيء وخالق أعمال العباد كان من الظلم المبين عندهم ومن إرادة التعسير عليهم أن يؤاخذهم عليها وأن يهذبهم لأجل الأعمال التي خلقها الله . لأن ذلك عندهم تكليف على عمل لم يجنبوه . فيذهبون لأجل ذلك يتعللون بالآيات احتجاجاً واعتماداً والآيات لا دليل فيها لولا الشبهات المأخوذة من المقولات . فالتعارض ليس بين الآيات نفسها ولكنه بين الآيات وما يزعمونه مقولات . هذا عن الجبر وضده

وأما التجسيم وضده فنقول : الآيات التي ذكروها في باب التجسيم إما أن تكون دالة على ذلك أم لا

فإن كانت دالة على التجسيم لم يكن ذلك منافياً لقوله ليس كمثل شيء بالبداهة اللغوية . فأنك تقول فلان ليس كمثل فلان وتقول فقط ليس كمثل الـ شيء ونحو ذلك ولا تريد أن أحدهما غير جسم وأنه مخالف للآخر من هذه الجهة . وأما أن كان الثاني أي بأن كانت الآيات غير دالة على التجسيم بطل الاحتجاج وخرجت المسألة من أن تكون من مثل هذا الموضوع . وعلى كل الافتراضات لم يبق بين الآيات في ذلك تعارض

وليعلم القارىء أننا لسنا هنا بصدد بيان هذه المسائل بياناً كافياً وإنما الفرض
إبطال زعم هذا الرافضى أن بين آيات الكتاب العزيز تعارضاً واختلافاً يعرر معه
تمييز الحق من الباطل . . . وليقتبس على هذه المثل باقيةا بما لم نذكره
وهذا المؤلف الرافضى أتى بهذه المسألة فى مقدمات كتابه ليدعى أن ما ذكره
الوهابيون من الدلائل فى هذه المسائل هى ظواهر من القرآن مؤولة غير معمول بها
وكل أحد يستطيع الاتيان بالظواهر وليس فى ذلك برهان على صدق الدعوى ولا
دليل على وجوب اتباع من جاء بذلك . ولكن سيزى القارىء قيمة كلام هذا الرجل
عند عرضنا الدلائل عرضاً بسيطاً وبيان

الامر الثالث

قال فيه « السنة قول المصوم أو فعله أو تقريره وشرط الاحتجاج بالفعل ظهور
الوجه فلا فعل المصوم شيئاً وجعل وجهه علم عدم تحريره مع ترذده بين الوجوب
والندب والكراهة ولم يثبت واحد منها . ولا تثبت السنة لنا الا بالخبر المتواتر وهو
إخبار جماعة كثيرة يتمتع عند العقل تواطؤهم على الكذب أو المحفوف بقرائن
توجب القطع بصدوره . ولا يثبت بخبر الفاسق ولا بمجهول الحال لعدم افادته العلم
وعدم الدليل على حجتيه بل الدليل قائم على عدمها من قوله تعالى « ان جاءكم فاسق
بنيأ فتبينوا » والنهى عن اتباع الظن

أما خير الثقة المدلل مع عدم افادته العلم فقد اختلف فى حجتيه فمنها قوم
لاصالة عدم جعية الظن وأثبتها آخرون واستدلوا بأدلة مذكورة فى الأصول
وابتات عدالة من بعد عنا زمانهم من أصعب الأمور لا تحضار الأمر فى علمنا
بها فى اخبار الغير . وهو مفقود غالباً الا من اخبار البعض المستند على الظنون
والاجتهادات التى تخطئ كثيراً لا على الممارسة والمعايشة مع اختلاف الآراء فيما

يوجب الجرح وما لا يوجبهِ ولذلك وقع الاختلاف كثيراً في الجرح والتعديل فما عدله واحد جرحه آخر والقاعدة أن الجرح مقدم على التعديل لجواز اطلاع الجارح على ما لم يطلع عليه المعدل . فعلم من هذا أن التسرع إلى القول بمضمون الخبر بمجرد وجوده في أحد كتب الحديث أو بمجرد قول واحد أنه صحيح وتخطئة الخبر بذلك فضلاً عن الحكم بكفره أو شركه خطأ محض . ويشترط لجواز العمل بالخبر عدم مخالفته لدليل قطعي من إجماع المسلمين وسيرتهم أو نص القرآن أو نص خبر آخر متواتر بل وعدم مخالفته للمشهور بين علماء المسلمين مع كونه بمراى منهم ومسمع وعدم معارضته بدليل أقوى منه . والخبر فيه الأقسام السابقة في الكتاب كلها وما يحتاج به من الكتاب من تلك الأقسام يحتاج به من الخبر وما لا فلا . ويشترط في العمل بالخبر ما اشترط في العمل بالكتاب مما مر في الأمر الثاني

وبسبب وجود هذه الأقسام في الخبر أمكن لكل ذى قول حق أو باطل الاستناد إلى ظاهر رواية حتى أن البابية يحتجون على ضلالتهم بخبر أن المهدي يأتي بأمر جديد وقرآن جديد . وأتباع القادياني يحتجون على ضلالتهم بخبر لامهدي إلا عيسى . انتهى

وفي هذا الكلام ما يأتي :

(أولاً)

يقول : السنة قول المعصوم ولم يقل قول الرسول عليه الصلاة والسلام . والذي يجهل مذاهب الرافضة وهذا الرجل منهم يحسب أن هذه العبارة لا بأس بها إذ يحسب أنه يعنى بالمعصوم رسول الله ﷺ إذ لا معصوم غير الأنبياء عند المسلمين ، ولكن الشيعة تقول إن الأئمة - أى أئمتهم - معصومون كالأنبياء أو أكثر ولا يخلو زمان عندهم من إمام معصوم يتلقى منه الهدى والدين . وهذا الرجل نفسه ذكر

(٧٧)

هذا في كتابه ص ٩٦ إذ قال « أولوجود معصوم بينهم بناء على عدم خلو العصر من معصوم كما يقوله أصحابنا - أى الشيعة - وهو رئيس أهل الحل والعقد » وهذا أمر لا نزاع في وجوده عند طائفة الشيعة وهم يمتدنون به بل ويفخرون فالسنة عندهم غير السنة عند سائر المسلمين ، فهي عندهم الروايات المكنوبة في كتبهم التي يزعمون أنهم تلقوها عن أئمتهم المعصومين إما بطريق الكشف والالهام أو بطريق الرقاع التي يزعمون أنهم يضمونها في مكان معلوم فيكتب فيها الامام المنتظر المختفي في جهة من الأرض ما يسألونه عنه . أما السنة عند المسلمين فهي أقوال النبي الكريم محمد بن عبد الله ﷺ وتقريراته وأفعاله . وللإختلاف بين أهل السنة والشيعة في هذا الموضوع لا تمتنع الشيعة بأحاديث رسول الله ﷺ التي يرويها أهل السنة

فما ذكره هذا الرجل تضليل فاضح

(ثانياً)

قوله « ولو فعل المعصوم شيئاً وجهل وجهه علم عدم تحريره مع ترده بين الوجوب والندب والكراهة ولم يثبت واحد منها » إن كان يريد بالمعصوم الرسول كان قوله هذا خطأ ، فإن الذي يفعله الرسول بالصفة المذكورة يدور بين الوجوب والندب والجواز إذا لم يبين واحد منها ، ويثبت أقل ذلك وهو الجواز والعلم بأنه ليس محرماً ولا مكرهاً ولو كان محرماً أو مكرهاً لما أقدم على عمله رسول الله ﷺ فإن أعمال الرسول تدور على الوجوب والندب والجواز ، ولا تدور على المكروه كما لا تدور على المحرم فإن فعل المكروه لا يليق برسول كريم من رسل الله الكرام إلا أن يكون ذلك على وجه الزلة الصغيرة التي لا ينجو منها البشر والتي يبادر إلى التوبة منها . ولأسنا في هذا

ومع ادعاء هذا الرافض أن فعل الرسول يتردد بين الوجوب والتنب والكره
يدعى في ص ٩٢ من كتابه أن فاعل المكروه ملعون في الشرع . و ذكر مثال ذلك
لمن الحلل والحلل له . ومن بين قولي هذين يخلص أن الرسول الكريم قد يفعل
ما يستوجب به لعنة الله ، بل إن فعله دائماً يتردد بين الوجوب وبين التنب وبين
ما يستحق أن يلعن عليه ، وهذا من أعظم التنقص لرسول الله ﷺ ، وصاحب
هذا القول هو الذي يتهم السلفيين بتنقص الرسول وأولياء الله إذ قالوا لا يستغاث
بالأموات ، إنما يستغاث بالله وحده

وأما أن كان هذا الرافض يريد بالمعصوم غير الرسول كأئمتهم كان هذا
القول خطأ أيضاً . فإن المعصوم لا يفعل ما يستوجب به اللعنة وإلا لما كان معصوماً
وقد فرضناه معصوماً ، هذا تناقض

على أن أفعال الرسول فيها تفصيل طويل في علم الأصول ، فإن ما يفعله
ويكثر من فعله ويواظب عليه مما يراد به العبادة وما يدخل في معنى الدين لا يمكن
أن يقال فيه أنه يتردد بين الوجوب والتنب والجواز فضلاً عن الكراهة بل لا بد
أن يكون هذا النوع واجباً أو مستحباً على الأقل فإن أفعال الرسول مما هو عبادة
محصول على التقرب إلى الله وعلى ما يراد به ثوابه ورضاه . ولا يتقرب إلى الله إلا
بالواجبات والمستحبات ولا يتقرب إليه بالجائزات فضلاً عن المكروهات ، ولكن
أفعال الرسول التي تحمل على الجواز لا غير إذا لم يعمين غير ذلك هي الأفعال التي
تدخل في معنى العادة والشتون الدنيوية مما اعتاد الناس أن يفعلوه ، أو الأفعال التي
تكون في مقابلة التحريم والمنع

فأقول هذا الرافض ظلمات فوق ظلمات والعياذ بالله

(ثالثاً)

قوله « أما خبر الثقة العدل فمع عدم إفادته العلم فقد اختلف في حجتيه »
 نقول : ذهب أكثر علماء الكلام والجدل الى أن خبر الواحد لا يفيد اليقين
 ولا العلم أبداً بل لا يفيد سوى الظن والترجيح وذهبت طوائف من علماء الحديث
 والأخبار الى أنه قد يفيد ذلك ، واحتجت الطائفتان بحجج كثيرة ليس هذا
 موضعها

ولا ريب أن من قال ان خبر الواحد لا يفيد العلم مطلقاً غلطاً غلطاً بيئاً . كما أن
 من قال بأن خبر الواحد يفيد ذلك دائماً غلط كذلك . واكتننا لا نرتاب في
 أن خبر الواحد قد يفيد العلم بل واليقين أحياناً . ولا شك في صحة هذا وصدقه .
 وأحيل كل قاريء الى نفسه يجد ما أقول صحيحاً في كثير مما يسمعه . فلقد يخبرك
 بعض الناس خبراً لا تجد في نفسك أقل شك في صدقه وثبوته ولا تجد مناصاً
 لا في زوايا نفسك ولا في زوايا عقلك من الاعتراف بصحة ذلك الخبر ، وكل
 أحد فيما أعلم يجد ذلك أحياناً في نفسه ، ومن رد هذا فقد كابر الحق وجعل
 أسرار النفوس

وقد قام بيني وبين عالم كبير من العلماء المصريين القديين يقولون ان خبر الواحد
 لا يفيد العلم جدال في ذلك : قلت له هبك كنت معاصراً لأبي بكر الصديق
 أو عمر الفاروق أو عثمان أو علي كرم الله وجهه أو أحد كبار الأنصار والمهاجرين
 فحدثك أبو بكر أو عمر أو عثمان أو أحد هؤلاء أن رسول الله ﷺ الساعة هذه
 قد صعد المنبر فوعظ الناس موعظة بليغة أسالت الدموع ودعت الخشية حتى سمعنا
 للبكاء والغيول . . فهل ترتاب في هذا الخبر أو هل تشك في إفادته العلم . فقال لا
 أرتاب في ذلك . فقلت له هبك كنت معاصراً للإمام أحمد بن حنبل رجل الورع
 أو الامام الشافعي عالم قريش أو الامام مالك امام دار الهجرة أو فيهم من

الائمة الموسومين : التقوى والصدق والامانة فحدثك أحدهم حديثاً قال لك انه سمعه الساعة هذه من الحديث فلان . أو شهد أمام القاضى على شخص لمصلحة شخص آخر فهل ترتاب في هذا الخبر ؟ فقال كلا . قلت له : إذن خبر الواحد قد يفيد العلم بل واليقين أحياناً كثيرة . فقال : نعم

وإذن لا يجوز أن نطلق القول اطلاقاً بأن خبر الواحد ظنى بل يجب أن نقول إن ذلك يختلف باختلاف القائل والسامع فقد يشك أحد الناس لليوم في أحاديث البخارى أو أحاديث غيره لشكه في صاحب الكتاب ورواة أحاديثه لقلة معرفته بهم وقلة معرفته مكاتبتهم من الرجاحة والصدق والعقل والحفظ لأنه لم يتجرد لمعرفة أخبارهم ودراسة سيرهم ، ولكن قوماً آخرين درسوا رجال هذه الأحاديث ودرسوا ما كانوا عليه من الامانة والرجاحة والايمان وواظبوا على ذلك كله حتى أتقنوه لا يشكون في ثبوت ما يروون وما يقولون ، وليس بجائز أن نصيب هؤلاء اذا وصلوا الى ما لم نصل اليه من أحوال الرجال وإنما نصيب القوم الذين جهلهم فلم يطعنوا الى أخبارهم فذهبوا يسمييون من عرف القوم فاطمأن الى أخبارهم ، وهؤلاء يقال لهم ادرسوا تعرفوا وتعذروا وتؤمنوا بأن خبر الواحد قد يفيد العلم

وما يقال هنا في رجال الحديث يقال مثله في رجال التاريخ والأدب والفلسفة وسائر العلوم ، فإن من شغل بدراسة أساطين التاريخ يعلم من حالهم ما لا يعلمه من شغل بدراسة رجال الأدب مثلاً ، ومن شغل بدراسة رجال الأدب عرف من حالهم ما لا يعرفه من شغل بدراسة رجال التاريخ ، وهكذا يقال في كل فن من الفنون ، فقد اتصل معرفة الرجل بالعالم من علماء التاريخ أو الأدب أو الفلسفة الى أن يؤمن ايماناً ثابتاً بأنه لا يكذب ولا ينشأ أبداً ، والى أن ما يرويه حق لا ريب فيه والى أن لا يقبل الشك في نقله وقوله وصدقه ، ورجال الحديث أولى وأجدر بالثقة والاطمئنان الى نقلهم من كل الطوائف ، فاتهم قد جمعوا من صفات الصدق

والصلاح والورع والحيلة لما يروون ما لم يتفق لطائفة من الطوائف المنسوبة للعلم . وقد بلغ الاحتياط بكثير منهم الى حد الوسوسة والامراف . وقد يردون حديث الرجل لأقل المقوات التي لا يبالها غيرهم من رجال التاريخ والفلسفة . وعلم الاسناد أى علم الرواية أى رواية الحديث النبوى وما يشترط له من الشروط لم يكن لأحد سوى رجال الحديث وعلمائه كما أنه من خصائص الأمة الاسلامية

على أن قول الرافضى هذا لا يؤمن هو به ولا طائفته ، وليس مما يوافق أصولهم . فان القوم يعتقدون فى أنهم العصمة أى العصمة من الكذب والغلط وكل ما يشين ويماب . وهم لا يشكون فيما يحدث به واحد من أنهم ولا يقولون إنه لا يفيد العلم بل يرون أن ما يحدث به واحد منهم يفيد أعلى درجات اليقين

ونحن نعلم بالضرورة أن الأئمة الاربعة وكبار علماء الحديث كالبخاري ومسلم ونظرائهم لا يقولون عن أئمة الشيعة صدقاً وحفظاً للرواية ونأيًا عن الغلط والغش وما يعيب النقل . وإن خالفت الشيعة فى ذلك فان أهل السنة كلهم يعملونه ولا يرتابون فيه . فما ذكره هذا الرافضى خلط وتضليل مقصود مع سبق الاصرار

وأما العمل بخبر الواحد الثقة فى الحالة التي لا يفيد فيها العلم فأهل السنة كلهم يعملون به ، بل نوشك أن نقول ان المسلمين كافة يعملون به فى الواقع . والذين يرفضون العمل به موضوعا يقبلون العمل به شكلا . وأعمالهم شاهدة على ما نقول . وما زال المسلمون يعملون بخبر الواحد فى كل المناسبات والوقائع . ومن شك فى ذلك فقد شك فى أمر جمع كل معانى التواتر . ومن ياب العمل به يلجأ الى العمل بالرأى الخطل المدخول ويتناقض فى آرائه ولا محالة ...

(رابعاً):

قوله وإثبات عدالة من بعد عنا زمانهم من أصعب الأمور قول ليس صحيحاً
فإن إثبات عدالة الماضين العدول ميسرة على من أراد أن يعرف فيبحث وقلب
ودرس ودارس . ومن ذا يصعب عليه إثبات عدالة كبار الصحابة من المهاجرين
والأنصار كأبي بكر وعمر والحسن والحسين والسعد بن معاذ وسعد
ابن عباد « والعبد بن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس » وأمهات المؤمنين؟؟
أم كيف يصعب إثبات عدالة أئمة الحديث والفقهاء أمثال أبي حنيفة والشافعي
وابن حنبل؟؟ ومن ذا لا يستطيع إثبات عدالة أئمة رجال المذاهب المشهورين؟؟
إن هذا كله سهل ميسور .. والمسلمون لا يشكون في عدالة أئمتهم وعلمائهم بما
تواتر لديهم من أخبارهم . وقد عني علماء الحديث بتراجم رجال الرواية عناية
فائقة لا يمكن أن يظفر بأفضل منها بحيث يستطيع الباحث أن يعرف الثقة العدل
من المتهم المريب بسرعة وسهولة . وقد سطوروا جزام الله عن الاسلام والعلم خير
الجزاء .. كل ما يمكن أن يكون شاهداً على عدالة الرجل وما يكون شاهداً
على ضعفه بقدر الطاقة والامكان ، وما تركوا من ذلك شيئاً معلوماً . وقد ينقلون
عن الرجل الأمور النافذة الصغيرة ، التي لا تمس عدالته ، حرصاً على الوصول الى
الواقع وإلى ما كان عليه الرجل . ولعل المعاصر لرجال الحديث لا يستطيع أن يلم
بتراجهم وما يحملونه من عدالة أو كذب إمام كتب التراجم أو الإمام من درس
هذه الكتب . وليس الشأن لمعرفة عدالة الرجل وضدها تقدمه عنا زماناً وتأخرنا
عنه . ولكن الشأن في ذلك لمعرفة سيرته وترجمة حياته . ولقد تعرف عدالة من
ذهب من مئات الاعوام ولا تعرف عدالة من يعيش معك ومن تراه صباح مساء
والعدالة وضدها أمران نفسيان قد لا يعرفهما المعاصر المعاصر وقد يعرفهما من تأخر

إذا جمع أطراف سيرة الرجل وقلبا وامتحنها ثم وازن ورجح
 أجل قد يصبح قول هذا الرجل في رجال الرافضة وخدم فانه يصيب عليهم
 حقا أن يعرفوا حال رجالهم ومكائنتهم من عدالة وضعف إلا إذا رجعوا الى كتب
 أهل السنة ، فان الشيعة ليست لها كتب تراجم يميزون بها المدلول من غيرهم ،
 والأحاديث الموجودة في كتبهم غالبيتها مختلق مكنوب لهذا السبب ولأسباب أخرى
 والرافضي يريد بقوله هذا القدر في السنة وفي الاحتجاج بالأخبار النبوية ،
 لأن القوم لا يعتمدون في دينهم على الأخبار النبوية الصحيحة ، وإنما يعتمدون على
 الرقاع المزورة المنسوبة كذبا الى الأئمة المعصومين في زعمهم وخدم . ولكنه يحور
 في الكلام لبسا على من لا يعرف حاله من أهل السنة

(خامسا)

قوله « فلم من هذا أن التسرع الى القول بمضمون الخبر بمجرد وجوده في
 أحد كتب الحديث أو بمجرد قول واحد انه صحيح وتخطئة الغير بذلك فضلا
 عن الحكم بكفره أو بشركه خطأ محض »

قول سوف يجيء البيان أن هذا الرجل لم يعمل بما قاله هنا ، وسوف يجيء
 استدلاله بالأحاديث المكنوبة باتفاق أهل الحديث فضلا عن الضعيفة والمنكرة
 والمجهولة وبالأحاديث التي لم ترد في كتاب من الكتب

ومن هؤلاء القوم الذين يتسرعون الى القول بالأخبار بمجرد وجودها في
 الكتب ١١ ومن هؤلاء القوم الذين يكفرون الناس ان خالفوا حديثا قال بعض
 الناس انه حديث صحيح ١١١ ومن هؤلاء الذين يمتنون بكلام هذا الرجل
 الشيعي ١١١

ان الجماعة التي يرد عليها بكلامه هذا تدعو الى أمر أطلقت عليه

آى الكتاب العزيز وأطبقت عليه السنة الصحيحة فى روايات يهز احصاؤها . وما كان منهم الاستغانة بالأموات ودعاءهم والنذر والذبح لهم اعتماداً على حديث أو أحاديث ، ولكنهم اعتمدوا فى ذلك على القرآن بجملته وعلى السنة ، وعلى العقل وعلى الضرورة الدينية ، وقد جاء القرآن بجملته ناهياً عن ذلك أشد النهى مندداً بمن فعله أعظم التنديد . وسوف ترى هذا . وقول هذا الرافضى يوم أننا نستدل على ذلك بأحاديث مقدوح فى أساسيتها وروايتها وقوله « وبسبب وجود هذه الأقسام فى الخبر أمكن لكل ذى قول حق أو باطل الاستناد على ظاهر رواية » قد تقدم الكلام على مثله فى الأمر الثانى (سادساً)

الحديثان اللذان ذكرهما هنا . الأول : وهو أن المهدي يأتى بأمر جديد وقرآن جديد ، حديث مكذوب لا أصل له ، وهو من الأخبار التى توافق معتقد الشيعة فى الامام المنتظر ، لأنه عندهم يأتى بأمر جديد وقرآن جديد وهو المصحف الكامل الذى كتبه على رضى الله عنه فى زعمهم . والحديث الثانى : وهو لامهدي إلا عيسى حديث ضعيف . وهذه حال أكثر أحاديث الرافضة ، ضعيف أو موضوع

الأمور الرابع

قال ما معناه « إن الأحاديث المتعارضة عن الرسول الكريم كثيرة وسبب التعارض أن يكون أحد الحديثين المتعارضين مكذوباً ، كذبه بعض الناس تقرباً الى أصحاب الدنيا طمعاً فيها . أو يكون سبب التعارض الخطأ فى فهم المعنى ، أو الاطلاع على المنسوخ دون الناسخ والعام دون الخاص والمطلق دون المقيّد . وعند وجود هذا النوع المتعارض يصار الى الترجيح . وسبيل الترجيح أن يعرض

الحديثان المتعارضان على القرآن وعلى الثابت من السنة . فوافق عمل به وما خالف طرح . ويعرض أيضا على الاجماع والسيرة المشهورة بين علماء المسلمين وما كان عليه الصحابة والتابعون . فالموافق حينئذ هو الصحيح . أو يرجح أحد الحديثين المتعارضين على الآخر برجاحة سنده أو بلاغة لفظه أو جودة نظمه « انتهى ونحن نقول : إن التعارض بين الاحاديث الصحيحة قليل جداً لا يقال انه كثير

نعم يوجد التعارض بين الاحاديث الضعيفة والمكذوبة كثيرا ، وعند من ليس لأحاديثهم كالشيعة أسانيد . والكذب حقا كثيرة في رجال الشيعة وأصحاب الاهواء طمعا في الدنيا وتزلفا الى أصحابها أو كيدا للدين والسنة وحنقا على أهلها ولكن علماء السنة كشفوا ذلك وأبانوه أتم البيان ، ومازوا الاحاديث الموضوعية والضعيفة من الصحيحة ، ووضعوا كتباً خاصة حشدوا فيها الاخبار المحتالة كما وضعوا كتباً خاصة بالرجال الضعفاء والمتهمين بالكذب والغش والخداع وكما وضعوا مثل ذلك في الاحاديث الصحيحة والرجال الثقات وممونها « الصحاح » وكتب « الثقات » ومن قدح فيهم من الرجال العدول : كل ذلك بأقصى ما يمكن أن يصل اليه الفكر البشرى والقرينة الانسانية من الجودة والاثقان والضبط ، وليس في رجال الحديث من أهل السنة من هو متهم بالوضع والكذب طمعا في الدنيا وازدلافا الى أهلها وانتصاراً للاهواء والعقائد المدخولة الباطلة

نعم قد يوجد بينهم من ساء حفظه أو من كثر نسيانه أو من اتخذ بالمذلسين الضعفاء . ولكن رجال التراجم والجرح والتعديل قد بينوا هذا النوع كله ، حتى انهم يقولون : هذا الرجل ضعيف فيما روى عن فلان فقط وفيما يريه عن أهل هذا البلد فقط ، ثقة في غير ذلك ، كما يقولون ان هذا الرجل كان حافظاً في أول عمره سيئ الحفظ في آخره . ويقولون إذا قال كذا فهو غير صحيح الحديث ، وإذا قال

كذا فهو صحيحه ، وأشباه ذلك من الضبط والحيلة المتقنة . وهذا الفن لا يوجد
لغير أهل السنة والحديث ، وهو من خصائص الامة الاسلامية . فانه لا يوجد
لغيرها أسانيد لما ترويه عن أنبيائها

وكلام هذا الرافضى فهم منه أن الكذابين المنافقين اختلطوا بالمدول الثقات
ومزجوا مزجاً لا يستطيع تمييز خبيثه من طيبه فلا يمكن التمييز بينهم . وأن
الاحاديث المكنوبة مزجت بالصحيحة مزجاً لا تستطيع معه معرفة أحدهما من
الآخر ، وأن معرفة الحق فيه عصية عسيرة وأن الواجب لأجل ذلك أن تلتبس
معرفة الصحيح والحق بالقرائن الخارجية . وهذا لا يصح في أحاديث أهل السنة
أهل الأسانيد وأهل الجرح والتعديل ، ولكنه يصح في أحاديث الشيعة ونظرائهم
من أهل الاهواء والبدع الذين قصارى أمر أحاديثهم أن تكون بلا إسناد ولا
رواية وان تستطيع الشيعة أن تعرف مكانة رجل من رجالها إلا إذا مارجعت الى
كتب أهل السنة والى بيانهم وتراجهم المعروفة بكتب الجرح والتعديل وكتب
قد الرجال

وأما قول هذا الرافضى إن من أسباب التعارض بين الأخبار الاطلاع
على المنسوخ والعام والمطلق ، دون الناسخ والخاص والمقيد ، فغلط فظيع
لا يقيم فيه إلا من لم تكن له يدان ولا يد واحدة في هذا الشأن ، ومن لم يعرف
قواعد أهل العلم واصطلاحاتهم . فانه اذا كان هنالك ناسخ ومنسوخ وخاص وعام
ومطلق ومقيد لم يقل ان هنالك تعارضاً : لا من اطلع على الخاص والعام والناسخ
والمنسوخ والمطلق والمقيد ولا من جهل ذلك . فان من اطلع على ذلك لم يكن لديه
تعارض البتة . بل كان عنده خاص وعام ومنسوخ وناسخه ومطلق ومقيد . ومن
جهل ذلك لم يكن هنالك تعارض عنده أيضاً ، فانه اذا عرف المنسوخ دون الناسخ
عمل بالمنسوخ ولم يعلم أن هنالك ناسخاً مثلاً . فلا تعارض البتة . ومثل الناسخ
والمنسوخ العام والخاص والمطلق والمقيد

مثل ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن زيارة القبور في أول الامر ثم أباح ذلك وقال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة » فمن اطعم على النهى عن الزيارة ولم يطلع على الناسخ المبيح لم يكن عنده تعارض مطلقا ، بل كانت الزيارة لديه محرمة ، وكان هذا هو الحكم الثابت عنده ومن اطعم على الناسخ والمنسوخ في الزيارة علم أن الزيارة كانت محرمة ممنوعة ثم جائزة مباحة . ولم يكن هنالك شيء من التعارض فلا تعارض على الفرضين والحالتين . وكذا يقال في العام والخاص وفي المطلق والمقيد . فزعم هذا الرجل أن مثل هذا النوع من التعارض زعم غير صحيح ولا كرامة وما هو من الحق في صدر ولا ورد وأما العرض على الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة والتابعون والمسلمون ، والترجيح بإسالة اللفظ وجودة النظم ، فصحيح إذا ما اقتضى وجود التعارض . بل لابد من الرجوع الى الكتاب والسنة الثابتة وسيرة الصحابة والمسلمين في كل شيء ، ونحن في هذا المقام الذي يدعى هذا الرجل الرد علينا فيه إنما ندعو الى أمور أطبق عليها الكتاب والسنة والاجماع في صدر الاسلام وفي القرون الاولى كلها ، وما كان ذلك للاستدلال بحديث فرد أو رواية منكورة ضعيفة ، أو رأي رجل من الناس جل ذلك الرجل أو دق . وإنما ندعو الى أساس الاسلام الاول وهو ما أنزلت لأجله الكتب وابتعثت الرسل وهو عبادة الله والرجوع اليه في كل الحالات . وما كان هذا المعارض راجعا الى كتاب أو سنة لا صحيحة ولا ضعيفة ، ولا الى رأى من يمتد به من العلماء . وما كان في يديه سوى تأويل النصوص الاسلامية البينة وتسليط الشبهات الواهية عليها والتحيل للخلاص منها بالكذب حيناً والتحريف حيناً آخر وبالأميرين أحيانا كما سوف نرى ذلك كله

ولسنا في هذا المقام ندعو الى أمر فيه ترجيح ومفاضلة إنما ندعو الى الدين

جمله والى نصوص الكتاب والسنة المتواترة العملية التى لاخلاف فيها . وليس الامر الذى ندعو اليه وندعيه قائماً على روايات تعارض بروايات أخرى أصح أو أضعف ، ولكنه التوحيد يعارضه الشرك والنور يعارضه الظلام الحالك والسنة البيضاء تعارضها البدع السوداء . ولا يستطيع مخالف لديه شيء من العقل أن يدعى أن هناك روايات تميز الذبح والنذر للاموات والطواف بالأجداث والاستقبال والتقييل لها ، وسؤال الموتى مختلف الحاجات ، أو تميز البناء عليها وتشيدها ، ذلك التشييد الذى لا يستطيع أن يظفر به جمهور الأمة ليسكنه . فليس هناك عاقل يدعى وجود شيء من ذلك لا صحيح ولا ضعيف ، ولكن المعارضين لنا فى هذه المسائل العالية يعارضون الامور المتواترة المتفقة بالآراء الفاسدة المدخولة والشبهات المنكرة ويحرفون النصوص لأجلها

الامر الخامس

قال فيه « الكتاب والخبر عريان وفيهما كسائر كلام العرب الحقيقة والحجاز ومما جاء منه فى القرآن « يد الله فوق أيديهم » « يا حسرتنا على ما فرطت فى جنب الله » « كل شيء هالك إلا وجهه » « الرحمن على العرش استوى » « فكان من ربه^(١) قاب قوسين أو أدنى » « الا من رحم الله » « غضب الله عليه » « الله يستمزيهم » « وجاء ربك والملك »

وفى الحديث : لا تمتلئ النار حتى يضع الله قدمه فيها . وكذلك ورد اضافة المضحك والمعجب الى الله

(١) هكذا ذكر الآية بزيادة من ربه ، وهذه الزيادة ليست موجودة فى مصاحف المسلمين ويظهر أنها فى مصحف الشيعة المدخر المدعى

والقرينة في الكل على المجاز عدم امكان ارادة المعنى الحقيقي المستلزم للتجسيم والتحيز والوجود في مكان دون غيره ، وكونه محلاً للحوادث ، ولا بد للمجاز في الاسناد أيضاً من قرينة لفظية أو عقلية . كقول الموحّد أنبت الرّيح البقل فان كونه موحداً كافٍ في حمل كلامه على المجاز . ومثله لو قال المسلم للموحّد يا رسول الله اغفر لي أو اشف ولي أو طول عمري أو ارزقني أو رد غائبى أو نحو ذلك فيجب حمل كلامه على المجاز في الاسناد . أى كن سبباً في ذلك بشفاعتك ودعاء الله لي ، ويكفى قرينة على ذلك كونه مسلماً موحداً ولا يجوز تخطئته في هذا اللفظ فضلاً عن الحكم بكفره وشركه الموجب لحلّ دمه وماله ، إلا من غيى غير عارف بأساليب كلام العرب أو معاند

وقد اختلف في الأمر كافتل هل هو للوجوب أو للندب أو مشترك بينهما وفي النهى كالا فعل هل هو للتحريم أو الكراهة أو مشترك بينهما ، وقد كثر استعمال اللفظين في الندب والكراهية بحيث يصعب الحكم بالوجوب أو الحرمة بمجرد ورودهما إذ لهما صارا مجازاً مشهوراً بملاحظة خصوصيات المقامات البعيدة للعمل على الوجوب أو التحريم

وفي الكتاب والخبر المبالغات كمائر كلام العرب . ومن المبالغات الواقعة في الكتاب والسنة تسمية الذنب أو العظيم منه كفراً وفاقله كافراً ، وإطلاق المصية على فعل المكروه خصوصاً اذا صدر من الأنبياء والأولياء ، وذلك كما قال بعض العلماء « بلسان الورع والتقوى لا بلسان الفقه والفتوى » ومنه المعاصي المنسوبة في القرآن الى الأنبياء بعد قيام الدليل على وجوب عصمتهم وامتناع صدور المعاصي منهم » انتهى

هذا ما ذكره الرافضى في هذا الأمر . ونحن قول رداً على ما فيه

من باطل :

(أولا)

أما ان في القرآن حقيقة ومجازاً فلا نخالفه فيه هنا . ولكننا نقول ان دعواه بأن ما في هذه الآيات من صفات الله مجاز دعوى باطلة لا يرهان له بها ، وهي دعوى مخالفة لما اتفق عليه السلف من الصحابة وعلماء الحديث والآثر ومنهم الأئمة الأربعة . فقد اتفق هؤلاء وهم القوم على وجوب الايمان بما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة من صفات الله بلا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ، وما جاء عن أحد منهم أنه ادعى بأن شيئاً من ذلك مجاز ولا قال انه غير حقيقة ، وهذه كتب المقالات والمقائد مبثوثة في كل أنحاء المعمورة ، وقد أنكر السلف أشد الانكار على الجهمية ومن ذهب مذهبهم يوم أن ابتدعوا تأويل صفات الله وعدوهم ضالين مبتدعين ، ووضعوا كتباً خاصة في ابطال أقوالهم وقض مذاهبهم

وأنت اذا كلفت نفسك مراجعة كتاب من كتب الحديث والسنة كالبخاري ومسلم والكتب الستة وسائر كتب الحديث وجدت ذلك ماثلاً في كل كتاب كثيراً كثيرة نصيره من الضروريات ، وتجد أن هؤلاء المحدثين يقولون مثلاً : (باب فيما أنكرت الجهمية من صفات الله) أو (باب في الرد على الجهمية) ونحو ذلك ثم يذكرون ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله كذه التي أنكرها هذا الرجل وعدّها نجساً ونقصاً ١٢

ولو كلف انسان نفسه ليعثر على رواية واحدة عن واحد من الصحابة وعلماء السنة بأنه أول آية من هذه الآيات لكلف نفسه أمراً لا يستطيع ، ولنا نشك في أن الصحابة كانوا راشدين في ذلك ، وكانوا يعرفون ما يجوز من وصف الله وما لا يجوز ، وانهم لو كانوا يعلمون أنه لا يجوز وصفه تعالى بصفة من هذه الصفات التي يقال انها قص في حقه لبادروا إلى تأويلها وبيان وجهها الصحيح . لأن سكوتهم

عنها وهم يطمعون أن ظاهرها باطل أمر لا يحل ، فانه سكوت عن بيان الحق و اقرار
للمنكر الذي يخفى على غير الراسخين في العلم
وإنما دخل التأويل وانكار صفات الله على المسلمين من طريق الكتب اليونانية
التي نقلت الى العربية ، وتمسكها أهل الجدل وعدوها أعلى أنواع الفلسفة ونهاية
أقدام العقول ، ومن طريق الفلسفة البوذية وغيرها من الفلسفات العجيبة
ولسنا في حاجة الى التدليل على أن السلف ما كانوا ينكرون صفات الله ، وما
كانوا يؤولون ذلك فان هذا ضرورى واضح لا ينازع فيه انسان ولا أحد من
المخالفين

ولكن هؤلاء المنكرين والمؤولين لها يزعمون أن العقل وحده هو الذى أُلْجِأهم
الى التأويل والانكار ، ولولا ذلك العقل الواضح لما أنكروا ولما أدلوا . فهم في
حاجة إذن الى التدليل على أن العقل لا يأتى الايمان بصفات الله الواردة في
النصوص ، كآيات الرحمة والرضا والفضب والاستواء على العرش والمحو على
المخلوقات وسائر ما أتى في نصوص الكتاب ونصوص السنة الصحيحة الصريحة ،
وأنت اذا ما تتبعت أقوالهم وجدت أن الحججة التى بها يخاصمون هذه النصوص
وبها يابون اقرارها هي زعمهم أن هذه الصفات تقضى بالتجسيم وتشبيهه الله
بمخلوقاته ، واذا ما تتبعت أقوالهم مرة أخرى لتعرف كيف تقضى هذه الصفات
بالتجسيم والتشبيه لم تجد لهم من دليل على ذلك غير أمثال قولهم « نحن لا نعرف
بدأ مثلا إلا جلاحة مؤلفة من اللحم والدم والأعصاب والعظام » ، « ولا نعرف
الفضب إلا أنه ثوران النفس رغبة فى الانتقام » ، « ولا نعرف الرضا إلا أنه خفة
الروح » ، « ولا نعرف الاستواء على العرش إلا أن يكون استقرار جسم على جسم
آخر » وهكذا سائر الصفات المثبتة لله . « ولا نستطيع أن نفهم من هذه الصفات
غير هذه المعانى إذا ما أريد حقيقة الكلمات العربية » ، « لأننا لم نجد لهذه الكلمات

معنى غير هذه المعاني ، « وهذا باطل في حق الله فلا بد من الحمل على المجاز .
ولا بد من المصير الى التأويل تنزيهاً لله وتقديساً له عن سمات الحدوث والتقائص »
هكذا يبدأون حججهم على وجه الاجمال وهنا يفتهون منها

ونحن اذا ما أردنا الاسترسال معهم وأردنا النسق على حججهم قلنا أنتم
تمهّبون الى تأويل الاستواء بالاستيلاء وتأويل الرضا بارادة الاحسان ، والغضب
بارادة الانتقام ، والوجه بالذات ، والمين بالرعاية والحفظ ، وهلم جرأ . وهذه
المعاني التي هربتم اليها وفسرتم النصوص بها هي مثل ما هربتم اليه لزوماً واقتضاء
سواءً . فانتا لا تستطيع سيراً معكم أن تفهم من الاستيلاء في كلام العرب إلا أن
ذاتاً أي جسماً استولى على جسم آخر أو أن معنى من المعاني القائمة بالأجسام
استولى على جسم آخر أو معنى آخر ، ولا نعلم مستولياً على غيره إلا أن يكون
جسماً قائماً بنفسه أو معنى قائماً بغيره ، وكذلك ارادة الاحسان والانتقام اللذان
فسرتم بهما الرضا والغضب يقضيان بما هربتم منه ، فان معنى الارادة تعلق بالنفس
أو الضمير بالشئ أو تصميمهما على المراد . فلا بد من النفس والضمير والتصميم في
الارادة ، والنفس والضمير والتصميم هذه الأمور الثلاثة أشياء في حاجة الى
الأجسام ، وهي من صفات المخلوقات أيضاً . وكذلك تأويل الوجه بالذات فانه
ينصبّ على الذات ن الاعتراضات والشبهات ما ينصب على الوجه انصباباً لأمر
منه فاذا قيل الوجه لا بد أن يكون جسماً أو جزءاً من جسم ، قيل وكذلك الذات
لا بد أن تكون جسماً ذا أعضاء وأجزاء وحدود ونهايات . وهكذا في كل الصفات
التي يؤمن بها هؤلاء . فإيرد على ظواهر النصوص من الاعتراضات والشبهات يرد
على المعاني التي فسروها بها وروداً لا مناص منه . فمن أول نصوص الدين لشبهة
ادعائها غلبت عليه نفسه ، أو دسها بعض الدسّاسين لم يكن فاعلاً شيئاً غير العدران
على حرمة الدين وافساده وإحلاله محل المتهم المزنّ بتأويل نصوصه وتفسيرها

تفسير تنزع منها القداسة التي كانت لها في صدور المؤمنين الأولين وصور الذين تلقوها بالاطمئنان واليقين

وقد عرفنا بالاستقراء أن من اعتاد تأويل نصوص الكتاب والسنة استهتر بالدين وانزع من صدره برد اليقين ثم هبى الله . وهذا أول مفاصد التأويل . ولما صممتَ كان كلام السلف شديداً في المؤولين لأنهم يدرون ما بمقصد ذلك من الفوضى والفساد .

فادعاء هذا الشيعي أن هذه الصفات والآيات موهولة ادعاء باطل لأنه لا دليل عليه كما رأيت ، فإن الشبهة التي حملتهم على التأويل هي أن الحقيقة في هذه الصفات تقتضى التجسيم والتشبيه ، لأنهم لم يهدوها الا صفات أجسام ، فهم لا يقولون أن تكون صفة لغير جسم . هذا هو مجموع الشبهة ، ولكننا نقول لو أن هذه الشبهة صحيحة لقصت بالألّا يوصف الله بصفة ما ، فما الفرق بين هذه الدعوى وبين قول القائل : العلم عرض من الأعراض ، والعرض مفترق الى محل يقوم به من الاجسام . فأنه ليس له دلم لثلا يوصف بالأعراض . أو قول القائل الله ليست له حقيقة ، لأنه لو كان له حقيقة لكانت هذه الحقيقة جوهرأ أو عرضأ ، أى جسماً أو معنى ، لاننا لا نعرف حقيقة الا جوهرأ أو عرضأ . والله لا يصح أن يكون جوهرأ ولا عرضأ . ويصبح بقية المقلمة فأنه ليست له حقيقة . وهكذا يقال في الصفات التي يقرون بها الله

وهذه الشبهة وأمثالها طلائع الالحاد والجحود ومن ثم فإن الامر يؤول بهؤلاء الى الزيف والتمرد على الاديان ، ولهذا مواضع أخرى يبسط فيها القول وإنما هذه كلمة خاطفة نبهنا بها هؤلاء المؤولين الى أنهم غلطون غلطين : غلطاً في المنطق ، وغلطاً في الدين ، ومسيئون اساءتين : إساءة الى الدين بتأويل نصوصه وتحويلها ، وإساءة الى المنطق بالخروج على قواعده وسبيله الواضحة

فآيات التي ذكرها هذا الرافضى في هذا المقام ليست مجازاً ، بل هي حقيقة على معنى يليق بذات الله ، لا كما يكون ذلك في المخلوقات والمحدثات على أن هؤلاء المؤولين خوف التشبيه هم في الحق المشبهون من حيث لا يدرون فانهم ماجردوا الله من هذه الصفات إلا لزعمهم غلطاً أن الصفة لا تثبت لله الا كما تثبت للمخلوق ، وان المعنى لا يكون لله الا مثل ما يكون لخلقته ، ومن هنا زعموا أنهم لو وصفوا الله بشيء من هذه الصفات التي وصفت بها المخلوقات لكان وصفه تعالى بها تشبيهاً وتجبساً كما أن ذلك في المحدثات . فزعموا أن الله لا يوصف بها سيراً وراء هذه الأوهام والأغلاط ، ولو عقلوا أن وصف الله بالصفة ليس كمثل ، صـ غيره بها ، وأن قيام المعنى به ليس كمثل قيامه بغيره من خلقه ، لما احتاجوا الى هذه العثرات . والله من وراء الكل محيط

على أنه من العجب أن تؤول الشيعة هذه الصفات فراراً من التشبيه والتجسيم وأشياخ الشيعة من أصرح الناس أقوالاً في التشبيه والتجسيم ، كما تقدم في باب حماقات الشيعة ، حتى أنهم ليقولون بحلول ذات الله وصفاته في بعض عبادهم فالقوم حيارى لا يهتدون الى الحق أية سلكوا

(ثانياً)

أما زعمه أنه يجوز للموحد أن يطلب من الرسول وغيره غفران الذنب وشفاء الولد وتطويل العمر واغداق الرزق ورد الغائب ، وغير ذلك . وزعمه أنه ليس في ذلك خطأ ولا غلط ، وأنه مجاز اسنادى كقول الموحد أنبت الربيع البقل . وأن القرينة في الأمرين هي إيمان القائل وتوحيده ، فهي مقالة ما كنت أحسب عاقلاً يقولها قبل هذا المصنف الرافضى ، ولـى أن أقول ولا أخشى أن أخالف الحق ان كثيراً من المشركين أنفسهم ما كانوا يقولون هذه المقالة كلها ولا كانوا

يتوسعون في دعاء الأسماء والاعوذ بها كل هذا التوسع ، وما كان مثل هذا القول يحتاج الى الرد عليه لولا أن كل قول يقال وإن كان السخف نفسه لا بد أن يجد آذانا وقلوبا تحمله محل الحق المبجل ، وتنزله منها أفضل منزل . ومثل هذا الرجل لا يقنعه أن يرد عليه بالكتاب والسنة وأقوال المسلمين ، بل هو لا يستحق ذلك ولا يجدر بجادله أن يصنعه ، وما يفتى مثله أن تسرد عليه آيات الكتاب الكريم الناهية عن دعاء غير الله أشد النهي ، الزاجرة عن ذلك أعظم الزجر . هين على مثله أن يؤول القرآن والسنة ، وهين عليه أن يدخل من باب المجاز ويخرج من ذلك الى حيث شاعت له نفسه وشاء له ربه ، وهين عليه أن يقول إن الدعاء أقسام منه الجائز والواجب ، وأن يضرب ذلك كله بمضه يعض فلا يهتدى سبيلا ، وإنما نرد عليه بهبث نكسر عليه به قوله ، ونأتيه بأشياء لنا فيها اللهو المباح وفيها بهد ذلك إدحاض حجته إن كان لمثل هذا الباطل أن يسمى حجة

فنقول : إما أن يقول ان كل ما يطلب من الله يصح أن يطلب من خلقه إذا استطيع حله على المجاز بضرب من ضروبه الكثيرة ، وإما أن يقول لا يجوز ذلك فان قال بالاول ، قيل إذن يجوز أن يقول المسلم الموحّد ان الرسول الكريم خالق السموات والأرض وبديع السموات والأرض ، ورب السموات والأرض ورب كل شيء ومالكة ويقدر كلمة محدوفة هي « رب الرسول » على أن يكون ذلك مجزأ بالخذف كما يقولون في قوله تعالى وأسأل القرية ، وهذا جائز في كلام العرب لاخلاف في جوازه

وكذا عليه يجوز أن يقول من يدعى الاسلام ان الامام الشافعي هو الذي يدفع عن مصر البلاء ، وهو الذي يسوق لها الخير والنماء ، وهو الذي يده إسماعيلها وإشقاؤها وعزها وذلها وحياتها وموتها . بل ويقول هو الذي يحيي ويميت وهو الذي يعطي ويمنع وهو رب كل شيء وخالقه ، أو يقول إن الامام الحسين هو

الرب الأعلى والإله الأكبر . وأمثال ذلك مما استطاع أن يقدر فيه « رب »
 فيراد رب الحسين ورب الشافعي ، نظير واسأل القرية أي أهل القرية
 بل ويجوز أن يقول : ان الشمس (على اسم رب الشمس) هي إلها الذي
 تفرد به الكون والسجود والدعاء والخشية وكل معاني الاتقياء والعبادة ، وتكون
 الحكمة في تخصيص الشمس هنا هي أنها من أعظم نعم الله علينا ، وبالأجمال يجوز
 على هذه القاعدة لمن يدعي الاسلام أن يقول كل شيء اذا كان يستطيع أو يستطيع
 أمثال هذا الرافعي أن يؤول قوله وأن يقدر فيه مضافاً أو يجعله مجازاً أو غير
 ذلك : فيسب الله . ويقال انه يعني عباده الاشرار ويسب الانبياء فيقال أنه يريد
 معنى من المعاني . ويقذف من يشاء ويرميه بما يشاء ويؤول ذلك كله . والقرينة في
 ذلك كله ادعاء الاسلام أو الإصلاح أو التقوى أو تسميه بأسماء المسلمين . وفي
 هذا أعظم الكفور والجنون والفساد في الارض

هذا ان قال بالاول - وهو ما يلزم كلامه - وأما إن قال بالثاني ، أي ان
 قال : ليس كل ما يصح فيه المجاز يصح أن يطلب من العباد على سبيل المجاز ،
 بل من ذلك ما هو كفر صراح وخروج من الدين ، قيل : إذن كيف جاز عندك
 طلب غفران الذنوب وهداية القلوب وشفاء المرضى من الرسول أو من غيره ???
 ولعل هذا الطلب من الكفر ومن مفارقة الملة ، وحينئذ لن يجد جواباً عن هذا ،
 ولا مناص له من التزام أحد الأمرين الأول أو الثاني ، وهو على كل حال خاسر
 القضية ، وهو على الفرضين واقف في الغلط المبين ، وهذا ما نريد

ويمكننا صياغة هذا الدليل بعبارة أخرى ، بأن قول منسلاً : دعواك بأنه
 جائز أن يطلب من المخلوق ما لا يستطيعه إلا الله كالشفاء والهداية وغفران الذنوب
 على أن يكون مجازاً ذلك العال لا تصح ، لأنها لو صححت لما أمكن أن يحكم على
 أحد بالردة والكفر ، ولا بالخطأ والغلط ، ولما استطع أن يحكم على من ادعى

الاسلام بفظ ، لا كفر ولا مادون الكفر ، مهما قال ومهما أسرف في القول وجنف فيه ، وان سب الله وسب الأنبياء وقذح في المصحف وقذح في الاسلام وقذح في الأديان كلها . بل وإن أنكر وجوب الايمان بالله ووجوب الصلاة والصيام وسائر الفرائض ، بل وإن أنكر البعث والحشر والجنة والنار والجزاء كله ، بل وإن أباح الفواحش ما ظهر منها وما بطن وادعى إباحة الزنا والخمر وجميع المنكرات ، بل وإن ادعى الألوهية والربوبية لنفسه أو لغيره وقال أنا ربكم الأعلى أو قال ما علمت لكم من إله غيري كما قال فرعون ، أو قال ما في الجبة إلا الله كما قال الخلاج أو غيره ، أو قال سبحاني عز شأني كما قال الآخر ، أو قال إن كلمة لا إله إلا الله كلمة فاسدة كما قاله من قاله من الضلال ، أو قال إن الأنبياء لم يأتوا إلا بالشرك كما قاله بعض الزنادقة ، بل وإن قال كل ما يستطيع أن يؤلفه من حروف الهجاء . وذلك لأنه يجب أن يحمل كل ما يقوله المنتسب للإسلام المحمل الصحيح من المجازات والتأويلات والتخريجات فراراً من تكفير المسلم الموحد . والقرينة على ذلك كله إسلام القائل أو ادعاؤه الاسلام والايمان

ولا يشك عاقل في بطلان هذا ، كما لا يشك في لزومه كلام هذا الرافضي المؤلف لزوماً لا خلاص له منه . أو يقال : لو كان هذا الكلام صحيحاً لما كانت العرب الذين قاتلوا رسول الله كفاراً ولا مشركين ، لأنه إذا كان المراد بالتوحيد هو الاعتقاد بأن الله الخالق لكل شيء الفاعل لكل شيء فقد كان العرب مؤمنين بذلك كله كما جاء في آيات القرآن أنهم إذا سئلوا من خلق السموات والأرض ، ومن يدبر الأمور ، ومن يجير ولا يجار عليه ومن ... ومن .. يقولون إن ذلك هو الله وحده لا أحد غيره ، حتى أنهم عند اشتداد البلاء والضراء ليدعون كل من سوى الله من الأصنام والأنداد ويخلصون لله كل شيء « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » وذلك لاعتقادهم بأن الله هو الفاعل وأن .

كل شيء ما خلا باطل وأنه ليس وراء الله للمرء مذهب ، فالعرب مؤمنون بأن الذي يعطى ويمنع ويحيى ويميت ويفعل ما يريد ، لا معقب عليه هو الله رب كل شيء وخالقه ، فلماذا إذن كانوا مشركين كافرين إذا كانت العقيدة كما ذكر منجاة من الكفر والشرك منجاة من عذاب الله ؟ فانهم ما كانوا يطلبون من الأصنام والأنداد أكثر من أن يطلبوا منهم الشفاء والرزق ورد الغائبين وكشف ما بالمكروبين . هذه الأمور التي يقول هذا الرافضى انه يجوز طلبها من غير الله ، وما الفرق بين ما كانوا يصنعون وما يدعو اليه هذا الشيعى المتعصب ؟ ان كان الفرق عنده هو ايمان هؤلاء بالله فقد كانت العرب كذلك كما ذكرنا ؟ لا رب أنه لو صح وهم هذا الرجل لما كان العرب كافرين ولا مشركين واسكانوا من المؤمنين الموحدين

ثم نقول أيضاً ان أمثال هذه الاستغاثات والمطالب من غير الله كطلب الشفاء والهداية وإزالة الكرب هي شرك وكفر لامرية فيه ، سواء أقبل انها معجزات أم قيل انها حقيقة ، وسواء أكان القائلون الطالبون مؤمنين بأن الله الفاعل الخالق لكل شيء أم كانوا مؤمنين بأن معه شركاء فى الملك والخلق ، وسواء اعتقدوا ما قالوا أم لم يعتقدوه ، وسواء أفهموا ذلك أم جهلوه فهذه المطالب شرك بالله على كل الوجوه ، وعلى جميع الافتراضات ، وعلى رغم أنف التأويلات

وليس هنالك من ينازع أن من الأقوال ما هو كفر وخروج من الدين وان لم تعرف عقيدة القائل ومراده ، وان كانت عقيدته ما كانت ، وأن الرجل قد يقول القول يلحقه بالكافرين وإن لم يقصد ظاهر ما قال وما يفهمه الناس منه . بل هو كفر بالوضع الدينى ، ولو أن مسلماً سخر من الاسلام أو من الله أو من رسوله مازحاً غير جاد لكان كافراً ولا ريب ، أو لو أنه تكلم فى الله أو فى دينه

أو في كتابه أو في رسوله أو في الجنة والنار كلاماً فاحشاً لأجل إضحاك الناس وإدخال السرور على بعض القلوب أو إرضاء لأعداء الله وخصومه لكن بذلك القول كافرًا خارجاً من الملة وإن كان لا يصدق ما يقول ولا يعتقده

وهذا في الأقوال والأفعال . فإن الرجل يفعل الفعل بكفر به ولو كانت عقيدته وإيمانه في جانب آخر من فعله وما ظهر منه . فلو تظاهر مسلم بموافقة الكافرين على أفعالهم وما يختصون به من عباداتهم فمضى صلاتهم وصام صيامهم ، واستقبل قبلتهم وتزياً بزيمهم - وكان ذلك منه تهرباً إليهم وطمعاً فيما لديهم - لكن بذلك الفعل كافرًا يهوديًا أو نصرانيًا أو ما شاء ، وإن لم يعتقد شيئاً مما صنع ، وإن كان مؤمن الباطن والضمير

فالكفر يكون بالقول والفعل كما يكون بالقلب والعقيدة ، وكذلك أيضاً الإيمان ، وذلك أن الإيمان كما يقول السلف قول وعمل وعقيدة

وإذن فالعقيدة وحدها ليست ضماناً من الوقوع في الكفر والشرك ما لم تصن الأقوال والأفعال من ذلك ، وهذا لاختلاف فيه بين علماء الأمة المتهتدين

وإذن قول هذا الرافض أن المطالب العالية من غير الله لا توجب الكفر بل ولا الخطأ مادام الطالب يعتقد أن الفاعل هو الله وحده قول باطل بالاتفاق

ثم نقول أيضاً نحن لا نستطيع أن نسلم بأن أولئك الذين يستغيثون الأموات ويسألونهم ضروب الحاجات ، ويطلبون منهم تلك المطالب العالية التي لا يستطيعها سوى الله مثل قولهم يا رسول الله اشفني أو يا فلان اهد قلبي ، أو يا سيدي ارزقني أو ردي غائبى ، لا نستطيع أن نسلم بأن هؤلاء المستغيثين لا يعتقدون في الأموات المستولين القدرة على الاعطاء والمنع ، والضرر والنفع ، والشفاء والهدى وضروب ما يطلبونه منهم ، ولا نسلم بأن هؤلاء موحدون الله توحيد الربوبية على ما يفهم هؤلاء المخالفون ، وأنهم لا يريدون من الموتى سوى الشفاعة والوساطة ، بل

لا نرتاب في أن من يطلب من غير الله الشفاء وهداية القلب يؤمن بأن ذلك الخلق المستول قادر على إعطائه وشفائه وإخائه ومنحه جميع ما يسأله إياه ، ثم لا نرتاب في أنه لولا هذه العقيدة ورسوخها في نفوس السائلين الطالبين لما طلبوا منهم ولما استغاثوا بهم ، ولما فكروا في استحالة ذلك وبعد جدواه ، فإن النفوس مجبولة على الاعراض عن لا يستطيع نفعا وضرها ، وأى إنسان يملك عقله يقول لمن يعلم أنه لا يملك من الحياة قليلا ولا كثيرا ، هب لي من المال كذا وكذا ، ومن القصور كيت وكيت ، ومن الجواهر ما مقداره كذا وكذا ، أو يقول لأبي لا اقرأ ولا يكتب اكتب لي هذا الكتاب بخط واضح جيد ، أو صحح هذا الكتاب أو يقول لأعمى يعلم أنه أعمى خذ هذا الكتاب وقرأه ، ونظائر ذلك ، بل وأى عاقل يطلب جاهلا أن يعالج مرضا ألم به ، وهو يدري أنه لا يعرف الطب ولا يملك من أسبابه شيئا ، لا ريب أن ذلك وأمثاله مستحيل أن يصنعه عاقل يملك عقله ، ولا شك أننا إذا وجدنا إنسانا يطلب إنسانا آخر حاجة من الحاجات علمنا بأن ذلك الطالب السائل يعتقد في المطلوب القدرة والكفاءة وإلا لما سأله أو رغب فيه

فلا شك أن هؤلاء الذين يسألون الموتى الحاجات يعتقدون فيهم القدرة على ما يطلبون وهبة ما يسألون وغير هذا لا يكون معقولا ، والدلائل الخارجية على هذه العقيدة كثيرة ، منها : أنهم يسمون هؤلاء الموتى « أهل التصريف » ويسمونهم « الأقطاب » وهم لا يفهمون من كلمة التصريف غير تصرف الكون من الاعطاء والمنع والايجاد والاعدام . ولا يعنون بالأقطاب إلا أنهم الذين تسير الشئون حسب ارادتهم وما يجزون مأخوذ من قطب الرحا ذلك العصا الذي تدور عليه . ويقولون قطب الأقطاب « و « قطب الوجود » وذلك خاص بمن كانت وظيفة تصرفه ودائرة « قطبيته » أوسع وأعمق .

ومن ذلك أن الواحد منهم اذا ما نذر لأحد هؤلاء الأقطاب نذراً فتأخر في إقافه أو أخلف ، فاصيب بأمر من الله قال ان ذلك الشيخ أصابني لأنى لم أوف بنذره ، فاجتهد ذلك المسكين في التقرب الى الشيخ من تقديم النذور والقراين ، والصدقات ، وإتيانه من المكان السحيق ، حتى يرضيه ويطمئن الى رضاه . وهذا لا نزاع في وجوده بين كثيرين من المصنفين الاسلام . ولا ريب أن هذه الأعمال كلها دلائل لا حيلة في دفعها على إيمانهم بقدرة الأموات واستطاعتهم النفع والضرر ومن ذلك أن هؤلاء الغلاة في القبور اذا وجدوا من لا يعنى عنايتهم بها ، يحذرونه الشر والمصيبات وينصحون له بزيارة المشايخ وتقديم ما يمكن تقديمه والا فبيته صائر الى الخراب ، وبهرو متتابعون الى الهلاك ومصبوحون جزر الأحداث والأرزاء الجسام . ومن ذلك ما نلاحظه من الخشوع الذي يملوه هؤلاء الغلاة عند زيارتهم شيخاً من الأتباع وما يرهقهم من الذلة الممزوجة بالمهانة المخلوطة بالدموع الحرى والأفاس المتتابعة والتأوهات العميقة

هذه الأمور التي لا تكون الا فيمن مما به الأمل حتى جاوز السماوات ، وخفضه الوجل حتى هوى في أسفل الدركات . ولن تكون هذه الأعمال بين يدي من يعلم أنه لا يستطيع الضر والنفع والاعطاء والمنع . اللهم انا نشهدك أن هذا غير معقول

أما خرافة المجاز وما يدعيه المخرفون هنا من المستغيثين بالأموات الداعين لهم أنهم يريدون بذلك المجاز العقلي الاسنادى ، وانهم لا يقصدون أكثر من ذلك ، فهذا القول مهزلة من مهازل عباد القبور والغلاة في الأجداث

ونحن لا نشك في أن أكثر هؤلاء الدعاة للأموات لا يعرفون هذه المسألة المجازية أصلاً ولا يدرون ما المجاز لا الاسنادى ولا غيره ، ولا ما الحقيقة فضلاً عن أن يعرفوا أن هذه المسألة بعينها مجاز وأن القرينة هي التوحيد والإيمان ولا يدرون

من هذه العملية الاصطلاحية قليلا ولا كثيراً . وهؤلاء الدعاة أقل وأغبي من أن يقصدوا بقولهم اعطنى يا رسول الله كذا سؤاله أن يكون سبياً فيما يطلبون . ولو كانوا يريدون ذلك لفأهوا إيماناً يريدون واختصروا الطريق وجاءوا المسألة من بابها

وما أبعد عقول الدهماء والجهال عن أن يقولوا اشفنا أو رد غائبنا يا رسول الله وهم لا يريدون إلا كن لنا سبياً وشفيعاً فيما نرجوه ، وما أظن أمثال هذا المؤلف يريد ذلك حينما يستغيث ويلجأ الى موته

وغريب أن يريد الانسان شيئاً ويطلب سواه من غير فائدة ولا حكمة معقولة فنحن ننازع هذا الرافضى فى ادعائه أن دعاة الاموات لا يريدون منهم إلا

الشفاعة ولا يريدون بقولهم إلا المجاز

على أننا نقول هب الأمر كما ذكر ، وهب أن مرادهم سؤال الشفاعة والوساطة لا غير ، ولكننا نمنع جواز طلب الشفاعة من الاموات ، ونقول ان هذا من أعمال المشركين الذين يتقربون الى الله بالرجوع الى الاموات ، وبيان هذه المسألة يأتي فيما بعد في الباب الخاص بها

ثم ان هذا الرافضى لم يوفق حتى ولا فى المثل التى يجعلها حججاً يقشبت بها فى دعاويه . فانه زعم أن قول القائل يا رسول الله اشفنى جائز كقوله أنبت الربيع البقل . وهو فى هذا غلط غلطاً فاحشاً بينا . وذلك أن قول القائل يا رسول الله اشفنى إنشأنى طلبى . وقوله أنبت الربيع البقل خبرى . والشبهة قد تجوز لو كان جائزاً للمسلم الموحده أن يرغب الى الربيع وأن يطلبه طلباً حقيقياً إنبات البقل . ونحن نقول ولا نخشى مخالفاً إن من ضرع الى الربيع وطلب اليه بنخشوع وذلة وأمل ووجل أن ينبت البقل وأن يخرج الأثمار والازهار كما يفعله بين يدي الميت من المشايخ المعظمين ، نقول ان من يطلب من الربيع ذلك الأمر خاشعاً خاضعاً مستكيناً

فهو خارج من الملة خروجا صريحاً لا شبهة فيه ولا ريب . ومثله من يضرع الى الشمس والى القمر والى الاجرام العلوية طالباً منها الحياة والشفاء . فان هذا هو عبادة الشمس والقمر والافلاك . وهذا لا فرق بينه وبين من يطلب من الربيع إنبات البقل طلباً كالمطلب من الأموات

ولو أن انساناً طلب من الشمس الشفاء والحياة والرزق لكان في نظرنا أقرب الى الحق ممن يطلب الى الأموات ذلك . والفرق بين الأمرين واضح جلي فاستبان أن المثال الذي ظفر به هذا المؤلف الشيعى هو رد عليه وإبطال لدعواه إبطالا لا حيلة له فيه . وذلك جزاء الظالمين ، وما للظالمين من أنصار هذا ومن جهل المرء بما لا يستطيع جهله التسوية بين الاستغاثة بالأموات وسؤالهم ضروب الحاجات ، وبين قول القائل أنبت الربيع البقل . فان سؤال الموتى لن يكون إلا مصحوباً بالخشوع والخضوع والخشية الظاهرة والباطنة ، ثم التمسك والخنوع لذلك المبت المسئول . وهذه الأمور هى لباب العبادة وخلاصتها . وليس كذلك قولهم أنبت الربيع البقل . فان أحداً من الناس فيما نعلم لا يمكن أن يصطحب قوله أنبت الربيع البقل شئ من الخشية والخضوع للربيع . وما يزيد هذا عن قولنا : مات فلان وخاء فلان ، وجاء الربيع وذهب الربيع ، إخبار فقط . ومن ذا لا يفرق بين الحمايين ؟

ثم إن سؤال الأموات موضع غلو وافتتان ، يكون أبداً خطراً على العقيدة والتوحيد ، دَفَّاعاً الى الكفر والشرك بخلاف قولهم أنبت الربيع البقل . وقد عبد البشر البشر ولا يزال يعبد . وقد أله أوائل الشيعة الخليفة علياً فأحرقهم وهم الى اليوم يؤلهونه هو وذريته ويرون حلول ذات الله فى ذواتهم . فن المقول أن يفرق بين الأمرين لما يوجد بينهما من الفرق فى الجوهر والمعنى

بعد هذا كله نستطيع أن نرد على هذا الضلال بنوع آخر من الرد ، كأن

نقول مثلاً إذا كان مثل هذه الاستغاثات بالعباد معناه طلب الوساطة والشفاعة لغة ، وكان هذا جائزاً ديناً ولغة ، فلماذا لا نجد أحداً من المسلمين المهديين لامن الصحابة ولا ممن جاءوا بعدهم واتبعوهم باحسان فعلوا ذلك فدعوا الاموات وطلبوا منهم الشفاء والغنى والرزق ورد الغائبين وشفاء المرضى ، وهذا الرفض وإن أسرف في الدعاوى الباطلة لا يستطيع أن يدعى أن أحداً من الصحابة طلب من الرسول ولا من غيره حياً ولا ميتاً شفاء ولا هداية قلب ولا رد غائب ولا إغاثة مكروب محروب ، ولا غير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله فما جاء لا بسند صحيح ولا ضعيف أن أحداً من الصحابة قال يا رسول الله اغفر ذنوبنا أو اهد قلوبنا أو أغثنا أو ارزقنا أو ماشابه ذلك . بل كانوا يأتونه عليه السلام ويقولون له - إذا ما ناهم نائب - يا رسول ادع لنا ربك ينزل علينا الغيث والمطر ويشفي مرضانا ويبارك لنا في كذا وكذا . فيقوم رسول الله فيدعو الله لهم . وهذا متواتر معلوم . وانا نعلم يقيناً وكل المسلمين يعلمون أن أحداً من أصحاب رسول الله لم يقل يوماً يا رسول الله أغثنا أو وسع رزقنا أو اشف مرضانا . ونعلم أن أحداً منهم لو قال ذلك لأنكره عليه رسول الله كل الانكار ولما رضيهم منهم . ولقد قال له رجل يوماً ماشاء الله وشئت فقال له عليه السلام « اجعلني لله ندا . بل ماشاء الله وحده » ولما استغاث به بعض الصحابة وهو حي بين أظهرهم من منافق كان يؤذي المؤمنين قل لهم « إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله » ولقد قال خطيب يوماً أمامه ومن يطلع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له عليه السلام بأس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى »

وذلك لجمعه بين الضمير العائد على الله والضمير العائد على الرسول الكريم وما يكون ذلك بالنسبة الى طلب الشفاء والرزق من الرسول وغيره ونحسب أن رجلاً لو طالب منه ^{صلى الله عليه وسلم} شيئاً من ذلك لأنكره عليه كل الانكار

ومكان القول في الرد على هذا الضلال واسع جداً يستطاع أن يؤتى من طرق كثيرة ، كل منها يوصل الى هدمه وتقويضه . فان الله الذى خلق الحق والحقيقة خلق الباطل ذليلاً أين وجد وحيث كان ، لا يستطيع مقاومة الحق ولا يخفى على من أراد الهداية الفرق بينهما . وسوف يجىء لهذا زيادة بيان في الأبواب الآتية

(ثالثاً)

قوله وقد اختلف في الأمر هل هو للوجوب أو للندب أو مشترك بينهما وفي النهى هل هو للتحريم أو للكره أو مشترك بينهما ؟ يقال فيه نعم قد وجد الخلاف في ذلك بين علماء الكلام والنظر . ولكن اتفقت كلمة السلف وقر رأى عامة المسلمين على أن الأمر « كافل » وما يتصرف من هذه الكلمة مثل : أنتم مأمورون ، أو أمرناكم للوجوب والالزام ، بحيث أن من ترك ما أمر به يؤاخذ به الله يوم الدين الا إذا قامت قرينة على أن أمراً معيناً ليس للوجوب والالزام . وحينئذ يصار حيث تدل القرينة ، وإذا قامت القرينة على أن أمراً معيناً ليس للوجوب تردد بين الندب والاباحة فقد يكون ندباً وقد يكون اباحة ، والآخر يكون اذا ما أتى الأمر بعد الحظر كقوله تعالى « وإذا حللتم فاصطادوا » وقوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله » وقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام فادخروا واكلوا وتصدقوا » ، وقوله عليه السلام في الحديث الآخر الصحيح « كنت نهيتكم عن الاتباز بكذا وكذا من الأواني فانتبذوا بما شئتم غير أن لا تشربوا مسكراً »

وظاهر كلام هذا الرافضي أن الأمر يدور بين الوجوب والندب والاشتراك

بينهما دائماً ، ولكن الأمر كما ذكرنا نحن ، وإذا لم يكن هنالك قرينة على التنب والاباحة فلا بد من الحل على الوجوب والدلائل على هذا لا تحصى ، ولولا ذلك لما استطعنا أن نفهم أن الحج والزكاة والصلاة والصيام وسائر فرائض الاسلام واجبة فان الذى جاء فيها هو أوامر شديدة ووعيد شديد لمن ترك تلك الفرائض فإذا ما كانت الأوامر ليست للوجوب وكن الوعيد الشديد يكون لترك المندوب كما يقول هذا المؤلف فكيف يستطيع أن يقطع بأن أمراً من الأمور أوفريضة من الفرائض واجبة ؟

لا ريب أن الذهاب الى هذا الرأي انحلال من الدين جملة وتفصيلا وكذلك اتفقت كلمة السلف واستقر رأى المسلمين على أن النهى مثل « لا تفعل » وما تصرف من ذلك مثل أنت منى ، أو نهيتك للتحريم ما لم تكن فى الكلام قرينة تبين أن النهى المعين ليس للتحريم ، وحينئذ يصار الى ما ندل عليه القرينة ، وأما عند فقدان القرينة فلا بد من الحل على التحريم ، ومن لم يصنع ذلك لم يستطع أن يقطع بأن الفواحش الظاهرة والباطنة محرمة من النهى عنها ، بل قد تكون مكروهة كراهة تنزيه فقط ، وأما الوعيد عليها باللعنات والنار فلا يدل على التحريم أيضاً عند هذا المصنف ، فقد ذكر أن تارك المندوب أو فاعل المكروه يوعد بالنار ويلعن . وهذا مؤد ولا محالة الى الاباحية المطلقة . وهذا هو ما يرى اليه هذا المؤلف وهذا هو قيمة ردوده على النجديين أهل السنة والجماعة الذين ينهون عن الفواحش بصرامة ، ويأمرون بالطاعات بصرامة ، ولا يقبلون من يتهاون فى ذلك

وليعلم أن الدلائل الدينية واللغوية والعقلية على أن الأمر المطلق للوجوب ، والنهى المطلق للتحريم كثيرة جداً مذكورة فى كتب أصول الفقه استطاع مراجعتها بسهولة ، ونحن إنما غرضنا هنا ذكر ما يقتضى كلام هذا الرجل من الفساد

والأنحلال حيث ادعى أن معرفة المحرم والواجب من النصوص عزيزة عصية
 وبع هذا الرجل وطائفته !!! تارة يدعون أن الكتاب والسنة يدلان على كل
 شيء حتى على العقائد الفاسدة وعلى كل الضلالات كما تقدم ، وتارة يدعون أنه تعز
 معرفة الواجب والمحرم ومعرفة فرائض الاسلام ، وتارة يدعون أن الكتاب محرف
 مزيد فيه منصوص منه ، وتارات يدعون أقبح من هذا وهذا كما سوف يمر بك
 الشيء الكثير من هذا الخلط في أثناء هذا الكتاب . وأنت اذا ما فكرت في
 الحامل لهذا الرجل على الاصطدام بهذه الحقائق الاسلامية العليا ، وفي محاولته
 القدح في النصوص وقيمة النصوص عرفت إن كنت فطينا أن الحامل له على ذلك
 كله هو طمعه في التنصل من حجج القرآن والسنة التي يدلى بها أهل الكتاب والسنة
 على امتناع دعوة الأموات وامتناع الرعونات الشيعية . فان هذا الشيى يعرف أن
 نصوص الاسلام ضده وضد ما يدعو اليه ، فلا سبيل له إلا القدح فيها بإيراد
 الشبهات عليها ، ولو كان معه شيء من النصوص لما ذهب هذا المذهب الأبعد ،
 ولما غص بالكتاب والسنة كل هذه النصوص ، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون

(رابعاً)

قوله وفي الكتاب والسنة المبالغات كسائر كلام العرب ، الجواب عليه أن يقال
 ان المبالغة في كلام العرب أقسام منها الكذب الصراح المستهجن والمجازفات المذكورة
 على الشاعر ومن الشاعر نفسه . وهذا القسم من المبالغة لا يمكن أن يدخل كلام
 الله ولا أن يدخل كلام رسوله . وهذا القسم لو ارتكبه عالم من العلماء لكان غالطاً
 ولكان فاعلاً ما لا يجوز مثله من مثله ، ومن مثل هذا القسم قول الشاعر :
 كفى بجسمى نحولاً اتى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترونى
 وقوله أيضاً :

ان كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئذ من الاسلام
وقول الآخر :

لأخفت أهل الشرك حق انه لتخاذك النطف التي لم تخلق

وهذا النوع من المبالغات قد أباحها علماء الأدب والنقد على الشعراء أنفسهم ،
وهم يقولون ان أحسن الشعر أكذبه ، فكيف يمكن أن يدخل كلام الله وكلام
رسوله ؟ هذا ما لا يكون ، وكلام هذا المصنف صريح في أنه يجوز عنده هذا النوع
في الكتاب والسنة ، والمسلمون والعقلاء جميعاً ينزهون كلام الله وكلام رسوله عن
هذا المراء القبيح ، فكلامهما لن يتصل به شيء من المبالغة التي تخرج عن نطاق
الصدق والحق ، وذلك أنه لا يراد منهما سوى الصدق والحق ، ولهذا نجد يقول
تعالى « يكاد سنا برفه يذهب بالأبصار » ويقول « وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بأبصارهم » ولتنظر الى تقييد الكلام « يكاد » في الموضعين بعداً عن
المبالغة الكاذبة التي يترأ كض الى تصيدها الشعراء

ولا يظن القارىء أن قوله تعالى « ومكروا مكرم وعند الله مكرم وان كان
مكرم لتزول منه الجبال » من هذا النوع الممنوع بل ان « ان » هنا نافية والمعنى وما
كان مكرم لتزول منه الجبال لحقارته وضآلته وضعفه ، وقد جاء في بعض القراءات
« ما » بدل « ان » أى وما كان مكرم والمراد من الآية أن القوم وان كانوا
شديدي المكر والدهاء والمحال فهم أقل وأضعف من أن يغالبوا الله سبحانه فيزيلا
ما وطد أو يهدموا ما شيد كقوله تعالى « ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن
تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً » أو يكون المراد بالجبال هنا آيات الله وبيئاته
أى انهم لا يستطيعون أن يزولوا براهيننا وآياتنا التي أعطيناك إياها فنفسوها عليك
وغاظهم ذلك منك ، والمعنى على كل صحيح سليم جيد

وهذا هو سبيل القرآن والسنة الذي لا يختلف لا يصل الى المبالغة الخارجة
عن الواقع والصدق

وكلام هذا المؤلف ينبؤنا أنه باطنى غال متعصب ، فانه يسعى طاقته للتفصى
من ظواهر النصوص ونزع الدلائل منها بما استطاع من ادعائه ضروب الاحتمالات
تارة بادعائه المجازات وتارة بادعائه المبالغات وتارة بادعائه الاشتباه وتارة بقده
فى الروايات والرواة وتارة بغير ذلك من الدعاوى الرامية عن قوس قرمطية هوجاء
واكته فى كل ذلك لا يريش ولا يبرى

وأما تسمية بعض المعاصي كفراً كقول النبى ﷺ فى الحديث الصحيح :
« اذا أبق العبد من مواليه فقد كفر » وقوله : « اثنتان فى الناس هما كفر الطعن فى
الأنساب والنياحة على الميت » وأشبه ذلك فليس من المبالغة فى شىء كما يدعى
هذا الرافضى

فان حاصل قوله : إن ذلك ليس كفراً ، ولكن الشارع سماه كفراً تهويلاً
وإرهاباً ، أو كذباً بالعبرة الصريحة . وهل يكون الالحاد والقذح فى الدين
غير هذا

هذا منزع للملحدين قديم يرمون من ورائه الى انتزاع الثقة من الأديان .
يقولون إن ما فى النصوص من أهوال يوم القيامة المعدة للكافرين ، ومن اللذات
المعدة للمؤمنين هى أقوال غير صحيحة يراد بها المبالغة وحفز الناس الى الطاعات ،
واجتناب المعاصي ، ولكن لا شىء من ذلك واقع صادق . ونحن نقول : كذبوا
والله هم ، وصدق الله رسوله فى وعده وإيعاده ، والله لا يقول لشىء إلا
ما يستحق ، فلا يسمى ما ليس كفراً كفراً ، كما لا يسمى ما ليس إيماناً
إيماناً ، لا على سبيل المبالغة ولا على سبيل غير سبيلها ، بل لا يسمى الأمر
غير اسمه

أما تسمية المعاصي كفراً فليست مبالغة بل هو وضع شرعى لها . فهي كفر حقيقة . ولكن الكفر أنواع كما جاء عن عبد الله بن عباس « كفر دون كفر » فانكار الله كفر ، وانكار الأديان كلها كفر ، والشرك بالله مع الإيمان به كفر والمعاصي التي سماها الشارع كفراً كفر . ولكن هذا الكفر ليس في مرتبة واحدة من الشناعة والقيح . فكفر يخرج من الملة وكفر لا يخرج منها ، بل يكون صاحبه مسلماً آتياً بما يسمى كفراً . وكذلك كل ما فيه مخالفة لأمر الله ، يقال فيه ذلك . فالظلم مثلاً أنواع منه المخرج من الدين كالشرك بالله كقوله تعالى « إن الشرك لظلم عظيم » ومنه مالا يخرج منه ، وهو مادون ذلك . ومنه المخلد في النار ومنه ما ليس بمخلد . وكذلك الشرك منه الأصغر الذي لا يوجب الخلود في العذاب ومنه الأكبر الذي يوجب الخلود في العذاب المقيم الأليم

ومثل ذلك الإيمان بالله نفسه . فنه الإيمان الصحيح البرى من الشرك ومنه الإيمان المزوج بالشرك الذي لا ينجى صاحبه كإيمان الكافرين بأن الله خالقهم وخالق كل شيء حتى أصنامهم . كقوله تعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » هذا هو سبيل هذه النصوص . وبها ينتجو المرء من مزلق وقع فيها كثيرون . أما ما ذكره من التأويل لما أضيف الى بعض الأنبياء وزعمه أن ذلك بلسان الورع والتقوى لا بلسان الفقه والفتوى ، فهو تأويل بعيد عن الورع والتقوى بعيد عن الفقه والفتوى . فانه يقضى بأن يكون للكتاب والسنة لسانان وخطابان : لسان للورع ولسان للافتاء أحدهما مخالف الآخر ، وخطاب للاولياء والأنبياء وخطاب لعامة الناس ، أحد الخطابين مخالف الآخر . وهذا كذب وانحلال فان خطاب الشارع هو خطاب فتوى وتقوى . فخطاب التقوى لا بد أن يكون خطاب فتوى . وخطاب الفتوى لا بد أن يكون خطاب تقوى . والخاصة والعامة في ذلك سواء . فما سماه الله من نبي معصية أو ذنباً لا يمكن أن يسميه من غيره

طاعة وقربة . وما مماء من عامة الناس طاعة وقربة لا يمكن أن يسميه من الانبياء
والاولياء ذنباً . ولو كان الأمر كذلك لما صح للعامة أن يقتدوا بالخاصة من
الانبياء والاولياء إذ يكون حينئذ لكل من الطائفتين خطاب ولسان وعمل خاص
به ونحن اذا ما نظرنا الى ما نسب الى بعض الانبياء تبين لنا فساد قول هذا الرجل
بوضوح وجلاء ، فننظر مثلاً الى ما نسب الى آدم عليه السلام من خطيئة ، فنجد
أن الله نهاه عن الأكل من الشجرة وحذره ذلك تحذيراً واضحاً ، ثم نجد أنه قد
أكل من الشجرة ، فقال الله له اخرج من الجنة ، فأخرجه منها وقال في هذه
المخالفة « وعصى آدم ربه فغوى » ثم ندم على أكله من الشجرة واستغفر ربه
وأناب اليه فتاب الله عليه ، فهل يسمى الله أكله من الشجرة طاعة ، أو هل يقول
انها ليست معصية لو كان الخطاب بلسان الفتوى لا بلسان الورع المدعى ، أو لو
كان المنهى عن الأكل من الشجرة الآكل منها واحداً من عامة الناس ؟ ؟ كلام
هذا الرجل يقضى بأن يكون الجواب « نعم » وليكننا نحن نقول اللهم لا

ثم ننظر الى ما حكاه الله عن نبيه موسى عليه السلام من قتل القبطى بوكزة
كانت هي القاضية عليه ، فاذا ما افترضنا هذا القتل غير مشروع أو افترضنا
أن موسى عليه السلام كان متعمداً القتل ، اذا افترضنا ذلك فهل يقال ان موسى
عاص مقترف ذنباً لأنه يخاطب بلسان الورع والتقوى ويقال لفاعل مثل فعله من
عامة الناس كأن يقتل رجلاً بوكزة انه غير عاص ولا مذنب لأنه يخاطب بلسان
الدين والفتوى ؟ كلام هذا الرافضي يقضى بأن يكون الجواب « نعم » وليكننا
نحن نقول اللهم لا

هذان مثالان من الأمور المضافة الى بعض الانبياء يفسدان على هذا الشيعى
قوله وتاويلاته الباطنية ، وليقس عليه ما لم نذكره
أما الذي نقوله نحن ونقول به جمهور المسلمين ويشهد له الكتاب والسنة ، فهو

أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد تقع منهم أحياناً ذنوب صغيرة وأخطاء يسيرة إقراراً للإنسانية فيهم ، واعترافاً لهم بالضعف أمام الله وأمام جبروته وكالاته ، ولكنهم يتوبون من ذلك بلا ريث ولا تأخير « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » ثم ان الله لا يقرهم على تلك الذنوب الصغيرة بل يعاتبهم وينبهم فيزدادون بذلك رجوعاً الى الله وإجابة إليه وكم من مرة يزداد بالذنوب قرباً الى ربه ، ويزيده تعالى تقريباً إليه ، لما يعقب ذلك من الندم والالامة والخشية والوقوف بين يديه ضارعاً مستكيناً ، كما قد يزداد بالطاعة بعداً من الله لما يكون مع ذلك عند المائنين على الله من الاغترار والانخداع والامتداح بما عملوا

وبهذا التفسير لا حاجة الى التأويلات الباطنية التي حشدها الشيعة في كتابه هذا فضليلاً وجهاً

الامر السادس

قال فيه ما مختصره « ليست جميع المعاصي ولا الكبائر كفراً لكن قد يطلق على كثير من الذنوب اسم الكفر والشرك والنفاق تعظيماً للذنوب وتحذيراً منه أو تشبيهاً لما أخذته لعظمها ، واخذة الكفر كما قد جاء التهديد بالنار واللعن على ترك بعض المستحبات أو بعض المكروهات يئانا لتأكد الاستحباب حتى كأنها واجبة ، ولشدة الكراهة حتى كأنها محرمة ، أو لأن التهاون بها ربما يجر الى التهاون بالواجب ، كما ورد أن من ترك فرق شعره فرق بنشار من نار . ونظير ذلك اللعن على فعل المكروه كلعن المحلل والمحلل له ، ولعن النائم في البيت وحده والمسافر وحده وآكل كل طعامه وحده ، واطلاق المعصية على فعل المكروه ، كما في المعاصي المنسوبة الى الأنبياء . قال : وحكم

الوهابيون بكفر تارك الصلاة وإن لم يكن مستحلاً واستحلوا القتل بترك بعض فرائض الاسلام أو شعائره على عادتهم في تكفير المسلمين وإحلال دماهم اقتداء بالخوارج »

وهنا نقل من كتاب الهدية السنية لعلماء نجد كلاماً في حكم تارك الصلاة وفيها أن العلماء مختلفون في إكفار تارك الصلاة ، وذكر أدلة الفريقين وذكر بعض الأحاديث الدالة على كفر تارك الصلاة وفيه أيضاً أن العلماء مختلفون في قتل تارك الصلاة وأن الجمهور ومنهم الأئمة الأربعة خلافاً لحنيفة قائلون بقتله وذكر من دلائلهم قوله تعالى في سورة التوبة « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » وقوله ﷺ في الحديث الصحيح : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) ثم قال بعد ذلك :

« ونقول أما الأحاديث التي أطلق فيها الكفر على جملة من المعاصي فقد عرفت أنه لم يرد بها الحقيقة ، وأما الاستدلال بآية فاقتلوا المشركين فغير صحيح لأن الاسلام قول باللسان وعمل بالآر كان فمن كان مشركاً وتشهد الشهادتين ولم يأت بأعمال الاسلام لا يحكم باسلامه بخلاف المسلم الموحد المولود على فطرة الاسلام الملتزم بأحكامه الفاعل لها اذا عصى بترك فرض يعتقد وجوبه ويعلم أنه عاص بتركه فالآية واردة في الأول لافي الثاني . والحاصل أنه لا يجوز التهميم على دماء المسلمين بأخبار غير ظاهرة وبأقوال الاجهوري والأذري والحراني والهيتمي »

ونحن نسأل الله أن يفرغ علينا صبره كي نستطيع مجابهة مافي هذا الكتاب من العناء والبلاء والخروج عن الصراط المستقيم

(اولا)

قوله : ليست جميع المعاصي كفراً ، لا معنى لحشره هنا لأن القوم الذين يزعم أنه يرد عليهم لا يقولون ان جميع المعاصي ولا جميع الكبائر كفر . فلا يدعون أن الزاني والسارق والقاتل وظالم الناس وآكل الربا وأموال الناس بالباطل ، لا يدعون أن أحداً من هؤلاء كافر إذا ما كان مؤمناً بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر إيماناً صحيحاً ، وإذا ما سلم عمله من الشرك بالله وعبادة غيره . بل هم يبرءون ممن يكفرون المؤمنين العصاة ، ويعلمونهم مخالفين الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة المهديين ، ويوردون من الدلائل على ذلك أشياء كثيرة لا يعلمها هذا المؤلف ولا طائفته ، وهذا مذكور في كتبهم المطبوعة لا يخالف فيه واحد منهم فما الذي دعا هذا الرافضى الى حشده هذا الأمر في هذا الكتاب ؟ ؟ ؟ انه يريد بذلك التضليل وترويج الكذابة على أهل نجد وغيرهم من أهل السنة بزعمه أنهم يكفرون بالذنوب ليدعى أنهم هم الخوارج كما سوف يحىء في مقدمته الثالثة

(ثانيا)

ان الشيعة في الحق هي التي تكفر بالذنوب لا من يرد عليهم هذا الشيعة العنيد فانهم يكفرون من لا يؤمن بامامهم المعصوم المنتظر ، ومن لا يؤمن بالعصمة لأنتمهم ومن لا يقدم علياً على أبى بكر والخلفاء ، ومن لا يبرأ من معاوية وعمر وبن العاص وعائشة والآخرين ، بل ويكفرون الخلفاء الارشدين الثلاثة لأنهم كما زعموا اغتصبوا الخلافة من الخليفة الحق على ، ويكفرون من مكن هؤلاء الخلفاء من الخلافة وقدمهم على علي رضى الله عن الجميع ولا رضى عن سب أحداً منهم ، وقد يكفرون كل من لا يكون شيعياً من المسلمين الأولين والآخرين وفي هذا الكتاب الذي تنولى الرد عليه ص ٦٥ بيتان من الشعر في غاية البذاءة والوقاحة يقدم

قائلهما في غير الشيعة من آل البيت أشنع القدح ، مع العلم بأن أكثر آل البيت ليسوا شيعة ، والبيتان هما :

إذا علوى تابع ناصبياً لمذهبه فما هو من أبيه

فإن الكلاب خير منه طبعاً لأن الكلاب طبع أبيه فيه

والناصبى عند هؤلاء القوم البعداء هو من قدم أحداً على علي في الخلافة أو فضله عليه ، فكل علوى يفضل أبا بكر أو عمر أو عثمان أو يقدمهم على علي فليس لأبيه ولا منه ، أى أنه ابن زنا ، وهو شر من الكلاب خلقاً وطبعاً لمحافظة الكلاب على طباع آبائها بخلاف العلوى الذى يفضل أحداً على علي . فالمسلمون الذين لا يفضلون علياً على جميع الصحابة هم شر من الكلاب ، والكلاب خير منهم طبعاً عند الرافضة والشيعة ، وهذا شر ما يكون من القدح والأذى . وقد ثبت في البخارى وغيره من طرق لا تحصى أن علياً نفسه كان يفضل أبا بكر وعمر على نفسه وعلى غيره فهو ناصبى وهو شر من الكلاب عند هؤلاء القوم المبعدين وفى كتاب الوشيعة (ص ٢٤) تحت عنوان : « كتب الشيعة في الفرق الإسلامية » :

« صرحت كتب الشيعة أن الفرق الإسلامية كلها كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة . والمخالف مطلقاً شر من الكفار . وصرحت كتب الشيعة أن دم الناصب وماله حلال إلا امرأته لأن نكاح أهل الشرك جائز . والناصب على حسب بيان كتب الشيعة من يقدم الأول والثانى على علي أو يمتد إمامة الأول والثانى . وتقول كتب الشيعة أن الله قد نصب علياً علماً بينه وبين خلقه من أنكره فهو كافر ومن أشرك معه آخر فهو مشرك وإن إيمان المخالف في الإمامة لا إيمان له هو للنار وإلى النار . والمخالف في الإمامة حكمه حكم المشرك والكافر في جميع الأحكام ، كمن أجرى عليهم زمن الهدنة حكم المسلمين رحمة للشيعة . وإذا ظهر القائم قائم آل محمد أجرى على المخالف في الإمامة حكم المشرك والكافر في جميع الأحكام . ويقول

الامام الباقر والصادق : لولا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم والرجل منكم خير من مائة الف رجل منهم لأمرناكم بقتلهم كلهم ، ويقول الامام في أئمة المذاهب الأربعة من هذه الأمة : لا تأتهم ولا تسمع منهم لعنهم الله ولعن ملهم المشركة . وفي التهذيب^(١) كان الصادق يقول خذ مال الناصب حيث ما وجدته وادفع اليها الخمس^(٢) »

فهذا القول الذي ذكره هذا المصنف هنا يوجه الى طائفته وبني دينه الرافضة لا الى أهل السنة

(ثالثاً)

أما إطلاق الكفر والنفاق والشرك على بعض الذنوب فقد تقدم الكلام عليه في الأمر الذي قبل هذا وتقدم أن هذه الاسماء ، الكفر والنفاق والشرك أنواع صغرى وكبرى مخرج من الملة وغير مخرج كشأن جميع الاسماء الشرعية وغيرها منها ما يكون المعنى الأكبر ، ومنها ما يكون المعنى الأصغر ، ومنها ما يكون لما بين ذلك فالاستغانة بالموتى مثلاً شرك أكبر ، والحلف بغير الله شرك أصغر ، كما جاء في الأحاديث . فكلا العاملين يسمى شركاً تسمية حقيقية شرعية ، ولكن أحدهما أكبر مخرج من الاسلام ، والثاني أصغر غير مخرج من الاسلام . وكذلك وجود القرآن والاسلام مثلاً كفر ، وقتال المسلمين كفر ، كما جاء في الأحاديث الصحاح ، ولكن الكفر الاول كفر أكبر مخرج من الاسلام ، والثاني دون ذلك

(١) التهذيب أحد كتب الشيعة المعتمدة

(٢) يلاحظ أن الشيعة تنسب الى أئمة آل البيت كذباً وهي تسبهم فيما تحسب

أنها تستدل بأقوالهم

والكذب على الله وعلى كتابه وادخال ما ليس منه فيه من أرفع أنواع الكذب وأكبرها وهو كذب مخرج صاحبه من دين الله . والكذب على الناس لأسباب دنيوية كذب لئلا يفتقدوا فظاعة وعاقبة وعقوبة . وكلا النوعين كذب ولكن شتان ما بين النوعين . بل والإيمان بالله منه الإيمان الصحيح النقي المستوجب رضا الله . ومنه الإيمان المشوب بالشرك والكفر بالله ، كإيمان المشركين . وهذا قد تقدم

أما التأويلات التي ذكرها الشيعي فهي تأويلات فاسدة قرمطية

(رابعا)

أما زعمه أنه جاء التهديد بالنار واللعن لمن ترك بعض المستحبات أو فعل بعض المكروهات ، فزعم يأباه الله ورسوله والمؤمنون . فإن الله لا يمكن أن يوعد بالنار أو يلعن إلا من يستحق ذلك الوعيد وتلك اللعنة . ولا يستحق النار واللعن إلا من فعل فعلا منكرا أو ترك أمرا واجبا . فانه لو قال من فعل كذا فله النار وكان ذلك الفعل الموعود عليه أمرا مستحبا ليس واجبا فعلة ولا مؤاخذا فاعله لكان ذلك القول كذبا صحيحا صريحا ، والله لن يكذب أو يخلف في وعده أو إيمانه . ولو قال من فعل هذا الامر فهو ملعون ، وكان ذلك الامر في الواقع أمرا غير واجب ولا معاقبا عليه ، لكان ذلك القول كذبا أيضا . لان اللعن معناه الابعاد من رحمة الله ورضاه ، كما يقول العلماء ، وكيف يبعد من رحمة الله من لم يفعل محرما ومن لم يدع واجبا ؟ هذا ما لا يكون

واذا كان الله يلعن ويوعد بالنار من يدع المستحبات ومن يفعل المكروهات فكيف يمكن أن يعلم الواجب من غيره والحرام من الحلال ؟ أمن الامر والنهي مثل (افعلوا) و (لا تفعلوا) ؟ إن هذا الرجل قد ذكر في (الأمر الخامس)

أن هاتين الصفتين أي الأمر والنهي لا يدلان على الوجوب ولا على الحرمة دلالة
بيّنة لكثرة اللبس والاختلاف . وذكر هناك أيضاً أنه يصعب معرفة الواجب
والحرم من الأمر والنهي

فإذا كان الأمر بالشئ والوعيد بالنار واللعن لا يدل شيء منها على وجوبه
شرعاً ، فن أين يعلم وجوب الواجبات ؟ وإذا كان النهي عن الشئ والوعيد
بالنار واللعن على فعله لا يدل على أنه حرام شرعاً فكيف يعلم أن شيئاً من
الأشياء حرام شرعاً ؟ لاجرم أن أقوال هذا الرافضى تقضى بأن لا يعلم الحلال
من الحرام والواجب من غيره . وهذا عين الفوضى والانحلال والاباحية المسرفة
وهل يستطيع هذا المصنف أن يتصل من هذا الالتزام المخرج ؟ ليفعل إن
كان مستظيهاً

والأحاديث التي استدلل بها هنا قوله (من ترك فرق شعره فرق بمنشار من
النار) وقوله (لعن النائم وحده والمسافر وحده وآكل طعامه وحده) هي أحاديث
تحتاج إلى الصحة والاثبات وبغير ذلك لا تقبل . وهذا خالف ما قاله (في الأمر
الخامس) وقدم من أنه من الخطأ المحض القول بمضمون الخبر لوجوده في الكتب
أو تصحيح بعض النامس له . وهذه الأخبار لو صحت لكان فرق الشعر واجباً
ولكان نوم الرجل وحده وأكله وحده وسفره وحده حراماً . فهل يستطيع تصحيح
هذه الأحاديث ؟ هذا ما يعسر عليه

وأما حديث المحلل والمحلل له فهو حديث رواه الامام أحمد والنسائي
والترمذى وصححه وروى مثله من طرق أخرى صحيحة

و (المحلل) هو الذى يتزوج المرأة قاصداً أن تحل لزوجها الأول . و (المحلل
' هو الذى يرضى ذلك ويطلبه . وهذا العمل من الفاعلين في غاية الخسة وضعة
وصغارها وهو حرام شنيع على الاثنين معاً (المحلل والمحلل له) وعلى المرأة

أيضاً اذا كانت عالمة وقد جاء في حديث آخر أن الرسول ﷺ قال (ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا بلى يا رسول الله قال هو المحلل ، لمن الله المحلل والمحلل له) رواه ابن ماجه ، ولا نحسب إنساناً يشتمل على شيء من إباء النفس والرجولة الحرة يرضى بأن يقدم زوجه الى رجل وحش ليفترسها كي يفترسها هو من بعده وعندنا أن هذا النوع من أقبح أنواع الزنا المنكر . فمن ذا الذي قال لهذا الرافضى إن هذا العمل ليس حراماً ، وقد اعترف أن الرسول ﷺ لعن فاعله ، ومن ذا الذى أعلمه أن ذلك حلال مكروه فقط ؟ ان منطقاً فى هذه المسألة هكذا : فاعل المكروه ملعون والدليل على أنه ملعون لعن المحلل والمحلل له . والدليل على أن هذا التحليل مكروه فقط وليس حراماً أن مرتكبكه وراضيه ملعونان . هكذا منطق هذه المسألة ، وهو منطق خلىق بأن يعزى للجان

نعم الشيعة تحلل (التحليل) لأنها ترى جواز ما هو أفظع منه ، أعقى متعة النساء وهي شر من التحليل وأبعد تحليفاً فى جواء الأثم والجريمة . فمن أباح متعة النساء فكيف يحرم فعل (المحلل والمحلل له) والمتعة التى تتعاطاها الرافضة أنواع صغرى وكبرى ، فمن أنواعها أن يتفق الرجل والمرأة المرغوب فيها على أن يدفع إليها شيئاً من المال أو من الطعام والمتاع وإن حقيقراً جداً على أن يقضى وطره منها ويشبع شهوته يوماً أو أقل أو أكثر حسب ما يتفقان عليه ثم يذهب كل منهما فى سبيله كأنهما لم يجتمعا ولم يتعارفا . وهذا من أسهل أنواع هذه المتعة

وهناك نوع آخر أخبث من هذا يسمى عندهم بالمتعة الدورية ، وهي أن يحوز جماعة امرأة واحدة فيتمتع بها واحد من الصبح الى الضحى ثم يتمتع بها آخر من الضحى الى الظهر ، ثم يتمتع بها آخر من الظهر الى العصر ، ثم آخر الى المغرب ، ثم آخر الى العشاء ، ثم آخر الى نصف الليل ، ثم آخر الى الصبح . وهم يعدون هذا النوع ديناً لله يشابون عليه . وهو من شر أنواع المحرمات

(١٢٠)

فالأفضة يحلون « التحليل » ويحلون ماشاءوا من الفواحش ماداموا يحلون
هذا النوع من المتعة المنكرة

أما نحن فنقول ان « التحليل » حرام والدليل على ذلك عندنا أن الرسول
الكريم لعن فاعله وقابله . ورسول الله ﷺ لا يلعن الا من استحق اللعن . ومن
لم يفعل محرماً أو يدع واجبا فلن يستحق اللعن
وأما الأمور المنسوبة الى الانبياء فقد تكلمنا عليها في الأمر الذي قبل هذا

(خامسا)

أما قوله « خكم الوهايون بكفر تارك الصلاة وإن لم يكن مستحلا »
فنحن نقول : الكلام على هذا في مقامين :

(المقام الاول) أن الوهايين ليسوا منفردين بهذا الحكم ولا مبتدعيه .
بل هم تابعون أئمة الاسلام : الامام أحمد وغيره . وقد شاركهم فيه جماهير من
الأئمة وعلماء الحديث والصحابة ومن بعدهم ومن قبلهم

و (المقام الثاني) بيان أن الحق مع من كفر تارك الصلاة . أما المقام الاول فقد
سبق (الوهايين) اليه صحابة رسول الله . فروى الترمذى والحاكم وصححه على شرط
البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن شقيق المقيلى قال : كان أصحاب رسول الله
لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة ، وذكر في نيل الاوطار عن علي
رضي الله عنه بخصوصه أنه كان يكفر تارك الصلاة . والشيعة تدعى كتباً أنها
تابعة علياً وولده

وروى البخاري أن حذيفة الصحابي الكبير رأى رجلاً لا يتم الركوع
والسجود فقال ماصليت ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمد ﷺ
وقال ابن حزم : « قد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل

وأبى هريوة وغيرهم من الصحابة أن من ترك صلاة فرض واحد متعمداً حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد . قال ولا نعلم لهؤلاء الصحابة مخالفاً »

وروى ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم) عن أيوب السخيتاني أنه قال : ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه . وهو يعني بذلك إجماع الصحابة . وروى ابن رجب في السكتاب المذكور أيضاً عن اسحاق أنه قال أجمع أهل العلم على ذلك . والعلماء المتقدمون إذا أطلقوا الاجماع يذهب أول ما يذهب الى الصحابة وكبار التابعين . وقد لا يعنون غيرهم ولا يعتدون بالمخالفين بعدهم

اذن فقد سبق الوهابيين الى هذه المسألة الصحابة أجمعين كما رأيت وسبقهم بعد الصحابة طوائف من علماء المذاهب والأخبار . فذهب الامام أحمد واحدى الروايين عن الامام الشافعى ا كفار تارك الصلاة

قال ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) : « قد وردت أحاديث متعددة تدل على أن من ترك الصلاة فقد خرج من الاسلام . وقال عمر لا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة . وقال سعد وعلى بن أبى طالب من تركها فقد كفر »

وفي (الترغيب والترهيب) للمحافظ المنذرى « قد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى تكفير من ترك الصلاة متعمداً لتركها حتى يخرج وقتها منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء . ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعبد الله ابن المبارك والنخعي والحكم بن عتيبة وأيوب السخيتاني وأبو داود الطيالسى وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب وغيرهم »

اذن فالوهابيون لم ينفردوا بهذه المسألة . واذن تخصيصهم بها ظلم أو قلة علم : ظلم إن كان يعلم ذلك فكتمه خداعاً وتغريباً ، وقلة علم إن كان يجهل ذلك ، ولا يعلم أن أحداً قال قبل من يسيهم (الوهابيين) با كفار تارك الصلاة . وما هذا الرجل من الظالمين يبعيد . على أنى أقول فيه قولاً لا أخاف أن أخالف به

الحق وباطن الأمر فأقول : إن هذا المصنف الرافضى جعل من محام (الوهابيين) رمزاً للمسلمين الحق الذين يمثلون الاسلام الحق المبرأ من الشوائب والجهالات والبدع : جهالات الرافضة وبدعها وحقاقتها . فهو يقول قال (الوهابيون) وفعل (الوهابيون) و (الوهابيون) يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم . ويعنى بالوهابيين كل من جانب آراء الشيعة وباطلها الآخر ، ويعنى بالمسلمين الشيعة ومن دان دينهم وقبل خرافاتهم وضلالهم المبين . فكل من يأبى ذلك المعتد الشيعى فهو وهابى فى هذا الكتاب وعند صاحب هذا الكتاب . وكل من يطابق الشيعة ويتقبل آراءهم فى الله وفى دينه وأنبياؤه والصحابة والأئمة فهو المسلم الذى تجدر به الكرامة ويستوجب العطف والحنو والرضا . هذا الأمر الذى أقوله فى هذا الرافضى ، والدليل على صحة ما أذهب اليه ، أنه قد عد كل من يقول من المسلمين با كفار تارك الصلاة وهايبا مستحلا دماء المسلمين وأموالهم ، وقد رأيت أنى الصحابة - وقد كانوا قبل أن تعرف كلمة الوهابيين بأكثر من ألف عام - يقولون با كفار تارك الصلاة ، فهم وهايون . ورأيت أيضا أن علماء الحديث والسنة يقولون با كفار تارك الصلاة ، وقد كانوا قبل الوهابيين بمئات الأعوام فهؤلاء الصحابة وهؤلاء المحدثون والأئمة وهايون ضلال تجب مقاتلتهم ومعاداتهم عند هذا الرافضى . الله . إذن فالوهابيون ليسوا هم أهل نجد الذين نسبوا الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى ولد منذ مائتى عام تقريبا

والدليل على ذلك أيضا أنه يعد كل علماء الحديث والسنة وهايين اذا ما وجدهم يأبون البدع فى الدين وفى العقائد مثل الاستغاثة بالأموات والبناء على القبور والحج اليها ونذر النذور لها والحلف بغير الله . إنه يجعل كل من أنكر شيئا من ذلك وهايبا ، وان كان قبل أن يوجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمئات الأعوام وفى ص ٣٢٨ و ص ٣٢٩ جعل الامام أبا حنيفة وأتباعه وهايين لأنهم

منعوا سؤال الله بحق أحد من خلقه ، وفي ص ٣٣٧ ثم ٣٣٨ وما بعد ذلك جعل ابن عبد البر الامام المحدث المشهور والامام البيهقي والنووي والقسطلاني وهابيين أيضاً لأنهم حظروا الحلف بغير الله ، وهكذا يصنع في جميع الذين يخالفونه من السابقين واللاحقين ، ولا أحسبه يعد محمد بن عبد الله ﷺ وسائر الأنبياء بل وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه إلا وهابيين ، لو عرضت عليه أقوالهم ولم يدبر من قالها ، إنه يجعل كل الناس إذا ما تمسكوا بالسنة وهابيين تقدموا أم تأخروا كثروا أم قلوا وأما المقام الثاني - وهو بيان أن الحق في جانب الذين يقولون بالكفار تارك الصلاة - فنقول لا خلاف بين الناس أن دعوة الرسول الكريم كانت مرتبة هكذا : الإيمان بالله إيماناً صحيحاً ، ثم الإيمان بالرسول الكريم إيماناً صحيحاً ، ثم إقام الصلاة ثم سائر فروض الاسلام الخمسة ، ثم شعب الإيمان ، ولا خلاف بين الناس أن الرسول الكريم لم يقبل الاسلام من أحد على أن يدع الصلاة مطلقاً ، وعلى أن يكتفى بالشهادتين والإيمان الباطن ، ثم لا خلاف بين الناس أنه لم يكن أحد من صحابة رسول الله يدع الصلاة لوجه من الوجوه أو يعذر أحداً من المسلمين في أن يدعها ، ولا خلاف بعد ذلك أنه لم يكن يعرف في صدر الاسلام اسلام بلا صلاة ، ولا دين بلا صلاة ، ولا إيمان بلا صلاة . بل لم يمكن المسلمون يعرفون هذه الأسماء (الاسلام) و (الدين) (والإيمان) إلا أن تكون مقرونة بالصلاة وإلا أن يكون صاحبها مصلياً راعياً لله ساجداً قائماً بين يديه قيام الخاضع الخاشع المستكين ، ولم يكونوا يعرفون المسلم إلا أنه المصلي لربه الساجد الراكع له هذه أمور لا خلاف فيها . ثم لا خلاف أن أشرف مواقف العبودية هو موقف الصلاة ذات الركوع والسجود ، والقيام والقعود ، ولا أدل على عبادة العبد لمولاه من الصلاة التي يرغب فيها أشرف أعضاء جسده في التراب ، ويضع أرفع ما في جسمه فوق الارض ذلاً لله وعبادة له . ولا خلاف لأجل ذلك أن الصلاة أكبر برهان

يقدمه المزمع المؤمن بالله على إيمانه به ، وعلى اعترافه بأنه عبده المطيع وأن من يسجد له معبود مشكور ، وأنها أعظم وسيلة تقدم لاستئصال رضا الله واستحياء الرحمة من السماء الى الأرض ، ثم لا ريب بعد ذلك في أن صلاة المسلم أدل على إيمانه بالله من اعترافه بذلك قولاً وشهادة ، وأدل من الشهادتين . لأن الصلاة شهادة فعلية كبرى بالغة . والشهادة الفعلية أدل من الشهادة القولية . على أن الصلاة فيها الشهادتان بل لن يجد المؤمن بالله دليلاً يقدمه على إيمانه في أنواع العبادات كلها أبلغ من الصلاة

هذه أشياء لا خلاف فيها . فمن ترك الصلاة فقد ترك أبلغ العبادات وأدلها على الإيمان وأشرفها غاية ، وأكبرها وسيلة بين يدي الله وأعظمها استئصالاً لرحمته ورضاه ، وأكثرها خضوعاً وخشوعاً لرب الموجودات . ومن ترك مثل هذه العبادة فأين يكون إيمانه وما برهانه على صدقه في دعواه الإيمان ؟ ومن ترك هذه العبادة فكيف يقال له انه ممن عبد الله وممن أسلم له ؟ ان كل أحد يستطيع أن يقول ، فالإنسان يستطيع أن يقول انه مسلم ، وانه مؤمن ، وانه محسن ، وانه صديق ولي ، وأنه فوق ذلك . ولكن العمل هو الذي يصدق ذلك أو يكذبه ، وإذا كان من يأبى الشهادة بأن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله مع إيمانه بقوله لا يبعد مؤمناً ولا من ناجين ، فأنى يكون مؤمناً ناجياً من لم يركع لله في حياته ركعة واحدة ولا سجدة واحدة مع وفور صحته وسلامة بدنه ؟ لسنا نستطيع أن نفهم أن من يأبى الشهادتين يكون كافراً مع إيمان قلبه ، ومن لا يصلي في حياته كلها مع ما وهبه الله من القوة والصحة والفراغ يكون مؤمناً مع المؤمنين المصلين الذين هم على صلواتهم يحافظون ؟ نحن نعلم بالضرورة أن الشهادتين ليستا أدل على الإيمان والاسلام من الصلاة . وما أعظم شأن الصلاة لو يشعرون . ومن يشك في هذا ؟ هذا من جهة ، ثم نقول من جهة أخرى اننا لانستطيع أن نتصور رجلاً موفوراً

الصحة قوي البدن واسع الفراغ يقضي عمره الطويل العريض كله في لهوه ولعبه ،
وسروره ومرحه وخدمة شهواته ومآربه ، وخدمة دنياه وعاطفته ليلاً ونهاراً ثم
لا يوحى أن يركم الله الذي وهبه كل ما هو فيه من سرور وقوة وحياة ركة
واحدة ولا سجلة واحدة في حالته كلها ثم لا يكون من الكافرين الذين لا يوجد
في قلوبهم شيء من بصيص الايمان أو الاسلام

ونحن لا نستطيع أن نتصور أن مثل هذا الانسان يكون مسلماً ، أو أنه يحمل
في قلبه مثقال ذرة من الايمان بالله ومن خوفه وحبه والخضوع له والاعتراف به ،
أو أن يكون لدى مثل هذا الانسان تفكير في معاده ومقامه بين يدي الله يوم
الدين للحساب ثم الثواب أو العقاب ، كلا ان مثل هذا الانسان لن يكون في
قلبه شيء من الله ومن الايمان به والرجاء له ، وان قلب مثل هذا الانسان لا يمكن
أن يكون لله فيه شيء لا قليل ولا كثير فان الأمر كما قيل :

واذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

وكما قيل أيضاً :

ان الحب لمن يحب مطيع

وانسان يكون فارغاً من الله فارغاً من كل لوازم العبادة لن يكون مسلماً ولا
مؤمناً . فالذي يدع الصلاة يكون كافراً ، لا لأنه ترك فريضة من الفرائض ، بل
لأن تركه الصلاة دليل على فراغ قلبه من الايمان ومن خشية الله وخوفه وتعظيمه
وإكباره ومن فرغ قلبه من ذلك فليس مؤمناً ولا كرامة . هذه فلسفة هذه المسألة
ثم نقول على نحو آخر : لو كان ترك الصلاة لا يوجب الكفر ولا ينافي
الايمان والاسلام لكان ترك جميع الأعمال صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها من
أعلاها الى أدناها لا يوجب الكفر ولا ينافي الاسلام والايمان . لأن من لا يكفر
بترك الصلاة لن يكفر بترك غيرها من الأعمال . والذي يترك جميع الأعمال كلها

الصلاة والصيام والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجميع أفعال البر والخير من المحال والضلال أن يكون من المؤمنين المسلمين الداخلين الجنات مع الداخلين . هذا محال فظراً وعقلاً وديناً

هذا من طريق النظر ، وأما من طريق النص فالمسألة أوضح وأظهر . فقد أطنب الكتاب العزيز والسنة الصحيحة في مسألة الصلاة أى اطناب ، وأوعدا من تركها أو تهاون في أدائها أنواع الایعاد وهددا غير المصلين بالنار والنفي والويل والكفر والشرك ، فقال تعالى « ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين » وقال « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً » وقال تعالى « وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * ويل يومئذ المكذبين » وقال تعالى « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون » وقال تعالى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين » وقال « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين » الى غير ذلك من الآيات المعلومة

وأما الأحاديث فروى مسلم وغيره عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) وروى أصحاب السنن أنه قال عليه السلام (العهد الذي بيننا وبينكم الصلاة فمن تركها فقد ~~هكفر~~) وروى الامام أحمد عن رسول الله أنه ذكر الصلاة يوماً فقال (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف) وروى البخارى أنه عليه الصلاة والسلام قال (من ترك الصلاة فقد حبط عمله) وروى أحمد بن حنبل وابن ماجه أنه قال (من فاتته صلاة العصر حبط عمله) وروى البخارى ومسلم أنه قال عليه السلام (بنى الاسلام على خمس شهادة أن

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) وفي حديث جبريل المشهور الصحيح : أنه لما سأل النبي عليه السلام عن الاسلام قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة الحديث . والآحاديث في هذا الموضوع كثيرة جداً والقرآن بجملة مبين في آيات لا نحصىها الآن أن المؤمنين الذين يحوزون هذا اللقب هم الذين يقيمون الصلاة ويحافظون عليها وهذا مذكور في أوائل السور كأوائل سورة البقرة ، وسورة الأنفال ، وسورة المؤمنون ، وغير ذلك . كما قد بين بجملة أيضاً أن أهل الجنة الوارثين لها هم العاملون الصالحات ، وأول ما يفهم من الأعمال الصلاة ولا شك ، وكم في القرآن من أمثال قوله « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » وقوله « هل تجزون إلا بما كنتم تعملون » وقد وضع البخارى في صحيحه باباً جعل عنوانه (باب من قال الايمان هو العمل) لقوله تعالى « وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون » وما يوجد في الكتاب العزيز على ما أذكر أن الله قال لأحد من أهل الجنة ادخل الجنة بايمانك المجرد من العمل وعتيدتك بأن الله وحده خالق كل شيء ، والشيطان نفسه مؤمن بالله وبأنه الخلاق وحده فلما أن قيل له اسجد لآدم فأبى السجود أصبح من الكافرين المبعدين من رحمة الله ولم ينفعه ايمانه بالله وبأنه خالق كل شيء ورب كل شيء بل قيل له اخرج منها انك رجيم ، وهذا أمر يطول بنا القول فيه اذا أردنا استقصاءه

وثبت أمر يجب أن يعرف ، ذلك أننا وجدنا بالاستقراء أن الذين لا يصلون يتجردون من الخير ومن كل عاطفة دينية لا يتأتمون من غشيان المحارم أصغرها وأكبرها ولا يتهيبون اقتحام السبل المضلة الأثيمة ولا يدعون من الشر إلا ما عجزوا عنه ولا يفعلون من الخير إلا ما اضطروا اليه ، وبالأجمال يدعون أنفسهم تذهب وراء سمجياتها والظلم من بعض سمجياتها ولا شيء يحجزها عن آثامها سوى

مراقبة الله وخشيته ومن لم يصلّ الله فلن يراقبه ولن يخافه ولن يعبأ بشوابه أو عقابه وقد قال الله في هذا « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقد بولغ في تكرار الصلاة في اليوم مرات لهذا الغرض الاجتماعى العظيم غرض تنقية النفوس من آثامها وذنوبها ، فالذين لا يصلون هم ولا ريب جوارح الآثام وغذاء المعاصى والجرائم فهم لا يصلحون لأن يحملوا اسم المؤمنين أو يجازوا ما يجازى به المؤمنون . هذا مضاف الى ما تقدم من اجماع الصحابة على ا كفار تارك الصلاة

هذا عن اكفار تارك الصلاة . وأما قتل تاركها ، فقد ذهب أكثر أئمة الاسلام ومنهم الأئمة الثلاثة احمد والشافعى ومالك الى وجوب قتله حدا عند من لا يقول بكفره أو كفرا وردة عند من يقول بذلك . وذهب الامام أبو حنيفة كما هو مشهور في مذهبه وآخرون الى أنه لا يقتل بل يعزر مثل أن يضرب ويسجن ويهان حتى يصلى . واحتج القائلون بوجوب قتله بقوله تعالى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » . والحديث المتفق عليه « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقيموا الصلاة » الحديث . وقد ورد هذا الحديث وصح من طرق كثيرة . ولا خلاف بين أهل الحديث في صحته . واحتجوا أيضا بالأحاديث الكثيرة التى فيها أنه يقال للرسول الكريم « ألا تقتل فلانا » أو « ألا تأمرنا بقتله » لمن قال أقوالا تنهى عن نفاقه وغدره فيكون جواب الرسول الكريم : لا ، لعله يصلى . أو نهيت عن قتل المصلين . أو لا ما أقاموا الصلاة . ونحو ذلك واحتجوا أيضا بالأدلة السالفة الدالة على كفر من ترك الصلاة فان من يقول بكفر التارك يقول بقتله

هذه بعض دلائل القائلين بالقتل . وبدل عليه أيضا أن الصحابة أجمعوا على قتال من منعوا الزكاة بعد وفاة رسول الله وقال أبو بكر فى ذلك كلمته المشهورة الخالدة " والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه " واحتج

الصحابة على ذلك بالحديث المذكور « أمرت أن أقاتل الناس ». الحديث .
والاحاديث صريحة في هذه المسألة كما أن الآية المذكورة صريحة أيضا فان الآية
قيدت تخليّة سبيل الناس بثلاثة أمور: للتوبة من الشرك ، وإقام الصلاة ، وإيتاء
الزكاة - فمن لم يجمع هذه الأمور الثلاثة لم يخلّ سبيله ، ولم يعصم ماله ودمه من
سيوف المؤمنين

وأما جواب هذا الرفض عن الآية بادعائه الفرق بين من ولد مسلما وبين
من دخل الاسلام بعد كفره وادعائه أن الآية خاصة بالأول دون الثاني فجواب
وادعاء باطلان ، لأنه اذا سلم بأن من أراد الدخول في الاسلام بعد كفره فشهد
الشهادتين وتظاهر بمظاهر المؤمنين المسلمين إلا أنه لم يصل ولم يترك كسلا ، مع
اعترافه بوجوب ذلك كله ، إذا سلم بأن ذلك الانسان لا يحكم باسلامه ، ولا يخلّ
سبيله ولا ينجو من أسياف المؤمنين فكيف يدعى بأن من ولد على الاسلام وصار
مسلمًا بالتقليد والمحاكاة يحكم باسلامه ويخلّ سبيله ولا ينال بسوء وإن ترك الصلاة
والزكاة والفرائض أجمع ؟ لا يدري ما الفرق بين الرجلين في الخيال الرفض . . ؟
أنا أحسب أن الداخل في الاسلام حديثًا أولى بالمعذر والصفح من المولود في الاسلام
إذا لم يصلّ وبترك ويعمل لله عملا . ولكن هذا الرجل لا يدع المنطق يسير في
وجهه وسبيله الصحيح

وماذا يقول في نصراني أو يهودي أو ملحد أراد الدخول اليوم في الاسلام
والإيمان بالقرآن وبالنبي الكريم وبالدين جملة ، فأمن كذلك ولم يأت بأمر يقدح في
إيمانه واسلامه إلا أنه ترك الصلاة والأعمال كسلا مع اقراره بوجوبها وإيمانه
بأنها فريضة من الفرائض اللازمة . مثل هذا الرجل لا يحكم باسلامه هذا الشيعة
كما قال هنا ، ولكن يحكم باسلام جهال الشيعة الذين ولدوا شيعة رافضة يقدحون
في خيار الصحابة من الأنصار والمهاجرين ويعبدون الأموات ويأتون من المعاصي

(١٣٠)

بالأفانين ، وإن لم يصلوا لله ركة واحدة ولم يعملوا خيرا قط . هؤلاء عند هذا الرجل مسلمون لا يؤذون ولا يساهون أما ذلك المسلم الحديث الفيلسوف مثلا المؤمن بالحجة والدليل فليس مسلما ولا مؤمنا عنده ، بل هو كافر يجب إزهاق روحه قالآية عامة لا يصح تخصيصها . والله لم يخصها ولا رسوله ولا أحد من المؤمنين المقتدى بهم

أما قوله ان الأحاديث التي أطلق فيها الكفر لم يرد بها الحقيقة فجوابنا عليه ما قدمناه في الأمر الخامس

وأما الحديث الذي زعم أنه يعارض الأحاديث الصحيحة في إكفار تارك الصلاة فهو حديث ضعيف لأن فيه راويا غير معروف . والحديث هو ما روى عنه عليه السلام أنه قال « خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أتى بهن لم يضع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة . ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد أن شاء عذبه وإن شاء غفر له » . رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه »

فهذا لا يستطیع معارضة الأحاديث الكثيرة الصحيحة والآيات السالفة

(سادسا)

قوله « واستحلوا القتل بترك بعض فرائض الاسلام على عادتهم في تكفير المسلمين وإحلال دماهم اقتداء بالخوارج »

تقول فيه إن هذا القول من هذا الرافضی طعن وجیم فظیع في جميع الصحابة وجميع العلماء الذين قالوا بوجوب قتل تارك الصلاة وهم أكثر العلماء كما قدمنا ، بل هو طعن وجیم فظیع في جميع المسلمين في جميع المصور ، لأنه لا يوجد مسلم في الأرض ولا امام من أئمة الاسلام الا ويكفر بترك بعض فرائض الاسلام . ولو أن أهل

بلدة من البلدان الاسلامية اجتمعوا على ترك جميع فرائض الاسلام كالصلاة والصيام والحج والزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك لوجب قتالهم في جميع المذاهب الاسلامية

وقد أجمع الصحابة بقيادة أبي بكر على قتال مانعي الزكاة ولم يخالف في ذلك أحدا على ولا غيره ، وأجمعوا على كفر تارك الصلاة كما قدمنا ، وأتى عن علي نفسه أنه كان يكفر تارك الصلاة

فالصحابة كلهم وهؤلاء الأئمة كلهم ضلال يستحلون دماء المسلمين وأموالهم اقتداء بالخوارج لأنهم قاتلوا مانعي الزكاة وأجمعوا على كفر تارك الصلاة كالوهابيين فهم إذن وهابيون . وهذا الرافضي إذن يرد عليهم في كتابه « كشف الارتباب في أتباع محمد بن عبد الوهاب » . وهم كلهم من أتباع محمد بن عبد الوهاب المقتدين بالخوارج

وإذا ما كان هذا الشيعي يرد على هؤلاء المسلمين جميعا ويقدم فيهم كافة ، وينازعهم ويخالفهم فمن هم المسلمون الذين يدعى الفيرة لهم والدفاع عنهم وانقاذهم من تكفير الوهابيين وأسيافهم ؟ أهم جهال الرافضة أعداء أبي بكر والصحابة الكرام وأعداء أهل السنة والجماعة ؟ ويل لصاحب هذا الكتاب من كتابه وويل للشيعية من عالمهم هذا

نحن نعلم أن الشيعة تقدم في هؤلاء المسلمين وتفاخر بالقدح فيهم وتجاهر ، ونعلم أنه لا يسوءهم أن نقول فيهم هذا . ولكن لما كان هذا الرجل يدعى في هذا الكتاب أنه موافق المسلمين ما خلا الوهابيين ، وأنه يفار لهم ويمدحهم مسلمين ويعد أقوالهم حججا وبراهين كان عدلا أن نرد عليه بما رددنا

وقوله (انه لا يصح الهجوم على دماء المسلمين بأخبار غير ظاهرة وبقول الأجهوري والاذرعي والحراني والميتي) قول جوابا له : ومن ذا الذي قال إن

(١٣٢)

أقوال هؤلاء حجة في الشرعيات فضلا عن أن تباح دماء المسلمين بأرائهم ؟
ليعلم إن كان لا يعلم أننا معشر السلفين لا نحتج في أصول ديننا إلا بأمرين :
كتاب الله وسنة رسوله . ونحن لا نذكر آراء العلماء إلا تقوية واستئناسا وردا
على من يدعي أننا منفردون بما نقوله في هذه المطالب العليا ، أو اقناعا لمن يدعي
التقليد والذهاب مع العلماء المهتدين ، وهذا الرجل الذي يزعم أن هؤلاء العلماء
غالطون متشددون وأنه لا يجوز تكفير المسلمين انسياقا وراء آرائهم سوف يمر
بك أنه يحتاج بأقوالهم ويتمصب لها ويعارض بها الوحيين ، ولا سيما أقوال ابن
حجر الهيتمي ، بل ويكاثر بذلك ويفاخر ، وسيمر بك أنه يستحل لحوم أكابر
علماء السنة كشيخ الاسلام ابن تيمية ومن كان مثله بأقوال الهيتمي ومن هو أقل
من الهيتمي من أرباب البدعة الفلاة . فالرجل لدى هذا الشيعي فاضل محقق قوله
حجة إذا ما وجد عنده بدعة نكراه ، وجاهل غيبي لا يمتد بأرائه ولا بما يقول إذا
وجد عنده سنة أو حقا وهذا صنيع أسرى الاهواء
وأما أن الاخبار في اكفار تارك الصلاة غير ظاهره فجواب ذلك قد سلف

الامر السابع

قال مامنه « الاجماع حجة شرعية ، وهو قول وفعل ، والقول هو ما اتفقت
عليه أقوال أهل الحل والعقد من أمة محمد ، والعمل هو ما اتفقت عليه سيرة المسلمين »
قال « وهو حجة شرعية لقوله ﷺ (لا تجتمع أمتي على خطأ) أو لوجود معصوم
بينهم بناء على عدم خلو العصر من معصوم ، كما يقول أصحابنا ، وهو رئيس أهل
الحل والعقد ، أو لاكتشف عن أن ذلك مأخوذ عن صاحب الشرع » قال :
« والوهابيون يسلمون الاحتجاج بالاجماع » ونقل لهم كلامي ذلك . قال « ولكن
الصنعاني وهو منهم أنكر وجود الاجماع وأنكر العلم به قائلا : " أن العلماء كثيرون

(١٣٣)

مبشرون في أطراف المعمورة ، فما أبعد أن يتفقوا على مسألة اجتهادية ، ثم ما أبعد أن يعلم ذلك لو وقع . قال الشيعي « ولكن كثرة العلماء لأنهم وقوع الاجماع ولا تمنع العلم به إذا ما وقع ، فاننا نعلم بالضرورة اجماع العلماء على أن البنين ثلث الميراث فرضا إذا لم يكن معهما اخوة وإن لم نشأفه جميع العلماء ، ونر فتاويهم . كما نعلم بالضرورة إجماعهم على استحباب زيارة النبي ﷺ وتعظيم قبره وحجرته ورجحان بنائهما والتبرك به وبها ، وجواز بناء القبور وبناء القباب عليها ، لاستمرار سيرتهم على ذلك قولاً وعملاً في كل المصور . بل ليست هنالك مسألة اتفق عليها المسلمون قولاً وعملاً من جميع المذاهب مثل هذه المسألة » انتهى كلامه

(أولاً)

قلت : اذا ما كان هذا الشيعي يسلم الاحتجاج بالاجماع ، ويسلم أن الوهابيين الذين يرد عليهم بكتابه يسلمون ذلك ويعترف لهم به ، أى اذا كان هو وهم متفقين على الاحتجاج بالاجماع فما الفائدة في حشر هذه المسألة في الكتاب ؟؟؟
أهو يريد تضخيم حجم الكتاب وتكثير ورقاته ليرهب به الخصوم وليخضع الناظرين وليقال رد على الوهابيين بكتاب عدد ورقاته كذا . ومثل هذا ما ذكره في مقدمات الكتاب الثلاث فانه لا يتعلق بأكثره شيء من الموضوع

(ثانياً)

قوله الاجماع حجة لقوله لا تجتمع أمتي على خطأ فيه نزاع . فان هذا الحديث رواه الترمذى وغيره بلفظ ضلالة بدل خطأ . وهو حديث فيه رواة ضعفاء فلا يصح ومثله لا يقوى على أن يكون دليلاً على أن الاجماع حجة شرعية . وهو لو كان في بيان حكم من أحكام الفروع كالوضوء والطهارة لكان غير مقبول وغير

(١٣٤)

لازم العمل به لأجل ضعفه ، فكيف يقوى أن يكون دليلا على الاحتجاج بالاجماع
ومسألة الاحتجاج بالاجماع مسألة عظمى لا يستدل لها بالأخبار الواهية الضعيفة ،
فلو كانت دلائل الاجماع ما ذكر هذا الرافضي لما كان الاجماع حجة بلا ريب ،
ولكن للاحتجاج بالاجماع دلائل أخرى كثيرة قوية من الكتاب والسنة والعقل
مذكورة في كتب الأصول ، وفي كتب أخرى غابت عن هذا الرجل المؤلف

(ثالثا)

قوله : « أو لوجود معصوم بينهم » هذا الرأي خاص بالرافضة وحدهم
لا يشار كم فيه أحد من المسلمين ، وهو خطأ قائم على أخطاء . أولها اعتقادهم عصمة
الائمة ، ثانيها اعتقادهم وجود الامام المعصوم في كل وقت ، ثالثا اعتقادهم الاتصال
به ولقائه ، رابعا اعتقادهم أنهم يتلقون الدين من ذلك الامام المعصوم مباشرة أو
بوساطات . وهذه كلها أخطاء لا يصدق منها شيء ولا يقبل أهل العقل منها شيئا
وليس لرافضة على واحد منها دليل واحد
فالائمة ليسوا معصومين ، بل هم بشر يصيبون ويخطئون وهم يموتون كسائر
الناس ، ولا يختفون في المغارات والكهوف ، كما تدعى الشيعة . ومن مات منهم
لا يبعث حتى يبعث الناس للشواب والمقاب
وإذا كان المسلمون جميعا ما خلا الشيعة لا يعتقدون عصمة الائمة ، بل ولا
يعتقدون وجود أحد من هؤلاء الائمة الذين تعنيهم الشيعة ، ولا يصدقون بإمكان
الاتصال بهم ، كما لا يصدقون أن الدين يجوز تلقيه عنهم ، فكيف يقال إن دليل
عصمة الاحتجاج بالاجماع هو وجود الامام المعصوم . فإذا كان المجمعون لا يؤمنون
بوجود هذا الامام فضلا عن أن يؤمنوا بعصمته فأنى يكون دليل اجماعهم هو هذا
الأمر الذي يحدونه ولا يترفون به ؟ قوم لا يترفون بوجود فلان أو فلان هل

يمكن أن يكون ذلك « الفلان » هو مصدر هدام وعلومهم وفتاويهم . أو هل يمكن أن يتعلموا منه مسألة واحدة أو يتلقوا عنه أمراً من أمور الدنيا والدين ، وهم يؤمنون إيماناً لا شك فيه أنه غير موجود بل وهم لا يفكرون في هذا الفلان وفي انكاره بل وهم يرون أن المؤمنين به جهلة كذبة يجب أن يزجروا وأن ينهروا على هذه المرزلة الفاضحة ؟

إنه لا جواب عن هذه الأسئلة الا أن يدعوا أن هذا الامام المعصوم المزعوم يوحى الى الناس من حيث لا يشعرون ويقذف في صدورهم المعارف والعلوم قذفا خفيا لا يحسونه ولا يعلمونه ، ويلقى في قلوبهم الاجماع على المسألة ويهديهم اليها ، ويجمعهم عليها ، وهم لا يدرون من ذلك شيئاً ، فيجمعون بفعل هذا المعصوم الخفي ويكونون مصيدين في إجماعهم بتوفيق هذا الامام الذي لا يعرف ، فاذا ما صار هذا الرافضى وشيعته الى هذا الجواب فقد صاروا الى تأليه ذلك الامام المعصوم واصطائه صفة الربوبية كما قدمنا في أول الكتاب أن شيوخم يؤلهون علياً ويؤلهون غيره من ولده وغيرهم

واذا ما صاروا الى هذا الجواب قيل لهم : ولعل مخالفكم لا يخالفونكم الا بالهام الامام المعصوم وهدايته وارشاده . ولعلمم يتلقون منه بالطريقة المذكورة المسائل التي لا يوافقونكم عليها . ولعل المسلمين الذين لا يرتضون مذهب الشيعة ويمدونه مروقاً وخروجاً مدفوعون الى ذلك بالهام ذاك المعصوم . وحينئذ يكون مذهب الشيعة خطأ ، ومن مذهبهم كل ما يقوله صاحب هذا الكتاب . لأن الامام المعصوم هو الذي ألهم بطلان مذهبهم وبنفضه الى الناس . وبصير هذا المؤلف غالطاً على جميع الفروض

فان شعبوا شعباً آخر وقالوا إن الله هو الذي يجمع المجمعين على المسألة التي ادعى فيها الاجماع ولكنه تعالى يجمعهم على رأي الامام المعصوم ويربهم ما يرى

ويرشدهم الى القول الذى يرضاه ويريده ؛ ان شغبوا هذا الشغب قليل إذن ما فائدة
الامام المعصوم وما الحكمة فى وجوده وعصمته والناس لم يستفيدوا من ذلك فائدة ما
لا قليلة ولا كثيرة . فليس له فى اجماع المجمعين أثر ولا شئ يذكر . وغاية ما فى
هذا أن الله أرى المعصوم وأيا وأراه الناس المجمعين . فصار الناس والامام المعصوم
متفقين فى ذلكم الرأى . ولكن لم يأخذ أحد عن أحد . فالامام لم يأخذ عن المجمعين
والمجمعون لم يأخذوا عن الامام . وهذا خلاف المفروض وخلاف ما تريده
الشيعة وتدعيه ؟

ولو ادعى مدع العصمة للاجماع نفسه بدليل شرعى أو عقلى لكان أهدي
سبيلا من ادعاء الشيعة فى هذا الامام وعصمته . وعقيدة الرافضة فى هذا الامام
المدعى من أشنع المهازل والنقائص الفكرية . فان هذا الامام الذى يدعون الايمان
به ويدعون أن من لم يؤمن به غير ناج من عقاب الله ليس هنالك دليل واحد
على وجوده فضلا عن عصمته وتبليغه الناس . فان أحداً لم يحسه باحدى الحواس
الخمس ، أو يحس أثراً من آثاره أو تتصل به رواية عنه ، لاعن الله ولا عن رسوله
الكريم ، ولا عن أحد من الثقة العدول ، ولا اضطره الى الايمان به عقل ولا نظر
ولا شئ من الأشياء التى يعدها الناس العقلاء حججاً أو أنصاف حجج أو
أشباه حجج

واذا ما قيل لهؤلاء اذا ما كان هذا الامام المعصوم المزعوم موجوداً بين أظهر
الناس وأنتم تصفونه بأكمل الأوصاف من العصمة والقوة والعلم والعدل والرحمة
بالخلق وحب الحق ، فلماذا لا يظهر للناس أو لكم وحدكم ليقول الحق وينصره
ويخذل الباطل ويكسره ، وليدفع عن دين الله المهتضم ، وليقضى بين الناس فيما
اختلفوا فيه ، بل وليقضى بين الشيعة أنفسهم فى المسائل والاعتقادات التى اختلفوا
فيها ، أو اذا كان موجوداً كما تدعون فلماذا لا يخرج المصحف الصحيح الذى

تدعونه ، والأمر الجديد في الدين الذي تزعمونه ، ولماذا يظل مختفياً هارباً بنفسه وأتباعه ومن به يؤمنون وإياه ينتظرون ، بل وذرية على وولده مظلومون مضطهدون كما تدعون ، اذا ما قيل لهم لماذا لا يخرج لأجل هذه الاغراض الشريفة والمطالب العالية لم يجدوا جواباً غير هروبهم إلى وصفه بالجبانة والخافة والاختفاء خوف الأعداء . ما أهونها من دعوى وأهونه من جواب !

ما آن للسرداب أن يلد القدي ثلثتموه بزعمكم ما آنا ؟

فعلى عقولكم العفاء فانكم ثلثتم العتقاء والفيلانا

ومن ذا الذي لا يستطيع أن يدعى دعوى الشيعة في الامام المنتظر المعصوم فيزعم مثلاً أن تمت معصوماً آخر منتظراً خروجه يخالف معصوم الشيعة ويكذبه ويكذب قولهم فيه !!! ثم يزعم كما تزعم الشيعة أنه يتلقى من المعصوم المفروض وجوده عقائده وآراءه ومذاهبه وكل ما يتصل برأيه ودينه وصلته بالله وبالعالمين الديني والأخروي . ثم يزعم فيه كل ما تزعم الشيعة في منتظرها من العصمة والمعرفة والقوة والكمال وغير ذلك !!! وحينئذ تتعارض الدعاوى ويتكاثر المعصومون المدعون ، وتزعم كل طائفة أنها تتلقى ما تقوله في الطوائف الأخرى عن معصومها الذي لا يخطأ ولا يخطيء ولا يكذب ولا يسو ولا يذنب ، وهذا نهاية الضلال والفوضى ، وهذا ما يقضى به كلام الشيعة ودعاواها . والعجب أن يكون هذا الامام المعصوم المعلوم رئيس أهل الحل والعقد !!! فأين كانت هذه الرئاسة ومتى كانت ومن الذي اعترف لصاحبها بالوجود فضلاً عن الاعتراف له بالرئاسة والزعامة ؟

واعجباً لقوم يعترفون بالزعامة والرئاسة لمن لا يرى ولا يحس ولا يسمع له قول أو يرى له أثر أو تشم له رائحة أو يدل على زعامته ورئاسته شيء من الأشياء المحسوسة أو المقولة ، والناس يعجبون ممن يزعمون عليهم جاهلاً ضعيفاً عن القيام بفروض الزعامة وحقوقها . فكيف يقوم يسلمون قيادة زعامتهم عن رضا وطوعية

(١٣٨)

الى ميت من مئات الأعوام بل الى معلوم لم يوجد بالصفة المذكورة عند الشيعة
واذا ضلّت البصائر يوماً فإذا تقوله النصحاء ؟
وقوله أو للكشف كلام باطل أيضاً ، فليس هنالك كشف بالمعنى الذي يريد
هذا المؤلف ، والكشف لا يكون طريقاً من طرق الدين والأحكام الشرعية لو
افترض وجوده عند بعض الناس . وما ادعى هذا الكشف أحد من سلف الأمة
لا الصحابة ولا من بعدهم من الأئمة الراشدين . وادعاء الكشف هو الخطوة
الجريئة الى ادعاء النبوة ثم تغيير الشرع والتلاعب به ، وما ادعى الكشف إلا
ضالّ مارق أفسد عقله الخيال ، أو ملحد زنديق يكتم كفرانه وإلحاده ، وإذا
ما افتتح هذا الباب باب الكشف ولجّه كل غوى ميين واستطاع به إفساد الشرائع
وإفساد العقول والضمائر

فهذا الرافضى مثله هو وشيعته الرافضة يدعون الكشف وغيرهم يدعى
الكشف وكل يدعى وصلاً للبلبلى فتفسد (ليلى) من كثرة من يدعيها ويدعى وصلها
كذباً وفسوقاً

(رابعاً)

وأما ما أنكره الشيعى على الصنعانى من قوله إنه يعسر وقوع الاجماع ونعسر
معرفة لو وقع لكثرة العلماء وانتشارهم فى أطراف الأرض فهو ليس إنكاراً على
الصنعانى وحده ولكنه على جماهير كثيرة من العلماء سبقوا الصنعانى الى هذه المقالة
فذهبوا الى أنه غير ممكن حصول الاجماع ، وذهبوا الى أنه غير مستطاع علمه لو
حصل ، وذلك لكثرة العلماء ولما بين الأنظار والأذهان من التفاوت والاستعداد
والاختلاف الى ما مع ذلك من تأثير البيئات واختلاف الأمزجة ، ومن تأثير
الصحة والمرض والرضا والغضب ، وما يلحق ذلك من جزر الآراء ومدّها ، فذهبوا

لهذه الأسباب ولأسباب أخرى الى أنه غير ممكن وقوع الاجماع ، والى أنه لو أمكن وقوع لما أمكنت معرفة وقوعه ، فان العلماء لا يمكن أن يتفقوا أجمعين على رأى واحد كما لا يمكن أن يتفقوا في ساعة واحدة على أن يأكلوا طعاماً واحداً ، أو يلبسوا زياً واحداً ، أو يفعلوا فعلاً واحداً ، أو يقولوا قولاً واحداً ، أو يكونوا على هيئة واحدة كجلسة واحدة ، أو نومة واحدة أو قومة واحدة أو لبسة واحدة ، وما أشبه ذلك مما لا يمكن الاجتماع عليه في ساعة واحدة عادة ، وان كان العقل بالعرف المنطقي لا يرى في ذلك مانعاً ، فان دائرة جائزات المقولات أوسع من دائرة جائزات العاديات

ثم لو وقع ذلك فكيف تقع معرفته ، وهى لا طريق لها إلا الرؤية أو السماع أو الكتابة ، ولا يمكن أن يرى انسان جميع العلماء المجتهدين المعاصرين . وعليه لا يمكن أن يسمع أقوالهم كلها ؟ وأما الكتابة فلا يمكن أن يكتب كل عالم كل آرائه وكل ما يقوله ، ولو كتب كل عالم جميع آرائه لا يمكن أن يكون قد رجع عن بعض ذلك مما قدر فيه الاجماع ، ولو فرض أنه كتب ذلك كله ، وفرض أنه لم يرجع عن شيء منه فهل يستطيع انسان ما أن يقرأ جميع ذلك كي يعرف أنهم أجمعوا على تلك المسألة المفترض فيها الاجماع ، ولو افترض أنه قدر على قراءة ذلك كله فقرأه فهل يمكن أن يحصر آراءهم كلهم في ذهنه في مسألة ما كي يعرف أنهم قالوا كلهم فيها قولاً واحداً متفقاً مجتمعاً ، ثم ألا يمكن أن يكون أحد من هؤلاء قد كتب رأيه تحت تأثير غيره وتحت تأثير قوة قاهرة !!! وهذا قريب على أصول الشيعة ، لأن الكذب الذى يسمونه التقيّة جائز عندهم بمعنى واسع كثير بل هو مرغوب فيه مثاب عليه في مذهب القوم

لهذه الأسباب ولغيرها ذهب جماهير من العلماء - وقد روى عن الامام احمد - الى أن الاجماع لا يمكن أن يحصل والى أنه لو أمكن فحصل لما عرف

وهؤلاء العلماء يفرقون في ذلك بين عصر الصحابة والمصور المتأخرة ، وبين
اجتماع الصحابة واجتماع غيرهم ، فقد يرون الاجماع ممكنا ويرون معرفته ممكنة في
عصر الصحابة وعصر التابعين لفقدان تلك الأمور الآتية في صعوبة وقوع الاجماع
وصعوبة معرفته لو وقع ، فيرون أن الاجماع قد يحصل في عهد الصحابة فيعرف
حصوله ، فلا إجماع عندهم غير اجتماع الصحابة ، وهذا ما يقوله طوائف من أهل
العلم والحديث

وأما قوله اتنا نعرف بالضرورة إجماع العلماء على أن للبنتين الثلثين ، فهو
ضلال عن محل النزاع . فان النزاع في مسألة لم ينص عليها القرآن نصاً صريحاً أو
السنة الثابتة نصاً صريحاً لا يقبل الاختلاف ، أما المسائل المذكورة في النصوص بنحو
ظاهر بين فليست مما يحتاج لها بالاجماع . ومعرفة هذا النوع من المسائل ليست
قائمة على الاجماع ولا على معرفته . وإنما طريق هذا أن يقول القائل القرآن ناص
نصاً جلياً على أن للبنتين الثلثين مثلاً . ولا يمكن أن يخالف مؤمن بالقرآن نص
القرآن والا لما كان مؤمناً وقد فرضناه مؤمناً . فكل مؤمن بالقرآن يقول ان للبنتين
منفردتين الثلثين . فالمسلمون اذن مجمعون على هذه المسألة ومثل هذا أن يقول القائل
المسلمون مجمعون على أن كتاب الله حق وهدى ، ومجمعون على أن محمد بن عبد الله
رسول الله ونحو ذلك . فهل يقال ان مثل هذا من الاجماع ، أو من دلائل وقوع
الاجماع والاحتجاج بالاجماع ؟ كلا . ان هذا لا يقوله عاقل . ونظيره قول
القائل : ان المسلمين مجمعون على أن البنتين ترثان الثلثين . وليتفطن القارئ
لهذا جيداً

وما ذكره من الاجماع على استحباب زيارة قبر الرسول وتعظيمه الى آخره
نرجى القول فيه الى مواضعه الخاصة به

وأما قوله « ان المسلمين ما أجمعوا على مسألة مثل اجماعهم على جواز البناء
على القبور وعقد القباب فوقها ، فهو من أعظم المجازفات الكاذبة بل هو قول

مشتمل على أنواع كثيرة من أنواع الكفر والضلال والخروج على اصول الدين واصول العقل

أفليس من أعظم الضلال والخيال أن يقال ان المسلمين مجمعون على جواز البناء على القبور وعقد القباب فوقها قولاً وعملاً أعظم من اجماعهم على وجوب الصلاة والصيام والحج والزكاة وسائر فرائض الاسلام ، وأعظم من اجماعهم على الايمان بالله وبرسوله ويوم الدين ؟؟ أفليس هذا من أعلى أنواع الالحاد ونقض قواعد الاسلام ؟؟ والا فان مسلماً عاقلاً لن يقول ان المسلمين مجمعون على جواز البناء على القبور أكثر من اجماعهم على وجوب الصلاة والصيام والحج وجميع الفرائض التي لا يتم الاسلام الا بها ..

وهذا القول آت على اصول الشيعة من الفلو في القبور والاموات والتفاني في ذلك . فهم يفضلون الحج الى المشاهد على الحج الى بيت الله الحرام ، بل على الصلاة والصيام وجميع العبادات ويفضلون المشاهد على المساجد ويعمرونها ويهجرون بيوت الله وان عمروا شيئاً من ذلك فلاجل الاموات الموجودين فيه . . وقول هذا الرجل دليل أي دليل على ذلك .. وبعد هذا القول ينكر على شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره أن قالوا ان الشيعة يحجون الى المشاهد ويفضلون الحج اليها على الحج الى بيت الله الحرام وأنهم يهجرون المساجد ويعمرون المشاهد ، ونحمد الله أن أنطقهم بما كانوا يضمرون وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا أن المسلمين مجمعون على التبرك بالقبور والبناء عليها وعقد القباب فوقها أكثر من اجماعهم على الصلوات الخمس وفرائض الاسلام قولاً وعملاً أي واعتقاداً أيضاً بل وأكثر من اجماعهم على الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وعلى الايمان بالجنة والنار والثواب والعقاب لأنه يقول « بل الانصاف أنه ما من مسألة اتفق عليها المسلمون قولاً وعملاً من جميع المذاهب مثل هذه المسألة »

(١٤٢)

ونحن نفوذ بالله من خذلان الدنيا ويوم الدين ، وإذا ما كانت مسألة البناء على القبور ورفع القباب فوقها والتبرك بها بهذه المنزلة عند الشيعة ، فلا ريب أنهم يكفرون من ينكر من ذلك شيئاً ، لأنه يكون منكراً حينئذ أعظم أمر ضروري في دين الاسلام - ونذكر هذا الرجل أنه قال في الامر الاول ص ٨١ وأن من الاحكام الشرعية ما هو نظري ، وجعل من أمثال ذلك البناء على القبور وقال هناك ان المخالف في الامور النظرية لا يضل ولا يفسد كما لا يعارض ولا يمانع ١١ وما أكثر ما بين القولين من التخاذل

الامر الثامن

قال « ان الأصل في الأشياء أن تكون حلالاً ما لم يعم دليل على أنها حرام واحتج بأنه فيح في العقل القاب بلا-يان واحتج بقوله تعالى : « خلق لكم ما في الأرض جميعاً » وقوله « وما كنا معذنين حتى نبث رسولا » وقوله « قل لا أجد في ما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به »

(اولاً)

قلت : لا داعي الى ذكر هذا الامر في هذا الكتاب ، لأن القوم الذين يدعى الرد عليهم ليس لهم كلام خاص في هذه المسألة . ولا يمتازون عن العامة فيها بكلام ، وما أظنهم تكلموا فيها خاصة . أو أن لهم فيها رأياً خاصاً بل ولعلمهم لم يتكلموا فيها لا فنياً ولا اثباتاً

ولا يتوقف موضوع رده على شيء من ذلك . لأنه يزعم أنه يرد بالكتاب وبالسنة واجماع المسلمين وبسيرتهم التي لا تختلف والمقولات الباهرة القاهرة .

(ثانياً)

قوله هذا يخالف لقوله في الأمر التاسع الذي يلي هذا فإنه يقول فيه « البهنة ادخل ما ليس من الدين في الدين ولا يحتاج تحريمها الى دليل خاص لحكم العقل بلسم جواز الزيادة على أحكام الله ولا النقص منها لاختصاص ذلك بالله وبأنبيائه » فلذا كان العقل عنده يحكم بأنه لا يجوز الحكم بزيادة شيء ولا نقصانه تحليل ولا تحريم لأن التحليل والتحريم أمران خاصان بالله وبأنبيائه فكيف يحكم هنا بأن الأصل في الأشياء أن تكون حلالاً ؟

وإذا ما كان الأصل في الأشياء عنده أن تكون حلالاً فكيف لا يجوز أن تكون الأشياء التي لم يذكرها الشارع بتحريم ولا تحليل ولا مدح أو قدح حلالاً أو تسمى بدعة لأن الشارع لم يعملها ولم يحللها أو يحرمها ؟

وبيان هذا بوضوح ان مضمون كلامه في الأمر الثامن أن العقل يحلل ويحرم ومضمون قوله في الأمر التاسع أن العقل لا يحلل ولا يحرم ولا يحكم بشيء ما لم يحكم الله به فهو في أحد القولين إذن غلط ولا محالة

(ثالثاً)

قوله : ان الأصل أن تكون الأشياء حلالاً ما لم يكن هناك دليل . يقال فيه : هذا الدليل إما أن يدخل فيه الدليل العقل أو لا يدخل على أن يكون المراد بالدليل هنا قول الشارع خاصة ؟ ان أراد الأول وأراد أن الأشياء حلال ما لم يتم دليل لاعتق ولا قلبي على أنها حرام كان هذا الكلام قارفاً من الفائدة والمعنى . إذ يكون تلخيص الكلام وبيانه هكذا : الأشياء قد يحكم العقل بأنها حرام ، وقد يحكم النص بأنها حرام وما لم يحكم العقل ولا النص بتحريمه فهو حلال . ومعنى هذا أن الأشياء قبل

ورود النص اما أن تكون حلالا واما أن تكون حراما والعقل يحكم بهذا تارة وبذلك تارة أخرى . ولا بد أن يحكم بأحد الحكمين ولا يتوقف أو يشك وإذا كان معنى الكلام كذلك فكيف يقال ان الأصل في الأشياء التحليل ما لم يتم الدليل ؟ فإن هذا يمكن عكسه ويكون مثله بأن يقال ان الأصل في الأشياء التحريم ما لم يتم الدليل على التحليل . والقولان سواء لا يقدم أحدهما على الآخر إذا كان المعنى كذلك ، وما يراد بالدليل دليل العقل والنقل ، وعلى هذا لا فرق بين قوله هنالك وبين عكسه . بل هما يفيدان معنى واحدا وكلاهما يكون صحيحا . وكيف يكون الحكم بالأمر وضده يفيد معنى واحدا ؟

هذا ان اريد بالدليل دليل العقل والنقل . وأما ان اريد بالدليل قول الشارع خاصة وأراد أن الأشياء كلها حلال ما لم يحرمها الشارع ، قيل هذا لا يصح على اصول الشيعة المذاهب المعتزلة في التبييح والتحسين العقليين . وهذا أيضا يقضى بأن يكون قتل النفس البريئة واغتصاب أموال الناس اغتصابا ، ونهب أعراضهم ، والكذب ، والبذاءة ، والشرك بالله وعبادة الاصنام وكل العظائم والكبر حلالا .. ولا ريب !! وهذا غريب !! فأننا لا نشك أن انسانا لم تبلغه كتب الله ومحارمه وما جاءت به رسله لو عرضت عليه هذه المنكرات وكان سليم العقل والذوق لبادر الى القول بأنها حرام لا يصح الاقدام عليها ولا غشيانها فما اختاره هذا الرجل من الآراء باطل على الفروض كلها ..

(رابعا)

هذه المسألة فيها خلاف ومذاهب ذات عدد مذكورة في كتب أصول الفقه : قالت طائفة ان الأصل في الأشياء أن تكون حلالا قبل ورود الشرع ، وقالت طائفة أخرى ان الأصل في الأشياء أن تكون حراما قبل ذلك وطائفة ثالثة توقفت

في المسألة لم تختبر شيئاً من الآراء . وطائفة رابعة فصلت في المسألة تفصيلاً طويلاً ، وأدلت كل طائفة بدلائل كثيرة معلومة . وهذا الرجل ذكر مذهباً من المذاهب واختاره وقطع به بلا دليل ولا حجة

أما الآيات المذكورة فلا دليل فيها لدى التحقيق . أما قوله (خلق لكم ما في الأرض جميعاً) فمعناها أنه تعالى أوجد كل ما في الأرض من ماء وهواء ونبات وثمار ومعادن وخيرات وغير ذلك لأجلكم ولأجل أن تنفعوا به . لكن لا يمكن أن يقال إن الآية تريد أن كل شيء من ذلك حلال لكل انسان منكم ، لأنها لو أرادت ذلك لكان هذا الحكم باقياً أبداً ولكان كل شيء في الأرض حلالاً لكل انسان منا ، لأن إخبار الآية إما أن يكون قدرياً قضائياً وإما أن يكون شرعياً . فان كان قدرياً كان المعنى أن الله قدر أن يكون كل شيء في الأرض لكل انسان منكم حلالاً ، ووجب أن يكون ذلك المقدر دائماً في كل الأوقات ، لأن ما قدره الله لا يمكن أن يختلف ، وباطل أن يقال بعد مجيء الشرع إن كل شيء في الأرض حلال لكل انسان في الأرض . ثم الشيء الذي قدره الله لا يلزم أن يكون حلالاً في الشرع ، لأن الله قدر كل شيء حتى الحرام وسائر الكائنات والموجودات الضارة والنافعة

وأما إن كان الإخبار شرعياً وجب أن يكون حكمه مستمراً إلى اليوم وإلى غد وإلى قيام الساعة ولكن باطل أن يكون كل شيء في الأرض حلالاً لكل انسان في الأرض

وتوضيح هذا أنه لا يمكن أن يفهم من الآية أنها تريد أن كل شيء في الأرض حلال لكل انسان في الأرض . وذلك لأننا نقول وكل مسلم يقول كما في القرآن : إن الله خلق لنا ما في الأرض جميعاً ، مع وجود الحرام والحلال ومع وجود التحريم والتحليل . فإذا ما كان الله يقول (خلق لكم ما في الأرض جميعاً) في

(١٤٦)

الوقت الذى كان ينزل فيه التحليل والتحرير ، وفى الوقت الذى لا يمكن أن يقال فيه ان كل شيء فى الأرض حلال لكل انسان فى الأرض ، فكذلك لا يمكن أن تمثل هذه الآية البشة على أن جميع ما هو فى الأرض حلال مباح لكل فرد من أهل الأرض

ومثل الآية : قول الناس جميعا (مصر للمصريين) و (فلسطين للفلسطينيين) والبلاد الاسلامية للمسلمين ونظائر هذا ، ولا يمكن أن يفهم انسان من ذلك أن كل شيء فى مصر حلال لكل مصرى ، وأن كل شيء فى فلسطين حلال لكل فلسطينى وأن كل شيء فى البلاد الاسلامية حلال لكل مسلم ومثل ذلك هذه الآية فهى بعيدة جداً عن محل النزاع وعن المعنى الذى يريد منه هذا الرافضى

وأما قوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فالذي فى الآية أن الله تعالى برحمته ورفقه لا يعذب الناس حتى يقيم عليهم الحجج بإرسال الرسل بالبينات وبالآيات . ولكن ليس فيها أن الأشياء كلها قبل إرسال الرسل محلاة بحيث يباح تناولها لكل انسان . لأن هذا معنى كونها حلالا ، ومن المستحيل أن تكون الآية دليلا على أنه حلال للناس أن يزنا وأن يقتلوا ويشرکوا بالله وأن يعبدوا الأصنام وأن يفسدوا كل الآثام قبل ورود الشرع

ولقد تدون الأشياء حراما قبل تحريم الشارع ونصه على أنها حرام ، ولكن لا يعذب على ذلك قبل إرسال الرسل لأنه تعالى قد بعث الى جميع الأمم الرسل والمندرين كما قال (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وقال (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا)

وأما قوله (قل لا أجد فيما أوحى إلى ... الآية) فلا شيء فيها مما يريد ، لأنها تقول قل لا أجد فيما أوحى إلى ، والنزاع ليس فى الأمور التى فى الوحي وبعد

الوحى وإنما هو فيما قبل الوحى . فالآية تقول قل لا أجد من المحرمات الطعومات شيئاً خلا المذكور فى الآية . ولكن هل معنى هذا أن الأشياء كلها المأكولات وغير المأكولات حلال مباح قبل الوحى ، اللهم لا

على أن ما فى هذه الآية خاص بالمطعومات ، والمسألة المفروضة هى أوسع نطاقاً من المطعومات ، فلو افترض أن الآية دالة على أن كل المطعومات مباح حلال قبل ورود الشرع لما دل على أن كل شيء كذلك ، ثم ان هنا أمراً غفل عنه هذا الرافضى ومن احتج بحججه على المسألة ، ذلك الأمر هو أن النزاع فى الأشياء قبل مجيئ الشرع وقبل حكمه عليها بالتحليل والتحريم ، فإن كانت هذه الآيات دلائل على أن كل شيء حلال سوى ما نص على تحريمه كانت هذه الأشياء حلالاً بالنص بعد وروده لا بالبراءة الأصلية والاصالة قبل وروده كما يقولون . وعلى هذا تخرج المسألة من النزاع لأن النزاع لم يكن فى ما قام الدليل على إحلاله أو تحريمه . فان ذلك لا نزاع فيه

والذى نذهب اليه فى اختيار هذه المسألة أن الحلال والحرام هنا إن كان يراد بهما الشرعيان ، أي اللذان نص الشارع على أنهما حلال أو حرام ؛ فالأشياء قبل ورود النص من الشارع لا حلال ولا حرام بهذا المعنى . لأن الحرام الشرعى هو الذى قال الشارع انه حرام ، والحلال الشرعى هو الذى قال الشارع انه حلال . والكلام مفروض فى الأشياء قبل الشرع وقبل حكمه بالاحلال والتحريم ، وقبل ورود الشرع بهذا أو بهذا لا يمكن أن يحكم على شيء لا بهذا ولا بهذا وهو بين وإن أريد بالحلال والحرام ما دل العقل على أنهما حرام وحلال أي قبيح لا يجوز فعله ، وقد يعاقب عليه وحسن يجعل فعله وقد يثاب عليه . إن أريد هذا فالأشياء فى الأصل منها الحلال ومنها الحرام ولا جرم . هذا اختيارنا فى هذه المسألة وعلى كل حال فالمسألة تكاد تكون افتراضية

الامر التاسع

قال الشيعي « البدعة ادخال ما ليس من الدين في الدين بقصد الدين ، وهي حرام لا يحتاج تحريمها الى دليل خاص لأن العقل يحكم بقبوح الزيادة على حكم الله أو النقص منه لأن ذلك خاص بالله وبالأنباء . ولكن تشخيص البدعة يقع فيه اختلاف واشتباه فكم بدعة عدت سنة وكم سنة عدت بدعة . ويكفي للحكم على الأمر بأنه ليس بدعة دخوله تحت الاطلاقات الشرعية العامة . لهذا أخطأ قوم ممنعوا القيام عند ذكر ولادة النبي عليه السلام فقد علم بالاطلاقات الشرعية العامة لزوم احترام النبي ﷺ وتعظيمه حياً وميتاً كل أنواع الاحترام التي لم ينص الشارع على منعها وأخطأ (الوهابيون) اذ منعوا الترحيم والتذكير وعدوها بدعتين ، وذلك خطأ لدخولها تحت الاطلاقات الشرعية الحاضرة على ذكر الله ودعائه ، وعلى الصلاة على النبي الكريم ، وتخصيص ذلك ببعض الأزمان والامكنة افرض من الأفاضل مع عدم اعتقاد أن ذلك التخصيص وارد في الشرع لا يجعله بدعة . وكذلك أشياء عدوها بدعا يجيء الكلام عليها » انتهى . قلت :

(أولاً)

نحن ندع له هذا التعريف للبدعة على ما فيه من نزاع . وندع له قوله : إن البدعة لا يحتاج تحريمها الى برهان خاص . ولكن نقول اذا ما اعترفت بأن البدعة حرام واعترفت بأنها ادخال ما ليس من الدين في الدين بإرادة الدين ، فكيف يقع الاختلاف والاشتباه في تشخيصها ومعرفتها ، وقد أعطيتها التعريف الجامع المانع لديك . والاشتباه في ذلك يقع لدى من جهل ما هي البدعة أو جهل ما هي السنة فعز عليه تمييز هذه من هذه لجهله بحقيقتها . ومن عرف البدعة بأنها ما أدخل في

الدين ، أى زيد فيه بقصد الدين عرف السنة أنها هي العبادة المأثورة عن صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام قولاً أو فعلاً نصريحاً أو تلويحاً

وما على من اعترف بأن البدعة حرام وعرفها بأنها المزيد في الدين لأجل الدين الا أن يعلم الدين من مصادره النقية الصحيحة فيمسك بها بكلتا يديه ، ويرد ما لم يجد في المصادر الصحيحة النقية ردّاً قال هاجر : فانه واجد في مصادر الاسلام الصحيحة أن رسول الله ﷺ كان اذا زار القبور يدعو لأهلها ولنفسه ثم ينصرف وواجد أنه عليه السلام كان يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يدعو لأصحابها ولا أنفسهم . ولا يجد غير ذلك من الاستغاثة بالأموات ، والمسح بالآجداث وتقبيلها وقراءة القرآن والاحزاب والاوراد فوقها . فهل يقع اختلاف أو اشتباه لدى المسلم المتبع سنة الرسول ﷺ أن السنة في زيارة القبور هي أن يدعو الزائر لمن زاره ولنفسه ثم ينصرف . وأن كل ما زاده الناس بعد ذلك هو من البدع المنكرة

ثم يرجع الى مصادر الاسلام الصحيحة الصافية فيجد أن رسول الله ﷺ وأصحابه ما كانوا يبنون على القبور ، ولا يضعون فوقها ما يضعه الناس اليوم ولا يسرجونها أو يكسونها أو يرصدون لها السدنة والحجاب لا يتراز أموال الناس وسرقتها العلانية باسم الدين . بل يجد أن الرسول الكريم نهى عن ذلك أشد النهى وأوعد فاعله أنواع الایعاد ، ووجد أن علماء الاسلام الحق نهوا عنه أيضاً وشددوا في النهى . فهل يشقه على من أراد السنة حقاً أن يعرف أن ذلك كله بدع فيجانبه بعيداً لانه يعلم أن الابتداع حرام لانه تشريع والتشريع خاص بالله وبأنبيائه

ثم يرجع أيضاً الى المصادر النقية فيجد أن الأذان الشرعي في زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين والتابعين الى قرون بصفة محدودة معلومة محفوظة متواترة يملأ آذان الملايين في اليوم خمس مرات ، ويتدفق من موجات الهواء الى منافذ

حجرات المخدرات في خدورهن والقاعدات الملازمات بيروتهن ، وان أول كلمة فيه (الله أكبر) وآخر كلماته هي (لا إله الا الله) ولا يبعد في رواية ولو ضعيفة أن مؤذنا كان في ذلك العهد المرضى عنه يحتتم الأذان بالصلاة والسلام على الرسول الكريم جبراً مثل ما يفعله الناس اليوم . كما لا يبعد أن مؤذناً في ذلك العهد النبوي كن يفعل شيئاً مما يفعله كثيرون اليوم قبل الأذان من الدعوات، المبتدعة والاشعار الجوفاء الجاهلة والاناشيد الكاذبة فيعلم أن السنة هي الأذان المبذورة (بالله أكبر) المحتتم (بلا إله الا الله) وأن ما قبل ذلك وما بعده بدع منكورة مزودة فلن يصل اليه شيء من الاختلاف والاشتباه

وهكذا يصنع في جميع العبادات والاعتقادات يتعلم ما جاء عن صاحب الرسالة فيعرفه ويتبعه اعتقاداً وعملاً وقرلاً ويجانب غيره ولا كرامة . وهذا من اليسر الهين على من أراده فان الله الرحيم بعباده لم يضع الشرع في قالب عسير يعجز فهمه ولم ينزل كتابه الغازاً وأحاجي يصعب ادراكه بل وضع شرعه في قالب يسير وأنزل كتابه ميسراً قريباً لأنه دين الجميع الخاصة والعامة ، ولأنه دين الفطرة ومن أراد ذلك ففعله خلص من الاشتباه والاختلاف ولم يحسب السنة بدعة ولا البدعة سنة بل يضع هذه في موضعها وهذه في موضعها . وهكذا كان علماء الحديث والسنة كالأئمة الأربعة وكأئمة الحديث . وكذلك كان الصحابة والتابعون لهم باحسان كانوا من أهل السنة الخالصة المبرأة من الشوائب والمبتدعات لم يتسكوا بالبدع حاسبينها سنناً ولم يهجروا السنن حاسبينها بدعاً ، ولم يقولوا : إن معرفة السنة من البدعة عسيرة كما يقول هذا الرجل ، أو يقولوا إن السنن التي هي دين الله ودين رسوله ودين أبي بكر وعمر والصحابة ودين الاسلام والتوحيد تشبه بالبدع التي هي دين الجاهلين الضالين وبقايا دين المشركين الغابرين ورشاش أديان اليهود والنصارى والصابئين . لم يقفوا في شيء من ذلك لا قولاً ولا عملاً ولا

اعتقاداً . وهذا لا ريب فيه ، وهل يستطيع المخالف أن يظفر بشيء منه ؟ وانما يقع في ذلك ويغوص فيه الى أذنيه وفرق رأسه أشباه المعارض ممن ردوا البدعة موضوعاً وقبلوها شكلاً ، وبعبارة أوضح ردوها جملة وقبلوها تفصيلاً متعلقين بالاطلاقات والعمومات وأقل ما يمكن أن يتعلق به صاحب ضلالة وبدعة أو هوى وهذا كله برىء منهم عند اصابة النظر . فان قوله (ويكفى للحكم بأن الأمر ليس بدعة دخوله تحت العمومات والاطلاقات الشرعية) قول يراد به ادخال جميع البدع في الشريعة ومزج كل الخرافات في السنن النبوية المطهرة . ثم يراد به النقص على قوله الأول في إنكار البدع أو التنصل منه أو الرجوع عنه بهذا النحو الذى رضيه واختاره من اتباع العمومات والاطلاقات الشرعية ، وهو يعلم - وقد يكون لا يعلم - أنه بهذا القول يمكن الاستدلال على جميع البدع والاحتجاج لها بالعمومات والاطلاقات كما يدعى هو وكما يحتج وكما فعل في كتابه هذا . فانه قد أدخل جميع البدع المتعلقة بالقبور وأصحاب القبور من الاستغاثة بهم وشد الرحال اليهم والحنف بهم ، ونذر النذور وتقريب القرابين لهم تحت ما ادعاه من وجوب التعظيم والاحترام لهم ، وهكذا صنع في جميع المحدثات التى حشدها في هذا الكتاب ودعا اليها من غير تفصيل ، وعلى هذا الأساس الواهى قال « وقد أخطأ قوم منعوا القيام عند ذكر ولادة النبي عليه الصلاة والسلام » فاذا ما قيل له إن هذا القيام لم يؤثر عن أحد من صحابة رسول الله وقد كانوا ولا ريب يذكرون ولادته عنده وبعد موته ، وقد كانوا أيضاً حراساً كل الحرص على العمل الصالح وعلى تعظيم النبي واحترامه بكل ما استطاع ويحل من أنواع الاحترام ، وقد كانوا أيضاً بصراء بما يجب لرسول الله وما يستحب وما يمنع من ذلك ، وكذلك لم يؤثر هذا القيام عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى من رجال الحديث والسنة وثقله الأخبار لا بسند صحيح ولا ضعيف فاذا ما قيل له ذلك كله ، وقيل له أيضاً ان الرسول الكريم كان

حريصاً على تعليم أصحابه ما به يدركون ثواب الله ورضاه ، وعلى تعريفهم كل ما يقتربون به من الجنة وما يبتعدون به عن النار ، وما أتى عنه ﷺ أنه أشار عليهم بالقيام عند ذكر ميلاده ، ولا أرشدهم اليه أو حضهم عليه . إذا ما قيل لهذا الرافضى هذا وأكثر منه كان جوابه : ان القيام عند ذكر ميلاده من أنواع التعظيم والاحترام ، وإطلاقات الشرع حاضرة على تعظيمه عليه السلام ، فهو مأمور بالقيام عند ذلك تضرعاً لا نصاً . لسكتنا نقول هذا باطل لأمور :

(أولها)

أن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يعلمون هذه الاطلاقات المدعاة ، وكانوا يعلمون أنه واجب اعظام النبي الكريم واحترامه ، وكانوا أتقى لله وأسبق الى الخيرات والطاعات من رجال الرافضة وجهال الشيعة ، وقد يكون قولنا هذا مثل ما قيل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل ان السيف أمضى من العصا ونحن نستغفر الله من ذلك . بل كانوا أتقى الأنام على الاطلاق وأعرفهم بالله وبرسوله وما يجب لهما على الاطلاق أيضاً . انهم كانوا كذلك علماء وعلماء ، ومع هذا كله لم يؤثر عن أحد منهم أنه قام عند ذكر ولادته عليه السلام ، ولا عند ذكر ولادة غيره من الأنبياء والصالحين ، ولا عند ذكر شيء من الأشياء المعظمة في دين الاسلام وفي أعماق الصدور المسلمة ، ومن ادعى ورود شيء من ذلك كان عليه البيان والتبيين

أفلا يدل هذا على أحد أمرين : اما على القدح في الصحابة لأنهم قصرُوا في حق الرسول الكريم ، وفي تعظيمه فسبقتهم الرافضة وجهالهم ، وإما على القدح في الشيعة ومن يقول قولهم هذا ، لأنهم ابتدعوا في الدين ما لم يكن منه إرادة الدين وخالفوا سيرة المسلمين الأولين المعلومة بالتواتر العملى والسيرة الفعلية ؟ اننا نختار

القدح في هؤلاء المبتدعين كلهم على أن نقدح في أحد من صحابة رسول الله عليه
الصلاة والسلام

(ثانيها)

لم يكن القيام للرسول ﷺ مشروعا يوم أن كان حيا ، ولم يكن صحابته
يقومون له يوم أن كان بين أظهرهم يبصرونه ويسمعونه حينما يدخل أو يخرج
وحينما يقعد أو يقوم . بل لقد أنكر ذلك منهم وكرهه . « فروى مسلم في صحيحه
أنه قال لأصحابه إذ قاموا وراءه يصلون إن كدتم تفعلون فعل فارس والروم فلا
تفعلوا » وفعل فارس والروم هنا هو أنه يقوم بعضهم لبعض ويقومون لكبرائهم
وأهل الكبرياء منهم تعظيما وإكبارا وذلة وخضوعا ، وروى الامام أحمد باسناد
صحيح عن أنس بن مالك قال لم يكن شخص أحب إليهم أى الى الصحابة من
رسول الله وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمونه من كراهيته لذلك ، والكرهية
يراد بها في الكلام الأول البغض . فيقال للمحرم انه مكروه ، أى حرام فظيع
كقوله تعالى « كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » وقوله « ولكن كره الله
انبعاثهم » وفي الحديث الصحيح (ان الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال
واضاعة المال) ونظائر ذلك كثيرة . وروى أبو داود باسناد زعم الهيثمى أنه
صحيح وروى الترمذي وقال حسن أنه عليه السلام قال : من أحب أن يتمثل له
الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وروى أبو داود باسناد زعم الهيثمى أنه
حسن أن الرسول خرج على أصحابه فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم
يعظم بعضهم بعضا

وإذا لم يكن القيام مشروعا له ﷺ حينما كان حيا عند حضوره وقيامه
وكان هو يكرهه أي يبيغضه وكان أصحابه يدعون ذلك وهم لا يحبون أحدا بعد الله
حبهم له لأنه هو لا يريد له ولا يرضاه منهم ، فاعجب أن يكون ذلك مشروعا عند ذكر

ولادته بعد وفاته وانتقاله الى الرفيق لآعلى ، والخطاب هنا لمن يفهمون ولا يقدرون
(ثالثها)

لو كان القيام عند ذكر ولادته مشروعاً لأنه تعظيم لكان ذلك مشروعاً عند
ذكر الله تعالى وعند ذكر كلامه وذكر القرآن الكريم ، وعند ذكر الانبياء
والأولياء والصالحين - وعند ذكر الاسلام والأديان ، وعند ذكر كتب الحديث
والسنة ، وعند ذكر الأئمة الهداة ، وعند ذكر كل شيء يشرع بالجملة احترامه
وتعظيمه ومن قام عند ذكر هذه الأمور كلها أو قال ان القيام عند ذلك مشروع
كان الى الهوس أقرب منه الى العقل الذى تجدر به المخاطبة
ولا ريب أن هذا لازم كلام هذا الرافضى لزوماً لا انفكاك له منه

والدليل على أن القيام عند ذكر هذه الأمور مشروع ما ذكره هو من
الدليل على أن القيام عند ذكر الولادة مشروع ، والدليل هو الاحترام والتعظيم
ووجوبهما فى الجميع . ولا يشك أحد من المسلمين فى أنه اذا كان القيام لدى الذكرى
تعظيماً كان الله وصفاته وكلامه أولى بذلك من الرسول ﷺ ومن جميع الخلائق .
بيد أننا نعلم بالضرورة أن القيام ليس مشروعاً للمسلمين عند ذكر الله أو ذكر
كتابه أو ذكر صفاته وأسمائه وأفعاله ، ومثل هذا عند من يفهم القيام عند ذكر
ولادة النبي ﷺ

(رابعها)

نحن لانسلم أن القيام تعظيم دائماً حتى يتجه ما قاله ، بل قد يكون التعظيم فى
خلاف للقيام . وهذا أمر يختلف فيه الأنظار وتتشعب لديه المذاهب والآراء .
فقد يرى بعض الناس فى بعض البلاد ، فى بعض الأماكن ، فى بعض البيئات :
أن تعظيمه فى أن يجسد الناس أمامه جالسين خاضعين منصتين يستمعون لما يقول

ويتلقفون ما يتفوه به ، كما قد يرى آخرون أن التعظيم الجم في أن يجلس المعظم بين أيديهم واضعاً يديه على ركبتيه إجلالاً وهيبة ، هيئة جلوس المتشبهين . كما يرى المتكبرون أن تمام تعظيمهم وتقديسهم في أن ينخر الناس لهم على الأذقان ركعاً وسجداً عند رؤياهم أو عند ذكراهم ونحو ذلك ، والدليل القاطع على أن التعظيم قد يكون في غير القيام صفة الصلاة لله رب العالمين ، فإن الجلوس بين السجدين وفي التشهدين تعظيم لله أي تعظيم والقيام في وقتها لا تعظيم فيه بل هو حرام لا يحل فعله ومثل ذلك السجود فإنه أبلغ تعظيماً من القيام والركوع والجلوس وهو في وقته التعظيم وحده وغيره ليس تعظيماً ، بل لا يجوز عمله فالقيام إذن ليس تعظيماً في كل زمان ومكان في جميع الحالات . بل قد يكون حراماً ممنوعاً لأنه خال من التعظيم والوقار ، فالدليل الذي ذكره على استحباب القيام عند ذكر ميلاده ﷺ وهو التعظيم ليس دليلاً مقبولاً لما ذكرنا

(خامسها)

إذا كان كل ما فيه تعظيم مشروعاً تقديمه للرسول الكريم . فإن السجود والركوع والجلوس كهيئة التشهد ، كل ذلك تعظيم ولا ريب . فهل يقول هذا أن ذلك كله جائز أن يفعل عند ذكرى ميلاد الرسول أو عند ذكر اسمه ﷺ . فيجلس من يجلس ويركع من يركع ويسجد من يسجد تعظيماً واحتراماً ؟ ان هذا لازم لكلامه ، وإمكانه قول يرغب كل مسلم بنفسه عنه . فإن قيل أنه قد جاء النهي عن السجود لغير الله . قيل إن الأخبار الناهية عن السجود للرسول وللخلق هي أحاديث آحاد على مذهبكم تردون ما هو أصح منها وأكثر أسانيد وأجود رواية فلا تصالح لمعارضة ما علمتموه بالضرورة والاجماع والتواتر والقرآن والسنة من وجوب تعظيم الرسول الكريم واحترامه أنواع الاحترام والتعظيم والأحاديث التي وردت في النهي عن السجود لغير الله أحاديث ليست قوية ، ولكن ذلك

معلوم تحريمه بنص القرآن وإجماع المسلمين بطريقة لا يرتضيها هؤلاء كما سوف يأتي

وإذا ما سلمنا مسألة السجود بقي غيرها كالجلوس هيئة التشهد ، وبقي الركوع أيضا ، والتكفير ^(١) عند الأعجام ، فإذا ما قيل ان المسلمين مجتمعون على أن السجود لغير الله لا يجوز بحال قلنا ليس إجماعهم على امتناع السجود لغير الله بآظهر من إجماعهم على امتناع الاستغانة بالأموات ، وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله كطلب الرزق والهداية وغفران الذنوب وشفاء المرضى ورجع الغائبين . وقد أباح هذا ارافضى هذا كله كما سلف وكما سوف يأتي ، وإذا لم يكن الاجماع حجة في هذا لم يكن حجة في هذا . ثم نقول أيضا هب أن السجود عند ذكر ولادته لله لاله ، يجوز ذلك . ان هذا يلزم قوله لزوما لا مفر منه ولكنه باطل بالضرورة والاجماع فالاحتجاج لاقيام بالادعاء أنه تعظيم احتجاج لا يثبت على حال وأما قوله ان الوهابيين أخطأوا أيضا في منع الترجيم والتذكير واحتجابه لجواز ذلك بما جاء عاما من الحض على ذكر الله ، والصلاة على النبي الكريم فهذا القول وهذا الاحتجاج سيبلهما سبيل أقواله الأول ، وأظنه يعنى بالترجيم والتذكير تلك الأشعار التي يشاد بها فوق المنارات قبيل صلاة الصبح ، وهى أشعار فائضة بالغلو المنكر ، وبالمدنية الفاسدة ، والتوسلات الباطلة الممنوعة شرعا وذوقا وأدبا من التغزل بالرسول ومن ذكر الخلد الأسيل ، والطرف الكحيل ، والوجه الجميل ، ومن دعاء الأموات كشيخ العرب وغير شيخ العرب ومن الاشادة بمذهب وحدة الوجود ، ومن غير ذلك من الأمور الباطلة التي اشتمل عليها ذلك الترجيم والتذكير ، اللذان يدافع عنهما هذا الرجل . ولا ييب أن ما ادعاه باطل بدلائل كثيرة :

(١) التكفير هو وضع اليد فوق اليد هيئة القائم في الصلاة

(أولها)

أن ذلك لم يكن شيء منه على عهد الصحابة ولا عهد من بعدهم من أهل القرون
المتى عليها المفضلة باخبار الرسول الكريم وبالقرآن العظيم . ولو كان ذلك خيراً لما
تركوه ليظن به المتأخرون الجاهلون بأصرار الشريعة وما تطوي عليه من سمو
وبراءة وحكم عليا تدق على أفكار هؤلاء .

(ثانيها)

أن في هذه الأشعار من التوسل ودعاء الاموات الداهيين والقلو في الرسول
ﷺ وغيره ما يستجىء البراهين على بطلانه ، فان فيها الاستغاثة بشيخ العرب
وفيهما الاسراف في الدعاء وفي المديح بل وفي كثير منها تأليه الرسول الكريم
واعطاؤه ما لا يكون الا لله وحده

(ثالثها)

لو كان هذا الدعاء مشروعاً بالجملة لكان ممنوعاً بهذه الصفة . فان المطلوب في
الدعاء أن يكون خفية سرّاً الا في حالات معلومة لوظائف لا يؤديها الاخفات .
والاصرار بالدعاء مأمور به على سبيل الاجمال في آيات وأحاديث كثيرة ، وذلك
لأغراض شريفة عليا نفسية . منها : الابتعاد عن مواطن الرياء والنفاق ، ومنها : أن
الاسرار أقرب الى الخشية والخشوع وحضور القلب ومنها غير ذلك . وقد قال الله
في ذلك « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين » ومن الظاهر جداً أن
يتسر هنا الاعتداء بالجهر بالدعاء وقال « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفية
ودون الجهر من القول بالقدوس والآصال » وفي الحديث الصحيح المشهور أنه ﷺ
سمع أصحابه يجهرون بالدعاء فقال : « أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فانكم
لا تدعون أصم ولا غائباً ، انما تدعون جميعاً بصيراً أقرب الى أحدكم من عنق

راحلته « وفي الحديث أيضاً أن قوما سألوا الرسول قالوا: أقریب ربنا فنتأجیه أم
بمید فتأدیہ فأنزل الله قوله « واذا سألت عبادی عنی فانی قریب أجیب دعوة
الداع اذا دعان » الى غیر ذلك من الآيات والأحادیث الدالة على أن المطلوب
فی الدعاء ما خلا مواضع معلومة أن یكون صراً لا جہراً . وقد ذكره لذلك كثیرون
من أئمة الاسلام الدعاء بعد الصلاة جہراً فی المساجد وان كان أصل الدعاء عقب
الصلوات واردة فی أخبار صحیحة بل وإن كان قد جاء فی الأحادیث ما یدل على
أن الجهر بالدعاء عقب الصلوات كان على عهد الرسول الکریم ولكن هؤلاء العلماء
رأوا أن النصوص فی الاختفات أظهر وأکثر . وقد ذکر هذا الشاطبی فی کتابه
الاعتصام المشهور . ولا ریب أنه لم یأت خبر واحد یخص هذا الترحیم وهذا
التذکیر من هذه العمومات المطلقة الطالبة من الناس أن یسروا بدعائهم ، ولو
جاء ذلك لبادرنا الى القول به . وفي الاختفات بالدعاء فی هذه المراضع أسرار
عظيمة لحفظها الشارع الحکیم وغفل عنها هؤلاء المغالون الخالفون . وذلك أننا
وجدنا بالاستقصاء والاستقراء أن هؤلاء الذین یدعون هذه الأدعية فوق
المنارات جہراً انما یرون ذلك صنعة ووظيفة یؤدونها أداءً لیا بمیداً عن مراقبة
الله واردة الله نائین عن الخضوع والخشوع ، مملوین زهواً وغروراً ، مملوین
بالخداع والفتاق . وهذا كله آت من طریق الجهر والمظاهرة بالدعاء وذكر الله
وفي هذا ابطال حکمة الله فی دعائه ومناجاته

واذا ما كان الداعون لله المتظاهرون بدعائه بمیدین حین دعائهم عن الخشعة
ومراقبة الله كان لذلك أثر عظیم فی نفوس السامعین وما الله بغافل عن شيء من
ذلك ولا مهمل له . بل وفي دعاء الله بهذه الطريقة الجوفاء اتمان لهذه العبادة العليا
التي قال فیها رسول الله عليه الصلاة والسلام « الدعاء مخ العبادة »

(رابعها)

ان السلف الصالحين قد أنكروا ما هو أقل من ذلك توغلا في البدعة وأقل
إثماً وعاقبة ، وذلك منهم محافظة على السنة وعلى الطريقة الاسلامية العملية الاولى
إذ هم يعلمون ولا يشكون أن الاسلام أراد من أهله المحافظة الشديدة عليه والتمسك
الشديد بالمأثور ومجانبة بنيات الطريق بشدة وصرامة ، وقد ذكر الامام الشاطبي
في كتابه المشهور « الاعتصام » قال « وحكى ابن وضاح قال ثوب المؤذن بالمدينة
في زمان مالك فأرسل اليه مالك فجاءه فقال له ما هذا الذي تفعل فقال أردت أن
يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا . فقال له مالك لا تفعل . لا تحدث في بلدنا شيئاً
لم يكن فيه ، وقد كان رسول الله في هذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان
ظلم يفعلوا هذا . فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه . فكف المؤذن عن ذلك وأقام
زماناً ثم انه تنحى في المنارة عند طلوع الفجر فأرسل اليه مالك فقال له ما هذا
الذي تفعل ؟ قال أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فقال له ألم أنك ألا
تحدث عندنا ما لم يكن . فقال إنما نهيتي عن التثويب فقال لا تفعل فكف زماناً
ثم جعل يضرب الأبواب فأرسل اليه مالك فقال ما هذا الذي تفعل ؟ فقال أردت
أن يعرف الناس طلوع الفجر ، فقال له مالك لا تفعل لا تحدث في بلدنا ما لم يكن
فيه » وقال الشاطبي أيضاً في الكتاب المذكور :

« وروى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه دخل مسجداً أراد أن يصلي فيه فثوب
المؤذن فخرج عبد الله بن عمر من المسجد وقال اخرج بنا من عند هذا المبتدع ولم
يصل فيه . قال ابن رشد وهذا نحو مما كان يفعل عندنا بجامع قرطبة من أن يفرد
المؤذن بعد أذانه قبل الفجر النداء عند الفجر بقوله : حى على الصلاة . قال وقيل
إنما عني بذلك قول المؤذن في أذانه حى على خير العمل لأنها كلمة زادها في

الأذان من خالف السنة من الشيعة ، ووقع في المجموعة أن من سمع التثويب وهو في المسجد خرج منه كفعل ابن عمر ، وفي المسألة كلام المقصود منه التثويب المكروه الذي قال فيه مالك أنه ضلال ، والكلام يدل على التشديد في الأمور المحدث أن تكون في مواضع الجماعة أو في المواطن التي تقام فيها السنن والمحافظة على المشروعات أشد المحافظة لأنها إذا أقيمت هناك أخذها الناس وعملوا بها فكان وزر ذلك عائداً على الفاعل أولاً فيكثر وزره ويعظم خطر بدعته . وقد فسر التثويب الذي أشار إليه مالك بأن المؤذن كان إذا أذن فأبطأ الناس قال بين الأذان والاقامة قد قامت الصلاة . حتى على الصلاة . حتى على الفلاح . وهذا نظير قولهم عندنا : الصلاة رحمكم الله

وقد أحدث بالمغرب المسمى بالمهدي تثويبا عند طلوع الفجر وهو قولهم أصبح والله الحمد اشعاراً بأن الفجر قد طلع لالزام الطاعة والحضور للجماعة وللغنى بكل ما يؤمرون به فيخصه هؤلاء المتأخرون تثويبا بالصلاة كالأذان ، ونقل أيضاً إلى أهل المغرب الحزب المحدث بالاسكندرية وهو المعتاد في جوامع الأندلس وغيرها فصاؤ ذلك كله سنة في المساجد إلى الآن ، فانا لله وإنا إليه راجعون . » اه الشاطبي

وإذا كان مثل هذا التثويب وما ذكر هنا من التمنح وضرب الأبواب جراماً غير جائز عند عبد الله بن عمر وعند الإمام مالك وعند الإمام الشاطبي وعند هؤلاء العلماء فكيف يجوز هذا النشيد الهراء العامي المكسر لغة وشعراً وذوقاً ونحواً ؟ وكيف يجوز أن يقذف به من فوق المنارات منصات الداعين إلى الله وإلى الفلاح وإلى الصلاة وهان الصلاح . ؟ ولقد جاء أبلغ من هذا كله في المحافظة على المأثور وهجر المبتدعات عن أئمة السلف . فذكر الإمام الشاطبي في الكتاب المذكور قال :

« قال أبو مصعب : قدم علينا ابن مهدي فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف فلما سلم الامام رمة الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا وكان قد صلى خلف الامام فلما سلم قال من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان فقال خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه فحبس فقيل له إنه ابن مهدي فرجه اليه وقال له ما خفت الله واتميت أنه وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كنا نعرفه . وقد قال النبي ﷺ : من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه ألا يفعل ذلك أبداً في مسجد النبي ﷺ ولا في غيره . وفي رواية عن ابن مهدي قال : فقلت للحرسيين تذهبان بي الى أبي عبد الله ، قالان إن شئت . فذهبنا اليه فقال يا عبد الرحمن تصلي من تلقا ؟ فقلت يا أبا عبد الله أنه كان يوماً حاراً كما رأيت فتقل ردائي على . فقال آله ما أردت بذلك الطعن على من مضى والخلاف عليه ؟ قلت الله . قال خليه » انتهى ما نقله الشاطبي

وما يكون وضع الرداء أمام المصلي في جانب المسائل المذكورة ؟ ان البون لشاسع . وهذا نوع من كراهة السلف للمحدثات ومقتها واجتنابهم إياها يعرف بها أن تكون هذه الأناشيد من التذكير والترقيم حلالاً أم حراماً

(خامسها)

ان ملازمة المؤذنين هذه الأناشيد والأغاني وجهرهم بها فوق المنارات من الدعاء والصلاة على الرسول والاستغاثة بالخلق يوم الجهور والعامه أن ذلك واجب لا يصح تركه وقد وقع هذا فعلاً فان جماهير من العامة يرون وجوب الصلاة على الرسول عقب الأذان جهراً ولا يرون الأذان يصلح بدون ذلك وقد كان من جراء ذلك أنهم يشيرون بمن أذن الأذان الشرعي ولم يأت بهند

البدعة المحدثه ، وقد وقع هذا مرات في بلاد مصر . وكان من جراء ذلك أن وقع قتل وجنابات وذلك لاعتقادهم وجوب هذه الصلاة وهم يعدون من لا يصلي كذلك مبغضاً للرسول الكريم ، تاركاً واجباً من أعظم الواجبات وأقدسها ، وكذلك شأنهم في الكثير من المبتدعات التي يشاهدونها صباح مساء . وإذا كان ذلك كذلك كان اللازم هجران هذه المبتدعات خشية أن تحسب سنناً واجبة . ولقد كان بعض السلف يدعون السنن خشية أن يظنها الناس فروضاً واجبة ، فكيف بالبدع ؟ ؟ قال الامام الشاطبي في كتابه الاعتصام :

« لقد كان السلف يتركون السنن خوفاً لاعتقاد العوام أمراً هو أشد من ترك السنن وأولى أن يتركوا المباحات ألا يعتقد فيها أمر ليس بمشروع . فقد ذكروا أن عثمان كان لا يقصر في السفر فيقال له أليس قد قصرت مع رسول الله ؟ فيقول بلى ولكني إمام الناس فينظر الى الأعراب وأهل البادية أصلى ركعتين فيقولون هكذا فرض . قال الطرمطشي تأملوا رحمكم الله فان في القصر قولين لأهل الاسلام . منهم من يقول فريضة فمن أتم فأنما يتم ويعيد أبداً . ومنهم من يقول سنة يعيد من أتم في الوقت . ثم اقتحم عثمان ترك الفرض أو السنة لما خاف من سوء العاقبة أن يعتقد الناس أن الفرض ركعتان . وكان الصحابة (١) رضى الله عنهم لا يضحجون . قال حذيفة بن أسد : شهدت أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لا يضحجان مخافة أن يرى أنها واجبة ، وقال بلال : لا أبالي أن أضحي بكبشين أو بديك . وعن ابن عباس أنه كان يشتري لحماً بدرهم يوم الأضحى ويقول لهكرمة من سألك فقل هذه أضحية ابن عباس . وقال ابن مسعود : انى لأترك أضحيتى وانى لمن أيسركم مخافة أن يظن أنها واجبة . وقال طاوس ما رأيت بيتاً أكثر لحماً وخبزاً وعلماً من بيت ابن عباس ، يذبح وينحر كل يوم ثم لا يذبح

يوم العيد ، وإنما كان يفعل ذلك لئلا يظن الناس أنها واجبة وكان إماما يفتنى به . قال الطرطوشي والقول في هذا كالذي قبله ، وإن لأهل الاسلام قولين في الأضحية أحدهما سنة ، والثاني واجبة . ثم اقتضت الصحابة ترك السنة حذراً من أن يضم الناس الأمر على غير وجهه فيعتقدونها فريضة . قال الامام مالك في الموطأ في صيام ستة بعد الفطر من رمضان : أنه لم ير أحداً من أهل العلم والفقه يصومها . قال ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف ، وإن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته ، وأن يلحق أهل الجمالة والجهلاء برمضان ما ليس منه لو رأوا في ذلك رخصة من أهل العلم ورأوهم يقولون ذلك فكلام مالك هنا ليس فيه دليل على أنه لم يحفظ الحديث كما توهم بعضهم ، بل لم يسمع كلامه . يشعر بأنه يعلمه ، لكنه لم ير العمل عليه وإن كان مستحباً في الأصل لئلا يكون ذريعة لما قال ، كما فعل الصحابة في الأضحية وثمان في السفر . وحكى الماوردي ما هو أغرب من هذا وإن كان هو الأصل ، فذكر أن الناس كانوا إذا صاموا في السحرة من جامع البصرة ورفعوا من السجود مسحوا جباههم من التراب لأنه كان مفروشاً بالتراب فأمر زياد بالقاء الحصى في محن المسجد . وقال لست آمن من أن يطول الزمن فيظن الصغير إذا نشأ أن مسح الجبهة من أثر السجود سنة في الصلاة . وهذا في مباح فكيف به في المكروه أو الممنوع ^(١) (انتهى كلام الشاطبي)

وذكر الشاطبي في موضع آخر أن من ذلك نهى الرسول الكريم ﷺ أن يتقدم شهر رمضان بصيام يوم أو يومين وقال إن وجه ذلك عند العلماء تخافة أن يعد ذلك من جملة رمضان

بهذا ليعتبر المعتبرون

وأما ما يتعلق به هذا الرجل من العمومات والاطلاقات ، فجوأنا عليه أن

(١) نحن لا نقيد بكل ما قلناه هنا ولكننا سقناه لغرضنا الذي كور

نقول له اعلم أن هنالك أمراً يسمى البدعة الإضافية . والبدعة الإضافية هي الأمر المحدث على نحو لم يكن في الإسلام ولا في عصر الرسول الكريم ﷺ وعصر خلفائه الراشدين ، إذا ما كان أصل هذا الأمر موجوداً مشروعاً بالجملة لكن على نحو آخر وفي هيئة أخرى ، أي على شكل لم يكن معروفاً في صدر الإسلام ولا في أيامه الأولى . نظير ذلك مثلاً صلاة النوافل والسنن الرواتب التي تكون قبل الصلوات الخمس وبعدها ، فإن هذه السنن وهذه الرواتب مشروعة مرغوبة فيها بالجملة على أن تؤدي كما جاءت عن صاحب الشرع عليه السلام . ولكن لو أن قوماً اجتمعوا وانفقوا على أن يصلوها جماعاً بامام كما يصلون الفروض ثم واطبوا على تأديتها كذلك كانوا مبتدعين غالطين في هذه الصلاة غلطاً يلامون عليه ، ووجب لما ذكرنا زجرهم ونهيهم نهياً شديداً . وكان هذا العمل بدعة إضافية لا أصلية فان أصل النافلة مشروع مطلوب ولكنها بهذا الشكل المجتمع عليه غير مشروعة ولا جائزة

وكذلك الأذان للصلوات مشروع في أوقاتها المعلومة وهيئته المعروفة عن صاحب الرسالة . ولكن لو أذن لكل صلاة مرتان أو ثلاث أو أكثر خلا ما جاء في صلاة الفجر والجمعة كان ذلك غير جائز ولا مشروع ، وكان بدعة نكراء يجب اطراحها وإزالتها . هذا مع أنه لا ريب أن الأذان مشروع بالجملة وهو تعظيم لله وتوحيد وتناء وشهادة للرسول الكريم بالرسالة ودعاء إلى الله وإلى الفلاح والصلوة ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وإلى الصلاة وإلى الفلاح ؟
وكذلك لو كرر أكثر مما حفظ أو لو وضع في أوقات غير أوقات الصلوات أو لو غير ترتيبه . كل هذا يكون من الابتداع المذموم

وكذلك الصلاة على الرسول الكريم ﷺ مرغوبة فيها مثاب عليها مطلوبة طلباً مطلقاً ومن صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرأ . ولكن هنالك أوقات لا تجوز فيها

هذه الصلاة . وهنالك هيئات لا تجوز عليها ، فلا تجوز الصلاة على الرسول ﷺ في مواضع من الصلوات المفروضة ذات الركوع والسجود ، فلا يجوز ذلك في أثناء القيام ولا في مواضع أخرى منها . وكذلك لو صلى عليه في التشهد جهراً لكان ذلك عملاً باطلاً . مع أن الصلاة عليه في التشهد مطلوبة وكذلك الجهر بالأدعية الواردة في الصلوات هو غلط ومبتدعات . مع أن أصل ذلك مشروع كله .

ولكن وضعه في غير موضعه أو في غير هيئته يصيره من الأعمال المحرمة المنوعة وليس لصلاة العيدين أذان ولا إقامة ، فلو أذن وأقيم لها لأن الأذان والاقامة مشروعان بالجملة للصلوات ولأنهما توحيد ودعاء إلى العبادة والفلاح والخير لكنا بدعتين محرمتين ، ولكن فاعلها آثم محسوباً من المبتدعين الملوين ولم ينفعه أن كان أصل الأذان والاقامة مشروعاً . ومثل هذا أو أكثر مناسبة للموضوع الجهر بكلمات الاقامة كما يجهر بكلمات الأذان ، فإن ذلك يكون ولا ريب عملاً باطلاً وبدعة مذمومة ، مع أن الاقامة مشروعة ومع أن أصل الجهر بكلمات الاقامة أيضاً مشروع . مع هذا كله لا يكون هذا الجهر جائزاً ولا مستحباً ، ونظائر ذلك مما لا خلاف فيه ومما يوضح الموضوع الذى معنا كثيرة

وبالاجمال فإن الشريعة الاسلامية يجب أخذها كما جاءت كاملة تامة بهيئاتها وأوقاتها وأعدادها « وكما وكيفها » لا ينال ذلك تغيير لازيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تأويل . فإن زمان العبادة معتبر كما أن عددها معتبر وهيئتها معتبرة كما أن موضعها معتبر . فلا يجوز تغيير شكلها كما لا يجوز تغيير عددها ، فلا يجوز الزيادة فيها كما لا يجوز النقصان منها ، ولا يجوز الاختلاف بما كان يجهر به كما لا يجوز الجهر بما كان يخفت به وهكذا . وهذه أشياء لا خلاف فيها بين علماء الاسلام . والنقل في ذلك عنهم متواتر وكذا عن الرسول الكريم وعن صحابته

والشيعة متناقضة لا تسير على هدى ولا على عقل ، فإن هذا الشيعى يتمدح

هذه المبتدعات وينافح عنها ويكافح ، ويدعى أنها ليست بدعاً لأن أصلها مشروع
وارد بالجملة ، هذا قوله هنا . والشيعه يرون أن صلاة التراويح التي يصلها المسلمون
في كل مكان جماعة يمدونها كذلك بدعة وضلالة . وكذلك يرون الأذان الأول
يوم الجمعة بدعة وضلالة ، كما يرون الدعاء في خطب الجمعة للخلفاء الراشدين بدعة
وضلالة وكذلك يرون أشياء كثيرة أطبق عليها المسلمون في كل مكان قولاً
وعملاً واعتقاداً من المبتدعات

هذه الأشياء : صلاة التراويح والأذان الأول يوم الجمعة والدعاء للخلفاء
الراشدين في خطبة الجمعة مبتدعات مذمومة عند الشيعة . أما صلاة التراويح فقد
صلاها رسول الله ﷺ في أصحابه ليالي ذات عدد ثم تركها - أي ترك صلاتها -
جماعة قائلين « خفت أن تفرض عليكم » وفي خلافة عمر رأى الناس يصلونها فرادى
في المسجد فأشار عليهم بالاجتماع عليها فاجتمعوا فصلاها جماعة ، وافق الصحابة على
ذلك لم يخالف منهم أحد فيما نقل لا على ولا غيره . ثم تتابع المسلمون على صلاتها
كذلك جماعة في المساجد وواظبوا عليها إلى اليوم في سائر البلدان الإسلامية . بيد
أن الرافضة أبوها وعدوها بدعة وزيادة في الإسلام ، وإن كانت الأحاديث
الصحاح جاءت مرغبة في قيام رمضان وإن كان رسول الله ﷺ صلاها بأصحابه
مرات ورغب في ذلك ثم خاف أن تفرض فتركها لأن صلاتها جماعة ممنوعة ،
بل لخوفه أن تفرض . والأمر الذي كره هذه الصلاة إلى الرافضة جماعة هو أن
عمر رضي الله عنه هو الذي أشار بالاجتماع عليها بعد رسول الله ﷺ فكان
ذلك ، لأن الشيعة يكرهون عمر ويكرهون ما يأتي به عمر من السنن والدين . ولو
أن بعض الجهال الفسقة هو الذي أشار بالاجتماع لهذه الصلاة لقاتل الشيعة ولقال
صاحب هذا الكتاب إن هذه سنة وعمل صالح مستدلاً بأن أصلها مشروع مثل ما
فعل في الترجيم والتذكير والقيام عند ذكر ولادة الرسول ﷺ وفي الصلاة على

على النبي الكريم عقب الأذان جهراً

وأما الأذان الأول يوم الجمعة فإن الذي أشار به هو الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه لما أن كثرت الناس في عصره واحتيج إلى دعوتهم لصلاة الجمعة وسماعهم الداء وإعلامهم حلول وقتها ، وهم كثيراً ما يعلمون الوقت إلا بالأذان والإعلان فأشار بهذا الأذان وأشار بأن يكون على الزوراء ، فكان ذلك ، ولم ينكره من الصحابة أحد ، وجرى العمل عليه في خلافة علي رضى الله عنه ومن بعده لم يغيروه وبقي إلى اليوم معولاً به في أطراف الأرض ، وهذا من أعظم أنواع الإجماع ، ولكن الرافضة يعدون هذا الأذان بدعة قبيحة مع أن الأذان بالجملة مشروع مذكور في القرآن الكريم ، ومع أن ثنية الأذان للصلاة الواحدة وارد بالجملة كما في صلاة الصبح ، ومع أن الصحابة أجمعوا عليه ، ولكن كراهية القوم للخليفة عثمان أرتهم هذا باطلاً أو حلتهم على أن يدعوا أنه باطل

وأما الدعاء للخلفاء فوق المنابر يوم الجمعة فقد ورد بالجملة في الشريعة الدعاء للمؤمنين في الخطب وأتى الحث على الدعاء للمسلمين إطلاقاً وإجمالاً في القرآن وفي السنة . وأما الدعاء بالشكل الموجود اليوم فقد روى أنه قد كان في عهد عمر بن الخطاب ، وروى أنه كان في عهد خلافة عمر بن عبد العزيز

فأعجب للرافضة أن يعدوا هذا كله من المبتدعات المنكرة المضلة ثم يعدون القيام عند ذكر ميلاد الرسول ﷺ والصلاة عليه جهراً فوق المنابر والترجيم والتذكير والناشيد الجوفاء بتلك الأصوات النكراء سنناً وأعمالاً صالحة !! ويحك يا هذا ! أمن العدل والحق أن تكون صلاة التراويح جماعة ، والأذان الأول يوم الجمعة ، والدعاء للخلفاء الراشدين بدعة منكرة تدمون أهل السنة والجماعة وتدمون الخلفاء الراشدين لها ولاجماعهم عليها . ثم تروحون تدعون أن الأغاني والناشيد المملوءة بالاستغاثات ودعاء الاموات المملوءة بالأخطاء اللغوية

والنحوية والشعرية سنن ممتدحة ؟ أمن العدل والحق أن يكون ما أجمع عليه الصحابة والمسلمون في كل زمان ومكان إذا ما استثنينا ثمراذم خارجة ضلالات وبدعا قبيحة ، وأن يكون ما اخترع الجاهل والأغمار المتأخرون من الأمور الفاسدة كالرقص والزناه والحذاء فوق المنارات أعز مكان وأشر منه أعمالا صالحة ؟ ما هذا لعمر الله بانصاف ولا دين

وأما زعمه أن تخصيص ذلك ببعض الأزمنة والامكنة لفائدة ما مع عدم اعتقاد ورود ذلك التخصيص عن الشارع لا يجعله بدعة فزعم باطل منكر . بل إن ذلك يجعله بدعة ذميمة ولا شك على كل الأحوال ، فلو أن إنسانا خص بصلاته على الرسول الكريم مكانا معيناً ووقتا معيناً لا يعدوها ولا يقصر عنها لكان بذلك مبتدعا ضالا في رأي جميع علماء السنة والحديث ، ولو أنه خص بذكره الله وقتا معلوما ومكانا معلوما لا يعدوها ولا يقصر دونها لكان ضالا مبتدعا في جميع المذاهب الإسلامية ، أو لو أنه خص بصلاته لله وقت طلوع الشمس ووقت غروبها وحين زوالها عند القبور وعند الشيخ فلان أو الضريح المعظم لكان بذلك ضالا مبتدعا وآتيا أمراً نكرا عند جميع الفرق الإسلامية

وقد صحت الأحاديث النبوية من طرق كثيرة مختلفة أن الرسول الكريم نهى عن ذلك أشد النهى . ولم يختلف علماء الحديث في صحة الإخبار بذلك . ولو أنه خص يوم الجمعة وليلة الجمعة بقيامه وصيامه لكان من الضالين المبتدعين بلا ريب . وقد صحت الروايات النبوية في النهى عن ذلك . ولو أنه خصص مسجداً من المساجد ذات المشايخ المعظمين لصلاته وصيامه وعبادته وأذكاره وقراءته القرآن لا يتجاوز ذلك المسجد لكان من الضالين المبتدعين بإجماع المسلمين الأولين وقد نهى السلف الصالحون عن ذلك أشد النهى وحذروا فاعلمه . أتى ذلك من طرق كثيرة صحيحة معلومة عنهم

ومن ذلك ما رواه الامام أبو يعلى في مسنده أن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رأى رجلاً يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي فيدخل فيها فيدعو فنهاه فقال ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال (لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً فان تسليمكم يبلقني أينما كنتم) وروى سعيد بن منصور أن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رأى رجلاً عند القبر فناداه وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال مالي رأيتك عند القبر فقال سلمت على النبي فقال إذا دخلت المسجد فسلم عليه ثم قال ان رسول الله عليه السلام قال (لا تتخذوا بيوتي عيداً ولا بيوتكم مقابر . لمن الله اليهود آخذوا قبور أنبيائهم مساجد وصلوا على فان صلاتكم تبلقني حينما كنتم . ما أنتم ومن بالأنفلس منه إلا سواء وهذان الخبران من رواية أهل البيت . والشيعة تدعى أتباعهم ونهجها منهمجهم وتلقبها الأحكام عنهم . والخبر الأول عن علي بن الحسين المعروف بزين العابدين عن الحسين عن علي رضي الله عن الجميع . والثلاثة فيما نرى الشيعة من الأئمة المعصومين الذين لا يسهون ولا يفلطون ولا يقولون إلا الحق لا عداء ولا سهواً فهذه رواية أهل البيت وهذه آراؤهم

وقال الامام الشاطبي في كتاب الاعتصام : « وقد نهى الأكرع عن اتباع الآثار كما خرج الطحاوي وابن وضاح وغيرهما عن معروف بن سويده الأسدي ، قال : وافيت الموسم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فلما انصرفنا الى المدينة انصرفت معه فلما صلى لنا صلاة الغداة فقرأ فيها « ألم تر كيف فعل ربك » و « لإيلاف قريش » ثم رأى أناساً يذهبون مذهبا ، فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ قالوا : يأتون مسجداً هاهنا صلى فيه رسول الله ﷺ فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا . يقيمون آثار أنبيائهم فآخذوها كنائس ويصومون . من أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد التي صلى فيها رسول الله ﷺ فليصل فيها وإلا فلا يعمدها

وقال ابن وضاح : سمعت عيسى بن يونس مفتي أهل طرسوس يقول أمر عمر ابن الخطاب بقطع الشجرة التي ببيع تحتها النبي عليه السلام فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها تخاف عليهم الفتنة . قال ابن وضاح : وكان مالك بن أس وغيره من علماء المدينة يكرهون إيمان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ ماعدا قباء وحده . وقال : وممنهم يذكرون أن سفيان دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يقم تلك الآثار ولا الصلاة فيها . وكذلك فعل غيره أيضا ممن يقتدي به . وقدم وكيع أيضا مسجد بيت المقدس فلم يمدُ فعل سفيان . قال ابن وضاح فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين ، فقد قال بعض من مضى كم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرا عند من مضى . وقد كان مالك يكره كل بدءة وإن كانت في خير . وجميع هذا ذريعة لثلاث يتخذ سنة ما ليس سنة أو يعد مشروعا ما ليس معروفا

وقد كان مالك يكره المجيء إلى بيت المقدس خيفة أن يتخذ ذلك سنة . وكان يكره مجيء قبور الشهداء ويكره مجيء قباء خوفا من ذلك مع ما جاء في الآثار من الترغيب فيه ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه . وقال ابن كنانة وأشهب سمعنا مالكا يقول : لما أتاه ^(١) سعد بن أبي وقاص قال : وددت أن رجلى تكسرت وأنى لم أفعل . وسئل ابن كنانة عن الآثار التي تركوا بالمدينة فقال : أثبت ما في ذلك عندنا قباء إلا أن مالكا كان يكره مجيئها خوف أن يتخذ سنة » اه كلام الشاطبي

فهذه أقوال الرسول ﷺ وهذه أقوال أصحابه وأهل بيته وعلماء السلف أهل البصر بالدين وبأسرار الدين . فعلى من تنتمد الشيعة وإلى أين تذهب وعن تأخذ وعن تمتدى ؟

الامر العاشر

قال الرافضى : « الأفعال تختلف أحكامها باختلاف القصد بها وباختلاف الأزمان والامكنة والاحوال والاشخاص . فضرب اليتيم مثلاً محرم بقصد الإيذاء راجح بقصد التأديب . وغيبة المسلم محرمة بقصد الانتفاص واجبة بقصد نهيه عن المنكر^(١) والسجود عند قبر النبي مستحب بقصد شكر الله أن وفقه لزيارته . محرم بقصد السجود اغير الله . وكذلك مثلاً لبس الثوب الأزرق اذا عد زينة فى بعض الأزمان والامكنة حرام على الزوجة فى أيام الحداد مستحب اذا أرادت التزين لزوجها ، وكذلك لباس الشهرة ولباس النساء المحرم على الرجال ، ولباس الرجال المحرم على النساء يختلف باختلاف الأزمان والاماكن والاشخاص . وكدفن المؤمن العظيم بجوار المزية فانه حرام لانه يعد إهانة له بخلاف دفن الزبال أو من صناعته نزح السكينيف وكذلك انزال الضيف الشريف فى مرابط الدواب معدود اهانة ، وليس كذلك المكارى . وقد يكون ترك القيام للمرء فى زمان أو بلاد معدوداً إهانة فيحرم ، وفى زمان آخر فى بلاد أخرى لا يعد كذلك فلا يحرم وملبوس الزهد وما كوله يختلف باختلاف الأزمان والاحوال والاماكن وكذلك هدم قبور الانبياء والاولياء وقبابهم ومشاهدهم . فهب أنه منهى عن ذلك نهى كراهة أو تحريم الا أن الهدم فى هذا الزمان صار يعد اهانة لهم فيتعارض واجب وهو الهدم ومحرم وهو الاهانة ، فيقدم الاهم . ولا شك أن مراعاة عدم اهانة النبي أو الولي أولى من كل شيء » انتهى كلام الرافضى

قلت : هذا الكلام وان عدّه قائله من أعلى أنواع الفلسفة وأصدقها أو عدّه

(١) الغيبة هي ذكر المرء بما يكرهه غائباً فكيف يتأتى نهيه عن المنكر بذكره

غائباً ١٢ هذا ما لا يكون

بعض من لم يحيط به علمًا حقًا وصوابًا - حاولوا أنواع كثيرة من أنواع الخلط
وارتجاج المنطق وركاكة التصور وضآلة البصر بالدين وضمف التأليف ولو أريد
ببانه كله لاحتمل وحده كتابًا مستقلًا . ونحن نل على بعض ما فيه دلالة سرية
عجلى ، وذلك بأمور :

(أولا)

الصحيح أن يقال ان أحكام القصد بالأفعال تختلف تبعًا لاختلاف القصد بها ،
لا أن يقال ان الأفعال تختلف أحكامها باختلاف القصد بها كما ذكر هذا . فان
الفعالين المتساويين كما هو المفروض هنا لا يمكن أن يختلفا حكمًا وهما متساويان شكلًا
ودلالة إذا ما اختلف القصد بهما ، فيكون أحدهما حلالًا والآخر حرامًا ، أو يكون
أحدهما واجبًا والآخر جائزًا . وهكذا . ولكن الذى يختلف فى ذلك هو حكم
القصد لهذه الأفعال وما ينوى بها . فان نوى بها شر كانت هذه النية شرًا محرماً
وإن نوى بها خير كانت خيرًا حلالًا مثاباً عليها . فرجلان ضربا يقيم كما ذكر هذا
الرجل اتفع هذا اليقيم بالضرب أو ضر ، وكان أحد الضارين ينوى فى نفسه
المدوان والابذاء وكان الآخر ينوى التأديب والاصلاح ، فانه لا يقال هنا ان
حكم هذين الضارين اختلف لاختلاف القصد فى نفس الضارين ، فكان أحد
الفعالين حرامًا وكان نظيره حلالًا مستحبًا . أو واجبًا ، ولكن يقال ان القصد بالفعالين
اختلف فكان قصد خير وكان قصد شر . أو فكان أحد القصدين خيرًا مثاباً عليه
وكان الثانى شرًا معاقباً عليه ، فالقصدان هما اللذان اختلفا ، لا الفعلان ، ولا حكم
الفعالين . ويوضح ذلك جيداً أن يعمل انسان طاعة من الطاعات المشروعة ، فيصلي
مثلاً أو يصوم أو يحج أو يزكى أو يعمل عملاً آخر من أعمال البر : يصلي مرة ،
والحامل له على الصلاة غير الله كأن يرائي الناس ، أو يصلي طمعاً فى شهوة دنيوية

يريد قضاءها بصلاته ، ويصلى مرة أخرى ، ويريد بصلاته وجه الله وحده والدار الآخرة ، فالقصدان هنا مختلفان والفعلان مختلفان صورة وشكلا فلا يقال في مثل هذا يقينا ان حكم الصلاتين اختلف تبعا لاختلاف القصدين ، بأن تكون إحدى الصلاتين حلالا والآخرى حراما . ولكن الذي يقال هنا ان الذي اختلف هو القصد بالصلاتين فاختلف الجزاء على ذلك تبعا لاختلاف القصد والنية ، لأن الأعمال بالنيات والمقاصد ، ويبان ذلك توضيحا أن الأفعال إما أن تكون في الأصل أفعال طاعة وخير كذكر الله ودعائه وكقصد المساجد وكالمطف على المنكوبين والبالئين وإما أن تكون أفعال معصية وشر كعصيان الله وكالقدح في الأديان والأنبياء ، وكالخنوع لنير الله من الأموات ، وكقهر الأيتام ونهر السائلين والمحتاجين ، وإما أن تكون دائرة بين هذه وهذه وإما ألا تكون لا هذه ولا هذه

فالقسم الأول من الأفعال إذا ما جاء على وجه المشروع لا يمكن أن يكون معصية حراما وإن كانت نية فاعلة ما كانت ، ولكن قصد الفاعل هو الذي قد يكون إثما وبغيا محرما ، وقد يكون طاعة وبرأ وخيرا ، فالقصد بهذه الأفعال هو الذي يختلف فيكون حيناً حراما وإثماً ، وحيناً آخر برأ حلالا . أما الأفعال الظاهرة نفسها من هذا القسم فلن تكون حراما ، فمن ذكر الله ودعاه وأحسن إلى النكير واليتيم والمنكوب ، وكان في ذلك غير تقى القصد والنية لم تكن هذه الأفعال ذكر الله ودعاؤه والاحسان إلى المحتاجين حراما وجريمة ، بل ذلك طاعة ولا ريب ولكن قصد بها معنى آخر

وأما القسم الآخر من الأفعال وهي أفعال المعصية والشر كالقدح في الأديان والأنبياء وكالزنا والسرقة ونهر السائل وقهر اليتيم ونظائر ذلك ، فليس بممكن أن يكون طاعة ، ولا يمكن أن يكون حلالا مثاباً عليه . لكن لو فرض أنه رخص في شيء من ذلك في حالة من الحالات لفرض من الأغراض في زمن من الأزمان لم

يكن ذلك الترخيص لأنه طاعة أو لأنه صار غير معصية . بل حكمه هو لم يختلف وإنما عارض حرمة معنى آخر ، كأن يكون وسيلة الى قهر معصية أكبر منه أو جلب طاعة فيها أكبر من ضرره هو ، فيؤتى أخف الضررين ، كما يقولون لنيل كبرى الفائدتين ، فيؤتى الحرام ليقهر ما هو أحرم منه أو لتكتسب فائدة نفعها أعظم من ضرر ذلك الحرام المفترض ، ويكون ذلك كجائع خاف هلاك نفسه فوجد ميتة فأكل منها ليحفظ برمه . فالميتة ميتة لم تتغير ، وحكم الميتة هو لم يختلف لأنها حُرمت للضرر الذي فيها . وضررها لا يذهب أن وقعت في يد جائع يخشى على نفسه الملكة . ولكن هذا الضرر يحتمل لدفع ضرر أكبر منه ، وكذلك يقال في سائر الضرورات وما يباح عند الضرورات فيه المنيان معاً المقتضى والممانع كما يقولون . ولكن يُقدم على الأخف الأسهل . وليس في هذا أن شيئاً من الأشياء خرج عن حقيقته ، من حسن الى قبيح أو من قبيح الى حسن

وأما القسم الدائر بين أفعال الطاعات والخير وأفعال المعصية والشر كمثّل السفر مثلاً . فقد يكون سفرأ يراد به طاعة وخير ، وقد يكون سفرأ يراد به معصية وشر على حسب ما في نفس المسافر ، فهذا القسم في الواقع ليس طاعة في نفسه ولا معصية . فلا يستحق صاحبه لذاته ثواباً ولا عقاباً ولا قدحاً ولا مدحاً ، ولكن القصد فيه هو الذي يكون تارة هذا وتارة هذا ، فتارة يكون شرأ فيكون القصد نفسه هو الحرام والمعصية ، وتارة يكون خيرأ فيكون القصد نفسه هو الطاعة . أما السفر نفسه فإنه لم يوضع لا لهذا ولا لهذا فلا يكون بظاهره لا هذا ولا هذا

وأما القسم الرابع فكذلك الكلام المباح العادي وكالحركات العادية ونظائر ذلك فهذا أيضاً لا يقال له طاعة ولا معصية ، ولكن قد يكون في نية فاعله شيء من ذلك وإذن لا يصح قوله « ان الأفعال تختلف أحكامها لاختلاف القصد بها » وإنما الصحيح أن يقال ان القصد بالأفعال يختلف كثيراً ، ولو أنه صح قوله لكانت صلاة

من أراد بها خير الله حراماً معصية يطالب بتركها ويطلب بالتخلي عنها ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون ، فالصلاة طاعة مطلوبة من الناس وإن قصدوا بها غير الله كانوا معاقبين على القصد لا على الصلاة نفسها ، وكذلك من تصدق بماله في وجوه الخير والبر والاحسان وكان يقصد بعمله وصدقاته الفخر والمديح من الناس لأجزاء الله سبحانه وحده ، لا يقال إن عمل مثل هذا إثم وحرام ومؤاخذ عليه ، لأنه لو كان كذلك لكان مطالباً بتركه وهجرانه ، ولن يطالب محسن بترك إحسانه لأن نيته مدخولة ، بل أعمال البر والخير تتقبل من فاعلها وحساب ضميره إلى الله وحده والله إن يقول له لماذا أنفقت مالك على المحتاجين والمعرزين ، ولا لماذا خنوت على الأيتام والأطفال ؟ وإنما يقول له لماذا لم تقصد وجبي بذلك الاتفاق وأنا الذي موّلتك وأعطاك وأضناك ويسر لك سبل جمع الأموال ثم يسر لك سبل انفاقها والجود بها أألسنتُ أحق بأن ترعى رضائي وأرادتني بأعمالك وباتفاق مالك ؟ وإذا ما جاء في الكلام خلاف ذلك ، فهو متوسم فيه بضرب من ضروب المجاز والتأويل السائغ في الكلام الذي لا يعنى به التحقيق العلمي

(ثانياً)

قوله : « إن السجود عند القبر النبوي مستحب راجح بقصد شكر الله على أن وفقه لزيارته » قول قائم على أمرين : أحدهما أن من زار قبر الرسول ﷺ يستحب له أن يسجد لله شكراً على تلك الزيارة وذلك النوفيق . وثانيهما أنه جائز بلا كراهة ولا تحريم السجود عند القبر النبوي وعند القبور على وجه العموم . والمقدمتان كلاهما باطلة كاذبة وكلاهما خلاف سنة المسلمين العملية التي لا تختلف ولا يتنازع فيها اثنان من العلماء الذين لهم لسان صدق في العالمين وإمامة في المسلمين . أما الأمر الأول وهو استحباب سجود الشكر لدى زيارة القبر الشريف فلا ريب

أن ذلك عمل غير صالح وعمل غير مشروع . فلم يأت فيه خبر صحيح ولا ضعيف
لا عن رسول الله ﷺ ولا عن صحابته ولا عن أحد من أهل البيت وأئمة البيت
ولا عن أحد من علماء الحديث وعلماء الفقه كالأئمة الأربعة ، ولا عن أحد من
يشابه هؤلاء ديناً وعلماً . بل لقد كان الناس يزورون الرسول الكريم نفسه ويرون
ذاته السريّة ووجهه الكريم ويسمعون كلامه ويتمتعون بلقائه ، ولم يأت عن أحد
منهم أنه سجد عند لقائه شكراً لله على رؤياه ولقياه ، ولقد كان أصحابه الكبار
يمارقونه عليه الصلاة والسلام في الغزوات وفي الأسفار المطوَّحة وفي المهاجرة ثم
يلاقونه بعد الفراق وبعد اصطلائهم بنيران الآشواق فلا يسجد أحد من هؤلاء
الصحابة لله شكراً على أن ظفر بلقاء أحب الناس إليه وظفر بزيارته . انه لم يأت
عن أحد من هؤلاء أنه فعل ذلك أو همّ به أو تحدث عنه ولا جاء عنه عليه السلام
أنه أمر بذلك أو أشار به أو ذكر له فضلا وقرية أو أباحه ، لا خلاف أنه لم يكن
شيء من ذلك فعمّن إذاً يجوز هذا العمل ، وبأي دليل يعلم انه يشرع لمن زار
القبر النبوي أن يسجد شكراً لله ، بل وأين البرهان على أن زيارة القبر الشريف
عمل عظيم يستحق أن يسجد لله شكراً لاجله ، انه لم يأت حديث واحد
صحيح يدل على أن في ذلك فضلا ونوابا ، وأجرأ كبراً . وما جاء من
الآحايث في ذلك كلها غير صحيح ، كما سوف يجيء بحث ذلك في الباب
الخاص به . ولا عرف أن أحداً من صحابة الرسول أو أن أحداً من شيوخ السنة
والحديث والفقه كان يحرص على ذلك ويتطلب أجره وثوابه ، بل لقد جاء منهم
عن ذلك من طرق مختلفة كما مر عن علي بن الحسين ، وعن الحسن بن الحسن وعن
غيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد صح عن الامام مالك امام دار الهجرة
ومدينة الرسول ووكر الأنصار والمهاجرين أنه كره أن يقال زرنا قبر النبي . وقد
روى هذا عنه القاضي « عياض » في الشفاء وغيره ، وذلك لأنه لم يعرف في ذلك

نقلا ولم يجده من سنة المسلمين التي وجد عليها أهل المدينة . كيف ذلك والسفر الى الرسول الكريم لما أن كان حيا لم يكن مطلوبوا لذاته ومرغوبا فيه نفسه ، وإنما كان السفر اليه مطلوبوا وواجبا حينما كان الناس يهربون بدينهم وعقائدهم وأنفسهم اليه وإلى المدينة عاصمة الاسلام ، وحينما كانوا يذهبون اليه ليتلقوا عنه الاسلام وتعاليمه ، أما بعد ذلك فلم يكن السفر اليه مطلوبوا ولا مرغوبا فيه ، والحجة على ذلك أنه عليه السلام كان يقول للناس بعد انتشار الاسلام وعلو سلطانه (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) . وكان يأبى مبايعة الناس على الهجرة بعد الفتح ولكن يبايعهم على الاسلام والايمان والجهاد والنية ، وذلك لأن السفر الى ذاته الشريفة لم يكن مطلوبوا لذاته كما قلنا . بل يطلب ذلك لدى الفائدة كالرغبة في التعليم منه والجهاد معه ومناصرته والفرار بالدين اليه في دار منمته وعزه ودار جيوشه وجنود الله الانتصار . أما بعد ذلك فلا فائدة في الذهاب اليه بهذه الدلائل

أترأه لا يرغب في السفر اليه حينما كان حيا ويرغب فيه بعد انتقاله الى الله وإلى الرفيق الأعلى ؟ هذا مالا يكون ، كيف والزائر اما أن يكون من أهل المدينة أو يكون من أهل الأقطار والبلدان الأخرى النائية فان كان من أهل المدينة نفسها فذهب الى القبر الشريف وزاره وطاف به ، فأى فضل حازه بهذه الزيارة ، وأية متعة نالها يسجد لله شكراً لأجلها ؟ لا أظن أحداً يستطعم أن يثبت أن في ذلك أي في الوصول الى القبر الشريف فضيلة أو ثواباً . وأما الثواب الذي يكون بالصلاة والسلام عليه فانه يحصل للقريب من قبره والبعيد عنه ولا فرق . وقد جاء في الحديث أنه عليه السلام قال : « إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام » وتقدم حديث علي بن الحسين الذي فيه (وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حينما كنتم) وتقدم قول الحسن بن الحسن (ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء) وروى البيهقي وابن أبي شيبة أنه عليه السلام قال « من صلى عليّ عند قبري سمعته

ومن صلى على نائياً بلغته (فالأشياء المشروعة كالصلاة والسلام على الرسول الكريم لا فرق فيها بين القرب والنأى فانها حاصلة في الحالتين . وأما مشاهدة القبر الشريف نفسه ومشاهدة الأحجار نفسها فلا فضل فيها ولا ثواب بلا خلاف بين علماء الاسلام . بل ان مشاهدته عليه الصلاة والسلام حينما كان حياً لا فضل لها بذاتها ، وإنما الفضل في الايمان به والتعلم منه والاقتداء به والتهجج منهجه ومناصره . وبالإجمال ان أحداً من الناس لن يستطيع أن يثبت لزارة القبر الشريف فضلاً ما وهذا واضح من سيرة المسلمين الأولين ، فانهم ما كانوا يتهافون على الزيارة كما كانوا يتهافون على الطاعات واتباع الرسول الكريم والسير على آثاره والتهجج منهجه في أعمال البر والخير . بل الذي جاء عنهم النهي من الحرص على زيارة القبر الشريف كما سبق في حديث علي بن الحسين وحديث الحسن بن الحسن . ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها كما قال الامام مالك

هذا اذا فرضنا الزائر من أهل المدينة المنورة

وأما ان كان من أهل الاقطار الأخرى النائية فهذا لا تشرع له الزيارة التي تكون بسفر مقصود كما سوف يجيء في الموضع الخاص به من الكتاب . فشاهدة القبر المطهر لا فضل فيها على الحالين والاقتراضين

وأما المقدمة الثانية وهي السجود عند القبر فنقول : ان ذلك لا يجوز ولا يشرع مطلقاً بل هذا من أعظم الذرائع والوسائل الى عبادة الرسول الكريم والغلو فيه وفي الأموات . وما فعل هذا أحد من علماء الاسلام الحق أو رضىه أو دعا اليه أو أباحه ، وقد جاءت الاحاديث الصحاح ناهية عن ذلك أشد النهي بأساليب مختلفة وطرق مختلفة وعبارات مختلفة فجاء في الصحيح (لمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وجاء فيه أيضاً (ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن

ذلك) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة الغنوي أن النبي عليه السلام قال « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » ، وروى الامام أحمد وغيره أنه عليه السلام قال « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخفون القبور مساجد » وقال « لا تجعلوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حينما كنتم » رواه أبو داود ، وقال : « اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » رواه الامام مالك في الموطأ

والأحاديث في هذا الباب بالغة مبلغ التواتر المعنوي وستأتي في الباب الخاص بها ان شاء الله

وقد تقدم أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن اتباع آثار الرسول الكريم خوفاً للفتنة والعلو . وتقدم أنه لما رأى الناس يذهبون الى المسجد الذي صلى فيه الرسول عليه السلام ليصلوا فيه أنكر ذلك ونهى عنه . وقال ان مثل هذا هو الذي أهلك الأمم السابقة . وأنه أمر بقطع الشجرة التي يبيع تحتها الرسول ﷺ لما رأى أناساً يقصدون الصلاة عندها

وتقدم أن علي بن الحسين زين العابدين وأن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أنكرا على الرجل الذي كان يدعو عند القبر ونهياه وأخبراه أن الرسول ﷺ نهى عن ذلك ومنعه

فإذا ما كان الصحابة ، الخلفاء وآل البيت ، وكان الأئمة كمالك وغيره ينهون عن الدعاء وقصد الدعاء عند القبر الشريف . فكيف تكون حال الصلاة عند القبر بل كيف تكون حال السجود الذي يسميه هذا الرجل سجود شكر لله ؟ ان الفرق بين الأمرين عظيم جداً . وليس من ريب أن السجود مفرداً في هذا المقام أشد خطراً على العقيدة وأكثر إيهاماً من الصلاة التامة ذات الركوع والسجود والقيام

واقعود فان السجود المفرد عند القبر يشعر إشعاراً قويا يكاد يكون صريحا أن السجود لصاحب القبر . وبعبء جداً أن يفهم أحد أن ذلك السجود سجود شكر لله على أن وفق للزيارة

وروى الامام أحمد وابن ماجه أن رجلا قال لارسل الله إلي نذرت الله نذراً في مكان كذا فقال الرسول له : أ كان بهذا المكان الذي نذرت الله فيه وثن أو طاهية ؟ فقال الرجل لا . فقال له الرسول (أوف بنذك) . ومعنى هذا أنه لو كان في ذلك المكان الذي نذر أن يذبح لله فيه وثن أو طاهية كان يعبده أهل الجاهلية لما جاز أن يذبح لله فيه ولا أن يعبد الله فيه ، وإن كان العابد والذابح لا يقصد شيئاً مما كان يقصده أهل الجاهلية . وإن كان لا يقصد إلا وجه الله . ولا يجب أن مثل الذبيح الصلاة والركوع والسجود ونظائر ذلك . ولماذا هذا ؟ ؟ ؟ لاريب أن ذلك نأى عن مواقع الشبهات ووسائل الضلالة ، ومشابهة المشركين الناذرين لغير الله الذابحين للأصنام والأوثان . وإذا كان ذلك كذلك فلاريب أن السجود عند القبر الشريف فيه هذا المحذور بشكل أعظم وأكبر ، لأن الرسول الكريم ﷺ يخشى من الغلو فيه ومن عبادته أكثر مما يخشى ذلك في غيره لما له من المقام العظيم في نفوس المؤمنين ، ولما له من المكانة العظيمة عند الله ، ومن كان بهذه المنزلة كان ولا شك الغلو فيه ذريعة الى إعطائه أكثر من حقه . وقد عبدت الأنبياء وعبد الصالحون ، وعبد النصارى عيسى وعبد الشيعة علياً كما تقدم ، وعبد قوم نوح عليه السلام ودأ وسواماً وينوث ويعوق ونسراً - كما في القرآن - وم رجال صالحون كما روى ذلك البخارى عن عبد الله بن عباس ، وغيره عن غيره . ولقد جاء في الشرع أبلغ من هذا كله في محاربة مواطن الفتن وإفساد العقيدة ومعاكاة المشركين والكافرين ، وصحت الأحاديث من طرق كثيرة في كتب الصحاح أن الرسول الكريم نهي عن الصلاة لله وقت طلوع الشمس ووقت غروبها

ووقت زوالها ، وذلك خوف أن يثب إلى الأذهان أن الصلاة في هذه الأوقات
لشمس لا لله ، لأن المشركين كانوا أو كان طوائف منهم يسجدون للشمس في
هذه الأوقات : وقت طلوعها تحية لها وسروراً بها ، ووقت غروبها توديعاً لها
وتودداً إليها تعود طالمة . وهكذا دواليك ، وليس من ريب عند المسلمين أن
خوف الفتنة في الرسول الكريم وفي الصالحين والأشياخ المعظمين أعظم وأظهر منه
في الشمس والقمر وسائر الأفلاك . فان غلوم في الرسول وفي الأولياء مخوف ،
بل وواقع أكثر منه في الشمس ، بل لا مناسبة بين الأمرين مطلقاً . والذي وقع
وحق أنهم غلوا في الرسول وفي الأولياء ، ولكنهم لم يغلوا في الشمس ولا في
غيرها من الأجرام العلوية . ولا ريب أنه يجب أن يعطى الشيء من التقدير بقدر
ماله من التأثير ، وإلا كان الحكم جوراً لا عدلاً والعدل مطلوب في جميع الحالات
وفي كل الأشياء . وقد جاء عن السلف من المبالغة في هذا الشيء الكثير ، حتى
أنهم تركوا بعض السنن خوفاً أن تكون وسيلة وذريعة إلى باطل ، وهو أن يظن
الجهال أن هذه السنن واجبات وفرائض . فكيف إذا كان الشيء يخشى أن يكون
ذريعة إلى عبادة الخلق وإعطائه حق الله ؟ ! ان الفرق واسع بين . وقد سلف
ما قلناه في ذلك من كتاب الشاطبي الاعتصام عن السلف الصالحين . فانظر أيديكم
الله فهم القوم روح الدين وتخوفهم من الباطل وفرارهم من الخطأ غايات ووسائل
ولو ذهبنا نعد الدلائل على أن السجدة عند القبر الشريف من أكبر الضلال
وأعظم مكاييد الشيطان لطال بنا القول ولخرج بنا من المقصود . ولكن هذا الرجل
لو طلب منه دليل واحد على جواز السجود عند القبر النبوي سواء أكان هذا
السجود جائزاً أم ممنوعاً لما استطاع إليه سبيلاً ، بل ولما وجد عالماً من علماء الاسلام
المشهورين يوافقه عليه . وقول هذا حاله لا يعاب به ، ويا ويح طائفة الشيعة ١١١ كم
لحق الاسلام والمسلمون من مبتدعاتهم واختراعاتهم وغلوم في عباد الله وانتقاصهم

حق الله . فأولوم عبدوا عليا وألموه ، ثم ظلوا يشيدون المشاهد ويزخرفون القبور
ويعظمونها شتى التعظيم بالآقوال وبالأعمال وبكل ما استطاعوا ، وما اقتصروا على
ذلك ، بل غلوا وغلوا حتى ادعوا العصمة في أنفهم ، وادعوا أنهم لا يخطئون ولا
يقولون إلا الحق لا عدأ ولا سهواً ، وحتى ادعوا أن من لم يدع فيهم العصمة ومن
لم يقدمهم على كل الناس فليس له إيمان ولا إسلام ، وهما هم بقاياهم يدعون الى
الاستغانة بالأموات وطلبهم ما لا يقدر عليه إلا الله ، ويدعون الى السجود عند
القبور وفوقها مضالين على الناس مرادهم ، مدعين بأن ذلك سجدود شكر لله أو
مدعين أن في ذلك مجازاً أو تأويلاً . هذه وثنية ولكنها وثنية مخادعة مغررة غير
صریحة ولا صادقة . بل هي وثنية منافقة مضللة . والله بقصدهم محيط . فالسجود
لأجل الوصول الى القبر كما يدعون ، ثم هو عند القبر وقبلاته . فما بقي بعد هذا ؟؟؟
انهم يحشدون في الكلام « شكر الله » دويثة وثنية لا أقل ولا أكثر

(ثالثا)

قوله « وقد يكون ترك القيام للمرء في زمان ومكان إهانة فيحرم وقد لا يكون
إهانة في بلاد أخرى وزمان آخر فلا يحرم »
لا يدري ما معنى هذا ولا ما موضعه إن كان يريد أن الشرع جاء مفصلاً
هذا التفصيل ، أي قائلاً إذا كان ترك القيام للمرء إهانة فواجب عليكم أن تقوموا
وإلا أنتم لأن إهانة الناس جريمة . وإذا كان ترك القيام لا يعد إهانة فليس واجباً
عليكم القيام ، بل جائز أو مندوب أو مكروه أو حرام ، إن كان يريد أن الشرع
جاء بهذا التفصيل فهذا القول غلط فاضح واضح لا دليل عليه سوى الدعوى
والتحكم . وأما إن كان يريد أن الشرع جاء بتحريم القيام تعظيماً للناس ، ولكن
مع هذا إذا ما كان أناس في زمن من الأزمان يعدون ترك القيام لهم إهانة وجب

القيام للناس ، ولذلك الانسان الذي يمد ترك القيام اهانة له تخصيصاً لما جاء في الشرع وتغييراً لما حكم به تبعاً لاختلاف العادات والأزمان والبلاد والأحوال والأشخاص ، فهو أيضاً غلط واضح ، فان شرع الله لا يغير ولا يخالف بمثل هذا ولو فتح هذا الباب لفسد الدين جملة . فقد يرى المتكبرون أن من الاهانة لهم أن يدعوا خدمهم ومن تحت سلطانهم فلا يلبوا نداءهم ولا يسادروا الى المشول بين أيديهم ، حتى ولو كانوا وقوفاً بين يدي رب العالمين ، يؤدون الواجبات الدينية فهل يقال انه واجب على الخدم في هذه الحالة وهذا الموقف أن يخرجوا من صلاتهم ويقطعوا عباداتهم ليقوموا برغبات أولئك المحدثين المتكبرين لئلا تلحقهم إهانة أو يستشعروا أن خدمهم أهانهم ؟؟؟ الذي يقضى به كلام هذا الرجل إذا كان مراده ما ذكرنا أن يكون جوابه على هذا السؤال « نعم » ، وقد يرى كثيرون من البغاة الطغاة أن من الاهانة الكبرى لهم أن يسمع المجالس لهم النداء الى الصلاة فيقوم ويتركهم ليؤدى صلاته وليقوم بواجبه الديني فهل يحرم القيام للصلاة في هذه الحالة لئلا يشعر هؤلاء بالاهانة ؟؟ وقد يرى كثيرون من المتسمين بالعلم والمعرفة أن مطالبتهم بالدليل على ما يقولون اهانة لهم ، وأن معارضتهم بالدلائل إهانة أيضاً ، فهل يتقبل قولهم على علته وتفتي آثارهم ويترك جدالهم بالبرهان لئلا تلحقهم إهانة ؟ وكثيرون يرون أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر إهانة لهم . فهل يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوف إهانة الناس ؟ هذا ما لا يكون

وأما إن كان يريد أن الشرع جاء مبيحاً القيام للناس إباحة مطلقة في كل الحالات . ولكن قد يجب ذلك لمن يعدون تركه إهانة لهم وجرحاً في عزتهم او كبريائهم فهو أيضاً غلط فاضح واضح ، ولا يوجد مثل هذا التفصيل في دين الاسلام المسوى بين الناس ، الموعد المتكبرين ذوى الفطسة والعنجهية بالعذاب الأليم الأشد . ومحال أن يقال ان القيام مباح في الاسلام لكل الناس ، وجائز

(١٨٤)

لكل قادم . ولكنه واجب لمن يعدون تركه اهانة لهم ، فان في هذا الاعتراف بالفرقة بين الناس ، وجعلهم طبقات أشرافا وأطرافا وصغاراً وكباراً . وفي هذا الدعاية للكبرياء والتعظيم . وأى نفس لا تحب من الناس تعظيمها وإكبارها بالقيام وبغير القيام وبكل ما يشعر بالاحترام والتعظيم وهذا هو الفوضى بعينها إذ أن الله لا معنى لقوله هنا . وقد قدمنا في الأمر الذي قبل هذا أن أصحاب رسول الله عليه السلام ما كانوا يقومون له لما يعلمون من كراهيته القيام ، وتقدم أنه نهاهم عنه وقال : ان ذلك فعل فارس والروم ، فلا تفعلوا

(رابعا)

أما قوله « فهب أنه كان منهيًا عن البناء على القبور ورفع القباب فوقها ولكن لا يجوز هدم ذلك لأن هدمه صار يعد إهانة إلى آخره » فقول يدعو للاسف والرتاء . فانه يقال لقائله : إما أن تريد أن ذلك أصبح يعد إهانة عند من يعتقد أن الاسلام نهى عنه ، ومن يعتقد أن الانبياء والعلماء نهوا عنه ؟ وإما أن تريد أنه إهانة عند من لم يعلم النهى عنه ، أو تريد أنه اهانة عند الفريقين ؟ أما الاول فليس بصحيح ، وكذا الثانى . فان الذين يعرفون أن الاسلام نهى عن هذا البناء وأمر بهدمه لا يمكن أن يعدوا القيام بالشرع والعمل بما جاء عن الرسول الكريم اهانة لا للرسول الكريم ولا للاولياء المتقين الذين لا يتعشقون مثل أنت يروا الشرع قائما معمولاً به . هذا محال . بل إنهم يعلمون أن ترك الشرع وإهمال العمل بأقوال الشارح وأقوال العلماء الأعلام هو الاهانة الكبرى البينة ، وهذا لا ينزع فيه من يعرف ما يقال ، ونحن لانستطيع ولا عاقل والله يستطيع أن يدعى أن انقاذ قول الرسول في هدم القباب يعد اهانة للرسول ! نعوذ بالله !! هذا من أعظم القدح في الرسول وفي العلماء وفي المسلمين عموما

وأما إن أراد أن ذلك معدود اهانة عند من لم يعرف الشرع ولا حكم الله في هذه المسألة . فالجاهل يُعلم ويعترف ، ولا يجارى على جهله وضلاله . فان في هذا الاعتراف عملياً بالجهالات والضلالات ، والاسلام إنما جاء بالتعليم لتعليم الجاهلين ، لا الاعتراف لهم بالحالة الراهنة الجاهلة ، وإلا لما كان هنالك حاجة الى الرسالة والرسول والكتب

وقد كان الاسلام يحمله معدوداً عند الجاهلين اهانة للاولياء والاصنام وللآباء والأجداد والاشياخ . والنصارى يعدون ما جاء به الاسلام من التوحيد وتقديس الله اهانة لميسى وأمه وللحبار والرهبان والقسيسين والآلهة الآخرين ، وما ترك الاسلام ولا الرسول الكريم الشرائع والتعاليم مجارة للجاهلين واعترافاً بالجهالات والضلالات مخافة أن يهينوا أحداً أو يؤذوا أحداً هذا محال وواضح في وقت واحد . فإقوله هذا الرجل بعيد جداً عن المعرفة بعيد عن المنطق الصحيح السليم بعيد عما يجب أن يكتب ويذاع ، وأيضاً لا ريب أن كل طائفة منحرفة تقول في أشياخها ومن تعتقد لهم الكرامة والتبريز غلوّاً ترى من الاهانة معه لهم أن يحملوا على الشرع وأن يؤخذوا به وبآدابه . فالرافضة ترى أن من الاهانة الكبرى لعلى وبقية أئمتهم المعصومين أن يقال انهم غير معصومين أو أن يقال انهم يخطئون ويصيبون كبقية الناس ، وترى أيضاً أن من الاهانة تقديم أبى بكر وعمر وعثمان على على وذريته فهل تجارى الرافضة على هذا الاتم والمدوان أم تعلم وتدل على الطريق القويم ؟

الجواب معروف واضح

وكذلك الجاهل الذين يفعلون في مشايخهم ويرونهم لا يخطئون ولا يغلطون ولا يجادلون ولا يعترض عليهم ، ولو فسقوا وكفروا وجعلوا وخرجوا على الحشمة والآداب ، ولو تركوا الصلوات وفرائض الاسلام . فهل يجارى هؤلاء على هذا الجهل أم يعرفون ويعلمون ويردعون ؟ ان الجواب واضح معلوم

بل ان كثيرين من الغلاة الجبال يرون من الاهانة المظنى للرسول الكريم القول بأنه لا يعلم الغيب ولا يقدر على اجابة طلبات الطالبين . فهل يجارى هؤلاء الجبال ويتركون وجههم أم ينهون ويعلمون ؟ الجواب واضح معلوم على أننا نعارض هذا القول ونقول إننا نعرف بالضرورة أن من أعظم الاهانة للرسول أن ندع قوله والعمل به بعدا عن وهم اهانتته وخوفا من الاساءة للزعومة فإن فى هذا الاعتراف ضمنا بأنه عليه السلام يكره العمل بما جاء به فى هذه المسألة وأنه يجب أن يغلب فيه أكثر من المشروع والمطلوب الذى أتى به عن الله . ومن ظن فيه هذا الظن فقد قدح فيه أشنع القدح . بل اننا نعرف بالضرورة أن فى ترك العمل بما قاله اهانة له مقصودة أو غير مقصودة ، والاحترام والاكرام له ولغيره فى إفاذ قوله والعمل بما جاء به وما قاله من الحق وأهدى ، وهو لا يقول غير الحق والممدى

ولو أن رجلا معظما كملك أراد تعظيم مرء فطلب منه برغبة والخاص وتوكيد شديد أن يجلس بجانبه . فأبى ذلك المرء الجالس بدعوى التأدب والاحترام للملك وخوف الاهانة له اسكان ذلك المرء غالطا جديرا باللامة والاهانة ، ولو قبل قول الملك وقبل كرامته فجلس بجانبه لما عد أحد ذلك اهانة للملك البتة . هذا على أن بين المثاليين خرقا عظيما يعلمه من يعلم مقام الرسول الكريم عليه السلام وبالأجبال الدول بتمتضى ما قال هذا الرافضى مفسد للدين وللدنيا والمعقولات وهنا نذكر أن هذا الرجل يخطئ بين القبر وبناء القباب والمساجد عليه ، وفرق بين الأمرين . فالقبر لا يصبح هدمه إتانا ولا يقول بهذا أحد من المسلمين وإنما تهدم القباب والمساجد المشيدة فوق القبور لا القبور نفسها . فليفتن لهذا هذا ما تصلح مناقشته مما كتب هنا والباقي حشو وغشاء لا يتعلق بموضوعنا منه .

شئ ، وسوف يجيء بيان أكثر من هذا

الامر الحادى عشر

قال الرافضى « قد يتعارض محرم وواجب فيقدم الالام ، وذلك كلس جسم المرأة الاجنبية فانه محرم ولكن اذا توقف على ذلك انقاذها وعلاجها وجب أو جاز . وكالمنظر الى العورة ، فانه حرام وبياح للطبيب ، وعلى هذا كان واجبا على الوهابيين ألا يتعرضوا لهدم القبور فان هدمها يسوء ثلاثمائة وخمسين مايون مسلم ومراعاة هؤلاء أهم في نظر الشارع من البناء على القبور . وهدم القبور لو كان ذلك مشروعا مطلوباً فان في هدمها شق عصا المسلمين وتفريق كلتهم . أفلا أبقوا عليها كما أبقوا على القبر النبوي وهو عندهم محرم ولسكن تركوه دفعاً لأعظم المفسدين ومراعاة لأهم المصلحتين » انتهى كلام الرافضى . قلت :

(أولا)

كلامه هنا مفروض فيه أن هدم القبور واجب والبناء عليها غير جائز . ولكن يترك ذلك لأن فعله يقابل مفسدة كبرى وهي اغصاب المسلمين وتفريق كلتهم . فيترك هذا الواجب حذار هذا المحرم . فاذا كان ذلك كذلك قيل له أنت تدلى بهذا الكلام وهذه النصيحة بعد أن انتهى الأمر وقضى ، وهدمت القبور التي تحذر من هدمها الفتنة والفرقة كما تزعم . فلماذا هذا الكلام وهذه النصيحة اليوم ، ولماذا هذا النزاع وقد حم الأمر وهدم ما وجب هدمه وكان ما كان ؟ انه لا فائدة في كلامك هنا اليوم البتة لأنه لو فرض أن الحق فيما تقول وفرض أنه كان من الحق أن تترك القبور كما هي مشيدة مرفوعة حتى ولو كان واجبا هدم ما فوقها من القبر مراعاة لشعور المسلمين حسب قوله . ولكن هذا الكلام على هذا النحو إنما ينفع قبل وقوع الأمر حينما كان مستقبلا يمكن امثاله . أما بعد انتهائه واستبداره فلا فائدة في الكلام اليوم غير تأريث المداوة التي يخافها وإحداث الفرقة التي يتقيا ، وغير زيادة الفتنة

والمداوة عداوات ، هذا لا ريب فيه . بل كان الواجب عليه اذا كان كما يفرض
وكما يقول أن يجهر وقد انتهى الأمر وحس المقذور بأن النجديين لم يفعلوا إلا واجبا
ولم يزيلوا سوى ماوجب زواله ، وذلك لتسكين الفتنة التي يذكرونها وتثبيط الفرقة
التي يخوف بها ويخاف منها والتي يرضى ترك الواجب حذارها ، لا أن يذهب يتنادى
بأن النجديين هدموا القبور وآذوا المسلمين والصالحين وآذوا الرسول الكريم ،
وأمثال هذه الكلمات التي لا يراد بها غير أحداث البغضاء ، وإحراج الصدور ،
وتقايم الفتن . .

وأیضا أنت أيها القائل اذا ما كان قولك حقا وكنت صادقا فيه حريصا على
جمع كلمة المسلمين حريصا على تمام المودة ما بينهم أفلا كان الواجب عليك حينئذ ألا
تهاجم أهل السنة بهذا الكلام الفاسد الباطل المثير لو فرض أنه صحيح وألا تكتب
ما كتبت في هذا الكتاب وألا تتعرض لأهل السنة من أهل نجد ولدولتهم القائمة
في ملجأ الدين وفي الحرمين الشريفين بالشريعة الإسلامية الفراء وبالقسط والعدل
حذار الفوضى والتقاطع بين أهل الاسلام . أفما تخاف اذا ما كنت صادقا في
النصيحة من أن يحدث كلامك حربا أو حقدًا أو عداوة ؟ فهلا نصحت نفسك
قبل أن تنصح أهل السنة القائمين بالشرع النبوي ، أفلا تتلو الكتاب الكريم :
« أتأمرون الناس باله . . » الآية

وأیضا إذا ما كان هذا الشيعي محقا فيما قال حريصا حقا على لم شعث المسلمين
صادقا في هذه النصيحة ، فلماذا لا ينصح بنى دينه وجلدته الرافضة وبنهاهم وينودهم
عن سب سادات المهاجرين والأنصار وخيار محابة الرسول الكريم وخيار المسلمين
من أهل السنة في كل زمان ومكان ؟ . فان طائفته الرافضة تجاهر كما قدمنا بتكفير
كبار الصحابة وأمّهات المؤمنين أزواج النبی الكريم ورميهم ورميهم بكبر الكبريات
التي لا يستطيع الكثيرون من عقلاء الكفار حكايتها فضلا عن اختراعها والایمان بها ؟

بل أفلا ينصح نفسه هر فيزجرها بالابهاجم الصحابة وأمّهات المؤمنين وأئمة المسلمين
بالا كفار والمقادح الظالمة الأئمة ؟ أعدل أن ينصح من يهدمون القباب المشيدة
فوق القبور امتثالاً لأقوال الرسول ﷺ ولسنته وسنة أصحابه ومن تبعم بالاحسان
والايمان ، ولا تسدى هذه النصيحة الى من يكفرون الخلفاء الراشدين المهديين ،
ومن يكفرون زوجات النبي ﷺ في الدنيا والأخرى ، ومن يكفرون أفضل
البشر بعد الأنبياء لدى المسلمين أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحنصة وطلحة
والزبير وعمر بن العاص وخالد بن الوليد ؟ أمن الحق أن يكون هدم القبور يسوء
المسلمين ويفرق كلمتهم ويشقت شملهم ثم لا يكون شيء من ذلك ، في ! كفار أبي بكر
وعمر وعثمان وكبار المهاجرين والأنصار ؟ أمن الحق أن ينصح من هدموا القباب
المزخرفة عبثاً وجهلاً وغلوا ، فيقال لهم لا تفرقوا كلمة أهل الاسلام ولا تؤذوا المسلمين
ولا يقال لمن كفّر أئمة الاسلام وأنصار الرسول وجنود الله لا تؤذوا الله ورسوله
والمسلمين ولا تفرقوا كلمة المؤمنين

فأعجب أيها الانسان ممن يقول ان أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير كفار
أو فسقة ظلمة إذا ما راح ينصح من يهدم الأبنية المقامة عبثاً على القبور عصياناً لله
ولرسوله ولصحابته ولأئمة المسلمين قائلين ان في هذا اساءة الى المسلمين . فأعجب ثم
اعجب ثم اسأل الله السلامة ، سلامة الدين والعقيدة والضمير

(ثانياً)

لنسلم أن في هدم القباب المشيدة شيئاً من خوف الفتنة ، وشيئاً من إيلاام بعض
النفوس . ولكننا نقول مع ذلك ان هدم القباب أوجح وأولى من إبقائها بدلائل
كثيرة . (أولها) أن المحذور في هدمها الذي ذكره هذا الرجل هو خوف الفتنة
والمداوة ما بين المسلمين ، هذا هو الذي يخشى ويرعى جانبه . ولكن هذا المحذور

غير صحيح وغير واجب الرعاية . بل ولا كان مشكوكا فيه عند المتأملين ، والشاهد على ذلك الواقع نفسه . فان القباب هدمت كما يدعى هو وقضي الأمر وعمل بالسنة الآمرة بهدمها وقض النزاع ، ومع هذا لم يحصل المخذور الذي خشيه الرافضى وعده مانعا من العمل بالسنة مانعا من هدم القباب ، والواقع أكبر دليل . بل المسلمون اليوم راضون عن الحكومة السعودية كل الرضا ، وهم يزدادون مودة لها ورضا عنها كل يوم وكل ساعة ، وما كان هدم القباب مانعا من هذه المودة ومن نعمائها ومن هذا الرضا ومن نموه . بل لقد كان ذلك من أسباب هذه المودة وهذا الرضا ، بل لقد كان هذا من الدلائل القاطعة على أن الحكومة السعودية هي الحكومة الشرعية السلفية حقا ، والواقع أفصح شاهد ، والدلائل على رضا المسلمين وانصباب أهوائهم نحوها تنبأ من كل جانب ، فلينظر ذلك من يريد الاعتراف بالحقيقة الخالدة والحق الصراح

واذا ما كان العمل بالواجب يعارضه خوف الوقوع في أحضان المحرم ثم تبين أن هذا المحرم المخشي القائم في وجه العمل بالواجب لا يصح أن يخشى ولا أن يرمى لأنه لن يكون ولن يقع ، كان العمل بالواجب لازما ولا ريب ، وكان الغناء تخوف المحرم فرضا ولا شك . وهذه المسألة التي معنا هي كذلك . فان الواجب وهو هدم القباب المشيدة قد نفذ وانتهى منه ولم يقع شيء من المخدور الذي هو خوف الفتنة والفرقة . فكان الصواب الذي لا صواب في غيره القيام بهذا الواجب والامراع الى انفاذه (ثانيها) أن الذي فرضه هذا الرجل في المسألة أن هدم القباب واجب ، ولكن يعارض هذا الواجب محرم ، وهو الفتنة والتعادي بين أهل الاسلام ، فيتعارض الأمران فيرجح في رأيه الأخير أي خوف الفتنة واتقاؤها على الأول . ونحن نقول اذا كان الأمر كما ذكر كان العمل بالواجب ولا شك أرجح من تركه خيفة الحرام ، وذلك أن في بقاء هذا

المحرم محرمات أخرى . متعددة كالنحو في أحجاب القبور ودعائهم والاستغاثه بهم والرجوع اليهم حين النكبات والحاح الحاجات ، ولتقديم القرابين والنذور والمدايا ، وإيقاد السرج والأنوار فوقها وسائر المحدثات فوق القباب المشيدة وهذه كلها محرمات شرعا وعقلا وذوقا كما سوف يأتى ، وإذا ما كان ذلك كذلك فلا ريب فى أن بقاء القباب وزخرفتها هو الذى يفرى بارتكاب هذه المآثم واجتراح هذه الكبائر المحرمة ، وهو الذى يقول للجاهلين باللسان الصامت والمشاهدة الصامتة اعملوا هذه الأعمال واغفلوا أكثر مما كنتم تفعلون ولا ريب أن قبرا سواه أكان قبر نبى أم قبر ولى لا تكون فوقه هذه الزخارف والمظاهر من القباب والسرج والزينات والبناءات الماثلة لا يمكن أن ينفى فيه مثل ما ينفى فى القبر الذى تكون فوقه هذه الأمور ، والدليل على ذلك أن طائفة الشيعة تغلو فى قبور آل البيت وغير آل البيت من القبورين عندهم فى النجف و كربلاء المزينة قبورهم بالقباب والسرج والزينات غلوأ لا يجعلونه بل ولا بعضه للانبياء وأولى العزم منهم كعميسى وموسى وإبراهيم وغيرهم بل وخاتمهم ﷺ . بل ولعلمهم لا يفكرون فى هؤلاء الانبياء . فلا يستغيثونهم ولا يدعونهم أو يحلفون بهم أو يرجونهم أو يخافونهم ، والسبب فى ذلك هو ما ذكرناه من اغراء القبور بالغلو فى القبور وعبادته ، وما كان اعراضهم عن الانبياء الا لأنهم ليست لهم مشاهد مزخرفة مزينة بالقباب والزينات الباهرة ، ولا ريب أن الانبياء أولى بالغلو إن كان جائزا من آل البيت الامام على وأولاده رضى الله عنهم جميعا فلا شك اذن أن هدم القباب - اذا اقتضى الامر كما يزعم هذا المصنف - أولى من ابقائها حذار حدوث العداوات والخزانات ، لأجل هذه المقاصد الكثيرة التى أشرنا الى بعضها ، والتى تنجم من بناء القباب وبقائها

(ثالثاً)

إذا فرض أن المسلمين كلهم كما يدعى هذا الرجل يساؤون بذلك ويخشون به وقوع خلاف يقبضه قتال يقبضه ضعف الاله للام كما يقول ، إلا أنه يقابل ما ذكره أمر خطير لم يظن له هو ، ذلك أنه يخاطب بكلامه هذا من بأيديهم الحل والعقد والسلطة والسلطان من رجال الحكومة السعودية ، الذين يأمررون وينهون وينفذون ولا شك ، وإذا كان ذلك كذلك وكانت الحكومة السعودية مطالبة بالترجيح بين الأمرين اللذين ذكرهما ، ومطالبة باتقاء أكبرهما ضرراً : هدم القباب المحرمة شرعاً ، واجتتاب ما يحدث العداوة وما يؤذى النفوس المسلمة ، فلا ريب أن بقاء القباب أعظم فساداً وخطراً وفتنة من هدمها ، ذلك أن النجديين الذين هم جند الحكومة وجيشها وعدتها وعتادها في سلمها وحربها لا يرضون أبداً ببقاء القباب ، وهم يطمون ولا يشكون أن إبقاءها خلاف الشريعة التي يتفانون في تطبيق أحكامها على أعمالهم ، ولا يرضون أبداً بتركها قائمة يطوف بها الطائفون ويلثمها اللاثمون ويمسحها الماسحون ويدعوها الداعون ويحتجرون فوقها جميع الآثام والأعمال المزدرة وهم يعلمون أيضاً أن هذا حرام كله بلا نزاع ، ويعلمون أنهم ما فتئوا الحجاز وغيره إلا لاقامة الشرع والعدل والسنة ومحاربة البدعة والدجل والخرافة ، وهم لا يشعرون شيئاً مثل عشقهم بمسئلة السنة النبوية وإبرازها كما كانت وكما يريد الرسول الكريم والصحابة والعلماء : أنهم إن يرضوا عن ذلك البتة ولن يقبلوا من حكومتهم سوى تفويض هذه المنكرات والمخالفات . هذا لا ريب فيه ، وإذا كان كذلك فهل من الحكمة والعقل والشرع أن تعتمد الحكومة إهمال الشريعة والعمل بالسنة النبوية ، ثم افضاب شعبها واحراج صدره بإبقاء البدع التي لا يشكون فيها لنيل رضا الشيعة ، وإثلا تُغضب الشيعة وتغضب الجاهلين بالشرع وقواطع

الاسلام ، ولئلا تنمو العداوة في هذه الصدور الجاهلة ؟ هذا الرجل يريد هذا ، ولكن العقلاء جميعاً يعرفون أنه عين الجهالة والغباء والسفاهة

ولن ترضى الشيعة عن الحكومة السعودية ، ولا عن غيرها من الحكومات الاسلامية ما دامت تعرف لله حقه وللخلق حقه ، فلا تخلط بين الحقين ، ولا تهيب هذا حق هذا . وما دامت تغضب لسادات المسلمين ، ولامهات المؤمنين ، وللخلفاء الراشدين . وما دامت تقتنى آثارهم قولاً وعملاً وعقيدة . فللما نزع من رضا الشيعة قائم عند أهل السنة دائماً . وإذا كانت الشيعة لم يرضها أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا عليّ نفسه ولا أمهات المؤمنين رضى الله عنهم ، فعيب لعمر الله أن نحاول نحن إرضاءها أو نأمل رضاها . ومحال أن نظفر بذلك حتى تغضب الله ونجانب سبيل الأولين وسبيل الخلفاء الراشدين . ولن نجانب ذلك أبداً إلا أن يشاء الله أن نضل ونفوى . ولكننا نسأله الهداية والثبات عليها ، ونعوذ به من الفوابة وأسبابها

(رابعا)

أن فيما قاله هنا تركا لأوامر الشرع وإبقاء على المحرمات لأسباب باطلة ، وخيالات متوهمة لما يأت دليل من الشرع ولا من العقل يدل على أنه يجب ترك الآوامر الشرعية لأجلها ، ويجب إبقاء المحرمات خوفاً منها . وما كان كذلك فلن يعبأ به ، ولو بالى المسلمون بأمثال هذه العلل والأوهام لما اعدوا من يذكر لهم عللاً وأوهاماً مثل هذه وأحسن وأجود يتوسل بها الى إهمال الشريعة جملة وتفصيلاً وإلغاء أحكام القرآن والسنة المتواترة . مثل أن يقول الجاهلون لو عمل المسلمون بشرعهم وحدوده ومعاملاته وعقوباته وتسويته بين الطبقات الأشرف والأطراف لحدث كيت وكيت من المفساد والأخطار والفتن الموبقة . وبأمثال هذا تهمل

الشريعة جملة وتفصيلا . وهذه آخرة الشيعة وهدنها الأقصى . ولكنتا معاشر المسلمين نقول أيننا « وان أرادوا فتنة أيننا »

(خامسا)

زعمه أن هدم القباب يسوء ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم - أى يسوء المسلمين قريبا - زعم بعيد عن الحقيقة كل البعد . وما يسوء سوى الشيعة ، وسوى الجهال بالشرعية من العوام . وأما العالمون من المسلمين على اختلاف مذاهبهم والناس لهم تبع فانهم لم يساموا بذلك ولم يذموه . بل أنهم استبشروا به وفرحوا ، وحمدوا الحكومة السعودية وشكروها على إقامة السنة وإحيائها بإزالة القباب والبنائات التي حملت على الشريعة وعلى القبور حملا ، وذلك لأنهم يعلمون أن الاسلام يأبى بصرامة البناء على الأضرحة ويأبى رفع القباب فوقها . وهذا موجود فى كل كتاب من كتب الحديث والفقه قريبا بأسانيد متواترة تواترأ مضويا . ويعلمون أن المذاهب الاربعية تأبى ذلك بصرامة وشدة ، وتأمر بهدم ما يكون من ذلك . وهذا موجود فى جميع المذاهب الاربعية وفى كتبها . وقد ذكر ذلك الامام الشافعى فى كتابه (الأم) أعظم كتب الفقه . وسوف يحىء الكلام فى هذا الموضوع . وهى مشيخة الأزهر أ كبر معهد دينى اسلامى قد ألفت لجنة من علماء الأزهر مختلفة المذاهب لتؤلف كتابا فى محاربة البدع ، ومن جملة ما عدته من البدع البناء على القبور وتشيدها واسراجها وتعليق التعاليق فوقها

ومن الدلائل على أن هذا الشيعى غير صادق فيما قال أن المسلمين أجمعوا أو كادوا يجمعون بالجملة على الرضا عن حكومة الحجاز وعلى أنها هى الحكومة السلفية القائمة بالشرعية كما كانت منقاة من البدع والضلال . وهذا قد أصبح واضحا ملموسا فى كل صحيفة عربية قريبا ، فان الاعتراف لهذه الحكومة بهذه الفضيلة

يكاد يقرأ في جميع الصحف الاسلامية على اختلاف منازعها ، وأنت واجد ذلك كثيراً واضحاً في أيام الحج وفي الأيام التي تلي الحج بعد أن يرى الناس بأبصارهم هذه الحقيقة الخالدة والفضيلة المميزة ، وقد كتب الناس كثيراً بعد دخول الحكومة السعودية الحجاز وأيدوها في مسألة هدم القباب وغيرها من المسائل التي ينكرها الرافضة بل وأشادوا بدمسها والثناء عليها ، والشواهد على هذا كثيرة عديدة وهل يستطيع هذا الرافضي أن يدلنا على رجل واحد من رجالات الاسلام أهل السنة الذين لهم قدم راسخة في الدين والعلم والايمان أنكر هدم القباب ، ورفع صوته ساخطاً على حكومة الحجاز أن فعلت ذلك ؟ أحسبه يعلم أن ذلك غير مستطاع

وهذا الأزهر أكبر معهد اسلامي وأجمعه وأشهره هل سخط أهله ذلك أو أنكروه أو احتجوا عليه ، اذا كانوا يرونه مخالفاً للاسلام والدين كما يدعى هذا الرجل ، فانه لم ينكر ذلك من علماء الأزهر سوى بعض المغمورين الذين ليست لهم قدم راسخة في العلم وهؤلاء معلومون بالخنوع للاهواء والأغراض التي كانوا يخدمونها في ذلك الوقت . أما اليوم فكلمة الأزهر المسموعة التي لا تتنازع الموافقة التامة للحكومة السعودية في هذه البباحث ، والرضا عنها ، والاعتراف لها بأنها المحيية لسنة ولسيرة السلف الصالح . وما يقال في الأزهر يقال في غيره من المعاهد الاسلامية

فالمسلمون لم يساءوا من هدم القباب ، ولم يفضوا لذلك على وجه الاجمال ، وإنما كان هذا من بعض الجاهلين بالدين الجاهلين بأسراره . ثم ان هؤلاء المنكرين الجاهلين أخذوا يرجعون عن ذلك ، وأخذوا يعترفون بالحقيقة الواضحة الخالدة

(سادسا)

هب أن المسلمين كافة أنكروا ذلك وفضبوا له ، وأنت فرضت هنا أن هدم
القياب واجب وكلامنا هنا على هذا الافتراض ، أفلا يكون المسلمون حينئذ غالطين
في الانكار والفضب والاستياء ؟

لا شك أنهم حينئذ غالطون ، لأنهم أنكروا القيام بالواجب وسيثوا به ، فهم
غالطون وجاهلون مما بلاريب ، وإذا ما كانوا غالطين جاهلين أفلا يجب تعليمهم
وارشادهم ؟ ثم ألا يجب علينا القيام بالسنة والشرع غير حافلين بانكارهم واستيائهم
مما كانوا فيه غالطين ؟

لاريب أن المسلم يجب أن ينصر الاسلام وأن يقوم به ، وإن غضب الناس ،
وأن طالب الحق يجب أن يجهر به وأن ينصره قبله الناس أم ردهه ، علموه أم جهلوه
والاجماع نفسه ما قال القائلون به إلا لأنهم يعلمون أنه لا بد أن يكون له دليل
شرعى من الكتاب أو السنة وإن لم يطلعوا عليه ، ولولا افتراض هذا الدليل الشرعى
لما كان الاجماع حجة ولا مقبولا ، والشبهة نفسها لا تمتد بالاجماع إلا لأنها تدعى
المصوم ، فهى فى نفس الامر تخالف الاجماع وتكره

فإذا ما أبى المسلمون قبول الحق وأنكروه لم يوافقوا على ذلك بل وجب
تعليمهم وارشادهم ، ولكن المسلمين لن يفضبوا من الحق ولن ينكروه مجمعين فان
المسلمين لا يجمعون على جهل الحق . وكلام هذا الرافضى من أسوأ المقادح فى
المسلمين والزراية بهم لأنه يجعلهم يفضبون ممن قام بالاسلام ونصر السنة وأحيائها
بمد اندثارها . وقد برأ الله المسلمين مما رماهم به فانه وإن وجد من الكثيرين
الانكار لبعض الحق والاستياء منه ، وهذا مالا بد منه ، فانهم لن يجمعوا على ذلك
ولن تنفق كلمتهم عليه . والحق لا بد أن يوجد بينهم بالجملة
وأما الكلام على القبر النبوى الشريف فنرجى القول فيه الى الأبواب الآتية :

الامر الثاني عشر

قال الرافضي « تكفير المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين ، وإحلال دمه وماله وعرضه عظيم لا يجوز الاقدام عليه استناداً الى نظريات واجتهادات يكثر فيها الخطأ ، وإلى أخبار فظنية قابلة للتكذيب وللتأويل مثل الاجتهادات والأخبار التي يستند عليها الوهابيون في تكفير المسلمين ولا يكفر المسلم إلا بشيء قطعي . وكانت سيرة النبي ﷺ والصحابة والتابعين وتابعي التابعين معاملة الناس على الاكتفاء باظهار الشهادتين والتزام أحكام الاسلام . روى البخاري أنه عليه السلام قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا حرمت علينا دماؤهم وأموالهم » وقال عليه السلام : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله » . وقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . فإذا فعلوا ذلك عصموا دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله » .

« فيستفاد من هذه الأخبار أنه بعد إظهار الشهادتين يبنى على الاسلام ما لم يعلم شيء ينافيه ، ولا يلزم التفتيش والتجسس . ولنا نقول ان المقر بالشهادتين الذي يصلي ويؤتي الزكاة لا يمكن الحكم بكفره مع ذلك لجواز أن يحكم بكفره مع ذلك كالحوارج والمجسمة ومنكر الضرورى . ولكننا نقول الاقرار بالشهادتين والتزام أحكام الاسلام كاف للحكم بالاسلام حتى يثبت ما ينافيه باليقين لا بالاجتهادات الفظنية والأخبار الفظنية وحتى ينتفى التأويل . وما كثر به الوهابيون المسلمين لم تجتمع فيه هذه الشروط » انتهى كلامه . قلت :

(أولا)

يا ليت الشيعة صدقوا ما قاله هذا الشيعي ، فلم يكفروا المقر بالشهادتين ، المتبع طريقة المسلمين الملتزم لأحكام الاسلام وشرائع الايمان . ياليتهم صدقوا هذا ، ولكنهم لم يصدقوه بل هجموا على صحابة رسول الله ﷺ وأنصاره وأنصار الله وجنود الاسلام بالا كفار والافساق وقذقوم بأشنع التهم الكبريات ، وهجموا أيضا على من تولوم من المسلمين بالا كفار والافساق والتضليل ودعوم « بالنواصب » أي عداة آل البيت الذين ناصبوم العدا ، وقد عدوا سائر المسلمين ما خلاهم هم من النواصب الجناة الظلمة ، فاستحلوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم وقدموا في دينهم ومعتقداتهم ، وقتلوا في كتبهم عن أمتهم « خذ مال الناصبي وادفع الخس » كما سوف يجيء ذلك مستوفى . وقد نزلوا آيات القرآن الكريم الواردة في رؤوس من المشركين معينين معلومين على كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير . وقد قالوا ان الجيت والطاغوت المذكورين في القرآن هما أبو بكر وعمر ، وقالوا ان البقرة المذكورة في قوله : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الى آخر الآيات هي السيدة عائشة ، ونظائر ذلك من قبيح الرأي وفطيع القول مما سوف يأتي . فالشيعة لا يتقيدون بما قاله هذا الشيعي ولا يذعنون له . بل هم من أول من استحل دماء المسلمين وكفرهم بل دماء سادات المسلمين وأموالهم وأعراضهم فان كان في قوله هذا حق فليوجه الى الشيعة أولا

(ثانيا)

يقال لهذا الرافضي من مخالفيك في هذا الموضوع لا يحكم باسلام من أقر بالشهادتين واتبع طريقة المسلمين والتزم أحكام الاسلام وصلى وصام وزكى وقام بشرائع الاسلام والايمان ولم يأت بشيء يخالف ذلك ??? ومن من مخالفيك يقول

ان مثل هذا المرء كافر حلال الدم والمال ۛۛۛ

ان جميع من يزعم الرد عليهم في كتابه هذا لا يخالفون في أن الذي يقوم بما ذكر ويلتزمه ويقوم بأحكام الاسلام ويتبع طريقة المسلمين ويصلى ويصوم ويؤتي زكاة ويستقبل قبلة المسلمين ويجمع أشراف الايمان والاسلام مؤمن من خيار المؤمنين ومسلم من أفضل المسلمين ، بل وولى من أولياء الله المتقين المقربين ، فليعلم هذا إن كان لا يعلمه

ولكن ها هنا أمراً يجب أن يفهمه . هذا الأمر هو أن يعلم أن المراد من الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هو معناها لا لفظها ، وأن المقصد منهما ما يدلان عليه من التوحيد والايان بأن الله وحده هو الاله الحق والايان بأن الرسول صادق فيما بلغ عن ربه ، وليس المقصد منهما النطق بهما مجردتين من اللوازم والموانع ، ومن الشروط والأحكام ، ثم أن يعلم أيضاً أن لهاتين الشهادتين شروطاً ونواقض ، وأن من قالمها بلسانه ليلاً ونهاراً معتقداً أو غير معتقد لا يمكن أن ينفعاه ولا أن ينجياه لا في الدنيا ولا يوم الدين اذا ما ظل يأتي بما يفسدهما ويتقضيهما من قول وعمل ، ولا خلاف في هذا لدى العقلاء والعلماء وهذا الرجل نفسه لا يخالف فيه بالأجمال ، وهو إن خالف إنما يخالف في أن هذه الأمور منافية للشهادتين مناقضة لهما . فلا يقول ان هذه الأشياء تناقض الشهادتين ، وإلا لو سلم هذا لسلم أن من قال الشهادتين وجاء بما يناقضهما يسلم أن الشهادتين لا غيتان فاسدتان ، وهذا لأن الألفاظ دلائل المعاني . فن جاء بما ينقض قوله فقد ألغى قوله وألغى دلالته بالنسبة اليه هو . فن قال لا إله إلا الله وهو يعبد غير الله ويجعل معه آلهة أخرى لم ينفعه قول لا إله إلا الله بالاجماع والبداهة ، وكذلك من شهد أن محمداً رسول الله ثم جاء بما يفسد هذه الشهادة وما يطلها من قول أو عمل فقد ألغاه وأفسدها ، وهذه أوليات لانزاع فيها ، ولكن النزاع يقع فيما يدعى

أنه يفسد الشهادتين وينافيهما لافي أن من جاء بهما قد دقاز ونجا وإن أتى بما يفسدها من الأعمال والأقوال

فنحن نقول مثلا ان الاستغاثة بالأموات والضراعة اليهم عند الرغبة والرهبة والمكوف على قبورهم والانتطاع اليها وتقريب القرابين والنذور والصدقات لها - نقول ان هذه الأعمال والأقوال تفسد شهادة أن لا إله إلا الله وتبطلها فلا تنفع قائلها الآتى بهذه الأشياء لأن الله معناه المعبود وهذه الأعمال والأقوال عبادة بل من أعلى أنواع العبادات ، فإذا ما قدمها لغير الله فقد عبده بلا ريب ، والشهادة التي قالها بلسانه كلمة لم يعرف معناها فلم يعمل بما تدل عليه فصارت كلمة لاغية لا قيمة لها وصار في هذه الشهادة كجاهل باللغة قال هذا « ليث » عند ما رأى فأرأ حاسبا أن هذا اللفظ لهذا الخلق . فإذا قال ذلك فلا ريب أن قوله هذا ليث ، يعنى الفأر لا يدل على أنه رأى ليثا لا بالنظر اليه هو ولا بالنظر الى من فهم ما يعنى

وهذا الشيعى وبعض الناس لا يعلمون أن هذه الأعمال والأقوال تنافى لا إله إلا الله وتنقضها فيذهبون يحسبون أن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن موحد مخلص الدين لله وإن استغاث الأموات وسألهم ما لا يقدر عليه إلا الله كشفاه المرضى وهداية القلوب وخرق الذنوب ، وإن انقطع اليهم وسألهم صباح مساء . فهذا كله وأكثر منه لا يضير قائل لا إله إلا الله عند هؤلاء ولا ينافى الشهادة لا من قريب ولا من بعيد لا فى الظاهر ولا فى الباطن لا تصريحاً ولا تلويحاً فالنزاع إذن فى هذه الأمور وفى معنى الشهادة ومعنى العبادة ومعنى التوحيد والايان والاخلاص . فالذى على هذا الشيعى إذن أن يبين أن هذه الأعمال والأقوال لا تنافى الشهادة ولا تفسدها . والذى علينا نحن أن نبين أنها تنافىها وتفسدها . وهذا هو الذى يفض النزاع ويزيل الخلاف والا فان مثل قول هذا الشيعى حشوعت لا حد له ولا ضابط . فهو يقول المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين الملتزم لأحكام

(٢٠١)

الاسلام مسلم ليس بكافر . أو ليس هذا الكلام كأن يقول قائل من قال فهو قائل ومن صلى فهو مصل ومن زكى فهو مذك . أو أن يقول المسلم مسلم والمؤمن مؤمن أو الاثنان اثنان والثلاثة ثلاثة ! ومن ذا الذى يحتاج لمثل هذا الكلام ومن ذا الذى لا يعرف أنه عبث حشو؟ فان قوله « المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين الملتزم لأحكام الاسلام ليس بكافر » بمثابة أن يقال المسلم ليس بكافر . لأن الذى يأتى بهذه الأمور هو المسلم . لأن من التزم أحكام الاسلام واتبع طريقة المسلمين صار مسلماً يقيناً . وهل يصح أن يقال ان المسلم حقاً ليس بكافر مادام مسلماً ؟ وهذا هو معنى كلامه . ولا ريب أن مثل هذا الكلام لا يجدي ولا يستفيد منه أحد لا من المخالفين لهم ولا من الموافقين . والذي ينفع هو أن يقيم البرهان على أن دعاء الاموات وسؤالهم ضروب الحاجات وتقديم النذور والهدايا إليهم والعكوف على قبورهم ليس بعبادة وليس بمناف للاسلام والايمان والتوحيد فاذا ما أقام الدليل على هذا أغناه عن هذا العبث والحشو . أما نحن فنعد القارىء أن تقيم الدلائل على أن ذلك عبادة وعلى أن من اجترحه فقد طعن إيمانه فى صميمه . ومكان هذا الأبواب الآتية الخاصة به . .

(ثالثاً)

كلامه هنا قلق متخاذل . فهو يقول فيه « المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين لا يكفر » ويقول « إن الرسول والصحابة والتابعين وتابعى التابعين كانوا يكتفون من الناس بالشهادتين وبالتزام أحكام الاسلام » ثم بعد هذا القول ينقل الأحاديث النبوية القائلة بأن المسلم الذى يحرم دمه وماله هو من شهد الشهادتين ومن صلى وزكى وعمل بالاسلام : يقول هذا ، ثم يرجع ويتعصب هذه النتيجة الكاذبة : « فيستفاد من هذه الاخبار أنه بعد إظهار الشهادتين يبنى على الاسلام » فهل هذه

(٢٠٢)

المقدمات وما ذكره هنا تكون نتيجة أن المقر بالشهادتين مسلم وأ، يحكم
باسلامه ؟ كلا والله . فان الكلام الذي ذكره الأحاديث التي روى يجب أن
تكون نتيجة مغايرة للنتيجة التي افترضها افتصاها ويجب أن يقال فيها إن المقر
بالشهادتين القائم بأعمال الاسلام ومظاهره من صلاة وصيام وزكاة وحج الملتزم
لذلك ظاهراً يحكم باسلامه ولا يكفر ولا يقدم على إكفاره يجب أن تكون النتيجة
هكذا . وإن كان الكلام على وجه الاجال حشواً وعشاً . فاحداها - النتيجة أو
المقدمات - يجب ألا تكون كما ذكر

(رابعا)

قد قدم في كتابه ص ٩١ وما بعدها في الأمر السادس أن تارك الصلاة
والزكاة والصيام أو فريضة من فرائض الاسلام لا يكفر ولا يخرج من الاسلام
بل يكون بالشهادتين مؤمناً معصوم الدم والمال لأنه مسلم ، وتقدم أنه عاب من
يكفر تارك الصلاة وفرائض الاسلام أو يستحل قتله وهجاءه وسماءه وهائياً مقتنياً
أثر الخوارج في إكفار المسلمين وفي الإكفار بالذنب . هذا تقدم كله من هذا
الشيء ، ولكنه هنا نسي ما كتب هناك وحكم أن المسلم هو الذي يقبل الشهادتين
ويتبع طريقة المسلمين ويلتزم أحكام الاسلام ويصلي ويؤتي ، وحكم بأن من ترك
شيئاً من ذلك لا يكون مسلماً ولا معصوم الدم والمال بل يقاتل ويقتل حتى يقوم به
كله وحتى يلتزمه أجمع بدليل ما ذكره وبدليل الأحاديث التي رواها من قوله
عليه السلام (أمرت أن أقاتل الناس) الى قوله (وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة)
الى آخر الحديث . فأى شيء هذا الخلط وأية ناحية ينسب وأى قول يقول ؟
وإذا ما كانت هذه الأحاديث صحيحة لديه حجة مقبولة وهي تصرح بأن
تارك الصلاة والزكاة وفرائض الاسلام يقاتل ويقتل وأن الشهادتين وحدها

(٢٠٣)

لا يضمن الدم والمال ولا يكفیان فی إسلام المرء فإ القول الذی قدم وما الهجاء الذی حمله علی من قال با کفار تارك تلك الصلاة أو قال بقتله ؟ أما قال هنالك فی الأمر السادس :

« وحکم الوهاييون بكفر تارك الصلاة أو الزكاة واستحلوا القتل بترك بعض فرائض الاسلام علی عاداتهم فی التسرع الى تكفير المسلمين واستحلال دمايهم ، وتشددهم فی ذلك اقتناء بالخوارج » هذا نصه ، فإ هذا القول هناك مع اعترافه هنا أن الرسول الكريم أمر بمقاتلة الناس واستحلال دمايهم وأموالهم حتى يقيموا الصلاة ويؤدوا الزكاة ؟ ألا يكون فی هذا قادحا فی الرسول الكريم قادحا فی قوله رايما إياه باستحلال دماء المسلمين وأموالهم اقتداء بالخوارج ؟ وإلا إذا ما سلم أن هذا هو حکم الرسول الكريم وسلم أنه حکم حق لا ريب فيه فلماذا يهجو من قال بقوله وحکم بحكمه ؟ لا جرم أنه لا بد من القول بأن المتبوع غلط ويرأه الله مما قال ، أو القول بأن التابع راشد مهتد ، وأما القول بأن المتبوع راشد مهتد والتابع ضال غوى فی المسألة الواحدة فقول متدافع ، فإ أين يذهب هذا الرافضي ؟ وهذه الأحاديث التي ذكرها دالة ولا محالة علی أن الشهادتين منفردتين لا يضمنان الدم ولا يكفیان فی إسلام المرء ودالة علی أن تارك الصلاة مقاتل فقطول ، وقد قلنا ان هذا ما ذهب اليه أكثر أهل العلم ، ودالة علی أن الشيعة غير راشدة فيما قالته هنالك وما قالته هنا

(خامسا)

نحن نقول قبله انه لا يجوز الا كفار اعتماداً علی اجتهادات ظنية يكثر فيها الخطأ وعلی أخبار ظنية قابلة التأويل والتكذيب كما صنعت الشيعة فی اكفار المسلمين وخيار المؤمنين ولكننا نقول له إن الوهاييين لم تكن أدلتهم فی هذه المطالب العالية

اجتهادات ظنية أو اخبار فردية قابلة التأويل والتكذيب . ولكن دلائلهم القرآن
بجملته والسنة المحمدية عمليا وقوليا كما سوف يجيء ذلك مفصلا في أبوابه ، فان
القرآن اجمالا أتى زاجرا أقصى أنواع الزجر وناهيا بأشد عبارات النهى عن دعاه
غيره وعن الاستغاثة بالخلقين والانتطاع اليهم . وهذا لا يقبل التأويل ولا
التكذيب البتة ، ثم هو أمر أيضا بافراد الله بالعبادة وافراده بالرجاء والخوف
والخشوع والخضوع . وهذا لا يقبل التأويل ولا التكذيب البتة . وعن هذه
الاصول تنفرع جميع المسائل التي نطالب المخالفين بها وبطالبهم بها الاسلام جملة .
فليعلم هذا . ولكن الشيعة هي التي تعتمد لا أقول على الاخبار الظنية والاجتهادات
المدخولة فان الأمر أقل من ذلك . بل هي تعتمد في اكفار الصحابة وأئمة
المسلمين على روايات موضوعة بلا ريب وعلى تحريف القرآن التحريف الذي لا يقبله
من أراد الله به خيرا ومن كان له دين يحاسبه أو ضمير يؤنبه

(سادسا)

أما اعترافه بكفر الخوارج والمجسمة ومنكر الضروري . فسوف يعلم القارىء
أن الخوارج على ما فيهم من الضلال والمروق والبدعة خير وأفضل من الشيعة إن
كان في هؤلاء ، أو أولئك خير وفضل . وانه اذا قيس شر الخوارج بشر الشيعة
تلاشى وتضاءل ، وسوف يعلم القارىء أن السلف وعلياً رضي الله عنه بالخصوص
لم يكفروا الخوارج ، وأما المجسمة فقد اتفقت كلمة المؤلفين في النحل والفرق
الاسلامية على أن أول من قال بالتجسيم وشبهه وأذاعه هم شيوخ الشيعة ووضعوا
منهيا وسوف يجيء البيان لهذا ، وقد تقدم جزء كبير من هذا النوع في أول
كتابنا ، وأما انكار الضروري فان الشيعة هي أفرس الطوائف في هذا الميدان
وأجراها بلا خلاف ، أليسوا ينكرون إيمان أبي بكر وعمر وعثمان وإيمان عائشة

وحفصة وطلحة والزبير وغيرهم ؟ أليسوا يزعمون أن المسلمين أجمعوا على جواز البناء على القبور أعظم من إجماعهم على الإيمان بالله وعلى الصلاة والصيام وسائر فرائض الدين ؟ أليسوا يزعمون أن القرآن محرف مزيد فيه ومنقوص منه ، يزعمون أن نسخة القرآن الثامة الصحيحة عند إمامهم المنتظر سوف يخرجها ؟ أليسوا ؟ أليسوا ؟ فهذه الأمور التي كثر بها هي مجتمعة بلا مشاحة في فرق الشيعة ، بل وشر منها بأضعاف مضاعفة ، فان كان هؤلاء كفاراً بدليل واحد فان الشيعة كذلك بدلائل عديدة

الامر الثالث عشر

قال ارافضى « أقوال المسلمين وأفعالهم المحتملة أن تكون صحيحة وأن تكون فاسدة يجب حملها على الصحيح ولا يجوز مطلقاً حملها على الفاسد الا مع العلم . وعلى ذلك سيرة المسلمين وإجماعهم وبه انتظام معاشهم ومعاملاتهم . فاذا رأينا مسلماً يضرب يتيماً وأمكن أن يكون ضربه تأديباً وإيذاء وجب حمله على الصحيح وهو التأديب ولم تنتقض عدالته ان كان عدلاً وكذا لو رأينا مسلماً يضاجع امرأة ولم نعلم أنها زوجته أو رأيناها يشرب شراباً أحمر ولم نعلم أنه خمر أو سجد أو فذر أو اشترى أو باع ونحو ذلك وجب حمل هذه الأعمال على الصحيح إلا أن يعلم الفساد ولا يكفى الظن . وكذلك اذا قال المسلم قولاً أو فعل فعلاً له وجه أو معنى يوجب الكفر والردة وكان يمكن حمله على وجه أو معنى صحيح لا يوجب الردة ولا الكفر وجب حمل قوله وفعله على الوجه الصحيح الذي لا يوجب الكفر ، ولو كان احتمال هذا الوجه الصحيح ضعيفاً فضلاً عما لو كان ظاهراً أو مساوياً الوجه الفاسد في الاحتمال . فاذا استغاث مسلم بنبي^(١) أو ولى وجب حمله على معنى

(١) هنا يلت القصيد الذي ساق له هذه المقدمة

(٢٠٦)

لا يلزمه الكفر أو الخطأ . وكذلك لو قال لذلك النبي أو الولي أرزقني وعاف
ولدي وانصرني على عدوي ونحو ذلك ، واحتمل أنه يريد أن يكون له واسطة
وشفيماً على أن اسناد الفعل اليه من باب اسناده الى السبب كما في بنى الأمير المدينة ،
ولم يجز الحكم بشركه فضلاً عما لو علمت ارادته ذلك ، أو لو كان ظاهر حاله ذلك
باعتباره مسلماً يعلم أن هذه الأمور لا يقدر عليها غير الله « انتهى
بعد أن نستعيد بالله من الشيطان ومن وسارسه وأوهامه وأغلوطاته نقول
الكلام هنا في ثلاث مقامات :

(المقام الأول)

هل من الصحيح والحق أن أفعال المسلمين الفاسقين والصالحين ، الآتية
والأشقياء ، الطاه منهن والجهلاء ، من يعرف الاسلام ومن لا يعرف منه غير كلمات
« الله » و « النبي » والاسلام ، ومن لا يستطيع أداء كلمة الشهادتين أداء صحيحاً
ومن لا يخشى الله ولا يخاف مقامه ، ومن لا يملك من الدين سوى اسمه ومولده
وشكله وزيه ؟ هل من الصحيح أن أفعال هؤلاء وأقوالهم يجب حملها مطلقاً على
الصحيح أى على أنها طاعات لم تشبها معصية ولم تخالفها بدعة أو ضلالة ؟؟ هذا هو
المقام الأول ، وجوابنا نحن عليه أن نقول كلا والله لا يمكن أبداً أن نحمل أفعال
هؤلاء جميعاً وأقوالهم جميعاً على أنها طاعات بريئة من الاثم ومن المعصية والبدعة ،
ولا يستطيع أحد متبصر يزن ما يقول قبل أن يقول أن يدعى ذلك . وإنما الصحيح
هنا الذى يصح أن يكتب وأن يقال التفصيل والتقسيم ، وأما إجمال ذلك بلامثنوية
فلا أحسب انساناً يمارى فى بطلانه إلا أن يكون متعصباً له هوى يتبعه

أرأيت هاتيك النساء المتبايلات فى الطرقات الطاليات وجوههن وأ كفهن بالأصباغ
والمساحيق والألوان النكراء المتلوثة ، ثم أرأيت تلك الملابس التى ما وضعت على

الأجسام إلا كي تعرى وإلا كي تكون قيد الأبصار وشرك الفسق ثم رأيت تلك النظرات الحادة الفاترة وتلك المشية المنكسرة المتجاذبة ، ثم أسمعتم تلك الضحكات السكرى الدابلة الداوية ، ورأيت تلك الاقسامات والاشارات والتنهيدات . رأيت ذلك كله ومعمته كله ، ثم رأيت خير ذلك مما في الطرقات العامة والمجامع المزدهجة بالصدور المضطربة والأبصار الطامحة الى اقتطاف الفسق ومطارحة الهوى : رأيت ذلك كله ، أتراك تستطيع أن تحمل هذا كله على الوجه الصحيح ، وعلى الأدب والعفاف والصون . وأتراك تتأثم من أن تحمل شيئاً من ذلك على الخروج عن الآداب وعن الحصانة والعفاف ، لأن ذلك ما تفعله المسلمات العارفت بأن ذلك حرام في الاسلام ، لا يبيحه دين الله ولا ترضاه شريعتة المطهرة ؟ وأتراك تستطيع أن تحمل نفسك على أن تتطلب لذلك كله المحارج البريئة والتأويلات الصحيحة ، لتقول ان هؤلاء النساء المسلمات لم يصنعن ذلك كله إلا لغرض شريف بارٍ يقبله الاسلام وتتقبله الآداب العفيفة ، كأن تقول انهن ما صنعن شيئاً من ذلك إلا لأجل أزواجهن ادخالاً للسرور على قلوبهم وصوناً لأبصارهم عن أن تمتد الى محيا واضح وجبين مشرق . أو أن تقول انهن ما فعلن شيئاً من ذلك الا لشكر الله على ما وهبهن من جمال وحمرة وغنى ، وإظهاراً لآيادي الله عليهن وعلى الانسان أجمع . أو أن تقول انهن ما فعان ذلك الا تهيؤاً لعبادة الله وتزيئاً لمناجاته وتجملاً للقدوس والروح الى بيوت الله للصلاة والعبادة . أو تقول غير ذلك مما لا يرضى عليك الخيال بالشيء الكثير منه ؟

ان كنت تستطيع أن تذهب هذا المذهب في هذا الفجور المعروض للناظرين في الطرقات العامة والمزدحمات فقد يكون لك شيء من المنر اذا قلت ان أفعال المسلمين وأقوالهم جميعاً يجب أن تحمل على انها طاعات وعلى ما لا إثم فيه ولا خطأ . أما اذا ذهبت الى أن ذلك فسق ظاهر ، وفجور لا ريب فيه ، ودعارة فاضحة ،

وخروج على الآداب والأخلاق ، وعدوان على أهل أولئك النسوة وعلى الناظرين
اليهن أيضاً لأنهن يرضين ما لا يقدرن على نيله كله وما لا يصبرون عنه كله .
فأنت ذاهب ولا شك الى أن زعم هذا الشيعى زعم لا يقبله الله وزعم لا يقبله
الناس القدين لم يؤسروا بالاهواء والآغراض

ثم أرايت أولئك الشبان المتخفئين ، الصانعين بأجسامهم ما تصنعه الفتيات
بأجسامهن من تنميص وتخليج وتزجيح وتصفيف وتفرج . التراكضين وراء
الفتيات ، الرامين لمن بأحر الألفاظ وأبردها ، المغالزين لمن ، المشيرين للمادحين
المثنين ، أرايت هؤلاء فى آفاق المجامع والطرقات ؟ أتراك تستطيع أن تبرئهم من
الاثم ومن الاتهام بسوء النية وفسق الضمير . أتراك تستطيع أن تحمل جميع ذلك
على وجه صحيح ومعنى برىء عفيف وأن تتطلب له ضروب التأويل والتفاسير التى
لا يرضى بها خيال . لأن هؤلاء الشبان مسلمون . ولأن المسلمين يجب ألا يتهموا
ويجب أن تحمل أقوالهم وأفعالهم المحامل الصحيحة البريئة مهما بعدت تلك المحامل
وشطت ؟ إن كنت تستطيع أن تذهب هذا المذهب فى هذا فقد يكون لك بعض
الغذر إذا ادعيت أن أقوال المسلمين وأفعالهم لازم حملها على البراءة والطهر ؟

أما إذا ما أبيت إلا اتهام هؤلاء الرجال بالفسوق والدعارة ، وإلا رميهم
بالانسلاخ والانعلاص من الآداب الفضلى والأخلاق المطهرة ، واصررت على أنهم
فى حاجة الى تأديب صارم حاصم وعقاب رادع عارم ، فلا ريب فى أنك قائل ان
ما زعمه هذا الشيعى زعم أقل ما يقال فيه أنه زعم من هو فى حاجة الى أن يتعلم ،
وزعم من العلم فى غنى عن أن يؤلف فيه كتابا يتصدى فيه لأممى المباحث
البشرية ، أغنى المباحث الالهية . ثم أرايت إنسانا مسلما وأيته يقبل فتاته فى الطريق
العام ويراشقها الألفاظ البذيئة ، أتراك تستطيع ألا تظن بهذا الفتى السوء والمكروه
أو أتراك تستطيع أن تقول إن هذا زوج هذه بلاريب ؟ إن كلام هذا الرافضى

يقضى بأن يكون الجواب نعم؟ ثم أرأيت مسلماً وجدته يضرب رجلاً ضرباً مبرحاً وجيماً على مرأى ومسمع من الناس، والرجل المضروب يستصرخ ويستغيث ويطلب النجدة والعافية. أترانا مطالبين بأن نحمل هذا الضرب على التأديب والعقاب المشروع، فلا نمد أيدينا لا قاذ ذلك المضروب المستصرخ الصارخ لأن ذلك الضرب مشروع مطلوب لا يجوز منه؟ ان كلام هذا الرافضى يقضى بأن يكون الجواب نعم، أما نحن فنقول كلا والله. ثم أرأيت رجلاً مسلماً رأيناه حاملاً سيفه على رجل لا نعرفه ليقتله، أترانا مطالبين بأن نحمل ذلك القتل على القتل المشروع القصاص وأن نفهم لزوماً أن المقتول مستوجب القتل لذنب جناه؟ أو رأينا مدعيًا للاسلام ممن فظلت أخلاقهم وخسفت طباعهم يضرب ظلاماً ضرباً فظيماً وجيماً والى السلام يصيح بأندى صوته: أغيثونى أغيثونى، أترانا مطالبين لزوماً بأن نبادر فنقول ان هذا الضرب ضرب تأديب لازم فيه حكمة وفيه فائدة كمسألة القيم الذي اقترضه هذا الرافضى؟ ان الجواب عنده نعم، وعند الجميع لا ثم أرأيت لو وجدنا مدعيًا للاسلام يفتاب إنساناً أقبح الاغتياب أو وجدناه يسبه كفاحاً أقبح السب، أترانا مطالبين بأن نحكم أن ذلك الاغتياب وذلك السب مشروعان وطاعتان إما لأجل تأديب ذلك المسيب المقتاب وإما لأجل النصح والتحذير منه أو لأجل أغراض آخر؟ جواب الرافضى نعم، وجواب الجميع لا الى غير ذلك من المثل التي تبين فساد كلام هذا الرجل وخطئه العظيم

أما المثل الذي ضربه لنا من ضرب اليتيم، فهذا على حسب القرائن والشواهد فقد نحكم بأن ذلك الضرب إثم وإيذاء وجريمة، وقد نحكم بغير ذلك. أما اذا لم تكن هنالك قرائن ولا شواهد لا فى الفلام المضروب ولا فى الضارب فالراجع لدينا فى هذه الحالة أن نقضى بأن ذلك الضرب ضرب غير مشروع وأن الضارب ظالم والمضروب مظلوم، وذلك لأن الغالب على النفوس الظلم والشر والعدوان

ولأن الانسان ظلوم ككفار جيلة وطبعا ، والظلم من شيم النفوس ، كما في الحكمة الطائفة ، وفي القرآن الكريم ان الانسان لظلوم كفار . وأما الرجل الذي يضاجع امرأة لا تدرى حالها ولا حاله فعلى حسب القرائن أيضا يكون الحكم في هذه المسألة . فلو رأيناها يضاجعها في مكان مرئى وحالة مرئية لرجحنا ألا يكونا زوجين ، وأن يكونا فاسقين عاهرين ، ولا سيما اذا علنا رقة دينهما . وأما اذا ما وجدناه يضاجعها في بيته مع الطائفة والهدوء والشواهد الزوجية ففي هذه الحالة نرجح أنهما زوجان ، لا لأننا مطالبون بأن نؤمن الظن بالرجل لأنه مسلم ولأن المسلم يجب أن تحمل أفعاله وأقواله على الطاعة ، كلا . وإنما نرجح ذلك بالقرائن الموجودة حتى ولو كان ذلك المضاجع غير مسلم . فالعلة هنا في هذا الحكم ليست هي الاسلام بل هي القرائن المحيطة

أما شارب الشراب الآخر فعلى حسب ما تقضى القرائن أيضا . فمن رأيناها يشرب ذلك الشراب الآخذ لون الخمر في حانات الخمر ودور الفسوق وجب أن نرجح أو أن نقطم أن ذلك الشراب خمر لا خل ، وأن ذلك الشارب آثم عاص ولا سيما اذا كان ذلك الشارب معلوما بقلعة الدين ورقته ، أو رأينا علامات التمل بادية عليه قائمة في عينيه وخديه وشفتيه . وهكذا يكون الجواب عن جميع المثل التي يذكرها هذا الرجل أو غيره

وليعلم أن ترجيح أحد الأمرين في هذه الحالات ليس بالاسلام ولا بالكفر بل بالقرائن والشواهد الخافقة بالموضوع ولا ريب ، فان اسلام أغلب الناس اليوم بل وفي أكثر الأيام لا يمكن أن يكون حاجزا عن غشيان المحارم وركوب الآثام والجرائم ، واذا كان الأمر كذلك فلا يكون ادعاء المرء الاسلام برهانا على أنه لا يعمل إلا الصالح من الأعمال ، وأنه لا يعمل السوء والآثم ، هذا خلاف الواقع المشهود

ثم يقال لهذا الرجل : اذا كان صحيحاً واجباً حمل أقوال المسلمين وأفعالهم على الطاعة والصحة وعلى البراءة من الاتم والخطأ فلماذا لا تحمل أقوال مخالفيك ومن تزعم الرد عليهم على ذلك ؟ ولماذا لا تتطلب الخارج الصحيحة البريئة لما يقولون ويفعلون فتبرئهم من التضييل والتخطئة واللائمة ؟ أتراه حقاً أن تؤول لعامة الناس ودمائهم وفسادهم وجهاً لهم ولا تؤول لجهاينة الاسلام ونصراء الملة كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلامذته ؟ بل لماذا لا تؤول هذا التأويل لصحابة رسول الله ﷺ فلا تكفروهم أو تفسقوهم . أترى التأويل والتخريج يسع جهال الشيعة وفاسقيهم وفي كل قوم فاسقون ولا يسع أبا بكر وعمر وعثمان وأزواج النبي المطهرات وصحابة رسول الله ﷺ . أترون هذا من الحق والصواب ؟ ويحكم ! أترون في هذا شيئاً من الهدى والرشاد ؟

يسير جداً على من وجد تأويلاً بريئاً لجاهل يقول يافلان اشقنى ويافلانة اهدى قلبي واغفرى ذنبي أن يجد ذلك التأويل البريء لأنني بكر وعمر وأن يحده لمن قال وهو من الدعاة الى الله ومن نصراء دينه « لا يستغاث إلا بالله ، والأموات لا يدعون ولا يستغاثون ولا ينفخون أو ينفرون » أو قال « ان الله تعالى يجب أن يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من الاستواء على العرش والعلو على المخلوقات »

أما أن توجد التأويلات الصحيحة للجهلاء الظالمين اذا استغاثوا بالأموات ودعواهم وانقطعوا اليهم ثم لا توجد لمصاصة الناس وجهاً بذه الاسلام فهذا مالا يصطبر عليه مسلم وما لا يطبق احتمالاً منصف

ثم ألا يعلم هذا الرافضى أن القرآن الكريم يقول في الشهادة والشهود : « وأشهدوا ذوي عدل منكم » في مواضع من كتابه . ألا يعلم لماذا يشترط في الشهود أن يكونوا ذوي عدل ؟ ألا يعلم أنه لو كان الواجب أن تحمل أفعال من

ادعى الاسلام وأقواله على الصحة والصدق والطاعة لما احتاج القرآن الى هذا الشرط شرط العدالة ، هذا واضح بين ثم ألا يعلم ما يشرطه المحدثون لرجال الرواة من معرفة حال الراوى والعلم بهدالته . ومن قولهم انه لا يكفى فى عدالته ادعاؤه الاسلام وظهوره بشعائره . فكيف اذا ما كان فاسقاً واضح الفسق . وألا يعلم أنه لو كان واجباً الحمل على العدالة والصحة لما كانوا فى حاجة الى اشتراط معرفة عدالة الراوى ، بل كان يكفى فى عدالته ادعاؤه الاسلام ، ومعرفته بأن الكذب حرام ؟! . هذا عن المقام الأول

(المقام الثانى)

يقال فيه نحن - وان سلمنا أن أفعال المدعين الاسلام وأقوالهم يجب أن تحمل على الوجه الصحيح البريء اذا كانت محتملة وجوهاً صحيحة وفاسدة - لا نسلم بأن الاستغانة بالأموات وطلب الرزق والعافية منهم والنصرة على الأعداء من هذا النوع المحتمل الوجوه الذى يجب أن يذهب فيه الى الوجه الصحيح البريء . بل نقول ان الاستغانة بالأموات ، كقولهم يا فلان أغثنى يا رسول الله أرزقنى واهد قلبى واغفر ذنبى وأشبه ذلك من الأقوال الصريحة الصحيحة فى البطالان وفساد العقيدة ، ولا تحمل وجوهاً ولا وجهين يمكن أن تحمل على وجه صحيح برىء لا يمس العقيدة والايان . بل هي لا تحمل غير وجه فاسد صريح فى فساده وهو الاعتقاد أن الأموات قادرون على اعطائهم ما يسألونه استقلالاً ، إما بتفويض الله التصريف إليهم وأما بغير ذلك . ولولا هذه العقيدة ورسوخها فى نفوسهم لما فزعوا الى الأموات ولما جاءهم طامعين آملين ، ولوجدوا مندوحة عنهم وعن هذه الكلمات المملوءة بالمطمع والاطمئنان إليهم والى قدرتهم على التصريف والامداد والاعطاء والمنع والضر والنفع . ولا يمكن أن يفهم أبداً لهذه الاستغاثات والضراعات موجب

ولا معنى اذا ما كان الداعون يطمون أن من يدعونهم عاجزون عن تفهمهم وعن إعطائهم ومنهم . . . ولا يستطيع إنسان عاقل أن يدعى أن انساناً يطلب شيئاً وحاجة ممن لا يقدر على شيء ومن هو عاجز عن نفع نفسه عنده

أترون هؤلاء الداعين المستغيثين بالأموات غير مالكين لألسنتهم ؟ أترونهم غير مختارين ولا كاملي التصرف ؟ وإلا فلماذا يقولون لمن يطمون انه عاجز عن تفهمهم وعن نفع نفسه أغثنا ، أرزقنا ، اهد قلوبنا . ألا يقدرون أن يقولوا غير ذلك اذا ما كانوا يريدون غير ما يفهم من هذه الكلمات وغير ما وضعت له في الخطاب العام ؟ أية حكمة لهؤلاء الجهال في عدولهم عن استعمال الكلمات فيما وضعت لتدل عليه واستعمالهم من الكلام ما يدل على معنى لمعنى آخر بعيد عنه جداً ؟ أيجد المرء لهذا شيئاً من الحكمة والفائدة ؟ ولا ريب أن هذه الأقوال والدعاوى أقوال قومطية باطنية . وسوف يعلم القارىء أن هذا الشيعى من الشيعة الباطنية الغالية ، وليس من الشيعة المعتدلين الذين يرعون للدين حرمة ولله وقاراً . وسيمر بالقارىء أنه على مذهب الفاطميين الذين استولوا على مصر وأفسدوها أعواماً طويلة

فهذه الأقوال والاستغاثات صريحة في الضلالة لا ينزع في ذلك الا من ينزع في أن قول القائل « سبحانى عز شانى » وقول الآخر ان « لا إله الا الله ، ما فى الجبة الا الله » وقول الآخر « أنا ربكم الأعلى » وقوله « ما علمت لكم من إله غيرى » أقوال مؤولة مفسرة تفسيراً صحيحاً ، وانها ليست صريحة فى الكفر والالحاد ، ولا ينزع فى ذلك الا من نازع فى قول بعض الملاحدة المدعين الاسلام « ان الأنبياء لم يأتوا الا بالشرك والالحاد » وقولهم « ان كلمة لا إله الا الله ناسدة ، وان القرآن كله تشبيه وضلال ، وان الدين الاسلامي دين للعامة دون الخاصة » وقول أحد هؤلاء الملحدين :

عقد الأنام على الاله عقيدة وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ونظائر ذلك من أقوال الملحدين . فالذى يحسن الظن بهذا يحسن الظن بذلك
والذى يقول إن هذا كفر ولا ريب لأنه إنباء عظيم عن فساد العقيدة يقول إن
ذلك أيضا كفر لأنه إنباء عظيم أيضا عن فساد الدين . والتفريق بين الأمرين
اضطراب والتأويل لهذا كله من أكبر أنواع الضلال والورق من الدين والمقل
ومما يرد على هذا الشيعى دعاواه فى التأويل لهؤلاء الداعين للاموات أن على بن
أب طالب رضى الله عنه حرق أوائل القوم بأذى بدور الشيعة لما أن قالوا له :
أنت ربنا وخالقنا ورازقنا . وهم كانوا من المتظاهرين بالتشيع المغالين فيه .
فأصرم على نيرانا عظيمة ورمم فيها مستحلا دماءهم . وقد عدم بهذه الأقوال
كفاراً لاحظ لهم فى الاسلام وقضى عليهم بالموت تحريماً . فلماذا لم يؤول لهم على
إذا ما كان هنالك شئ اسمه التأويل ولماذا لم يعد أقوالهم هذه مجازات يراد بها
غير ظاهرها وما يدر منها فلم يبع دماءهم إذا ما كان للتأويل أصل ؟ بل لماذا لم
يشك فى مرادهم فيسألهم عما يريدون . ولعلمهم يريدون غير ظاهر قولهم . ولعلمهم
يعرفون المجازات وضروبها ؟ الا يقال إن بين أقوالهم هذه ودعواهم فيه وبين
أقوال هؤلاء الدعاة للاموات فرقا . فلا يمكن التسوية بين هذا وهذا . فالتا
نقول ليس للمقام هنا مقام التسوية بين ما قاله الذين حرقهم على وبين ما يقوله هؤلاء
المنقطعون الى الأموات وإنما الكلام فى المجاز واللجوء الى التأويل . فان جاز
التأويل فى أحد هذين الأمرين جاز فى الأمر الآخر وإن امتنع فى أحدهما امتنع
فى الآخر ولا فرق . والمخالف يوافق أن ظاهر أمر دعاة الأموات كفر ، ولكنه
أول ذلك وحمله على المجاز . ولولا التأويل والمجاز لحكم عليهم بالكفر والردة .
وكذلك يقال فى مقالة من حرقهم على هي كفر ظاهر ولكن التأويل واللجوء إليه
يمنع التكفير ويدل على أن الظاهر غير مراد
ثم أى فرق بين قول القائل أنت ربنا وخالقنا ورازقنا لمخلوق وبين قول

الآخر أنت شافينا وغافر ذنوبنا وهادى قلوبنا ومفيثنا مما نزل بنا من الكرب والخطوب لميت تحت الثرى . أظن أنه لافرق بين الأمرين . فان هذا كله فعل الله لا يقدر عليه سواه . وقد أضيف إلى غيره سبحانه

وكذلك أيضا الامام على لم يؤول للخوارج لما رموه بالكفر والخروج من الدين لما أن قبل التحكيم ورضى بما قاله الحكمان . فلما أن قالوا له إنك قد كفرت فاعترف على نفسك بالردة بعد الايمان ثم ارجع الى الاسلام من جديد وإلا فلسنا منك ولست هذا ونحن . منك براء عد قولهم هذا صريحا في ضلالهم لا قبل التأويل ولا الحل على المجازات ، فرد عليهم رضى الله عنه رد العارف بفرضهم وما يريدون ولقد كان هينا عليه أن يحمل كلامهم على المجازات وأن يحمله من التأويل مثل ما يدعيه هذا الرافضى . ولكنه لم يصنع شيئا من ذلك

هذا ولعلم أنه إذا ما استطيع تأويل هذا استطيع تأويل كل شيء . وهذا عين الحبال وغاية الفساد . هذا عن المقام الثانى

(وأما المقام الثالث)

فالجواب أن يقال نحن وإن سلمنا أن أقوال المسلمين وأفعالهم يذهب بها الى الصحيح البريء . وسامنا أن الاستغاة بالأموات من هذا النوع الذي يصح أن يؤول وأن يحمل على الصحيح إلا أنا نقول واثقين مطمئنين إن الاستغاة بالأموات وسؤالهم مالا يقدر عليه إلا الله كطلب الشفاء والمداية وغفران الذنب حرام بلا ريب وخروج على الدين وعلى التوحيد وإساءة أدب مع الله مهما أراد به قائله ومهما كان سليم النية والقصد . بل وإن كان لا يريد بقوله شيئا من الاشياء أو أراد المجاز والتأويل أو عقد فى ضميره معنى من المعانى التى لا تخالف الدين ولا تحمل سوء أدب لله . فهذه الاستغاثات بالموتى وسؤالهم المطالب العالية التى لا يستطيعها

مخلوق لا حي ولا ميت لا اشتراك ولا استقلال بل هي من عمل الله وحده وفعله وحده هي قلة أدب مع الله تمس إيمان قائلها وتصدم عقائدهم وتفسدها على كل وجه من الوجوه المفترضة في قصد المستغيث السائل . ولا ينازع مسلم في أن هنالك كلمات تقضى بكفر قائلها وخروجه من الاسلام وتقضى برده وإن كان قائلها لا يريد ما يبدو منها ، بل وإن صرح بأنه لا يعنى ما دلت عليه ألفاظه وكلماته وصرح أنه يفتحل المجازات والكنايات فيما يقول وإن ادعى ما ادعى من ذلك ، فإن من قدح في الاسلام أو في الله أو في الأنبياء حكم بكفره وردته بظاهر ما قال وإن زعم أنه يريد غير ما يفهم الناس من قوله بل وإن زعم أنه يحكى وينقل أو ذكر احتمالات من الاحتمالات ، فلا يمكن أن يقبل شيء من ذلك

وكذلك لو قال قائل ان القرآن ليس فيه ما يعرف العقيدة الصحيحة والدين الحق أو قال انه جاء بالباطل أو انه يخالف العلوم والواقع أو قال أنه متناقض متدافع أو زعم أنه جاء بالشر والفساد أو قال ان الرسول جاهل مثلاً ونظائر ذلك فن قال شيئاً من ذلك كفر وحكم عليه السامع بالردة وحكم عليه المسلمون بذلك ولم يتساءلوا عن ضميره وعما قد دق في نفسه وعما ينويه ، بل ولم يشكوا أو يتوقفوا أو يختلفوا ، وبهذا يفتنظم الأمر ويقع الزيف ويؤاد الاحاد في صدور الملحدين وبضيق على الشر فلا يجد مناديج وفسحاً فلا ينمو أو يشب أو ينتشر . وبغير ذلك يختل النظام ويقلق جبل الأمن ويجد الضلال الخارج والمواج والمصادر والموارد ويبدى كل صفحته ويرفع كل عقيرته فيتنفس الملحد الحاده والضال ضلالته ويقول كل ما يشاء من الكلام الفاسد ومن سوء الأدب مع الله ومع الدين والمؤمنين والنبين ويذهب بكل شيء من ذلك الى المجاز والتأويل ويفزع صاحبه إن أؤخذ الى ذلك فلا استطاع أخذه أو مؤاخذه بقول من الأقوال وكلمة من الكلمات فتفسق النفوس وتشيع الفوضى الاعتقادية ولا محالة . وهذا ما حصل لبعض الناس الفاهين

هذا المذهب الفاسد حتى ان من قال « ما في العجة الا الله » ومن قال « سبحانى عز شانى » وجد من يؤول له كلامه ويحملة الحمل الحسن ومن يحسن الظن به ، وكذلك قال قوم ان كلمة لا اله الا الله فاسدة ، وان الانبياء لم يأتوا الا بالشرك والشر وأن القرآن كله تشبيه وتمجيس ، وأن الاوياء أفضل من الرسل وقال أحدهم : أنا أفضل من جميع الانبياء والمرسلين ، وقال بعض المنتسبين الاسلام أكثر من هذا وأشنع ، فوجد من أحسن الظن بهذه الأقوال ومن أولها وفسرها تفاسير جميلة أو مقاربة ، ومن صدق الدفاع والزيادة عن أصحاب هذه المقالات حتى رموا من عارضوا قائلها بفساد العقيدة والكفر ، وهذا معلوم مدون في كتب مطبوعة يحسن بها الظن اليوم وقد يحسن بها الى ما بعد اليوم الى ما شاء الله . وهذا البلاء دخل من هذا الباب باب التأويل المبني على حسن الظن بمن ادعى الاسلام أو ولد بين آباء مسلمين ومدعين للإسلام

ولا نعرف لماذا لا يسع هؤلاء من الكلام المعروف البريء ما وسع المسلمين الأوائل وما وسع خيار المؤمنين اذا كان هؤلاء صادقين في الاسلام والايمان ؟ ولماذا لم يسعهم ما وسع رسول الله وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً والأكرمين من الأنصار والمهاجرين ؟ وما الذى اضطرهم الى تمشيق هذه الألفاظ الموحشة والكلمات العظيمة الشنعاء اذا كانوا لا يريدون ظاهرها ، وان كانت لا تنبئ عن نبأ محبوب في صدورهم ؟ أم يرون في هذه الألفاظ الخيفة زيادة قرب الى الله أو فضل فلسفة أو عمق بحث ؟ كلا ان ذلك لا يكون ، وانهم لا يدعون هذا ، بل لماذا لا يسعهم ما وسع عقلاء البشر من مسلمين وغير مسلمين من وضع الكلمات فيما وضعت لتدل عليه ؟ إنه لا جواب عن هذه السؤالات الا أن يكون الجواب ان في نفوس قائلها أمراً نكراً عظيماً ، وإن من وراء هذه الألفاظ عقيدة قذف بها الزيت ، وهزها هرات متوالية تساقطت بها هذه الألفاظ المنكرة ، وأمطرت هذه الكلمات المحيطة

وإذا كان من الكلام ما هو كفر بظاهره كما رأيت فلا ريب لدينا أن من هذا النوع الاستغاة بالأموات وطلبهم ما لا يقدر عليه إلا الله وأن من هذا النوع أن يقول القائل الرسول خالقنا ورازقنا ومغيثنا ومحيينا ومميتنا وباعثنا . ومثله ولا خلاف أن يقول القائل انه عليه السلام يشفي مرضانا ويهدي قلوبنا ويفر ذنوبنا ويرد غائبينا ويوسع رزقنا . فقاتل هذا كافر ولا ريب ، وقد أجازته صاحب هذا الكتاب فخالف إجماع المسلمين بل وإجماع العقلاء من غير المسلمين ، وهذا لا فرق بينه وبين قول القائل ان الرسول أو غيره خالقنا ومحيينا ومميتنا ومحاسبنا ومعاقبنا أو مثبنا ، بل هذا كله يبيحه هذا الشيعي ويزعم أنه لا خطأ فيه ولا غلط ولا شيء من المؤاخذه بل هو مجاز معروف مشهور وارد في كلام العرب بكثرة لا تتكر

وقد قدمنا في الأمر الخامس أن هذه المطالب من الأموات متضمنة بلاريب الاعتراف بأنهم يعلمون الغيوب وأنه لا يخفى عليهم خافية قريبة أو بعيدة ، ولهذا يدعونهم من كل مكان وفي كل مكان ، وهذا الراقضي يقول انهم يريدون بهذه الادعية والضراعات أن يكونوا لهم شفعاء ووسطاء . فاذا سلمنا هذا كان برهاننا صارخاً بأنهم يعتقدونهم يسمعون دعاءهم من كل مكان بعيد أم قريب ولا يخفى عليهم شيء من هذا ، وهذا كفر مستقل ، لأن الله وحده هو الذي يسمع من كل مكان وفي كل مكان لا يشغله صوت عن صوت ولا هتاف عن هتاف ، فمن اعترف بهذه الصفة لمخلوق فقد باء والله بها والعياذ بالله ، وهذا لا ينازع فيه على ما أعلم هذا المصنف المتغالي في تعصبه ، وأيضاً هذه الادعية مشتملة على التعظيم الجرم والتسكن الوافر لهؤلاء الأموات وهذا نوع من أنواع فساد العقيدة سوف يجيء القول فيه وأما ما ذكره من المجاز كقولهم بنى الأمير المدينة فقد أسلفنا القول فيه مشبعاً في الأمر الخامس وسوف يأتي زيادة بيان لهذا

الامر الرابع عشر

قال الرافضى « العبادة فى اللغة الذل والخضوع ومنه بعير معبد أى مذلل ، وطريق معبد أى مسالك مذلل ، ونقلنا فى الشرع الى معنى جديد أو أريد بها معنى خاص من المعانى اللغوية

« فالعبادة بمعناها اللغوى الذى هو مطلق الذل والخضوع والالتقياد ليست شركاً ولا كفراً قطعاً وإلا لزم كفر الناس جميعاً من لدن آدم الى يومنا هذا لأن العبادة بمعنى الطاعة والخضوع لا يخلو منها أحد ، فيلزم كفر المملوك والزوجة والولد والخدام والأجير والرعية والجنود بل كفر الأنبياء

« ثم أنه ورد فى الشرع إطلاق العبادة والعباد على مطلق المطيع والطاعة فورد أن العاصى عبد الشيطان وعبد الهوى وقال الله تعالى « أفن آتخذ إلهه هو اه (١) » « آتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » مع ما ورد أنهم ما صاموا لهم ولا صلوا وإنما حرموا عليهم حلالاً وأحلوا لهم حراماً فاتبعوهم ، وإن الانسان عبد الشهوات ، وإن من أصغى الى ناطق فقد عبده ، فإن كان ينطق عن الله فقد عبد الله وإن كان ينطق عن غير الله فقد عبد غير الله . ومن هذا القبيل قول رابعة العدوية :

لك ألف معبود مطاع أمره دون الاله وتدعى التوحيداً
« ولا ريب أن هذه الأمور التى سميت عبادة لا توجب الكفر والارتداد ، وإلا لم يسلم منه أحد والضرورة قاضية بخلافه
« ثم أن من جملة العبادة السجود وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، وسجد يعقوب وزوجته وبنوه ليعوسف كما أخبر عن ذلك القرآن الكريم . فدل على أن

(١) وصحة الآية « أفأرأيت من آتخذ إلهه هو اه »

السجود ليس في نفسه قبيحاً وممنوعاً منه موجباً للشرك والكفر وان محي عبادة ،
والا لم يأمر به الله وأنه ليس مثل اتخاذ الشريك للبارى في جميع صفاته ، فان هذا
لا يعمل أن يأمر الله به أو يجيزه ولا يمكن الا أن يكون شركاً وكفراً . وعلم من
ذلك أيضاً أنه ليس مطلق الخضوع والتعظيم حتى السجود لغير الله قبيحاً في نفسه ،
وشركاً وكفراً

« ثم انه ورد اطلاق العبادة على دعاء الله تعالى في القرآن بقوله تعالى « ادعوني
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي » والاخبار بقوله عليه السلام « الدعاء
منع العبادة » ولكن ليس المراد بالدعاء هنا معناه القوي قطعاً وهو النداء ، والا
لكان كل من نادى أحداً وسأله شيئاً عابداً له ، بل المراد به نداء الله وسؤاله
والقيام بغاية الخضوع والتذلل بين يديه وانزال حاجات الدنيا والآخرة به على أنه
الفاعل المختار والمالك الحقيقي لأمر الدنيا والآخرة والمتصرف فيها كما يشاء . فمن
دعا مخلوقاً على هذا النحو كان عابداً له . أما من دعاه ليشفع له الى الله بعد ثبوت
أن الله جمل له الشفاعة فلا يكون عابداً له ولا فاعلاً ما لا يحل

« فظهر أنه ليس كل ما يطلق عليه اسم العبادة موجباً للشرك والكفر اذا وقع
لغير الله بل ولا محرماً ، الا أن ينص الشارع على تحريمه كالسجود للشمس والقمر
المنهى عنه في القرآن والسجود لغير الله متفق على تحريمه ، وأن معالقي الخضوع
والانقياد لغير الله لا يوجب ذلك ولو فرض أنه محي عبادة وأن العبادة التي يترتب
عليها ذلك ليست العبادة اللغوية بل عبادة خاصة لا يمكن معرفتها الا ببيان الشارع ،
وبدون بيانه تكون مجملة ، وأنه لا يجوز ترتيب حكم الشرك والكفر بل ولا التحريم
على ما يسمى عبادة الا اذا علم أنها من تلك العبادة الخاصة ومع الشك أو الظن
لا يجوز ترتيب ذلك الحكم . فاذا فرض ورود النهي عن عبادة غير الله فما علم أنه
من المنهى عنه حرم وما لم يعلم لم يلحقه الحكم كالتكفير والانحناء عند المعجم ورفع

اليده عند الجنود وكشف الرأس عند الافرنج وغير ذلك للعلم بأن المنهى عنه ليس مطلق ما يسمى عبادة وخضوعا

ثم ان الذى علم تورب حكم الشرك والكفر عليه من العبادات أو الاعتقادات أمور (الأول) اعتقاد المساواة لله فى جميع الصفات أو أنه هو الله كما يقول عبدة المسيح وأمه فيما حكاه عنهم القرآن ، وكما يقوله السبئية فى أمير المؤمنين على بن أبى طالب وكما يقوله الدروز فى الحاكم أحد الخلفاء العلويين الصريين وغيرهم من الألوهية لشخص من الأشخاص ولو بطريق الحلول (الثانى) انكار الشرائع وتكذيب الرسل وان اعترف فاعله بتوحيد الله ولم يعبد وثنا بل بقى على شريعة منسوخة (الثالث) ما ذكر مع عبادة الأوثان بما لم يأذن به الله بل نهى عنه من سجود ونحر وذبح لها وذكر اسمها عليه وطليلها بدمه وتعظيم باعتقاد استحقاق ذلك بالاستقلال لرفعة ذاتية واعتقاد أن له تدبيراً واختياراً كما كان يفعل عبدة الأصنام سواء كان مع الاعتراف بوجوده وعدمه ، انتهى كلام العالمى

قلت : وهذا الكلام يتم على حيرة متمكنة وقلق مستول على عقيدة صاحبه حتى ليكاد القارئ يمس الميرة والقلق والاضطراب مساً ، وقد جمع أنواعاً من الخطأ فى المفردات والمفردات والمفردات ، ويبان هذا بأمور :

(أولاً)

يقول ان العبادة معناها فى اللغة الذل والخضوع والانقياد . وعليه فكل من ذلّ لشيء أو خضع له أو انقاد فهو عابده لشيء . وهذا باطل بالاجماع لا يختلف فى بطلانه وجلان بمرقان مواقع كلام العرب . فانه لم يقل واحد من علماء الاسان ان كل خضوع عبادة ولا ان كل ذل عبادة ولا ان كل انقياد عبادة . ولا يوجد فى كلام العرب كلمة واحدة تشهد لهذا القول لا من قريب ولا من بعيد . بل ان

الضرورة قاضية بطلان هذا القول وفساده ، والناس مجمعون على خلافه لا يظن
إنسان يتكلم اللغة العربية أن كل خضوع عبادة وكل ذل وإتقياد عبادة . ولا
يمكن أن يقول انسان لمن رآه يخضع لأمر والده أو أمر رئيسه خضوعاً مشروعاً
لا لإسراف فيه انه عبد أباه أو عبد رئيسه . ولا أن يقول لمن ذل لمن هو أقوى منه
ولمن هو قادر عليه أو إتقاد له إتقياداً لا غلوف فيه بل إتقياداً عادياً وخضوعاً عادياً
وذلة عادية : انه عبده أو انه عابده ولا يخطر هذا على بال انسان ، والناس كلهم
يعلمون أن تسمية مثل هذا عبادة غلط ولا ريب ، وهم لا يمكن أن يعدوا
أنفسهم عابدين لسلطة الحكومة وقانونها اذا خضعوا لذلك وإتقادوا طوعاً أو
كرهاً ، ولا يرتابون في أن تسمية هذا الإتقياد والخضوع عبادة غلط . بين ،
ولو كان هذا القول صحيحاً لكان المسلمون والمؤمنون حتى خيارهم وفضلاؤهم بل
ورسلهم وأنبيائهم يعبد بعضهم بعضاً عبادة لغوية حقيقية لأن من الإيمان أن
يذل بعضهم لبعض ذل تواضع وتواضع وتماطف لا ذل هون وهوان . قال الله
تعالى في وصفهم « أذلة على المؤمنين » وقال تعالى « واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين » وقال في بر الأبوين « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » ،
ولأن من الإيمان أن يطيع بعضهم بعضاً في المعروف وأن يتقادوا لأوامر
أولى الأمر منهم في غير معصية ولا إثم ، ولكن من الانتم والسخف أن
تال ان المسلمين باتباعهم هذه الأخلاق السماوية السامية عابد بعضهم بعضاً عبادة
، وية ، أو أن يقال انهم بهممة الآداب الالهية الفضلى العليا يؤمرون بأن يعبد فريق
فريقاً وأن تعبد طائفة منهم طائفة أخرى ، بل يؤمرون بأن يكون كل فريق
عابداً معبوداً

ومن أكبر الإثم والجرم أن يقال : ان أبا بكر كان يعبد رسول الله وأن
الصحابه كانوا يعبدونه ﷺ ، لأنهم كانوا مأمورين بطاعته والإتقياد له والخضوع

لما يأمرهم به وقد كانوا كذلك ، أو يقال ان الصحابة كانوا يعبدون خلفاءهم وكانوا يؤمرون بعبادتهم ، والضرورة قاضية بأن من المدح والثناء أن يقال ان الصحابة والمؤمنين كانوا متطوعين ، وكانوا أذلة على المؤمنين ، وكانوا متقادين لأوامر زعمائهم الراشدين الأمرين بالمعروف ، ولكن من الهجاء المر والدم القبيح أن يقال انهم كانوا متعابدين ، وأنه كان كل منهم عابداً معبوداً ، بل هذا من الكذب والضلال المبين ، ولو كان الأمران سواء لافرق بينهما ، وكانت العبادة هي الطاعة والذلة والالتقياد مطلقاً بلا قيد ولا شرط لكان الأمران مديحاً أو هجاءً و لكانا جائزين معاً أو ممنوعين معاً ، فإذا ما كان أحدهما مديحاً وثناءً وكان الآخر ذمّاً وهجاءً علم يقيناً بأنهما ليسا سواء وأنه ليس معناه واحد؟ وهذا واضح بين فالعبادة لغة ليست هي مطلق الذل والالتقياد والخضوع بالاجماع والضرورة .

بل العبادة أمر أسمى من ذلك وأخص وأشرف

قال الزمخشري في تفسيره الكشاف : « العبادة غاية الخضوع والتذلل » . وكذلك قال غيره . وقالت العرب سبيل معبد . وبغير معبد . ويعنون بالسبيل المعبد : الطريق الذي وطئته الاقدام وطئاً شديداً كثيراً حتى صار طريقاً لاجباً بيننا . ويعنون بالبحير المعبد المذلل المتخضع شديداً بكثرة الحمل عليه واثنياده إلى الخسف والهون والمتاعب حتى سلس قياده وذهب شماسه . ولا يقولون السبيل المعبد إلا إذا كان مطروقا موطوءا بشدة وكثرة حتى أصبح بيننا واضحا . ولا يقولون أيضا بغير معبد إلا إذا كان مذللا مسلسا مقوداً كثيراً حتى صار طوع يد الصغير والكبير وطوع يد الصبي والمرأة . وأما ما ليس كذلك من السبل والبحران فلا يقال له معبد ولا يحمل عليه هذا اللفظ

ويقال شعب معبد إذا ما أذل وأخضع كثيراً . ويقال عبد هذا الطاغية الناس أو استعبدتهم إذا أرهقهم ذلة وهونا وهوانا وأشبعهم خسفاً وعسفاً . حتى

انقادوا له اتقياد العبدان الممالك . قال الله تعالى حكاية عن نبي الله موسى مخاطبا عبده فرعون « وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني اسرائيل » أى أن أخضعت بني اسرائيل وجوعتهم من الذل أمره وأنكره حتى ذلت نفوسهم وقضاء لت وتخلت من العزة والحية حتى رحت تذبج أبناءهم صبورا وقهراً بلا ذنب ولا جريمة ، وتستحي نساءهم أى تستقيهن للخدمة والاذلال وللأمور الأخريات الكبريات ، ويقال عاشق عبده الحب واستعبده إذا ما غلبه الحب على أمره وقاده هواه وهوى من أحب اتقياداً لا عقل له ولا اختيار فوهبه حبه وعقله وجسمه . وقد قال الله فى مثل هذا « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » ويقال هذا عبد الدنيا وعبد الشهوات والمآرب الوضيعة ، لمن تهالك على خدمة الدنيا وانصرف اليها بقلبه وقالبه ووهبها نفسه وقلبه ووقته وذله وخضوعه وصارت شغله الشاغل ومأربه الأول والآخر . وفى الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ أنه قال « تعس عبد الدينار . تعس عبد الدرهم . تعس عبد الخميصة . تعس عبد الخيلة . تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ، إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط » وهذا وصف الغلاة فى خدمة الدنيا وما فيها من آكال وملابس ، من لا يبالون شيئاً إذا نالوا ذلك وظنوا به . ويقال لمن غلا فى شيخه فى حبه وتمظيمه ، وخوفه ورجائه فأحله أعمق جوانب نفسه حتى انقاد لارادته ودفع اليه زمام اختياره زمام نفسه وذاته وكان كما يعبر أهل الطريق مثل الميت فى يد غاسله يقابه كما يشاء يقال لمن غلا هذا الغلو فى شيخه انه عبده . وفى القرآن الكريم « اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم » وهذا كما جاء فى تفسير هذه الآية عن الرسول الكريم ﷺ أنه قال « انهم أحلوا لهم الحرام فأحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه » وقال « تلك عبادتهم للأبحار والرهبان » هذا معنى الحديث . وهؤلاء من غلوهم فى الأبحار والرهبان يزرون أن ما أحلوه فهو محلل عند الله ما

حرموه فهو محرم عنده لصلتهم بالله الوثيقة الخاصة ، وقربهم منه وإطلاعهم على ما يريد ، وصلتهم بأمراره وأمرار تشريع . وعلى هذا الاعتبار ذلوا لم يبلغ الذل وأخلصه ، فانقادوا لما يهون ويريدون بلا عقل ولا اختيار ، حتى بلغ بهم الغلو أن راحوا يشترون لهم المنازل في الجنة من أجارهم ورهبانهم ، وبأخضوف بها الصكوك والوثائق المختومة بخواتيم الكنائس والقسيسين ، كما راح المذنبون الجناة منهم ينثرون أمرارهم بين أيديهم وينثرون ما اجتروحه من الآثام والزلات الخفية المطوية حتى العنراء راحت تعترف لهم بما جنته على عفافها وعرضها وتثرسرها بين أيديهم ، ويرون أنهم بذلك لا يؤاخذون ولا يعاقبون على ما قدمت أيديهم من ذنوب بعد هذا الاعتراف للقسيسين والرهبان

وقد صار إلى هذا الغلو الفظيع كثيرون من جهال المسلمين ومن جهال الشيعة خاصة ، فغلوا في مشايخهم غلواً قبيحاً مزدري تخافوهم خوفاً نفسياً ضيقاً عظيماً عيقاً وراقبوهم في الحضور وفي الغيب وعظموهم في صدورهم وفي أعمالهم تعظيماً جعلهم يعتقدون أنهم يدخلون بينهم وبين أنفسهم ، وينفضون إلى ذات صدورهم وينفذون بينهم وبين سرائر أنفسهم ، فراحوا يزعمون وبأئس ما يزعمون أنهم يطوفون ما يجول في زوايا أنفسهم وأنهم يسمعون ديبب الخطرات النفسية ويرونها تنقلب على صفحات القلوب والصدور بعيون نورانية إلهية ، ليست ككده العيون المحدودة الجسدية الانسانية ، وأنهم يلمسون الأفكار والخلجات المترددة في صدور مريدتهم ومعتقدتهم بأيدي لا تحس ولا تمس ولا تدفع . وعلى هذا الغلو راحوا يدعون أن مشايخهم أعلم بهم منهم بأنفسهم . ولا تسأل عما لازم هذه العقيدة وعما أثمرته من الذلة والخضوع والانقياد والطاعة العمياء لهؤلاء المشايخ أعاذنا الله من ذلك

ومن استسلم للذة نفسه وشهوتها وأخدمها عقله وقلبه وأعضائه وسعى لها وحدها وحاسب نفسه لها وحدها ، من فعل ذلك فقد عبد لذته وشهوته ، وتعبير أصبح فقد

عبد حيوانيته . وفي الناس عباد شهوات ولذات كما أن فيهم عباد أوثان وأصنام ، وكلا الفريقين عابد غير ربه ، وكلا الفريقين مؤاخذ ملوم ، وقد قال الله تعالى في عباد شهواتهم ولذاتهم « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه . أفأنت تكون عليه وكيلا » وقد جاء عن السلف أنهم قالوا « الهوى معبود » واستدلوا بهذه الآية الكريمة : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » ومن هذه المثل يرى القارىء أن العبادة في لغة العرب ليست هي مطلق الذل والخضوع والالتقياد والطاعة بلا قيد ولا شرط كما يدعى هذا الرافضى ، بل يرى القارىء من هذه المثل أن العبادة أمر أبلغ من ذلك وأخص ، ويرى أنها هي الذل البليغ المستولى على الظاهر والباطن ، مع الخضوع البليغ المستولى على الظاهر والباطن ، مع الحب القوى المستولى على الظاهر والباطن مع الرغبة والرغبة المستويات على الأعمال وعلى القلب والنفس ، فمن ذل لشيء هذا الذل ، وخضع له هذا الخضوع ، وأحبه هذا الحب ورغب فيه هذه الرغبة ورهبه هذه الرهبة فقد عبد ذلك الشيء سواء أ كان هو الله أم كان غير الله ، وسواء أ كان في ذلك مفرداً أم مشركاً ، وسواء أسمى ذلك عبادة أم سماه غير ذلك ، وسواء أ كان ذلك الشيء انساناً أم حيواناً أم جاداً حياً أم ميتاً

أما من أحب شيئاً كحب الزوج زوجته وحب الرجل أولاده ولم يخضع له فليس عابداً له لا لغة ولا شرعاً . وكذلك من خضع لشيء كخضوع المرء لمن هو أقوى منه كالخضوع للأسد وخضوع الشعب لسلطان الحكومة ولم يدل له ذلك الذل ولم يحبه ذلك الحب ولم يرهبه ويرغب فيه تلك الرهبة والرغبة فليس عابداً له وليس ذلك الشيء معبوداً . وكذلك من ذل لشيء ذلاً مفرداً مجرداً لم يكن عابداً له لا لغة ولا شرعاً . وهذا واضح

أما من جمع هذه الأمور كلها لشيء : المخلوق أم الخالق فقد عبده ولا محالة لغة وشرعاً . فمن أحب زوجته ذلك الحب وخضع لها ذلك الخضوع ودل لها ذلك

الليل ورهبها ذلك الرهب ورغب فيها ذلك الرغب فقد عبدها لفة وشرعاً ، وبلغة أخرى فقد عبدهواه وشهوته . ومثل هذا المرء لن يكون عبداً لله مادام عبداً لمرأته وشهوته

ومن أحب شيخه هذا الحب وذل له هذا الذل وخضع له هذا الخضوع ورهبه ورغب فيه تلك الرهبة والرغبة فقد عبده لفة وشرعاً . أما من أحبه فقط حب احترام وإجلال فليس عابداً له ، أو خضع له ولأمره لأجل مصلحة عاجلة أو آجلة فليس عابداً له أيضاً ، وكذا لو رغب فيه أو رهبه لمآرب خاصة

وهؤلاء المتعلقون بالأموات في الشدائد لا ريب أنهم يحبونهم الحب الجهم ، ويخضعون لهم الخضوع الوافر ، ويدلون لهم الذلة البالغة ، ويرغبون فيهم الرغبة الفزيرة ، ويرهبونهم الرهبة الكبرى . ولولا هذه الأمور وتعلقها في قلوبهم لما تجاوزوا إليهم كل صعب وذلول ، واقتحموا إلى الوقوف بين أيديهم كل شقة ومشقة وعقبة كشود ، لم ينهزموا عن المثول بين أيديهم وفي حضراتهم منهية ولم يعقبهم عن ذلك عائق لا فقر ولا حاجة ولا مرض ولا شغل شاغل . وهؤلاء الذين يدعون الأموات حاضرين بين أيديهم وغائبين وينادونهم من كل مكان شاحط بهيد عند ما تحزبهم الحوازب وتمضهم المصائب لا شك أنهم خاضعون لهم أذلة محبون راغبون راهبون . ولا شك أنهم يحملون لهم من هذا المعنى في قلوبهم وفي أعمالهم وأقوالهم النصيب الأوفر الأكثر . ولا شك أيضاً أن مخافتهم وحُبهم والرغبة فيهم والرهبة من غضبهم ومنهم والخضوع والذلة لهم قد اخترقت أجسام هؤلاء الدعاة وتخللت عظامهم وجرت في مساربها حتى افتحمت القلوب والعقول والنفس فتألفت فيها ذرات وقطرات فتكاثر حتى صارت هي وحدها عناصر القلوب والعقول والنفس وجواهرها وإن رؤيت بالابصار دماً ولحماً وأعصاباً ثم ذهبت تقسم على الأعضاء من لسان وعيون وجوارح من ذات نفسها فصارت

فى اللسان دعاء وضراعة واستغاثة ، وفى العينين نظرات ساهمة متلهفة شاردة ، وفى القدمين خطوات عجلى خاطفة ، وفى اليدين لمساً ومسحاً لتلك الاعتاب والأبواب والعمد والشبابيك ، وفى الشفاه لثماً وتقييلاً . وهذا كله لو حلل وتحلل فماد إلى مادته الأولى لصار ذلة وخضوعاً وحجاً ورغبة وروية ، ولصارت تلك فى أوفر حالاتها . وهذا ظاهر لا ريب فيه

ومن الحال أن يدعو انسان إنساناً وهو غير خاضع له أو غير محب أو غير ذليل أو غير راغب فيه وراهب منه . فالذى يستغيث الأموات ويستجديهم ضروب الحاجات لا محالة من أن يرخص فيهم وأن يرهب منهم وأن يذل ويخضع لهم وأن يقف بين الخوف والرجاء وقفة يقف معها القلب والعقل والنفس وتتابع بينهما ضربات القلب ولمفات النفس . وهذا مما لا ريب فيه

فالعبادة ليست هي مطلق الذل والخضوع والالتقياد كما يزعم هذا الشيعى بل العبادة لغة هي ما ذكرناه . وإنما تتحدى هذا الشيعى ونطالب اليه أن يذ كر دليلاً واحداً من كلام العرب نثرها أو شعرها ، أو من كتاب الله أو من حديث رسوله على أن مطلق الذل ومطلق الخضوع يسمى عبادة ، وأن كل خاضع وذليل ومطيع ومنقاد يسمى فى كلام العرب أو فى نصوص الدين عابداً . وأما ما ذكر فسوف نذكر ما فيه

(ثانياً)

وأما زعمه أن العبادة قد نقلت من معناها اللغوي إلى معنى آخر أو أريد بها معنى خاص من معانيها اللغوية فزعم غير صحيح ، وهو مبنى على زعمه أن العبادة فى اللغة معناها مطلق الذل والخضوع والالتقياد ، وقد رأيت وسمعت أن العبادة ليست هي هذا لغة وأنه لم يقل أحد من العرب أن كل ذل وخضوع وانقياد عبادة ولم

يشهد لذلك شاهد . بل الشواهد التي قدمناها كلها تبين كذب هذا الزعم
 وإذا قد رأيت أن العبادة معناها غاية الخضوع والتذلل المتضمن للرغبة والرهبة
 والمحبة والالتقياد والطاعة ، فلا يمكن الادعاء أن العبادة التي معناها هذا قد تقلت
 الى معنى آخر أو أريد بها معنى خاص من هذه المعاني . فان مسلماً لا يمكن أن
 يدعى أن هذه الأمور مجتمعة يصح أن تكون لغير الله لا لرسول ولا ملك ولا من
 دونهما . بل هذه كلها يجب أن تكون لله وحده لا شريك له وهي من حقه الخاص
 به ، ومن الدلائل على كذب هذا الزعم أنه لم يدع أحد من العلماء لا من السلف
 ولا من الخلف أن العبادة في اللغة ليست عبادة في الشرع . ولم يدع أحد منهم أنه
 تحمل عبادة غير الله ، وأنه لم يقل أحد من الناس للرسول الكريم لما طالب الناس
 بعبادة الله وحده إننا لانعرف معنى العبادة التي تطالبنا بها فما هي ؟ ممما لنا لثرى
 أنكون ممك أم نكون ضدك ؟ ولنخص الله بها وحده ألا يلزم أن يسأل الصحابة
 عن العبادة المطلوبة منهم اذا كانت ليست هي التي يعرفون . ثم ألا يعرفها لهم
 الرسول أو القرآن وإن لم يسألوا عنها كما عرفوا الصلوات والصيام والحج وسائر
 العبادات ؟ ثم ألا يكون سكوت القرآن والسنة عن تعريف الناس ذلك مع
 مطالبهم بعبادة الله وحده ثم سكوت الناس عن بيان ذلك بزهاً لا يدفع على أن
 العبادة هي ما يعرفه الناس في خطابهم ؟ أنا أحسب أن الجواب نعم
 ومن الدلائل على ذلك أن القرآن والسنة والناس جميعاً يسمون ما يصنعه
 الناس قبل الاسلام للآوثان والأصنام عبادة . والذي كانوا يصنعونه هو الخضوع
 لها والالتقياد والذلة والرغبة والرهبة وما يتفرع عن ذلك من الدعاء والنحر والنفير
 لها والتسبح بها وأشباه ذلك فسماهم القرآن والحديث والمسلمون جميعاً عباد الأصنام
 والآوثان وعباد غير الله . فهذا برهان لا ينازع على أن ذلك عبادة في الشرع وفي
 القرآن والسنة وفي كلام الناس جميعاً

ومن الدلائل على خطأ مزعم هذا الشيى أنه لو لم تكن العبادة فى الشرع هى هذا أى ما كانت لغة لكانت غير معلومة ولا مفهومه ولكن الأمر به فى القرآن والسنة والحديث عبثاً لا فائدة فيه مطلقاً . لأنه أمر بما لا يعلم ولا يعرف بل هو تكليف مالا يستطيع . وهذا باطل على مذهب الشيعة الداهيين مذهب المتزلة . وذلك أن هذا الرجل زعم هنا وفى مواضع من كتابه أن القل والخوف والرغبة والرهبة والخضوع والاستغانة والدعاء والنذر والحج وتقريب القرابين بل والسجود والركوع والصلاة والصيام ، زعم أن هذه الأمور كلها ليست عبادة شرعاً . وإذا كان ذلك كذلك فما هى العبادة فى الشرع إذن ؟ أنها حينئذ لا تعلم ولا تعرف وإن الأمر بها حينئذ أمر بما لا يستطيع علمه ومعرفته . وهذا فى غاية الركافة والقلق الفكرى . وعلى هذا أيضاً فإن المسلمين لا يعرفون ماهى العبادة شرعاً الى اليوم ، ولا يعرفون ما أمرم الله به من ذلك فى آيات كثيرة جداً وأخبار لا يحصرها حاصر فى السنة . وهذا محال على ما فيه من القبح فى جميع المسلمين السلف والخلف . وما جر الى هذا فهو باطل بلا نزاع

(ثالثاً)

وقوله حينئذ « فالعبادة بمعناها اللغوي الذى هو مطلق الذل والخضوع والانقياد ليست شركاً ولا كفراً » الى آخر قوله قول غير صحيح . لأنه قائم على غلطه الفاحش الأنف وهو زعمه أن كل ذل وخضوع وانقياد عبادة فى اللغة ، وهذا غلط فى اللغة كما قدمنا . ولو كان هذا القول صحيحاً لكان الناس جميعاً عابدين معبودين ولكان الصحابة عابدين رسول الله ولكان هو أيضاً عابداً الصحابة لغة ولكان من قال بلسان العرب إن رسول الله كان يعبد الناس وكان الناس يعبده صادقاً لم يكذب . وكفى بهذا دليلاً على بطلان هذا الزعم وما شيد عليه

(رابعا)

وقوله « انه ورد في الشرع اطلاق العباد والعبادة على مطلق المطيع والطاعة »
 قول أيضا في غاية الغرابة والذكارة . وما قال انسان قبل هذا الرجل إن مطلق
 الطاعة يسمى عبادة لا لغة ولا شرعاً وان مطلق المطيع يسمى عابداً لا لغة ولا
 شرعاً . وما دل على هذا القول دليل . ولو كان هذا القول حتماً لكان قول الله
 (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) بمنزلة أن يقال اعبدوا الله
 واعبدوا الرسول واعبدوا أولى الأمر منكم . ولما كان قول الله (من يطع الرسول
 فقد أطاع الله) مثل أن يقال من يعبد الرسول فقد عبد الله . ولما كان معناها هو
 هذا . وهذا عند المسلمين وعند غير المسلمين سخف وخروج من الدين

وأما قوله « فورد أن العاصي عبد الشيطان وعبد الهوى » فهذا غلط في الشرع
 لم يقله رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه ولا أحد من العلماء المتهتدين بل هو من
 صنم الشيعة وعملها

وأما قوله تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » فليس المراد بهذا مطلق من
 أطاع هواه من المسلمين فإلم ببعض الآثام وليس بعض الذنوب اختطافاً ولما . وإنما
 المراد بهذا أولئك الذين أعرضوا عن الله وعن دينه وعن رسوله وعما جاءهم به من
 الهدى والدين والخير . لم يرفعوا بشيء من ذلك رأساً ولم يحملوا أنفسهم على أن
 يشكروا في شيء منه أو يعنوا بشيء منه ، فظفروا على كفرهم وغيهم وضلالهم وعنادهم
 عاكفين لا يرمعون ، فأضيقوا أعينهم سادرين في الشهوات متعزمين باللذات ممتطين
 أهواءهم تخب بهم إلى كل قاحشة فحشاء وتخدى بهم إلى كل ضلالة عياء ، لم يستغيثوا
 بهزائم الواقع الصداح الفشوم المعجوم ، ولم يصيخوا لهتافات السماء ونداء الحق
 الصادع حتى عشيهم الحق اليقين واحتبس أنفاسهم الحام فسيقوا إلى غضب الله وإلى
 ناره ، وذلك مصير المعرضين عما خلقوا له ، المائسين كما تعيش الأنعام والأغنام

لأكل ولشهوة الحيوانية ، فهذا الذى اتخذ إلهه هواه فسعى لرضاه وحده
ولعبادته وحده ، فلم يعبأ بالله ولا بأمر الله ، فلم يعبأ الله به ولم يعبأ بأمره
أما ذلك المسلم الذى يلم الأحيان ببعض الذنوب طاعة لداعى الانسانية الضعيفة
وشطرها الحيوانى ، فلا ينشب أن يفيق وأن يعلم أن قدمه على حافة هوة عميقة
لا قرار لها فيبادر الى النجاة بنفسه والهروب الى ربه فيجد في تطهير نفسه وقلبه مما
لوثها من أدران الخطيئة وأضرار المعصية فيزداد الى ربه رجوعا وقربا ، وعن هواه
وداعية نفسه فراراً وبمداً . فليس هذا ممن اتخذ إلهه هواه ولكنه من الذين قيل
فيهم " أن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " ، فهذا
الذى عناه الله بهذه الآية ليس هو مطلق من أطاع هواه فدحضت في المعصية
قدماء ، ولكنه هو ممن ذكرنا من المعرضين عن الله وعن الدار الآخرة وعن
الرسول وعن هداة ولم يرد إلا الحياة الدنيا . وذلك مبلغه من العلم
وأما قوله تعالى « اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » فهؤلاء هم
الآلى غلوا في أبحارهم ورهبانهم فأنزلوهم منازل من التقديس والتبجيل لم ينزلهم
إياها الله ولم تنزلهم إياها أقدارهم وأعمالهم ، فأعطوهم من أنفسهم وقلوبهم ومن
دينهم ما لم يكن خليقاً إلا بالله وحده الذى خلق ورزق وهدى وأقى فراحوا
يعظمونهم أفضل التعظيم ويدلون لهم وينقادون . فغلوا في حبهم وفي الذلة والافتقار
لهم وفي الرغبة فيهم والرهبة منهم ، حتى أحلواهم رتبة التحليل والتحرير والتشريع
ورتبة غفران الذنوب وتقسيم الجنات على الأصفياء ومن يتقدمون لهم الثمن غالياً
فراحوا يشترون لهم منازل في الجنات من الأبحار والرهبان برفيع الأثمان ويتسلمون
الصكوك الموقعة بأيدي هؤلاء الأبحار والرهبان كما أسلفنا ، فوهبهم بذلك أفضل
معاني العبودية من التقديس والتعظيم ، ومن إعطائهم وظيفة التحليل والتحرير
والتشريع ، فأحلوا لهم الحرام فأحلوه ، وحرّموا عليهم الحلال فحرّموه . وهذا معنى

قوله ﷺ « أليسوا قد أحلوا لهم الحرام فأحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه » فكانوا بذلك مشركين بهم ، غير موحدين الله ، ولم يكن قول الله هذا فيهم لأنهم أطاعوه مطلق الطاعة كما يدعى هذا الرجل . وآخر الآية برهان صارخ بتخطئة هذا القول

وقوله « وإن الإنسان عبد الشهوات » إن كان يريد أن الرسول ﷺ قال هذا كما يدل عليه قوله « فورد في الشرع » فهو غلط واضح وعزو الى الرسول ﷺ لا يصح . وإن كان يريد أن بعض الناس يقول هذا أو قاله فما الفائدة في وضعه هنا ، وكيف يكون من الشرع أم كيف يزعم أن هذا وارد في الشرع ؟؟؟ وليس الكذب على الرسول هينا ولا سهل التبعة ، بل الكذب عليه كذب على الله والكذب على الله هو المهلكة عينها « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا »

وقوله « وإن من أصغى الى ناطق فقد عبده » الى آخره الرواية من أضعف الغلط وأبعده عن الصواب ، ومن أعظم الاتم والجناية على الاسلام وعلى رسول الله ﷺ نسبة مثل هذا القول الى الشرع . فبلا يتق الله صانع هذا ، وهلا يعلم أن مثل هذا من أشد المقادح في الاسلام ونبي الاسلام ؟ وهذا القول لو عزي الى قائل ما أو الى زعيم ما لكان عيبا فيه وسبة فاضحة ، فكيف نسبته الى الرسول ﷺ المبلغ عن الله رسالته وما ينطق عن الهوى ، ولن يقول مثل هذا الكلام إلا غبي سخيف أحمق وإلا فان عاقلا أو نصف عاقل - إن كان للعاقل نصف - لا يمكن أن يقول إن من أصغى الى ناطق فقد عبده ، ثم يزعم أن هذه العبادة للناطق المصغى اليه هي في الواقع للمنطوق عنه ، فان كان ناطقا عن الله فالمعبود هو الله ، وإن كان ناطقا عن شاعر أو كاهن أو كذاب فالمعبود هو ذلك الشاعر ، أفبرى هذا الشيعى أن الرسول ﷺ إذا ما أصغى الى شاعر أو كافر يقول قولاً ما عابد لذلك الشاعر والكافر ، وهل يرى أن الكفار إذا ما أصغوا للرسول ﷺ وهو ينطق عن الله

(٢٣٤)

عابثون للرسول والله معاً ؟ أي خطأ هذا وأي بمد ونأى من سبيل الرشاد
وأما قول رابعة العلوية :

لك ألف معبود مطاع امره (البيت)

إن صح عنها فهو من المبالغات الشعرية التي لا يوجد مثلها في الشرع لا في
القرآن ولا في السنة على أنها تريد بهذا أو تلك للمرضين عن الله وعن عبادته وعن
القيام بواجباته اشتغالا بالذات والشهوات ، ذهاباً وراء المطامع الدنياء أو تلك الذين
رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ولم يريدوا سواها ، أو يفكروا في أن يسعوا لدار
الجزاء الآ كبر أو يقدموا من صالح الأعمال المبرورة ما به يخلصون الى مائدة الله
التي أعدها في دار كرامته لمن عملوا الصالحات وخلصوا من الأدناس والأرجاس
وهؤلاء كأكثر من تراءى اليوم من المدعين الاسلام والايان والتوحيد وهم
في الحقيقة الواضحة من أزهد الناس في التوحيد والايان ومن أزهد الناس في الجنات
وفي الجزاء إن كانوا يفكرون في ذلك أو يمررونه على أذهانهم . وهؤلاء من المحال أن
يكونوا موحدين أو مؤمنين أو مسلمين . فإي قال قبيهم من عبادة خير الله والاشراك
به هو صحيح لا ريب فيه ، بل لو قيل إنهم موحدون . أعنى أنهم موحدون الدنيا
وما فيها من شهوات ولذات تشاركهم فيها الحيوانات الناهقة والراعية والثاوية كلها
لكان ذلك القول صحيحاً لا مبالغة فيه ولا كذب . ويعرف هذا من علم واحتدنى
ولم تكن هذه الأقوال للموحدين القائمين بفرائض الاسلام وشرائط الايمان .
لذات ولجت فيها أقدامهم بلا ريب

وقوله : « ولا ريب أن هذه الأمور التي سميت عبادة لا بموجب الكفر
يقال في جوابه : لا ريب أن الذين قال الله فيهم لا اتخذوا أحبارهم ورجهائهم أرباباً
من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو
سبحانه عما يشركون » والذي قال الله فيه « أفأريت ممن اتخذ إلهه هواه وأضله

الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا يتذكرون » يقال لا ريب أن هؤلاء الذين عنانهم الله في هذه الآيات ليسوا مسلمين ولا مؤمنين ، وما قال أحد قبل هذا الشيعة فيما نعرف أنهم غير كافرين والآيات واضحة جداً . ولا ريب أيضاً أن أقواماً كثيرين باتباعهم أهواءهم وغلوهم في أشياءهم كفروا وقد كفر قدامى الشيعة إذ غلوا في على رضى الله عنه وادعوا حلول الله فيه ، فخرقهم

(خامسا)

قوله : « ومن جملة العبادة السجود وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وسجد يعقوب وبنوه ليوسف فدل على أن السجود ليس في نفسه قبيحاً ولا ممنوعاً موجباً للشرك والكفر وإن سمي عبادة والا لم يأمر الله به » الى آخره . يقال فيه اما أن يريد أن السجود قد أمر الله به لبعض الخلق وهو الى الآن جائز مأمور به لأنه نوع من التعظيم وتعظيم العظيم مطلوب دائماً . واما أن يريد أن ذلك قد وقع في ظروف خاصة وأزمان خاصة لأناس خاصة . ولكنه اليوم غير جائز ولا مباح لغير الله ، بل هو من أكبر المحرمات شرعاً ؟

ان كان يريد الأمر الأول ويريد أن السجود اليوم مشروع مأمور به لمن عظمه الله كالأنبياء والأولياء كان هذا مروفاً من الاسلام بلا مرية لدى المسلمين عامة فان المسلمين لا يختلفون في أن السجود لغير الله كفر وخروج من الاسلام . فان السجود أفضل هيئات الصلاة وأفضل أركانها . وقد جاء في الحديث الصحيح « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ومن صلى لغير الله لولى من الأولياء أو نبى من الأنبياء تعظيماً وإكباراً فقد كفر باجماع العقلاء واجماع المسلمين . بل علم هذا محسوب من الضروريات الدينية التي لا يتنازع فيها . ولا خلاف بين

المسلمين أن من أباح الصلاة لغير الله فقد ارتد ووجب عليه حد المرتد ان كان في بلد يقيم حدود الله . ومثل الصلاة السجود ولا خلاف . بل السجود هو أفضل هيئات الصلاة وأركانها . وهو أكثرها اقراراً بالخضوع والعبادة والذي يجوز السجود لغير الله أو يقول انه ليس شركا ولا كفراً يقول بجواز الصلاة لغير الله أو يقول إنها لغير الله لا توجب الكفر والردة . ومن أجاز الصلاة لغير الله أجاز الصيام والزكاة والحج والذبح والنذر والضراعة والرغبة والرهبة وكل ما يبعد الله به ويتقرب اليه بعمله من الأعمال الظاهرة والباطنة ، ومن أجاز ذلك سلكه لمخلوق فقد انغمس ولا ريب في حمأة الكفر والشرك والجماعة ، فان العقلاء لا يرتابون في أن من تقرب بهذه الأعمال الى مخلوق عاجز مربوب فهو مارق من العقل ومن الدين

وأما ان أراد الثاني أي إن أراد أن السجود أبيض لأفراد تخصيصها في وقت مضى لا يجوز تعديه ولا القياس عليه ، بل يوقف لدى القدر المعلوم بلا زيادة ولا قياس ، إن أراد هذا لم يكن له في إيراد هذه الأمور هنا فائدة ولا حجة يناط بها فائتلا لا نخالف أن القرآن قد أخبر أن الملائكة سجدوا لآدم وأن يعقوب وبنيه وزوجه سجدوا ليوسف ولا نخالف أن الله يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لأمره ، فله أن يخص ما يشاء بما يشاء من التعظيم والاحلال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون عما يفعلون وهو رب العباد ، والعباد مربوبون له يتصرف فيهم كما يشاء ويأمرهم بما يشاء وينهاهم عما يشاء ، لا اعتراض ولا ممانعة ، ومن عارض أو مانع كان من أتباع الشيطان الذي اعترض على أمره بالسجود لآدم ومانع فكان من الكافرين المقضي عليهم بالشقاوة الأبدية ، والعبادة حقه على عباده فلو أمرهم بعبادة من يشاء لكان عدلا منه وللزمهم أن يطيعوه وأن يعبدوا ما أمرهم بعبادته مدعين مسلمين لا معترضين ولا آيين . ولكنه تعالى أمرنا ألا نعبد إلا إياه لا شريك له

مخلصين له الدين في كتابه وعلى لسان رسوله فقال تعالى « أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وقال « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » وقال « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله » وقال « وما أمروا إلا ليعبدوا الله » وقال « فاعبد الله مخلصا له الدين » والاجماع قائم على أن عبادة المخلوق كفر بالله وشرك لا يختلف في ذلك المسلمون ، وقائم على أن كل ما يسمى عبادة هو من خصائص الله وحده لا ند له

فقول هذا الشيعي هنا : « فدل على أن السجود غير ممنوع ولا موجب للكفر وإن سمي عبادة » قول فاسد باتفاق المسلمين بل هو خروج من الدين ولا ريب فيه . فانه لاخلاف بين أهل الاسلام أن كل أنواع العبادة من حق الله وان صرف شيء من ذلك لعبد ردة على جميع الحالات ، ولهذا لا يقول أحد من المسلمين إن سجد الملائكة لآدم وسجد يعقوب وولده وزوجه ليوسف كان عبادة . بل هم لا يشكون في أن ذلك السجود لم يكن عبادة لآدم ويوسف وهم يرون أن ذلك أمر غير العبادة ، وذلك لعلمهم أن العبادة حق الله وحده ليس للمخلوق منها قليل ولا كثير . فقال قائلون : إن سجد الملائكة لآدم إنما كان استقبالا له لا سجودا حقيقة ، وقال قائلون إن المراد بالسجود هنا هو التذلل له أي الخضوع والقيام بمصالحه ومصالح ذريته ، وقال قائلون في سجد يعقوب وأولاده إن معناه التذلل وقال قائلون إن معنى ذلك القيام عليه بالخدمة والآداب ، وقال قائلون غير ذلك ولم يقل أحد منهم إن ذلك السجود كان عبادة بوجه من الوجوه لاجتماعهم على أن المخلوق لا يعبد البتة ، وعلى كل حال فالمسلمون متفقون على أن ذلك السجود لم يكن عبادة سواء أعرفوا معناه الحقيقي والمعنى به أم لم يعرفوه . إلا أنهم مجمعون على أنه ليس عبادة

وليس بعيداً أن يكون المراد بالسجود هنا الخضوع . فان السجود كما قول

كتب اللغة من معانيه الذلة والافتقار ، وقد قيل ان قوله تعالى « ادخلوا الباب سجداً » معناه خاضعين متقادين لأن السجود الذي هو وضع الجبهة على الأرض لا يستطاع حين الدخول ، وقال تعالى « النجم والشجر يسجدان » أي ينقادان لأمر الله الكوني . وقال تعالى « ولله يسجد من في السموات والأرض وما في الأرض من دابة » وقال « ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال » الى غير ذلك من آي الذكر الحكيم . ولا يراد بذلك السجود الحقيقي المعروف ، وإنما يراد ولا محالة الافتقار لأمر الله الكوني القدرى كما هو ظاهر ، ولهذا القول شواهد أخرى من كلام العرب كثيرة ، وقد قال عمرو ابن كلثوم في معلقته المشهورة :

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخمر له الجبابر ساجديننا
وقال المتنبي :

أبدو فليسجد من بالسوء يذكركني فلا أعاتبه صفحا وإهوانا
وقال الآخر :

فلما أتانا بعيد العكرى سجدنا له ورفعنا العمارا
ولا أحسب هؤلاء الشعراء يريدون بالسجود هنا وضع الجبهة على الأرض ولا أحسبهم يريدون سوى الخضوع والطاعة
وفي كتاب غريب الحديث لابن الأثير :

« وفي الحديث إن كسرى كان يسجد للطالع » . والطالع هو السهم الذي يجاوز الهدف . والمعنى أنه كان يسلم لراميه ويسلم . قال الأزهري معناه أنه كان يخفض رأسه . يقال أسجد طأطأ رأسه وانحنى قال الشاعر :

وقلن له أسجد لليلي فأسجدا

يعنى البعير . أي طأطأ لها لتركبها . فاما سجد فبمعنى خضع « انتهى

فالسجود بمعنى الخضوع والافتقاد له شواهد من كلام العرب لا نجد
كما رأيت

والذي يزعم أن السجود لأدم و يوسف كان هو السجود الاصطلاحي المعروف
عليه أن يقيم الدليل على أنه كان كذلك وبغير ذلك لا يستمع لقوله وإذا ما
قال إن السجود المعروف الشرعي هو المفهوم من الكلمة عند الإطلاق قيل له نعم
إن ذلك كذلك في الاصطلاح المتأخر وفي كلام الفقهاء والشرعيين ، أما في كلام
العرب القديم فلا نجد دليلاً على أن ذلك هو السابق إلى الفهم عند الإطلاق ، ولا
شك أن ذلك يحتاج إلى الحجة وإلا فردود على من زعمه

ونحن نجد بعيداً جداً أن يكون سجود يعقوب وبنيه ليوسف سجوداً
اصطلاحياً ، أي وضع الجبهة على الأرض ، ومن البعيد القريب من المحال أن يكون
معنى الآية هكذا : ورفع أبويه على العرش وسجدوا له فوق الأرض ، فإن ظاهر
الآية السابق إلى الفهم منها أن السجود كان بعد رفعهم على العرش ، وهل يمكن
لمن هو فوق العرش أن يسجد على الأرض ؟

لا يقولون قائل إن « الواو » لا تقضى بالترتيب والتعقيب مباشرة ، لأننا
نقول نحن : نرجع القاريء إلى ذوقه وفهمه البريء من المؤثرات الخارجية ، يعرف
محة قولنا ، ومن البعيد القريب من المحال أيضاً أن يسجد نبي عظيم من أنبياء الله
المظام لابنه عند لقائه ثم يرضى ابنه وهو نبي عظيم بسجود أبيه له ، والابن مأمور
أبداً باكرام والده واحترامه الاحترام المشروع كله ، والسجود إذا كان هو
السجود المعروف فلا ريب أنه سجود غير واجب على يعقوب وبنيه وزوجه ليوسف
وإنا هو سجود جائز ، ولا أحسب أن عالماً يستطيع أن يدعى أنه كان واجباً على
هؤلاء أن يسجدوا ليوسف سجوداً حقيقياً ، وإذا كان ذلك كذلك أي إذا كان
هذا السجود سجوداً حقيقياً فهل من اللائق أن يعتمد يعقوب وبنوه وزوجه القيام

بهذا الجائز ؟ أفلا يكون من اللائق حينئذ ترك هذا الجائز وإماله ؟ ومن الدلائل على بعد هذا أنه لم يعبد مثله ، أى أنه لم يعبد أن نبيا عظيما سجد لابنه ، بل لم يعبد أن نبيا سجد لانسان آخر سجوداً اصطلاحياً

ولو كان هذا السجود هو ما يعنون لكان خاتم الانبياء وسيد المرسلين خليفاً به ، ولكن أحق بأن يسجد الناس له وأن يسجد له الصحابة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك وهو ممنوع بالاتفاق وباعتراف هذا الرافضى . بل انه ﷺ أنكر السجود له وأنكر ما هو أقل من السجود ، والمسلمون متفقون على أن من سجد للرسول أو لغيره من الخلق فقد ارتد وأن مأواه النار وبئس القرار

وقد يقرب ما نقول ويقويه أن يوسف عليه السلام كان رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين ، فلما سجد أبوه وبنوه وأمه له قال هذا تأويل رؤياى فى سجد الكواكب والشمس والقمر ، وسجد الكواكب والشمس والقمر لا يمكن أن يكون سجوداً اصطلاحياً ولا ريب . فالسجود الذى هو تأويل سجود الكواكب والشمس والقمر من القريب المتبادر أن يكون كذلك أيضاً ، أى أن يكون سجوداً على غير الشكل المعروف الذى هو وضع الجبهة على الأرض ، وقد قدمنا أن سجود النجوم وما لا يعقل معناه الخضوع والالتقياد فكذلك سجود هذه الكواكب وسجود الشمس والقمر وكذلك سجود يعقوب وبنيه وزوجه الذى هو تأويل رؤيا يوسف

هذا . وما يقال فى سجود يعقوب يقال فى سجود الملائكة ، فما زعمه هذا الرجل من أن هذا السجود كان سجود عبادة زعم لم يقم عليه من الدليل غير أنه يسمى سجوداً . ولكننا ذكرنا أن السجود فى كلام العرب قد يكون غير عبادة وقد يكون غير وضع الجبهة على الأرض ثم يقال أيضاً ان فى هذا رداً كافياً عليه لو تفتن ، ووجه هذا أنه مسلم بأن

السجود لغير الله اليوم كفر وخروج من الاسلام ، ولا أحسبه ينازع في هذا وإن نازع فهو لن ينازع في أنه ضلال وحرام لأنه قال « ان المسلمين مجمعون على أن السجود لا يجوز لغير الله » وغير الجائز دائر بين أن يكون محرماً وأن يكون كفراً وشركاً وإذا كان ذلك كذلك قيل له إذن يجوز أن يكون الأمر الواحد في بعض الأزمان لبعض المخلوقين جائزاً ولا ريب ، بل ويكون عبادة لله وطاعة ثم يكون في أزمان أخرى لأشخاص آخرين حراماً معصية بل وشركاً بالله وكفراً . وإذا كان كذلك قيل له إذن لا مانع من أن يكون الخضوع والتذلل والدعاء والتدعاء لبعض الناس وبعض المخلوق حراماً معصية بل كفراً بالله وشركاً ، ثم يكون ذلك في وقت آخر لأشخاص آخرين ومخلوق آخر في حالات أخرى جائزاً لا بأس به بل طاعة مثاباً عليها . وإذا كان ذلك كذلك قيل له إذن لا مانع من أن يكون دعاء الأموات والاستغاثة بهم والخضوع لهم حراماً ممنوعاً وشركاً وإن كان ذلك جائزاً مشروعاً في حق الأحياء وفي حق من هم قادرون على ما سألوه فإذا ما وصلنا الى هذه النتيجة - ولا بد أن نصل اليها - وسلمها ولا بد أن يسلمها ، قيل له هذا خلاف قولك لأنك تقول في كتابك هذا في مواضع كثيرة إذا كان هذا الأمر مثل الاستغاثة شركاً وحراماً إذا ما طلب من الأموات فلا بد أن يكون شركاً وحراماً إذا ما طلب من الأحياء ، وإذا كان جائزاً أن يطلب من الأحياء فلا بد أن يكون جائزاً من الأموات ولا يجوز غير ذلك . لأن الشيء الواحد إذا كان قبيحاً في وقت وجب أن يكون قبيحاً في كل وقت وإذا كان حسناً في وقت وجب أن يكون حسناً في كل وقت ، وإذا كان شركاً في حالة وجب أن يكون شركاً في كل حالة ، وإذا لم يكن شركاً في حالة وجب ألا يكون شركاً في حالة من الحالات . وهذه الحجة يكررها ويديها ويعيدها في كتابه . ولكن ما ذكرناه هنا ينسفها من أساسها نسفاً ويقوض دعائمها سواء أقال ان السجود اليوم لغير الله شرك أم قال انه حرام دون

الشرك ، فالحجة قائمة على الفرضين والتقديرين ، إلا أن يلجأ الى القول بجواز السجود لغير الله في هذا العصر ، ولكنه يقول إن المسلمين مجمعون على أنه لا يجوز السجود لغير الله ، ويقول كما سلف إن اجماع المسلمين حجة شرعية يجب احترامها . فهو حينئذ قائل أحد أمرين : قائل ان السجود لغير الله حرام فقط ، أو قائل انه شرك وكفر . فان قال بالأول وما أظنه يجرؤ على القول به - لأنه باطل بالاجماع - قيل له أليس الحرام قبيحاً في أثناء كونه حراماً ؟ فلا بد أن يكون جوابه نعم ، فيقال له حينئذ قد يكون الشيء الواحد في وقت قبيحاً حراماً وفي وقت آخر حسناً حلالاً ، فلا مناص من الاعتراف بهذا ، وإن قال بالثاني أى إن قال بأن السجود لغير الله شرك وكفر فقد أتى السلاح وسلم بكل فمه ، فهو محجوج على الفروض كلها وليعلم أن هذا خلاف أصول الشيعة الضارين على أعقاب الممتزلة في التقييع والتحسين العقليين

وقوله « وعلم من هذا أن مطلق التعظيم والمخضوع ليس قبيحاً ولا كفراً أو شركاً » تقول في جوابه إننا لم نقل ان مطلق ذلك شرك وكفر ولا قبيح ولا حرام

(سادسا)

قوله « وقد ورد إطلاق العبادة على دعاء الله بقوله تعالى « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » وقوله ﷺ « الدعاء مخ العبادة » تقول في جوابه لا ريب أن العبادة إذا ما ورد ذكرها في القرآن أو في السنة مطلقة كقوله « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وقوله « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » وقوله « فاعبد الله مخلصاً له الدين » وقوله « عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً » وقوله « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله .. الى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله » وقوله « والى

مدن أخام شيعياً قال يا قوم اعبدوا الله « وقوله » وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون « ونظائر ذلك من آى الكتاب العزيز . فلا ريب أن العبادة إذا أطلقت كما أطلقت في هذه الآيات تضمنت الدعاء وغيره من أنواع العبادة كالصلاة والصيام والحج والزكاة والصدور وسائر الأعمال والأقوال التى يزدلف بها المسلم الى الله ويلتمس بها رضاه ، ولا يمكن أن تكون هذه الآيات تخص معنى دون معنى من هذه المعانى ، فلا يمكن ألا يكون من ضمن العبادة المطلقة في هذه الآيات الصلاة أو الصيام ، أو الاستغفار أو التضرع أو الخشية أو الدعاء ، كما لا يمكن ألا يكون من ضمنها النداء والمناجاة بل ذلك كله داخل في معنى العبادة المطلوبة للأمور بها ، ولا يختلف المسلمون في ذلك ، ولا يقول أحد منهم ان هذه العبادة المطلوبة في القرآن ليس منها الدعاء والمناجاة ، بل علم الناس بأن هذه الأمور منها علم ضرورى لا يقبل الخلاف والنزاع ، ولا يختلف أن من دعا الله وأسعن في دعائه ونداءه وأكثر من نداءه فقد أطاع هذه الأوامر بعبادة الله بالجملة ، وأن من لم يدع الله تعالى وإن قام بجميع الفرائض وآمن به الايمان الصحيح البرى فقد عصى هذه الأوامر بالجملة وترك نوعاً من أنواع العبادة ، وهذا أمر لا يسمو اليه خلاف

العبادة في الشرع - أي في القرآن والسنة وأقوال العلماء - هي عند الإطلاق كل ما يحبه الله من الأقوال والأفعال وما يقرب اليه تعالى كالمراقبة والخشية والخشوع والخضوع والخوف والرجاء ونظائر ذلك ، ولا يختلف الناس أن من دعا الله فقد قام بجزء من العبادة المأمور بها ، بل ولا يختلفون أن الدعاء من أفضل أجزاء العبادة كما جاء في الحديث الذى ذكره الشيعى وهو قوله ﷺ « الدعاء من العبادة » وفي رواية « الدعاء هو العبادة » وذلك لشرفه وسمو منزلته حتى كأنه خلاصة العبادة وأطيبها ولا يختلف الناس أيضاً أن الدعاء والنداء كانا من أجزاء عبادة المشركين للأصنام وأنه اذا ما قيل « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم » أو قيل « والذين

اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » أو قيل غير ذلك من الآيات والأخبار المصرحة بأن المشركين كانوا يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله ، تناول دعوتهم الأصنام بلا خلاف ، وقد ينص القرآن والسنة نصاً جلياً على أن الدعاء عبادة ، وحينئذ ينحسم النزاع ، وذلك كقوله تعالى « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » فان هذه الآية نص جلى على أن الدعاء عبادة وعلى أنه من أفضل أجزائها وأشرافها وكذلك الحديث القائل (الدعاء مخ العبادة) وللقائل فى الرواية الأخرى (الدعاء هو العبادة)

وأما قول هذا الشيعى « انه لا يراد بالدعاء هنا النداء وأن المراد نداء الله وسؤاله والقيام بفاية الخضوع والتذلل وإنزال الحاجات به على أنه للفاعل المختار والمالك الحقيقى لكل الأمور المتصرف فيها . فمن دعا مخلوقاً كذلك فقد عبده ، أما من دعاه ليشفع له فلا يكون عابداً له ولا فاعلاً مالا يحل » فنقول فى جوابه : لا شك فى بطلان هذا وخروجه عن السبيل الصحيح ، فان هذا الذى زعمه ليس من معانى الدعاء يقيناً ، فان العبد يدعو الله بضراعة وخشية فازعاً اليه فيكون عابداً له ويكون دعاؤه إياه عبادة وهو غافل عن هذه المعانى التى ذكرها الشيعى ، نعم لا خلاف أن بعض هذه الأمور التى ذكرها عبادة ولكنها عبادة مستقلة غير الدعاء وبعض هذه الأمور التى ذكر ليست عبادة مطلقاً ، وذلك كالإيمان بأنه تعالى الفاعل المختار والمالك الحقيقى والمتصرف فى كل شيء ، فان هذه الأمور ليست عبادة وليست من أجزاء العبادة ، ومن آمن بها لا يقال له انه عبد الله أو عابده ، ونحن نعلم أن الشيطان مؤمن بذلك إيماناً لا شك فيه ، ولا يجوز مسلم أن يدعى أن الشيطان يعبد الله بهذا الإيمان ويؤدي اليه عبادة ، وكذلك كثيرون من الكفار والضلال يعلون هذه الأمور لله ويؤمنون بها له تعالى ولكن لا يقال انهم يعبدون

الله إلا اذا عملوا له تعالى أعمالا صالحة

فهذه الأمور ليست عبادة ولا ريب ، ولكن لا بد من الايمان بها والاعتراف
 لله بحجوماتها ومن لم يؤمن بها لم يكن مؤمنا وإن عبد الله أنواع العبادة ، فالعبادة
 بدون ذلك لا تقبل فهي شرط في قبول الأعمال وإن كان الايمان بها ملازماً
 للعمل ، ولا يمكن أن يعمل لله إلا من آمن له بذلك ، ولكن هذا كالاقرار مثل
 بوجوده تعالى ، فليس بممكن أن يعمل أحد لله عملاً خالصاً لوجهه إلا اذا آمن
 بوجوده ، ولكن هل يقول أحد من الناس ان الايمان بوجوده عبادة له أو يقول
 انه من أجزاء العبادة ؟ كلا . فان هذا شيء وذلك شيء آخر ، فما أمران متباينان
 فقول الشيعي ان العبادة عبارة عن مجموع هذه الأشياء قول لا يوافقه عليه أحد من
 أهل العلم والرفق ، ولن يجد له شاهداً من كلام العرب أو من رواية أئمة اللغة
 ونقلتها . ثم يقال ان ما قاله هنا يدل على أن من دعا مخلوقاً مؤمناً بهذه الأمور كلها
 أى مؤمناً له بأنه الفاعل المختار والمالك الحقيقي لأمور الدنيا والآخرة والمتصرف
 فيها كما يشاء ثم قام له بغاية الخضوع والتذلل وأنزل حاجات الدنيا والآخرة به . فمن
 دعا مخلوقاً على هذا النحو كان عابداً له حسب قوله ، وأما من دعاه على نحو أقل
 من هذا النحو وأضال فليس عابداً له حسب ظاهر قواه ، فمن دعا مخلوقاً بغاية
 الذلة والخضوع والخشية والهيبه وسأله حاجات الدنيا والآخرة واعتقد بأنه قادر
 على إعطائه ومنعه وعلى ضره ونفعه واعتقد أنه فاعل مالك ومتصرف إلا أن ذلك
 الملك والتصرف والفعل أمور محدودة ليست مطلقة ، فليس بما يد له وليس مشركاً
 بالله بل لا يكون عابداً له حسب قول هذا المصنف حتى يجعله في المنزلة التي يجعل
 المسلمون الله بها من العظمة والقوة وسعة السلطان واتساع الملك وإطلاق القدرة ،
 أما من دعا مخلوقاً ، وقام له بغاية الذلة والخضوع والضرعة والطاعة والهيبه والخشية
 معتقداً بأنه فاعل وقادر ومالك ومتصرف إلا أن ذلك كله محدود بمحدود المبودية

وحدود الألوهية فليس بكافر ولا مشرك ، وهذا الزعم في غاية الفظاعة والفراية وفي غاية الخروج على الاسلام والاساءة الى الله والى الدين ، ولو كان هذا القول حقاً لما كان عباد الأصنام والآوتان ولا عباد الأشجار والأحجار مشركين ولا كافرين ، فان هؤلاء القوم ما كانوا يعتقدون أن آلهتهم هي الفاعلة المتصرفة المختارة بلا حد ، بل هؤلاء المشركون يعلمون بأن الله من وراء هذه الأصنام والآوتان ويعلمون بأنه المالك لما المتصرف فيها نفسها كما يشاء ، وأنها لا أمر لها ولا سلطان معه تعالى ، وأنه غالب عليها وعلى أمرها وأمر عبيدتها ، فهم يعلمون ذلك كله ، وقد اتخذوها لتقربهم الى الله زلفى ولتشفع لهم عنده تعالى ، وما كانوا يسوونها بالله التسوية التامة أو يرونها الله عز سلطانه وشأنه ، وهذه أمور لا يختلف فيها العلماء من المفسرين والمؤرخين ونقل الأخبار وجهابذة الفقه والحديث ، ولا يختلف هؤلاء أن شرك المشركين لم يكن بجمع هذه الأمور كلها للأصنام والآوتان فما قاله هذا الشيعى ان يوافقه عليه أحد لا من المسلمين ولا من غير المسلمين العقلاء . . .

أما الكلام على الشفاعة وطلبها من الأموات فنرجى القول فيه الى المواضع الخاصة به

(سابعاً)

قوله « فظهر أنه ليس كل ما يطلق عليه اسم العبادة موجباً للشرك والكفر اذا وقع لتعير الله بل ولا محرماً ، الا أن ينص الشارع على تحريمه كالسجود للشمس والقمر للنهي عنه في القرآن والسجود لتعير الله المتفق على تحريمه » الى قوله ما يسمى عبادة وخضوعاً - قول فاسد أيضاً باتفاق كلمة المسلمين وبنص الكتاب والسنة . فان القرآن قد نص في غير ما آية على أن العبادة كلها حق الله وحده وقد نهى في غير

ما آية عن عبادة غيره تعالى فقال تعالى : « وقفى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » وقال « أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وقال : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله » وقال « فاعبد الله مخلصاً له الدين » وقال « بل الله فاعبد » إلى غير ذلك من آيات الكتاب الحكيم . وهذه نصوص تحرم بصراحة عبادة غير الله على أية حال كانت العبادة ، وتنادى أن العبادة لله وحده لا شريك له وأنها حق الله المفرد . وقد اتفق على ذلك المسلمون قاطبة ، فانهم لا يختلفون في أن كل عبادة لغير الله شرك وخروج من دائرة الاسلام . لا يخصصون بهذا القول نوعا دون نوع ولا عبادة دون عبادة . وما أجازوه لغير الله من التعظيم وما يدخل في هذا لا يسمونه عبادة ولا يجوزون أن يسمى عبادة بل لو علموا أنه عبادة لعلموا أنه لا يجوز إلا لله وحده ، وعلموا أن صرفه لغيره تعالى خروج من الاسلام ، وذلك لاتفاقهم ولعلمهم الضروري أن عابد المخلوق مشرك بالله . ولعلمهم بأن الأنبياء جميعا جاءت بأفراد الله بالعبادة وتخصيصه بها لا يخرجون من ذلك قسما دون قسم ولا جزءا دون جزء . ولأن يجد النقيب في كلام المسلمين أن عالما من علمائهم قال بجواز بعض أنواع العبادة للمخلوق كما يدعى هذا المخلوق ، ولا قال أحد منهم إن العبادة أنواع بعض أنواعها لله وحده وبعضها مشاع بين الله وبين عباده وبعضها من حق عباده وحدهم كما يدعى هذا المخلوق . ونحن نطالب هذا الشيعى أن يدلى بكلمة واحدة عن واحد من علماء المسلمين أنه قال بجواز صرف بعض أنواع العبادة أو صرف شيء مما يسمى عبادة لعبد من عباد الله . ولن يظفر بشيء من ذلك ولعل أعجب الأمور أن يدعى بأن العبادة ليست لله وحده ، وأن المخلوقين تجوز عبادتهم . وكم لطائفة الشيعة من أحداث ورزايا في الاسلام وعلى أهل الاسلام ، ودعواه هنا بأنه لا يحكم بأن شيئا مما يسمى عبادة شرك إذا جعل لغير

الله بل ولا حرام حتى ينحصه الشرع بالتحريم يقضى بأن تكون الصلاة للمخلوق جائزة . وكذا الصيام والحج والتذوق والركوع وغير ذلك . ويقضى بأن من صلى وركع وصام وحج ونذر وذبح وحلق رأسه ونسك لرسول أو ولي أو صنم أو وثن لا يكون مشركاً ولا فاعلاً حراماً . وذلك لأننا لا نعلم دليلاً خاصاً فيه مقنع لهذا الشيعي يدل نصاً على تحريم هذه الأمور لغير الله فضلاً عن أن نجد دليلاً ينص على أن جعلها لمخلوق يكون شركاً وكفراً . فلا ريب أن من لم يقل بأن العبادة لله وحده لا شريك له يلزمه لزوماً لا انفكاك له منه أن يقول إن المصلي والصائم والحاج والناسك لغير الله غير مشرك وغير آثم ، وقول يلزمه أن يبيح الصلاة والصيام والحج والنسك لغير الله ، قول يرغب العاقل المسلم بنفسه عنه بل هو قول يستوجب لصاحبه الرثاء والعطف

وقوله « إلا أن ينص الشارع على تحريمه كالسجود للشمس والقمر المنهى عنه في القرآن » دليل على أن القرآن عنده لا يدل وحده على تحريم السجود لغير الشمس والقمر من الأوثان والأصنام ومن الأنبياء والأولياء . فلا يدل القرآن عند الشيعي على أن السجود والركوع للأنبياء والأولياء والأحجار والأشجار والأصنام والأوثان شرك ولا حرام . ولزعمه أن القرآن لا يدل على تحريم هذا يلجأ في تحريمه إن كان صادقا يزعم تحريمه لغير الله إلى الاجماع لا إلى القرآن والسنة ، وإذا لم يكن القرآن دالا على تحريم السجود للأصنام والأوثان والأحجار والأشجار وجميع العباد فعلام إذن يدل ؟ أيكون القرآن دالا على كل شيء ولكل شيء حتى على الضلالات كلها وعلى الخرافات والأمور المكفرة كما زعم هذا المصنف في ما قدمنا ثم لا يكون دالا على تحريم السجود للأنبياء والأولياء والأصنام والأوثان ؟ الله أكبر على هؤلاء المعرضين عن الله وعن دينه ورسوله و عما جاءوا به من العلم والهدى

وليعلم هذا أن أناساً ممن ينتسبون إلى الملة يسبحون السجود لغير الله بل ويسجدون هم لأشياخهم ومن يعظمونهم ، وقد أثبت التاريخ الجدد أن خلفاء الفاطميين وكانوا من المظهرين التشيع يلزمون الناس السجود لهم ، وكانوا أحياناً يقضون بالموت الناجز على من لم يسجد لهم عند ظهورهم ، وهؤلاء الفاطميون عند هذا الشيعة من أفضل المسلمين ، فالمسلمون على زعمه لم يتفقوا على تحريم السجود لغير الله ، ونعني بالمسلمين المنتسبين إلى الاسلام ، فعلم يعتمد في تحريم السجود لغير الله وبأية حجة يقول ذلك وهو لا يرى في القرآن دليلاً واحداً على أن ذلك حرام ؟؟

على أن الشيعة في الواقع لا يستندون بالاجماع ولا يحتجون به ، وإنما الحجة عندهم في قول المعصوم المختفي : ونحن نعلم يقيناً أنه لا معصوم حسب ما تزعم الشيعة فلا حجة في الاجماع ، فلا دليل إذن على تحريم السجود لغير الله ، وهو حينما ذكر فيما مضى أن الاجماع حجة وأراد أن يذكر دليلاً لم يذكر له من الدلائل إلا حديثاً واحداً وإمياً ضميماً فأنى يكون الاجماع حجة بمثل ذلك الحديث الضعيف ؟؟ وليعلم إن كان يعتمد على الاجماع حقاً أن طلب الأموات مالا يقدر عليه إلا الله كسؤالهم الشفاء وهداية القلوب وغفران الذنوب أمر مجمع على تحريمه ونجم على أن فاعله لا نصيب له في الاسلام . ودليل الاجماع على تحريم السجود لغير الله عنده هو دليل الاجماع على تحريم طلب الأموات هذه المطالب العالية عندنا . فاما تحريمها وما وإما إحلالها معاً . والتفريق بينهما تحايلاً وتحريماً باطلاً لا وجه له . فليعلم هذا

وقوله « إذا فرض ورود النهي عن عبادة غير الله فما علم أنه من المنهى عنه حرم وما لم يعلم لم يلحقه الحكم » قول غريب . فما معنى الاقتراض هنا ؟ أفلم يلقه قوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » وقوله « أمر ألا تعبدوا إلا إياه »

وقوله « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله » إلى غير ذلك وأما التكفير ^(١) والانحناء اللذان يصنعهما الاعجاب والتعظيم والا كبر فلا يحل عملها لغير الله . فان التكفير هيئة من هيئات الصلاة وجزء من أجزائها والصلاة كلها وأجزاؤها كلها لله وحده . ليس لغير الله منها قليل ولا كثير . والصلاة كلها عبادة لله والعبادة جميعها لله لا شريك له . ولو جاز التكفير وهو أحد أجزاء الصلاة لغير الله لجازت الصلاة كلها لغير الله ، ولو جاز هذا الجزء من الصلاة لمخلوق لجازت الأجزاء الأخرى كالسجود والركوع والقيام والقعود والجلوس كهيئة التشهد وعامة أجزاء الصلاة ، ولو جازت أجزاء الصلاة كلها لغير الله لجازت الصلاة كلها بالصفة التي تكون لله ومن صلى لغير الله كفر بإجماع المسلمين وإجماع العقلاء من غير المسلمين . ومثل هذا يقال في الانحناء فانه عند الأعاجم ركوع ، والركوع من أجزاء الصلاة أيضا . وما قيل في التكفير يقال في الانحناء فهما سواء ، ومن الجهل الفظيع يدين الله القول بمجاوز الركوع والتكفير لغير الله . ولقد كان عليه السلام يكره القيام له ويكره من أصحابه أن يقوموا عند مجيئه . فكانوا يعلمهم كراهته ذلك لا يقومون له . بل لقد أنكر على الذين صلوا خلفه قياما وقال « إن كدتم أن تفعلوا اليوم فعل قاري ، والروم . فلا تفعلوا » وقد روى ذلك مسلم في صحيحه كما قدمنا . وقد نهى أن يوطأ عقب الرجل أي أن يسير الناس خلفه تعظيما وإكبارا رواه عنه عليه السلام ابن ماجه ، فاذا كان ينهى عليه السلام عن ذلك ويكرهه أفما يكون من الجهل الشنيع القول بمجاوز الركوع والتكفير للمخلوق والاسلام جاء بل الأديان كلها باخلاص الدين وإسلام الوجوه والقلوب لله رب العالمين والنأي الشديد البعيد عن غير الله وعن كل مافيه رائحة العبادة أو صورتها أو محاسنها . وكفى قوله تعالى « وقوموا لله قانتين » وقوله « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي

(١) التكفير . هو الوقوف مع وضع الكف الأيمن على الأيسر هيئة المصل

وعما أتى الله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » وقوله « فاعبد الله مخلصا له الدين ألا الله الدين الخالص » وقوله « فلا تخشوا الناس واخشون » ونظائر ذلك من الحث على أن يكون العبد خالصا لله قلبه وقالبه ، وروحه ووجهه وظاهره وباطنه وكل شئ فيه ومنه ، وكفى في هذه الآيات الصريحة البينة من الخوض على أن يكون المرء عبد الله وحده ، وأن يوحده وحده كما خلقه هو وحده ، وألا يكون لنيره تعالى حفظ فيه ولا في عبادته ولا في أعماله وأقواله ، كما لم يكن لغير الله تعالى حفظ في خلقه وإيجاده وهبته كل ما يتمتع به من معنويات وماديات وأن يكون اختياره كله لله تعالى كما كان اضطراره كله لله

وأما رفع اليد وكشف الرأس عند الاقترنج فهذان العملان ليسا من الأعمال الخاصة بالعبادة فلا يحرم من هذه الناحية ، وإن حرما فن ناحية التشبه بالأعداء فإن التشبه بالأعداء منهي عنه شرعا ، وذلك لأن فيه انسلخا من القومية وركونا ولو صوريا إلى الأعداء الذين لا يريدون بنا إلا الهلاك وما هو شر من الهلاك ، وفي الركون إليهم ولو صوريا اعلاء لشأنهم واعزاز معنوي يتلوه اعزاز حسي لهم واعزازهم هم يلزمه ولا ريب الاضعاف لنا والتهوين لشأننا معنويا وماديا ، والامة لن يقوم لها شأن ما دامت تبهين من شأنها وتحتقر نفسها ولو في الامور العادية الصورية ، وإن أمة تزهد في مقوماتها وشخصيتها وترغب في محاكاة غيرها ومحاكاة أعدائها وفي مقوماتهم وعاداتهم لا ينتظر لها إلا الانحدار والهوى الأبدى في أعماق الضعة والدرجات السفلى ، فن يعتبر من الناس المتنوعين الخسوسيين بأعدائهم وبقتليدهم

(ثامنا)

قوله « ان الذي علم من الكفريات ثلاثة أمور الأول اعتقاد المساواة لله في

جميع الصفات واعتقاد شيء من الاشياء هو الله أو اعتقاد حلول ذات الله في ذات مخلوق ، ثانيها إنكار الشرائع وإكذاب الرسل ، ثالثها عبادة الاوثان من السجود والنحر والذبح لها وذكر أسمائها على الذبائح وطلبها بدمائها وتعظيمها باعتقاد استحقاتها ذلك استقلالاً واعتقاد أن لها تدبيراً واختياراً ، قول باطل لا يوافق عليه أحد من أهل الملل ، فإن المكفريات سوى ما ذكر كثيرة جداً ولا ينازع فيما قوله أحد من أهل البصر بالاديان والمقولات

أما المكفر الأول عنده وهو الاعتقاد أن شيئاً مساوٍ لله في جميع الصفات أو الاعتقاد أنه هو الله أو أن الله حال فيه ، فما يقول في من اعتقد بأن مخلوقاً مساوٍ لله في بعض الصفات لا في جميعها ، كأن يعتقد بأن مخلوقاً مساوٍ لله في صفة العلم فقط ، أو صفة القدرة فقط ، أو صفة الإرادة فقط ، أو في القدم أو في البقاء ، أو في الكمال والبرادة من النقص ، أو في صفة السمع والاحاطة ، أو في صفة من صفاته تعالى ؟ أفلا يكون ذلك المعتقد كافراً خارجاً من الملة باعتقاد جميع أهل الملة بل باعتقاد أهل الملل جميعاً ؟ ولكن كلام هذا الشيعي نص صريح في أن المعتقد لا يكفر حتى يعتقد أن مخلوقاً مساوياً لله في جميع الصفات لا في بعضها ، ولا ريب أن هذا باطل

وأما المكفر الثاني عنده ، وهو إنكار الشرائع وإكذاب الرسل ، فما يقول في من أنكر بعض الشرائع وأكذب بعض الرسل لا كل الشرائع ولا كل الرسل ؟ أفلا يكون ذلك لديه من الكافرين المالكين ؟ وما يقول في من أنكر بعض شريعة من الشرائع ، مثل أن ينكر أمراً واحداً من أمور الشريعة الإسلامية الثابتة في القرآن صراحة كالصلاة والحج والزكاة ونحو ذلك ؟ أفلا يكون ذلك لديه من المالكين البعدين وإن آمن بعد ذلك بسائر الشرائع وبالشريعة الإسلامية كلها ما خلا تلك المسألة المفروضة بل وإن أدى جميع الفروض على أنم الوجوه وأصحابها ؟

ان قوله هنا نص جلى فى أن ذلك لا يكفر ما لم ينكر جميع الشرائع ويكذب جميع الرسل ، وهذا باطل بالضرورة

وأما الكفر الثالث عنده وهو السجود والتحر والذبح والتعظيم للأوثان باعتقاد استحقاتها ذلك لرفعتها الذاتية وباعتقاد أن لها اختياراً وتديراً ، فإقول فى من سجد ونحر وذبح وعظم الأوثان على نحو غير الذى ذكره هو ، مثل أن يفعل ذلك لها على اعتقاد أن الله أمر بذلك وطلبه من عباده فهو يرضيه ويريده منهم لا على اعتقاد أن لها تديراً واختياراً ورفعة ذاتية مستقلة ؟ أفىقول ان من يسجد للأوثان يذبح وينحر ويمظم بل ويصلى ويمحج ويصوم ويعمل الأعمال الأخرى لائمه الكفر حتى يعتقد أن لها تديراً واختياراً ورفعة ذاتية وحتى يعتقد أنها تستحق ذلك بالاستقلال لا بالشرك مع الله ولا بفرض الله ذلك لها ؟ ان كلام هذا الشيعى نص فى أن ذلك ليس كفراً ، ولكنه على الرغم مما زعم باطل بالضرورة وبالاجماع وبالنص ، ولا يختلف المسلمون فى أن من سجد لوثن أو ركع له أو عظمه أو ذبح ونذر له أو ذكر اسمه على ذبيحته فقد ارتد سواء اعتقد أن لذلك الوثن تديراً واختياراً أم اعتقد أنه صنم من الأصنام لا يقدم ولا يؤخر ولا يريش ولا يبرى . ولا يختلف المسلمون أن المشركين الذين أبوا الاسلام والايمان برسول الله ﷺ أو جمهورهم ما كانوا يعتقدون هذه الأمور جميعها لأصنامهم وأوثانهم ، ولا يختلفون أيضاً أنهم أو أكثرهم كانوا بالجملة يعلمون أن الله خالق أصنامهم وما يعبدون ، وأنهم ما كانوا يعبدونهم إلا لأجل أن يقرّبوهم الى الله خالقهم وربهم الأعلى ، والقرآن ناص على ذلك فى آيات كثيرة معلومة

على أن كلامه هنا باطل ضعيف على جميع الافتراضات والحالات ، وذلك أن الذى يعتقد هذه الأمور التى سادها هنا لصنم أو وثن ثم يذبح ويسجد وينحر ويعظم لذلك الوثن أو الصنم ويكون ذلك المعتقد الذابح الناذر الساجد كافراً عند

هذا الشيى فكفره إما أن يكون لأجل اعتقاده أن لهذا الوثن تدبيراً واختياراً واستحقاقاً ورفعة ذاتية ، وإما لأجل سجوده له وذبحه ونذره وتعظيمه وذكر اسمه على الذبيح ، وإما أن يكون لأجل الأمرين معاً . فإن كان كفره عند الشيى لأجل هذا الاعتقاد لم تكن هنالك فائدة فى اشتراطه الكفر بهذه الأعمال من السجود والنذر والنحر بل يكون حينئذ هذا الاشتراط لاغياً باطلاً مفسداً للمعنى الذى عنه ، وكان الواجب الصحيح أن يقول حينئذ ان من اعتقد التدبير والاختيار للأوثان واعتقد استحقاقها ذلك استقلالاً كفر على جميع الفروض سواء أعمل لها شيئاً أم لم يعمل شيئاً ، وسواء أسجد لها أم لم يسجد ، ولا ريب أن من اعتقد هذه العقيدة فى وثن من الأوثان فقد كفر بلا قيد ولا شرط

وأما إن كان كفره عنده لأجل عمله هذه الأعمال من السجود والنذر والذبح والتعظيم للأوثان لم تكن هنالك فائدة فى تقييد ذلك بالاعتقاد المذكور ، بل لم يكن من الصحيح الحق تقييده به ولا بغيره ، وكان الصحيح الواجب أن يقول ومن سجد للأوثان وعظمها ونذر لها وذبح وذكر أسمائها على الذبيح كفر سواء اعتقد غير ذلك فيها أم لم يعتقد ، أما تقييد هذا بالاعتقادات التى ساقها فانه يفسد عليه المعنى الذى أراده بكلامه ، وإذا ما افترضنا أن هذا هو ما يريد بقوله هذا قيل له إذن قد أقررت أن السجود للأوثان والتعظيم والنذر والذبح وذكر أسمائها على النحائر كفر وخروج من الاسلام على كل الوجوه سواء اعتقد الفاعل غير هذه الأعمال للصنم أم لم يعتقد شيئاً ، وإذا كان ذلك كذلك ، وإذا أقر بأن الأعمال للأوثان كفر قيل له ما تقول فى من عمل هذه الأعمال لرسول أو ولى أو عبد من عباد الله الصالحين الأموات أقول انه كفر كما قلت فى من عملها للأوثان أم لا أقول ذلك ؟ فإن قلت بالكفر أو فإن قال بالكفر قيل له إذن أقررت بالحقيقة ، وهى أن تعظيم الأموات والنذر والذبح لهم والمكوف على قبورهم شرك بالله وردة عن

الاسلام ، وهذا أكبر موطن الخلاف بين الشيعة وبين من كتب محاولا الرد عليهم ، وأما ان قال بالسلب ، أى ان قال ان عمل هذه الأمور للأنبيا والأولياء والصالحين الأموات ليس كفراً وليس مخالفاً للدين بل هو طاعة وقرب الى الله ، قيل له اذا كانت هذه الأعمال للأوثان عبادة لها وشركاً بالله العظيم فكيف لا تكون كذلك اذا عملت للأنبيا والأولياء ؟ أو ليس الشرك شركاً سواء أ كان لملك مقرب ونبي مرسل أم لحجر وشجر ؟ وهل عبادة غير الله تجوز للأولياء والأنبياء ولا تجوز للأحجار والأشجار ، وهل يتفق هذا مع سائر أقوال الشيعة في كتابه ومع قوله في الأمر الخامس عشر ان الأحكام على الأشياء لا تغير الموضوعات ؟ واذا كان ذلك كذلك كان جائزاً حينئذ أن يكون الأمر الواحد عة شركاً وتارة إيماناً باختلاف محله وزمنه لا باختلاف ماهيته ومادته وكان جائزاً أن تكون الصلاة للرسول والولى إيماناً بالله وإغيرهما ممن ليس رسولا ولا ولياً كفراً بالله وأن يكون دعاء الرسول الكريم والاستغاثة به والضراعة اليه ، وتقديم النذور والقراين الى قبره إيماناً وطاعة لله ، وأن تكون هذه الأشياء نفسها لو كانت لمن هو دون الرسول منزلة وقدر ككفر وشركاً بالله ، وأن يكون الحج الى بيت معلوم كبيت الله الحرام طاعة وقرباً الى الله ، وأن يكون الى غيره كالقبور والمشاهد معصية وخروجاً من حدود الدين ودائرة الاسلام ، بل وأن يكون الطواف ببعض الاماكن إيماناً واسلاماً كالطواف ببيت الله وبين الصفا والمروة وأن يكون الطواف بالاماكن الاخرى كفراً كالطواف بالاضرحة والمشاهد والقبور ، وأن يكون الحلف بمخلوق إيماناً وديناً ويمخلوق آخر كفراً فيكون مثلاً الحلف بالرسول من الاسلام والتقى وبغيره كالخلف بأبي بكر وعلى والحسن والحسين وبالكمة والمساجد كفراً بالله ونظائر ذلك . وهذا كله خلاف رأى هذا الرجل وخلاف ما كتب في كتابه فما هو فاعل ؟

ويقال بأسلوب آخر أقرب إلى إصابة الغرض : إذن يجوز أن يكون دعاء الأموات والاستغاثة بهم وشد الرحال اليهم وتعظيمهم ديناً وتقوى ، واموراً جائزة وأن يكون دعاء الأموات والاستغاثة بهم وتعظيمهم وشد الرحال الى قبورهم والاقطاع اليهم كفراً وردة . وهذا ما ياباه هذا المؤلف وينكره وقد كانت حجة هذا الرجل للمردة قوله : « لو كان دعاء الأموات والاستغاثة بهم شركاً وحراماً لكان دعاء الأحياء والاستغاثة بهم كذلك ، وإذا كان دعاء الأحياء لا شرك فيه ولا مانع فكذلك دعاء الأموات . فإذا كان ذلك في إحدى الطائفتين شركاً وحراماً كان كذلك في الطائفة الأخرى . وليس يمكن أن يكون في حالة شركاً وفي حالة إيماناً . وهذا باطل » هذا معنى كلامه وهذه الحجة إن كانت صحيحة كانت حجة ضده هنا ، وإن كانت باطلة فاسدة بطلت هذه الحجة التي بها يصول ويجول ويدعى أنه اذ ظفر بها قد ظفر بالحقيقة الخالدة

هذا على الافتراضين . وأما على الافتراض الثالث وهو أن يكون الكفر عندهم بمجموع الأمرين المذكورين أي باعتقاد التدبير والاختيار والاستحقاق والرفعة الذاتية للأوثان ، ثم بالسجود والنذر والذبح والتعظيم لها ، فيقال على هذا الافتراض انه باطل ولا شك في بطلانه كما قدمنا فان أحد الأمرين كفر بالاجماع ولا يتنازع المسلمون أن من اعتقد هذه العقيدة في الأوثان فقد ارتد وان لم يعمل لها عملاً . وأن من عمل لها هذه الأعمال فقد ارتد وان لم يعتقد فيها هذه العقيدة المذكورة ، ولا أحسب الرافضى يتنازع في هذا . فهذا الافتراض باطل أيضاً فإذا يصنع ؟

ثم نقول بمد هذا في المكفر الأول وهو الاعتقاد أن مخلوقاً ما مساو لله في اننا نسبقه جداً أن يوجد مخلوق عاقل يؤمن بالله يزعم أن مخلوقاً ما مساو لله

في جميع صفاته فياً واثباتاً ويزعم أن ما يجوز على الله يجوز على ذلك المخلوق ولا يجب له يجب له وما يستحيل عليه يستحيل عليه . فهذه العقيدة ترى من البعيد القريب من المحال أن يتقلدها انسان يؤمن بالله

ومثل هذا ما يذكره بعض الناس أن من الفرق الاسلامية فرقة تزعم أن صفات الله كصفات المخلوقين . فيزعم أن الله يداً كأيدينا ومهما كأمامنا وبصرأ كأبصارنا وهم جرا . فهذا القول وإن كتب وشهر فهو على ظاهره وحقيقته باطل كذب عندى لا أظن إنسانا يدعى الاسلام والايمان يقوله ويمتدده . وهذا والله اعلم قد دخل على الناس من طريق الاشقياء والاشترار . فان قوماً يبالبون في اثبات ما جاء في النصوص من صفات الله ويحافظون على هذا الاثبات ويبالبون في المحافظة لا يرضون التأويل والتفسير بغير الظاهر المفهوم من النصوص فيثبتون لله تعالى الصفات الواردة في النصوص حقيقة بلا تأويل . فيحسب المخالفون لهم المؤولون الظانون أن هذه الصفات تقتضى التجسيم والتشبيه ان ذلك الاثبات عين التشبيه وأنه لا يمكن اثبات اليد لله إلا اذا كانت جارية مركبة من الدم والعظام والأعصاب كأيدى المخلوقين . فيروح هؤلاء يزعمون أن المثبتين يشبهون الله بخلقه حقيقة . وأنهم يقولون ان صفات العباد كصفات الاله . وهذا غلط عظيم ووم أظن طريقه ما ذكرنا

نعم هنالك قوم قالوا بالحلول حلول الاله في ذوات الخلق كقول النصارى في الله وعيسى ، وكقول طوائف من الشيعة - حدثائهم وقدمائهم - ان الله حل في ذات على وذوات ذريته . وقد كان من الخلفاء الفاطميين وهم من الملتشيعيين من يذهب هذا المذهب ويجهل به ، ويدعى حلول ذات الله في ذواتهم ، وكان الحاكم منهم ينزع هذا المنزع ويدعو اليه تصريحاً وتعريضاً ، حتى وجد من اعتقد فيه هذه العقيدة ، ويوجد اليوم من يشحله هذه الصفة ، وكان أقوام كثيرون غير هؤلاء

وهؤلاء يدينون عقيدة الحلول حلول الله في ذوات ما يبدون ويعظمون ، وهذا مشهور عن طوائف من المذبحين الاسلام المزوج بالفلسفة البوذية العاطفية العائنة ، ولكن هؤلاء المصايين بداء الحلول والانحلال تمحصر دعواهم في أن ذات الله العظيم حلت في هذا الجسم المرئي المشهود لأمر من الأمور وغرض من الأغراض ولكنهم على رغم هذا لا يقولون ان الذات الالهية الحالة في الجسم الانساني الناسوتى مثل هذا الجسم القدي حلت فيه الذات المقدسة . أنهم لا يقولون هذا القول ، وهم إنما قالوا بالحلول لأجل أن يعظموا من شأن من زعموا أن الحلول وقع في ذاته . فالتصارى مثلاً يقولون ان المسيح هو الله أو ابن الله ، وهم يريدون بهذا القول معنى قولهم حل اللاهوت في الناسوت ، وهم يقصدون إعظام أمر عيسى عليه السلام والرافضة الذين يزعمون أن الله حل في علي وولده والذين يزعمون أنه حل في الحاكم وغيره من الخلفاء ، إنما يريدون بذلك إعظام ذلك الشخص الذي افترض فيه الحلول ، ولكنهم لا يدعون أن الله مساوٍ لغيره سواء اعتقدوا حلوله أم لم يعتقدوا . فليس هنالك فيما أحسب من المؤمنين بالله من يزعم أن مخلوقاً مساوياً لله في جميع الصفات نفياً وإثباتاً

وهذا الحلول الذي جعله الشيعة أول المكفرات أول من زج به في الاسلام فيما نعلم هم شيوخ الشيعة ومخترعو المذهب الشيعي ، وهذا الرجل يسلم أن عبد الله ابن سبأ - أول واضع المذهب الشيعي - كان يدعى ذلك في علي رضي الله عنه ، وعبد الله بن سبأ اليهودي المدعى الاسلام والشيعة هو أول من زقا بالتحلة الشيعية الغالية وهو المخترع الأول لهذه الترهات الفاضحة في المذهب الشيعي المسرف ، وخلفاء الفاطميين كانوا يدعون الى ذلك ، أى الى مذهب الحلول جهرة ويدعون حلول الله جل شأنه وتقدس في ذواتهم ، والفاطميون من الشيعة في الظاهر ومن المؤمنين العلويين لدى هذا الشيعي كما ذكرهم في كتابه ، فالبينة الأول للمذهب

الشيعة لدى هذا الشيعة كفار مرقاة من دين الاسلام حسب اعترافه
وبعد هذا يقال لا ريب أن حصره المكفرات في الأمور الثلاثة التي ذكرها
هنا باطل لا يصح باعترافه هو وباعتراف كل شيعة أيضاً ، أو لا يذكر هو أنه في
الأمور الثاني عشر صفحة ١٠٢ ككفر بغير هذه الأمور الثلاثة ، فأكثر منكرو
الضروري ، والخوارج ، والمجسمة ، وهم لم يقنعوا في أحد الأمور الثلاثة التي حصر
المكفرات فيها

الامر الخامس عشر

قال الرافضي « لا شك أن الله فاوت بين مخلوقاته في الفضل : ففي الأزمته
فضل شهر رمضان على سائر الشهور وجعل فيه ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف
شهر ، وفضل يوم الجمعة على سائر الأيام . وفي الأمكنة فضل الكعبة على سائر بقاع
الأرض وتعيد الناس بالحج إليها والطواف حولها وفضل مكة والمساجد الأربعة
والمسجد الحرام على غيرها . وفي الأحجار فضل الحجر الأسود على غيره وتعيد
الناس باستلامه وتقبيله ، وفي الآبار فضل زمزم على غيرها . وفي الحيوانات فضل
الحبل على غيرها وجعل بعض دم الغزال مسكاً . وفي بني آدم فضل الأنبياء على
غيرهم وفضل محمداً ﷺ على سائر الأنبياء وفضل الشهداء على غيرهم والعلماء على
الشهداء وعلى بعض الأنبياء ، بل الشيء الواحد له فضل في حال دون حال .
فالكنيف لا فضل له وهو في منتهى الخسة ، فإذا جعل مسجداً صار معظماً عند الله
وحرّم تنجيسه ووجب تعظيمه ، وجلد الشاة يجعل نعلاً فيكون في منتهى الاهانة
ويعمل جلداً للقرآن فيكون في منتهى الاكرام والاعظام ، والرجل يكون كسائر
الناس فيعته الله بالنيرة فتجب طاعة أمره ونهيهِ ، أو ينصبه النبي بعده خليفة أو
المسلمون ، بناء على أن الامامة باختيار الأمة فيدخل في قوله تعالى « وأطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ومن هذا القبيل البقعة من الأرض تكون كسائر البقاع فيدفن فيها نبي أو ولي فتكتسب شرفاً وفضلاً وبركة ^(١) لم تكن لها من قبل الدفن ويجب احترامها وتحرم اهانتها ، ومن احترامها قصدها لزيارة من فيها وبناء القباب فوقها والحجرحولها لتقى زائريها من الحر والبرد ، وعمل الأضرحة لها التي تصونها عن كل إهانة وإيقاد المصاييح عندها لانتفاع زائريها واللاجئين اليها ، وجعل الخدمة والسدنة لها ، وتقييلها والتبرك بها ووضع الخلع عليها والمعلقات فوقها وغير ذلك ، ومن اهانتها هدمها وهدم ما فوقها من البناء وتسويتها بالأرض وجعلها معرضاً لوقوع القاذورات ووطء الدواب والكلاب والأدميين وبول الدواب والكلاب وغير ذلك . وما ورد مما يوم المنافاة لذلك مما سيأتى في محله على فرض صحته مخصوص بنهرها أو منصرف بحكم التبادر الى غيرها لما علم من الشرع من لزوم تعظيم أصحابها أحياء وأمواتاً وهذا من تعظيمهم وحرمة اهانتهم أحياء وأمواتاً وهذا منها ، وهل يشك في هذا عاقل وهو يرى أن الله جعل احتراماً لصخرة صماء بسبب وقوف ابراهيم الخليل عليها فقال « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » أفيجعل الله لمقام رجل خليفه احتراماً ولا يجعل احتراماً لمدفن جسده أو جسد سيد الأنبياء ، وإذا كان له هذا الاحترام فلماذا حرم تقييله والطواف والتبرك به والصلاة عنده ودعاء الله ، كما يصلى عند مقام ابراهيم ويدعى ؟ فان كان لتوهم أنه عبادة له كهادة الأصنام فهو توهم فاسد ؛ لأن احترام من جعل الله له حرمة احترام الله وعمل بأمر الله وعبادة وإطاعة الله ، فهو كتقييل الحجر الأسود وتعظيم الكعبة والحرم والمقام والمساجد والتبرك بماء زمزم وسجود الملائكة لآدم وإن كان لزعم ورود النهى فستعرف أنه لا نهى « انتهى كلام الشيعى . قلت والكلام في هذا من وجوه :

(١) ومن هنا يبتدىء بيت القصيد

(أولاً)

التفضيل لبعض المخلوقات على بعض قسمان : قسم منه يرجع لمزايا وجدت في المفضل دون المفضل عليه ، وذلك كتفضيل الخيل على غيرها من العجائز كالخير والبالغ والأغنام . و كتفضيل الشهداء على غيرهم ممن تعدت بهم أنفسهم عن الجهاد وعن الموت قصفاً بالسيوف وطعنًا بالرمح . و كتفضيل العلماء على الجهلاء ، وتفضيل الأنبياء على من ليسوا أنبياء . وتفضيل الأولياء الاتقياء على الفسقة والعصاة المذنبين ونظائر هذا . فهذا القسم فضل على غيره لاختصاصه بفضائل لا توجد فيما سواه استحق بها عدلاً وحكمة أن يكون مفضلاً على غيره ممن لم تقدر لهم تلك الفضائل . وهذا القسم لا كلام لنا فيه هنا ، فانه لا ينازع أحد من الناس أن الشيء يشرف ويفضل بقدر ما له من الفضائل النفسية والحاصل الحميدة الشريفة ، وبقدر ما يحده من آثار نافعة للامة والدولة والدين . هذا قسم

وقسم آخر فضل على غيره من غير أن نعرف له فضيلة ذاتية ترجع الى ذاته هو ولا مزبة فيه تقضى بتفضيله وتقديمه على ما سواه فيما يبدو . وقد يكون شيء من ذلك لم نعرفه ولم يبد لنا . والله أعلم بالسرائر والخصيات . ومن هذا القسم تفضيل يوم الجمعة على سائر الأيام . وتفضيل شهر رمضان على سائر الشهور ، وتفضيل ليلة القدر منه على سائر الليالي وتفضيل الكعبة على سائر البلاد وتفضيل المسجد الحرام على سائر المساجد وأشباه هذا . فان هذه الاشياء فضلت على غيرها لا لأجل فضيلة خصت بها ترجع الى ذاتها ونفسها حسب ما نعلم بل فضلت محض تفضل من الله ومحض اختيار لحكمة تدق على الأفكار ويسمو منالها على العقول

وقد يقول قائلون إن التفضيل لهذه الاشياء التي ذكرت وأشباهاها لم يكن عن اختيار محض وقضاء غالب صرف لا سبب له غير ذلك بل تفضيلها راجع لأمر

امتازت بها عن سواها لفضائل خصها الله بها وحدها دون ما فضلت عليه : فيوم الجمعة فضل على بقية الأيام لما امتاز به من المزايا الكثيرة . وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا يوم الجمعة » وروى القرمذى وأحمد أنه عليه السلام قال (سيد الأيام يوم الجمعة فيه خمس خصال خلق الله فيه آدم وأهبطه فيه الى الارض وتوفاه فيه . وفيه ساعة لا يسأل العبد الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً وفيه تقوم الساعة) الى غير ذلك من فضائل يوم الجمعة . ومن فضائل هذا اليوم أيضا اجتماع المسلمين فيه لصلاة واحدة ولاستماع موعظة عامة أسبوعية فيوم الجمعة فضل على أيام الاسبوع لأجل هذه الفضائل التي انفرد بها وكذلك شهر رمضان فضل على سائر الشهور لأنه أنزل فيه القرآن فيه هدى للناس وبينات . وشرع فيه الصيام والقيام وصلاة التراويح ومدارسة القرآن الكريم . وقد كان جبريل يدارس الرسول الكريم القرآن في رمضان كل عام . ولأنه أيضا خص ليلة القدر دون سائر الشهور وليلة القدر خير من ألف شهر . وفضلت ليلة القدر على الليالي لأن القرآن نزل فيها ولأن الملائكة والروح ينزلون فيها حتى مطلع الفجر كما قال تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر » وكذا فضلت مكة على غيرها لأنها جعلت مثابة للناس وأمناً فيها يقضون أمثالهم ويفسلون ذنوبهم وخطاياهم ويتطهرون فيها من أوضار المعاصي وأدناس القلوب ، يرجعون فيها الى الله خالصين من كل شيء إلا من ذكر الله والضراعة اليه وتلبية دعوته العامة والخاصة يجتمعون هناك يشكون الى ربهم عدوان ضعفهم على قوتهم وتغلب مادتهم وحيوانيتهم على انسانياتهم وروحانيتهم ، ويهربون من نفوسهم ومن طبيعتها الجائرة العادية الى تلك البقعة مهبط وحى السماء ورسالة جبريل الى محمد بن عبد الله ﷺ

ويشئون إخوانهم آلامهم وآمالهم التي تعجز موجات الأثير عن أن تقلدتها في الأذان المسئلة القصية ، يلتقي المحبون لدى ذلك المحبوب الذي يولون وجوههم مع قلوبهم شطر وجهه وسناه في اليوم الواحد واللييلة الواحدة المرات الكثيرة ، وتندور قلوبهم وأبصارهم نور ذلك المعشوق الذي لا يحول ولا يخون كل يوم ماشاء الله على حسب ما ضمنتها القلوب من شوق وهوى

وكذلك فضلت مكة لوجود بيت الله الحرام فيها ، وفضله وفضله المسجد الحرام على غيره من المساجد فضل بانيه وهو ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ولأن الله أمرهما ببنائه وتطهيره للطائفين والعابدين والركم السجود ، ولكثرة من صلى فيه من الأنبياء والأقياء والصالحين والخلفاء الراشدين ، ولأنه قبله أبصار المسلمين ومهوى قلوبهم في الشرق والغرب حينما يفتنون أفضل مواقف العبد وهو موقف الصلوات لله رب العالمين الى غير ذلك من الفضائل التي قضت بتفضيل هذه الأشياء على غيرها : إذا قال قائلون ذلك قيل لهم هذا أمر لا ريب فيه ولا خلاف . فان هذه الأزمان والأماكن المفضلة قد خصت بفضائل لم يخص بها غيرها من الأماكن والأزمان . بيد أن هذه الفضائل على كل حال فضائل ليست راجعة الى ذات هذه الأماكن والأزمان ولا الى طبيعتها ولا الى اختيارها واراقتها ، بل هي فضائل خصها الله بها محض تفضل ومنة ومحض اختيار قاهر غالب . ولا شك أن الله في ذلك حكما عالية لازمة ، ولم يكن تخصيصها بهذه الفضائل راجعا الى أمر قام بذاتها وطبيعتها قضى بتفضيلها على فاقده ذلك من الزمان والمكان ، وعلى هذا يقال ان هذه الأماكن والأزمان قبل تخصيصها بذلك كانت كغيرها ذاتا واستعدادا وطبيعة فلماذا خصت وحدها بهذه الفضائل ؟ ولو أن الله خص يوم الأربعاء بفضل يوم الجمعة لما كان لهذا مانع ، ولكن يوم الأربعاء أفضل من يوم الجمعة ، ويقال في سائر أيام الأسبوع مثل هذا ، ولو خص أحد شهور السنة بما خص به شهر

رمضان من الفضائل المذكورة مثل إنزال القرآن وإنزال الآيات البينات ومثل تخصيصه بليلة القدر لما كان هنالك مانع ولكان ذلك الشهر أفضل شهور السنة وأفضل من رمضان ، وكذلك لو خصت إحدى ليالي السنة بما خصت به ليلة القدر من الفضل لما كان ثمة مانع ولكانت تلك الليلة المفترضة أفضل من ليلة القدر وهكذا يقال فيما ذكر كله فالسؤال باق ، وهو لماذا فضلت هذه الأماكن وهذه الأزمان على غيرها بتلك الفضائل التي قضت بأن تفضل ما سواها ، ولا شيء من هذه الفضائل يرجع الى ذات تلك الأزمان والأماكن ، وقد كان ممكنا ومعقولا أن تكون تلك الفضائل لغيرها ، وممكننا أن يكون غيرها أفضل منها على هذا النحو الذي قوامه اختيار المولى ، وتفضله الذي لا يقف عند حد ولا يدع أحداً إلا يشمله ويمه ، وهذا هو السؤال عينه ، وهو سؤال جوابه في الظاهر الذي لا يمكن غيره أن يقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

وليس كذلك القسم الأول في الظاهر ، فانه قد امتاز بفضائل نفسية كسبية قضت بتفضيله على ما سواه ممن فقدوا تلك الفضائل والمزايا ، فان الذي فضل العالم على الجاهل هو العلم ، والذي فضل التقى على الفاسق الفاجر التقوى ، والذي فضل الرسول والنبي على سائر الناس ما امتازا به من الفضائل النفسية والفضائل الالهية التي مرجعها فضل الله ، والذي فضل الشهيد على غيره فضائله النفسية من قوة الايمان التي زجت به في غمرات الموت طائفاً مختاراً ، ومن الشجاعة التي دمت به في أحضان الحمام المكروه ، ومن الدفاع عن دين الله الحق وعن العدالة ، ومن دفاع الظالمين والظلم ، ثم ما أصابه على ذلك من الآلام والموت المعتبط العنيف الناجز ، كما أن الذي فضل الخليل على غيرها من البهائم ما خصت به من كرامة النفس وجمال الصورة وشدة الجري وطول الشوط وتعطفها طوع إرادة رابكها ، واقتحامها ثبج الحروب والخوف والصروف والأشياء الأخرى

إذا علم هذا قيل ان تفضيل الأمر يرجع الى أمرين كما ذكرنا : أمر يرجع الى ما امتاز به المفضل من فضائل نفسية كسبية ، وأمر يرجع الى فضل الله المحض وجعل اختياره ، وعلى هذا يقال لهذا الرافضى : أما القسم الأول من ذلك الذى حكم بتفضيله بمقتضى ما فيه من الفضل فلا كلام لنا هنا فيه إذ لا ريب أن ما ثبت له فضائل لزم تفضيله بقدر فضائله لا كما يقضى هوئى المفضل وأرادته الذى ليس له من الأمر شئ.

وأما القسم الثانى أي القسم الذى ترجع فضائله الى خالص فضل الله واختياره الجليل فلا خلاف فى وجوب تفضيله على مقتضى ما تدل النصوص الصحيحة الواردة فيه ، ولا خلاف فى لزوم القول بما جاء فى النصوص من ذلك الفضل المقدور ، فما قال الشارع فيه انه أفضل من غيره يقول المسلمون ممكماً وطاعة وما قال فيه ان غيره أفضل منه يقول له المؤمنون ممكماً وطاعة ، لا عصيان ولا اعتراض على رب العالمين يلقى على الأفكار ما هو فاعل فيترك ما يخفى ويؤخذ ما بدا

الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وحيث يضم فضله وتفضيلاه ، وحيث يأمر وينهى ويقول ويفعل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ولن تحيط العقول المحدودة بحدود العبودية وبحدود الالهية ، العقول الضيقة الحادثة بأمرار علم من لا يحد علمه ومن لا يحاط بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ، وإذا ما كان المريض لا يسترض على أوامر طبيبه وما انسانان مخلوقان محدودا العلم فكيف يعترض الحادث العبد على رب العالمين خالق كل شئ العالم بما كان وما يكون

ولكن هذا القسم لا يمكن القياس عليه ولا يمكن إلحاق غيره به مما لم يدل الشرع على إلحاقه وقضيه وتفضيله ، لأن هذا القسم فى منزلة تسمو على متناول العقول وهبوطها ، وفى منتهى تقصر عن الصعود اليه الأذهان البشرية الكلية ، وفى مستوى رفيع من الحكمة الرفيعة تحارف فيه البصائر وتقف الأبصار حيرى قائمة مشلوهة

لاستطيع التقدم ولا التأخر ولا الذهاب يميناً ولا شمالاً ، وما كانت حكمته هكذا من الدقة والحفاه فلن يمكن القياس عليه بالاجماع والبداهة والضرورة
 أرايت لو لم يدل الشرع على فضل رمضان أو فضل يوم الجمعة مثلاً ، أنيمكن للعقول أن تهتدى إلى تفضيل رمضان على مجموع الشهور وتفضيل يوم الجمعة على مجموع أيام الاسبوع ؟ أو لو لم تدل النصوص على تفضيل مكة المكرمة ووجوب استقبالها حين الصلاة وقصدها من كل مكان لقضاء فريضة الحج إحدى فرائض الاسلام المقدسة ، وأن اسلام المرء لا يكون تاماً كاملاً إلا إذا ما قصد تلك المشاعر والمعالـم وطاف بها وصلى وجار إلى الله ودعاه وقبل بعض ذلك ورمى الجمرات وأحرم وأحل وحلق وقصر وذبح وأهدى ، أفيمكن أن تهتدى العقول إلى معرفة ذلك كله لولا النصوص والرسالات النبوية ؟ كلا إن ذلك كله من وراء العقول وفوق مستواها وفي منقطع تنقطع فيه أشواط الازدهان وما كان كذلك لا يمكن القياس عليه ولا يمكن تمدى النصوص ، بل يوقف في هذا القسم حيث وقفت النصوص وينذهب حيث ذهبت

فن قال لما أن ثبت تفضيل مكة وتفضيل الكعبة وتفضيل تلك المشاعر والمعالـم وتفضيل الحجر الأسود وجب قياساً على هذا تفضيل المشاهد والقبور وتفضيل آثار الأنبياء والصالحين وتفضيل ما لامس أبدانهم وما لمسوه بأجسامهم وما نزلوا فيه وطافوا به من الأرض والزمان ونحو ذلك كان غالطاً غلطاً فاحشاً واضحاً . وكان قائل ما لم يقله أحد من المسلمين والعقلاء أجمعين . وهذا القول مثل قول القائل الآخر لما ثبت فضل يوم الجمعة وهو في معناه وصورته كسائر الأيام وجب تفضيل يوم السبت أو يوم الأربعاء أو يوم الثلاثاء أو يوم الخميس . لأنه لا فرق بين هذه الأيام في معناها ومادتها . فلا يوجد في يوم الجمعة أمر يفضل على سائر الأيام . فتجب التسوية بينه وبين أيام الاسبوع . وكن قال لما ثبتت فضائل شهر

رمضان وتفضيله وجب تفضيل سائر شهور السنة كلها لأنه لا فرق بين هذه الشهور في المعنى ولأن تفضيل هذا الشهر على جميع الشهور تفضيل لا موجب له ، وترجيح بلا مرجح

وهذا النحو من القول كقول هذا الشيعي هنا . ولا ريب أن هذين القولين سواء . ولا ريب أنهما خارجان عن حدود الدين مخالفان إجماع الأولين والآخرين من المسلمين

وهذا أيضاً مثل أن يقول القائل : إذا ما فضلت مكة المكرمة ووجب الحج إليها ووجب الاتجاه نحوها وقت الصلاة ووجب صنع كل ما يصنعه الحاج هناك من الطواف والاحرام والاحلال ورمى الجمار والسعي بين الصفا والمروة وتقديم الهدي وإشماره إلى غير ذلك من أعمال الحج وجب أن يفضل غيرها أيضاً من مواقف الانبياء والأولياء وآثارهم ومنازلهم وما عبدوا الله فيه وصلوا فيه وقاموا وكأوا الإله فيه أو فوقه ووجب أن يكون ذلك الفضل كله لمدينة الرسول وقبره الشريف المطهر وكل مكان وقف فيه النبي الكريم وصلى فيه وعبد الله فيه وعنده من المساجد والمنازل والفوات والجبال والغيان كفار حراء وغار ثور . ووجب أن يقوم القادمون إلى مسجد الرسول الكريم وإلى منازل وآثاره في المدينة المنورة ومكة وما بينهما وغيرها بما يقوم به الحاج وما يصنعه من الاحرام والتلبية والتحليق والتقصير وجميع أعمال هذه الفريضة المقدسة فريضة الحج ، ووجب أيضاً أن يستقبل ذلك المصلون في صلواتهم ، ووجب ذلك أيضاً لمنازل الانبياء ومساجدهم وآثارهم وما بهم عرف وكل ما هنالك في الشام وفي مصر وفي كل مكان ومنزل وفي كل مصر وفلاة . هذا القول وهذا الخيال مثل خيال هذا الرافضي ومثل قوله سواء ومثل قياسه واستنتاجه . ومن قال هذا أو شك فيه خرج من حظيرة الاسلام بإجماع المسلمين ووجبت استنابته إن كان في بلد إسلامي وإلا نالته عقوبة المرتدين

ولا خلاف في ذلك

فالتقياس على هذه المواضع يستلزم القول بهذه الأقوال ، وهي أقوال بنكفي في إبطالها والنقض عليها تصويرها وتصورها . فانها فاسدة بالاجماع والضرورة المحككة فالذى يذهب يستدل على تفضيل القبور وتفضيل الصلاة فيها واليهما وتقبلها واستلامها والسفر اليها وتقديم الهدى لها واشعاره مستدلا بأن هذه الأمور مشروعة في مكة المكرمة ومشروعة في معالم الحج هنالك يلزمه لزوما صريحا صحيحا أن يجوز أعمال الحج كلها من التحليق والتقصير وري الجرات والفدية والاحرام وسائر واجبات الحج ومستحباته للقبور قبور الأنبياء والصالحين . بل وأن يجوز استقبال القبور في الصلوات قصداً وعمداً . لأنه إذا وجب هذا التعظيم للكعبة فكيف لا يجب لمسجد سيد الأنبياء ومدفن أكرم رفات وأشرفه على الله وعلى عباده المؤمنين ، وهو رفات سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام ؟ وكيف لا يجب لغار حراء وهو الغار الذى كان النبي الكريم بعد الله فيه ويهرب اليه من شرك المشركين وضلالات الضالين . وهو الغار الذى نزل فيه أول ما نزل الوحي وكتاب الله أفضل الكتب على أفضل الرسل لأفضل الأمم ؟ وكيف لا يشرع ذلك لغار ثور وهو الغار الذى نجا فيه رسول الله وصاحبه من طلب المشركين وأذام ومنه خرج ليضع أعظم شريعة إلهية سماوية ، وليدرب أعظم أمة ، ويحشد أعظم جند لمحاربة الرذائل ، وليخرج أعظم العلماء والفلاسفة والقواد لاصلاح البشر ولا نقاذ البشرية ولا فلات المعانى الانسانية المكفوفة المكبوتة بسلاطن الحيوانية وحدودها ؟ وكيف لا يشرع ذلك لمنازل الرسول الكريم ومنازل أزواجه الطاهرات في المدينة المنورة وغير المدينة . وقد أقام فيها أكرم جسد على الله وتلا فيها أكرم لسان أكرم كلام . وقد نزل فيها أكرم ملك على أكرم رسول بأكرم كلام . وقد سجد فيها أكرم ساجد ورع فيها أكرم راكم وقام

فيها قائما أكرم قائم وقامت ؟ ان الذي يذهب يقبس كفعل هذا الشيى ويستدل كاستدلال هذا الراقضى يلزمه أن يجوز الحج أو يوجب بفروضه وسننه الى هذه النازل وإلى هذه الآثار فى المدينة المنورة وفى غيرها من المدن والبلاد وأن يجوز استقبال ذلك فى الصلوات الخمس وفى غير الصلوات الخمس أو يوجب مثل ما كان هذا واجبا لمسكة المكرمة وكما استدلل بهذا هذا الشيى على جواز ذلك ووجوبه للمشاهد والقبور

إن الاستدلال بهذا النحو الذى ذهب اليه هذا الشيى استدلال أقل ما يوصف به أن يقال انه فاسد باطل ، وأن من احتذاه فقد أفسد الشرائع ومثل بها أشنع التمثيل وصيرها أمثلة ومثلة . وأصبح هو مثلا الاولين وللآخرين من ذوى التفكير المضطرب والآراء النية الفجة والمنطق المريض القلق

(ثانيا)

هب هذا القياس صحيحا مقبولا بالجملة . ولكن هل يدل بعد ذلك على ما يريد منه هذا الراقضى ؟ كلا وبيان ذلك أن الذى يريد هو اذا كان الله قد فضل المساجد وفضل مكة وفضل يوم الجمعة وفضل شهر رمضان وفضل ليلة القدر وفضل العلماء والشهداء والأنبياء . اذا كان فضل ذلك كله وأوجب احترامه وتعظيمه كله وجب أن يكون هذا التفضيل والتعظيم والاحترام لقبور الانبياء وقبور الصالحين والعلماء ولآثارهم ولا يمكن أن تكون هذه المساجد والأحجار والبلاد والأيام والشهور أولى بالتفضيل والاحترام والتعظيم من قبور الانبياء والصالحين ومن آثارهم ومخلفاتهم . فيجب إذن أن يكون ذلك كله لهذه القبور والآثار والمخلفات على الوجه الآتم الافضل ويجب الاعتراف لهذا بهذا : هكذا استدلاله واحتجاجه وهكذا مقدماته ونتيجته : ولكننا نحن نقول هب هذا الاستدلال صحيحا مقبولا

مرضيا بالجملة وهب تفضيل قبور الانبياء والاولياء واجبا وكذا احترامها وتعظيمها ولكن هل يلزم التفضيل والاحترام والتعظيم جواز سائر ما ينتحله هذا الشيى ويدعيه من وجوب تقبيل القبور واستقبالها والبناء فوقها وعقد القباب عليها وتقديم القرايين اليها وتزيينها بفاخر الزينات من الذهب والفضة والمعلقات والمجوهرات ، ومن شد الرحال اليها وقصدها من الأقطار الشاسعة النائية ، ومن الحلف بها والاقسام على الله بدواتها ؟ هل هذه الأشياء المبتدعة تلازم التفضيل والاحترام والتعظيم ؟ هذا الرافضى يدعى هذا ويدعى هذا التلازم ويدعى أنه لا احترام ولا تعظيم ولا تفضيل بغير ذلك . أما نحن فنقول كلا . انه لا يلزم هذا هذا . والدليل على انكسار هذا التلازم المدعى أن المساجد مفضلة محترمة معظمة كما يقول هذا المصنف الشيعى وهى مما قاس عليها مزاعمه ومع هذا لا يجوز استقبالها في الصلوات البتة اذا ما استثنينا المسجد الحرام ولا يجوز تقبيلها ولا تقبيل أرضها وجدرانها وسقفها ولا التمسح بها ولا تقريب القرايين اليها ولا شد الرحال لزيارتها ولا للصلاة فيها كما جاء في الحديث الصحيح المعروف « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجد المدينة » وكذلك لا يجوز تقبيل بيوت مكة ولا التمسح بها ولا التترغ عليها طلبا للبركة والتعبد . ولا يجوز شئ من ذلك في الكعبة وفى المسجد الحرام سوى ما ورد فى النصوص الصحيحة من تقبيل الحجر الاسود واستلام الركنين اليمانيين . فلا يجوز من ذلك إلا ما جاء فيه النص الصحيح عن الرسول الكريم . وقد قال الخليفة عمر بن الخطاب عند تقبيله الحجر الاسود قوله المشهور « والله انى لأعلم انك حجير لا تضر ولا تنفع ، ولو لا أنى رأيت رسول الله يقبل ما قبلتك » رواه البخارى ومسلم وغيرهما . وعمر يريد أن مثل هذه العبادات تؤخذ كما أتت عن الشارع أخذاً بإيمان واستسلام لا يزداد فيها ولا ينقص منها . وهو فى معنى قول على رضى الله عنه « لو كان الدين بالعقل لكان

أسفل الحلف أولى بالمسح من أعلاه » وكلهم يريد بهذا أن تمت أشياء من شئون الدين تبحر فيها العقول ولا تهتدى فيها إلى عين الصواب لحفاؤها وبعد منالها ولو كان في استطاعة القول الوصول إلى أحكام الشريعة وادراكها استقلالاً وبلا توقيف ورسالة إلهية لما كانت هنالك حاجة إلى ابتعاث الرسل والأنبياء وإلى الكتب المنزلة فيها الشرائع والأحكام . واطلب من الناس تحكيم عقولهم واتباع ما تراه وما تحسبه حقاً وديناً . ولكن الله يقول لأوفر الناس عقلاً وأصفاهم ذهنًا وقرينة « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً » ومن هو دون الرسول أجدر بلا شك بالأحكام إلا بما أراه الله ولا يختلف الناس أنه لا يجوز تقبيل حيطان مكة المكرمة ولا تقبيل بيوتها ومنازلها ولا التمسح بها ولا الاستقبال لها في الصلاة مع العلم بتفضيل مكة والاعتراف بذلك ومع تعظيمها وكذلك لا يجوز استقبال العلماء والشهداء والأنبياء في الصلوات قصداً وعمداً طلباً للبركة والاجر ، كما لا يجوز التمسح بهم ولا الطواف بمنازلهم ومساكنهم ولا الأتم لاثوابهم وما تباشر أجسامهم من شعار ودثار ولا النذور ولا تقريب القرابين لهم ، ولا الحلف بهم ولا الأقسام على الله بدواتهم : إن شيئاً من ذلك لا يجوز عقلاً ولا شرعاً مع تفضيل هؤلاء ، ومع قول الرافضى بوجوب تعظيمهم واحترامهم ومع اعترافنا له به ، وكذلك لا يجوز شيء من ذلك لبوم الجمعة ولا ليلة القدر ولا شهر رمضان ، فلا يجوز الحلف بهذا اليوم ولا بهذا الشهر ولا بهذه الليلة ولا يجوز تقديم النذور ولا الهدايا والقرابين لذلك ، مع أنها أزمان مفضلة ممتدحة . وهذا واضح

إذن ليس هنالك تلازم بين تعظيم الشيء وبين هذه المبتدعات والخرافات التي يدعيها هذا الرجل ويدعى أنها من شرائط التعظيم والاحترام للأمور بهما شرعاً وإذن يمكن القول باحترام الشيء وإعظامه من غير القول بهذه المبتدعات ومن غير

الالتزام لها ، بل هذا هو ما يجب وما يلزم المصير اليه عقلا وقلا ونظراً
والسر في هذا أن المراد بالتعظيم هنا هو التعظيم الشرعى ، أي التعظيم الذى
يقبله الشرع ويحله ويرضاه ولا يرى فيه مفسدة دينية أو دنيوية ، ولا يمكن أن
يراد بالتعظيم كل ما يمكن أن يعده الانسان تعظيماً ولا كل ما يفهمه مشمولاً بمعنى
التعظيم ، ولا ما قد يعد فى بعض الأزمان فى بعض البلاد فى بعض البيئات تعظيماً
واحتراماً ، إذ لو أريد ذلك لنسفت الشرائع جميعاً من أساسها ودعائها ، ولا يثبت
أنواع المحرمات والشرك والضلال المبين وعبادة الأصنام والأوثان ، ولا يبع من
ذلك الأمر الكثير ، فإن عبادة الملائكة والجن والأنبياء والأولياء بل والأصنام
والأوثان جميعاً لا يراد بها إلا تعظيم أولئك المعبودين والتعظيم من شأنهم والرفعة
لمقامهم ، وعباد الأشجار والأشجار يريدون بذلك إعظام الله وإعظام من جعلوا
هذه الأشجار والأشجار رمزاً وإشارة اليهم ، لأنهم يزعمون أن الله أرفع وأعلى
سلطاناً من أن يكونوا - وهم العباد الأذلة المذنبون - أهلاً لخطابه ودعائه كفاحاً ،
فينصبون نصباً يعبدونها ويدعونها ليصلوا بذلك الى الله غاية كل عبد ، وليقربهم
الى الله عز سلطانه ، لأن هؤلاء المعبودين أهل لدعاء الله ولخطابه لعلو مقامهم
ورفعة شأنهم لديه تعالى ، وأهل لأن يجيب دعواتهم ويتقضى حاجاتهم ، فيذهبون
يعبدون الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والأنبياء ، ويأتون من ذلك
بالطرف والأفانين ، وقد يثلون الملائكة والأنبياء والصالحين ويصورونهم فيذهبون
يعبدون تماثيلهم وصورهم ، وفى هذا فى زعمهم أبلغ التعظيم والاحترام لهم ، ولكن
شيئاً من ذلك لا يجوز فى دين الله وإن عدوه تعظيماً وعدوه احتراماً وتفضيلاً ، وما
يدعيه هذا الرافضى من تعظيم الأجداد وتعظيم من فيها من الأنبياء والأولياء
سبيله سبيل هذه الخراف الجاهلية الوثنية والأباطيل المنقبة للشرك أصلاً وفرعاً
والمنزعة من الوثنية هورة ومعنى

فالقول الفاصل في هذا الموضوع أن يقال لا ريب أن الله تعالى قد فاوت بين مخلوقاته في الفضل ففضل بعضها على بعض ، ورفع بعضها فوق بعض درجات في الأخلاق والأذواق والدين والفهم والاستعداد والصلاح ، وفي الرزق أيضاً وفي كل شيء . ولكن ليس معنى تفضيل بعض الخلق على بعض أن يغلب في المفضل وأن يعطى أكثر من حقه وأن يوهب حق الله وأن تضاف إليه الخرافات والمعتقدات الباطلة الفاسدة على حساب التفضيل ، وعلى حساب ما ميزه الله به من الفضائل والمكرمات . كلا . ليس الحق هو هذا ، ولكن الحق الذي يجب أن يصار إليه أن يعلم أن الله الذي فضل الفاضل ووهبه تلك الفضائل هو الذي يحد لفضله وتفضيله الحدود ويعرف تلك الحدود ، فلا تتعدى ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم عين الظالمين المومنين ، وما أتى الضالون الخارجون إلا من هذه الناحية ناحية الغلو في الفاضل وأهل التفضيل الذين قضى الله بأن يكونوا من المفضلين ومن أهل الفضل ، وما ضلت النصراني في عيسى عليه السلام وفي الأحبار والرهبان إلا من ناحية الغلو وناحية المبالغة في التعظيم والتفضيل ، وما ضل قوم نوح وعبدوا آلهتهم ودا ونسرا ويعوق ويعوث إلا من هذه الناحية نفسها ناحية الغلو وناحية المبالغة في التعظيم والتفضيل ، وما ضل العرب المشركون وغيرهم وغيرهم إلا من ناحية الغلو والمبالغة في الغلو والاسراف في التعظيم لما كانوا يعبدونه من الملائكة والصالحين كما عبدوا اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ولا ضلت طائفة الشيعة وزاغت عقيدتها في علي وذرية علي ، وما زعموا فيهم الألوهية والارتفاع عن أفق البشرية ، وزعموا حلول الله في ذواتهم كما قال عبد الله بن سبأ ومن قال قوله منهم وهم أكثر إلا من هذه الناحية المريضة ، ناحية الغلو والمبالغة في الغلو ، وما قدحوا في خيار الصحابة وسادات المهاجرين والأنصار ومن تولاهم من المسلمين والمؤمنين إلا من هذه الناحية المدخولة المريضة في الانسان ، ناحية الغلو في علي رضي الله عنه وفي أولاده ، والا

من زعمهم غلواً وإسرافاً أنهم أهل الخلافة وحدهم وأربابها وحدهم ، ولا ضل
كثيرون من أهل الطريق وأهل الأحوال والتصوف إلا من هذه الناحية نفسها ،
فقد طوح بهم وذهب بهم الغلو في الأشياء المعظمين كل مذهب حتى وقف بهم
على حافة الهوة المهلكة العميقة حتى عبدوهم بل وألهوهم وادعوا عصمتهم وأكفروا
من ينازهم في حال من الأحوال ومخرقة من مخارقهم الباردة الفاسدة عن الدين
والعقل ، وقد روى الراون من هذا النوع الشيء الكثير المحجل للانسانية جمعاء
عن هذه الناحية المريضة حقاً في الانسان ، أعني ناحية الغلو والاطراء الذي لا يقف
بالانسان عند حد ، وقد بلغ الغلو بالانسان والتعظيم لمن يحب ويرضى الى حالة
مزدهاة حقاً فاضحة حقاً ، وقد بولغ في هذه الناحية حتى وجدنا من يدافع عن قال
الأقوال المنكرة العظيمة في الله ورسله ودينه ، الأقوال التي لا يستطيع أن يتفوه بها
الملاحدون أعداء الأديان كلها وأعداء الاله والمرسلين ، فقد دافع عن قال ان كلمة
لا إله إلا الله فاسدة المعنى ، وعن قال سبحانه عز شأني ، وعن قال ان الأنبياء لم
يأتوا إلا بالشرك والكفر ، ومن قال القرآن كله ضلال وكذب ، ودافع عن قال
أفطع من ذلك ، وقد دافع عن صاحب هذه الأقوال المنكرة جماعات من الموسومين
بالصلاح والفتة والعلم ، وكفوا أنفسهم مؤنة تأويل هذه الأقوال الشنعاء وتخريجها
التخريج الصحيح ، وتطلبوا لها الوجوه الصحيحة والتفسير المقبولة ، وما دفع بهم
الى هذه المضايق. والمازق إلا الغلو والمبالغة في التعظيم والاحترام ، وقد أغينا
الانسان وقد زعم أنه صفوة المخلوقات لا يقف عند حد في هذه الناحية ، وأغينا
يأتى بالأفانين والطرف والأعاجيب ، وهذا ما يحصل منه كل وقت ، ولولا ذلك لما
وجدوا مندوحة تبرر كونهم الى هذه المضايق الخفيفة المدمومة بلا ريب
وقد حدث المحدثون عن الحلاج وأصحابه ورووا عنهم من هذا النوع الشيء
الكثير المفظع المنكر ، وقد حدث الامام الشاطبي في كتابه الاعتصام راوياً عن

الفرغاني مذيّل تاريخ الطبري أن أصحاب الحلاج غلوا فيه وفي التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بمذرتة ، وحتى ادعوا فيه الألوهية تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وقد حدثوا والى اليوم يحدثون أن هذا الرجل المريض أعنى الحلاج لما أن حكم عليه بالقتل لأجل هذه الأقوال الباطلة وقتل وتناثرت دماؤه الأئمة المجرمة زعم أصحابه والغلاة فيه أن دماؤه صارت تكتب اضطراباً أو اختياراً وهي سائلة هذه الكلمة « لا إله إلا الله ، الحلاج ولي الله »

ورعياً لهذه الناحية الواهية في الانسان كان من أقوال الرسول ﷺ المتواترة المعنى « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » ولهذا أنكر ﷺ على من قالوا له أنت سيدنا وابن سيدنا ، فقال ما ممناه « لا يغوينكم الشيطان ولا يفتنكم ، وما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزاني الله بها » ، وأنكر على من قال له ما شاء الله وشئت وقال « أ جعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده » وأنكر على من استغاثوا به من منافق في عصره يؤذي المؤمنين ، فقال لهم « إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله » وقال ذات يوم خطيب بين يديه من يطلع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، فقال له ﷺ « بأس الخطيب أنت أ قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى » أنكر ﷺ أن يجمع بين الضمير العائد على الله ، والضمير العائد عليه هو حذر القلو والذهاب مع القلو ، والفاو كما عرفت لا يقف عند حد ، ومن هذا السبيل أمر الخليفة النافذ البصر عمر رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويج تحتها الرسول الكريم ﷺ حينما رأى الناس يقصدون الصلاة عندها ، ولما رأى قوماً يتعمدون الصلاة في مسجد كان رسول الله ﷺ صلى فيه أنكر ذلك ونهى عنه ، وقال إنما هلاك من كان قبلكم بمثل هذا ، يقعون آثار أنبيائهم فأنخذوها كنائس وبيما ، وقال من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل وإلا فلا يتحمد الصلاة فيها ، وقد سلفت رواية هذا . وقد جاء عن

هذا الخليفة الراشد النافذ البصر بدين الله وبما جبلت عليه النفوس من فلسفة باطلة ومن ترهات متنوعة أبلغ من هذا محافظة على عقائد الناس وحذراً من الغلو في الاعظام والاحترام ، وجاء أيضاً عن غيره من الصحابة والتابعين وأهل المعرفة والبصر ، نجاء عنهم أنهم أحياناً كانوا يأتون الدعاء لمن طلبه منهم ويزجرون من طلب منهم الدعاء ، وذلك خيفة الغلو فيهم ، لأنهم فهموا من حال الطالب ومقامه روح الغلو ومزيد التعظيم والتبجيل ، قد ذكر الامام الشاطبي في كتابه الاعتصام في الجزء الثاني صفحة ١٥٨ أن الطبري روى عن مدرك بن عمران قال كتب رجل إلى عمر رضي الله عنه : قاعد الله لي ، فكتب اليه عمر إني لست بنبي ، ولكن إذا أقيمت الصلاة فاستغفر الله لذنبك ، قال الشاطبي « فاباية عمر رضي الله عنه في هذا الموضع ليس من جهة أصل الدعاء ولكن من جهة أخرى وإلا تعارض كلامه مع ما تقدم ، فكأنه فهم من السائل أمراً زائداً على الدعاء ، فلذلك قال لست بنبي ، ويدل على هذا ما روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه لما قدم الشام أتاه رجل فقال استغفر لي فقال غفر الله لك ، ثم أتاه آخر فقال استغفر لي ، فقال لا غفر الله لك ولا لذلك ، أنبي أنا ؟ فهذا أوضح في أنه فهم من السائل أمراً زائداً وهو أن يعتقد فيه أنه مثل النبي أو وسيلة إلى أن يعتقد ذلك أو يعتقد أنه سنة تلزم أو يجرى في الناس مجرى السنن الملزمة

ونحوه عن زيد بن وهب أن رجلاً قال لحذيفة استغفر لي ، فقال لا غفر الله لك ، ثم قال هذا يذهب إلى نسائه فيقول استغفر لي حذيفة ، أترضى أن أدعو الله أن تكن مثل حذيفة ؟ ، فدل هذا على أنه وقع في قلبه أمر زائد يكون الدعاء له ذريعة حتى يخرج عن أصله لقوله بعد ما دل على الرجل هذا يذهب إلى نسائه فيقول كذا ، أي فسيأتي نساؤه لمثلها ويشتهر الأمر حتى يتخذ سنة ويعتقد في حذيفة مالا يحبه هو لنفسه ، وذلك يخرج المشروع عن كونه مشروعاً ويؤدي إلى التشيع

واعتماد أكثر مما يحتاج إليه

وقد تبين هذا المعنى بحديث وواه ابن علية عن ابن عون قال جاء رجل الى ابراهيم فقال يا أبا عمران ادع الله أن يشفيني . فكره ذلك ابراهيم وقطب . وقال جاء رجل الى حذيفة فقال : ادع الله أن يغفر لي فقال لا يغفر الله لك فتحنى الرجل فجلس فلما كان بعد ذلك قال فأدخلك الله مدخل حذيفة أفد رضيت ؟ الآن يأتي أحدكم الرجل كأن قد أحصر شأنه . ثم ذكر ابراهيم السنة فوعب فيها وذكر ما أحدث الناس فكرهه . وروى منصور عن ابراهيم قال كانوا يجتمعون فيتذاكرون فلا يقول بعضهم لبعض استغفر لنا . فتأملوا يا أولى الألباب ما ذكره العلماء من هذه الأصنام المنصبة الى الدعاء حتى كرهوا الدعاء اذا انضم اليه ما لم يكن عليه سلف الامة . فقس بعقلك ما ذا كانوا يقولون في دعائنا اليوم بأثار الصلاة بل في كثير من المواطن «

هذا كله ما ذكره الشاطبي . وقال هذه الآثار قد خرجها الطبري في تهذيب الآثار له . قال « وعلى هذا ينبغي ما خرج ابن وهب عن الحارث بن نبهان عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن ناسا من أهل الكوفة يقرؤون عليك السلام ويأمرونك أن تدعو لهم وتوصيهم فقال أقرؤا عليهم السلام وسروهم أن يعطوا القرآن حقه فانه يحملهم أو يأخذ بهم على القصد والسهولة ويحببهم الجور والحزونة . ولم يذكر أنه دعا لهم « ثم قال الشاطبي « وقد جاء في دعاء الانسان لغيره الكراهية عن السلف لا على حكم الاصل بل بسبب ما ينضم اليه من الامور المخرجة عن الأصل «

وما هذا الا قطع لمادة الفل وحسم لجرثومة الضلالة المنفرعة عن الفل في التعظيم والاحترام الذي ينادي اليه الجاهلون للسرفون . وهذا كله يفسر قول الله تعالى « لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق »

وليُقارن العاقل الناصح لنفسه بين أقوال الرسول الكريم وأقوال السلف النيرة وبين أقوال هذا الرجل وشركائه ليعرف الفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال ، والنور والظلام ، ثم ليسأل الله السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة من مخاطر الفتن والغوايات ومن شبهات الشياطين وشبهات الضالين المفتونين

(ثالثاً)

قوله « وفضل العلماء على الشهداء وعلى بعض الأنبياء » قول في غاية الفطاعة والنيابة . وقد يكون والعياذ بالله من أقوال الكفر والردة . فإن غير الأنبياء لا يمكن أن يكونوا أفضل من الأنبياء ولا يمكن أن يكونوا مثل الأنبياء لا في دين ولا في علم ولا في سمو أخلاق ولا في شيء من الأشياء الممتدحة . ومن ادعى أن العلماء أفضل من بعض الأنبياء كما ادعى هذا الرجل فقد أعظم على الله الفرية ، وأعظم القدح في الأنبياء وفي التهورين من شأنهم . ولن يقول من يؤمن بالله وباليوم الآخر إن أحداً من العلماء غير الأنبياء أفضل من نبي الله موسى أو إبراهيم أو عيسى أو محمد ﷺ أو غيرهم من الأنبياء ، ولا يمكن أن يقول من يؤمن بالله وباليوم الآخر وبالملائكة والأنبياء إن أحداً من الناس أفضل من نبي اصطفاه الله بنبوته وبكلامه وخطابه . وإذا ما وجد ذلك العالم المزعوم أنه أفضل من بعض الأنبياء هو والنبي في زمان واحد أفلا يكون واجباً على ذلك النبي أن يتعلم من ذلك العالم المزعوم أنه أفضل منه وأن يسأله علم ما يخفى عليه وما لا يعرفه وأن يقبل أمره وإرشاده . ثم ألا يجب عليه أن يحترمه وأن يعظمه احترام المفضول للفاضل وتمظيم التابع المتعلم للمتعلم ؟ لأن معنى تفضيل العالم على النبي الحكم على ذلك العالم بأنه أعلم من ذلك النبي ، لأن العالم ما فضل على النبي إلا من جهة أنه عالم . فالعلم هو الموجب للتفضيل على ما زعم . ومن زعم أن نبياً من الأنبياء يلزمه أن

يقوم مع أحد الناس ممن ليس نبيا هذا المقام فما هو من الراشدين ولا من المهديين
وليعلم أن هذا الزعم أى زعم تفضيل بعض العلماء على الانبياء من أقوال الرافضة
ولقد كفرهم القاضي عياض فى كتابه الشفاء لقولهم هذا ومن أقوال بعض الفلاسفة
الكافرين والصوفية الزائعين أيضا ، فالفلاسفة الضلال يفضلون الفيلسوف على النبي
لامور زعموها وفلسفة باطلة ادعوها والصوفية الضلال يفضلون الصوفى والولى على
الرسول والنبي لفلسفة ومزاعم أيضا لفقوها . والرافضة تدعى أن أئمتها الاثني عشر
أفضل من الانبياء . وهذا من عيون الضلالات والعياذ بالله
وتد قال أحد هؤلاء التائبين المنقطعين فى تيه الضلالة :

مقام النبوة فى برزخ فوق الرسول ودون الولى

فالولى عند هؤلاء الحيرى أفضل من النبي والنبي أفضل من الرسول . قالولى
أفضل من النبي ومن الرسول لديهم . والقرآن والسنة مملوءان دلائل على كذب
هذا القول . والمسلمون لا يختلفون فى ضلالة قائله ومنتحله . ومن الدلائل على ذلك
أنه لا خلاف فى أن من سب نبيا أو قدح فيه أو كفر به فقد ارتدَّ ووجب قتله
كفرآ . وليس كذلك حكم من سب عالما أو قدح فيه أو كفر به . ولو كان العالم
أفضل من النبي لكان الحكم بالعكس فى العالم الذى زعم أنه أفضل من النبي وفى
النبي الذى زعم أن العالم أفضل منه

(رابعا)

أما جعل الكنيف مسجداً وجعل جلد الشاة حذاء ونملا وجهه أيضاً جلداً
للقرآن الكريم كما افترض الرافضى وأن ذلك فى حاله الاولى لا فضل له بل هو
مهيىء محترق وأنه فى الحالة الاخرى مكرم مبجل . فيقال ليس كون الكنيف مهاناً
معناه أن مادته مادة ناقصة قدرة مغايرة لمائر المواد التى صنعت منها . وليس معنى

جعل له مسجداً كما افترض الرافضى أنه بذلك ينقلب مادة أخرى مطهرة مقدسة مخالفة للمادة التى تنسب اليها من الحجارة والطوب والآجر والجص . ولا أن جدار المسجد وسقفه وأرضه أشياء مقدسة معظمة يلزم الناس اعظامها واحترامها وتقديسها وأن جدر الكنيف وسقفه وأرضه أشياء محقرة مزدرة ناقصة يلزم الناس -تقارها وازدراؤها وتنقيصها . كلا . . ليس هذا من الحق وليس هذا من الصحيح ، فان الأشياء هي الأشياء وحقاتها هي حقاتها لم تتغير ولم تنتقل من حقيقة الى حقيقة ولا من شيء الى شيء

ولو كان هذا حقاً لكان ما ينقل من المساجد من الأحجار والأخشاب والتراب معظماً مقدساً محترماً وان فصل عن المسجد . ولكان ما ينقل من الكنيف من الأحجار والأخشاب والتراب محترماً مزدري وإن فصل عن الكنيف وأزيل منه . ولكن المحترم لدى المسلمين المعظم هو معنى المسجد وما تدل عليه كلمة مسجد لأجل ما يدل عليه ويقارنه من عبادة وصلاة وركوع وسجود لله . ولا يجوز تنجيس تلك البقعة المعدة للصلاة لأن الطهارة الحسية مطلوبة فى الطهارة المعنوية من الصلوات والعبادات جميعاً والطهارتان مقترنتان غالباً فان من طهر معناه طهر ظاهره ومن طهر ظاهره طهر باطنه . وتلويث هذه المواضع المعدة للصلاة بالقاذورات والنجاسات يشعر باحتقار العبادة نفسها التى هي الصلاة . وهذا مأبى لأن أما كن الصلاة يلزم ابعادها عن النجاسات كلها حسية ومعنوية

وأما ببيان المسجد نفسه فليس معظماً من حيث مادته وبنائه ، ومن ادعى ذلك فقد أهد - الانتجاع . ومن الدلائل على ما نقول أنه قد صرح فى الأحاديث المتكررة عن النبي الكريم أنه قال « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » وقد اتفق العلماء على معنى هذا الحديث سوى ما خصص من عمومه . فهل يجوز جريء أن يدعى أن الأرض كلها معظمة مقدسة لأنها كلها - الا مواضع مخصوصة معلومة -

مساجد يصلى فيها المسلم ويتجه فيها الى الله
ومن الدلائل القاطعة أن المساجد ما عظمت التعظيم المشروع إلا لأجل
الصلوات ولأجل إعدادها مواضع لها . فالصلوات بلا ريب هي التي رفعت شأن
المساجد فهي بلا نزاع أفضل من بنيان المساجد وأكرم . ومع هذا لا يجوز تعظيم
الصلوات ذات الركوع والسجود والقيام والقعود والدعاء والتساييح التعظيم الذي
يعنيه هذا الرافضى . وإنما معنى تعظيم الصلاة هو أن الله يحبها ويطلبها من عباده
ويجازى فاعلمها الجزاء الأوفى ويعاقب تاركها العقاب الصارم للجميع . أما التعظيم
الذي يريده هذا الرافضى فتعظيم من نوع آخر ، وهو تعظيم الخاضع الدليل
للقهار المذل وتعظيم الصغير للكبير . وهذا النوع من التعظيم مأبى من المسلم لا يشرع
له أن يفعله . ومعلوم أنه لا يشرع للمسلم أن يعظم أعماله من صلاة وصيام وحج
وزكاة ودعاء . هذا النوع من التعظيم بل هذا لا يعرفه الناس ولا يخطر على بال
سليم ، وعلى كل حال هذا القول لا ينفع هذا المصنف شيئاً ولو سلم له هذا التعظيم
المزعوم . لأنه هو يريد أن يتوصل بهذا الزعم الى إياحة تقبيل الأضرحة والبناء
عليها والتسبح بها والسفر اليها من أقاصى البلاد الى آخر ما زعم وما ادعى . ولا يمكن
أحداً من المسلمين لم يقل ان هذه الأعمال المذكورة مشروعة في المساجد وان
عظمت وقدست وزعم لها ما زعم . ولا نحسب هذا الشيعى يخالفنا في هذا . وإذا
كان غير مشروع في المساجد فلن يكون مشروعاً في الضرائح وفي القبور ولدى
الأشجار والأحجار

وكذلك لا معنى بمجمل الجلد نملاً وجلداً للقرآن انه اذا كان جلداً للمصحف
كان مقدس المادة معظمها . لا يقول هذا أحد من العقلاء ، ولكن المعظم هو كلام
الله وقرآنه . فلما أن كانت اهانة المصحف بأوراقه وجلده تدل عرفاً وعادة على
اهانة كلام الله واحتقاره حرم ذلك وامتنع وطلب من المسلمين إظهار الاحترام

لكلام الله ، والذي يظهر الاحترام للمصحف وجلده وأوراقه لا يريد بذلك إلا احترام كلام الله ولا يريد البتة احترام الأوراق والجلد والحبر إلا أن يكون جاهلا وهذا يجب تعليمه ، ولهذا صبح احراق المصاحف بأوراقها وجلودها وحبرها . أفيرى هذا أن جلدة المصحف نفسها وورق المصحف نفسه معظمان لذاتهما فيصبح مع هذا إحراقهما وجعلهما للنار وقودا ؟

وها هنا برهان قاطع على فساد كلام هذا الرجل نذكره . هذا البرهان هو أن صدور حفاظ القرآن تقوم مقام الأوراق والجلود والحبر للقرآن الكريم على أقل الأحوال . أفيرى أن الصدور الحافظة للقرآن يجب تعظيمها واحترامها لأنها حافظة فقط ؟ أو لا يرى أن من هذه الصدور ما يجب إهانته وقرعه لأنه يحمل داء دوىا ولأنه يحمل مرضا يسمى مرض القلوب ومرض الاعتقاد ومرض الهوى ومرض الشهوات

فزع هذا الرجل بأن جلدة المصحف في نهاية الاكرام والاعظام من الأقوال الصادرة عن الخطل وضلال الرأي

(خامسا)

وأما قوله « ومن هذا القبيل البقعة في الأرض كسائر البقاع فيدفن فيها نبي أو ولي فتكسب فضلا وشرقا وبركة » الى آخر قوله فهو كسائر أقواله بعيد عن التوفيق وعن الصواب فان الأرض لا تتشرف ولا تفضل ولا تعظم بوجود العظماء من الأنبياء والأولياء أحياء فيها . فكيف يكون لها ذلك إذا ما وجدوا فيها أمواتا أو وجد فيها رفاتهم وجثثهم كما أنها لا تفقد الشرف والفضل والبركة إن كان لها شيء من ذلك لوجود الأشقياء فيها من المجرمين والمشركين ومن المفسدين والملحدن فانه لم يضر مكة والمدينة ان حلما المشركون والظالمون

ورؤوس الكفر والضلالة ولم ينفع غيرهما أن حل فيه الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء ، ولو كانت البقاع تعظم وتشرف بوجود العظماء فيها أمواتا لمعظمت وشرفت بوجودهم فيها أحياء ، وإذا لم تشرف ولم تعظم بوجود الأنبياء والأولياء فيها أحياء لم تشرف ولم تعظم بوجودهم فيها أمواتا ، ولو كانت البقاع تعظم وتشرف لوجود العظماء فيها من الأنبياء وغيرهم لكانت تحقر ويضيع شرفها وفضلها بوجود الأشقياء فيها ، وإذا لم يضرها من هذه الناحية وجود هؤلاء الأشقياء فيها لم ينفعها من الناحية نفسها وجود الصالحاء من الأنبياء وغيرهم فيها وهذا واضح بين ، وليس هناك دليل واحد يدل على أن الأرض تكسب شرفا وفضلا وبركة بمقدار من يحل فيها ممن لهم شرف وفضل ومنزلة رفيعة سامية ، ولو كلف هذا الشيعى الدليل على ذلك لما استطاع الظفر به ، والدلائل العقلية والشرعية كلها تخالف ما قاله وما ادعاه ، ولو أن القبور تشرف وتبارك وتفضل بدفن الصالحين فيها وحلول رفاتهم فيها أيضا لشرفت البيوت والثياب والأزياء وبودكت بنزول هؤلاء فيها ولبسهم إياها ، ولن يجزئ بصير بالدين وبالمعقول أن يدعى أن ثوب التقى والولى وببيتهما أشرف وأفضل من ثوب الفاجر والكافر ومن بيته ، ولن يدعى عاقل بأن كفن الصالح أفضل وأكرم من كفن الرجل الطالح . أو يدعى أن البناءات المشيدة على القبور متفاضلة ~~مكتفاضل~~ أصحابها والذين يدعون مثل هذه الدعاوى ويقولون مثل هذه الأقاويل هم في حاجة إلى التعليم لا إلى المجادلة والمساجلة

والشيعة مصابة بهذا البلاء بله الفلو فيما يتصل بالصالحين وما يتصل بمن يدعونهم صالحين فأنهم يفلون في هؤلاء غلواً قبيحاً مستكرها تتجاف عنه المعقول وتفتححه الأبصار . حتى لقد بلغ الفلو بالقوم أن يحملوا معهم الآتربة من قبور الصالحين وآل البيت النبوى ويتزودوا بها أيضا ذهبوا كي يسجدوا عليها

ويضعوا جباههم فوقها حينما يصلون لله غلوا وتعظيما ، وهذا من شر الغلو ومن أنباه
عن العقل والدين

ولولا التقليد الذى لا عقل له ولا بصر لما وجد من يصنع هذا فى هذا العصر
ولكن وا أسفاه فما أضيع البرهان عند المقلد !

وأما البركة التى ادعاها المدافن الصالحين والنبين فلا يدري المسلمون ماهى
ولا يدرون أية بركة فى القبور ، وكل ما ذكره هنا من تقبيل القبور والبناء عليها
وتعليق الستائر والمعلقات فوقها وإرصاد الخدم والسدنة لها ندع القول فيه الى
الآبواب الآتية الخاصة به ، وسوف يرى القارىء أن ما قاله هذا المصنف هنا
مصادم لنصوص الشريعة مصادمة بينة جلية ، وكذلك ما ذكر من تعريضها
للقاذورات والنجاسات ووطء الدواب والكلاب لها ، ثم ما ذكر من تأويل النصوص
وتحريفها لأجل مازعه من الدليل على ذلك كله وكل ما لم نتكلم عليه هنا ندع
القول فيه الى الآبواب الخاصة به من هذا الكتاب

(سادسا)

قوله إن الله جعل احتراماً لصخرة صماء بسبب وقوف إبراهيم عليها فقال
« واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » الى آخره يقال فى جواب ذلك إن الاحتجاج
بهذه الآية على وجوب تعظيم القبور والصلاة فيها واليهما وتقبيلها والطواف بها
كالاحتجاج بقوله تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا
وجوهكم شطره » الى آخر الآيات على وجوب الصلاة الى القبور والى شطر القبور
وكلا استدلال بقوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن
كفر فان الله غنى عن العالمين » على وجوب الحج الى المشاهد وقبور الصالحين
من النبين والأولياء وكلا استدلال بقوله تعالى « وليطوفوا بالبيت العتيق » على

وجوب الطواف بالأضحية وبالمقامات ويقال في ذلك كله مثل ما قال هذا الرجل هنا : اذا كان الله أوجب استقبال المسجد الحرام وقت الصلاة لأن ابراهيم عليه السلام هو الذى بناه احتراماً وتيمناً وتعظيماً فكيف لا يكون هذا الاستقبال واجبا لمسجد خير الخلق وخاتم النبيين وسيدهم وفيه جسده الطاهر وقبره الشريف وقد صلى فيه ما شاء أن يصلى وقام فيه لله ما شاء أن يقوم ودعا فيه الى الله ما شاء الله أن يدعو . وهو الذى أمر ببنائه وقد بنى مع البائين يديه الشريفتين . وقد جاءت فيه الفضائل المتكاثرة وقال فيه عايه السلام « ما بين منبرى وبيتى روضة من رياض الجنة » وقد دفن به هناك أكرم الأجساد على الله وعلى المسلمين بعد الرسول الكريم جسداً أبى بكر وعمر . وان مثل هذا البناء وهذا المسجد للخلق بالاحترام والتعظيم وخلق بأن يكون فرضاً على المؤمنين استقباله فى الصلاة وواجباً كما كان ذلك واجباً على المسلمين الى المسجد الحرام لأن ابراهيم خليل الله قد بناه ورفع قواعده وطهره للطائفين والزائرين والساجدين ؟

وكذلك يقال اذا كان الله أوجب الحج الى البيت العتيق وأوجب الطواف به وأوجب سائر أعمال هذه الفريضة ، وهذا البيت لا يزيد فى الظاهر عن أن يكون أحجاراً وبناءً وتراباً ، فكيف لا يكون الحج واجباً الى مشاهد الأنبياء والأولياء ومطارج أجسادهم الطاهرة ورفاتهم الكريمة ونفوسهم الزكية : ان مثل هذه المشاهد لخليقة بوجوب هذه الفريضة اليها كما وجبت الى البيت العتيق الذى بناه نبي الله ابراهيم ١١

فان كان هذا الاحتجاج وهذا القول صحيحين مقبولين كان احتجاج هذا الشيعى وقوله صحيحين مقبولين ، وإن لم يكن هذا صحيحاً ولا مقبولاً وهو بلا شك غير صحيح وغير مقبول لم يكن قوله صحيحاً ولا مقبولاً فهما سواء فان صح أحدهما صح الآخر وإن بطل أحدهما بطل الآخر ، وهذا تلميح لا توضيح ، على

أن هذا الرجل لو كان بصيراً حقاً بما يقوله عليهما ، واقع كلامه لعل أنه غلط في هذا الاستدلال والقياس غلطاً مميّناً ، وذلك أنه يستدل بقوله : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلًى » على أنه يشرع تقبيل القبور والتمسح بها والتبرك وشد الرجال اليها وسائر هاتيك الدعاوي ، ولكن من ذا الذي قال له ان هذه الأعمال تجوز كلها وتشرع كلها في مقام ابراهيم ؟ ومن الذي سلم له وقال انه يجوز تقبيل مقام ابراهيم والتمسح به والاستشفاء وطلب البركة حتى يصح أن يكون دليلاً أو شبه دليل على جواز ذلك في غيره ؟ وقد أخرج الطبري في تفسير هذه الآية عن قتادة أنه قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه

وقد اختلف المفسرون ما المراد بمقام ابراهيم في الآية ، فذهب ذاهبون الى أن مقام ابراهيم هو الحرم كله . أفيرى هذا الرجل أن الحرم كله يجوز تقبيله والتمسح والاستشفاء به وكل ما يدعيه هذا المصنف في المشاهد والقبور ؟ ان كان يجب بالاجاب لم يعا به ولا بجوابه ، لأنه خلاف الاجماع والضرورة . وقد ثبت في صفة حج النبي الكريم ﷺ أنه قام خلف مقام ابراهيم وصلى وقرأ « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلًى »

والذي نراه ونرضاه ، أن الأمر بالصلاة في المقام ليس لأجل أن ابراهيم قام فيه وصلى ، وليس لأنه مقام ابراهيم أو مقام غيره من النبيين ، بل إنما كان ذلك لأنه من بيت الله ، ولأن الله أراد من المؤمنين الصلاة فيه لأمر يعلمه وإن جهلوه ؛ وإنما قيل مقام ابراهيم لأنه معلوم بهذا الاسم معروف به ، ولو كان ذلك لأجل ما ذكر الشيعي لكان مقام سيد الأنبياء وخاتمهم أولى وأجدر بهذا الأمر وهذا الاجاب ، والكان اتباع آثاره والصلاة فيها مطلوباً مشروعاً ، ولكن ذلك ليس مطلوباً وليس مشروعاً بل هو منهي عنه كما تقدم عن الصحابة ومن بعدهم من الخلفاء وأئمة آل البيت ، وقد تقدم أن عمر أنكر على الذين رأهم يتعمدون الصلاة

في المسجد الذي صلى فيه الرسول ﷺ وأمر بقطم الشجرة التي وقعت تحنها يمة
الرضوان لما رأى قوماً يعتمدون الصلاة تحتها ، وتقدم رأى علي بن الحسين
المعروف بزين العابدين وروايته ورأى الحسن بن الحسن وروايته ، وتقدم قول
الامام مالك وقول غيره من علماء السلف ، وتقدم قول الامام الشاطبي وغيره من
علماء الاسلام والسنة . تقدم أن السلف بالاجمال كانوا يكرهون اتباع آثار
الأنبياء والصالحين ويرون في ذلك ذريعة عظيى الى عبادة المخلوق والى فساد
العقيدة والذوق والعقل

وليس من ريب أنه او كان اتباع آثار الأنبياء والصالحين مرغوباً فيه لفعله
السلف وتعبدوه ولفعله الصحابة وأئمة الاسلام المرغوب فيهم وفي الاقتداء بهم ،
ولكن لا يحفظ عن أحد من الصحابة ولا عن أحد من الأئمة المعترف لهم بالامامة
الدينية أنه تعمد شيئاً من ذلك ، فلا يحفظ عن أحد منهم أنه تعمد غار حراء أو
غار ثور أو غيرها ليصلي فيه أو ليدعو أو يتحنث كما كان يفعل ذلك رسول الله
ﷺ ، ولو أنهم كانوا يعملون في ذلك فضيلة وأجرأ لتسابقوا اليه ولبادروا الى
الآخذ به ، ولو أنهم كانوا يفهمون من شرعة الحج وقصد مشاعره ومن قوله تعالى :
« واتخذوا من مقام ابراهيم مصلًى » هذه الروح وهذا المعنى الذى يذكره هذا
الرافضى لكانوا بلا شك من السابقين اليه العاملين به ، ولا يجرؤ لا هذا الرجل
ولا غيره أن يدعى أنهم كانوا يقصدون ذلك ويفعلونه كما لا يقدر أن يدعى أنهم
كانوا يعرفون في ذلك فضلاً وأجرأ فيرضون عنه ، كما لا يقدر أن يدعى أنهم كانوا
جهلوا هذا الفضل جهلاً تاماً عاماً حتى جاء هذا الرجل وغيره من الغلاة فهدوا اليه .
هذه أمور واضحة بيئة

وقد قال الحافظ ابن حجر العسقلانى في الجزء الثامن من كتاب فتح البارى
شرح صحيح البخارى ما يأتى :

« تكملة : قال ابن الجوزى إنما طلب عمر رضى الله عنه الاستئذان ^(١) بإبراهيم عليه السلام مع النهى عن النظر فى كتاب التوراة لأنه سمع قول الله فى حق إبراهيم « أنى جاعلك للناس إماماً » وقوله « أن اتبع ملة إبراهيم » فعلم أن الائتمام بإبراهيم من هذه الشريعة ، ولكون البيت مضافاً اليه وأن أثر قدميه فى المقام كرقم البانى فى البناء ليزكر به بعد موته ، فرأى الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسم من بناه . انتهى وهى مناسبة لطيفة » انتهى كلام ابن حجر ومعنى هذا الكلام أن الله أمر بالصلاة فى مقام إبراهيم اقتداء به عليه السلام لا كما يدعى هذا الرافضى وقوله هنا « لأن احترام من جعل الله له حرمة احترام الله وعبادة » تقضى على ما قاله فى الأمر الرابع عشر فى معنى العبادة فإنه زعم هنا أن الاحترام عبادة لله وفى الأمر الرابع عشر ارتاب جداً فى معنى العبادة ولم يدر ما هي وأيقن أنها ليست هى العبادة القلبية ولم يجعل منها نهاية التعظيم والاحترام ولا الدعاء والتضرع لله بل ولم يجعل دعاء الله هنالك عبادة لله شرعية ، وهنا اعترف بأن الاحترام عبادة ، بل اعترف بأن احترام الصالحين والأنبياء عبادة لله

وحينئذ يقال له إذا كان احترام الصالحين عبادة لله فكيف لا يكون احترام الأحجار والأشجار عبادة إله وإما لغيره ؟ وأحسب أن هذا الرجل لا يمكن أن يدعى أن احترام الأحجار والأشجار عبادة لله ، وإذا لم يكن عبادة لله كان عبادة لغيره إذا ما كان الاحترام عبادة كما يدعى هنا وأما لو ادعى أن احترام الأشجار والأحجار وتعظيمها عبادة لله لكان هذا ادعاء أن المشركين وعبدة الأحجار والأشجار والتماثيل غير مخطئين وغير ضالين ، وإمكان هذا ادعاء بخالف الإسلام جهره ، ومن ادعى وجوب احترام القباب المشيدة على القبور ، واحترام الشبايك والستائر المنصوبة على أضرحة الصالحين والنبیین ، واحترام الأبنية القائمة فوقها

(١) وذلك أن عمر طلب إلى الرسول الصلاة فى مقام إبراهيم

- لأن ذلك كله متصل بذلك النبي أو بذلك الولي ومنسوب اليه - لكان مثل هذا الادعاء وجوب احترام الارض التي وطئها الصالحون والنبيون ، والمنازل التي نزلوها ، والبيوت التي ملكوها وسكنوها ، والكهوف التي حلوها ، والآثواب التي لبسوها ، والأشياء التي لمسوها ولا مسوها ، ومن ادعى وجوب تعظيم ذلك كله واحترامه على النحو الذي يريده هذا الرافضى كان بلاريب من المالكين المبغدين ولا مسرة ولا كرامة

وليعلم أن من جملة معاني التعظيم والاحترام بل من شروط ذلك لدى هذا المصنف التقييل والطواف والتسبح والتبرك والبناء وتعليق الستائر والزينات الى آخر ما تصنعه الشيعة لدى القبور المعظمة . فن تعظيم الامر واحترامه عند هذا الشيى تقييله والطواف به والتسبح والتبرك والاستشفاء به . فاذا ما ادعى وجوب تعظيم كل ما يتصل بالأنبياء والصالحين - وهذا ما يدعيه - فقد ادعى جهرة وجوب تعظيم كل البلاد والمنازل والغيران والاحجار والاشجار والآثواب والجمادات والحيوانات التي اتصل بها نبي أو ولي ، وبعبارة أوضح وأصح فقد ادعى وجوب تقييل ذلك كله واستلامه والطواف به والتسبح والتبرك والاستشفاء به ، ومن ادعى أن هذه الأمور كلها من الدين فقد اعترف جهاراً بالشرك وبعبادة الأصنام والأحجار وآتى بأمر الدواهي وكبرى الكبريات ، ونعوذ بالله من هذا

وقوله : « فهو كتقييل الحجر الأسود وتعظيم الكعبة والمساجد والتبرك بجماء زمزم وسجود الملائكة لآدم » جوابه أن تقول قد قدمنا الكلام عليه في صدر هذا الكلام

وقوله : « وإن كان لورود النهى فانه لانهى كما سوف يجيء » جوابه يأتي فيها يأتي

الامر السادس عشر

قال الرافضى : « الأحكام لا تغير الموضوعات . فإذا كان الموضوع على حالة أو صفة قبل الحكم كان كذلك بعد الحكم ، وهذا من البديهيات التى لا يشك فيها من عنده أقل إمام بالعلوم . مثلاً اذا حرم الشرع شتم زيد أو أوجبه وكان الشتم فى نفسه مع قطع النظر عن الحكم بتحريمه أو وجوبه إهانة لزيد لا يصير بعد التحريم أو الوجوب احتراماً له ، وكذلك لو أوجب إضافة زيد أو حرّمها وكانت فى نفسها إكراماً له لا يصير بعد إيجابها أو تحريمها إهانة له ، وإذا كان تعظيم الخلق واحترامه والتبرك به والقيام فى خدمته بغاية الذل والخضوع وما أشبه ذلك عبادة له وشركاً بالله فإذا أوجب الله تعظيم الخلق واحترامه والتبرك به وإطاعته والذل والخضوع له ، ونحو ذلك لم يخرج هذا الوجوب عن كونه عبادة وشركاً ، بل يكون الله قد أوجب الشرك وعبادة الخلق ، لأن الحكم لا يغير الموضوع

« اذا عرفت هذا فاعلم أن وجوب تعظيم الخلق من جناد وانسان واحترامه والتبرك به وإطاعته والقيام فى خدمته بغاية الذل والخضوع وما ينتظم فى هذا ثابت فى الشرع بلا شك ، فقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، ويعقوب وأولاده بالسجود ليوسف ، والولد بتعظيم الوالدين وخفض جناح الذل لهما ، وأمر بالطاعة الرسول وأولى الأمر وبالإتجار بأمره والانتهاه عن نهيه وعدم رفع أصواتنا فوق صوته ، وأمر بتعظيم المساجد والكنية والطواف بها وتعظيم المقام والحجر الأسود وبتر زمزم والتبرك بمائه وتعظيم الحرم الى غير ذلك مما ورد فى الشرع ، فلا بد حينئذ من التزام أحد أمرين إما القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة وشركاً ، أو القول بأن الله أمر بالشرك وعبادة غيره ، ولما كان الشرك قبيحاً ، نهياً عنه موجباً للخلود فى جهنم ، يغفر الله ما دونه ولا يغفره بنص القرآن لم يمكن أن يأمر الله به ، فتمين

القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة موجبة للشرك ، انتهى كلام الشيعي
والجواب على هذا من وجوه :

(أولاً)

قوله الأحكام لا تغير الموضوعات الى آخره ، إما أن يريد أن الأحكام لا تغير أحكام الموضوعات أو يريد أن الأحكام لا تغير حقيقة الموضوعات وماهيتها ؟ انه يريد بلا شك الأول بدليل ما ذكره من المثل بعد ذلك كشم زيد وإضافته وكذا ما ذكر من تعظيم المخلوقات والتبرك بها وسائر ما ذكره في هذا ، فانه كله يدل على أنه يريد أن أحكام الموضوعات لا تغير أحكام الموضوعات ، وليس يمكن أن يكون يريد أن الأحكام لا تغير نفس حقيقة الموضوعات وماهيتها ، فان ذلك لا يناسب موضوع البحث ، ولا يخالف فيه أحد ، ثم لا يحتاج الى الكلام والاحتجاج ، ولو أنه أراد هذا وأقام عليه الدليل الجلي لما أفاده شيئاً البتة ، لأن موضوعنا هنا يتعلق بأحكام الشرعيات وأحكام الأشياء ولا يتعلق بحقائق الأشياء وحقائق الموضوعات ، وهكذا مباحث الشرعيين جميعاً متعلقها أحكام الأشياء لا حقيقة الأشياء ، وإلا لو فرض أنه يريد الثاني أى يريد أن الأحكام لا تغير حقيقة الأشياء نفسها ثم أتى عليه بالحجج الكافية لما كان هذا دالاً على ما يريد إثباته هنا ، فإنا نقول آمنا واعترفنا أن أحكام الأشياء لا تغير حقيقة الأشياء ولا تغير حقيقة الموضوعات ، فإذا عساه يستفيد من هذا ؟ انه لا يدل مطلقاً على أن أحكام الموضوعات لا تغير وهو يريد هنا تناول الأشياء وأحكامها لا حقيقةها وماهيتها وإذا قد علم أنه يريد ما هنا أن الأحكام لا تغير أحكام الموضوعات احتيج مرة أخرى الى معرفة الأحكام التي لا تغير الأحكام ، وورد سؤال : ما معنى الأحكام لا تغير الأحكام ؟ فان ظاهره قاسد ، تهافت متدافع . وليس هذا من

الكلام الواضح الصحيح ، فليس من الصحيح أن يقال ان أحكام الموضوعات لا تغير أحكام الموضوعات ، فانه ان كان يعنى بالأحكام فى الأول والثانى الأحكام الشرعية كان هذا غير صحيح ، فان الأحكام الشرعية إذا وردت على الأحكام الشرعية كانت الأحكام الأخرى ناسخة للأحكام الأولى ان كانت مخالفة لها ، ومؤيدة مقوية ان كانت موافقة لها ، ومن المهود فى الشرع النسخ والتأييد والتقوية فإذا يريد إذن ؟ الذى يبدو لنا أنه يعنى أن الأحكام الشرعية على الأشياء لا تغير أحكام الأشياء العادية ، فإذا كان عند الناس زواج الأمهات والبنات فى عصر من العصور فى قطر من الأقطار حسناً وحيلاً فنزلت شريعة من السماء تنادى بتحريم هذا النوع من الزواج ذاكرة أنه من القبائح المحرمة شرعاً ، لم يكن هذا الحكم الشرعى السامى مغيراً لحكم العادة القاضى بأن هذا النوع من الزواج حسن لا قبيح وهذا كالمثلين المذكورين فى إضافة زيد وشمته . فإذا كان هذا هو ما يعنى قيل له لا ريب أنه غلط جلى ظاهر ، فان أحكام الشريعة على الأشياء أو الموضوعات كما يغير الشيعى تغير أحكام العادة والعرف على الأشياء أو الموضوعات كما يغير الشيعى بلا خلاف بين المسلمين ، فقد تحكم المادة بأن شيئاً من الأشياء حسن جميل لا ينجس قاعه ولا يتنم بل وأنه إيمان وطاعة لله فتأتى الشريعة المنزلة من السماء فتغير حكم العادة والعرف وتبطل معاملته ، وتنقض بأن ذلك الشيء الذى حكم عليه العرف بالحسن والجمال والإيمان قبيح وشر وكفر وشرك بالله ، وقد يكون عكس ذلك تماماً . فتحكم المادة على الشيء بالقبح والشر فتأتى الشريعة فتحكم عليه بالحسن والطاعة . وهذا مما لا نزاع فيه

والشرائع السماوية ما جاءت بالأجمال إلا لتغير أحكام العادات الباطلة ، وتبطل معاملتها

ولقد كنت - كم العادة عند الناس قبل الاسلام جواز عبادة الأصنام

والأشجار ، وعبادة الأصنام والأوثان والصلحين . وكانت هذه العبادة عند أولئك القوم جميلة ورضا لله وللآلهة المعبودة . فأتى الاسلام وحكم بأن تلك العبادة قبيحة وكفر بالله و غضب له وعصيان . وعصيان لنفس من كانوا يبدونهم من الأنبياء والصلحين . فغيرت الشريعة السماوية حكم العادة . فصار الناس الذين كانوا يرون تلك العبادة عقلا وطاعة لله يرونها جهلا وعصيانا له . وكذلك كان حكم العادة في ذلك العصر عند أولئك الناس يرى من الحسن والطاعة وأد البنات والبنين خشية الفقر وخشية العار ، فجاء الاسلام وحكم بأن هذا الواد قبيح شنيع ، وإثم كبير ، فصار الناس يعدونه قبيحا شنيعا حتى الذين كانوا يصنعونه

وكذلك كانت عند الناس في ذلك العصر أنكحة كثيرة يصفونها بالجمال والجواز والحسن . فجاء الاسلام حاكما على تلك الأنكحة بأنها القبح والشناعة الشنعاء فصارت قبيحة شنيعة عند الله وعند الناس

وكذلك يقال في كثير من عبادات المشركين وعاداتهم فانهم كانوا يرونها جميلة فجاء الاسلام وحكم عليها بالقبح فصارت كذلك ولم يبق لها ما كان يظنه الجاهلون من الحسن والحل والجواز

وقد تجرى عادة قوم في عصر من العصور على أن شيئا من الأشياء القولية والفعلية أمر يمتدح به ويفتخر ، فتأتى شريعة الاله وتحكم على ذلك الشيء الممتدح به المفتخر أنه أمر قبيح يذم فاعله ويعاب فيصبح كذلك في عرف أولئك القوم الذين كانوا يرون ذلك الرأي فيه . وقد يكون عكس ذلك . وهذا أمر لا يتنازع فيه . . .

وإذا كانت العادة تغير حكم العادة - وهذا مما لا خلاف فيه أيضا - فان حكم الشريعة الالهية لن يكون دون ذلك ، ولن يمجز عما قدرت عليه العادة وحكم العادة . وقد تحكم عادة عصر وقوم بأن أمرا من الأمور حسن فتأتى عادة عصر

آخر وقوم آخرين فتحكم بأن ذلك الأمر عينه قبيح مذموم فاعله ، وإذا ما كانت
العادة كذلك فالشرعية لن تقل عن أن تصنع صنع العادة بالعادة . هذه حقائق
واضحة جلية أولية . وهي لا تتعلق بموضوعنا كثيراً لولا أن هذا الرفض
حشدنا ، وحشرها في بحثه . فكان لزاماً علينا أن نتعرض لها تعرض موجز
مختصر عجل . . .

وما ذكر من شتم زيد وإضافته ليس صحيحاً ولا حقاً أيضاً ، فإن المثاليين كما
ذكرنا ليسوا موافقين لبحث المسألة ولا ملائمين لما يراد ، وإنما يصح المثاليين أن
يقال ليفرض أن شتم زيد كان عدلاً وجائزاً وغيراً لشتمه فجاء الشرع وحكم بأن
شتم زيد ظلم وعيب في شتمه ، أفلا يكون بعد حكم الشرع عليه بأنه ظلم وعيب
كذلك ؟ وكذا ليفرض أن الضيافة كانت مطلقاً مكروهة معيبة في الضيف
والضيف ، فجاء الشرع وحكم عليها بأنها جميلة وفضيلة في الاثنين معاً ، أفلا تكون
كذلك ؟ أظن الجواب نعم ، هذا ما لا شك فيه

فلاريب إذن أن أحكام الشرع تغير أحكام العادة واصطلاحات الناس على
الموضوعات وتربهم ما كانوا يعدونه عيباً وعاراً فضيلة وغيراً ، وما كانوا يعدونه
فضيلة وغيراً عاراً وعيباً

(ثانياً)

قوله : « وإذا كان تعظيم المخلوق والتبرك به والقيام في خدمته بقاية الذل
والخضوع عبادة له وشركاً بالله فإذا أوجب الله ذلك لمخلوق ، لم يخرج الإيجاب
عن أن يكون عبادة وشركاً ، بل يكون الله قد أوجب عبادة المخلوق والشرك به »
يقال في جوابه محال أن يوجب الله تعظيم مخلوق والتبرك به والقيام في خدمته بقاية
الذل والخضوع ، ومحال أن يبيح الله ذلك لعبده من عباده لا الأنبياء ولا من

دون الأنبياء . والله لا غيره هو الذي يجب على العباد أن يعظموه غاية التعظيم وأن يقوموا في خدمته وطاعته بغاية الذل والخضوع . وغيره سبحانه لا يجوز له ذلك البتة

وأى مسلم يجرو أن يقول إن العبد المسلم يعظم عبدا آخر غاية التعظيم ويقوم في خدمته بنهاية الذل والخضوع ؟ وإذا ما كانت غاية التعظيم جائزة لغير الله وكانت غاية الذل جائزة لغيره تعالى وكانت غاية الخضوع جائزة لعباد الله فما الذى بقى لله من ذلك . وما الذى يجب إفراده به من التعظيم والخدمة والخضوع والذلة ؟ انه لا شئ لله حينئذ من ذلك

أليس أكبر مظاهر الخضوع والذل والتعظيم هو السجود والركوع . ثم الصلاة جملة ١ وهل هنالك مظهر لغاية الذل وأبلغ الخضوع أعظم من السجود والركوع والصلاة ؟ أقول هذا الشيعى ان السجود والركوع والصلاة لغير الله من جهاد وحيوان وحجر وشجر جائزة لأن هذه الأمور هي أعظم مظاهر الخضوع وأبلغ الذل والتعظيم ، وقد قال إن ذلك جائز لغير الله ، ان كان يجب عنده حقا أن يعظم المخلوق من جهاد وحيوان وإنسان غاية التعظيم ويذل له غاية الذل ويخضع له غاية الخضوع تقربا الى الله وتدينا كان ولا ريب واجبا السجود والركوع والصلاة للمخلوق : الأنبياء ومن دون الأنبياء . لأن هذه الاشياء هي غاية مظاهر الخضوع والذلة البالغة ؟ وإذا كان السجود والركوع والصلاة جائزة لغير الله كان غير الصلاة من العبادات كلحج والنذر والذبح والصيام والزكاة وغير ذلك جائزة أيضا لغير الله . وكان جائزا للمسلم المؤمن أن يؤدى جميع العبادات العملية والقولية من واجبات وسنن للأنبياء وغير الأنبياء من حجر وشجر وناطق وصامت تقربا الى الله بذلك إذ لا يمكن أن يقول قائل يعقل مايقول بجواز الصلاة والركوع والسجود للمخلوق ثم يقول ان العبادات الأخرى كالصيام والزكاة والحج لا تجوز

إلا الله فالنتيجة التي لا ريب فيها لكلام هذا الرجل جواز جميع العبادات الفعلية والقرولية لغير الله تقربا الى الله

وإذا كانت العبادات كلها تجوز بل تجب للعباد فما الذي بقي لله وحده لا شريك له ، وبماذا يوحد الموحدون ؟ الجواب وا أسفاه لا شيء

ما أبعد مزاعم هذا الرجل عن القرآن وعن روح الاسلام ومعنى الاسلام وما اتفقت عليه كلمة المسلمين ، وعقدت عليه ضمايرهم ! وما أكثر هذه المزاعم الخاصة لقوله تعالى « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » ويقول تعالى « إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين » ولنظير قوله « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » ولقوله أيضا « وأنبيوا الى ربكم وأسلموا له » وقوله « فاعبد الله مخلصا له الدين ألا الله الدين الخالص » وقوله « فايبي فارهبون » وقوله « فلا تخشوا الناس واخشون » وغير ذلك من آي الكتاب

ولو أن فطينا تدبر كلمة « ومحياي ومماتي لله رب العالمين » وخلص من الأوهام وحقايل العقائد الطاغية لكفته دليلا وحجة على أن الاسلام يريد من أهله أن يخلصوا لله جملة وأن يهبوه كل خضوعهم وخشوعهم وذلم وخوفهم وقلوبهم وقوايلهم وأن يهبوه ذلك كله وحده لا شريك له وألا يهبوا غيره منه لا قليلا ولا كثيرا وقد سمى الله الدين المنزل على جميع الانبياء (الاسلام) وكلمة الاسلام صريحة في أن المسلم هو الذي يستسلم لله وحده ويسلم له كل شيء فيه ويعمنحه ظاهره وباطنه ومادته ومعناه لا يشرك به شيئا . ولعل من العجائب أن تكون هذه الآيات بعض مافي القرآن ثم يذهب من يدعى الايمان بالقرآن ومن يدعى الاسلام يزعم ويكتب زعمه في كتاب ينشره على الناس أنه واجب على المسلم أن يخضع غاية

الخضوع وينل غاية الذل للمخلوقات لا الأنبياء وحدهم بل ولا الانسان وحده بل
للعباد من أحجار وأشجار . وقد قدمنا أن الصحابة ما كانوا يقومون للرسول
الكريم تعظيماً له وإكباراً . لأنهم كانوا يعلمون كراهيته ذلك وقدمننا أنه أنكر
عليهم القيام وراءه في الصلاة قائلاً « ان كدتم تفعلون فعل فارس والروم . فلا
تفعلوا » وأنه نهاهم عن القيام له في مواضع معلومة . ولهذا ما كانوا يقومون له
وهذا معلوم بالنقل الصحيح . وعجيب أن يتأني الرسول القيام لنفسه ولمن هو دونه
ويدع ذلك المسلمون رعيًا لكراهية النبي عليه السلام ثم يقوم مسلم يدعى بأن
الجمادات والمخلوقات يجب تعظيمها غاية التعظيم ويجب الخضوع لها غاية الخضوع
والذل لما غاية الذل !

وفي كتاب نهج البلاغة المنسوب الى الامام على الذي تزم الشيعة أنه أعلى
وأسمى مما ثبت في البخارى ومسلم ما يأتي :

« قال ولقد لقي علياً رضي الله عنه عند مسيره الى الشام دهاقين (١)
الانبار (٢) فترجلوا له واشتدوا بين يديه . فقال ما هذا الذي صنعتموه ؟ فقالوا
خلق منا نعظم به أمراءنا . فقال على والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم ، وانكم لتشقون
به على أنفسكم في دنياكم وتشقون به في آخرتكم . وما أخسر المشقة وراءها
العقاب . وأريح الدعة معها الامان من النار »

فاذا كان مثل هذا منكراً عند على رضي الله عنه مؤاخذاً عليه عند الله فاعجب
أن يجوز ما يدعيه هذا الرافضى للانسان والجماد من التعظيم والذلة والخضوع
وقد قدمنا أيضاً أن رسول الله عليه السلام أنكر على رجل قال له ما شاء الله وشئت
وقال له أ جعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده . وأنكر على من قام بين يديه وقال
خطيباً : من يعلم الله ورسوله فقد رشد . ومن يعصهما فقد غوى . وقال له بئس

(١) الدهاقين زعماء الزراع (٢) الأنبار بلدة في العراق

الخطيب أنت . قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى . وهذا في صحيح . سلم
 وأنكر على من قالوا له نستشفع بك على الله قائلا « شأن الله أعظم من ذلك . انه
 لا يستشفع بالله على أحد من خلقه » . وقد حضر سارق بين يديه وقال أتوب الى
 الله لا الى محمد . فقال عليه السلام : « أما هذا فقد عرف الحق لأهله » وقالت
 السيدة عائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من السماء وقال لها أبواها قومي الى
 رسول الله واشكركه : كلا والله لا أحد إلا الله ولا أحد غيره فهو الذي أنزل
 براءتي . وهذا في صحيح البخاري وغيره . وأنكر قول من قالوا له أنت سيدنا وابن
 سيدنا قائلا لهم : أيها الناس لا يفونكم الشيطان ولا يفتنكم ، وكان من أقواله
 المشهورة الصحيحة : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم . إنما أنا عبد
 فقولوا عبد الله ورسوله » . الى أشياء أخرى كثيرة في هذا الباب

فن العجب أن تكون هذه من أقوال الرسول الكريم ﷺ ثم قوم من يدعى
 الاسلام مدعى أن المسلم يجب عليه أن يخضع لعبد مثله غاية الخضوع وأن يذل له
 غاية الذل وأن يعظمه غاية التعظيم ، ثم يزعم هذا القائل بأقواله هذه ويعجب بها
 فيضعها في قرطاس يحاول أن ينشره بين الناس ليعروا رأيه

ثم من العجب ألا يكون هذا التعظيم وهذا الذل والخضوع واجبا للأنبياء
 وللانسان فقط بل يدعى أنه واجب للحيوان والجماد والحجر والشجر أيضا ، ثم
 يقول بعد هذا إذا فرضنا أن هذه الأشياء المذكورة عبادة لمن كانت له ، ثم فرضنا
 أن الشارع أمر بها مخلوق نبى أو ولى أو حيوان أو جماد لم يلزم أن يكون الشارع
 أمر بعبادة غير الله ولا بالاشراك به ولم يلزم أن تكون الأمور المذكورة المأمور بها
 عبادة وإن كانت قبل الأمر بها عبادة ، هذا معقول على رأى هذا المصنف ، ونظيره
 عنده أنه ذكر في الأمر الرابع عشر أن السجود من جملة العبادة ، وأن الله أمر
 الملائكة بالسجود لآدم ، وأن يعقوب وبنيه وزوجه سجدوا ليوسف ثم ذكر في

هذا الأمر أن الله لا يمكن أن يأمر بعبادة غيره ولا أن يأمر بالاشراك به ، فالسجود إذن باعتباره عبادة والله أمر به للمخلوق باعتباره أيضاً ، والله لا يأمر بعبادة غيره باعتباره أيضاً ، إذن فالسجود كان عبادة فلما أن أمر الله به المخلوق لم يكن عبادة ولا أمراً بعبادة غيره لأن الله لا يمكن أن يأمر بعبادة غيره كما يقول هذا الشيعي وهذا نقض على قوله هذا بين ظاهر لا حيلة له في دفعه

(ثالثاً)

قوله « ان وجوب تعظيم المخلوق من جماد وانسان واحترامه والتبرك به وطاعته والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما ينتظم في هذا السلك ثابت في الشرع » قول هو احدى مصائب الدهر وما سبه

كان الناس العتلاء يزددون عقول عباد الشمس والقمر وعباد النار والبقر وعباد الكواكب والحيوانات وعباد الانسان والجان والملائكة : كانوا يزددون عقول هؤلاء الذين فتنوا بهذه المخلوقات فمظموها وذلوا لها واسقطوا الخضوع والمهانة والخوف والرجاء لها ، فاذا بامام من أئمة الشيعة ومجتهديهم ، من يدعى بالمجتهد المطلق وبالسيد الأمين يتوقل الدرجات ويسمو ثم يسمو فيسمو على الأقران والفرسان في هذا الميدان ، فيذهب يزعم أن المسلم صاحب دين التوحيد المصطفى الخالص ، وصاحب القرآن دين التوحيد والافراد يجب عليه أن يهون ثم يهون ويذل ثم يذل ويخضع ثم يخضع حتى يهوى ويسرف في الهوى والانحدار حتى يضع نفسه في سفلى الدركات ، ويصير تحت أرذل المخلوقات فيذل غاية الذل للعبادات ويخضع لها غاية الخضوع ويعظمها غاية التعظيم ، ثم لا يكفيه هذا كله بل يذهب يقول ويكتب ما يقول : انه واجب على المسلم أن يقوم في خدمة الجهاد من حجير وشجر بغاية ما يقدر عليه من خشوع وخضوع وذلة وخشية ، ثم لا يكفيه هذا كله

يل. يذهب يطلب للبركات من الجماد كالأحجار والأشجار ، والبركات هي الزيادات ، أى يذهب يطلب الزيادة من هذه الجمادات ، الزيادة في العمر وفي المال والعقل والروح والدين والبنين ، وفي الماديات والروحانيات ، ممن يطلب هذا ؟ انه يطلبه من الجمادات الأحجار والأشجار والصخور والرمال ، ماذا يطلب منها ؟ انه يطلب منها البركات ، وعلى حد تعبيره هو يتبرك بها ، وماذا يعنى بالتبرك ؟ انه يعنى به طلب البركات أى الزيادات ، ثم يعنى به العكوف عليها والتسبح بها والتقبيل لها وتقريب القرابين اليها والانتفاع على وجه الاجمال اليها ، أهدا كله يصنعه المسلم للجماد الصامت ؟ أجل ، ثم لا يكتفى كل هذا بل يجب عليه أيضا أن يطعم الجمادات وأن ينقاد لأوامرها وينزجر عن نواهيها ، أو يمكن أن تأمر الجمادات وأن تتكلم حتى تمكن طاعتها والامتثال لأمرها ؟ أجل انها تقول وتتكلم ولولا ذلك لما قيل تحب طاعتها

يا لله لدين الاسلام ودين التوحيد من أصدقائه الذين هم أضر عليه من أعدائه ومن القائمين للدفاع عنه الذين هم أشد إيقاعاً به من خصومه ؟ ويحك يا هذا ! ! اذا كان هذا كله جائزاً أن يعمل المسلم للمخلوقات كلها حتى الجمادات والصامتات فما الذى بقى لعبدة الأصنام والمشركين والكفار ؟ وبماذا كان المشركون مشركين والكفار أعداء النبوة والأنبياء كافرين اذا كان تعظيم الجمادات غاية التعظيم والذل لما غاية الذل والخضوع لها غاية الخضوع من الاسلام ومن الايمان بالله ؟

أليس غاية الذل والخضوع والتعظيم هو الصلاة والركوع والسجود كما قدم آنفاً . فهل تقول انه جائز أن يصلى المسلم وأن يركع ويسجد للجماد وأن يصوم له ويذكر ويحج وينذر ويذبح ؟ ويح هذا ! ماذا بقى للمشركين بعد هذا ؟ ارجع الى كتب (الملل والنحل) وكتب (السير والأصنام) والى كتاب

(الملل والنحل للشهرستاني) في مباحث عبدة الأصنام وعبدة الأفلاك والشمس والقمر والكواكب كي تعلم كيف كانت عبادة هؤلاء للأصنام وللكواكب وكيف كانت الوثنية والشرك والكفر . إنك إذا رجعت الى ذلك وجدتهم يقولون ويصنعون شرك المشركين بشكل قد لا يبلغ من الغلو والمغالاة في الغلو ما تزعمه للجماد والانسان من التعظيم والذلة والخضوع ، وطلب البركات ، وضروب الحاجات

قال الشهرستاني في كتابه المذكور تحت عنوان « عبدة الأصنام » :
« ولكن القوم لما عكفوا على التوجه الى الأصنام وربطوا حوائجهم بها من غير إذن ولا حجة ولا برهان ولا سلطان من الله ، كان عكوفهم ذاك عبادة وطلبهم الحوائج منها إثبات إلهية لها ، وعن هذا كانوا يقولون ما نعبدكم إلا ليقربونا الى الله زلفى ، فلو كانوا مقتصرين على صورها في اعتقاد الربوبية والالوهية لما تعلوا عنها الى رب الارباب »

وقال تحت عنوان (عبدة الكواكب) : « وهي (أى الشمس) ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء ، ومن سنة عباد الشمس أن اتخذوا لها مناً له بيت خاص ووقفوا عليه ضياعاً وقرى وله سدة وقوام ، فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات ويأتيه أصحاب الطل والأمراض فيصومون له ويصلون ، ويدعون ويستشفون به » . وقال الشهرستاني أيضاً تحت عنوان « آراء العرب في الجاهلية » :

« أول من وضع الأصنام في البيت عمرو بن لحي لما ساد قومه بمكة واستولى على أمر البيت ثم صار الى مدينة البلقاء في الشام ، فرأى قوما يعبدون الأصنام ، فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب اتخذناها على شكل المياكل العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى ، فأعجبه ذلك وطلب منهم صنما

من أصنامهم فدفنوا له « هبل » فسار به الى مكة ووضعها في الكعبة وكان معه أساف ونائلة ، فدعا الناس الى تعظيمهما والتقرب اليهما والتوسل بهما الى الله « قال « والعرب أصناف في ذلك صنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا لها القرابين وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر وحلوا وحرموا وهم الدهماء من العرب »
ثم قال الشهرستاني بعد هذا :

« فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتي ملك من السماء (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الأصنام المنصوبة . أما الامر والشرعية من الله اليها فهو المنكر فيعبدون الأصنام التي هي الوسائل وذا وسواها ويعوث ويعوق ونسرا . وكان ود لكلاب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل وكانوا يحجون اليه وينحرون له . ويعوث لمذحج ولقبائل من اليمن . ويعوق لهمدان . ونسر لذي الكلاع بأرض حمير . وأما اللات فكانت لتقيف بالطائف والعزى لقريش وجميع بني كنانة ومناة للاوس والخزرج وخسان . وهبل أعظم أصنامها عندهم ، وكان على ظهر الكعبة أساف ونائلة على الصفا والمروة وضعهما عمرو بن لحي وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وكان لبني ملكان من كنانة صنم يقال له سعد وهو الذي يقول فيه قائلهم :

أتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بقنوفة من الارض لا يدعولفى ولا رشد

وكانت العرب إذا لبث وأهلت قالت : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك » وتقل غير ذلك وكذا نقل غيره كابن هشام وغيره وأنت ترى من هذه النقول التي لا خلاف فيها بالجملة بين أهل العلم أن عبادة

الأنعام كانت عبارة عن تعظيم صور الافلاك وصور البشر المختارين المصطفين وتعظيم الاحجار والاشجار والذلة والخضوع لها وتقريب القرابين والهدايا اليها والاستشفاع، الاستشفاء بها . وما يشابه هذا . وهذا هو ما يزعم هذا الرجل أنه مطلوب من المسلمين أن يعملوه كله لاجهاد والانبياء والصالحين على أن هذا الرجل يتوهم في تعميم هذه العبادة وهذا التعظيم ، الخضوع ، التبرك . والذلة للمخلوقات من الاحجار والاشجار وآثار الانبياء والارباب . أما المشركون الذين حدثنا عنهم المؤلفون الثقات وحدثنا عنهم القرآن فما كانوا يعمدون بعبادتهم جميع المخلوقات من إنسان وحجر وشجر وجهاد صامت بل كانوا يختارون من ذلك ما يختارون ، يخلصون ما يخلصون من صور الافلاك النيرة العلوية وصور البشر المظاهر المخصوصين بالنسبة ، الولاية . كما يخلصون الملائكة لرفعة قدرهم وقربهم من الله ، وما زعموا زعم هذا المسلم الشيعي ، مما عموما تعميمه ولا أباحوا ما أباح وهذا ظاهر -

وال مؤلم حقاً أن يزعم أن هذا ثابت في الشرع ، أين في الشرع ما يأمر بتعظيم الجمادات وما يأمر بالذلة ، الخضوع لها وطاعة أوامرها لو كانت لها أوامر وما يأمر بالقيام في خدمتها بزيادة الذل والخضوع وما يقوم هذا الناس ؟ هذا ما لا يجد إليه سبيلاً وهذا ما ينبغي طالبه

هذا القرآن من الدفة الى الدفة ، ومن القائمة الى المودتين ، ومن المودتين الى القائمة ، أو من ألفه الى يائه كما يقولون ، بأمر بالخضوع وسرعة بعبادة الله والذلة له والرغبة والرهبة منه والخشوع والخضوع بين يديه وأن يخلص له الدين والرجاء والفصد والتوجه والاستسلام ظاهراً وباطناً قلباً ، قالبا ، ولكن لن نجد حرفاً واحداً يأمر بتعظيم الجماد أو الذلة والخضوع له أو الطاعة لأوامره والقيام في خدمته قيام ذلة وخضوع على وجه من الوجوه . وما هو القرآن وما هي السنة

بل لقد تواتر في القرآن وفي السنة الصحيحة الحث على أفراد الله بالدين وإخلاصه له وإخلاص العبادة بكل معانيها . وليس هنالك ريب في دخول هذه المعاني كلها في مضمون الدين ومشتقات العبادة . كما سلف هذا في الفصل الخاص بالعبادة ومن أعجب ما في هذا أن الشرع نهى عن الصلاة لله وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ووقت انحرافها خوفاً من أن يكون في ذلك شبهة في أن للشمس في هذه العبادة حظاً أو نصيباً ما ، ونهى عن زيارة القبور في بدء الإسلام وقال طوائف من أهل العلم أن ذلك كان خوفاً من أن يتفدح في صدر الزائر أو يقع على لسانه أو على جوارحه شيء من الفلو في الاموات المزورين ، وقد تقدم أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن اتباع آثار الرسول الكريم ومنازله ، وينهى عن عبادة الله في الاماكن التي كان النبي الكريم يعبد الله فيها ، وكذلك كان العلماء من السلف كالامام مالك ينهون عن ذلك

ومن أعجب ذلك وأبلغه ما رواه الترمذى وغيره عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن حدثاء المهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عليها ويلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال الرسول الكريم « الله أكبر . انها السنن . قلتم والفى نفسى بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة »

ولا ريب أن الصحابة ما كانوا يريدون بهذا الطلب أن يجعلهم يعتقدون أن الشجرة لهم وخالقهم ورازقهم ولا يريدون أن يصلوا لها وأن يصوموا وأن يركعوا وأن يسجدوا ، على أن المخالف لا يرى في السجود لغير الله شركاً . لا يمكن أن يكونوا يريدون شيئاً من ذلك ، لأنهم إنما قتلوا من هذا وسكنوا به في دخولهم الإسلام ، وإنما كانوا يريدون تعظيم الشجرة والتبرك بها والمكوف عليها وتعليق الأسلحة وربط الحاجات بها والنزول تحتها للبركة والاستشفاع ، فقال لهم

(٣٠٥)

الأنبياء الكرم ﷺ أن ما طلبتموه اليوم هو الشرك عينه وهو ما طلبته بنو إسرائيل من نبيهم موسى بلا فرق وإن كان هنالك فرق في اللفظ فقط . ولهذا تحقيق سيأتي . فلا ريب أن قول هذا الشيء هنا قول عظيم

(رابعا)

قوله « وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم والولد بتعظيم الوالدين وخفض جناح الذل لها وإطاعة الرسول وأولى الأمر إلى آخره »
جواب هذا تقدم في الأمر الذي قبل هذا الأمر أي في الأمر الخامس عشر وفي الأمر الرابع عشر

(خامسا)

قوله « ولا بد حينئذ من أحد أمرين : إما القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة وشركا ، أو القول بأن الله أمر بالشرك وعبادة غير الله . والله لا يأمر بالشرك فتعين القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة موجبة للشرك »
يقال في جواب هذا : إن مثل هذا الرجل فيما قاله هنا كمثل من قيل فيه المثل المشهور « وفسر الماء بعد الجهد بالماء » وذلك أن مخالفه لم يدعوا قط أن كل تعظيم عبادة لمن عظم ، فإنهم يرون وجوب تعظيم الرسول ﷺ وتعظيم سائر الأنبياء والمرسلين ، وسائر الصحابة وأئمة الدين ، وهم يعظمونهم التعظيم الخلق بهم ، ويرون أن من لم يعظم الأنبياء والمرسلين فليس بمسلم ولا بمؤمن ، ولا يرون أنهم بتعظيمهم إياهم يعبدونهم ويحملونهم لله شركاء ولكنهم مع هذا لا يعظمونهم كما يعظمون الله ، ولا يبالغون في تعظيمهم مبالغة تخرجهم عن نطاق الذوق والدين والأدب السماوي ، ولا يعظمون أحدا كالله كما لا يحبون أحدا كالله ، ولا يرجون

أحدًا كالله ، ولا يخافون أحدًا كالله ، ولا يأملون أحدًا كالله ، ولا يرهبون أحدًا كالله ، ولا يرغبون إلى أحد كرغبتهم إلى الله ، ولا يطيعون مخلوقًا كطاعتهم لله ، وهم يرون أن من سوى بين الله وبين عباده في هذه المعاني والأمور فقد فارق الإسلام واعتزل التوحيد المقترض على كل العبيد ، ثم هم يعظمونهم تعظيم العاقل لا تعظيم الجاهل فهم لا يهبونهم حق الله وما وجب له باسم هذا التعظيم وبحجة هذا الاحترام كما صنع أقوام ضلوا سبيل الله وسبيل العقل وتمدوا حدود الله وحدود العقل . فانهم بهذا انتقلوا من تعظيم العباد إلى انتقاص رب العباد ، وهذا شر الضلال . ولا شك في أن من انتقص الله وفرط في حقه أخلق باللائمة والاثم العظيم ممن تهاون في تعظيم عباده المصطفين المعظمين وفرط في حقهم فراراً من إعطائهم حق الله الذي لا يكون إلا له لأنه ربهم ورب العالمين

فالمخالفون لهذا الرجل لم يدعوا قط أن كل تعظيم عبادة ولم يتفوهوا بهذه المدعى لا تصريحاً ولا تلويحاً ، فإن كان كلامه قائماً على أنه ليس كل تعظيم عبادة فليشر بأنه لا خلاف بينه وبين من يحاول الرد عليهم ، وليعلم أن السلفين أو الوهابيين كما يعبروهم لا يقولون ولا يدعون أن كل تعظيم عبادة . فليعلم بهذا عيناً وليطب بهذه النتيجة نفساً ولكنهم يقولون أن من التعظيم ما هو عبادة ومن المعظمين من هم معبودون . فالخلاف هو في هذا فأن كان يوافقهم على هذا كما يبدو من كلامه هنا فقد انتظم جبل النزاع واعترف بأن من التعظيم ما هو عبادة ومن المعظمين من هم معبودون ، وإذا ما اعترف بهذا لم يكن له أن ينازع من قال إن هؤلاء المعظمين للأموال المنقطعين إليهم في سرايهم وضرائهم وفي شدتهم ورخائهم خارجون على عبادة الله عابدون لغير الله . وهذا هو محل الخلاف ومعتك الخصاص فإن سلم هذا كما هو ظاهر كلامه فقد خسر الموقعة وألقى السلاح ، وإن لم يسلم أن من التعظيم ما هو عبادة بأن زعم أن كل تعظيم ليس عبادة البتة فقد صار إلى ما لا

يصبر اليه عاقل ، فانه حينئذ يلزمه القول بأن من عظم مخلوقا ما من صامت وناطق
أبأن التعظيم وأعظمه بل وإن عظمه فوق تعظيمه لله لا يكون مخالفاً للإسلام ولا واقعاً
في أمر يستوجب الكفر ، وهذا لا يقوله مسلم بل ولا عاقل غير مسلم ، وهذا رأس
ما ننكره عليه وعلى إخوانه في كتابنا هذا ، على أننا نقول ان هذا الشيى لا يسير
على علم واحد ولا على منطق متسق متماسك بل هو يسير على نحو قلق مضطرب
ومنتق متدافع متهاافت ، وذلك أنه يقول هنا انه لا يمكن أن يأمر الله بعبادة غيره
لأن ذلك قبيح شنيع تدفعه العقول وتتأباه الآليات الصحيحة السليمة . هذا ما قاله
هنا وقد قال في الأمر الرابع عشر السابق في معنى العبادة ان الله قد أمر بعبادة
غيره كما أمر الملائكة بالسجود لآدم ويعقوب وأولاده بالسجود ليوسف ، وزعم
هناك أنه ليس كل العبادة لله خاصة ، بل الخاص بالله من العبادة قسم مجهول غير
معروف ولا معلوم ، وقال أيضا انه لا يمكن أن يزعم أن كل أقسام العبادة خاص
بالله وحده لا شريك له

وهذا التدافع في كلام هذا الرجل سببه أن صاحبه ليس على صواب وحق
فيما يقول وما يكتب ، ولكنه يكتب تموجات فكرية وخطرات غير ثابتة ولا قارة
منه مضطربة لا تستقر على حال ولا تسير الى وجه سوى بل هنا وهناك
والله هو الهادى وحده ومن وراء كل قصد

الأمر السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر

هذه الأمور الثلاثة خاصة بحياة النبي الكريم وبحياة سائر الأنبياء والشهداء
بل وبحياة سائر الناس في قبورهم ، وخلاصة ما ذكره في هذه الأمور الثلاثة أن
الأموات كلهم حتى الكفار منهم أحياء في قبورهم ، وقد ذكر في ذلك روايات
غالبها ضعيف ، وفيها ما هو موضوع مختلف

ونحن نقول لسنا ننازع في أن الأموات كلهم أحياء حياة بوزخية روحية غيبية بل ولسنا ننازع في حياة الكفار منهم هذه الحياة الغيبية الروحية ، وقد دلت على هذا الدلائل المتكاثرة من الكتاب والسنة ، وأجمع عليه أهل السنة من المسلمين ، وذلك أن للمرء بموته تنتقل روحه الى النعيم إن كان من المؤمنين الصالحين ، وإلى العذاب الآليم إن كاف من الكافرين الفاسدين ، وقد جاءت الآيات والأحاديث النبوية في ذلك وأجمع عليه المسلمون ما خلا شراذم أنكرت وجود العالم الروحاني مستقلا ، وهذه الشراذم المنكرة محجوجة بنصوص الدين التي ليس هذا مكان بسطها وبيانها ، ولكن الشيء الذي نقوله هنا : أن يعلم أن وجود العالم الروحي ووجود الأرواح بعد موت أصحابها في الجنة أو في النار ليس دليلا على أنهم يستغاثون ويستصرخون ويسألون الحاجات ، لأن وجود أرواحهم كما ذكر ليس برهانا على أنهم يسمعون دعاء من يدعوهم واستصراخ من يستصرخهم ، وليس برهانا على أنهم يقدرون على ذلك وعلى إعطاء ما يسألون لو كانوا يسمعون الاستغاثة والاستصراخ ، ثم لو فرض أنهم يسمعون ويقدرّون على إعطاء ما يسألون لم يكن هذا برهانا على أنهم يفعلون ذلك . ثم لو فرض أنهم يفعلونه لم يكن برهانا على أنه مباح للناس أن يسألوهم إياه ، وأن يستغيثوهم لأجله . وذلك لأنه ليس كل ما يفعل ويصنع يكون مباحا طالبا جائزا سؤاله ممن يقضيه ويعطيه ، وليس من ريب أن من ذلك ما هو ممنوع شرعا محرم عقلا ، وذلك كاستجداء الغني غير المحتاج وكطلبه الصدقة من المتصدقين ، فانه اذا سأل وهو غير معروف الحال ولا معروف الغنى يعطى شرعا ولا يجوز منعه ، مع أن استجداء الغنى محرم ممنوع دينيا ، فيعطى ما هو عليه حرام في الشرع وفي العقل ، وليس إعطاؤه ولا وجوب إعطائه دليلا على جواز سؤاله ما يعطى

ولهذا نظائر كثيرة معلومة ، ولا ريب أن هذه الأشياء كلها لا بد لها من

الدلائل والحجج كي تكون مقبولة ، وأما بغير ذلك فلن تقبل ، وإننا نعلم بالضرورة وبالحجج الكثيرة أنه غير جائز الاستغانة بالأرواح ولا سؤاها ولا سؤال الأموات واستغاثتهم بحجة وجود أرواحهم وحياتها ، ويدل على ما نقول أمور ~~كثيرة~~ عقلية ونقلية :

(أولها)

أن أعلم الناس بالاسلام وأنفذهم بصراً بالدين وأتقاهم لله وأحرصهم على العمل الصالح ، الذين شهدوا تنزل الوحي ونزول القرآن ، وعرفوا أسباب نزوله ومواقعها وعرفوا مصادرها ومواردها ، والذين شهدوا الرسول الكريم يفسر لهم الكتاب الكريم بأقواله تارة وأفعاله تارة أخرى وعباداته تارة وتوليحا وتصريحا وإيماء وتنبيها ، والذين هم أعلم الناس على الإطلاق بمرامى القرآن ومقاصد السنة وروحها وغواها ، وأعني هؤلاء صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار أقول : إن هؤلاء كلهم يعلمون - ولا يشكون - وجود الأرواح بعد الموت : أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، ويعلمون ما ذكر الله في ذلك من دلائل الكتاب والسنة . ولكن أحدا منهم مع هذا لم يحاول يوما أن يسأل ميتا حاجة من حاجاته لا الرسول الكريم ولا من هو دونه لا في حالات السراء ولا في حالات الضراء ، ولم يحاول أن يطلب ميتا قضاء حاجة واحدة من حاجاته التي تلازمه كل وقت والتي لا تنقضى ، وحاجة من عاش لا تنقضى ، ولم يستصرخ الرسول ﷺ ولا غيره بعد الموت لنازلة نزلت أو عظيمة وقعت لازلتها أو تخفيفها أو تلطيفها

وقد أصيب الصحابة بعد موت النبي ﷺ بمصائب متنوعة دينية ودنيوية ووقعوا في أفاين من أشراك البلاء ووقعوا في نزاع في مسائل كثيرة وفي حروب

طاحنة مؤلة وفي خلاف حاد في أمور صغرى وكبرى جوهرية وخير جوهرية
باعتراف هذا الشيعى وباعتراف طائفة الشيعة كلها ، ولكنهم مع هذا لم يحاولوا أن
يفضوا النزاع أو يكشفوا ما بهم من بلاء بالرجوع الى الرسول ﷺ وبالرجوع
الى سؤاله ، والاستغاثة به والاستصراخ بشفاعته لهم عند الله ليكشف ما بهم ،
وما أصابهم

وقد كان من السهل اليسور عليهم أن يفزعوا الى النبي الكريم أو الى غيره
من الصحابة والشهداء فيطلبوه أن يحكم بينهم في مسائل الخلاف والنزاع وأن يفيهم
وأن يشفع لهم عند الله ليخلصهم مما حل بهم من شراذم البلاء والضراء ويطلبوه
العون والامداد اما بالفعل واما بالدعاء والشفاعة وإما بهما معاً وإما بغير ذلك مما
يصنعه هؤلاء المفتونون المتغالون لدى قبور أهل البيت النبوى

وقد كانوا رضى الله عنهم يرجعون الى النبي الكريم يوم أن كن حيا بين
أظهرهم عند احمرار البأس واشتداد البلاء ، يسألونه الشفاعة والدعاء ويسألونه ما فى
استطاعة مخلوق مختار مثله أن يصنعه من العون والامداد والشفاعة والدعاء والحكم
والقضاء بينهم . وهذا وارد كثير فى كتب السنة الصحيحة بل هو متواتر عنهم
بالأسانيد الصحيحة ، وهو أمر لا ينازع فيه أحد أو يجعله أحد من أهل العلم ،
ومثله لا يحتاج الى ايراد الشواهد عليه لظهوره ولعلم الناس به ، ولأنهم
لا يتنازعون فيه

فاقصار الصحابة عن ذلك كله بعد موت النبي الكريم وقد اصطدموا بحاجات
ملحة إليه وبأمور طاغية باغية تتعلق المصطلم بها بالأسباب كلها قوتها وضعفها ،
برهان لا يرام اضعاظه ولا القدح فيه على أنهم يرون ذلك بعد الموت غير جائز
وخير مشروع وعلى أنهم لا يختلفون فى هذا ، لأنه لم يأت عن أحد منهم بسند يعبأ
به أنه فعله ، وعلى أن الأموات مع وجود أرواحهم وحياتها لا يدعون ولا

يستمرخون ولا يفزع اليهم البتة

وقد اصطلم الامام على رضى الله عنه على وجه الحصون بمصائب جسيمة محطمة وبأمر نكراء جبارة ، وقد أحاطت الأرزاء بسجواته وجهاته بحيث يعنى القدمة الشجاع الحطمة الخروج منها ناجيا من داخلية الى خارجية ومن دينية الى دنيوية الى غير ذلك ، ومع هذا كله لم يحاول يوما أن يرجع الى النبي الكريم ، والى الاستغاثة به والفرع اليه لطلب الشفاعة وطلب المدد والعون . ولن يجيء عنه فى ذلك ثقل يشبه الحرج ويحرز اسم البراهين . وهذه خطبه وأقواله المتنوعة الكثيرة المجموعة فى كتاب « نهج البلاغة » كما يدعى الشيعة ليس فيها لفظ واحد من هذا ، فلماذا أعرض عن الرسول ﷺ بعد موته ، إذا كان دعاؤه مستطاعا مشروعا لديه . .

وكذلك ابنته فاطمة رضى الله عنها واجهتها أمور تفرى بالفرع الى والدها عليه الصلاة والسلام وتفرى بالرجوع اليه لطلب النجدة والعون لكنها لم تفعل شيئا من ذلك ولم تحاوله على وجه من الوجوه

وكذلك الخليفة الحبي الأمين الهين اللين المبلى عثمان رضى الله عنه ، قد ابتلى بأعظم ما ابتلى به خليفة صالح مثله . ثار به الأشرار وحاصروه فى بيته وضيقوا عليه ، ثم لجؤا عليه داره وقتلوه قتلة سوء فى مدينة الرسول الكريم وجوار القبر النبوي الشريف ، وقد ضحى هذا ما لا يطاق من البلاء والأرزاء الجسيمة ولكنه لم يسأل الرسول شيئا فى هذه النوازل ، ولم يطلب منه اغاثة ولا شفاعة ، ولا عوناً ولا مدداً . ولا ريب أنه قد كان فى أشد الحاجات الى ذلك كله ، وأنه لا يمكن أبداً أن يصدق عنه وهو يعلم أنه مجديه ونافعه شيئا

ومثل هؤلاء وهؤلاء غيرهم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان وإيمان ، أصابهم ما أصابهم وحل بهم ما حل وانتقصت دنياهم ودولتهم وتناوبتهم

المصائب الخاصة والعامة فلم يستغيثوا بالأموات ولم يسألوهم شيئاً لا الرسول ولا من دون الرسول من الصحابة وآل البيت الطاهرين
فلماذا هذا الاقتصار عن الرجوع الى الأموات والفرع اليهم والاستعانة بهم
وطلب الشفاعة منهم اذا ما كان ذلك مشروعاً مستطاعاً ، واذا ما كان فيه خير في
الدين أو الدنيا ؟

ان الجواب الصحيح لهذا السؤال الصحيح هو الاعتراف بأن طلب الأموات
وسؤالهم والاستغاثة بهم والرجوع اليهم ليس جائزاً وليس مشروعاً ولا مستطاعاً
باتفاق الصحابة ومن تبعهم باحسان وباجماع سيرتهم العملية الصامتة ، ثم الاعتراف
بأن الاستغاثة بالموتى باطلة غير جائزة بالضرورة وبالاجماع الصامت وكل جواب
غير هذا هو جواب باطل مدخول متكلف . فأن من جاب عن هذا زاعماً بأنهم
كانوا يصنعون ذلك غير أنه لم ينقل اليها كان متكلفاً وقائلاً قولاً باطلاً لا ريب في
بطلانه ووهنه . فان علماء الرواية والنقل كانوا يروون كل ما يتصل بعلمهم من سير
الصحابة ومن دون الصحابة ، وكانوا لا يدخرون وسعاً في إثبات ما يعلمون من
ذلك وفي روايته وتدوينه حتى لقد كانوا يلاقون المشاق ويقتحمون الشق النائية
المضنية برضى وطواعية في سبيل رواية شيء من ذلك ، ولقد كانوا ينقلون عنهم
ما قد يعدونه وما قد يعده غيرهم ما أخذ وصوبوا في حق الصحابة الكرام ، كما كانوا
ينقلون التافة النزر من الأخبار . كل ذلك قد كان وأكثر منه حرصاً على الرواية
والتدوين وعلى اثبات سير الأولين . فكيف بعد هذا . كله يعرضون عن أمثال
ما ذكرناه من الشئون الكبرى التي هي في صميم الدين وصميم العقيدة ؟ لا ريب
أن من اختار هذا الجواب فقد تكلف وقال قولاً باطلاً

وكذلك من أجاب عن هذا بأنهم كانوا يجهلون جواز هذه الأمور والمسائل
ولا يبرهنونها مع ثبوتها وجوازها . أو أجاب بأنهم يعرفون هذا كله ولا يجهلون

(٣١٣)

ولكنهم أعرضوا عنه زهداً فيه وفي ثوابه ورغبة عنه وعما فيه من الأجر فقد انتحل جواباً باطلاً جداً وضعيفاً جداً ، وفي هذا ما فيه من القدح في قادة المسلمين وفي علمهم ودينهم ، وإن المؤمن يرغب بنفسه ودينه عن هذا وعن القدح في سلف الأمة الأكرمين ، ويرغب بدينه ونفسه عما يرغب عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والانصار والمهاجرون والتابعون والائمة الآخرون

(ثانیہ)

إن الله تعالى قد قطع النزاع والخلاف في هذه المسألة وأبانها وشفى في بيانها في آيات صريحة واضحة لا تنازع ولا تؤول . فقد أبان أن الأموات قد أفضوا الى عالم آخر بعيد قصي غيبي لا يسمعون ولا يعلمون عن أهل الدنيا وعن دعاهم في الدنيا شيئاً لا قليلاً ولا كثيراً ، وأبان أنهم لو علموا ذلك لما استطاعوا أن يعملوا شيئاً ولا أن يقضوا مسألة سائل ولا حاجة محتاج ولا أن يجيبوا طلبه طالب ، وسائل من لا يجيب كعجيب من لا يسأل كما قيل

وهذا في آيات عدة . قال تعالى « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألم لهم أرجل يعيشون بها أم لهم أيدي يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيون فلا تنظرون »

وهذه الآية بوضوحها وبينونة مفزاها غنية عن أن تقول انها نص واضح صريح على أن من كان يعبد المشركون من عباد الله الذين هم مثل العايدین بشر ما بين رجال ونساء إلا أنهم قد ذهبوا وأفضوا الى العالم الباقي الآخروي - لا يسمعون دعاء من دعاهم ولا يبصرون أعمال من أشرك بهم وفزع اليهم وقدم لهم ماشاء من القرابين والندور وأنهم لو سمعوا الدعاء وأبصروا الداعين ثم أرادوا نفهم ودفع

الضرء نهم لما استطاعوا الى ذلك سبيلا . وذلك لانهم فقدوا الآلات التي بها يستطيعون أن يعملوا وأن ينفخوا ويضروا . فقد فقدوا الأيدي التي بها يبطشون والارجل التي بها يمشون فهم لا يستطيعون حراكا ولا بطشا ولا مشيا . فهم لا يتقدمون ولا يتأخرون ، ومن لا يسمع ولا يبصر ولا يبطش ولا يعمل ولا يمشي كيف يرجى لدفع البلاء أم كيف ينقطع اليه رجاء نفعه وعونه ؟ ان هذا مالا يسوغ ومن شك في هذا أو خالف فيه فهاهم الاموات ليدعهم وليستجيبوا له ان كان صادقا محقا (فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) . إن هذا تسجيل أى تسجيل على هؤلاء الضالين المشركين

لا يقولن قائل : إن المراد بهؤلاء هي الجمادات من الاحجار والاشجار ومالا يعقل ، وأنه ليس المراد بهم الصالحين من الانبياء والاولياء الذين يدعون ويستغاثون فان هؤلاء يسمعون ويقضون الحاجات ويصلح شؤونهم ودعاؤهم والفرع اليهم . فالآية ليست دليلا على أن الصالحين الاموات لا يدعون لانهم لا يسمعون ولا يعملون شيئا . لا يقولن قائل هذا فانه غير صحيح لدى من تدبر وفهم ، ذاك أن الآية تدل : « عباد أمثالكم » ولو كان المراد بالعباد هنا الاحجار والاشجار والجماد الصامتات - كما يزعم المخالفون - لقالت الآية عباد أقل منكم وأضعف من أضعفكم وأقل من أقلكم . لا أن تقول « عباد أمثالكم » فان المقام هنا مقام تهويل وتهوين . تهويل لدعوة الاصنام وعبادتها ، وتهوين لشأن من دعاها فالمطلوب هنا الاتيان بأوصاف المعبود الحقيرة والاشادة بنقصه وضعفه وهوانه فلا يليق - والحالة كما ذكرنا - أن يقال في ذم الاحجار والاشجار والجماد الصامتات لعابديتها إنها عباد أمثالكم . بل الاحجار والاشجار والجماد كله أضعف وأقص من هؤلاء ومن الانسان على جميع الوجوه

فاذا ما قيل والامر كما ذكرنا إن الاحجار والاشجار والجماد مثل الانسان

(٣١٥)

كان هذا القول تقريرًا للاحجار والاشجار ومديحا للجمادات ورفعًا من شأنها واعظامًا لأمرها . ولكنه ليس بلائق مدح هذه الاشياء والثناء عليها في مقام ذمها لمن عبدها وهام بها فصلى لها وصام وعمل لها أفضل الأعمال وأعطاها خالص لبه وصفوة معناه . ان هذا لو اوضح

هذا وجهه ، وفي الآية وجه آخر

وذلك أنها تقول « ألهم أرجل يمشون بها أم لم أيد يبطشون بها أم لم آذان يسمعون بها أم لم أعين يبصرون بها » أى ألهم هذه الموصوفات التى هي الجوارح بصفاتنا التى هي للمشى والبطش والسمع والابصار . فكان الانكار هنا للصفات أى كأت الانكار هو للبطش بالأيدي والذى بالأرجل والابصار بالآعين والاستماع بالآذان ، وليس الانكار لهذه الجوارح نفسها : أى كأن الآية على هذا النظم تنكر وجود هذه الصفات لهذه الموصوفات مع الاعتراف بالموصوفات ووجودها ، وهذا معلوم من نظم الآية المذكورة . فلو كان المراد بالدعوى في الآية الاحجار والاشجار والجماد دون المعبودين المقلاء من الأموات والبشر لكان نظم الآية غير ماذكر على نحو آخر : وذلك أن الاحجار والاشجار والجمادات فاقدة هذه الجوارح فضلا عن أن تكون لهذه الجوارح صفات تنكر أو تقر

فكان ينبغي أن يكون تأليف الآية اذا كان الأمر كما قدر هؤلاء هكذا ألهم أرجل أم لم أيد أم لم أعين أم لم آذان لأن المراد حينئذ انكار هذه الجوارح ونفيها عن الجماد لأنها ليست له وليس له منها شئ

هذا وجهه ، وفي الآية وجه ثالث ، وهو أن الضمائر المذكورة في الآية كلها ضمائر متقلاء ، وذلك في قوله (ادعوه) وفي قوله (ليستجيبوا لكم) وفي (ألهم) كذا ، وكذلك الاسم الموصول « الذين » وهذه الضمائر ليست موضوعة في اللغة للجمادات من الاحجار والاشجار ومالا يعقل ، وإنما هي موضوعة للماقلين . فهذا يرهان على

أن المدعويين في الآية هم المدعوون من العقلاء كالأنبياء والأولياء الاموات
هذا وجه ، وفي الآية وجه رابع

وذلك أن المشركين كانوا بلا خلاف يدعون الملائكة والجن والانس
أنبياء وغير أنبياء ويعبدونهم كما كانوا يعبدون غير هؤلاء من الاحجار والاشجار
والصور والتماثيل والاجرام العلوية والحيوان ، فجاءت الآية ناصة على أن هؤلاء
المدعويين المعبودين جميعا لا يسمعون ولا يبصرون ولا يبسطون ولا ينفعون أو
يضررون من دعاهم وطلبهم شيئا من الاشياء ، ولم تخص الآية من هؤلاء المعبودين
صنفًا دون صنف ولا طائفة دون طائفة . بل عمتهم كلهم وحدثت عنهم جميعا بذلك
وهذا جلي واضح . فالذين يخرجون من هذه الاصناف صنفًا أو من هذه الأنواع
المذكورة نوعًا يفعلون مالا دليل لهم عليه . بل يفعلون ما ينازعه ظاهر القرآن
وظاهر اللفظ . فالآية نص في المطلوب والمسألة

وقال تعالى : : والذين تدعون من دونه ما يكون من قطعير ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم
ولا يفتنك مثل خيبر » وما قيل في الآية الأولى يقال في هذه الآية من السؤال
والجواب . فان هذه الآية بيّنة أيضا في أن من يدعون من البشر وغير البشر من
الملائكة وغير الملائكة من الجن وغير الجن من الجمادات والحيوانات ومن
الاحجار والاشجار في غفلة وشغل شاغل عن دعاء الداعين وسؤال السائلين
وفي انقطاع تام عن الدنيا واما في الدنيا وعن تعلق بهم من أهلها . فلا يسمعون
دعاهم لا قطعاً الأسباب بين الداعين والمدعويين ، ولبعد المسافات بين
العابدين والمعبودين ، ولتباعد ما بين العالمين عالم الدنيا مستقر الداعين ، وعالم
الآخرة مستقر المدعويين ، ولفرق ما بين هذين العالمين من الوسائل والغايات
ومن الأحكام والشئون ، ولفرق عظيم بين عالم الغيب وبين عالم الشهادة وبين

العالم الروحاني والعالم الجسماني أو بين عالم الأرواح وعالم الأشباح . فهم لهذا كله لا يسمعون صرخات الصارخين وهتافات المستغيثين

ثم لو قدر أنهم سمعوا ذلك بطريق مباشر أو بوساطات كثيرة أو قليلة خارقة أو عادية ، فهل ينفع الداعين والطارئين ذلك شيئا وهل يهبونهم شيئا مما يطلبون ويسألون ، لأن الغاية التي تطلب من الدعاء والاستغاثة هي الظفر بالمطلوب وبالحاجة التي أملت الدعاء والرجاء والسؤال والطلب ؟ كلا ، أنهم لن يستجيبوا لهم شيئا ولن يهبوهم بعض ما يسألون ولن ينفعوهم أو يضرهم أيضا لأنهم قد أفضوا الى حالة أخرى وعالم آخر لا يستطيع فيه النفع ولا الضر ولا السكج والعمل ولا السعي والنضال ، بل ما هنالك افضاء الى مكان الجزاء والمكافأة على الأعمال الخالية في الأيام الخالية ، فهو عالم لا يستطيع العبد فيه نفع نفسه ولا العمل لها ، فأنى يستطيع نفع غيره من أهل الدنيا وعالم المادة ؟

ولقد صح في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه أنه عليه السلام قال « إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »

ذلك : ثم هل ينتهى الأمر عند هذا الحد ، ويطوى البساط على هذا بحيث لا نفع ولا ضر ، فلا ينال الداعين من دعائهم هؤلاء الذين لا يسمعون دعاءهم ولا يستجيبون لهم نفع ولا ضر ؟ كلا . ان الأمر لن ينتهى عند هذا المقدار ، ولن يطوى البساط عليه . بل الأمر غير ذلك ، فسوف يلاقى هؤلاء الداعون من جراء دعائهم الذي حسبوه لهم نافعا بلاء غير مقطوع ورزء أعظيما . ونعوذ بالله من الخذلان ومن الخزي يوم الدين ، فسوف يخذلهم المدعوون المأمولون وهم أحوج ما يكونون الى نصرهم وتأيدهم وهم أرجى ما يكونون لنصرهم ونفعهم ، فيتبرأون منهم في ذلك اليوم العصيب ، ذلك اليوم الذي كانوا يدخرون له شفاعتهم ووساطتهم وأخدم بأيديهم

وسوف يكفرون بأشراكهم بهم وعبادتهم إياهم ، فيلومونهم ويصفونهم ثم يتبرأون الى الله منهم ، فيصبح ذلك كله حسرات على أولئك الداعين المساكين وخسرانا لا يجبر . وذلك هو الخسران المبين والخطب الجسيم

وهذا مثل قوله تعالى « يدعو لمن ضره أقرب من نفعه »

فآلية إذاً بينة فيما نقول ، بينة في أنها تعنى المدعويين من الأموات الصالحين من الأنبياء وغير الأنبياء ، فان الضمائر الموجودة في الآية والاسم الموصول فيها صحيح تماسكة على أنها تعنى غير الجسادات وغير الأحجار والأشجار وأنها تعنى العقلاء

وقوله في الآية « ويوم القيامة يكفرون بشرككم » حجة أخرى قائمة على أنها نازلة في العقلاء المعبودين ، لأن الذين يكفرون بالشرك عادة وعرفا هم العقلاء لا الجسادات الصامتة ، إلا أن يصار الى القول بخرق العادة في هذه الآية ، ولكن لا نحسب أن ثمة حاجة الى هذا المصير

وفي الآية شيء آخر صريح فيما نزعم محقق ما نرى اليه ، ذلك أن الآية تقول « ولو سمعوا ما استجابوا لكم » ويعنى بهذا أن هؤلاء المدعويين لا يستجيبون للداعين البتة على جميع الحالات حتى ولو سمعوا دعاءهم وهتافهم بأن كانوا من العقلاء البشر أو كانوا من غيرهم كالجساد فخلق الله لهم الأسماع والأفهام تزييناً لقانون العادة فسمعوا وفهموا ، وهم في هذه الحالة من هذه الناحية يكونون مثل العقلاء أصالة ، فهؤلاء المدعوون لا يستجيبون للداعين إذا سواه أ كانوا عقلاء أصالة أم كانوا عقلاء توقيتاً بخرق العادة لهم ، فهم لا يدعون ولا يستجيبون لمن دعاهم على الاقتراضين ، أى على اقتراض أن يكونوا عقلاء ، واقتراض أن يكونوا غير عقلاء فخلقت لهم آلة العقل في زمن ما ، وهذا في غاية الصراحة والوضوح فيما ذكرنا وساولنا . فالآية حجة ظاهرة على أن الموتى لا يسمعون ولا يستجيبون مع

وجود أرواحهم ومع حياتهم البرزخية

وقال تعالى « وما أنت بمسمع من في القبور » وقال في آية أخرى « فانك لا تسمع الموتى » وهاتان الآيتان على رغم ما يحملان من التأويل والتفسير جريحتان في أن الموتى وأهل القبور لا يسمعون الخطاب الذي يوجه اليهم أهل الدنيا إلا في حالات معلومة لأغراض أيضا معلومة

والذين يؤولون الآيتين يدعون أن المراد بالموتى ومن في القبور في الآيتين هم الكفار الذين لا يفهمون الدعوة ولا يقبلونها ولا ينتفعون بها ولا يجيبون الى خير يدعون اليه ، وهو الاسلام والدعوة المحمدية ، فهم كالأموات من هذا الوجه وبهذا السبيل

ولا يراد بالأموات عند المؤولين الأموات حقيقة وإنما المراد ما ذكرنا هذا هو التأويل للآيتين عند طائفة المؤولين ، ولكن يقال لنفرض أن هذا التأويل صحيح ثم لنفترض أن الأموات ومن في القبور هم الكفار الأغبياء الصم البكم الذين لا يعقلون . لنفترض هذا كله ، ولكننا نقول بعد هذا الافتراض ان الآيتين تدلان على قولنا دلالة صحيحة واضحة لا ريب فيها ، ذلك أن وجه التأويل وتوضيحه هو أن الكفار مثل الأموات في أن الفريقين لا يسمعون دعوة النبي الكريم ولا ينتفعون بدعوة الاسلام ، لأنهم لا يفقهونها ولا يعلمونها ، فهم لا يتبعون النبي ﷺ ولا يستفيدون من دعوته إياهم الى الخير شيئا ، فالفريقان اللذان هما الكفار والأموات يشتركان في هذه الأمور والمعاني . هذا ما نقول

وإذا كان الأموات لا يسمعون دعوة النبي الكريم الى الاسلام ولا يفقهونها ولا ينتفعون بها مهما وجهت اليهم فكيف يسمعون دعوة من يسألهم حاجاته الخاصة الدنيوية المادية واستغاثة المستغيثين الطالبين منهم الحاجات السخيفة الباردة ؟ ثم كيف يفقهون هذه الدعوات ويفهمونها ويقبلونها مع أنهم كما فرضنا لا يفقهون

(٣٣٠)

دعوة النبي الكريم الى خيري الدنيا والاخرى ولا يفهمونها أو يقبلونها ؟ هذا ما لا يمكن أن يكون

فالآيتان مؤولتين وغير مؤولتين برهانان ناطقان على أن الأموات بشرأ وغير بشر لا يسمعون ولا يدعون ولا يستجيبون مع وجود أرواحهم ومع حياتهم الروحية النيلية

فهذه الآيات الأربع تستأصل شأفة الخصام والخلاف في هذا الموضوع الجلل مع الاعتراف الصريح بحياة الانسان الروحية العجيبة ومع وجوب الايمان بها وفي القرآن آيات أخرى تدل على ما دلت عليه هذه الآيات التي أوردنا أعرضنا عن إيرادها لأن المراد هنا الاشارة والتلويح لا الاستقصاء الجامع لأن ذلك يطول فيمل

(ثالث الأمور)

لو كان جائزاً دعاء الأموات والاستغاثة بهم احتجاجاً بأن أرواحهم حية حياة روحية برزخية واحتجاجاً بوجود أرواحهم واتصالها بهم ان كانت متصلة لجازت دعوة الملائكة والجان والخور في الجنان ، ولجازت الاستغاثة بهم وطلب الشفاعة منهم كما جاز ذلك كله من الأموات وأصحاب القبور ، فان حياة الملائكة والجن ولا سيما المؤمنين وحياة الخور المخلوقة في الجنان لا تقل عن حياة الأموات الروحية البرزخية ، وهؤلاء لا ينقصون عن أموات الانسان جدارة بالرجاء وبالاقتطاع اليهم ، بل لا ريب أن الملائكة والجن أولى بأن يدعوا ويستغاثوا وأن يستجيروا من الأموات وأصحاب القبور ، لأنهم بلا ريب أقدر منهم على ما يسألون وأجدر بالاجابة والسماع والاعطاء والنفع والضر ان كان الاموات قادرين على شيء من ذلك

ولا نحسب انسانا يفهم ما يقال أو يفهم حقيقة الأشياء يذهب بمجوز دعاء
الأموات والاستغاثة بهم وسؤالهم الحاجات وضروب المآرب احتجاجا بأنهم أحياء
حياة روحية بوزخية ، ثم لا يذهب بمجوز دعوة الملائكة والجان والجنات التي خلقت
في الجنان وسؤالهم ضروب الحاجات ، بل ان من أعطى الأشياء ما هي أهل من
التقدير والانصاف والعدل قد يحكم بجواز الاستغاثة بالملائكة والجان ثم يمنع ذلك
بالأموات من البشر ، لأن أولئك ولا ريب أحق بما ذكرنا ، فقد خلقوا أعظم
استعداداً من البشر وأقدر على الأعمال والسعى وأوسع قوى حينما كان البشر
أحياء ، فكيف بهم بعد المات ؟؟ هذا ما لا ريب فيه وهذا ما لا خلاف في صحته
ووجاهته

ولكننا بعد هذا نقول اتنا نعلم بالضرورة وبالبداهة الناطقة أنه من الحق بمكان
قصي ومن الجهالة التي لا ينادى وليدها سؤال الملائكة والجان والجنات والاستغاثة
بهم وطلب الحاجات منهم على حالة من الحالات ووجه من الوجوه . بل اتنا نعرف
معرفة الضرورة أن دعوة هؤلاء الخلق وسؤالهم الحاجات ليست من دين الاسلام
وليست من دين هبط من السماء وليست من شرعة نبت من عقل حكيم سليم . بل
نعرف بالضرورة أن الرسول ﷺ وأصحابه ما كانوا - بل ولا كان أحد منهم -
يستغيثون الملائكة والجان الخلق الآخر في عالم الغيب ، ولا كانوا يفزعون اليهم
من وجه المصائب والنوازل راغبين راهبين ، وأنهم لم يطلبوهم مطلقا شفاعة ولا
عوناً ولا مدداً ، بل ولم يفكروا في ذلك في يوم من الأيام كما نعرف معرفة الضرورة
أنهم لو وجدوا من يصنع ذلك لردوه عليه ولما بوه وذموه ولحجروا بينه وبينه
ولقد كانوا ينتلون بأشتات المصائب وأصناف الآلام في الدين والدنيا خاصة
وعامة حتى تضيق عليهم حلقات النجاة والخلاص ، وحتى يتطلبوا المخرج فيعزل عليهم
ويتلوسوا النجاة فتفر من بين أيديهم ، حتى يلجأوا بجميع أسباب الخلاص ويمجروا

ذلك كله ويفعلوا كل ما ظنوه مخلصاً مخرجاً مما هم فيه ، ولكنهم على رغم هذا كله ما كانوا يرغبون بل ولا كان أحد منهم الى الملائكة والى الجان طمعاً في شفاعتهم والاستعانة بهم ودعائهم ، وهم يعلمون أنهم منهم في كذب وأن لهم من حياة الخلق أكلها

ولن يظفر الطالب لذلك برواية من هذا النوع لا صحيحة ولا ضعيفة ، وهذه كتب الاسلام ، هذا القرآن وكتب الرواية متوافرة ميسورة ، فمن شك في ذلك فليطلبه ليعلم أنه يطلب مالا يوجد

ثم مالنا ولهذا الاستدلال ؟ فان هذه المسألة معدودة عند المسلمين من ضرورات الاسلام وقواطعه التي لا يتسع لها الخلاف ، فلا يرتاب المسلمون البصراء بالاسلام أن من راحوا يدعون الملائكة والحدود العين والجان فقد هوى في أعماق الوثنية وأركسوا في طبقات الشرك السحيقة التي لا قرار لها ، فان المشركين الأولين كانوا يدعون الملائكة ويدعون الجان ويستغيثونهم عند ما تلم بهم الملمات ربكاً ورهبكاً فكانوا بذلك مشركين وثنيين ، وهذا ما لا يختلف فيه أهل الرواية والدراية ، وهذا كله حق لا تتسع له سبل الخلاف . واذا ما علم هذا وعلم أن دعوة الملائكة والجان والخلق الآخر في العالم الآخر ليست من الدين بحال من الأحوال ولا من العقل مع الاعتراف بأنهم أحياء وموجودون وقادرون على الأشياء التي لا يقدر عليها البشر الأحياء بله الأموات ، علم بداهة أن حياة الأموات وحياة أرواحهم الحياة البرزخية لا تقضى بدعائهم والاستغاثة بهم والرغبة اليهم والاعتماد عليهم ، وفي هذا فساد هذه الحجة التي تعلق بها هذا المصنف الرافضى حاسباً أنه اذ ظفر بها ظفر بأمر ذي بال وبحجة فاصلة ، وليس لديه من دفع لهذه الحجة والمعارضة إلا أن يقول بجواز دعاء الملائكة والاستغاثة بهم وطلبهم كل ما يطلب اليوم من الأموات البشر ، واذا صار الى ذلك صار الى محادة الضرورة والاجماع الصامت والى

(٢٢٣)

الوثنية في أبشع معانيها وصورها
وهذا ما يهرب منه الحرّاص على دينهم وعقولهم وعلى معيشتهم ومن احتاطوا
لأنفسهم

(رابع الأمور)

هذا المخالف ذكر هنا أن الأموات مؤمنين وكافرين أحياء هذه الحياة
الروحية البرزخية ، فلا كافرين هذه الحياة كما هي للمؤمنين وليست من خصائص
المؤمنين المسلمين ، وهذا ظاهر ، وقد دلت الدلائل الشرعية عليه ولا ينازع فيه
هذا المخالف ، بل هو قد ذكر هذا في كتابه هذا ، ففى من مسائل الاجماع بينه
وبين مخالفه ، بيد أن الكافرين معذبون المذاب الاليم في جهنم وفي العرض عليها
وأن المؤمنين منعمون النعيم الاوفى في جنات النعيم يغدون عليها ويروحون كما في
القرآن والسنة . وإذا كان ذلك كذلك قيل له إذا ما كانت الحياة حياة الاموات
دليلا لديك على جواز سؤال الاموات لأنهم أحياء كما كانوا يسألون أيام كانوا في
الدنيا ، فهذا المعنى لا فرق فيه بين الكفار والمؤمنين من الاموات من هذه الناحية
وكذا الفاسقون والفجار ، فاذا كانت الاموات من المؤمنين الصالحين يدعون
ويستغاثون ويحيون احتجاجا بحياتهم البرزخية والحي صالح لأن يدعى ويستغاث
ويجيب فكذلك الاموات من الكافرين والفاسقين والظالمين يجوز دعاؤهم والاستغاثة
بهم احتجاجا بحياتهم البرزخية كما كان ذلك جائزا كله يوم أن كانوا في الحياة
الأولى المادية وليس تمت فرق بين الفريقين في هذا المعنى من هذه الناحية

فاذا ما كانت حياة المؤمنين البرزخية دليلا على جواز سؤالهم والاستغاثة بهم
في قبورهم كانت حياة الاموات من الكافرين والفاسقين والظالمين دليلا أيضا على
جواز سؤال هؤلاء والاستغاثة بهم ، أو ليكن ذلك . وإذا لم تكن حياة هؤلاء .

الكفار والظالمين برهاناً على جواز الاستغانة بهم والاستغانة فساداً كانت حياة المؤمنين برهاناً على جواز الاستغانة والاستغانة بهم ، والدليل الذي هو الحياة موجود لدى الفريقين المؤمنين والكافرين ؟ فاما أن يقال ان الحياة تدل على الاستغانة بالطائفتين أو لاتدل على جواز الاستغانة باحدى الطائفتين لا هذه ولا هذه ، والتفريق بين الطائفتين بالطريقة المذكورة مع الاستدلال المذكور غير صحيح وغير مقبول

يبد أن أحداً من الناس لا هذا المخالف ولا غيره من المتشيعين للبدع ان يزعم جواز الاستغانة بالأموات الكفار والفسقة ، ولن يزعم جواز طلبهم حاجة من الحاجات على النحو المعمول عند القبور ، والبرهان كما رأيت ومممت يحكم بأنه لا فرق بين الفريقين في هذا المعنى ، فإذا ما علم بأن إحدى الطائفتين لا يجوز سؤالها ولا الاستغانة بها علم ولا ريب أن الطائفة المساوية لها في ناحية من نواحيها مثلها في هذه الناحية المساوية ، وقد علم أن إحدى الطائفتين لا يجوز سؤالها ولا الاستغانة بها بالضرورة ، فلتكن الطائفة الأخرى مثلها في هذا المعنى ، وهذا أمر واضح ، وذلك أن حجة هؤلاء على جواز الاستغانة بالأموات وسؤالهم مختلف الحاجات محصورة في أنهم أحياء وفي أن أرواحهم موجودة حية عاملة كاسبة متصرفة ، لأن الأرواح كما يزعمون لا تموت ، وقد احتج بهذه الحجة قوم آخرون قبل هذا الرجل فلم يفلح السبق عليه ، فإذا ما كانت الحجة على هذه المسألة كذلك فلا ريب في أنه لا فرق بين المؤمنين والكافرين في الأمر الذي ذكرناه ، وهؤلاء يرون هذه الحجة صحيحة مقبولة ، وإذا كان الأمر كذلك عندهم فلا ريب في دلالتها على الاستغانة بالأموات الكفار وشمولها إياهم ، ولكن لا هم ولا غيرهم يقولون بجواز الاستغانة والتوسل ~~بهم~~ ، وهذا يدل في التحقيق على أن هذه الحجة مدخولة فاسدة ، ولولا ذلك لما كانت بعض دلائلها فاسدة باطلة ، أما إذا فرقوا بين الطائفتين بأن زعموا أن

دليلاً قد دل على جواز سؤال الأموات المؤمنين ولم يدل دليل على جواز سؤال الأموات الكافرين ، فلزم التفريق بينهما بالدليل الذي قضى بالفرق : إن فرقوا بينهما بهذه الطريقة قيل لم إذن الحجة ليست هي حياة الأرواح ووجودها ، وإنما هي الدليل الخاص الدال على جواز الاستغاثة بالأموات المؤمنين ، ولكتنا نحن أفترضنا أن ما ذكر هنا حجة قائمة بنفسها . وقيل أيضاً مستحيل أن يجد المخالف دليلاً على أنه يجوز السؤال للأموات الكفار والظالمين دون الأموات المؤمنين الصالحين بل إن كل دليل ينقض على بطلان الاستغاثة بأموات الكافرين والظالمين كذلك هو دليل قائم على بطلان الاستغاثة بأموات المؤمنين

وقيل أيضاً سوف يجهل الكلام على ما زعم دلائل على سؤال الأموات ، وسوف يعلم أنه ليس هنالك دليل واحد صحيح يكون حجة على ما زعموا

وبعد هذا الذي قدمناه نقول : إن حال الأموات بعد كل فرض وتقدير ، وبعد تسليم كل ما زعموه من حياتهم وقدرتهم وتصرفهم وسعة سلطانهم ، وبعد إقصائنا عن جميع ما أسلفنا من المناقضات والدلائل نقول : إن حال الأموات بعد تسليم هذا كله لا تملو أن تكون كحال الأحياء الذين في أما كن بصفة قصية فإن الأموات أيضاً وإن كانوا أحياء قادرين هم في أما كن أقصى وأتأى كما دلت على ذلك الدلائل الدالة على حياتهم وما زعموا لهم من تصرف وعمل . وقد أخبر القرآن الكريم أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون . وجاء في صحيح مسلم ما بعد تفسيراً للآية أن أرواحهم في حواصل طير تروح وتنفذ في الجنان . وجاء في أحاديث أخرى أن أرواحهم تنقل فوق أشجار الجنة وأزاهيرها إلى يوم القيامة ، وفي المعنى أحاديث وآيات معلومة ، ومثل الشهداء - بل أعلى وأكمل من هذه الناحية - الأنبياء ثم سائر المؤمنين . وكذلك دلت الدلائل على أن الكفار والمجرمين في أطباق النيران الحامية ، وأنهم يرضون على النار خذوا وحشياً حتى

يزجوا فيها يوم الجزاء

وإذا كان كذلك وكان قصارى أمر الأموات من النبيين والصالحين وغيرهم أن يكونوا كالأحياء الموجودين في أما كن قصية فن ذا يزعم أنه يجوز الاستغناء بمن كان في مكان قصي عن المستغيث . . . وإذا علم ذلك كله قيل إذن لا يجوز سؤال الأموات والاستغناء بهم حتى يجوز سؤال الأحياء البعداء الموجودين في الأما كن القصية ومن ذا يجوز الاستغناء بهم وطلبهم إلا أن تكون تمت آلة تنقل الأصوات . ولا ريب أن من استغاث بالأحياء البعداء وسألمهم الحاجات المذكورة مدخول في عقله أو مصاب في دينه وعقيدته أو في الأمرين معاً

وقد يرى كثيرون من المغشوشين في عقولهم ودينهم أن شيوخهم متصلون بهم على القرب والبعد عالمون بهم وبما يعملون في الحضر والغيب سامعون لأصواتهم وهتافهم بهم من كل مكان مبصرون لهم على كل حال وفي كل مكان قربوا أم بعدوا ، ويرون بهذه الطريقة أن شيوخهم موجودون في كل مكان حالون في كل ذات مخترقون كل مادة كثيفة إذ لا تحجبهم الحجب ولا تحول بين أسرارهم ومن يريدون نفهم أو نضرم الحوائل . وقد ادعى هذه الدعوى قوم زعموا من أهل العلم والدين في النبي الكريم وفي الأولياء والصالحين

وهؤلاء الذين يزعمون هذه المزاعم في شيوخهم وعلمائهم المعظمين المعتقدين يذهبون يدعونهم ويستصرخونهم في كل مكان ومن كل مكان ، ويرون أنهم سامعون حاضرون مبصرون لا يخفى عليهم مكان من دعاهم ، ولا من هتف بأصمائهم ولا ما هم فيه . وهؤلاء بهذه المعتقدات الباطلة والاستغاثات القائمة على هذه المعتقدات جامعون أنواعاً من الضلال والجهالات الطريفة متقلبون في طبقات من العمه والخيرة والشرك المبين والقشيبه برب العالمين

وهؤلاء الذين يدعون الأموات من كل مكان وفي كل زمان معتقدين أنهم

يسمعونهم ويعلمونهم ويرونهم فيجيبونهم لا ريب في أنهم يرونهم موجودين في كل مكان أو يسمعون ويعلمون ما يكون في كل مكان ، ولولا هذه المعتقدات لم يهتفوا بأسمائهم من كل مكان ولم يدعواهم على النأي والقرب . قالذين يسألون النبي الكريم وغيره من الصحابة والمشايخ وهم في أقصى الأرض لا ريب في أنهم يرونهم موجودين سامعين من كل مكان وحيثما كانوا ، وإلا لما دعواهم في جميع الحالات في المحضر والمغيب . . . وهم اذا كانوا يمتقدون فيهم هذه المعتقدات لا ريب في فساد عقيدتهم وفي ضلالهم المبين وفي تشبيههم المخلوقين الضعفاء العاجزين المحدودين من كل وجه ذواتا ومعاني برب العالمين الذي لا ينفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء والذي يعلم البعيد كعلم القريب ويرى الباطن كرؤيته الظاهر

وهذا أقل ما يقدر في من دعا الأموات معتقداً أنهم أحياء وأن أرواحهم موجودة حية عاملة كاسية ، والله العليم بما كان وما يكون



وهنا انتهت مقدمته الثانية وتأتى بعدها المقدمة الثالثة وهي حسب زعمه في شبه الروايتين بالخوارج

مقدمته الثالثة

في تشبيهه الوهابيين بالخوارج

قال الرافضي : « المقدمة الثالثة في شبه الوهابيين بالخوارج ، وذلك من عدة وجوه : (أولا) كما أن الخوارج شعارهم لا حكم إلا لله ، وهي كلمة حق يراد بها باطل كذلك الوهابيون شعارهم لا إله إلا الله لا توسل إلا بالله لا استغاثة إلا بالله . وهي كلمات حق يراد بها باطل . كلمات حق لأن المدعو والتوسل به حقيقة لرفع الضر وجلب النفع والمغيث الحقيقي ومالك أمر الشفاعة هو الله ، يراد بها باطل وهو منع تعظيم من عظمة الله بدعائه والتوسل به ليشفع عند الله ويدعوه لنساء ، وعدم جواز التشفع والاستغاثة والتوسل بمن جعله الله شافعاً مغنياً وجعل له الوسيلة كجملة من كلماتهم المزخرفة . كقولهم لمن يقول يا محمد ويا فلان : هل الله أعطاك القوة أو محمد ﷺ فلا بد أن يقول الله . فيقولون له : لم لا تدعو الله وتدعو محمداً وهذا تمويه وتضليل يراد به باطل إذ لا يوجد أحد يمتد أن محمداً أو غيره بيده الأمر أصالة ، وإنما هو التوسل وطلب الشفاعة ممن له الوسيلة والشفاعة ، واعتراضهم هذا يرجع الى الاعتراض على الله الذي جعل الشفاعة لمحمد ﷺ ، والا فتى جعلها له فعلينا أن نطلبها منه . ولو صح اعتراضهم هذا لتوجه على من يسأل الدعاء من الغير فيقال له الله الذي يجيب دعاءك أو أخوك المؤمن فلا بد أن يقول الله فيقال له لم لا تدعو الله وتطلب من أخيك أن يدعو لك

وكقولهم لمن يقبل ضريح النبي أو المنبر الموضوع في مسجده وفي مكان منبره إنما تقبل حديداً أو خشباً جىء به من بلاد الافرنج ، ولم يطموا أنه كما يحترم جلد الشاة بعمله جلدأ للمصحف والورق والمداد بكتابة المصحف عليه وبه كذلك يحترم الحديد والخشب القدي وضع على قبر النبي ﷺ أو في مسجده وفي مكان

منبره ، ومن بيانه في الأمر الخامس عشر « انتهى

قلت : ذكر الرافض في هذه المقدمة ثلاثة عشر أمراً من أمور الخوارج وزعم أن الوهابيين قد أتوا بهذه الأمور واتصفوا بهذه الصفات ، والنتيجة التي يسعى لها هي أن يزعم أن أهل السنة من أهل نجد هم الخوارج الضلال الذين جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة دالة لم قادحة في دينهم آمرة بقتالهم واستئصالهم ونحن هنا إن شاء الله ثبتت هذه الأمور التي ذكرها هنا واحداً واحداً ، ونذكر بالبرهان الصارخ المسكت أن أهل السنة أو من يشتقي أن يسميهم الوهابية بريثون من صفات الخوارج التي خصوا بها وذموا لأجلها . ثم نكشف أنهم ليسوا هم الخوارج وأنهم بريثون منهم كل البراءة بدلائل كثيرة تاريخية وحسية وعقلية ، لأن هذه الدعوى أي دعوى أنهم هم الخوارج أو منهم دعوى قديمة قد ردها كثيرون من أهل البدعة والجهالة وأنسوا بها وحسبوا مقدساً في أهل السنة لا يظفر بأهدم منه لهم ، وقد تواصل بهذه الدعوى كل من نالوا هذه الدعوة الإصلاحية السلفية بالدم والقدح ورجع آخرهم ما زقا به أولهم ، وقد زادها الآخر تلحيناً . ثم نذكر بعد هذا بالحجة الصارخة أن كل مافي الخوارج من شر وضلالة يوجد لدى الرافضة قوم هذا الرجل ما يقابل هذا الشر وهذه الضلالة بشكل أظلم وأوسع وأخبث . ثم بعد هذا نذكر شبه الرافضة بشر الأم أي بالامة اليهودية عدوة كل الأمم من وجوه كثيرة . ثم نذكر فضل اليهود على الرافضة وما فاقوم به من الحق والهدى إن كان عندهم فضل أو حق أو هدى . ولنا نقول هذا ثلثاً وتهريجاً ولا مقابلة للقدح بمثله ، بل إن هذه الأمور سوف نذكرها مؤيدة بالحجج الحسية والتاريخية مؤيدة بالكتاب والسنة وأقوال أئمة الاسلام الأقدمين الثقات الذين لا نتمس امامتهم ودرائتهم ونصفتهم بمس سوء ، والله بالمقاصد محيط عليم واليه يرجع الأمر كله

أما قوله هنا « إن شعار الوهابيين لادعاء إلا الله ولا شفاعة إلا الله ، ولا توسل إلا بالله ، ولا استغاثة إلا بالله » فيقال في جوابه ان هذا الزعم على الاطلاق اقتراء جريء لم يقله الوهابيون ولم يعتقدوه ولم يذكروه في كتاب من كتبهم فضلا عن أن يكون شعارهم الذي به يعرفون ويمتازون . فانهم لا يقولون اطلاقا لادعاء الا الله ، ولكنهم يقولون ان الأموات لا يدعون لأنهم لا يحيون ولا يقدرون وكذلك الاحياء لا يدعون لما لا يقدرون عليه ولا يقدر عليه الا الله ، وهذا كهداية القلوب وغفران الذنوب وشفاء المرضى ورد الفائسين وانزال المطر ونحو ذلك ، وكذلك الفائبون لا يدعون لما لا يمكن عادة أن يكونوا قادرين عليه مماعا وفعلا . أما من كان يقدر على شيء عادة وعرفا وكان مشروعا طلبه لا محذور في سؤاله فلا مانع من دعائه وطلب العون منه بالاسباب المعقولة المشروعة بل أنهم يرون دعوة هذا أحيانا واجبة يؤاخذ تاركها ويعاقب عند الله وعند الناس ، وذلك ككفر بقرى أشفى على الملكة رأى من يستطيع انجاءه والأخذ بيده . فمثل هذا واجب عليه عندهم شرعا أن يطلب النجدة والعون من رآه مستطيعا انقاذه اذا لم يكن تمت مانع شرعى ، ولو هلك ولم يدعه الى نجدة له كان ملوما مؤاخذا عند الله والناس وكذلك يجب على المسلمين أن يدعوا بعضهم بعضا الى فعل المعروف والخير والى التعاون على البر والتقوى ، وأن يدعوا بعضهم بعضا الى الله والى سبيل الله وهداه والى ما فيه قوتهم وسعادتهم الدنيوية والأخروية بالاسباب العادية المشروعة ، فهذا وأمثاله لا بد من الدعاء اليه ولا بد أن يتداعى المسلمون والناس كافة الى القيام به بقدر المستطاع المقدور عليه ولا خلاف بين الوهابيين في ذلك بل لا خلاف بينهم في وجوبه شرعا ، وعقلا ولا خلاف بينهم أن من لم يصنمه آثم واقع في معصية الله ومحاذته

والدعاء الذى يأبونه هو دعاء الأموات ودعاء الاحياء الى ما لا يقدر عليه

عادة الا الله كأن يطلب منهم هداية القلوب وغفران الذنوب وانزال الفيث ونحو ذلك

فرغم هذا الشيعى أنهم يقولون اطلاقا لا دعاء الا الله زعم أقل ما يقال فيه انه غير صحيح وأشد ما يقال فيه مما يستحقه أنه هوى وخيانة وبهتان مبين وكذلك هم لا يقولون على سبيل الاطلاق لا شفاعة الا الله بالمعنى الذى يعنيه وهو إنكارهم الشفاعة فانهم يؤمنون بالشفاعة للنبي الكريم وللأنبياء جميعا وللمؤمنين والملائكة بل وللأطفال كما جاءت بذلك الآثار والاخبار عن النبي الكريم وعن السلف الصالح ويؤمنون بالشفاعة فى الدنيا ويوم القيامة على الوجه المشروع الوارد فى النصوص الشرعية نصوص القرآن والسنة ويؤمنون بأن المؤمن يشفع للمؤمن فى الدنيا بمعنى أنه يدعو له ويسأل الله له الهدى والفوز ونحو ذلك ، وليست الصلاة على الجنائز سوى شفاعة للميت ، ويؤمنون بأن الشفاعة يوم القيامة أقسام صغرى وكبرى وأن الشفاعة الكبرى هى الشفاعة لجميع الخلائق ليخلصوا من هول الموقف وعذابه . وهذه الشفاعة الكبرى هى من خصائص محمد عليه الصلاة والسلام . والشفاعة الصغرى هى الشفاعات الصغرى هى أقسام كثيرة وليست من خصائص واحد من الناس بل الانبياء يشفعون والملائكة يشفعون والمؤمنون يشفعون والأطفال يشفعون لأبائهم وأولى قرباهم

وهذه الشفاعات الصغرى هى لأغراض عديدة منها ما يكون لرفع درجات المشفوع له ، ومنها ما يكون لتخفيف عذاب بعض الناس ، ومنها ما يكون لاجراج قوم مسلمين من النار لأنهم أدخلوها لذنوب اجتروحوها وأتوها ، ومنها ما يكون لغير ذلك . فهذه الشفاعات يؤمن بها السلفيون كل الايمان لا ينازعون فيها ولا يختلفون . وهذا مذكور فى جميع كتبهم الصغرى منها والكبرى ، وكلهم يقولون ذلك ويصرحون به ولا يختلف النقل عنهم فى هذا ، بل وهم يسألون الله جل شأنه أن

يوهر نصيبهم من هذه الشفاعات شفاعات سيد الأنبياء وشفاعات جميع الشافعين ، ولكنهم ينكرون من ذلك أن ينقطع المسلمون الى الأموات راغبين وراغبين يسألونهم الشفاعة ويطلبون منهم أن يشهدوا لهم قارنين ذلك بصنوف الآثام والمنكرات المهلكات ، زاعمين أنهم بهذه الشفاعة وبهذا الاستشفاع يفر لهم من أتوه من أقانين الضلال وسبب الأعمال ، بل وإن كانوا ليسوا أهلاً للشفاعة ولا من أربابها لجلالة ما يأتيونه من عصيان الله ولكره ما يؤذونه بالعداوة والمناوأة ، مدعين أن هؤلاء الشفعاء يشفعون ولا محالة لكل من طالب منهم الشفاعة وأن الله يشفع كل شافع في كل مشفوع له ، وظانين أن هؤلاء الأموات يسمعون دعائهم وضرعاتهم وعتاقتهم باسم الشفاعة والاستشفاع ، وما علم هؤلاء أنه لن يشفع أحد الا من بعد أن يأذن الله بالشفاعة للشافع ، ولن يأذن إلا لمن رضىه من عباده الجديرين بالشفاعة وبالعفو . وما علموا أيضاً أن هؤلاء المدعويين في شغل عنهم وعن عتاتهم شاغل وأنهم ان يدعوم لا يسمعون دعاءهم وأنهم لو سمعوا دعاءهم ما استجابوا لهم ولا شفّعوا وأنهم يوم القيامة يبرؤن منهم ومن دعائهم ودعواهم ولا علموا أن الله تعالى قد أعظم اللائمة على الجاهليين لتعلقهم بهذه الدعوى وتعلقهم بالشفاعة والشفعاء ، والله قد أغلظ لهم الخطاب والملامة لأنهم كانوا يقولون هذه المقالة ، ويدعون هذه الدعوى ، ولا علموا أيضاً أن الشفاعة تكون لمن عبد الله مخلصاً له الدين ولمن أتاه بقلب سليم ، ولن رضى عنه لا لمن طلبها وألحف في طلبها وعاذ بالأموات واقطع الى المالكين . وقد روى البخاري عن أبي هريرة أنه قال قلت يا رسول الله : من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » ولم يقل كما سمعت أحق الناس بشفاعتي من طلبها وأوغل في الطلب

هذه حقائق لا ريب فيها وقد نص عليها الكتاب والسنّة في آيات وأحاديث

يمز إحساناؤها على المحصين ، وسوف تتكلم عليها في الباب الخاص بالشفاعة ، وهي حقائق لا خلاف بين أهل السنة فيها ولا خلاف فيها بين من يسميهم المؤلف الوهابيين . فانهم سلفيون بالمعنى الصحيح الخاص والعام ، بمعنى أنهم لا يخالفون السلف في صغيرة ولا كبيرة بل ولا يستحلون خلافهم والخروج على هدام . فهم إذن لا ينكرون الشفاعة ولا يقولون لا شفاعة إلا لله بالمعنى الذي يريده الرافضي ، بل هم يؤمنون بالشفاعة كل الايمان ويرجونها ويسألون الله أن يكتبهم من أهلها وأن يزيد نصيبهم منها ، وإنما ينكرون الشفاعة الباطلة التي ردها القرآن ورجعها على طالبيها وآملينا في آيات كثيرة معلومة

وإذن زعم هذا الشيعي أن من شعارهم لا شفاعة إلا لله بالمعنى الذي يريده هو زعم أخف ما يقال فيه أنه غير صحيح ، وأثقل ما يقال فيه على أنه حق : أنه هوى وخيانة وبهتان للمؤمنين وإصرار على إيذاء المؤمنين وإحداث للشحناء والبغضاء . والله بأسرار الصدور عليهم محيط

وكذلك هم لا ينكرون الاستغانة بالخلق إطلاقا على الوجه المشرع العقول العادي ، فلا ينكرون أن يستغنى المسلم بالخلق في الأمر الذي جعل الله في استطاعة الخلق القيام به وعمله بأسبابه الظاهرة ، ولكنهم ينكرون بصرامة وإباء الاستغانة بالأموات بل الاستغانة بالخلق مطلقا في ما لا يقدر عليه إلا الله . وما قيل في الدعاء من التفصيل ومن التجويز والمنع يقال في الاستغانة ، وقد قدمنا في فاتحة الكلام القول في الدعاء

وأما قوله لا توسل إلا بالله فقول غريب ، ومن ذا الذي يقول لا توسل إلا بالله وأي تركيب هذا وأي غلط يحمله ؟ فان من المحال أن يجحد هذا القول به - فنه الصينة في كلام من يزعم الرد عليهم . والله يترسل اليه لا يتوسل به كما قال في القرآن « اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » وقال « أولئك الذين يدعون يبتغون

الى ربهم الوسيلة ، وهكذا جاء التعبير في الأحاديث ، وإذا ما أريد نفي الوسيلة
فنياً عاماً باتاً قيل لا توسل الى الله ، أو لا توسل ، ولكن لن يقال لا توسل إلا
بالله في هذا المعنى ، فان معنى هذه العبارة أنه لا يتوسل إلا بالله ، وإلى من يتوسل
بالله لو كان هذا المصنف الشيعي يعرف مواقع الكلام ؟ هذا ما لا يمكن وما يتقاس
الله عنه ، وعلى ما في هذه الكلمة من الخطأ اللغوي والمعنوي الاعتقادي يقال ان
من البهتان الصريح الصحيح الزعم أن الوهابيين ينكرون التوسل والوسيلة إنكاراً
مطلقاً عاماً ، وإن من البهتان المتعمد أن يقال أنهم يقولون لا وسيلة ولا توسل ،
فان الوسيلة الصحيحة والتوسل المشروع مذكوران في جميع كتبهم المطبوعة المشهورة
لا يختلف في ذلك ولا يختلف النقل عنهم فيه ، وأنهم يتوسلون الى الله الليل والنهار
التوسل الصحيح ويسألونه الوسيلة الليل والنهار وهم لا يرون الاسلام يصح إلا
بهذه الوسيلة وهذا التوسل وذلك أنهم لا يختلفون أن من الوسيلة والتوسل الى الله
الايان به وبالأنياء وحبيهم واتباعهم والخذو حذوهم ورجاء شفاعتهم وتنفيذ الله
إياهم بهم ، كما لا يختلفون أن من التوسل الى الله الأعمال الصالحة والأقوال
الصالحة والعبادات على اختلاف أنواعها ، وأن من ذلك كل ما دلت الدلائل
الشرعية على أنه يقرب الى الله ، وإلى رضاه وكل ما يحبه الله ويطلب به عباده ،
فالوسيلة التي هي الأعمال الصالحة وكل ما دل الشرع على أنه من الايمان والدين
هم لا ينكرونها بل يرونها لازمة بل هم يرون الدين كله توسلاً ووسيلة الى الله وإلى
رضاه ، وهذا لا يختلف فيه

ولكنهم ينكرون من ذلك توسل الجاهلية الذي هو عبارة عن الاستغاثة
بالأموات والانقطاع الى القبور وسؤال أصحابها ما لا يقدر عليه إلا الله عز شأنه
وسلطانه . ثم ينكرون جميع هذه الأمور الشنعاء التي يجترحها هؤلاء الكافون على
الأجداد النازلون بأصحابها من الخضوع والخشوع والتسكن المشبع بالتأله كما سوف

يجب . فزعم هذا المصنف أنهم يتكرون الوسل والوسيلة ويوحون بهذا الانتكار
إطلاقاً افتراء عليهم مقصود . فان هذا فيما أحسب لا يخفى على مثل هذا المصنف
لأنهم يذكرون في جميع كتبهم التوسل للمشروع والوسيلة المشروعة . فلن يند
هذا كله عن بال هذا الرجل ، ولكنه يعتمد ما يتقوله عليهم تعمداً ، والله يتولى
جزاء المتقولين ، وسوف نرى فيما بعد أن هذا الخلق خلق طائفتين اليهود والشيعه
ونعوذ بالله من هذا

هذا كله يقال ، ويقال بعده هب الوهابين قالوا لا دعاء إلا لله ، ولا استئانة
إلا بالله ، ولا شفاعه إلا لله . فإذا يكون ولماذا عدتهم غالطين بهذه المقالة إذا لم
ينفوا حقاً ثابتاً ولم ينصروا باطلاً معلوماً ؟ أو ليس الله قد قال هذه المقالة إطلاقاً
بقوله « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال « له دعوة الحق » وقال « قل
الله الشفاعه جميعاً » وقال « له ملك السموات والارض » وقال « أم من يجيب
المضطر إذا دعاه ويكشف السوء إلا مع الله » وقال عليه الصلاة والسلام في حديث
رواه الطبراني « انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله » وقال الله وقال رسوله غير
ما ذكرنا . فإذا ما قالوا هذه المقالة التي زعمها هذا الشيعي كانوا في الظاهر موافقين
لهذه الآيات ولهذا الحديث ولغير ذلك من النصوص ، ومن قال قولاً موافقاً
النصوص الشرعية لا يمكن أن يلام عليه ولا أن يضاف اليه خطأ وضلالة ، وهذا
معلوم لا يشك فيه المسلمون ، ولكن القائل ان كان يريد بما قاله موافقاً النصوص
معنى باطلاً فاسداً أو كان يفهم من النصوص فيها باطلاً فاسداً ليم على ذلك المعنى
الذي أراده وعلى ذلك الفهم الذي قصده وأخذ بما كان باطلاً ضلالاً فقط لا على
الآقوال التي يقولها وفاقاً للنصوص الدينية وسيراً معها

والخوارج لم يؤخذوا على قولهم لا حكم إلا لله ، ولكن أوخفوا على أن فهموا
هذه الكلمة فيها باطلاً فاسداً وعلى أن خالفوا بذلك النصوص الأخرى واجماع

للمسلمين وما دلت عليه المقولات ، ولأجل هذا قال الامام على ان كتبهم هذه كلمة حق يراد بها باطل . فهم اذن مبطلون في فهمهم هذه المقالة لاني قولهم اياها كما يدعون من كلام على نفسه . وعلى هذا قالوها يبيرون لو كانوا يقولون أقوالا باطلة ويدعون الى باطل كانوا غالطين لهذا الباطل ولهذا الأقوال الباطلة لا قولهم لا دعاء الا لله ولا شفاعاة الا لله ولا استغاثة الا بالله ، وهذا الرجل يدعى أنهم يريدون بهذه الأقوال أموراً باطلة فهو اذن لا يلومهم على نفس هذه الأقوال وإنما يلومهم على الباطل الذي زعم أنهم يريدونه بها . فعليه اذن أن يثبت أن عقيدتهم في دعاء الأموات والاستغاثة بهم وجميع مآرده عليهم في هذا الكتاب ضلال مخالف للشرع ، وعلينا نحن أن نهدم ما يدعى وأن نثبت بالبرهان أنهم مصيبون وأنهم على صراط مستقيم وهدى مستبين من الكتاب والسنة ، وبهذا يماز الحق من الباطل وبفصل في المسألة فصلاً حاصماً تاماً

وأما زعمه أنهم يريدون بذلك باطلاً وهو منع تعظيم من عظم الله بدعائهم والتوسل به وعدم جواز التشفع والاستغاثة والتوسل بمن جعله الله شافعاً مغنياً وجعل له الوسيلة . فيقال جواباً له : أما تعظيم من عظمه الله فإن القوم الذين يحاولون هذا الشيى الرد عليهم من أوفر الناس تعظيماً له ومن أعظم اعترافاً بقدره وفضله وجاهه . ولكن ليعلم أن تعظيم من عظمه الله حقاً هو اخلاص الطاعة والانقياد له وتقديم قوله وحكمه وسنته على أقوال جميع القائلين وعلى جميع شهوات النفس وحاجاتها المدخولة كما قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » وقد قال القاضى عياض فى كتاب « الشفاء » تحت عنوان (معنى المحبة للنبي عليه السلام) : « قال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام ، كأنه التفت الى قوله « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني » وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفتها ، وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ، وقال

آخر : إثار المحبوب . وقال بعضهم : المحبة الشوق الى المحبوب . وقال بعضهم : المحبة مواطأة القلب لمراد الرب ، يحب ما أحب ويكره ما كره . وقال آخر : المحبة ميل القلب الى موافق له . هذا كله ذكره القاضى عياض

وليعل أنه ليس من التعظيم فى شىء الاقتات عليه والابتداع فى شريعته ، وتقديم أقوال الرجال على قوله وعلى ما جاء به من الهدى والبيئات ، كما أنه ليس من التعظيم له عليه السلام الزعم بأن الأئمة معصومون كعصمته أو أشده ، وليس من التعظيم له أيضاً الوقعة فى خيار أصحابه وإكفارهم ، أصحابه الذين نصره وآووه إذ خذله الناس وأخرجوه ، وليس من ذلك أيضاً رعى أزواجه بمفطحات الكبائر وسبهن والعيب لديهن الى غير ذلك من الفظائع الشيعية المعروفة ، وليس كذلك من التعظيم له فى شىء عصياناً وعصيان الله جبهة ومناذرة الكتاب والسنة بدعوى إعظام من عظمه الله وبدعوى حبه والقيام بحقه والاقطاع اليه إعراضاً عن الله ، ونأياً عن جانبه . وليس من تعظيمه كذلك سؤاله ما لا يسأل إلا الله وما لا يستطيعه إلا الله بزعم حبه وإعظامه . هذا كله ليس من التعظيم له ولا من الاحترام ، بل هو من الاساءة اليه والعصيان والاغضاب له . كما أنه ليس غلو النصارى فى عيسى وفى الأقباط والرهبان بدعوى تعظيمهم واحترامهم احتراماً لهم وتعظيماً ، بل ذلك إساءة الى عيسى وإلى الصالحين من الأقباط والرهبان . ومثل هذا وذلك خلو الشيعة فى على ودعواهم فيه العصمة والألوهية أو الرسالة أو ما لا يستحق من أفاضل التعظيم الخاطيء . فهذا كله ليس من التعظيم وإن حسبه فاعله تعظيماً . ولو فرض أنه تعظيم لفئة أو عرفاً خاصاً أو عاماً لكان تعظيماً محرماً ممنوعاً لا يجوز ارتكابه ، لأنه عدوان ومجاوزة لحدود الله . والقانون العادل الصحيح فى هذا بل وفى كل أمر دينى هو السير قولاً وعملاً واعتقاداً على ما نهجه الكتاب والسنة وتأميراً وقولاً وذهاباً . فهما الشاهدان المدلان الاذان لا يخونان ولا يخطئان . وليس من

العدل والصواب والدين مخالفتها ومخادتها اتباعا للأهواء والأغراض ووساوس الشياطين المضلين وابتداع المبتدعين المحدثين . فالتمسك بالكتاب والسنة هو المعظم لله ولن عظمه الله ، وهو الراشد المهتدي بلا ريب . والنايذ المخالف لها خير معظم لله ولا لمن عظمه الله بلا شك ، وان ظن غير ذلك وادعى خلافه ، وهذا لا شك فيه بين أهل الأمة الإسلامية . وهذا هو برهان التعظيم وحجته الناطقة المادلة

وأما دعاء الرسول عليه السلام والسؤال له فليس بلام أن يكون تعظيما له واحتراما لا شرعا ولا عرفا ، لا خاصا ولا عاما ، بل السؤال والدعاء كثيرا ما يكون محرما ممنوعا لأنه لا تعظيم فيه ولا احترام ، بل قد يكون إساءة للمستول واغضابا له ، وقد كان الناس يسألون الرسول عليه السلام يوم أن كان حيا بين أظهرهم فيخضب لذلك ويذم المسألة والسائلين ، ويمتدح التمتعف والمتعففين ، ويقول « لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم » وقد كان يشترط على أصحابه في البيعة ألا يسألوا أحدا فكانوا كما اشترط عليهم حتى كان السوط كما ورد في الحديث يسقط من يد أخدم فلا يقول لأحد ناولنيه وقد كان كبار أصحابه عليه السلام من أقل الناس سؤالا له ومن أندرم ، حتى قيل ان أبا بكر الصديق لم يسأله شيئا في مدى صحبته إياه كلها . وهذا المعنى لا ريب فيه

فلو كان السؤال أو الطلب تعظيما ومشروعا دائما لما كان منها عنه محرما بصرامة وشدة وإن كثيرين من هؤلاء الذين يسألون النبي الكريم وغيره من المولى يسألون مسائل محرمة منها عنها لو كان المستول قادرا على إعطائها ومنحها . وهذه المسائل التي يسألها هؤلاء الجاهلون الرسل والأولياء وغيرهم من الآمات هي مسائل ما كان الصحابة يسألونها الرسول الكريم يوم أن كان حيا يروونه

ويراهم ويسمعونه ويسمعهم بل ولو سألوه شيئاً منها لأنكره ولغاظه ذلك لأنها مسائل محرمة شرعاً وذوقاً

فالمسألة بالجملة محرمة ولكن تباح عند الضرورة الملحة كما تباح سائر المحرمات مثل الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير ونظائر هذا . والأحاديث النبوية في هذا المعنى بالغة مبلغ التواتر المعنوي

وهذا الرافضى يدعى أن تعظيم الرسول هو دعاؤه ، فمن لم يدعه فليس معظماً له ولا معتزفاً ولا قائماً بحقه المفروض اللازم من التعظيم ، وليكن معلوماً هنا أن مراده بدعائه هو دعاء الجاهلين والعامّة الذين يسألونه ضروب الحاجات الشخصية المادية ، كمن راح يسأله أن يزوجه أو يسأله أن ينصره على فلان أو فلان ، ويؤليه مركز كذا أو يعطيه مقدار كذا من المال وأن يرد عليه غائبه وإن كان حيواناً ، وأن يشفى مريضه وأشباه ذلك من غرائب المسائل التي لو سئلتها النبي ﷺ لكان إساءة إليه وقلة احترام له ، بل قد يكون تمديداً له ، ونحن نعرف أن من سأل الرسول هذه الحاجات يوم أن كان حياً فقد آذاه واحترقه في كثير منها ، ونعلم أن مثل هذا لن يكون له تعظيماً البتة

ولينظر الفرق بين من قال إن تعظيم الرسول هو سؤاله هذه الحاجات المادية الشخصية وبين من يقول إن تعظيمه ﷺ هو الاتباع له ظاهراً وباطناً ، والنهج منهاجه قولاً وعملاً واعتقاداً ، وألا يقدم قول أحد من الناس على قوله ، بل وألا يكون لأحد معه قول . لينظر القارىء أي القائلين أكثر تعظيماً له واحتراماً له ﷺ ، وأي هذين القولين هو التعظيم

على أن الدعاء المشروع نحن لا ننكره كما قلنا آنفاً بل نوجه أحياناً ليس من الرسول فحسب ، بل من سائر المسلمين والمؤمنين ، والقانون الفاصل في هذا كما قلنا مراراً هو تحكيم النصوص الشرعية فما جاء فيها كان حقاً واجباً على المسلمين

فعله ، وما لم يرد فيها أو ما أنكرته كان باطلا واجبا على المسلمين رفضه واجتنباه .
ونكرر أيضا قولنا بأننا لا ننكر الاستغاثة والتوسل المشروعين ولا الاستشفاع
الصحيح . وقد ذكرنا مرارا الفرق بين هذه الأمور ، وذكرنا أن منها ما هو
مشروع ومنها ما ليس مشروعاً ، فما ذكره إطلاقاً بأننا ننمحه هو افتراء متعمد كما
قلنا ، وما ذكره من أنهم يقولون لمن يسأل الرسول الكريم ﷺ وغيره من
الأموات : من الذى أعطاك القوة ؟ فإذا قال الله قالوا له لم تدعو فلانا وتدع الله
الذى أعطاك القوة ؟ يقال فى جوابه ان هذا الكلام صحيح لا ريب فيه ، فالذى
يعلم أن الله خالق كل شيء أقرب إليه من كل شيء وأرحم به من كل شيء وأعدل
من كل شيء ثم يعلم أن جميع ما به من النعم روحية ومادية حسية ومعنوية من الله
وحده لا شريك له ولا معين ، من يعلم ذلك كله كيف يهجر الله ويهجر سؤاله ،
ويذهب يدعو مخلوقاً عاجزاً عن نفع نفسه وعن دفع الأذى عنها ، مخلوقاً خاضعاً لله
فى كل شيء ؟ وكيف يذهب يسأل ميتاً أن يرزقه وأن يشفيه وأن يفيقه وأن
يكشف بلاءه وضراؤه وكل ما به من الأوصاف والخطوب ، وهو يعلم أن ذلك
المخلوق المستول وان جل قد وقع به أشد الخطوب وأمر المصائب وذلك هو الموت
المختوم ، ألا يعلم أنه لو كان يقدر على ما يسأل لجاد به على نفسه ولنفعها ودفع عنها ؟
ويشبه هذا من قريب قول الله تعالى على لسان رسوله ﷺ « ولو كنت أعلم الغيب
لاستكثر من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير » فالذى يعرض عن
الله ويسأل المخلوق الميت رهين البلى والثرى كبريات المسائل مما لا يقدر عليها إلا الله
مصاب ولا شك فى عقله أو دينه أو فيها معاً ، وأين من يفهم قول الله « يا أيها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا
له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله
حق قدره إن الله لقوي عزيز » ؟ وما أجل ختم الآية بقوله إن الله لقوي عزيز .

ها هنا الاعجاز ، وها هنا البلاغة التي تتطامن عندها أعناق فحول البيان إجلالا
وهيبة وصغاراً

وقول الرافضى « ان هذا تضييل إذ لا يوجد أحد يعتقد أن الأمر بيد محمد
أو غيره أصالة وإنما هو التوسل وطلب الشفاعة ممن له الوسيلة والشفاعة » يقال في
جوابه : ان الغرابة والاشكال من هذه الجهة ا فانه اذا كان المرء لا يعتقد أن الأمر
بيده من يسأله ويطلبه ويعلم أن من يطلبه منه لا قدرة له عليه مطلقا بل هو من صنع
الله وحده فكيف يسأله إياه ولماذا يدعوه رغبة فيه ؟ وكيف لا يطلبه ممن يعلم أنه
بيده وأن بيده كل شيء وكل ما كان وما سوف يكون ؟ ثم يقال كذلك كان
المشركون لا يعتقدون أن الأمور بيد الأصنام أصالة كما سوف يحجى . ثم لاندري
كيف يقول انه لا يوجد أحد يعتقد أن الأمر بيد غير الله أصالة ، ولا ندري كيف
عرف أنه لا يوجد من يعتقد هذه العقيدة ؟ أو ليس نظير هذه العقيدة موجوداً في
الناس في كل زمان ؟ أو ليس أوائل الشيعة أغنى السبئية ، اعتقدوا الألوهية في علي
باعتراف هذا الرجل ؟ فاذا ما وجد من اعتقد في علي الألوهية فكيف لا يوجد
من يعتقد في الرسول ﷺ ذلك أو مادونه من التصريف والاعطاء والمنع ؟ ومنطق
هذا الرجل منطق مريض بلا شك

وقوله هنا لا يوجد من يعتقد أن الأمر بيد الرسول أو غيره أصالة يدل على أنه
لا يرى بأساً في من اعتقد أن الأمر بيد غير الله لا أصالة بل نيابة عن الله في
تصريف الأمور وتدير الكائنات

وقوله « وإنما هو التشفع والتوسل » يقال في جوابه كلا والله ، فان من يقول
يا فلان أعتنى أو ارزقنى أو اشف مريضى أو اهد قلبى أو اغفر ذنبى لا يمكن أن
يقال في هذا انه مقشفع ومتوسل البتة . والذي يسمى هذا بهذا الاسم غلط غلطين
خطأً لغوياً إذ معنى هذا توسلاً واعتقادياً إذ أباح مثل هذا وحسبه من الدين ، وإذا

فرض أنه توسل وتشفع قيل من الذى قال ان كل ما يسمى تشفعا وتوسلا يصح طلبه من المخلوقات ؟ هذا هو رأس المسألة ومبدؤها وهذا هو محل الخلاف ، وسوف يأتي بيانه

وقوله : « ولو صح اعتراضهم هذا لتوجه على من يطلب الدعاء من الغير فيقال له الله الذي يجيب دعاءك أو أخوك المؤمن ؟ فلا بد أن يقول الله . فيقال له لم لا تدعو الله وتطلب من أخيك أن يدعو لك ؟ » يقال جوابا له : إن هذا الاعتراض اعتراض فاسد ، وذلك أن الذى يطلب من أخيه أن يدعو الله له لم يطلبه أن يجيب دعوته وأن يعطيه ما يطلب أن يطلبه له من الله ولم يسأله شيئا غير قادر عليه ولو كان ذلك كذلك لتوجه هذا الاعتراض ، ولكنه يطلب منه أن يوحد الله وأن يعبده بدعائه وسؤاله والضراعة اليه . فهو إنما يسأله أن يدعو الله ، والمسئول قادر على أن يسأل الله ، وهو لم يسأله أن يعطيه أو أن يجيب دعاءه أو أن يقضى له حاجة من الحاجات ، والاعتراض الذى ذكره الشيعى لا يتجه إلا على من سأل مخلوقا شيئا لا يقدر عليه بل لا يقدر عليه إلا الله

وبأمثال هذه الشبهات يهدم الدين من أساسه ، وتباح عبادة الأخشاب والأبواب والأنبياء والأولياء وغيرهم ، وبها يعارض القرآن والسنة والاجماع ويحارب المسلمون الخالص وتباح أعراضهم والوقوع فيها ، ونموذ بالله من مقت الله وما ذكره من تقبيل ضريح النبی أو منبره وما بعهه تقدم بعض الكلام عليه في الأمر الخامس عشر من مقدمته الثانية ونترك باقى الكلام فيه الى الباب الخاص به هذا ثم لو أردنا أن نقابل أدبه بمثله في هذا الوجه من الوجوه التي زعم أن اللوهابيين شابهوا الخوارج فيها لقلنا راشدين صادقين : إن هذا المعارض الشيعى هو واخوانه يشبهون خصوم النبی الكريم وخصوم الدعوة الاسلامية من وجوه كثيرة إنما أن خصوم النبی والاسلام كانوا ينقمون من النبی ومن الاسلام

التوحيد الخالص وينكرونه أشد الانكار ، وهذا مذكور في آيات القرآن قال تعالى « وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » وقال أيضا حكاية عن هؤلاء الخصوم « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا لشئ عجاب » الى قوله « ماصمنا بهذا في اللمة الآخرة ان هذا الاختلاق . أنزل عليه الذكر من بيننا » ؟ وقال تعالى « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ، وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً قل إنما ادعو ربى ولا أشرك به أحداً » الى غير ذلك من الآيات المصرة بأن خصوم الاسلام والنبي الكريم كانوا يقومون من ذلك التوحيد الخالص النقي الذي يريد من أهله أن يسموا الى الله في عليا سمواته وأن يتجاوزوا المادة وحدودها فيصلوا اليه تعالى بقلوبهم وعتولهم وإيمانهم واعتقادهم وأرواحهم وألا يكونوا في هذه الأرض مع المادة والماديات إلا بمادتهم فقط . أما أرواحهم وإيمانهم وتوحيدهم فم الله فوق سمواته حتى اذا ما أراد بهم مريد من عوادي الطبيعة كيداً أو أذاعة أو إرهاباً لم يستطع الوصول ان استطاع الا الى مادتهم وإلى ما في تركيبهم من تراب وهياكل جسمية مادية . أما إيمانهم وقلوبهم وما كانوا به أهلاً لعبادة الله وخطابه ورسالاته وروحه فأسمى من ذلك وأبعد على المتناول المتناول

كان خصوم الاسلام والنبي يقومون هذا التوحيد النقي ، وكذا هذا الشيعى واخوانه يقومون هذا التوحيد نفسه من الموحدين اليوم ، فاذا قالوا لم الله وحده وادعوا الله وحده ، ولا تدعوا مع الله أحداً ، واذا ذكروه سبحانه لا شريك له ولا معين اشمأزت قلوب هؤلاء المعارضين وهاجوا وماجوا وقدحوا وصخبوا واذا ذكر من دونه من المشايخ والمعتقدين ودعوا واستغيثوا وانقطع اليهم فرحوا واستبشروا وطاروا على أجنحة السرور الى حيث لا يرجعون ، وأنسوا بذلك ورجوا به الخير والسعادة والعافية

(٣٤٤)

قالفرقان : هؤلاء المخالفون وأولئك المخالفون لآبى المناوون للإسلام
يصدران عن عقيدة واحدة ويمتازان من منهل واحد وحجة واحدة . أفأ ترى
أن اليلة كالبارحة سواء كما يقولون فى التعبير الصميم القديم
هذا جواب عن الوجه الأول من وجوه التشابه بين الوهايين والخوارج
ثم قال الرافضى : « (ثانيا) كما أن الخوارج مواظبون على الصلوات وتلاوة
القرآن والعبادة متصلبون فى الدين طالبون للحق كذلك الوهايون متصلبون فى
الدين ، يؤدون الصلاة لأوقاتها ويواظبون على العبادة ويطلبون الحق وإن أخطأوه
ويتورعون عن المحرمات »

ونحن نقول فى جواب ذلك إن التصلب فى الدين والمحافظة على الصلوات
والعبادة ومطلب الحق بنية خالصة سالحة واجتناب المحرمات والآثام ، ان هذه
الأمور كلها لا يمكن أن تقدم معاصى وعبوها ولا يمكن أن تكون مكان ذم
ومقدح وعيب فى صاحبها ، بل هذه الأمور كلها فضائل وطاعات يثاب عاملها
ويعتمد ويجازى عليها الجزاء الأوفى ، وان سعادة المرء فى الأخرى موقوفة على
هذه الأمور ، وبقدر حظه منها يكون حظه من السعادة ، وان الأولياء ما كانوا
أولياء وان المؤمنين ما كانوا مؤمنين إلا بجمعهم هذه الأمور ومحافظةهم عليها
وتصلبهم فيها ، وما كان الشقى شقياً ولا العاصى عاصياً ولا أهل النار من أهل
النار إلا بمخالفة هذه الأمور وإهمالها ، وما استحق أهل الجنة الجنة ثم الخلود
الأبدى فيها الا بالايان وبالمحافظة على الصلوات والعبادات وإخلاص النية فى
التماس الحق ، طلب الحقيقة العليا والا بالتورع عن المحرمات . هذا ما لا ريب فيه
وما كان كذلك لا يمكن أن يمد مكان ذم ومقدح وعيب ، والخوارج لم يؤخذوا
ويضلوا ويستحقوا عقاب الضالين الخارجين بتصلبهم فى الدين ومواظبتهم على
الطاعات واجتنابهم المحرمات . هذا ليس هو موضع الذم فيهم بل ريب ، ولكن

القوم قتلوا وضموا لما ابتدعوه في كتاب الله وسنة رسول الله عليه السلام من البدع القبيحة الشنيعة ، وبوضعهم كتاب الله خلاف مواضعه ومخروجهم على سنة الصحابة والتابعين والرسل الأول الأفضل جهلا منهم وضلالا وقصوراً في الفهم وعرفان الحقيقة . حتى وقموا في اكفار الخلفاء واكفار الصحابة الراشدين ، وحتى طفقوا يمدّ لون عليهم ويحاولون تعليمهم وارشادهم . فأكفروا عليا وعثمان ومعاوية وعمر بن العاص ومن تولاهم أو سار سيرتهم واهتدى هديهم ونهج منهجهم واعترف بفضلهم وحققهم ، وقد طالبوا الخليفة علياً بأن يعترف على نفسه بالكفر والردة والا فالحرب بينهم وبينه ، المداوة المشبوبة المهلكة بين فريقهم وفريقه فضلوا بذلك وأضلوا كثيراً

وأصل ضلالهم قائم على القسح في الخلفاء وفي الصحابة ، وفروع ضلالهم متفرعة عن هذا الأصل الباطل الذي هو الوقوع في الساف ، حتى أنهم بعد المحاولات الكثيرة والمناوآت التي قاموا بها تأمروا على اغتيال ثلاثة من كبار الصحابة وهم علي ومعاوية وعمر بن العاص ، فقتلوا علياً وجرحوا معاوية وأصابوا خارجة مكان عمرو بن العاص إلى تمام محنتهم وضرائهم الموجهة ، فما هنا كان داه القوم وبلاؤهم ، ولم يكن آتياً من جهة طاعتهم ومواظبتهم على الصلوات والعبادات والتصلب في الدين وإخلاص النية في طلب الحق . كيف والشيعة يزعمون أن أئمتهم كانوا في غاية من المحافظة والمواظبة على الطاعات والعبادات والصلوات وعلى غاية كبرى من التصلب في الدين واجتتاب الآثام حتى زعموا أن علياً كان يصلي في الليلة الواحدة ألف ركعة مع قيامه بالجهاد وقتال الأعداء ، وزعموا أن علياً بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان يصوم نهاره ويقوم ليله ، وأنه كان يصلي في اليوم واليلة ألف ركعة ، وأنه كان يبكي من خشية الله حتى خدعت الدموع لحم خديه وأنه سجد وأطال السجود حتى سمي ذا الثغفات ، وقد سموه زين العابدين ، وزعموا

أن ابنه محمداً الباقر كان أعظم الناس زهداً وعبادة حتى لقد بقر السجود جبينه ودعى لهذا الباقر ، وزعموا أن ابنه جعفر الصادق كان أفضل أهل زمانه وأعبدهم وكذا كان ابنه موسى الكاظم وكذا كان جميع أئمتهم في زعمهم أعبد الناس وأخشاهم لله وأعظمهم مواظبة على حقوق الله ورعيًا لجانبه واجتنابًا لمخارمه ، وهم ينسبون إليهم هذه المبالغات لتقوم لهم دعواهم بأنهم هم الأئمة المعصومون وأنهم أفضل الناس على الإطلاق وأحقهم بالامامة والخلافة

إذن لن تكون مواظبة الوهابيين على الصلوات والعبادات واجتنابهم المحرمات قدحاً ولا عيباً ، بل أن هذه فضائل يسلمها لهم خصومهم وأعداؤهم ويعترفون بها اضطراباً وكرهاً ، وإذا قد علم أن أصل ضلال الخوارج هو الوقعة في سلف الأمة ورعيها الأول وإكفارهم ومناصبتهن المداوة والحرب ، ثم الابتداع في الاسلام والخروج على السيرة الأولى الاسلامية سيرة الخلفاء ، ثم وضع كتاب الله خلاف وضعه ومواضعه فسونه ، نرى القاريء أن نصيب الشيعة من هذه البدعة أوفر نصيب وأوفر من نصيب الخوارج أنفسهم ، لأن الخوارج ان كانوا قد ابتدعوا الكفار على معاوية وعمر بن العاص ومن تولاهم فان الشيعة قد ابتدعوا الكفار أبي بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد وعمر بن العاص وأزواج النبي الكريم ومن تولى هؤلاء وسار سيرتهم ونهج نهجهم من الصحابة والتابعين وأئمة الحديث والفقه والافتاء وسائر المسلمين ، وشتان ما بين البدعتين فظاعة ونكرا !

وإذا قد اعترف للوهابيين وهو الخصم المبين بالمواظبة على الطاعات والعبادات والصلوات وبهجران المحرمات وإخلاص القصد في التماس الحق والمهدي ، فمن ذا يشهد لشيعة الرافضة بأحدى هذه الفضائل الجلائل والأمور الكبرى ؟ إن التاريخ من ألفه الى يائه كما يعمرون يشهد بصراحة أن الرافضة كانوا أبداً وفي كل وقت على نقى ذلك تماماً وكانوا على غاية من إهمال الواجبات والطاعات والعبادات

وعلى غاية من اقتحام مفاضب الله ومساخطه . وان التاريخ من ألقه الى يائه كما يقول بعض الكتاب ينهم هؤلاء وهو على الحق الصانع بسره القصد والنية واتباع الأهواء المضلة وبارادة السوء بالدين والمسلمين . وإن من أنطق الدلائل التاريخية على ذلك ما جاء به الفاطميون وهم إحدى طوائف الشيعة من المنكرات والمبتدعات الدالة على إرادة هدم هذا الدين وافساده عمداً وقصدآ . ويكفي تدليلاً على هذه القضية أن يعلم أن واضح بذور هذا المذهب هو عبد الله بن سبأ اليهودي المعروف . دع عنك طائفة القرامطة وما جاءوا به من البلاء المصوب على الاسلام والمسلمين وعلى الاخلاق والفضائل جمعآ . ومعلوم أن القرامطة كانوا متشيعين وكان وضعة مذهبهم فرسا ، وبين أحضان الفرس ترعرع المذهب الشيعي الرافضي الغالي وهناك نما وشب وقاض على الآفاق فان أبا طاهر والحسن بن بهرام المعروف بأبي سعيد الجنابي وغير هؤلاء من أئمة القرامطة وناشري مذهبهم كانوا فرسا من بلدة جنابة إحدى البلاد الفارسية

ذلك واذا أردنا أن نقابل أدبه بمثله قلنا صادقين راشدين : ان هذا الشيعي واخوانه من المبتدعين يشبهون خصوم الاسلام والنبي والمسلمين من وجوه كثيرة أحد هذه الوجوه قدحهم وعيهم للمؤمنين الصالحين ولزم أيام بالطاعات وباجتنب عصيان الله قال الله في خصوم الاسلام والمسلمين : « الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجحدون إلا جهدهم فيسخرون منهم . سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » الى غير ذلك من الآيات الملوحة في هذا المعنى

وكذلك هذا الشيعي واخوته يلزون المؤمنين السلفيين ويعيرونهم ، بماذا يعيرونهم وبماذا يلزونهم ؟ بالطاعات والمحافظة على الصلوات وباجتنب المآثم والمحارم . فالفرقان : هذا الشيعي واخوته ، وأولئك المحاصرون للاسلام ولأوائل المسلمين يصعدان عن رأي واحد وحجة واحدة . هذا عن الوجه الثاني الذي زعم

فيه هذا المصنف مشابهة الوهابيين للخوارج . ثم قال الرافضي :

« (ثالثاً) كما أن الخوارج كفروا من عداهم من المسلمين وقالوا مرتكب الكبيرة كافر مغلد في النار واستحلوا دماءهم وأموالهم وسبى ذراريهم ، كذلك الوهابيون حكموا بشرك من خالف معتقدهم من المسلمين واستحلوا ماله ودمه ، وبعضهم استحل سبى الذرية ، ولم يخاطبوه الا بقولهم : يا مشرك ، وجعلوا دار الاسلام دار حرب ودارهم دار إيمان تحب الهجرة اليها ، وحكموا بقتال تارك الفرض وان لم يكن مستحلاً . وكذلك خرجوا عن السنة وجعلوا ما ليس سنة سنة مثل الخوارج »

قلت : وجواب ذلك أن يقال ان من عجائب الأيام وفكهااتها المضحكة قوماً المبكية قوماً آخرين أن تذهب الشيعة بتهم أهل السنة من أهل نجد با كفار المسلمين واحلال دمائهم وأموالهم في حين أن الشيعة تعلن على رؤوس الأملاء ومسامع العالمين ا كفار خيار الأمة وا كفار كبراء الصحابة ومن تولاهم من فرق المسلمين على اختلاف العصور واعتقاب الليالي ١١ والذي يكفر أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص كيف لا يمتعه الحياء أو كيف لا يمجده عند الحياء . يمتعه من أن يتهم أحداً با كفار المسلمين ، وكيف لا يمجده في نفسه زاجراً يزجره عن التفوه بهذه الحديي حديي ا كفار المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وكيف لا يندى جبينه ويحمر وجهه خجلاً عند الخوض في هذه المسألة أعنى مسألة تكفير المسلمين ١٢ ان الشيعة لا تهيب المجاهرة با كفار هؤلاء الصحابة وبا كفار من يأخذ اخذهم من المسلمين ، ولا تهيب أن تسجل هذا الذنب العظيم عليها في تاريخها وفي كتبها المطبوعة المبدولة لعامتها . قال في كتاب الوشيعة :

« كتب الشيعة تكفر عامة الصحابة كافة ، لم ينبج من التكفير سوى قليل

منهم لاتزيد عدتهم على سبعة ، وللشيعة الامامية في تكفير الاول والثاني أبي بكر وعمر صراحة شديدة ومجازفة طاغية ، وفي كتب الشيعة عن الباقر والصادق (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : من ادعى امامة ليست له ، ومن جحد اماما من عند الله ، ومن زعم أن أبا بكر وعمر لما نصيب في الاسلام) وفي المجلد الثاني من الوافي ^(١) صفحة ٤٤ وبعدها كلمات لا يقبلها الأدب . الاول والثاني أبو بكر وعمر في كتب الشيعة رجسان ملعونان . هما الحبث والطاغوت وهما فرعون هذه الآلة وهامانها ، وهما أشد أهل النفاق نفاقا وعداء للنبي وضررا للاسلام . وفي كتب الشيعة أن أبا بكر أب لكل الشرور . لم يسم صديقا إلا بعد أن رأى في الغار معجزات أدهشته وحيرته فأضمر في قلبه (الآن صدقت يا محمد انك ساحر عظيم) . وفي كتب الشيعة في الكافي والتهذيب والوافي ^(٢) لعنات على أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة وعلى العامة وهم كل الأمة بببارات ثقيلة شنيعة وللشيعة في اللعن على الصحابة وعلى الأمة أدعية مأثورة ، وفي كتاب الوافي في كتابه الثامن وفي غيره كلام طويل ثقيل يدل على أن دأب الشيعة في الكتب والكلام والمجالس الانبساط في اللعنات . يقول الوافي لم يدع الامام أحداً من يجب أن يلعن الا لعنه وسماه وأول من بدأ بأبي بكر وعمر وعثمان . ثم مر على الجماعة ولعن الكل ، وللباقر والصادق على حسب ماترويه كتب الشيعة دبر كل صلاة مكتوبة أورد لعنات على أربعة من الرجال منهم الاول أبو بكر والثاني عمر وعلى أربع من النساء منهن عائشة وحفصة وفي الكافي والتهذيب أدعية مأثورة عند زيارة قبور الأئمة في اللعن على العصر الاول وعلى كل الأمة تقول كتب الشيعة والله وراء هذا العالم سبعون ألف عالم . في كل عالم سبعون ألف أمة . كل أمة

(١) الوافي أحد كتب الشيعة المعتمدة عندهم

(٢) هذه الكتب الثلاثة عمدة الشيعة

أكثر من الجن والانس لأم لهم إلا الأمن على أبي بكر وعمر وعثمان
 « وفي الكافي (٣ - ٣٩١) أن عائشة وحفصة كافرتان منافقتان مخلدتان في
 النار ، وفي محائف الكافي كلمات تسمئز منها جلود الشياطين » ثم قال في الوشيعة
 أيضاً « ما تقول كتب الشيعة في الدول الاسلامية : حكومات الدول الاسلامية
 وقضاؤها وكل علمائها طواغيت ، ومن تتحاكم الى الطاغوت وحكم له فان أخذه فانما
 يأخذه سحتا ، وان كان حقه في الواقع ثابتا له لانه يأخذه بحكم الطاغوت وقد
 أمروا أن يكفروا به ، ويحرم على الشيعة أن تتحاكم الى الطاغوت ، وكل راية
 ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاعوت يعبد من دون الله » الوافي « (٣ - ٢٨)
 فكيف يكون أساس الدول الاسلامية على وجه الارض من أول الاسلام الى يوم
 القيام والقيامة ان كانت عقيدة شعوبها وعقيدة رعاياها هذه العقيدة !

« وصرحت كتب الشيعة بأن كل الفرق الاسلامية كافرة ملعونة خالدة في
 النار إلا الشيعة والمخالف مطلقا شر من الكفار ، وصرحت كتب الشيعة أن دم
 الناصب^(١) وماله حلال إلا امرأته لأن نكاح أهل الشرك جائز ، والناصب على
 حسب بيان كتب الشيعة من يقدم الخليفتين أبا بكر وعمر على علي أو يعتقد أمانتهما
 وتقول كتب الشيعة ان الله قد نصب عليا علما بينه وبين خلقه من أنكره فهو كافر
 ومن أشرك معه آخر فهو مشرك وان ايمان المخالف في الامامة لا ايمان له هو
 للنار والى النار . والمخالف في الامامة حكمه حكم المشرك والكافر في جميع الأحكام
 لكن الله أجرى عليهم زمن الهدنة حكم المسلمين رحمة للشيعة ، واذا ظهر القائم قائم
 آل محمد أجرى على المخالف في الامامة حكم المشرك والكافر في جميع الأحكام
 يقول الامام الباقر والصادق (لولا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم ،
 والرجل منكم خير من مائة ألف رجل منهم لأمرناكم بقتلهم كلهم) ويقول الامام

(١) الناصب جمعه نواصب وهم أهل السنة في اصطلاح الشيعة

في أئمة المذاهب الأربعة (لا تأتهم ولا تسمع منهم لضيم الله ولعن ملهم المشركة)
 وفي التهذيب (١١٦ : ٢) ، (٢٥٢ : ٢) كان الصادق يقول خذ مال الناصب
 حيث ما وجدته وادفع إلينا الخمس ، هذا ما أردنا نقله من كتاب الوشعة ، وقد
 قدمنا في أول كتابنا أشياء من عقائد الشيعة في الصحابة وفي المسلمين كافة ، وقوم
 يقولون هذه الأقوال كيف يجرؤون على اتهام أحد با كفر المسلمين ؟ ولا ريب أن
 غضب صاحب هذه الأقاويل الشنيعة للمسلمين وقيامه للذيادة عنهم أفضح من هذه
 الأقوال نفسها وأغرب

أما زعمه أن الوهابيين يكفرون كل من خالف معتقدهم وانهم يبادرون إلى
 الحكم عليه بالشرك . فهذه دعوى قديمة قلدها رجال عدة من أركان البدعة
 والجهالة ، وتناقلوها واحداً عن واحد وتواصوا بها السابق يوصى بها اللاحق
 واللاحق يوصى بها من بعده حتى جاءت النوبة هذا الشيعي فاستخضته سروراً
 وطرباً فطلق يتفق بها سروراً طرباً في كتابه هذا في مواضع منه مضيها إليها بعض
 التلحين والتنظيم خداعاً وتضليلاً . وما ربك بغافل عما يعملون . وقد كان أهل
 السنة من أهل نجد سابقاً وفي كل وقت يقابلون هذه التهمة المرددة والدعوى
 المعادة المكررة . وقد رموا بها من يوم أن ذر قرن سحدم - بقولهم سبحانه هذا
 بهتان عظيم

ومن عجيب أمر هؤلاء المدافعين عن البدع والعقائد المريضة أن يصروا رغم
 كل شيء ورغم أنف الحقيقة على اتهام هؤلاء القوم بهذه التهمة ، تهمة الكفار
 المسلمين ، في حين أن هؤلاء القوم ينادون في جميع كتبهم المطبوعة ويسمعون
 الأذان الدانية والقصبة بأنهم يبرؤن إلى الله من هذه الأكذوبة ويصرحون بأنهم
 لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب وإن كان عظيماً جليلاً ، ويصرحون بأنهم
 على مذهب السلف وأهل الحديث بنياً وإثباتاً لا يزيدون ولا ينقصون ولا يغيرون

عن ذلك مذبحاً ولا حولاً ، وأنهم يتولون جميع المسلمين المؤمنين وإن جاءوا بالذنوب العظيمة ما لم يقموا في كفر وشركه بل ويصرحون في جميع كتبهم بالبراءة من الخوارج إذ تقلدوا تكفير المسلمين بالآثام وإذا خرجوا على الخلفاء الراشدين ، مثل ما يبرؤون من الشيعة إذ تقلدوا تكفير الصحابة والخروج على الخلفاء الراشدين والوقية في دينهم ويتبرؤون من جميع هذه الآثام قديماً وجديداً وفي أقوالهم مشافهة وفي مجالسهم وفي كل مكان وفي كل أداة بيان . ثم بعد ذلك يصر هؤلاء المخالفون على اتهام هؤلاء القوم بهذه التهمة وهذه الاكذوبة الباطلة وإننا نعيد القديم فنقول إننا نبرأ الى الله من أن نكفر المسلمين ومن أن نكفر أحداً بذنوب ، ونبرأ الى الله من قول الخوارج : ان مرتكب الكبيرة كافر ، ومن قول الشيعة في إكفار الصحابة وأزواج النبي ، ونسجل على أنفسنا راضين مختارين أننا على معتقد الأئمة الأربعة ومعتقد الحديث وأئمة السنة نقياً وإبائاً . وذلك لأننا نعرف أن هؤلاء السلف هم أهل الحق والهدى وأنهم أجمعوا في العقائد على الهداية والإيمان والبصيرة النافذة في دين الله وأن المخالفين لهم من أهل البدع يتسكمون في ضلالات وجهالات يجهلون مصادرها ومواردها وتذهب بهم الى حيث لا يجدون إلا غضب الله وسخطه ، ولهذا نحن لم بجانبون ولبدعهم آيون هاجرون

هذا واذا ما أردنا أن تناقش قوله هنا مناقشة منطقية جدلية علمية قلنا : قوله ١ وحكوا بشرك من خالف معتقدهم ، الى آخره إما أن يريد به أنهم حكوا بشرك من خالفهم في أصول الدين وأمهات العقائد بمعنى أنهم كفروا المخالفين لهم الذين وقعوا في الشرك والكفر على ما تقضي به الأصول التي علموها ودانوها . ولما أن يريد به أنهم حكوا بشرك من خالفهم مطلق مخالفة ولو في أمر لا يوجب الخلاف فيه الشرك والكفر على ما تقضي به الأصول التي علموها ورضوها . إن كان يريد الأول قيل له : ان جميع الناس جماعات وأحاداً كذلك يصنعون لا يخالفون

في هذا ولا ينازعون أو يرتابون . فان كل انسان يؤمن بالايمان والكفر يحكم بكفر من وقع في الكفر على مقتضى أصوله التي عليها ورضيها ، ولا معنى للكافر عند الناس إلا أنه من وقع في الكفر حسب ما يفهمون ، ولا معنى للمشرك عندهم إلا أنه من صار الى الشرك كما يفهمون ويعلمون . فالمشرك عندك وعند غيرك هو الذي خالفك فصار الى الاشرار ، والكافر عندك وعند غيرك هو الذي خالفك فصار الى الكفر على مقتضى علمك وفهمك أنت ، ولو لم يكن المشرك عندك هو من وقع في الشرك لم يكن ثمت مشرك عندك ، ولو لم يكن أيضا الكافر عندك هو من وقع في الكفر حسب ما تفهم لما كان هناك كافر لديك . وهذا لا خلاف فيه بين العقلاء . فان الناس جميعا يحكمون بشرك من وقع في الشرك وبكفر من أتى بالكفر حسب ما يفهمون ، كما يحكمون بطول من حسبه طويلا وبحمرة من حسبه أحر ، وقيام من حسبه قائما . واذا ما أريد الانكار على أحد في هذا لم يقل له كيف تحكم على من اعتقدت انه كافر بالكفر وعلى من اعتقدت أنه مشرك بالشرك ، ولكن يقال له كيف اعتقدت بأن هذا العمل شرك وكفر أو ملازم للكفر والشرك ؟ وما الدليل لديك على أن من عمل كيت وكيت فهو مشرك أو كافر في حين أنه لا دليل لك على ذلك بل الدليل قائم على خلاف قولك ، دال على خلاف ما تحسب ؟ وكذلك لا يقال كيف حكمت بأن من وقع منه القيام قائم وبأن من انصف بالحمرة والطول فهو أحر وطويل ، ولكن يقال كيف علمت وحكمت بأن فلانا قد وقع منه القيام وبأنه قد انصف بالحمرة والطول ، كيف والناس يخالفونك في ذلك ولهم مثلك أعين بها يبصرون وآذان بها يسمعون ، ولست أعلم منهم . هذا ما يقال في مثل هذا ، وهذا ما تقتضى به القوانين المنطقية الموروثة الطريفة والتليدة

إذن فالذي على هذا الرافض أن يقيم الدليل على أن مخالفته يحكمون بالشرك والكفر على من ليس مشركا ولا كافرا ، لا أن يقول إنهم يحكمون بالشرك والكفر

على من اعتقدوه ككفراً مشركاً . فان هذا المعنى يشترك فيه جميع الناس العقلاء كما ذكرنا . فعليه مثلاً أن يقيم الدليل على أن طلب الأموات ما لا يقدر عليه إلا الله ليس كفراً ولا شركاً ، فاذا ما استطاع - ولن يستطيع - إقامة الدليل على ذلك صح له أن يقول إن مخالفته يحكمون على المسلم بالشرك والكفر اذا ما كفروا من طلب الأموات هذه المطالب العليا التي لا يستطيعها إلا الله وحده . أما غير هذا من القول فمبث وحشو

هذا إن أراد الأول ، وأما ان أراد الثاني : أي ان أراد أنهم يحكمون بالشرك على من خالفهم مطلق مخالفة ، ولو في أمر لا يوجب الشرك والكفر قلنا هذا تناقض باطل وقول لا يعقل فانهم هم وغيرهم لا يمكن أن يحكموا على أحد بالشرك والكفر حتى يعتقدوا أنه قد جاء بالشرك والكفر وحتى يعتقدوا أن ما حكموا عليه لأجله بذلك كفر أو شرك وهم إذا حكموا على أحد بأنه مشرك أو كافر فلا ريب أنه قد عمل الكفر والشرك حسب اعتقادهم ولولم يعتقدوا ذلك لما حكموا عليه به . وهذا من الضروريات الواضحة التي لا يتنازع فيها العقلاء وهذا قصارى فلسفة كلام هذا الرافضى المعارض ، وقصارى ما فيه من دخل ودخن

وقوله : « واستحلوا ماله ودمه وبعضهم استحل سبي الذرية » الى آخره من الأكاذيب الطائفة المقصودة التي لا شبهة لها يمكن أن يتعلق بها جارمها وقد حارب النجديون المخالفين المعتدين عليهم عشرات المرات وانتصروا في مواقع كثيرة معلومة . وقد كان المخالفون لهم هم البادئين المهاجمين ، وكان النجديون هم المدافعين المظلومين ، وهذا ما لا ريب فيه ، ولكن لن نستطيع هذا المعارض أن ينقل عنهم صادقاً أنهم سبوا الذرية في موقعة من المواقع ، ولينقل ذلك عنهم إن استطاع ، ولن نستطيع أن ينقل عنهم أنهم استحلوا مال أحد من القوم الذين

استطاعوا التغلب عليهم والظفر بهم . وهذه حروبهم في الحجاز واليمن الألفية
والقدية تشهد صادقة جاهرة على ما قول ، وعلى أن هذا لم يصدق فيما قال
أما إن كان يريد أنهم استحلوا الأموال التي تكسب من المحاربين والمقاتلين
كالاخاثر والعدد الحربية ونحوها مما جمعه المحاربون الفازون فقتل هذا كل الناس
مسلمين وغير مسلمين يأخذونه ويستحلون أخذه ، لا لأن صاحبه كفر خارج من
الاسلام بل لأن قوانين الحروب قضى به ، وتبيحه السياسة العامة ، لأنه مجموع
من مال الأمة

وقوله « وجعلوا دار الاسلام دار حرب ودارهم دار إيمان تجب الهجرة إليها »
قول تبطله أفعال الحكومة السعودية اليوم ومواقفها من سائر الحكومات الاسلامية ؟
وها هي قد بعثت مفوضين لها في أقطار يزعم هذا الرجل أنهم يعدونها ديار حرب
تجب الهجرة منها ولا يجوز المقام فيها ، وها هي خطابات جلالة الملك عبد العزيز كل
عام بين وفود الحجاج تبطل هذا الزعم ، وها هي حكومة جلالتهم تبث البعث
الملية دينية ومدنية الى الأزهر والى غير الأزهر ، وفي هذا قض صريح لزعم
هذا الشيعي

نعم نحن لا ننكر أن في بلاد نجد قوما لم يضربوا في الأرض ولم يفارقوا بلادهم
فلم يهزوا ما في الخارج ، سمعوا أنه في كثير من البلدان الاسلامية تفشو المعاصي
وتباح وكذا سائر المنكرات من الكفر والالحاد والقدح في الأديان عامة وفي الاسلام
خاصة وفي الأنبياء ، وسمعوا أن المسلم لا يستطيع أن يجبر دينه أو أن يقول كلمة
الحق أو أن يعادى الباطل ولو بالكلام واللام . ان قوما هناك سمعوا هذه الروايات
المبالغة ، وهم لم يروا ولم يعلموا الحقيقة فقالوا بناء على هذا ان المقام هناك حيث
لا يستطيع المسلم أن يعبد الله وأن يقول الحق وأن يحفظ عرضه ودينه لا يجوز ولا
يباح ، بل يجب عليه الهجرة فراراً بنفسه ودينه وعرضه الى حيث يستطيع أن ينجو

بذلك من هذا البلاء ويحيث يستطيع أن يقول الحق . وهذا كله قائم على جهل الحقيقة ثم على المبالغات في الحديث والرواية ، ويقابل هذا أن فريقاً من المسلمين في البلاد العربية وغير العربية مثل مصر والشام والعراق وغير هذه البلدان يسمعون أن النجديين أو الوهابيين كما يقولون خصوم للنبي الكريم ﷺ وللأولياء والصالحين وللمسلمين أجمعين ، وأنهم يأبون الصلاة والسلام على النبي ﷺ ، وأنهم يضربون وقد يقتلون من يصلى عليه ﷺ ، وأن من يذهب الى ديارهم على خطر عظيم في ماله ونفسه ودينه ، ويسمعون أيضاً غير ذلك من الأكاذيب الشائنة التي أذاعها دعاة السوء والهوى طاعة لأغراض دينية دنيوية ، فيحكم هؤلاء الذين سمعوا هذه الروايات بأن أولئك القوم المعروفين بالوهابيين قوم خارجون ضالون لا يصلح البقاء بين أظهرهم ولا في بلادهم لذلك ، ومبث هذا كله هو الكذب والارجاف وإذاعة السوء والفاحشة ، وقد قال واحد من هؤلاء المرسومين ضد العامة بالفقه والدين في حلقة درسه الخافل بالدهاء الجهلاء : ان الهجرة اليوم تجب من الحجاز لأجل ما هنالك من الضلال والموروق ، وهذا كله من الجهل والفرارة ودواؤه العلم والمعرفة ولكن هل من الانصاف والحكمة أخذ أمة بأمرها بما يقوله بعض الأغرار انخداعاً باشاعات سمعوها لا عن عقيدة اعتقدوها ، وهل اذا قال بعض الأغرار ممن لم يخبروا الدنيا وعن لم يعرفوا ما فيها قولاً من الأقوال المبنية على السماع المخدوع المضل يؤخذ أولو الأمر والشأن بما قالوا ؟ هذا عين الضلال والخطأ ، وهذا مالا نرضاه لأنفسنا ولا لأخواننا ، وهذا ما نذكره إنصافاً للحق والحقيقة

وقوله « وحكموا بقتل تارك الفرض وإن لم يكن مستحلاً » قد سلف الجواب عليه في الأمر السادس من مقدمته الثانية ، وتقدم أن قوله هذا مامن في المسلمين جميعاً وفي جميع الفرق الإسلامية حتى في الشيعة نفسها

وأما زعمه أن الوهابيين خرجوا عن السنة وخالفوها فجوابه يعرف من كتابنا

هذا ومن أقوال هذا الشيعة التي نرد عليها ، ومن الطريف الطريف أن تتمم الرفضة
والشيعة أهل السنة من أهل نجد بمخالفة السنة وبالحروج عليها

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

هذا وإذا أردنا أن نقابل أدبه ، مثله قلنا صادقين راشدين : ان الرفضة
يشبهون المنحليين من الأديان جملة من وجوه كثيرة ، منها أن الفريقين لا يألون
الأديان فلا يفضيرون لله ولا لمخارمه فلا يؤاخذون أو يلومون من كفر بالله ومن
جعل له أنداداً ولا من عبد خلقه وضرع إلى الأموات ولا من أعرض عن ربه
وعن رضاه وعن حكمته في خلقه ، وإنما يفضيرون للجهال الأغرار المنحليين من الدين
ومن الفضائل ويدفعون عنهم ، حاملين على من غضب الله فساوأ خصوم دينه
وخصومه ، كما فعل هذا الشيعة هنا ، فالفريقان يصدران عن عقيدة واحدة
ويترفان من منهل واحد ، فمن الأحق باللائمة يا ترى ؟

ثم قال الرفض « رابعاً - كما أن الخوارج استندوا في شبهتهم هذه إلى
ظواهر من الآيات والأدلة التي زعموها دالة على أن كل كبيرة كفر ، كذلك
الوهابيون استندوا في هذه الشبهة إلى ظواهر بعض الآيات والأدلة التي توهموها
دالة على أن الاستغاثة والاستعانة بغير الله شرك وعلى غير ذلك من معتقداتهم »
قلت : وجواب ذلك أن يقال لا يعاب القوم بأن استدلوا على عقائدهم بظواهر
الكتاب والسنة والمعقولات بل هذا أمر لا بد منه . فان العقائد التي لا تستند على
أدلة الكتاب والسنة لا تقبل ولا يجوز التعلق بها ، وليس يعيب العقيدة أن تشهد
لها ظواهر الكتاب والسنة وظواهر الأدلة الشرعية ، بل الذي يعيب العقيدة ألا
تكون لها مستندات شرعية لامن الكتاب ولا من السنة هذا هو ما يضير العقيدة وما
يعيبها وما يقضى بردها . أما استنادها على الكتاب والسنة والأدلة الشرعية فليس
هذا بدليل على بطلانها وعلى استحقاتها الرد والنقض . فان عقائد المسلمين الراشدين

كلية مستندة على ظواهر الكتاب والسنة وظواهر الدلائل الشرعية ، وإن من دلائل صدق العقيدة وصوابها استنادها على كتاب الله وسنة نبيه ، ومن دلائل بطلانها ألا تكون لها مستندات شرعية . فانه إذا لم يكن لها ذلك لامن الكتاب ولا من السنة كانت عقيدة باطلة لأنه لم يدل عليها الكتاب والسنة . وما لم يدل عليه الكتاب والسنة غير مفروض على السلم احترامه ديناً . أما ان كان يريد أن هذه الظواهر هي ظواهر كاذبة خادعة وهذا هو ما يريد قلنا ان الكلام على هذه المسألة سوف يأتي بيانه وسوف يعلم أن دلائلنا على هذه المطالب العليا هي دلائل بيّنة لا تقبل الجدل والنزاع وسوف يعلم أنه لم يوجد ما يعارضها من المقول ولا من المنقول ، وأن المعارضات التي يقابلون بها ظواهر الكتاب والسنة هي معارضات وهمية ترجع الى الظن والتخمين والتحملات التي يستطيع تسليطها على جميع الكلام الموجود في الدنيا وما سوف يوجد كما صنع ذلك أقوام ولا يزالون يصنعونه فيما يضعونه بينهم من عقود ومعاهدات ومحالفات راحوا يؤولونها ويفسرونها كما يشتهون وكما تقضى مصالحهم وأهواؤهم لا كما تقضى نصوص الكلام اتباعاً للاهواء والآثانية الظالمة الخاسرة ، وهؤلاء المخالفون المعارضون من المحال أن يظفروا بآية واحدة أو حديث واحد صحيح يدل - ولو بوجه ضعيف - على جواز الاستغاثة بالأموات والاقطاع الى القبور رغبة ورهبة . أما النهي عن دعوة الأموات الذي هو قولنا وما ندعو اليه فالقرآن والسنة مملوآن بذلك باعتراف هذا الرجل إلا أنه يلجأ الى التأويل والتحريف ويفزع من دلالتها الصادقة الى التحمل البعيد . والتأويل والتحريف لن يعجزا أحداً من الناس ولن يعصم منها كلام في الأرض أو في السماء ، ولكن هذا ليس دليلاً على أن من استطاع ذلك أو حاوله فأدركه راشد بل تحريف الكلام والذهاب به عن سبيله الواضحة المعلومة هو سنة اليهود كما ذكر الله ذلك عنهم في آيات من كتابه ناعياً عليهم . وهذا الرفض يذكر هذا

هنا ليدفع به مالا يد أن يقوله له من يقرأ كتابه وهو أن يقال شتان ما بينك وبين مخالفيك ! فانك تلجأ أنت فيما تدعى وتقول الى التأويل البعيد والاستمساك بالآراء المتطرفة الغالية التي لا مستند لها من الكتاب والسنة ، وأما مخالفوك فانهم يقابلونك بقول الله وقول رسوله وأقوال الأئمة من أهل الحديث والسنة ، ويضعون أمامك ألوانا وأفانين من دلالات القرآن والحديث وأقوال أئمة المسلمين ببارات واضحة بينة وأساليب صريحة ظاهرة وأشياء لا يوجد ما يعارضها أو ما يقوى على معارضتها ، وإذا ما كان ذلك كذلك فكيف ترجو من القراء أن ينصروك على مخالفيك وهذا مقدار ما بينكم من الفرق والبون ؟ فهذا الرافضي ذكر ما ذكر هنا دفعا لهذا الاعتراض الذي لا بد منه قائلنا إن استناد العقيدة على دلائل الكتاب والسنة ليس دليلا على الاقتران بالحق ، وهذا كما وقع للخوارج . ولكن يقال له ان الخوارج لم يضلوا لأنهم استندوا في عقائدهم على ظواهر الشرع ولكنهم ضلوا لأنهم ابتكروا عقائد ضالة باطلة . فاذا ما استطاع الشيعة أن يقيم الدليل على أن عقائد مخالفيه في هذه المسائل العالية ضلال أدرك ما يريد أن يقول وإذا لم يفعل ذلك لم ينفعه ما قال ولم ينفعه أن يستند مخالفوه على ظواهر النصوص ولم يضرهم هم ذلك

هذا وإذا أردنا أن نقابل أدبه بمثله قلنا ونحن صادقون : ان هذا الرافضي واخوانه يشبهون أخصام الاسلام والوحدة الالهية من وجوه كثيرة . منها أنهم يضلون في العباد حتى يضعوهم في أفق أسمى من أفقهم بلا سلطان من الله ، وإنما ينتحلون ذلك بشبهات ومقاييس مضطربة مختلة وأمور مركبة من أمزاج الأوهام الملتثة كما قال الله فيهم « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم » ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعهم إلا أن يقربونا الى الله زلفى) وهذا كهذا ولا فرق

ثم قال الرافضى : « خامساً - كما أن الخوارج استحلوا قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم كذلك الوهايون استحلوا قتال ملوك الاسلام وأمرائه لأنهم باعنتقادهم أئمة ضلال ناصرون للشرك والبدع » قلت وهذا أيضا من الأكاذيب الشبيرة . فان الوهايين لم يبدؤا أحداً من ملوك الاسلام وأمراء المسلمين بالقتال ولم يخرجوا على أحد منهم الخروج القدى يريد ، وهذه التواريخ المختلفة هل يستطيع أن يظفر منها بالدليل على ما قال من استحلال الوهايين قتال ملوك الاسلام وأمراء المسلمين وخروجهم عليهم ؟ وهذه حكومة الحجاز القائمة اليوم . هل خرجت على أحد من ملوك الاسلام وأمرائه وهل بدأت أحداً منهم بالقتال والمناوأة المزعومة ؟ وهذه الحكومات الاسلامية محيطة بجبهاتها وحدودها ليس بينها وبينها حاجز سوى رعاية الله وامثال أمره ثم الضن بدماء العرب والمسلمين ثم وفاء النفس فهل بدأت أحداً من هذا الحكومات بالقتال والخروج أو هل استحات قتال ملك من ملوكهم ؟

وقد تحرش كثير من هذه الحكومات بها وأساءت اليها ونالتها بألوان من الأذى والسوء ، فهل قابلت هذه الاساءات بالقتال والثورة والجزاء العادل المشروع أم كانت تدفع بالتي هي أحسن ، وتجزى الاساءة بالاحسان والذنب بالفقران ؟ أو ليست كما يشهد الناس كلهم ما زالت تزدلف من الحكومات الاسلامية كلما ابتعدت عنها هذه الحكومات وتلين عليها كلما قست هي عليها ، أو ليس هذا مما لا ريب فيه ومما لا ينكره منكر أو يجحد جاحد ؟ وان أكبر دليل وأقرب على ذلك وعلى تعمد هذا الشيعى الوقعة الجريئة ذلك الموقف الذى اختارته الحكومة السعودية من حكومة اليمن فى الحرب الأخيرة المعلومة ، فقد وقفت الحكومة السعودية الوهاية من تلك الحرب أشرف موقف وأنبه قبل وقوع الكارثة ، وفى أثناء وقوعها ثم فى تدبير وقفها ثم بعد انتهائها . رحمت يوم ذاك صنما هو غاية ما يصنمه

أعمل الناس وأرأف الناس وأحلمهم وأعفام ، فقد تحرشت بها حكومة الامام يحيى
الشيعة المعتدلة مرات وفي كل مرة تقض الطرف عن ذلك بل وتجاهله وتمده من
الأحداث المحلية الهينة ، بل وتودد الى الحكومة اليمانية وتجدد لها الولاء حتى
حسب ذلك ضعفاً ، وحسب موقف الضعيف العاجز أمام القوى الغالب ، حتى
تطورت المسألة فهاجمت حكومة اليمن أطراف المملكة السعودية مريدة التوغل في
أحشائها ، فأرسلت الحكومة السعودية الى ملك اليمن الاحتجاج بلطف وتودد
ورفق مراراً ، فلما لم يقد ذلك الاحتجاج المكرر لجأت الى أن تقابل المنير
المهاجم بما يفرضه عليها الدين الحنيف وتبيحه القوانين الحريية كلها ففعلت ذلك
مكرهه ، فتغلبت بسرعة مذهشة عجيبة على جيوش اليمن واكتسحتها وامتلكت
ناصرية النصر في جميع الميادين ، واتفقت كلمة الناس حين ذاك على أن حكومة اليمن
صائرة الى الفناء والتلاشي وأن الحكومة السعودية داخله صنعا عاصمة اليمن ولا بد
وأجمعت على ذلك ولهجت به جميع الصحف العربية في مصر وغير مصر ، وصار
هذا الأمر حديث الناس ورأيهم الذي لا يشكون فيه ولا يرتابون ، ولكن
ولكن حدث حادث عذ خارقة لا مثيل لها في سجل الحروب العالمية وفي الصراع
بين داعي العفو والكرم وداعي الواجب ، واجب النفس وواجب الأمة المتفوقة
الغالبة بأموالها ودمائها ، وحدث حادث عذ المثل الأعلى للتسامح والكرم في أمر
لم يهد الناس فيه تسامحاً ولا كرمًا ، وهو أمر الحرب واجتناء ثمار النصر : دعى
الملك عبد العزيز سيد الحكومة الوهابية الى وقف الحرب ووقف تقدم جيوشه فلبى
ذلك الدعاء وأولئك الداعين طائفا مختاراً ، ثم دعى الى الصلح فلبى ذلك الدعاء
وأولئك الداعين طائفا مختاراً ، ثم دعى الى ما هو أكثر من ذلك وأعز على النفس
دعى الى إخراج جيوشه من البلاد التي احتلها بالدماء والخسائر الفادحة على أن
تتحمل وحده تلك الخسائر وتلك المقارم دون من جناها وأصلها ، فلبى ذلك

(٣٦٢)

الصله وأولئك الداعين طائفاً مختاراً ، ثم دعى الى ما هو أصحى من ذلك كله وأدخل في ضروب البطولة ، دعى الى عقد معاهدة مع حكومة اليمن التي بالأس آفته ثم حاولت اقتحام بلاده ثم اقتنحها فلم يكن منه إلا أن يلج ذلك الدماء وأولئك الداعين طائفاً مختاراً

لج ذلك كله غير مكروه ، ولو لم يلج لما كان ظالماً ولا ملوماً ، ولما كان فاعلاً أكثر مما يفعله أعدل الناس وأرأفهم وأحطهم

انتهى هذا كله وقابله العالم في أطراف المعمورة بالاعجاب والدهشة والثناء الحار المتواصل ، وصار هذا الصالح السمودى والعفو الوهابى حديث الناس وأغنية المتحدثين المعجبين ، وصار مثلهم المضروب في الكرم الحربى وتعشق السلم وحسن دماء المسلمين والحرص على ولاء أهل الاسلام ، وراح الناس المعجبون المغالون بأهم القرب ومدنيتهما وسلمها ورحمتها يدلونها على مكان الشرف ومكان الحلم ومكان الشفقة والتعاق بالسلم ويرونها مكان ذلك في جزيرة العرب المحرقة المتسيدة بين هضبات نجد منبت الشيخ والقيصوم . تلك البلاد الدائرة بالقرآن المتمسكة بسنة النبي العربي ﷺ

هذا أول فصول هذه القصة النادرة المعجزة ، ثم يلي هذا فصل آخر لا يقل عن الأول روعة وجلالا وبجالا ، وهذا الفصل هو فصل محاولة الاعتداء على حياة جلالة الملك عبد العزيز في الشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام واليوم الحرام . وذلك أن نفراً من رجال حكومة اليمن وموظفيها المقربين لم يرضهم عفو جلالة الملك وكرمه العجيب وتسامحه النادر المثال ، أو بالأصح لم يرضهم انتصاره الباهر ، وإن كان هو لم يحزن زهر ذلك الانتصار ونعمه مادياً عاجلاً ، بل وإن كان هو المدافع وهم المهاجمين ، فانتصروا باغتياله وانتزاع حياته التي هي حياة أمة وملة غيلة وخيانة على رغم أنف المعاهدة المبرمة والصداقة المقودة والاحسان الجليل الجميل الذي وقفه

منهم واختاره طائفا مختاراً : هجموا على جلالته محاولين اغتياله وهو يطوف في بيت الله الذي جعله الله آمناً وجعل من دخله آمناً يؤدي نسكه وشعائره حجه وعبادة ربه . ولكن ! ولكن الله أنزل لطفه ورحمته وأهبط أحد شتونه الخفية التي تهبط الأحيان في الأرض لرفع أمر عظيم ، فدفت الكثرة عن عبادة المؤمنين وبيته الحرام وبلده الحرام ، فكف تلك الأيدي الأثيمة وجعل بينها وبين حياة عماد هذه الأمة ورجائها برزخاً موصولاً بالسماء منسوجاً من سلطان الله ورحمته لا يستطيع اجتيازه إلا بسلطان من الله ، ولكن سلطان الله لا يناله الظالمون المعتدون القادرون مرّت القارعة ومر ما كان مخوفاً أن يتلوها من الحن والارزاء والمصائب الجسام بسلام وبقيت حياة الملك الغالية ، وعرف مصدر هؤلاء الأثمة وأثبت التحقيق أموراً عظيمة خطيرة كان الناس يظنون أنها سوف تعيد البلاء جذعاً ، والشر في عنفوانه وعنفه . ولكن حدث حدث آخر عدّه الناس خارقة أخرى ومثلاً أعلى في الصفح والعفو ، وفي النزاع العنيف بين داعي الجزاء العادل وداعي العفو الشامل ، جرّت إرادة الملك عبد العزيز على هذه الحادثة وعلى ما اكتشفه التحقيق فيها من أمور ودخائل عظيمة أذبال العفو والاغضاء والصفح الجميل ، ووهبت الحقوق كلها لرضا الله ولوجهه الكريم ، لمن لا يضع له حق ولا ينسى لديه إحسان وعرف ، فعدّ الناس هذا الفصل من فصول هذه القصة أروعها وأجلها وهبّ الناس المفتونون المعجبون بأوروبا ومدنيتها وشرفها وغرامها بالسلام والتريث لدى حية الأنوف العزيزة الآية يدلونها على مكان المدينة ومكان الشرف الرفيع ومكان عشاق السلام عند التهاب المعاطس أنفاً وحمية . هنالك في جزيرة العرب في هضبات نجد حيث يدان لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

أقيم أن يكون أصحاب هذه المثل الرائعة والمواقف المعجبة يستحلون قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم لاعتقادهم أنهم دعاة شرك ونصراء ابتداع ؟ أو يمكن

أن يكون قوم يتزعمهم هذا السيد الجليل الذى رفع رؤوس العرب والاسلام بصفحة،
وعفوه يستحلون قتال ملوك الاسلام وأمراء المسلمين لاعتقادهم أنهم دعاة شرك
ونصراء بدعة ؟ اللهم سبحانه ! اللهم ان هذا ليهتان عظيم
أفيضى هذا الشيعى عن خطوات هذه الحكومة نحوا كتساب صداقات
الحكومات الاسلامية وملوك المسلمين ، والسعى الحثيث الى الاقتراب منهم وتجميد
الولاء والمودة لهم فى كل وقت ، ثم ما تمعده معهم من معاهدات الصداقة والمحالفات
الدفاعية عن بيضة العرب وقلب الاسلام ؟

أما إن كان يريد بقتالهم ملوك الاسلام ما وقع من القتال بين زعماء هذه
الدعوة وبين الجيوش العثمانية وولاتها وما وقع بينهم وبين والى مصر محمد على باشا
وبينهم وبين أشراف مكة الأقدمين . ان كان يريد هذا قيل له : إنك أنت قد
ذكرت فى أول كتابك أن الدولة العثمانية وولاتها قد حاربوا الوهابيين فى قلب
بلادهم وما جوم فى أقصى ما منهم حتى خربوا عاصمتهم واكتسحوها وحتى أخذوا
أميرهم عبد الله بن سعود هو ورجاله وقتلوه صبراً فى بلاد الخلافة ، وذكر
أيضاً فى أول كتابك أن شريف مكة غالباً المعاصر لدرور هذه الدعوة قد غزا
الوهابيين ما يزيد على خمسين غزوة مدى خمسة عشر عاماً مهاجماً لهم فى أحشاء
بلادهم ، وذكر أنت فى هذا الكتاب أن هذا الشريف كان يغزو كل من قبل
دعوة الوهابيين . وقمأ بهم الخسائر الهائلة فى الرجال والمال ، وذكر غير ذلك
من اضطهاد النجديين والبعثى عليهم ومحاولة قتالهم واذلالهم . فإذا كان حقاً
ما ذكرت أو بعض ما ذكرت فهل يصلح معه أن تدعى أن الوهابيين يستحلون
قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم ؟

أفما كان الصحيح الذى يطرد مع ما ذكرت أن تدعى أن ملوك الاسلام هم
الذين كانوا يستحلون قتال الوهابيين والقضاء عليهم وغزوهم فى ديارهم لأن بعض

المحمولين على العلم من المشايخ الرمحيين أفتوهم بكفرهم وبازوم الخروج عليهم
وباستئصال شأفتهم كما تقول وكما تدعى

نعم انهم حاربوا أشراف مكة وافتتحوا الحجاز أولاً وأخيراً ولكن بعد
ماذا؟ بعد أن اعتدى عليهم الأشراف وبعد أن بدؤهم بالقتال والسوء والأذاة
وبعد أن ألبوا عليهم الأضغان وأثاروا بهم الحفاظ والمداوات ، وبعد أن أشاعوا
عنهم مقالات السوء من كفر وبدعة وخروج على المسلمين وعلى الاسلام أيضاً ،
وأخيراً بعد أن حالوا بينهم وبين حج بيت الله الحرام الذى جعل فيه سواء الحاضر
والباد ومنعهم من أداء هذه الفريضة المقدسة ، ويعترف بهذا الشيى فى كتابه ، ثم
نعم حاربوا بعض الجيوش التركية ولكن بعد ماذا؟ بعد أن اعتدت تركيا عليهم
مرات وبدأت بقتلهم وأذاتهم . ومن ذا يقول من العقلاء إن المدافعين عن
أنفسهم وبلادهم يستعملون قتال ملوك الاسلام لذلك ؟ ثم لو فرضنا أنهم بدؤوا
الدولة العثمانية بالقتال والثورة المدمرة - وهذا ما لم يكن - لما كانوا فاعلين أكثر
مما فعله سائر العرب والمسلمين إبان الحرب الكبرى وقبلها وبعدها . أوليس شريف
مكة الذى يدافع عنه هذا الرجل هوى وتقريراً ، بل أوليس جماهير رجالات
العرب وزعمائهم قد قاموا فى صفوف الحلفاء والدول الغربية الظالمة فى الحرب
العالمية يحاربون تركيا الدولة المسلمة ويحاربون الخلافة الاسلامية فى هيكلا ؟
أفما أعلن هؤلاء كلهم الخروج والثورة على الدولة العثمانية واقفين فى صفوف
بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وغير هؤلاء من دول أوروبا الظالمة الباغية ؟ أو ما أبى
الملك عبد العزيز امام الوهابيين الانضمام الى دول أوروبا لحرب تركيا مثل
ما فعل رجالات العرب وهو يعلم ما صنعتة بآبائه وبلادهم من العسف والتخريب .
أفما رغبة الحلفاء فى الانضمام اليهم ، فبقى مصرراً على الحياد باعتراف هذا الشيى
فى كتابه

ثم اذا كان يعتبر وقوع الحرب بين جيوش الامبراطورية العثمانية وبين أمراء النجديين السعوديين - وهم مبدوون بالحرب كما ذكرنا - دليلاً على أنهم يستحلون قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم فليعلم أن الحرب قد قامت بين جيوش الدولة العثمانية وبين دولة ايران الشيعية مرات ، وحدث قتال بين جيوش الدولتين والامتين عفيف ، فليعتبر هذا القتال وهذه الحرب برهانيين على أن الشيعة يستحلون الخروج على ملوك الاسلام وقتالهم

ولو كان هذا الشيعي يرمى الحق ويحرص على قوله لقال مبادراً ان الشيعة هم الذين يستحلون قتال ملوك الاسلام وأمراء المسلمين ويستحلون الخروج عليهم وتبديد ثملهم وتفریق كلتهم فان الشيعة بجملتها ما كانت الا خروجاً على الخلفاء الراشدين وعلى الملوك المسلمين وأمراء المؤمنين ، فهي مؤسسة على هذا الغرض والمعنى . أغنى على منابذة الخلفاء ومناصبهم العدا والبغضاء . فان أول وضعة المذهب الشيعي أغنى عبد الله بن سبأ كان أول أمره وأول ما قام به وسعى للشروع وكذا كان غيره هو القدح في الخلفاء الراشدين والحث على الخروج عليهم وعلى قتالهم . لأنهم فيما زعموا ظلمة مفتصبون مالمس لم قد ظلموا علياً وآله فافغصبوا حقهم المشروع الواجب وهو الخلافة . وعبد الله بن سبأ هذا هو الذي دبر أبعد الله ثورة الناس بخليفتهم عثمان حتى راح قتيلاً شهيداً ، وهو الذي ملأ صدور الناس عليه ضغينة وحقداً بما أبداه من الغيرة الكاذبة لآل النبي والولاء المخادع لهم والفضائل المزورة والدعاوى الباطلة الحق . فكان أول وضعة هذا المذهب هو أول السعاة الى القيام على الخلفاء واغتيالهم والثورة بهم . ثم تابع الشيعة والمتشيعون على المناداة بمعاداة الخلفاء والأمراء المسلمين الشرعيين والخروج عليهم واغتيال من استطاعوا اغتياله وخضد شوكة من استطاعوا خضد شوكته ، ولا يزالون هكذا الى يومنا هذا كما فعل هذا الشيعي العاملي هو واخوانه نحو الحكومة العربية النجدية

ولقد لقيت دولة بنى أمية من هؤلاء البلاء الآخر والشر المستطير . فقد نسجوا
الثورات المحكة تلو الثورات المدمرة عليها وكادوا لها بكل ماوصلت اليه حيلهم
وأذهابهم من مكايدها كوا لها ما استطاعوه من حبال الشد والحديد وجاءوا
من ذلك بالآفانين حتى زال ملك بنى أمية وخرج الأمر من بين أيديهم وهلك
خلافهم . وكذلك لقيت دولة بنى العباس من هؤلاء أيضا ألوان البلاء
والدسائس والثورات المتلاحقة . وجاءوا من ذلك بالآفانين حتى زال ملكهم
أيضا وطاحت خلافتهم وخرج الأمر من بين أيديهم . ودولة بنى العباس ودولة
بنى أمية هما دولتا الاسلام العظيمتان اللتان رفقتا الاسلام والمسلمين حقاً متطاولة
وهذه حقائق لا تنازع . وما كان الشيعة والمشيعة يدعون من الكيد للخلفاء
والامراء والاختيال لهم والخروج عليهم إلا ما عجزوا عنه وخافوا من عقابه حز
الغلام وتطايير الرؤوس . وليذكر من لا يذكر من هؤلاء البغاة المشيعين المختار
ابن أبى عبيد الثقفى الشيعى وما قام به من ثورة دامية أئيمة مقرونة بدعوة دينية
هوجاء طائشة . وليذكر من هؤلاء المشيعين دولة بنى بويه ودولة الصفويين
الفارسيين . ثم ليذكر دولة الفاطميين المبيدين وما أنزلوه من الاضرار الجسيمة
بالاسلام والمسلمين والخروج على خلفائهم وأمرائهم واغتصاب السلطان والأمر
منهم بالكيد والقدور والدعاوى على الله وعلى الاسلام وعلى النبي الكريم وعلى
آله الطاهرين ثم بالحروب والقتال وامتشاق حسام الفتنة والتمرد والخروج
دع عنك القرامطة البغاة وما أصابوا به الخلافة الاسلامية والمسلمين من
إصابات هزت جنبات الاسلام هزات لا تزال آثارها مشهودة ماثلة فى معنى
الاسلام وفى نفوس المسلمين وفى أخلاقهم ورجولتهم ، والقرامطة كما يعلم كانوا
من الشيعة الغالية . ولهذا كانوا يصاغفون الفاطميين المبيدين عند هذا المعنى . وقد
كان يخرج زعماء القرامطة ودعاتهم من بلاد فارس مثل أبى سعيد الحسن بن

بهرام واخوته . فلن هؤلاء وغيرهم من مشهورى القرامطة البارزين فى سلبية
العدوان والظلم كانوا من بلدة جنابة إحدى البلاد الفارسية . وكان يخرج
آخرين منهم فى اليمن مثل على بن الفضل القرمطى ، وقد أظهر هذا الدعوة فى
يده أمره المهدي المنتظر فخدع به كثيرون من أهل اليمن وترقى أمره الى أن تغلب
على اليمن ، ودخل صنعاء وزيد وأصبح ذا ملك واسم ميب . ثم ادعى النبوة
وأحل المحرمات ، وكان مؤذنه يقول بين يديه أشهد أن علي بن الفضل « يعنى
نفسه » رسول الله . ثم ارتضى جبل طقيانه فى وادى الأثم والخطيئة فراح يكتب
أهله به بمثل هذه الكلمات : « من باسط الأرض وداحيها ، ومززل الجبال ومرسيها
علي بن الفضل الى عبده فلان » . وقد سالت نفس هذا الطاغية فى صنعاء اليمن
بعد أن شق به الملك ثلاثة عشر عاما ، وكان يخرج آخرين منهم فى العراق مثل
حمدان قرمط . وقد نبغ فى سواد الكوفة ، قال المقرئى ^(١) « وكان ابتداء أمر
قرمط هذا فى سنة أربع وستين ومائتين وكان ظهوره بسواد الكوفة فاشتهر مذهبه
بالعراق وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الحال والمدثر والمطوق ، وقام
بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابي من أهل جنابه وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده
حتى أوقعوا بمساكر بغداد وأخافوا خلفاء بنى العباس وفرضوا الأموال التى تحمل
اليهم فى كل سنة على أهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن ، وغزوا بلاد الشام
وبغداد ومصر والحجاز وانتشرت دعائهم بأقطار الأرض فدخل جماعات من
الناس فى دعوتهم ومالوا الى قولهم الذى سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام
وصرفها عن ظاهرها ، الى أمور زعموها من عند أنفسهم وتأويل آيات القرآن
ودعواهم فيها تأويلا بعيدا انتحلوا القول به بدعا ابتلعوها بأهوائهم فضلوا
وأضلوا كثيرا »

وكان مخرج آخرين منهم في البحرين . وقد اتخذوا لم بلدة في العراق سموها
الهمجرة وذاعت دعوتهم في القطيف والاحساء وأحدثوا ما شاء الله من الفساد
والضلال . وقد كان من فعل القرامطة سبي الذرية

وقد ادعى هذا الشيعة^(١) أن القرامطة خرجوا ونبغوا في نجد زاعماً أنه
أرسله الى هذا العلم بعض العلماء الذين سأل الله أن يكثر في المسلمين من أمثالهم .
ولمعر الله انه لو وجد لكل ما قاله من خطأ تأويلاً صحيحاً لما وجد لهذا شيئاً من
هذا ، أما ان كان يريد قيامهم في القطيف والاحساء فلمعر الله انه أبعد المرعى . فان
القطيف والاحساء أولاً لم يكونا مظهراً لدعاة هذا المذهب ولكنه سال اليهما من
سماة فارس والعراق كما تقدم ، وثانياً فان الاحساء والقطيف لم يكونا من البلاد
النجدية البتة ولكنهما يقعان تحت سلطان نجد اليوم . ويغلب فيهما الى هذه الساعة
مذهب التشيع وبالأخص القطيف ، ولعل هذا من بقايا القرامطة

فالقرامطة من الشيعة وإليهم منشأ وعقيدة وأصلاً وفرعاً ، وعندي أن
ثورات الشيعة ووقائعها في أركان الخلافة الاسلامية ورجرجتها إياها أحياناً طويلة
من الأسباب البارزة في عجز الخلافة عن مقاومة موجات التتار المندفعة وفي ذوبها
أمامها ثم في عجز المسلمين عن سد سيل الصليبيين الجارف وانهيال مجدهم الرفيع ،
حينما اصطدم بأول عاصفة من تلك العواصف بعد أن كان نسيمهم الناعس يستطيع
تقويض ما اجتمع على تشييده وبنائه الظلم كله ، والله الأمر من قبل ومن بعد

ومن دأب الشيعة أنهم لا يتركون دولة يكونون تحت سلطانها وسلطتها تهدأ
أو تستريح من الثورات ومن الاغتيال الدنيء ، وقد لقيت حكومات العراق منهم
الأميرين لوفرتهم هنالك بما يحدثونه من الشغب والعدوان ، وقد نال شر الشيعة
كل أحد . وهؤلاء الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان لم ينجوا منهم ، وهم اذا عجزوا عن

الشرجيرة وبراحا تسنموه وركبوه خديعة وخذرا . ونذكر هنا على سبيل المثال
 حادثة مشهورة ، هذه الحادثة هي أن أحد أئمة آل سعود البررة وهو الامام
 عبد العزيز بن سعود قد وقع صريحا مقتالا بيد شيعة من أهل العراق ذهب الى
 الدرعية عاصمة آل سعود يوم ذاك مدعيا الورع والتقوى والزهد ، فأحسن اليه
 الامام عبد العزيز وأكرم مثواه ، وكان في الواقع قد حضر لاغتيال هذا الامام
 ونحن لا نشك في أنه دسيسة جمعية شيعة هدامة ثورية قد دبرت هذا الاغتيال ،
 ويسرت أسبابه ، فلما أن وثق هذا الشيعة الخائن من إمكان أداء مهمته المجرمة
 أخرج خنجرأ كان قد استبطنه معه وطعن الامام وهو يؤدي فرض صلاة العصر
 في مسجد الدرعية عاصمة ملكه فخرّ صريحا وقضى نحبه بتلك اليد الشيعة الأثيمة
 ومن عهد قريب يذكره القراء حاول جماعة من الزيدية - والزيدية محسوبون من
 طوائف الشيعة - اغتيال جلالة الملك عبد العزيز هو وولي عهده حينما كانا يطوفان
 في بيت الله يؤديان نسكهما في الحادثة المعروفة المنكرة فوقهما الله شر ما حاولوا
 وما راموا ، الى أمور يطول وصفها من أحداث الشيعة ومصائبهم في الاسلام
 والمسلمين . قلو كان هذا الشيعة يريد قول الحق قال صادقا : ان الشيعة هم الذين
 يستحلون قتال ملوك الاسلام وأمراءهم والخروج عليهم لاعتقادهم أنهم نواصب
 نصبوا العداء لآل النبي عليه السلام . ولو لم يكن جريئا على أن يفضب الحق أو لو
 كان يكره الجهر بالباطل الصريح الصحيح لأعرض عن هذا

ثم قال الرافضي : « سادسا - كما أن الخوارج لا يبالون الموت لأنهم رأنحون
 بزعمهم الى الجنة كذلك الوهابيون يظهرون بسالة وإقداما لأنهم بزعمهم رأنحون
 الى الجنة ويقولون في حروبهم مع المسلمين :

هبت هبوب الجنة وين انت يا باغيها »

قلت لا ريب أن الشجاعة والاقدام على الموت في الحروب من صفات المدح

والرجولة الكاملة ومن صفات المؤمنين المتقين وصفات الأنبياء والمرسلين ، وقد اتفقت كلمة العقلاء على امتداح الشجعان والثناء عليهم واحلالهم محل الاحترام والاحلال كما اتفقوا على هجاء الجبناء واحتقارهم والزراية بهم والقبح فيهم . وقد أثنى الله كثيراً في كتابه على الشجاعة والشجعان وأمر بالاقدام وخوض غمار الموت بالرضا والثبات كما ذم الجبن والجبناء وأوعدهم العذاب ووصفهم بصفات يرغب المؤمن بنفسه عنها . والقرآن يجملته واصف المؤمنين بالشجاعة والاقدام على حلقات الموت بثبات ورباطة قلب وجاش ، وواصف الكافرين والمنافقين والفاسقين بخلاف ذلك ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم وخيار المسلمين من الأئمة في غاية الشجاعة والاستهانة بالموت والخطر . وكانوا يمتازون على جميع المخالفين لهم من الكفار والمنافقين بهذه الصفة أعنى الشجاعة والتهيرين لشأن الموت . والشيعنة تدعى أن علياً كان أشجع الشجعان على الاطلاق وكان أعظم الخلق إقداماً على مهابط الموت ومساقت الردي ، ويدعون أنه لولا شجاعته لما قام للاسلام عمود ولما اخضر له عود وينشدون في ذلك :

ألا إني - الاسلام لولا حسامه ~~كمفطة~~ عنز أو قلامة ظافر
يجل عن الأعراض والآين والتمنى ويكبر عن تشبيهه بالعناصر^(١)

وهذا من الغلو الموبق . وفيه مافيه من التحقير للنبي الكريم ولسائر المسلمين الذين نشروا الاسلام وأعزوه بمهجمهم الغالية ومن التحقير للاسلام نفسه . حفظنا الله من سوء ومن الغلو الممقوت

فالشجاعة ممدوحة بكل لسان والجبن مذموم بكل لسان . فلا يمكن أن

(١) يقال إن هذين البيتين لابن أبي الحديد ولكنني أشك في هذا لأن الرجل عنده شيء من الاعتدال بل ما لبعض خلافة الشيعة المؤلمة

تكون الشجاعة والمهجوم على الموت مما يذم به مخالفو هذا الرجل بالضرورة
والبداهة والاجماع

وأما زعمه أن ذلك كان في حرب المسلمين فنقول قد قدمنا في الأمر الذي
قبل هذا أن النجديين كانوا في جميع حروبهم مبدؤين بالظلم والأذى وأنهم
كانوا في ذلك كله مدافعين ذائدين عن أنفسهم وعن دعوتهم ودينهم وبلادهم
من هاجهم واقتحموا عليهم أرضهم وديارهم ومن أساءوا إليهم مختلف الاساءات
والمظالم المبدوء بالحوب والايذاء واجب عليه أن يدافع بشدة وقوة ثم واجب عليه
أن يطمئن الى حسن عقباه وأخراه وواجب عليه أن يقدم ببسالة وشجاعة بكل
نفسه وجسمه

وهل يعلم هذا الرجل من القوم الذين قاتلهم النجديون أو يعلم ماذا كانوا
يعملون وما كان حظهم من الاسلام والدين والأخلاق الانسانية الفضلى ، أو هل
يعلم كيف كانوا يعيشون ومن أين يعيشون وكيف كانوا يفعلون ويعيشون بهيج
الناس المسالين الوادعين وبأموالهم وما كانوا ينشرونه من الغارات والثورات
والفوضى والأذى في كل مكان على كل إنسان وعلى كل خلق مرضى كريم . ثم
ماذا كانوا يجنون على الدولة والامة وأخلاق الانسان الكريمة وعلى العدالة من
الويل والتخريب والافساد ؟

وليعلم أن من قاتلهم النجديون ليسوا خيراً من معاوية بن أبي سفيان وعمر
ابن العاص وأهل الشام الذين كان على - رضى الله عن الجميع - هو وأصحابه
يقالونهم ويستبيحون قتالهم واستئصالهم وتخريب قواعدهم وبنياتهم كما تقول
الشيعة وتدعى على عليّ بل وكان على ومن معه يقولون إن قتلانا في الجنة
وقتل الشام من جند معاوية في النار كما تنقله طائفة الشيعة عنهم ، وفي كتاب نهج
البلاغة المنسوب لعل الشيء الكثير من هذا بل وفيه التصريح الواضح بوجود

قتال أهل الشام وهذا لا تنازع فيه الرافضة بل هي تدعيه وتبالغ فيه . فإذا ما كان قتال معاوية ، ذلك الصحابي الجليل الذي قد لم الله شعث المسلمين بذكائه ودهائه وحلمه ، وقتال من معه من الصحابة والتابعين والمسلمين يجوز شرعاً للهنات التي تدعيها الشيعة فكيف ينكرون على النجديين قتال قوم بدأوهم بالأذى والظلم والعدوان وملثوا الأرض بالفساد والمنكرات الفاضحة وإتيان الفواحش كيراتها وصغيراتها ظاهراً وباطناً ، والدفاع عن استحل ذلك وغس فيه جسمه وقلبه حتى فرق رأسه ، ومن تركوا شرع الله وراء الظهور فأضاعوا الصلوات والصيام والحج والزكاة ، وتماكروا إلى الطاغوت والعجبت وهجروا كتاب الله قولاً وعملاً واعتقاداً وحاربوا من دان بكتاب الله وسنة رسوله وعادوه صنوف العداء وبالأجمال من أرقلوا في كل فاحشة واستحقبوا كل إثم ؟ ألا يعلم هذا الرجل أنه لولا هؤلاء النجديون ولولا غيرتهم الملتبئة للدين والله ورسوله وكتابه ثم لولا شجاعتهم النادرة في الدفاع والنضال لكانت جزيرة العرب اليوم - ومنها الحرمين مكة والمدينة والحجاز كله - غيرها اليوم ولأصابها والله أعلم بما يكون ما أصاب غيرها من بلاد العرب والاقطار الإسلامية المفجوعة بكرامتها وحريتها ؟ فها يتدبر هذا جيداً ؟

إذا محاسنى الالآتى أدل بها كانت ذنوبي قتل لي كيف أعتذر ؟
ثم قال الشيعي : « سابعا - كما أن الخوارج على جانب من الجور والفساد كذلك الوهابيون على جانب من الجور . فينبأهم يحرمون الترحيم والتذكير لأنه يزعمهم بدعة وأمثال ذلك ويتوقفون في التعرف لعدم وقوفهم على نص فيه ويحرمون التدخين ويماقبون عليه ، تروا يكفرون المسلمين ويستحلون أموالهم ودماءهم ويقاتلونهم بالبنادق والمدافع لطلب الشفاعة من جعل الله له الشفاعة وتوسلهم بمن له عند الله الوسيلة »

قلت : وجواب ذلك أن يقال إن أغبي الأغبياء وأجهد الجامعين عند الناس

أجمعين من يتأثمون من أن يضيفوا إلى جبال العامة وفساقهم إنما أو خطأ تورعا
وتدبنا في حين أنهم يضيفون إلى أصحاب النبی الکریم وأزواجه وإلى خيار البشر
أفطع الأقوال وشر التهم . وإن أغی الأغیاء وأجد الجامدين من یکفرون أمثال
أبی بکر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزیر ومعاوية وعمر بن العاص ثم
یتورعون وبلج بهم تورعهم حتى یأبوا أن یضيفوا إلى من ادعی الاسلام غلطا
وإنما أو ضلالة فیکفون أنفسهم أن یؤولوا کل ما یقولہ جبال المدعین الاسلام من
ألفاظ الکفر والردة والاساءة الى الله . وإن أغی الأغیاء وأجد الجامدين
من تحملهم عداوة أبی بکر وعمر وإخوانهم من کبار الصحابة علی اجتتاب أمماتهم
ومعاداتها بحیث لا یسمون أو یقسمون بها . وهذا ماتصنعه الشيعة الغالية . فانک
لا تجد فیهم من اسمه ابو بکر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو . وإن أغی
الأغیاء وأجد الجامدين من یأتون بشاة مسکينة ویفتنون شعرها ویذبونها أفانین
العذاب موحیا إلیهم ضلالهم وجرمهم أنها السیلة عائشة زوج النبی الکریم وأحب
أزواجه الیه . ومن یأتون بکبشین ویفتنون أشعارها ویذبونها ألوان العذاب
مشیرین بهما الى الخلیفتین أبی بکر وعمر وهذا ماتأثیه للشيعة الغالية . وإن أغی
الأغیاء وأجد الجامدين من یمیون المناحات والمآتم الباکية الضاحكة السخيفة
کل عام حاشدين فیها أنواع المضحکات المبیکيات : یضربون خدودهم ویشقون
جیوبهم بل ویضرب بعضهم بعضا بالمدی ویصنعون الصنائع المنکرة . وذلك
ما تفعله طائفة الشيعة کل عام یوم عاشوراء حزنا علی من مات منذ أكثر من
الف عام . وإن أغی الأغیاء وأجد الجامدين هم الذین غیوا إمامهم فی السرداب
وغیوا مصحفاتهم ومصحفهم . ومن یذهبون کل لیلة یخیولهم وحیرم الى ذلك
السرداب الذی غیوا فیہ إمامهم ینتظرونه ینادونه لیخرج الیهم . ولا یزال
عندهم كذلك منذ أكثر من ألف عام . وإن أغی الاغیاء وأجد الجامدين هم

الذين يزعمون أن القرآن محرف مزيد فيه ومنقوص منه ، وأن الصحابة هم الذين فعلوا ذلك وأن ذلك وقع منذ ثلاثة عشر قرناً ولم يستطع أحد في هذه العصور كلها أن يأتي بالقرآن الصحيح الكامل . فهم ينتظرون ذلك القرآن المشتتل على فضائل آل البيت النبوى . وأن أغبي الأغياء وأجد الجامدين من يزعمون أن جبريل قد غلط في أداء رسالته فنزل بها على محمد وكان مرسلها إلى على . وإن أهل الضباوة والجلود هم الذين قالوا لعل أنت خالقنا ورازقنا . . فلما أمر بهم فطرحوا في النار قالوا وهم يحترقون : الآن عرفنا أنك أنت الله اذ لا يذب بالنار إلا رب النار . وإن أهل الضباوة والجلود هم الذين يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء وأنهم معصومون وأنهم لا يقولون إلا الحق أبدا لا عدا ولا خطأ ولا ينسون أو يسهون وأن أقوالهم حجج كحجج القرآن بل أقوى وأصح . وإن أهل الضباء والجلود هم من نرد عليهم بكتابتنا هذا . وسوف نرى القاريء من آرائهم وعقائدهم ومساائلهم الخاصة بهم ما يجعله يقول غير شك إن وصف الضباء والجلود لا ينطبق تمام الانطباق على طائفة مثل انطباقه على طائفة هذا الرجل : قال الامام ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث صفحة ٨٤ :

« وأعجب من هذا تفسير الرافضة للقرآن وما يدعونه من علم باطنه بما وقع اليهم من الجفر الذي ذكره هرون بن سعيد العجلي وكان رأس الزيدية فقال :
 ألم تر أن الرافضيين تفرقوا فكلمهم في جعفر قال منكر
 فطائفة قالوا إمام ومنهمو طوائف سمته النبي المطهرا
 ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم برئت إلى الرحمن ممن نجفرا
 برئت إلى الرحمن من كل رافض بصير يباب النفي في الدين أعورا
 اذا كف أهل الحق عن بدعة مضى عليها وإن يعضوا على الحق قصرا
 ولو قال ان الفيل ضب لصدقوا ولو قال زنجي تحول أحمر

وأخلف من يول البعير فانه اذا هو للاقبال وجه أدورا
 فقبح أقوام رموه بفرية كما قال في عيسى الفري من تنصرا
 « وهو جلد جفر ادعوا أنه كتب فيه لهم الامام كل ما يحتاجون الى علمه وكل
 ما يكون الى يوم القيامة . فن ذلك قولهم في قول الله « وورث سليمان داود »
 أنه الامام ورث النبي علمه ، وقولهم في قول الله « ان الله يأمركم أن تدبخوا بقره »
 انها عائشة ، وفي قوله « قتلنا اضربوه ببعضها » انه طلحة والزبير ، وقولهم في
 الحر واليسر انهما أبو بكر وعمر وفي الجيت والطاغوت انهما معاوية وعمر بن
 العاص ، مع عجائب أرغب عن ذكرها ويرغب من بلنه كتابنا هذا عن استماعها
 وكان بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تفسير الرافضة للقرآن الا بتأويل رجل
 من أهل مكة لشعر فانه قال ذات يوم ما سمعت بأ كذب من بنى تميم ، زعموا
 أن قول القائل :

بيت زرارة محتب بنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
 انه في رجال منهم . قيل له : فما تقول أنت فيهم ؟ قال البيت بيت الله وزرارة
 الحبر ، قيل فمجاشع ؟ قال زمزم جشعت بالماء . قيل فأبو الفوارس ؟ قال أبو قبيس
 قيل له فنهشل ؟ قال نهشل ؟ وفكر ساعة ثم قال : نهشل مفتاح الكعبة لأنه طويل
 أسود فذلك نهشل . والرافضة أكثر أهل البدع اقترافاً ومخلا ، فمنهم قوم يقال لهم
 الليانية منسوبون الى رجل يقال له يان قال لهم إلى أشار الله اذ قال « هذا يان
 لناس وهدى وموعظة للمتقين » وهم أول من قال بخلق القرآن ، ومنهم للنصورية
 أصحاب أن منصور الكسف وكان قال لأصحابه في نزل قوله : « وان يروا كفافاً
 من السماء ساقطاً » ومنهم الخناقون والشداخون ومنهم الفراية وهم الذين ذكروا
 أن علياً كان أشبه بالنبي عليه السلام من الفرااب بالفرااب فقلط جبريل حين بث
 الى على أشبه به ، ولا نعلم في أهل البدع والآهواء أحداً ادعى الريوية لبشر

غيرهم فان عبد الله بن سبا ادعى الربوبية لعلني فأحرق على أصحابه بالنار ، وقال في ذلك :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجبت ناري ودعوت قنبرا
ولا نعلم أحداً ادعى النبوة لنفسه غيرهم فان المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة
لنفسه ، وقال ان جبريل وميكائيل يأتيان الى جنته ، فصدقه قوم واتبعوه وهم
الكنيسانية . هذا كله ذكره ابن قتيبة ، وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته المشهورة
أنه مر ببعض بلاد الشيعة فوجدهم يتحامون لفظ العشرة فرارا من العشرة
الصحابة المبشرين بالجنة فكان الباعة في الأسواق اذا ما أرادوا أن يقولوا عشرة
قالوا تسعة وواحد فحضر تركي فسمع واحدا منهم يقول ذلك فصر به بسلاح معه ،
وقال قل عشرة بالدبوس ، وذكر أنهم بنوا مسجدا وجعلوا له تسع قباب لم يجعلوها
عشرا سيرا مع مذهبهم

وقد ذكر المقرئ في خطه وذكر غيره أشياء مضحكة عن الخلفاء
الفاطميين الشيعة وخاصة الحاكم بأمره منهم ، وقد ذكر هو وغيره عن هذا أنه
كان قد أصدر أمره بتحريم الملوخية والزبيب وما كولات أخرى وأنه عاقب من
باعوا ذلك أشد العقاب الى أشياء أخرى مخجلة

ونحن نحب والله أن هؤلاء لم يلجئونا الى نشر هذه الترهات . وقال المقرئ
« وفي سنة ٣٩٣ قبض الفاطميون على ثلاثة عشر رجلا ضربوا وشهروا على الجلال
وحبسوا ثلاثة أيام من أجل أنهم صلوا صلاة الضحى ، وفي سنة إحدى وثلاثين
وثلثمائة ضربوا رجلا وطافوا به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ للإمام
مالك . وقرأ سجل فيه من الناس من أكل الملوخية المحمية لمعاوية بن أبي سفيان
ومنهم من أكل البقلة للسامة بالمخرجير المنسوبة لعائشة رضي الله عنها ومن التوكية
المنسوبة الى المتوكل . ومنع من عيين الخبز بالرجل ومن أكل الدليس ومن ذبح

البقر إلا ذاهمة ماعدا أيام النحر ومنع أن يباع شيء من السمك بغير قشر وألا يصطاده أحد من الصيادين ، وكتب في شهر صفر من هذه السنة على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه وعلى أبواب الحوانيت والحجر وعلى المقابر سب السلف ولعنهم وقش ذلك و لون بالاصباغ والذهب وعمل على أبواب الدور والمقاصير وأكره الناس عليه وتسارم الناس الى الدخول في دعوتهم . وفي سنة ٣٩٧ قبض على جماعة ممن يعمل الفقاع ومن السماكين والطباخين وكبست الحمامات فأخذ عدة ممن وجد بغير مئزر فضرب الجميع ثم قرىء سجل في ربيع الآخر في سنة ٣٩٩ أن لا يحمل شيء من النيذ والموز ولا شيء من الفقاع والدلتيس والسمك الذي لا قشر له والترمس العفن . وفي سنة ٤٠٠ شهر جمادى بعد ما ضربوا بسبب بيع الفقاع والموخية والدلتيس والترمس « وقد ذكر المقرئ غير ذلك ^(١) » وقد ألف جماعة من الشيعة قديماً رسالة سموها « المنار والشيعة » وكان أحد مؤلفيها هذا الرجل أغنى الشيخ محسن أمين العامل ، وقد جاء في هذه الرسالة أن كربلاء أفضل من مكة لوجود آل النبي فيها ، وفي الرسالة أيضا أن زيارة آل البيت أفضل من الحج

فمن أغنى مؤلفيهم وأجدد ؟ وإن أغنى الأغنياء وأجدد الجامدين من قدحون في أهل السنة من أهل نجد مع ارتكابهم هذه المواقف التي لو أضيف أحدها الى من اجتمعت له أنواع الفضائل لقمر فضائله . فكيف اذا كانت هذه الأمور شائعة في طائفة أفضل ماتدعيه لنفسها من الفضائل والأعمال الصالحة غلوها في آل البيت وحبها إياهم الحب الذي لا عقل له حتى زعموا في فريق منهم الألوسية وفي آخر النبوة وزعموا في الائمة العصمة كالأنبياء

أما ماعده للوهابيين من الجلود فان ذلك جهود منه لا منهم ، وبيان ذلك هو

هذا : أما الترجيم والتذكير فقد تكلمنا عليهما في الأمر التاسع من المقدمة الثانية وأما توقفهم في التلغراف ان صح النقل عنهم فيقال : ان توقفهم في هذا كان قبل أن يعرفوا حقيقته وقبل أن يدخل بلادهم وأن يملوا عنه شيئاً ولا كيف هو . ولا عيب عليهم في هذا وليس فيه شيء مما يدل على الجود والنباء ، ولنا نشك أن مخترع التلغراف نفسه لو حدث عنه قبل أن يكون لارتاب فيه بل لهجم على التكذيب والمبادرة الى الحكم باستحالته ، ولئن قارب جداً وتزمت جداً ليقولن انه سحر ، وكذا أكثر الناس ، بل كل الناس . وقد نشرت إحدى المجلات من قريب أن أحد فلاسفة أوروبا كان يقسم بأن التلغراف سحر وأنه من عمل الشياطين بعيد اختراعه ، وفي الحكاية المألوفة أن أحد الخلفاء أهدى ساعة الى أحد ملوك أوروبا فخاف منها هو ووزرائه وحسبوا شيطانا وان أعرق الناس حضارة اليوم ومدنية وأعظمهم اختراعاً واقتنائاً بالمخترعات لو لم يروا عجائب هذا العصر ولم يملوا كيف صنعها فحدثوا عنها لبادروا الى الانكار والى عزوها الى الخرافة والخبيل والحكم المتمتون منهم بأنه كله سحر وهذا لا يرتاب فيه . فان الانسان لم يخلق عالماً بكل ما كان وبكل ما يكون ولم يخلق محيطاً بأسرار الوجود ومساثيره ومغاليق الطبيعة ، ولا عيب عليه اذا جهل هذا إلا اذا عيب بأنه لم يكن رباً عليماً بكل حقائق الأشياء تعالى الله عن المشابهة والانداد والمائل من الناس هو من يتوقف في الحكم على مالا يعلم حقيقته حتى يعلمها ، وليس المائل هو الذي يعلم كل شيء . فان ذلك هو الله وحده ، والذي قاله بعض النجدين من التوقف في التلغراف اذا صححت الرواية عنهم هو أخف مما يروى عن سائر الناس فان الناس أول ما حدثوا بذلك قابله بالتكذيب والجحود ، ومثل هذا ليس عقيدة للمؤمنين بالله فيؤخذ عليها وبها وإنما هي أمور ترجع الى اطلاع المرء وتعليمه وسعة مداركه التجريبية ، ولا يصيب النجدين بهذا إلا جامد متعصب

وأما تحريم الدخان فلا شك أن العقلاء يوافقون عليه ويحمدونهم ويمدونه من فضائلهم ومحامدهم ، فإن في الدخان ثلاثة أضرار لأريب فيها (أولها) اضعاف الصحة و اضعاف الصدر خاصة والجنابة على الصحة محرمة في جميع الأديان والقوانين (ثانيها) إضاعة المال و تبذيره في شيء لا ينفع بل يضر كما ذكرنا ومن الحرق والسفه والله أن يباح الدخان للفقراء المساكين الذين لا ينالون الخبز إلا اغتصابا و انتهايا واقتتالا . (ثالثها) أن في هذا تقوية للأجانب الأعداء علينا نحن أى على الاسلام وبلاد المسلمين وعلى العرب وبلاد العرب . لأن المال الذى يضيع من المسلم في الدخان هو راجع الى الجيوب الأجنبية بل الى المصانع الأجنبية التى تصنع الطيارات والديابات والمدافع وسائر المدمرات لتحطمتها بها ولتفتصب بلادنا وخيراتنا وحياتنا من جيوبنا ودمائنا

هذه أمور ثلاثة لا ريب فيها ، ولأجل هذا حرم الدخان كثيرون من الناس لا يدينون بدين لا باء فزيم ولا بغيره . وكثيرون من الأطباء يحرمونه بقائلا لأجل بعض الأسباب التى سردناها ، وكذا الاقتصاديون ، لا لأجل الدين والإيمان . ويأليت المسلمين يحرمون هذا الدخان ويمنعون تعاطيه ألبتة . ويأليت حكومة الحجاز تشتد في منعه وفي مراقبته الشديدة حتى لا يصل بلادها منه شيء كى تشتري بأثمانه أشياء ضرورية تنفع الدولة والملة والأفراد والجماعات والاسلام والمسلمين . إذن لفرح بذلك المؤمنون ولا مبالاة بما يقوله المتعصبون المعاندون

وأما زعمه أنهم يكفرون المسلمين ويقا تلونهم بالبنادق والمدافع ، فنقول ان هذا من الزاعم التى قد ذكرنا مرات أنها افتراء محض وسيجزى الله المفتريين . وليراجع الوجه الخامس من هذه الوجوه ثم الوجه السادس ففيهما الجواب عن هذه التهمة وسنزيد الموضوع بياننا

وهلا يكتفى هذا الرجل منا بأن قول له والناس أجمعين اننا نشهد الله والعالم

أنتا لا تكفر أحداً من المسلمين ولا نستحل قتال أحد منهم ولا ماله بل ونبرأ الى الله من يستحل ذلك ونصرح بأن الصحابة والتابعين والمحدثين والأئمة الأربعة ومن سار سيرتهم راشدون كلهم مؤمنون بالله لإيماننا صحيحاً ناجون من العذاب بل وأنهم من أهل الجنة والنعيم . فبلا يقنعه هذا ، أم هو مصر على هذه التهمة لأنه لا يريد غيرها ، وعلى الله حساب الجميع وسيجزى كل امرئ ما هو أهله

ثم قال « ثامناً - كما أن الخوارج قال بمقاتلتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر مقاومة أئمة الضلال ورفع الظلم كذلك الوهابيون قال بمقاتلتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر رفع البدعة التي لا شك في وجودها بالجملة وأنه لا عبادة ولا شفاعاة الا لله ولا استعانة ولا استغاثة الا بالله وهذه كذلك كلمة حق يراد بها باطل كما عرفت »

قلت : والجواب أن نقول لا ريب أن رضا أهل العلم والدين عن مقالة من المقالات وذهابهم مذهب أهل تلك المقالة وانتسابهم اليهم وموافقتهم إياهم لا يدل على بطلان المقالة وبطلان مذهب قائلها ولا يدل على أنها ضلال وأن أصحابها من الخوارج المذمومين الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم والذين قاتلهم أصحابه . بل لا ريب أن موافقة أهل العلم من المسلمين الموصوفين بالورع والمعرفة لمقالة من المقالات وعقيدة من العقائد تقوية لها واحترام . وأن ذلك إن لم يكن دليلاً على أنها صواب وعقل وهدى لم يكن دليلاً على أنها خطأ وضلال وجهل . ولا نزاع في هذا وما رأينا علم الله أعجب ولا أشد من هذا الشيعي ومن آرائه في كتابه هذا الذي تعرض به لهذه المطالب العالية الرفيعة ، ولا نعلم أحداً علم الله قبله زعم أن قول جماعة من أهل العلم بمقالة من المقالات وعقيدة من العقائد برهان على أن أهل تلك المقالة وأهل تلك العقيدة إخوان الخوارج فيما ينمون به . ولو كان هذا صحيحاً لكان جميع الناس إخواناً للخوارج مذمومين ملوئين ضالين . فان كل طائفة من

طوائف المسلمين إذا ما استثنينا طائفة الشيعة الغالية قد قال بمقالاتهم ومذاهبهم
 جماهير من أهل العلم والدين وما من مقالة لامام من الأئمة المشهورين إلا وقد قال
 بها رجال كثيرون من أهل العلم المشهورين ورضوها وتعبدوا الله بها . بل ما من
 مقالة قالها الامام عليّ إلا وقد قال بها غيره من الصحابة ومن بعدهم من أهل الصلاح
 والامامة وكافحوا عنها . بل ما من مقالة صحيحة إلا ولا بد أن تكون مقالة جماهير
 من العلماء البارزين في ميدان المعرفة والدين والصلاح . فهل يكون الناس أهل الحق
 جميعا مشبهين الخوارج الضالين فيما اختصوا به عند هذا الشيعي ؟ ولو كان حقا
 ما قال لكان ذلك كذلك . وإذا كان هذا كان المسلمون جميعا ضالين ومن إخوان
 الخوارج الضالين ، وكان هذا الرافضي رادا على جميع المسلمين حتى على الصحابة
 وعلى علي وعلى آل البيت النبوي وعلى أئمتهم المعصومين . وإذا كان يريد أن
 المسلمين جميعا يشبهون الخوارج وكان يريد أن يقرر ذلك فانتا حينئذ لا تأتي بل
 لا يفيظنا أن نشابههم كما يشابههم جميع المسلمين ، بل لسنا نرضى غير ذلك . لأننا
 مع المسلمين ومع الصحابة والتابعين ومع المحدثين ومع الأئمة المشهورين ومع
 أصحابهم ومن تبعهم بالاحسان والهدى . وهذا المصنف لا يدري أنه ليست جميع
 أعمال الخوارج باطلة أو لا يدري أن من أعمالهم ما هو هدى وحق بلا ريب .
 بل كذلك جميع الطوائف حتى الضالة . ولا يعلم أنه لا يجب مخالفة الخوارج في كل
 شيء قالوه أو عملوه وأنهم لا يخالفون إلا فيما ضلوا وزلوا به . وإن ما معهم من الحق
 والهدى لا يخالفون فيه ولا يترك ذلك لأجل مخالفتهم : كأن الرجل لا يعلم من
 هذا شيئا ، ولهذا يعد على التجديدين وعلى سائر المسلمين موافقة الخوارج كما قال
 هنا في كل مقالة قالوها وعقيدة اعتقدوها . حتى لم يبق عليه إلا أن يقول أنهم
 يشبهون الخوارج في تجريم الفواحش كالزنا والزبا والخمر ، وفي الايمان بالله وتصديق
 النبي والرضا عن أبي بكر وعمر ، وما بقي الا أن يقول أنهم يشبهون الخوارج في

حب العدالة والانصاف وفي الورع وفي الاتسام بالاخلاق الفضلى التى اتسم بها
بعض الخوارج كالشجاعة والاقدام والتضحية والصدق والصراحة والجهر بالحق
إذا ما عرفوه . وقد عد عليهم من مشابهة الخوارج الشجاعة والاقدام . كلا أيها
الرجل إن الخوارج بل كل طائفة فى الدنيا لا تخالف الا فى ضلالها وباطلها وجهلها
لا فى كل ما قالته وعملت . وهذا لا يخالف فيه عاقل

فوافقة أهل العلم والدين لأهل السنة من أهل نجد لا تضيرهم ولا تقل على
أنهم غالطون قائلون باطلا . ولا شك أن أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين
البصراء بالدين يوافقوننا على هذه المطالب العالية ، أعنى عبادة الله وحده ،
والانقطاع اليه وحده وهجران المهازل والخرافات الشيعية وغيرها من الاحداث فى
الدين والآراء المدخولة المكروهة

حقا ان الذين يقولون المقالات التى لا يوافقهم عليها أحد من المسلمين
لا الخوارج ولا غيرهم هم الرافضة الغالون وأمثال هذه المقالات الخاصة بهم كثيرة
فقمنا أشياء منها فى أوائل هذا الكتاب وفى أثناءه

ثم ان اعترافه هنا بأن البدع موجودة فى الاسلام بالجملة يخالف ما صنع فى
كتابه هذا . فانه دافع عن جميع المبتدعات صغيرها وكبيرها التى نحرص نحن كل
الحرص على تطهير الاسلام منها زاعماً أن ذلك كله من سنن المسلمين العملية التى
تناقلوها خلفاً عن سلف بالاجماع والتواتر المشهور . فأين البدع إذن الموجودة
بالجملة التى اعترف بها اذا ما كانت جميع أعمال العامة الجاهل من صميم الاسلام
والايمان ومما جاء به كتاب الله وأجمع عليه المسلمون ؟

وأما ما ذكره من الشفاعة والاستمانة والاستمانة بغير الله فسوف يجيبه

الكلام عليه

ثم قال الشيعى : « ناسعاً - كما أن الخوارج قال فيهم رسول الله يمحرون من

الدين كما يجرى السهم من الرمية وفي رواية يتمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية كذلك الوهابيون أشار اليهم رسول الله عليه السلام بقوله « اللهم بارك في شأمننا اللهم بارك في يمنتنا قالوا وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شأمننا اللهم بارك لنا في يمنتنا قالوا وفي نجدنا قال هناك الزلازل والفتن أو قال بها يطلع قرن الشيطان » رواه الامام أحمد وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر أنه عليه السلام قال اللهم بارك لنا في شأمننا اللهم بارك لنا في يمنتنا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله قال وهو مستقبل المشرق رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ، وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر أن النبي عليه السلام قام إلى جنب المنبر فقال الفتنة هاهنا الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس »

ثم ذكر الشيعي بعد هذا أن هذه الأخبار تعني نجد بلاد الوهابيين نصاً لا تحمل غير ذلك . وذكر أن بعض الوهابيين قال إن الأحاديث تعني نجد العراق ذاكراً أن النجد نجدان فأكذب هذا القول مصرّاً على أن الأخبار تعني بلاد نجد مبعث هذه الدعوة السلفية وأنها تشير بذلك أي بالزلازل والفتن إلى معتقد الوهابيين فيكون هذا القول نصاً واضحاً من النبي عليه السلام في ذم هذه العقيدة وهجائها وبطلانها

ونحن نقول ليس من ريب في صحة هذه الأخبار ولا في ثبوت ألفاظها عن النبي الكريم ، ولكن الشأن في دلالتها وفي صحة ما حملها عليه هذا الرجل ، وفي اللزاعم التي انتزعا منها ثم في النتيجة التي اغتصبها واخترعها من هذه الأحاديث والكلام هنا في مقامين : الأول ما هي البلاد التي عناها النبي الكريم بأقواله هذه . وثاني : هل يمكن أن تكون دليلاً على ما زعم من ذم العقيدة السلفية

التجديّة إذا ما ثبت أن النبي الكريم عني بأقواله هذه البلاد التجديّة المعروفة التي
تعرضت فيها هذه الدعوة وسالت منها في أطراف المعمورة بعد أن كادت تنقضي
عليها المحدثات وينساها المسلمون ، وبعد أن تضاعفت فانكشفت في بقايا صدور
حفظها الله من غبار الفتن وبخار الضلال الشامل الضيف

أحاديث ذم المشرق

أما المقام الأول وهو ما البلاد المعنية بهذه الأخبار النبوية ، فنقول : أن الذي
ورد فيها هو ذم المشرق مصرحاً به وباسمه أو مشاراً إليه مثل قوله ها هنا الفتنة وهو
متجه إلى الشرق ومشير إليه . والثاني مما ورد ذكر لفظ نجد تصريحاً وتخصيصاً إذ
قلوا وفي نجدنا يا رسول الله قال هناك الزلازل والفتن . إلى آخر الأحاديث . هذا
ما ورد إجمالاً مما يستدل به على معرفة البلاد المقصودة بهذه الأخبار المذكورة
فيقال أما ذم الشرق إجمالاً فلا يمكن أن يكون دليلاً على ذم نجد صريحاً يقيناً
ولا يمكن أن يكون دليلاً على ذم هذه البلاد وذم عقائدها بالضرورة الواضحة .
وذلك أن ذم المشرق إطلاقاً بلا تعيين ولا تهديد إما أن يراد به كل ما هو مشرق
للمدينة المنورة ولقنبي عليه السلام حينما أشار وقال قوله . وإما أن يراد به جهة
واحدة من الجهات الواقعة شرق المدينة ، وعلى الأول لا تكون هذه الأحاديث
في نجد تميناً لمعنى يخصها وحدها كالعقيدة السلفية مثلاً وإنما يكون الذم للمشرق
عاماً لمعنى يقوم بالمشرق كله ليس هو العقيدة والدين بلا شك . وعلى الثاني أي
على أن الأحاديث تنفي جهة من جهات شرق المدينة جهة غير معينة فلا يمكن أن
يكون ذلك أيضاً مراداً به البلاد التجديّة تخصيصاً إلا بدليل خاص لأن البلاد
التجديّة مثلاً على قول الخصوم قطر واحد من أقطار كثيرة واقعة شرق المدينة
المتورة وليست البلاد التجديّة أولى بهذا الهجاء وبهذه الزلازل والفتن من البلاد
التي تشاركها في الوقوع شرق المدينة وفي الشرق مطلقاً إذ لا ريب أن البلاد

النجدية لم يقع فيها من الأحداث التي يصح أن تسمى زلازل وفتنًا أعظم مما وقع في الأقطار الأخرى الشرقية باعتراف هذا الرجل كما سوف ترى . وذلك أن بلاداً كثيرة وأقطاراً متعددة هي في الشرق وفي شرق المدينة المنورة . فالعراق مثلاً في الشرق وفي شرق المدينة وبلاد العجم منشأ كل البلاء في الشرق أيضاً وكل ما هو شرق العراق وبلاد فارس وبلاد نجد أيضاً هو شرق المدينة صالح أن تكون الأحاديث المذكورة متناولة له ، وهذا لا خلاف فيه ولا ريب . وإذن من الظالم وما لا يقبل ولا يرضى أن يدعى أن ذم الشرق في الأحاديث النبوية يعني البلاد النجدية لما قام فيها من دعوة مغلصة دون البلدان الكثيرة والأقطار التي هي شرق المدينة وشرق نجد أيضاً وشرق مطلقاً ، وليس هنالك دليل واحد يدل في هذه الأحاديث التي ذكرت فيها الزلازل والفتن يعين البلاد النجدية ويعين أنها المعنية بهذا المعجاء دون البلاد الأخرى التي هي شرق الحجاز

ولو أن مؤرخاً من المؤرخين المنصفين المطلعين على ما وقع في هذه الأقطار من الفتن والزلازل والضلالات من أول ما عرف التاريخ تدوين الأحداث إلى يومنا هذا أو من أول ظهور الإسلام إلى يومنا هذا طرح عليه هذا السؤال : أي هذه الأقطار أكثر إنتاجاً للفتن والزلازل والضلالات ، وأيهما أفرس وأجرى في هذا الميدان ميدان الزلازل والفتن والضلالات . وأيهما أولى بهذه الأحاديث وما فيها من ذم وهجاء وأيهما يصح أن يكون مفسراً لها معنيًا بها . أقول : لو أن مؤرخاً عارفاً واسع المعرفة منصفاً ألقى عليه هذه الأسئلة لما استطاع أن يذكر البلاد النجدية في جوابه هذه الأسئلة ، ولو أنه ذكرها لما استطاع أن يقدمها على غيرها من هذه الأقطار الشرقية من جهة الحجاز والمدينة ولما استطاع أن يقول أنها أولى بهذه الأخبار من بلاد فارس وبلاد العراق وبلاد التتر الأتراك الذين جاءوا واندفعوا من جهة الشرق فماتوا البلاد بالبغي والفساد وأوسعوا المسلمين إعتاقاً

وتقتيلا ورزايا تقطر منها القلوب المؤمنة وصفحات التاريخ الجدد ما حتى يومنا هذا . حتى لقد تناولوا على مقام الخلافة في دار السلام فصرعوا الخليفة وصرعوا غيره من أركان الخلافة وأركان العلم الاسلامي وزلزلوا عزة الاسلام زلزلة ظلت شرفاته وأركانه من هولها تتساقط الى يومنا هذا تباعا بوساطة واحدة أو بوساطات ذات عدد . وظلت تلك الزلزلة تهز أبراج الاسلام والمسلمين هزات لم تهدأ الى يومنا هذا ولم تفتأ تهد من معاقل الاسلام ودوره ما تهد والله شهيد على هذا وشهيد على أن الشيعة ورجال الشيعة البارزين كانوا إذ ذاك أعوانا لهؤلاء الطغاة المدمرين ودلائلهم على الاهتداء الى ثغور الاسلام ، حتى صنعوا ما صنعوا من الآثام والنضائح بالخليفة والخلافة والعلماء ورجال الدولة العظماء . اذن من الظلم المبين الذي لا يجزو عليه محب للعدل والانصاف والحق والذي لا يرضاه لنفسه المؤمن بالله أن يزعم أن النبي الكريم إذا ما ذم المشرق لضلال وزوال يحدث فيه يقال انه يعني بذلك الذم البلاد النجدية دون الشرق كله ودون بلاد فارس وبلاد العراق وبلاد التتر وما يقع شرق ذلك من البلاد والأقطار

وما يدل على قولنا هذا وما يفسر هذه الأحاديث ما رواه مسلم في صحيحه عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه قال لجماعة من أهل العراق : « يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة . سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان الفتنة تجيء من هنا وأوماً بيده نحو المشرق حيث يطعم قرن الشيطان ، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض ، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله له « وقتلت نفسك فنجيناك من النعم وفتناك فتونا »

هذا وأغلب روايات هذا الحديث تدور على عبد الله بن عمر ، وكذا الحديث الذي فيه ذكر نجد نصاً ، فكأن هذه الأحاديث حديث واحد قبل في مكان واحد

وحادثة واحدة وقد فسر هذا الحديث بما سمعت ، وهذا النص احدى روايات

الحديث فهو يفسر باقى الروايات

وقال الحافظ ابن حجر فى كتابه فتح البارى شرح صحيح البخارى ^(١) فى شرح قوله عليه الصلاة والسلام رأس الكفر فهو المشرق : « وفى ذلك إشارة الى شدة كفر المجوس لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة الى المدينة وكانوا فى غاية القوة والتكبر والتجبر حتى مزق ملكهم كتاب النبى عليه الصلاة والسلام كما سوف يأتى فى موضعه . واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سوف يأتى بيانه واضحا فى الفتن » ثم قال فى كتاب الفتن (الجزء الثالث عشر ص ١٠) بعد قوله عليه الصلاة والسلام انى لأرى الفتن تقع خلال يوتكم كوقم المطر : « وانما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضى الله عنه كان بها ثم انتشرت الفتن فى البلاد بعد ذلك . فالقتال بالجلل وصفين كان بسبب قتل عثمان والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين . وكل قتال وقع فى ذلك العصر انما تولد عن شىء من ذلك أو عن شىء تولد منه . ثم ان قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على امرائه ثم عليه بتوليته لهم . وأول مانشا ذلك من العراق وهي من جهة المشرق فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتى ان الفتن من قبل المشرق »

وبعد هذا نقول : ما أعجب أمر الشيعة وما أغربه ! تارة يدعون أن هذه الأحاديث النبوية تعنى بالمشرق الذى يخرج الزلازل والصلالات والفتن البلاد النجدية كما قال هذا الشيعى ، وتارة يزعمون أنها تعنى بذلك العراق مطلع الخوارج الذين خرجوا على الامام على وقتلوه وأكفروه ومطلع الحجاج وغيره . وتارة يقولون ان الأحاديث تشير الى أم المؤمنين وزوج النبى الكريم السيدة عائشة

رضى الله عنها وان الاشارة نحو المشرق كانت الى حبرتها ويثها ابناء عما
سوف تنفع به الاسلام والامام من الضلال والفتن والخروج والقتال إذ قاتلت
عليها وجنده

قال المجتهد الشيعي النجفي الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر في كتاب كشف
الغطاء وهو من كتب الشيعة المرجوع اليها (ص ١٧) : « المثالب الثابتة للصحابة
التي تأتي الاسلام فضلا عن الايمان والعدالة كثيرة لا يمكن حصرها » ثم قال
(ص ١٩) : « روى البخاري عن عبد الله بن عمر قال : قام النبي عليه الصلاة
والسلام خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة وقال الفتنة تخرج من هنا قالها ثلاثا حيث
يخرج قرن الشيطان وروى البخاري قال خرج النبي من حجرة عائشة وقال رأس
الكفر من هنا من حيث يطلع قرن الشيطان ، وان كتب الامة مملوءة من ذم عائشة
وذم أيها بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ^(١) فهذا ما يقوله المجتهد الشيعي الشيخ
جعفر ابن الشيخ خضر في تفسير هذه الأخبار النبوية وكذا قال صاحب كتاب (رسالة
الشيعة) وفي المكان المعنى بها الذي تنشأ منه هذه الزلازل والاحداث وأسباب الشيطان
وذلك المكان هو بيت السيدة عائشة الذي كان مبطاً لوحى الله وقرأه ودينه بوساطة
سيد الملائكة جبرائيل عليه السلام والذي كان يتلقى فيه محمد عليه الصلاة والسلام
رسالة ربه وآيات كتابه وشرائعه السماء . وذلك الذي ذكرناه آنفاً هو ما يقوله
المجتهد الشيعي الآخر الشيخ محسن الأمين العامل في تفسير هذه الأحاديث وفي
المكان المعنى بها ، وهذا المكان على تفسير هذا المجتهد هي البلاد النجدية التي
أطلعت هذه الدعوة الخالصة السلفية النقية التي تطالب أهلها بالرجوع الى هدى
السيدة عائشة وهدى أيها وهدى سائر السلف من الصحابة ومن بعدهم الذين نزعهم
الشيعة ان المثالب الثابتة لهم لا تنحصر لكثرتها ووفورها . فإى هذه التفسير الحق

الصحيح يا قوم . وأى هذه الأقوال ما عناء النبي الكريم أيها الناس . وإى الامامين المجتهدين الشيعة المصيب في ما قال وما اختار . وأيها المحروم من لقاء الحق والحقيقة في هذه الأقوال النبوية الصحيحة ! فانه ان كان المعنى بالأحاديث البلاد النجدية كما يقول الشيخ محسن الأمين العامل في كتاب « كشف الارتياح في اتباع محمد بن عبد الوهاب » لم يصح ما قاله الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر في كتاب « كشف الغطاء » وان صح ما قاله الشيخ جعفر خضر في أنها تشير الى بيت السيدة عائشة لم يصح ما قاله الشيخ محسن الأمين العامل . فاذا صح أحد القولين بطل الآخر واذا ما أصاب أحد الشيخين خطأ الآخر إلا أن يزعموا أن الاحاديث تشمل هذا وهذا بمعنى أنها تعنى البلاد النجدية وبيت السيدة عائشة بالدم والهجاء فاذا زعموا هذا الزعم قلنا لهم إن لنا الشرف الأعظم والفضل المبين أن نجتمع نحن والسيدة عائشة بنت الصديق الأكبر وزوج النبي الكريم في خبر أو أمر من الأمور ، واننا نسأل الله أن يجعلنا من حزبها وأوليائها وجلسائها في دار الجزاء وفي هذه الحياة الدنيا ونبرأ الى الله من خصومها ومن استطابوا ثلبها والوقعة فيها هذا جواب الاحاديث التي فيها ذم المشوق اطلاقا وتعميما . وأما الجواب عن الاحاديث التي فيها ذكر نحمد بالاسم ، فنحن ندع الجواب عن هذا للمحافظ ابن حجر المحدث المصري الشافعي الشهير في كتابه فتح الباري وللإمام الخطابي ولصاحب القاموس . قال المحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري (الجزء الثالث عشر صفحة ٣٦) :

« كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر . فأخبر النبي أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر . وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سببا لفرقة بين المسلمين وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به . وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة . قال الخطابي : نحمد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كل نحمد بادية

العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة . وأصل النجد ما ارتفع من الأرض وهي خلاف الغور فانه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة . انتهى . وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودي إن نجداً من ناحية العراق فانه توهم أن نجداً موضع مخصوص ، وليس كذلك بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجداً والمنخفض غوراً ، انتهى كلام ابن حجر . وقال في القاموس : « النجد ما أشرف من الأرض . الجمع أنجد وأنجاد ونجد ونجد . والطريق الواضح المرتفع وما خالف الغور أى تهامة وتضم جيمه مذكر (١) . أعلاه تهامة واليمن وأسفله العراق والشام وأوله من جهة الحجاز ذات عرق »

هذا جواب المقام الأول من المقامين وهو الكلام في تعيين البقعة المعنية بهذه الأحاديث . وأما المقام الثاني وهو بعد القسم بأن هذه الأحاديث تشير الى البلاد النجدية المعروفة ، فهل تدل على بطلان العقيدة السلفية القائمة فيها اليوم ، التي يدعوها هذا الشيعي بالمذهب الوهابي ؟ هذا ما سوف نتكلم عليه هنا . فنقول : لنفترض أن هذه الأحاديث نص صريح في ذم البلاد النجدية ، ونص صريح في أنه منها تخرج الفتن والزلازل وقرون الشياطين بل والشياطين أنفسهم : لنفترض هذا كله . ولكننا نقول إن هذا لا يدل على فساد هذه العقيدة المترعة في تلك البقعة من الأرض بالمنطق السليم الواضح . والدليل على ذلك أمور :

أولها - هذه الأخبار إما أن تدل على ذم جميع المعتقدات التي وجدت والتي

(١) قد جاء في شعر العرب تذكير نجد وهو الأكثر وتأنيثها وقد جاء

هذا في الشعر العربي خللاً لمن أنكر التأنيث

سوف توجد في هذه البلاد في كل زمن وعلى كل حال . وإما أن تلك كل ذم
بعض هذه العقائد لا كلها . بمعنى أنها لا تنفي بطلان جميع المعتقدات هناك بل تنفي
نوعا خاصا منها . أما الافتراض الأول فليس يمكن أن يكون صحيحا . إذ لا يمكن
أن يدعي إنسان أن كل العقائد التي يدين الله بها أهل البلاد في جميع الاوقات مما
اختلفت وتضاربت باطلة فاسدة ومردودة غير مقبولة . هذا ما ليس يمكن وإن
المخالف نفسه لا يستطيع أن يدعيه لأنه يزعم أو لابد أن يزعم أن العقائد النجدية
كانت صحيحة سليمة لا عوج فيها ولا ضلال قبل طرؤه هذه الدعوة التي دعا إليها
الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأيقظها في الجزيرة العربية منذ مائتي عام تقريبا ،
ويزعم هذا المخالف أن الذي أفسد عقائد النجديين أو أن الفاسد منها هو هذه
الدعوة الجديدة وصاحبها ويزعم أن أهل نجد كانوا قبل ذلك منذ أكثر من مائتي
عام راشرين مسلمين مؤمنين ويزعم هو وغيره من المبتدعين أن أهل الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب صاحب هذه الدعوة كايه وأخيه وغيرهم كانوا سليمي العقيدة
غير فاسديها لأنهم كانوا يرفضون الدعوة ويزعمون أنهم كانوا ناقلين من الشيخ
محمد ومن دعوته ومن ناصريها حتى ألفوا الكتب في الرد عليه وعلى دعوته كما
صنع أخوه الشيخ سليمان واعتمد هذا الشيعة على ما كتبه هذا الأخ في مواضع
من كتابه . فهذا الافتراض إذن لا يمكن أن يدعى ولو ادعى ما أمكن أن يكون
صحيحا ولا مقاربا للصحيح . فلم يبق إلا الافتراض الثاني وهو أن يكون الذم في
هذه الأحاديث صائرا إلى بعض العقائد النجدية لا إليها كلها . وهذا لا يمكن
أن يزعم أحد لا المخالف ولا غيره بطلانه وإذا كان ذلك كذلك أي إذا كانت
هذه الأخبار دليلا على ذم بعض العقائد النجدية إطلاقا بلا تعيين ولا تعريف
فكيف علم المخالفون أن المذموم هو هذه الدعوة لا ما خالفها من المبتدعات ؟ ومن
أين جاءهم أنها هي الباطلة المهجوة دون سواها ؟ ولماذا لا يكون غيرها أصنى المخالف

لها أغنى ما يدعو اليه هؤلاء هو الفساد الباطل المهجور ؟ لا ريب أن المخالف لا دليل له على دعواه أن هذه الدعوة هي المضمومة نصاً بهذه الأخبار . ولا ريب أنه لا بد من الدليل وإلا كانت الدعوى باطلة مردودة ولا كرامة . ونحن نستطيع أن ندعى وأن نقول إن هذه الأحاديث دليل على بطلان ماخالف هذه الدعوة السلفية ودليل على فسادها خلاف ما ادعى المخالفون فنزعم أن الأخبار تشير الى ذم تلك المعارضة الأثيمة التي وقفت في وجه هذه الدعوة السلفية النقية في أول أمرها يوم أن ذرت ثمرتها من وراء تلك الصحراء تلك المعارضة التي دبرها أولئك الخصوم ثم هؤلاء الخصوم ، والتي سوف يلحقهم وزرها في الدنيا ويوم يعيشون ، وليست تشير الى ذم هذه الدعوة نفسها بل هي تشير الى امتداحها والثناء عليها من هذا الطريق وبهذا النحو الذي ذكرنا . فان الدعوة قد لقيت مقاومة شديدة واهوالاً مرعبة في بدء أمرها الى يومنا هذا الى ما يشاء الله من أهل البلاد أنفسهم من أولئك الذين نشئوا على هذه الأمراض الاعتقادية السخيفة التي يدعو اليها هذا الشيعة ويدعى جبهة أنها من صميم الاسلام ومن مصاحبة التوحيد

فما المانع من أن يراد بالزلازل وبالفتن وبقرون الشيطان الطالع في هذه الاخبار مقاومة هذه الدعوة ومناوأتها والقيام في سبيلها وسبيل انتشارها وظهورها . هذا يمكن أن يقال بلا ريب . واذا ما قيل فلن يستطيع المخالف أن يجد له رداً أو مردداً ، لأنه ليست دعواه العكس أولى وأصح وأحق بالقبول والرضاء والبرهان . والدعويان من هذه الناحية - مع الاغضاء عن القرائن الاخرى الخارجة - سواء لا تقدم إحداها على الاخرى إلا ببرهان جلي . فاذا ما ادعى المخالف أن الدليل على أن الأحاديث لا تعني سوى ذم هذه الدعوة الوهابية بمعنى أنها تشير الى بطلانها وفسادها ، قلنا له هذا هو محل النزاع ومعتكك الآراء . فان أصل دعواك أن هذه الدعوة السلفية باطلة مخالفة لدين الاسلام . فاذا ما أثبت هذا لم تحتج الى

هذه الأحاديث لا تباث بطلان هذه الدعوة. خير أنا ندى بحق وصدق ولا شك
أن هذه الدعوة ليست سوى الاسلام قبل أن تشوبه الشوائب ويهذى اليه
الدخيل الغريب الضال

وقد ذكرنا دلائل متنوعة على ذلك وسوف نذكر غير ما ذكر إن شاء الله .
واذا ما ثبت أن هذه الدعوة هى الاسلام نفسه نقيا خالصا من الدخيل والغريب
المقوت فلا ريب فى أن هذه الأحاديث النبوية لا يمكن أن تعنيها وأن تكون
مشيرة الى ذمها وهجائها . وعلى ذلك لا ريب أنها تشير الى ذم ما خالفها وما لم
يكن منها ولا بأمرها . وعليه لا مانع من أن الأحاديث تشير الى ذم تلك المقامة
الطاغية التى لقيتها الدعوة ، والى تلك المناوأة الظالمة التى ابتدأتها بالصدام والخصام :
هذا كله يمكن أن يقال ويمكن أن يصح نظراً وبحسب . وليس ما زعم الرافضى
المخالف أولى منه بالقبول والتسليم ، ولا أظهر فى عين الحجة والدليل . وما كان
كذلك لن يكون حجة ولا دليلاً له إلا أن يكون دليلاً وحجة عليه ، فاما أن يكون
عليه وله أن أمكن ذلك ولكنه غير ممكن ، واما أن يكون عليه نحسب ، واما أن
يكون له لا عليه فلا يمكن دليلاً وانظروا لما سمعت

فهذه الأحاديث لا دليل له فيها ألبتة ولا يستطيع أن ينتزع منها شبهة يمكن
أن تروج وأن تجوز على غير الجاهلين والمقلدين الذين لم يوهبوا ملكة التفريق
بين الصحيح والمريض والحق والباطل والظلام والنور

(ثانيها) قد جاءت نصوص الدين ذامة لبعض البلاد إجمالاً ذماً إن لم يكن مثل
ما فى هذه الأحاديث التى يدعون أنها فى البلاد النجدية فليس دونه وليس أقل منه .
فجاء فى القرآن الكريم قول الله : « وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها
رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنهم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون »

وليس من شك أن هذه القرية ليست في البلاد النجدية وقد قيل إنها هي مكة المكرمة فهي التي كفرت بأنعم الله برسالة محمد عليه السلام وما جاء به من الهدى والنور ومجد الدنيا والاخرى، ولا ريب في أن الآية أشد لهجة ذم من الأحاديث وقال تعالى « واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا اإنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم إلا تكذيبون » الى آخر الآيات وليس من شك في أن هذه القرية ليست في نجد . وقال تعالى « سأريكم دار الفاسقين » والخطاب لموسى وقومه ، ولا خلاف في أن دار الفاسقين في هذه الآية الكريمة ليست البلاد النجدية وليست منها بل لقد عم الله البلاد كلها بالتنفيذ والتفريع بعد أن خص كل قرية وأهلها بذلك فقال « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون - الى قوله - أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون »

والآيات في الكتاب العزيز في هذا المعنى كثيرة معلومة . وكذلك جاء أيضاً في السنة وفي مقالات الصحابة ومقالات من نعدم الشيعة معصومين لا ينطقون إلا صواباً وحقا ذم بعض الأقطار وهجاؤها تخصيصاً مثل هذه الأحاديث المدعى أنها في البلاد النجدية ، فروى البخارى ومسلم عن أسامة بن زيد قال : أشرف رسول الله ﷺ على أطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا ، قال « فاني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقوع المطر » وهذا في المدينة المنورة ، وهناك أحاديث أخرى . وقد تقدم ما رواه الامام مسلم في صحيحه عن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال : يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأرأيكم الكبيرة . سمعت أبا عبد الله ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو يشير نحو المشرق : « الفتنة من هاهنا » وهذا في العراق . وفيه أحاديث أخرى كثيرة منها أحاديث الخوارج

وغيرها ، وفي كتاب نهج البلاغة - وهو من الكتب الشيعة المزعوم اتصال نسبها بالامام علي رضي الله عنه - أن علياً كتب لعبد الله بن عباس يقول : « واعلم أن البصرة مهيطة إبليس ومغرس الفتن » وفي نهج البلاغة أيضاً عبارات قاسية شديدة في ذم أهل العراق وفي ذم شيعة علي والزراية بهم ، والشيعة تدعى أن : « نيكاً قال ذلك كله . وفي كتاب الوشيعة : « وفي الكافي (٢ : ٣٩٦) وفي كتاب التهذيب (٢ : ١٥) أن بعض الناس قال للمصادق أحد أئمة الشيعة : أنزل مكة ؟ قال : لا تاتمل ، أهل مكة يكفرون بالله جهرة . قال : أنزل في حرم النبي ؟ قال هم شر منهم ، أهل المدينة أخبث من أهل مكة سبعين ضعفاً ، عليك بالعراق بالكوفة ، أهل الشام شر من الروم ، والمخالف شر من سائر الكفار ، لعنة الله عليهم وعلى أسلافهم » الى غير ذلك من هذا الصنف ، وإذا ما كان ذلك كذلك وكانت سائر البلاد قد ذمت تخصيصاً وأضيفت اليها أنواع خاصة من الكفر والضلال والفتن ، وكانت المدينة المنورة دار الاسلام ودار النصر ودار الهجرة قد اقتحمتها الفتن و-الت اليها وابلا ورذاذاً في حالات مختلفة ، وأخبر عن ذلك النبي ﷺ وأرى ذلك يتساقط بين بيوت أصحابه من المهاجرين والأنصار كتساقط المطر الهاطل ، وكان هذا كله قد وقع ، ثم إذا ما كانت مكة والشام التي دعا لها النبي الكريم ، وكانت جميع بلاد المخالفين للشيعة هي مأوى للضلال والكفر ومغرس الشر والحجبت والحيدة عن الصواب الواضح المتبليج ، وكانت الكوفة مهيطة من مهابط الشيطان ومغرساً من مغارسه التي ثمرها الشياطين الصغار والكبار . إذا كان ذلك كله واقعاً لا ريب فيه باعترافات الشيعة وبنقل كتبهم المعتمدة الصحيحة لديهم ، فلماذا يتخذ ما ورد في البلاد النجدية - إذا ما افترض وروده - من هذه النصوص أمراً صريحاً في ذم نجد وأمرأ صريحاً في ضلالها وضلال أهلها وبطلان عقائدهم واختصاصهم بمزيد الضلال والفتن والمخالفة ؟

ولماذا لم تتخذ هذه الآيات وهذه الأحاديث التي وردت في البلاد الأخرى
برهاناً على ضلال أهل تلك البلاد وفساد عقائدهم ومذاهبهم وما ينتحلون ؟ ولأى
أمر كانت الأحاديث الواردة في تيجد حجة على أن النجديين أهل ضلال وتتن
وعقائد باطلة فاسدة ولم تكن تلك الآيات والأحاديث والروايات عن الأئمة
المعصومين لدى الشيعة الواردة في مكة والمدينة والعراق والكوفة ومصر والشام
والبلاد الأخرى حجة على أن أهل هذه البلدان أهل ضلال وفتن وزيف وخروج
على شرع الله وطريقة رسوله والمسلمين والمهتدين ؟ ولماذا لم تكن هذه الآيات
والأحاديث والروايات دلائل على اختصاص أهل هذه الأقطار بالضلالات
والكفر وعصيان الله العظيم . كما كانت الأحاديث التي زعمت نصاً في ذم البلاد
النجدية برهاناً عندكم على اختصاص النجديين وولعهم بالضلال والعقائد الباطلة ؟
إن الجواب الذي لا يكون غيره جواباً القول بذهم هذه الأقطار جميعاً وهجائها
جميعاً والاعتراف بأنها مطرح الفتن وملعب الشياطين ومطالع قرونها جميعاً
لا فرق بين حجازها وعراقها وشامها ومصرها وبعثها وغورها وتهاها كل
على قدر مافيه من هذا الضلال وهذا العصيان أو الاعتراف بأن إضافة ذلك إلى
البلاد النجدية تخصيصاً ضلال وظلم وهوى متمرد : أما أفراد البلاد النجدية بالمذمة
والملامة دون هذه البلدان الإسلامية - وقد جاء فيها باعترافكم وعن أئمتكم من الذم
والمقادح أضعاف ما جاء من ذلك في البلاد النجدية - فهو صنع من لا يحترم الحق
ولا القراء ومن لا يرجو الله وقاراً ولا يخاف له مقاماً

فالنتيجة التي نخرج بها من هذا ويخرج بها القارىء هي الاعتراف بأنه لم يحس
في البلاد النجدية على كل الافتراضات والوجوه ذم يختصها دون سائر البلدان
الإسلامية ، وأنه إن لم فضلها البلاد بهذه المعاني الضلال والفتن وقرون
الشياطين فلن تفضلها هي

هذا اذا نظرنا الى الروايات والنقل مغضين عن الامر الواقع المشهود . لأن الكلام مع هؤلاء ~~ككذا~~ فرض وكذا كان . أما اذا ما نظرنا الى الامر الواقع المشهود فاننا لانرضى بهذا الحكم وهذه التسوية اليوم ، ولا يرضاها أحد من ذوى الصدور البريئة من الخلد والهوى . فان انسانا يعقل وينصف لا يستطيع أن يدعى أن في البلاد النجدية اليوم مثل ما في سائر البلدان الاسلامية الأخرى من الافتتان واتباع الشيطان ومن الزلازل المعنوية والمادية ومن العقائد المبلدة الفاسدة هذا ما لا يمكن أن يدعيه منصف وان فرض في نجد ما فرض من هذا بل وان يولغ فيه والذي نريد أن ندعيه ونزعه هو الاعتراف بأن جميع الأقطار المأهولة الاسلامية وغير الاسلامية قد زهت وسرف وترع أيضا في أنواع كثيرة من الضلال والعصيان والخروج على قانون الله وعلى العدالة وعلى الشرع وعلى كل فصيلة منها المقل ومنها المكثري في أوقات مختلفة وفترات من الزمن متعاقبة منها الطويل ومنها القصير ومنها البارز الجلي ومنها المستور الخفي ولكن ذلك لا يعنى الدوام والملازمة في كل الأوقات وجميع الحالات ولا يعنى أن ذلك لا ينفك عن القعر الذى وقع فيه فان الاخلاق والاعمال والعقائد وكل شيء . دول تتعاقب الطيب يتلو الخبيث والخبيث يتلو الطيب ، والباطل يتلو الصحيح والصحيح يتلو الباطل ، وهكذا كل شيء . فالناس وأنفسهم لا يبقون على حالة واحدة . ووتيرة منتظمة . فلا ينعمون بطاعة الله وهذه أبدا كما لا يرتطمون بعصيان الله وبالضلال أبدا ، ولكن مرة ومرة وحالة بعد حالة . ميل ثم اعتدال واعتدال ثم ميل هدى فهو وهوى فهدى والله يفعل ما يشاء ويهدي من يشاء كما يضل من يشاء ، وعلى هذا المعنى نعتزف لهم أن نجدوا وكذلك جميع البلدان المعمورة قد وقعت فيها الفتن المدمرة ووقع فيها أنواع وأفانين من الضلال وطاعة الشيطان ، وهذا لا ينزع ولا يمانع ، ولكن الذى تأباه ونعته هو زعم هؤلاء المغوسين فى الاهواء الممقوتة

أن هذه الدعوة التي طهرت البلاد من أسباب الفتن والضلال والفوضى والعدوان والمجاهرة بالآثام وعبادة الاحجار والاشجار وسائر ما هنالك هي ماعنته هذه الاحاديث وما دعت به بالفتن والزلازل . هذا ما ناباه وما ياباه المنصفون معنا

(ثالث الامور) : نقول لا يمكن البتة أن تكون هذه الاخبار تشير الى ذم هذه الدعوة الاصلاحية وبيان ذلك أن هذا الشيعي وجميع المخالفين يدعون أن واضح هذه العقيدة الأول وباذر بذورها هو شيخ الاسلام ابن تيمية ثم حوار يوه الذين أخذوا عنه هذه المعارف والعقائد كابن القيم وابن عبد الهادي ونظرائها ويدعى هذا الشيعي تبعا لغيره أن هذه الدعوة لم تكن معروفة قبل ابن تيمية وحوارييه في الاسلام ويدعون أن هؤلاء هم الذين وضعوا هذه العقيدة وهم الذين جلبوها ونشروها وحشدوا لها أنواع الدلائل والشبهات من القرآن والسنة والمقولات ، وهم الذين ألفوا فيها الكتب والرسائل الكثيرة المختلفة ودعوا الناس بشدة وضراعة وإقدام اليها حتى أجابهم قوم ونار بينهم الباقون وعذبهم وسجنوهم واستمروهم . ثم يدعون أن حدوث هذه الدعوة في البلاد النجدية طارئ جديد غريب منذ مائتي عام بمسعى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ناشر هذه العقيدة في بلاد العرب ، ويدعون أن الشيخ محمد والنجديين كلهم بل وكل من يدين لهذه العقيدة وكل من ينعم بها ويرتضيها إنما ارتشفوا ذلك كله ارتشافا من هذا الرجل ونقلوه نقلا تاما بلا زيادة ولا نقصان ولا استدلال من كتبه وكتب أنصاره الأبرار . وقد ألقت هذه الكتب منذ ستمائة عام على وجه التقريب

هذا ما يقوله هؤلاء كتابة ومشافهة . فنقول لهم نحن حينئذ لا خلاف في أن شيخ الاسلام ابن تيمية وأعدائه المشهورين الذين وقفوا معه حياتهم على نشر هذه المبادئ كانوا جميعا شاميين مولداً ومنشأ ومستقرا ووفاء ، وأن دعوتهم هذه أول ما قاموا بها كانت في الشام وأنها هناك نشأت وظهرت وانتشرت ، وأنها عرفت

في الشام ودانها أهل الشام قبل أن تمر في نجد وقبل أن يدينها النجديون ، وأن الناس تقلوها عن مولدها الشام قبل أن تنقلها البلاد النجدية بأعوام ، ولكن بشكل لم يكن منظمًا وعامًا ومجديًا مثلما كان في البلاد النجدية بفضل آل سعود الذين هبوا لنصرتها ونشرها وتوسيع نطاقها باللين والشدة

فهذه الدعوة كانت شامية كما ترى قبل أن تكون نجدية ، بل إنها ما أتت البلاد النجدية على قول هؤلاء المخالفين إلا من طريق الشام ومن كتب شيخ الاسلام وتلامذته الأبرار ، فاذا ما كانت هذه الدعوة شامية قبل أن تكون نجدية وإذا ما كان رجالها ووضعها القدامى كما يقول المخالف شاميين وكانت عنهم عرفت وأخذت كما جاءوا بها بلا تصرف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان ، وكان رجالها العظيم الذي ألف الكتب القوية الحية في نصرتها والدفاع عنها والدعوة اليها شاميا ، وكان الناس الى اليوم يصدر عن هذه الكتب الشامية التسمية وبها ينتفعون ويحتجون اذا كان ذلك كله صحيحا وكانت هذه الدعوة فتنة وضلالا كما يزعمون أفلا يكون من الانصاف حينئذ والصواب أن يدعو رسول الله ﷺ على الشام ، وأن يمتنع من الدعوة لها لأنها هي التي أخرجت هذه الدعوة ، وهي التي فتنت الناس بها ومنهم النجديون كما يزعم الشيعة . أفلا تكون حينئذ البلاد الشامية أولى بالمذمة والملامة والهجاء والتوقف عن الدعوة لها من البلاد النجدية لأن الشام هي التي أخرجت هذه الدعوة ونصرتها قبل نجد ، بل هي التي وضعها ودعت الناس اليها حتى أجابها النجديون وغيرهم من أفراد الرجال وغربائهم

واذا كانت الزلازل والفتن المشار اليها بالاحاديث المتقدمة هي هذه العقيدة وكانت البلاد التي عناها النبي الكريم بقوله هي البلاد النجدية فكيف يكون الحديث النبوي هكذا : اللهم بارك لنا في شأمننا وفي يمتنا . قيل وفي نجدنا ، قال هناك الزلازل والفتن وهالك قرن الشيطان ، بل كان يجب حينئذ أن يمتنع من الدعاء

الشام ويأباه قائلا هناك الزلازل والفتن وهناك قرن الشيطان قبل أن يقول هذا في البلاد النجدية اذا ما كان المعنى هو ما يقوله المخالفون . وهذا ما لا ريب فيه ولا إحجام عنه

وكذا يقال لو كانت الفتن هنا والزلازل هي هذه العقيدة السليمة وكان المعنى بذلك هي البلاد النجدية لأبي الدعاء أيضاً لليمن ، وذلك لأن الشيخ الصنعاني والشوكانى يمينان ، وهما من وضعة هذه العقيدة ومن المؤلفين فيها الحاملين على ما خالفها أشد الحملات ، وما كتباه فيها مطبوع مقروء منشور . ومما كتباه كتاب « تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد » وكتاب « الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد » وقد كانا معاصرين لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وكانا قائمين بنشر الدعوة والدعوة اليها في بلاد اليمن حينما كان شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب قائماً بنشرها والدعوة اليها في بلاد نجد . وهذا الشيعى يعترف في كتابه هذا أن الصنعاني كان من وضعة هذا المذهب ويتعرض للرد عليه أحياناً في كتابه . فاذا كان هذا كله صحيحاً فلماذا خصت البلاد النجدية بهذا الذم دون الشام وهي منشأ هذه الدعوة ودون اليمن وقد كانت من مناشئ هذه الدعوة . والناس الى عصرنا هذا يقرؤن ما كتبه الصنعاني والشوكانى في هذه المباحث العليا - وهما يمينان - ويتفقون بما كتباه ؟ انه لو كان حقاً كلام الخصوم لامتنع النبي الكريم من الدعاء لهذه الأقطار الثلاثة الشام واليمن ونجد ، ولدعا عليها كلها وحدث عنها وعن فتنها وزلازلها وقرونها شياطينها كلها ، ولا تبدأ بالشام وخصها بمزيد ذلك وأوفره وأكثره ثم تقي بنجد أو باليمن ثم تلت بثالثهن ، ولما كانت نجد شر الثلاث ولما كانت سوى حديها . هذا وليذكر هذا الشيعى أن الشام قبل أن تكون مقر شيخ الاسلام ابن تيمية باذر بذور المذهب الوهابي كما يقول ومقر تلامذته كانت مقر معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص ويزيد بن معاوية وسائر ملوك الدولة

الأموية ، ومعاوية هو الذى قاتل عليا وقتل من أمحابه وشيعته فى الحرب التى قامت بينهما الخلق الكثير ، ويزيد هو الذى قتل السبط الشهيد الحسين بن على بن بنت رسول الله ﷺ كما يقولون واستباح المدينة المنورة وفعل بأهلها الأفاعيل العظام ، ومع هذا كله ومع غيره يدعو رسول الله ﷺ للشام ثم تزعمون أنه عليه السلام يخص البلاد النجدية بالمذمة والملامة ويصفها تخصيصا بالفتن والزلازل وكثرة الشياطين ، ولا يمكن أن تعتقد الشيعة أن الوهابيين مهما غلوا فى الضلال وقتل المسلمين ومهما ابتدعوا من الفتن والزلازل يعدلون فى ذلك معاوية بن أبى سفيان ويزيد بن معاوية وعمر بن العاص أو عبد الملك بن مروان أو غيرهم من خلفاء الأمويين فكيف بهم مجتمعين ، وكيف بهم منضمين الى شيخ الاسلام ابن تيمية وتلامذته وما جاؤا به من الزلازل والفتن على رأى الشيعة ؟ لا ريب أن شيعيا واحدا لا يمكن أن يدعى أن الوهابيين أولى بالمذمة والملامة من هؤلاء كلهم : الأمويين والتميميين ، ولا يمكن أن يدعى أن الضلال والفتن والزلازل التى وقعت فى البلاد النجدية أعظم وأكثر من الزلازل والفتن التى خبطت فيها البلاد الشامية بسبب الأمويين والتميميين . فلا يمكن على ما ذكر أن تكون البلاد النجدية أخلق بالهجوم وبالتجريح من الشام لدى الشيعة . ولا يمكن أن تكون فتنها وزلازلها أبلى بالتحديث عنها والتحذير منها من زلازل الشام وفتنها . هذا ما لا ينازع فيه الشيعة فما يصنعون ؟

ليفكر فى هذا جيدا هؤلاء المخالفون مجانبين الهوى والتعصب الذميم ، فائقى زعيم حينئذ بأن القوم سيفيرون آراءهم وعقائدهم فى هذه الدعوة السلفية والفكرة الاسلامية البريئة من المبتدعات المردولة

وبعد هذا نقول : إن الفتن والزلازل فى هذه الاخبار لا يراد بها العوائد والآراء سواء أكان مقرها البلاد النجدية أم غيرها من البلدان . وإنما يراد بها الحروب

والاضطرابات والمصائب الآكلة الشارية . ولا نزاع أن البلاد النجدية خبطت كغيرها في حروب واضطرابات دامية لا يرضاها الشرع ولا يرضاها النجديون أنفسهم . ولكن هذه الدعوة السلفية الوهاية هي التي قضت على هذه الفتن والاضطرابات والقلقل وهي التي وترت أسبابها ووسائلها باستئصال ومهارة وأذاقت تلك البلاد طعم الأمن والاستقرار والهدوء والراحة والبستة عصوراً مختلفة لا تزال كذا إلى اليوم وإلى الأبد إن شاء الله لباس الأمن والإيمان والاسلام والسلام . فهذه الدعوة ليست فتنة ولا زلزال وإنما هي خصم ذلك ومخطلته ومبدلته بما يتمتع به أهل تلك البلاد اليوم وقبل اليوم وما بعد اليوم من الطمأنينة الشاملة والاستقرار الحاضر في كل مكان وفي كل شيء . فهذه الأحاديث على افتراض أنها تعنى البلاد النجدية مستقر هذه الدعوة السلفية لا تعنى بالفتن والزلازل هذه العقيدة بل ولا غيرها من العقائد والآراء الصحيحة والباطلة . وإنما تعنى الحروب والاضطرابات والمصائب الغاشمة . ولا ينزع أحد في حدوث هذا المعنى في جميع الأقطار ومنها البلاد النجدية . ولكن شيئاً من ذلك لا يعنى فساد العقيدة التي تقع في البلدة التي وقعت فيها الحروب والقلقل ، وهذا ظاهر

وبما ذكرنا هنا يعلم أن من الباطل القوى الصارخ الزعم أن هذه الأحاديث تدل على فساد هذه العقيدة الخالصة لله حتى لو افترضنا أن الأخبار تشير إلى البلاد النجدية إشارة صريحة واضحة . وبهذا يعلم وينادي بفشل هذه الحجة وإفلاسها السرمدي الأبدي وقد عنيت بعض العناية ببيان هذه المسألة وهذه الأحاديث لأن أقواماً كثيرين يرددون هذه الشبهة ويكثرون من ترديدتها ويطربون لها أشد الطرب ، ومن شدة طرب المخالفين وإعجابهم بها أنه يقل أن تجد من يكتب في هذا الموضوع فلا يتخذ هذه الشبهة حجة من حججه وسلطاناً من سلطانيته التي بها يساول ويحاول ، ويتغنى ويتجنى ، والهموى يعظم الشبهة الصغيرة

الكاذبة حتى يراها أكبر من الحجة الكبيرة الصادقة ، والهوى هو الهوان قلب
اصمه كما يقولون

ثم قال الرافضى « ومن الاخبار المرجح ورودها فى الوهاية قوله عليه
السلام فى ذى الخويصرة التيمى إن من ضئضىء هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز
حناجرهم يرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون
أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، والضئضىء الاصل والمعدن
فيكون المراد من ضئضىءه أي من أصله وعشيرته لامن نسله وعقبه لأن عشيرة الرجل
هي أصله ومعدنه ، وذو الخويصرة وابن عبد الوهاب من أصل واحد وعشيرة
واحدة فكلاهما تيمى كما أن جملة من رؤساء الخوارج كانوا من بنى تميم . فبعد
انطباق أكثر صفات الخوارج على الوهاية يترجح كون هذه الاخبار شاملة
لهم » انتهى

قلت هذا زعم من لا يتقى الله ولا يخاف حسابه ولا حساب الضمير المؤنب ،
فأين هذا الرجل التيمى من هؤلاء الذين يسميهم الوهابيين لو كان يخاف الله
ويرجو لقاءه ؟ فان هذا الرجل أعنى ذا الخويصرة شهد النبى عليه السلام يقسم
الغانم فأنكر قسمته واتهمه بالجور فقال له اعدل فان هذه قسمة لا يراد بها وجه الله .
فمنصب رسول الله وقال « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل » فقال بعض الصحابة
دعنا يا رسول الله نضرب عنقه . ثم قال « إن من ضئضىء هذا الرجل قوما يقرؤن
القرآن ولا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان » فأين من
يقول للنبي الكريم فى وجهه اعدل فانك لم تعدل من قوم لا يرون لأحد إسلاماً ولا
نجاة حتى يستسلم ظاهراً وباطناً بلسانه وعقيدته وعمله لما جاء به النبي الكريم من
المهدى والدين ، ويرون أن من شك فى عدل الرسول أو فى أمر من الأمور التى
جاء بها أو من عارض قوله أو فعله أو خطأه أو أضاف اليه نقصاً ما أو عيباً ما

فقد حبط إسلامه إن كان مسلماً وارقد ولزمه عقاب المرتدين ، ويرون أن أفضل الأولياء والمؤمنين وخيار المسلمين هم الذين يتشبهون به عليه السلام وهم الذين ينهجون منهاجه ويسلكون سبيله ويمضون على ما جاءهم به بالنواجذ والاسنان ما استطاعوا وقدروا ؟ بل وأين هذا الرجل القاتل لرسول الله اعدل وأين أصحابه ومن اتبعه من قوم أغضبوا هذا الشيعي وقومه وأسألوا حفائظهم وأغضبوا كثيراً من الناس قديماً وحديثاً وهاجوم عليهم وعلى الايقاع بهم وعلى إيذائهم لاستمساكهم بسنته وتشددهم فيها ودعوتهم الناس الى ذلك وحملهم على ما جاء به من الهدى والنور ومكافحة كل ما خالف سنته وهديه وإيائهم كل مبتدع بصرامة وجراءة وحزم وعزم ؟ أين ذلك الرجل الذي قال اعدل لأعدل المخلق وأعرفهم بوجوه العدل ومواضعه على الاطلاق من قوم لا يستحلون لمسلم في الارض أن يرغب بنفسه عن سنة من سنن رسول الله لا صغيرة ولا كبيرة لا شكلية ولا معنوية ولا أن يدع قوله وحكمه لقول إنسان ما وحكمه وان كان من كان من الفضل والنور والدين والعلم ، ولا يرون لأحد معه كلاماً ورأياً ويرون أن من فعل شيئاً من ذلك فقد خاب وخسر الى غير نهاية وأصبح من المالكين المتخلدين في هلاكهم ؟ أين هذا الرجل من قوم يعدون فضل المرء وقيمته وشرفه وصلاحه وورعه وحب الله إياه وجههم هم إياه بقدر ما لديه من الاعظام لرسول الله والاستسلام لما جاء به ولسنته وهديه قولاً وعملاً وعميدة ورأياً ؟ أين هذا الرجل القادح في رسول الله كفاحاً في وجهه من قوم لا ينطقون إذا جد الجد الا بقال الله ويقال رسول الله وقال الصحابة « لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون » ولكن هذا الشيعي لو كان جريئاً على أن يصدع بالحق لقال إن الشيعة قد فرست الخوارج في هذا المضمار مضمار القدح في الرسول وفي الاعتراض على أحكامه وأقضيته وما جاء به ، واتهامه بالجنف والعدول عن

العدل والنصف . فقد ردت هذه الطائفة ما رضىه نبي الله وقضى به في أمور كثيرة معلومة فقد رضى صحبة أب بكر الصديق الخاصة له ومؤازرته إياه ومرافقته في أروع الاوقات وأخلد الساعات ، وقضى بإمامته : الصغرى والكبرى . إمامة الصلاة وإمامة الخلافة ، وقضى له بالايمان الذى لا يلحق وبالفضل الذى لا ينال ولا يطال ، ورضي عنه الرضا الذى لا سخط بعده وأحبه الحب الذى لم يحبه أحدا من الناس غيره ومات على ذلك وأجمع الصحابة والمسلمون عليه ، ولكن الشيعة لم ترض ذلك كله فعدلت عنه لأنها لم تجد فيه العدل والصدق ، فقضت بضده وبمخالفته : فخالفت قضاء رسول الله وما أحبه ورضيه ، وخالفت قوله وقوله . وكذا لم ترض الشيعة قضاءه عليه السلام في حبه عائشة والرضا عنها وتفضيلها على النساء . فقد حوا فيها وفي دينها ورأيها وأدبها فأذوها وآذوا المؤمنين بإيذائها وكذلك لم يرضوا قضاءه في أصحابه وحبههم والرضا عنهم وقضاءه بأنهم من أهل الجنة وأهل الايمان والدين والتقوى وخوف الله وأن الله رضى عنهم فأحبهم وأحبههم ورضوا عنه ورضي عنهم . فقصواهم بكفرهم ونفاقهم وخداهم وإيثارهم الدنيا على الله وعلى رسوله وعلى آل بيته . فاتهمهم بالكبائر من الشرور وبالعظائم من الأمور وكذلك لم يرضوا بقضائه عليه السلام في على بن أبى طالب وآل بيته الأطايب فادعوا لهم وفيهم فوق ما قضى به عليه السلام لهم وفيهم من الحق والمكانة والرتبة العالية فادعوا فيهم العصمة بل والنبوة والالوهية كما قدمنا في أول الكتاب وفضلهم على من فضله عليه السلام عليهم . بل وفضلهم على الأنبياء والمرسلين وزعموا أن كل ما يقولونه حق لا ريب فيه وأنهم لا يفلطون أبداً لا عمداً ولا سهواً . بل وقد حوا في رسول الله أعظم من قدح ذى الخويصرة التميمي وإخوانه فيه فزعموا أن الرسالة كانت لعلى بن أبى طالب ولكن جبريل غلطاً أو عمداً نزل بها على محمد عليه السلام . فالرسول في الواقع هو على وأما محمد فليس رسولاً إلا

بغلط جبريل أو تمعده الغلط ، وهذا قول لطائفة من الشيعة معروفة تسمى النزارية وقد قدمنا هذا في صدر الكتاب الى فظائهم وعظائم معلومة مبثوث كثير منها في هذا الكتاب . قدحت فيها الشيعة على القضاء النبوي وعدلت عنه فيها زاعمة أن ذلك ليس عدلاً ولا حقاً بشكل هو أفظلم وأعظم من دعوى ذي الخويصرة واخوانه الخوارج . وسيجد القارىء لكتابتنا الشواهد العديدة الصادقة على قولنا هذا وحينئذ يقال من أين انتزع زعمه أنه يرجح ورود حديث ذي الخويصرة في النجديين . ؟ إما أن يكون من كون ذي الخويصرة تميمياً لأن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب تميمي فكلاهما من قبيلة واحدة والحديث أخبر أن هؤلاء القوم الذين وصفوا بهذه الصفات يخرجون من ضئضى ذي الخويصرة أى من أصله وقبيلته . أى أنهم يكونون من بنى تميم وإما أن يكون انتزعه من الصفات الواردة في الحديث وهى أن هؤلاء القوم المنبأ عنهم يرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وأنهم يقرؤن القرآن ولا يجاوز حناجرهم وأنهم يقاتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان . وإما أن يكون انتزع ذلك من الامرين معا . فان كان الاول أى إن كان زعم ترجيح هذا الحديث في الوهابيين لأن ذا الخويصرة هو وصاحب هذه الدعوة تميميان قيل له لقد أبعدت المرمى وادعيت المستحيل : هب أن الرسول الكريم أخبر أنه يخرج من قبيلة بنى تميم قوم يكونون شر الناس يكفرون بالله وباليوم الآخر وبالأنبياء ويعلمون الارض جوراً وضلالاً وإلحاداً ويتوقفون كل فاحشة فحشاء ويستبطنون كل ربة نكراء فكيف يعلم أنه يعنى هؤلاء القوم المنبأ عنهم فلانا ومن تبعه أو فلانا ومن ناصره ؟ وكيف يعلم أنه لا يعنى غير هؤلاء هؤلاء ؟ إن معرفة مثل ذلك مستحيلة لا يمكن إدراكها بهذا النحو . وإذا ما زعم زاعم أن المنبأ عنه هو فلان ونهراؤه استطاع آخر أن يزعم أن ذلك هو فلان آخر ومن سار سيرته . وإذا قال قائل إن المعنى بهذا الخبر هو من جاء بكذا

وكذا من الآراء استطاع آخر أن يقابله فيقول إن المعنى به هو من جاء بكيت وكيت من الآراء والعقائد التي تخالف ما جاء به الأول . فاذا زعم زاعم بأن الرسول الكريم يعنى بحديثه هذا الوهابيين من التميميين كما زعم هذا الرافضى قيل له ولماذا لا يكون يعنى به التميميين المخالفين لهذه العقيدة المناهذين لها ولما جاء به أصحابها من الإصلاح والدعوة الإسلامية السلفية ؟ ولماذا لا يكون يعنى أقواما آخرين غير هؤلاء وغير هؤلاء من بنى تميم الذين جاءوا بما أخبر به الحديث أو سيحيثون به ؟ وكيف يعلم أنه يعنى الوهابية بهذا الخبر ؟

إن مخالفه يستطيع أن يزعم أن القوم المنبأ عنهم بهذا الخبر هم التميميون الذين يصيرون إلى مذهب الشيعة ويميلون إليه وإلى ما فيه من المقادح في الصحابة وفي السلف وفي المسلمين وأنهم هم الذين يرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية . وأنهم هم الذين يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الاوثان ، وأنهم إذا قرءوا القرآن لا يجاوز حناجرهم . وذلك لما قالوه في الله ورسوله وفي الصحابة وفي علي بن أبى طالب وذريته من التآلية والغلو وما قالوه في خلفاء الإسلام وعلمائهم من القدح والاكفار الجريء وما جاءوا به من المبتدعات في القبور والمشاهد إلى غير ذلك من بدع القوم . والشيعة من يوم أن خلقها الله لم تقاتل أحدا من أهل الاوثان والمشركين . بل أنها تكون أبدا في صف هؤلاء خصومة للإسلام . ولكنها قاتلت المسلمين وأهل التوحيد منهم كما سوف يرى

وهل كانت الخوارج الذين قاتلهم علي إلا إحدى فرق الشيعة راحوا يحبون عليا إلى حد الغلو المذموم والاسراف المستبشع ورجعوا يفضونه ويعتقونه إلى حد الاكفار والتضليل الباطل . فما كانوا سوى فرقة من فرق الشيعة . فالشيعة انقسمت فرقتين متعاديتين ممسكتين بطرفي الافراط والتفريط : فرقة كفرت عليا وذمتهم وهم الخوارج ، وفرقة غلت فيه حتى ادعت فيه الألوهية وما لا يليق إلا بالله

وزعمت فيه العصمة وفي ذريته وزعمت أن الخلافة وراثية فيهم ، فن نازعهم فيها أو قال خلاف قولهم فهو كافر خارج . وزعمت فرق منهم فيهم الألوهية والنبوة والرسالة . وهذه الفرق من الشيعة هي بلا ريب شر من الخوارج . وهم أبعد عن الاسلام وعن علي وذريته منهم . قالت من غلا في حق الله فاكفر عليا أو غيره لزعمه أنه خالف حكم الله وتمدى على حقوقه تعالى أقل شرا وضلالا ممن غلا في مخلوق فوهبه حق الله وزعم أنه حال فيه أو انه هو الله أو أنه هو الرسول أو كالرسول في العصمة وفي وجوب اتباعه فيما قال . وسوف يجيء بيان هذا

فإنباء النبي الكريم أنه سوف يخرج من بني تميم قوم يأتون بأقانين من والضلال الكفر والمروق لا استطاع أن يفهم أنه نص في قوم معينين لا في الوهابيين ولا في غيرهم الا أن ينبيء الحديث عن أولئك الذين سوف يخرجون بأوصاف وأشياء معينة فتأتي بتلك الصفات والأشياء جميعاً فرقة من الفرق فيقرب حينئذ جدّاً أو يكون يقينا لا ريب فيه أن الحديث انباء عن هذه الفرقة . فاذا ادعى المخالف أن الوهابيين قد جمعوا الصفات والأمور التي أنبأ عنها الخبر النبوي وأتوها كلها قيل له هذا هو أساس المسألة وقاعدة الدعوى وهذه هي المصادرة في رأس البحث . فاذا استطاع هذا الرافضى اثبات أن الوهابية مرقوا من الاسلام الى آخر ما في الحديث قام له ما ادعى وأغناه هذا عن كون هذا الرجل الذي قدح في حكم الرسول ﷺ تميمياً أو غير تميمي ، وهذا هو الافتراض الثاني ، وسنتكلم عليه . أما الاخبار المطلقة عن قبيلة من القبائل بأنه يخرج قوم أو أقوام منها يكفرون بالله ويمرّقون من الاسلام وقرؤون القرآن ولا يؤمنون . فلا يمكن أن يكون هذا الاخبار المطلق قدحا في كل من كان من تلك القبيلة من هذه الناحية أي من ناحية انحداره من القبيلة المذكورة المنبأ عنها ، ولا يمكن أن يكون دليلاً ولا شبه دليل على ضلال هذا الرجل المعلن وفسقه وكفره لأنه انحدر من القبيلة التي قيل

إنه سيخرج منها قوم يكفرون ويفسقون ويحاربون الله ورسوله ويقتلون المسلمين .
هذا ما يمد في نظرنا من الحال

وقد أخبر النبي الكريم عن قبائل كثيرة من العرب وغير العرب بأنهم سوف يحدثون أشياء منكرة ويحدثون في الأرض وفي الاسلام أموراً عظيمة . وقد صح عنه عليه السلام أنه قال « يكون هلاك أمتي على يد غلة من قريش » وصح عنه أنه قال « اللهم العن رعلًا وذكوًا وعصية عصوا الله ورسوله » وصح عنه أنه دعا على مضر وقال « اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف » وفي الصحيح أنه عليه السلام كان يقنت في صلاة الفجر ويقول في صلاته « اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف ، اللهم العن لحيان ورعلا وذكوًا وعصية عصت الله ورسوله » وصح عنه أشياء كثيرة في ذم غير هؤلاء من القبائل والأحياء فهل هذه الأخبار تدل على القدح في شخص معين ينسب إلى إحدى هذه القبائل والأحياء أو هل تدل على أن إنساناً بعينه ملعون مذموم عاص لله ورسوله لأن النبي الكريم دعا عليهم جملة لأشياء جاؤا بها ؟ وهل يقال في كل قرشي انه يهلك الامة الاسلامية لقوله عليه السلام هلاك أمتي على يد غلة من قريش ؟

هذا ما يقضى . كلام هذا الشيعي ولكنه باطل بلا ريب ، ويمكن أن يكون هذا من الأجوبة عن قوله عليه السلام قالوا وفي نجدنا قال هناك الزلازل والفتن وكذلك جاءت أحاديث صحيحة نبوية يثنى بها على بعض القبائل والأحياء فصح عنه عليه السلام أنه قال : « غفار غفر الله لها . وأسلم سالمها الله » وفي الصحيح أنه قال « الانصار ومزينة وجبينة وغفار وأشجم ومن كان من بني عبد الله موالياً دون الناس والله ورسوله مولاهم » إلى نظائر لذلك كثيرة . فهل يستطيع عاقل أن يدعى أن مثل هذه الاخبار دليل وبرهان على فضل كل رجل انتسب لاحدى هذه القبائل والأحياء ودليل على أن إنساناً بعينه مولى لله ورسوله راض عنه الله

ورسوله بدليل هذه الاحاديث لا بدليل أعماله وصلاحه ؟ اللهم لا
ومثل ذلك ما جاء ذمنا زعيما على سبيل الاجمال اقبيلة من القبائل وحى من
الاحياء أو بلد من البلدان فانه لا يدل على ذم كل فرد وإنسان انحد من تلك
القبيلة أو نبت في ذلك البلد . وهذا كهذا سواء فيها لا يدلان على ذم ولا مدح
معينين بالضرورة والاجماع .

فقبيلة بنى تميم كغيرها من قبائل العرب جاء فيها ذم بمجل مطلقى إن كان لمثل
هذا أن يسمى ذمنا وقدجا في القبيلة إجمالا . بل هو ذم لطائفة منها مهمة تأتي
بالأعمال الشنعاء التي ذمت من أجلها . وهذا أقل من الذم العام للقبيلة على أن هذا
الحديث في بنى تميم يعارضه ما هو مثله أو ما هو أقوى منه في مدحهم . ففي نهج
البلاغة أن عليا رضي الله عنه قال لعامله في البصرة عبد الله بن عباس « قد بلغنى
تمرك لبنى تميم وغلظتك عليهم وإن بنى تميم لم يغيب لهم نجم إلا طلع لهم آخر
وانهم لم يسبقوا بوغم (أى حرب) في جاهلية ولا اسلام وان لهم بنا رحما ماسة
وقرابة خاصة نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها » هذا قول على
مرجع الشيعة كما تزعم . وروى البخاري ومسلم أن أبا هريرة قال لا أزال أحب
بنى تميم لثلاث سمعتهم من رسول الله سمعته يقول « هم أشد أمتى على الدجال »
وجاءت صدقاتهم فقال هذه صدقات قومنا ، وكانت سبية منهم عند عائشة فقال
اعتقها فانها من ولد اسماعيل . فهذا يقابل ذلك . فان كان حديث ذى الخويرة
دالا على هجاء بنى تميم كان هذا الحديث وكان قول أبى هريرة وقول الامام على
دالين على فضل بنى تميم وامتداحهم . وان دل خبر ذى الخويرة على بطلان
الدعوة السلفية الوهاية لأن بعض دعايتها كان تميميا كان هذا الحديث وهذان
الاثران عن على وأبى هريرة دلائل ثلاثا على صحة هذه الدعوة وقوتها . واذا
قيل إن القوم الذين أشار اليهم حديث ذى الخويرة هم الوهايون كما زعموا

أمكن أن يقال معارضة لهذا القول الباطل : إن القوم الذين أشار إليهم النبي عليه السلام بقوله هم أشد أمتي على الدجال وبقاى الحديث هم الوهابيون وإن النجوم التي تتعاقب واحداً إثر واحد كلما غاب نجم طلع نجم آخر من بنى تميم في حديث على رضي الله عنه هم النجوم الوهابية أو الوهابيون من هذه النجوم التي حدث عنها على مرجع الشيعة فيما تزعم ، وقيل أيضاً إن الحديث النبوى والآثر العلوي انباء إن عن هذه الدعوة وعن رجالها ونصرائها ، وكان هذا القول لا يقل عن قول الرافضى في حديث ذى الخويصرة قوة ولا يفوقه ضعفاً ، وكانت هذه بتلك ونحن لا نقول هذا القول احتجاجاً وبخناً . ولكننا نقوله معارضة ومقابلة ونعنى أنه إن صح قول الرافضى في حديث الذم فلن يقل عنه صحة قولنا في حديث المدح حديث أبى هريرة وقول على ولا يمكن أن يكون احتجاج الشيعى صحيحاً وهذا الاحتجاج باطلاً . بل إن كان احتجاجنا باطلاً كان احتجاجه أبطال وأوغل في البطلان ، وإن كان احتجاجه هو صحيحاً كان احتجاجنا أصح وأوغل في الصحة . فما هو فاعل ؟ وأين هو ذاهب ؟

هذا ثم يقال لهذا الرجل إن هذه الدعوة ليست دعوة تيمية كما تحسب وليست خليفة بهذا الوصف وليست هذه النسبة بأصح من نسبتها إلى قبيلة أخرى من قبائل العرب الذين أجابوا الدعوة وقابلوها بالتسليم والرضوان وصاغوها مصافحة إذعان . فإن هذا الشيعى يزعم أن باذر بذور هذه الدعوة الاول هو ابن تيمية ثم تلامذته وأنها عنهم أخذت وعرفت وأن النجديين نقلوها عن هؤلاء نقلًا تاماً . وابن تيمية وتلامذته سوريون وليسوا من بنى تميم . ثم إن النجديين الذين قبلوها ونصروها ليسوا قبيلة واحدة وليسوا كلهم ينحدرون من أصلاب تيمية بل بنو تميم إحدى القبائل النجدية العربية التي انشرفت صدورهم لهذه الدعوة ودانتها وأحببتها وآل سعود الكرام الذين نصروا الدعوة بالقوة واللين ونشروها ودافعوا عنها

وداموا على عهدها وولائها في السراء والضراء ليسوا من بني تميم كما سوف يأتي . فالذين ابتدعوا الدعوة كما يدعى الشيعة وهم ابن تيمية وتلامذته ليسوا تميميين والذين نصروها وآووها ودافعوا عنها كل الاوقات وهم آل سعود ليسوا تميميين ، والذين قبلوها ودانوها ليسوا من قبيلة واحدة بل من قبائل مختلفة . وان من دعائها ووضعها كما يقول الشيعة الصنعاء وكذا الشوكاني وهما ليسا تميميين واذا كان ذلك كذلك فلماذا تكون هذه الدعوة تيممية ولماذا تدم اذا ما ذم بنو تميم وغاية ما في ذلك أن أحد دعاة الدعوة القائلين بنشرها وإحيائها تميمي وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟ ولكن هذا لا يقضى بأن تكون الدعوة تيممية يقينا ونسبتها الى بنى ذهل بن شيبان القبيلة التي نمت آل سعود أولى من نسبتها الى بنى تميم ونسبتها الى آل تيمية الذين نجلوا شيخ الاسلام ابن تيمية أولى من نسبتها الى بنى تميم الذين نجلوا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب باعث علم السلف في جزيرة العرب

فهذه الدعوة ليست تيممية صرفاً ، فلو ذم التميميون قاطبة وخصوا بأوفر الملامات وأوفى النقائص لم يلحق هذه الدعوة من ذلك شيء على جميع الوجوه والافتراضات . فليعلم هذا الشيعة
وكم نجل بنو تميم من عالم لا يبارى في علم ولا في دين ، ومن شجاع لا يماول ولا يطاول ، ومن مصلح قد ومن عابد زاهد من عباد الله الاخيار
المقرين

وقول الشيعة ان جملة من الخوارج كانوا من بني تميم يقال عليه ان الخوارج كانوا من قبائل عديدة وليسوا من قبيلة واحدة ولا كان هذا المذهب الشاذ مذهب قبيلة من القبائل أو حتى من الأحياء وقد كان الخوارج من بني تميم وكانوا من طي ومن بني يشكر ومن مراد ومن غير هؤلاء وكان أشقى الخوارج

وقد يكون أشقى الناس قاطبة عند الشيعة من قبيلة مراد وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادى الخارجى قاتل علي رضى الله عنه ، فاشترك بنى تميم فى هذا المذهب مذهب الخوارج كاشترك غيرهم فيه من قبائل العرب وغيرهم . وليس بنو تميم أولى بهذا المذهب من سائر الناس ، وهذه حقائق يقينية . هذا جواب الافتراض الأول ، وهو تقدير أنه انتزع الحجة من الحديث المذكور من كون ذى الخويصرة تميمياً . وأما الافتراض الثانى وهو أنه انتزعها من اجتماع هذه الصفات صفات الذين يخرجون من ضئضىء ذى الخويصرة فى الوهاية فنقول ان هذا هو أصل المسألة ومبدؤها وهذا هو معترك الخصام بين أهل السنة والشيعة . فاذا قال الشيعة ان هذه الصفات - وهى أنهم يقرؤن القرآن ولا يجاوز حناجرهم وأنهم يعرفون من الاسلام مروز السهم من الرمية ، وأنهم يقاتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان - اذا ما قال ان هذه الصفات قد اجتمعت فى أهل السنة من التجديدين قيل له كلا والله . ويتبين جواب هذا الافتراض من قراءة كتابنا هذا . واذا ما علم جواب الافتراضين علم جواب الافتراض الثالث

تنزيل الآيات النازلة فى الكفار على من عمل عملهم

« عاشرًا - كما أن الخوارج عمدوا الى الآيات الواردة فى الكفار والمشركين فجعلوها فى المسلمين والمؤمنين وكذلك الوهايون جعلوا الآيات النازلة فى المشركين منطبقة على المسلمين . أما صدور ذلك من الخوارج فيدل عليه ما رواه البخارى عن عبد الله بن عمر فى وصف الخوارج أنهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها فى المؤمنين وفى رواية فى غير البخارى أنه عليه السلام قال أخوف ما أخاف على أمتى رجل متأول للقرآن يضمه فى غير موضعه .

وعن ابن عباس لا تنكونوا كالحجوارج تأولوا آيات القرآن في أهل القبلة وإنما نزلت في أهل الكتاب والمشر كين فجهلوا علمها فسفكوا الدماء وانتهبوا الأموال . وأما صدور ذلك من الوهابيين فيدل عليه ما سيأتى من جملة الآيات الكثيرة النازلة في المشر كين منطبعة على المسلمين مثل : أغير الله أتخذ وليا . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا . فلا تجعلوا لله أندادا . له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم شيء . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة النازلة في المشر كين والكفار فيجعلونها منطبعة على المسلمين انطباقا من غير مائز ولا فارق » انتهى

قلت وما ذكره هنا هو من الخرافات المبتهلة والآراء الساذجة الفاترة وما لما ذكر وجه في العلم ولا نسب في المنداق ولا انتماء الى الحق ، ويبان ذلك أن القرآن الكريم قد جاء قانونا عاما شاملا صالحا لكل زمان وفي كل مكان . لا يخص عصرآ دون عصر ولا مكانا دون مكان . وقد جاء يجمل الأشياء الحمودة والمذمومة الصالحة والطالحة وجاء بالخير وبالشر وبالايمان والكفر ذاما قسما مادحا قسما آمرا قسما ناهيا عن قسم داعيا الى قسم زاجرا عن قسم مخبرا أن جزاء قسم من ذلك الجنات والرضا وأن جزاء القسم الآخر النار والغضب الالهى . ولم يعرف ذلك الخير والشر أو الصالح والطالح بمن عمله من الناس ولم يمدح الخير من ذلك لأن العامل له فلان أو فلان ولم يذم الشر لأن العامل له فلان أو فلان . بل إنما عرف العامل بعمله فعرف الخير بمن جاء بالخير والشرير بمن جاء بالشر وعمله وأتى على من أتى عليه بما عمل من صالح وذم من ذم بما عمله من عمل طالح . فالأخيار هم الذين عملوا الصالحات والخيرات ليس لهم مكان معين ولا زمان معين ولا سمة غير ذلك ، والاشرار هم من عملوا الأعمال الطالحة والشرور الفاضحة ليست لهم سمة غير ذلك وليس لهم مكان معلوم ولا زمان معلوم ، والمؤمنون هم

الذين جاءوا بأشراط الايمان وشرائطه والكافرون هم الذين جاءوا بأشراط الكفر وشرائطه ، فن جاء بأعمال الايمان فهو المؤمن ومن جاء بأعمال الكفر فهو الكافر ، ومن جاء بهذا حيناً وبهذا حيناً فهو في كل حين حكمه حكم ما جاء به ففي الحين الذي يأتي فيه بأعمال الايمان يكون مؤمناً ، وفي الحين الذي يأتي فيه بأعمال الكفر يكون كافراً ، والذي يأتي بهذا وهذا في وقت واحد يكون مؤمناً من جهة كافراً من جهة أخرى أى انه يكون مؤمناً وكافراً « وما يؤمن أكثر بالله الا وهم مشركون » ومعرفة الخير والشر والايمان والكفر وصالح الأعمال وطالحها تكون بالاجال بمعرفة ما في القرآن وما في السنة النبوية فما أنبأ عنه القرآن أو السنة بأنه خير وإيمان فهو خير وايمان والذي عمله مؤمن خير . وما أنبأ عنه القرآن أو السنة بأنه شر وكفر فهو كذلك ومن عمله فهو من الكافرين الاشرار . فالناس يعرفون بالأعمال خيبرها وشرها ويحكم عليهم بما يعملونه من ذلك ويعطون الاسماء من أعمالهم وأفعالهم . فما أنبأت عنه نصوص الدين لانه كفر فمن عمله فهو كافر وان كان من كان وان كان من سلالة النبيين وما أنبأت عنه نصوصه بأنه إيمان فهو ايمان وعامله مؤمن وان كان من سلالة المنافقين والمتنبئين والمتألهين ، بل وان كان من هؤلاء في سابق أمره . وما أنبأت عنه النصوص بأنه طاعة فهو طاعة وان كان عاملها من كان ، وما أنبأت عنه بأنه معصية فهو معصية وعامله عاص وان كان من كان من الصالحين والأولياء الفاضلين والعلماء المشهورين . وما أنبأ عنه الاسلام بأنه شرك فهو شرك وعامله مشرك وان كان قبل ذلك من خلاصة المؤمنين الموحدين . وما أنبأ عنه بأنه توحيد فعامله موحد وان كان قبل ذلك من رؤوس المشركين والملحدين

وهكذا يقال في جميع أعمال العباد مما يثاب عليها ويعاقب . فالصدق مثلاً ممدوح مثاب عليه ، فن جاء به فهو صادق ومثاب على صدقه . والكذب مذموم

ومعاقب عليه فمن جاء به فهو كاذب ومعاقب على كذبه . والزنا محرم شنيع مجازى عليه الجزاء الأليم فمن عمله فهو زان آت بأمر شنيع وفاحشة شنعاء وهو لاقى على ذلك جزاءه العظيم . والمعاقب عمل صالح مثاب عليه فمن عفا فهو خفيف صائن نفسه عن أمر شنيع وهو لاقى على ذلك الجزاء الأوفى . وترك الصلاة كفر بالله أو فسق على رأى الآخر فمن ترك الصلاة فهو كافر أو فاسق على الرأين وجزاء التارك جزاء العصيين أو الكافرين وإن كان من كان . وإقام الصلاة صلاح وإيمان بالله فمن أقام الصلاة فهو من المثابين المصلين . وسب الأنبياء كفر فمن سب نبياً فقد كفر وإن كان من كان . وعبادة الأصنام والأوثان شرك بالله فمن عبد وثناً أو صنماً فهو من عبدة الأصنام والأوثان المشركين بالله فهو من أصحاب الجحيم وهكذا دواليك بلا خلاف ولا نزاع بين العقلاء والعلماء العارفين بل وأنصاف الجاهلين . فدعاء غير الله من الأموات والأصنام والملائكة والجان وكذا دعاء الأحياء وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله إما أن يكون خيراً جائزاً أو شراً محرماً فان كان الثانى لم يكن جائزاً عمله لا للمشركين والكافرين ولا للمؤمنين المسلمين ولا فرق . وإن كان الأول كان جائزاً عمله للمشركين وللمؤمنين ولا فرق . ولم يكن جائزاً لهؤلاء ممنوعاً على هؤلاء بالاجماع والبداهة . وهو لو كان جائزاً لم يكن جائزاً لأن المشركين لم يعملوه وإذا كان ممنوعاً لم يكن ممنوعاً لأن المشركين عملوه ، كلالهذه ولا لهذا ، وإنما منع لما فيه من الشر والقبح ولأن الله أراد منه مطلقاً ويجاز الأمر لما فيه من الحسن ولأنه لا قبح فيه ولأن الله يريد أن يميزه ولا تأثير لغير ذلك مطلقاً . وكل شيء ينهى الله المشركين عنه فى القرآن أو فى السنة فالمسلمون منهيون عنه أيضاً ، وكل شيء يحكم عليهم بالكفر والشرك لأجله فالمسلمون مشركون كافرون إذا فعلوه . وكل شيء يبيحه الله للمشركين أو يمتدحهم على فعله فهو مباح للمسلمين وهم ممدوحون عليه إذا ما فعلوه . هذا إذا لم

يكن هنالك نسخ وإلا فالحكم للناسخ
ولا يمكن أن ينهى الله المشركين والكافرين عن أمر من الأمور لأنه شرك
أو كفر ويكفرهم ويحكم عليهم بالشرك لفعلهم إياه ، ثم يكون ذلك الأمر حلالاً
للمسلمين وطاعة وإيماناً وتوحيداً ، بل إذا ما قال الله في كتابه لقد كفر المشركون
وكفرت اليهود والنصارى ، ونحو ذلك لأنهم دعوا الأموات وعبدوا الأصنام
والأوثان وضرعوا إلى الأحجار والأشجار ورجعوا إلى ذلك وطافوا به وذبحوا
ونذروا له ، فكل من يفعل هذه الأمور من المسلمين وغير المسلمين فهو كافر
ومشرك والمسلمون جميعاً يحكمون على فاعلي ذلك بالكفر والردة والخروج من الملة
وهذا معنى قولهم المشهور « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » وذلك أنه
ينظر إلى المعنى العام الذي تريد الآية النهي عنه والذم له بالاغضاء عن سبب نزولها
من هذه الناحية فينهي عنه وينظر إلى المعنى العام المباح في الآية بالاغضاء عن
سبب نزولها وعن الحادثة التي نزلت بمناسبةها فيمتدح ذلك المعنى العام ويباح ،
ولا تنهيد الآية المحللة والمحرمات المأدحة والذامة مطلقاً بالحادثة التي نزلت بمناسبةها
ولا بفعل العبد المكلف إذا نزلت الآية لأجل فعل فعله وأمر قام به من الطاعات
أو المعاصي فنزلت مأدحة أو ذامة مبيحة أو حافظة . ولو أن الآيات قيدت بأسباب
نزولها لما كان القرآن عاماً لكل الحوادث ولكل أعمال المسلمين ولما أمكن العمل
به في كل زمان ولما استطيع أخذ الأحكام اليوم وقبل اليوم منه ولكان ضيق
الدائرة محدود الفائدة . وذلك أن الكثير من النصوص نزل لمناسبات خاصة
وحوادث خاصة إما من المسلمين وإما من غير المسلمين . وقد ألفت الكتب في
هذا الموضوع موضوع أسباب النزول ومسميت بهذا الاسم « أسباب النزول »
وذكر من ذلك الشيء الكثير . وقد تكون آيات الحدود والعقوبات في القرآن
أسبابها خاصة . وقد يكون أكثر الأوامر والنواهي أسبابها كذلك خاصة . وإذا

ما كانت الآيات مقصورة على أسبابها استطيع أن يقال بقصر هذه الآيات آيات التشريع كلها على الأسباب الخاصة التي نزلت أو أن حدوثها . وهذا القول الذي قاله هذا الشيعي - ان للمشركين آيات وللمسلمين آيات وأن ما نهى عنه المشركون وأكفروا به لا ينهى عنه المسلمون ولا يكفرون به - هو قول بقصر الآيات على أسبابها ، وقول بتحديد معانيها بالامر الذي نزلت من أجله . وهذا هو القلط العظيم البعيد

والسرفى هذا كله أن الامر ينهى عنه ويحرم لأمر يرجع اليه هو لا إلى نفس عاملة . وأن الامر يباح ويؤمر به لأمر يرجع اليه هو لا إلى نفس عاملة . وهذا مالا خلاف فيه بين العقلاء . فالشرك منهى عنه لأجل ما فيه هو من التبع والظلم والشناعة لا لأن عاملة فلان أو فلان . والتوحيد مأمور به مطلوب من العباد لأجل ما فيه من الحسن والعدل والعقل . لا لأن عاملة فلان أو فلان ، وإذا كان ذلك كذلك فلا ريب أن ما نهى عنه المشركون في القرآن الكريم وأكفروا بفعله فالتناس كلهم مسلمين وغير مسلمين منهيون عنه وكافرون إذا هم فعلوه ، وأن ما أمر به المسلمون من الصحابة ومن بعد الصحابة مأمور به كل الناس مسلمين وغير مسلمين صالحين وفاسقين ، وهذا ظاهر لا يسمو اليه شك ، وما زال المسلمون والطاء والأئمة الأعلام يستدلون بالآيات العامة النازلة في الكفار والمشركين وفي اليهود والنصارى وفي سائر الفرق الخارجة على دين الله وعلى فطرته الأولى على ما يقتضون به المسلمون وما يريدون أن يفعلوه هم ، وما زالوا يأخذون من تلك العمومات الحجج والدلالات على معتقداتهم وإيمانهم ، ولا خلاف عندم أن القرآن إذا ما نهى اليهود أو النصارى أو المجوس عن أمر من الأمور أو أخبر أن ذلك كفر فيهم أنهم هم أيضا منهيون عن ذلك الامر وأنه كفر فيهم إذا ما هم صنعوه ولا ريب أنهم لن يقولوا إن ذلك الامر كفر في اليهود والنصارى ومن نزل فيهم

النفس فقط وأما نحن فلا جناح علينا أن نفعل ذلك ولنا مطالين بفعله أو تركه
وقد عقد الامام الشاطبي في أول كتابه الاعتصام فصلاً مبسوطاً رد به على
البدع والمبتدعين محتجاً بعموم الآيات النازلة في أهل الكتاب من اليهود والنصارى
وفي المشركين والكافرين ، ومستدلاً بالاطلاق والعموم ، وقد كثر في ذلك
الفصل روايات وأقوال كثيرة وردت عن السلف من الصحابة ومن بعد الصحابة
من التابعين ومن بعد التابعين قد احتجوا فيها بالآيات المطلقة النازلة أصلاً في
طوائف الشرك وأهل الكتاب على إثم البدعة وخطأ المبتدعين من المسلمين ، وعلى
ما أوعدهم الله به من العقاب الأشد الاليم . قال في الفصل المذكور : « والنقل يدل
على بطلان البدعة والابتداع من وجوه أحد الوجوه ما جاء في القرآن مما يدل على
ذم من ابتداع في دين الله بالجملة » ثم ذكر قوله تعالى في أول سورة آل عمران
« هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات
فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » وذكر
في تفسير الآية الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي الكريم قال « إذا
رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم » وذكر
رواية أخرى عن عائشة قالت : تلا رسول الله الآية وقال « فإذا رأيتم الذين
يمجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم » قال وجاء عن أنى غالب واسمه
حرور قال كنت بالشام فبعث المهلب سبعين رأساً من الخوارج فنصبوا على درج
في دمشق . فكنت على ظهر بيت لي فرأى أبو أمامة فنزلت فاتبعته فلما وقف عليهم
دمعت عيناه وقال سبحان الله ! ما يصنع السلطان ببني آدم قالها ثلاث مرات
كلاب جهنم كلاب جهنم . شر قتلى تحت ظل السماء ثلاث مرات . خير قتلى من
قتلهم . طوبى لمن قتلهم أو قتلوه . ثم التفت الى وقال يا أبا غالب إنك بأرض
كثير فأعاذك الله منهم . قلت رأيتك بكيت حين رأيتهم . قال بكيت رحمة

حين رأيتهم كانوا من أهل الاسلام . هل تقرأ سورة آل عمران ؟ قلت نعم
فقرأ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الآية ، وإن هؤلاء كان
في قلوبهم ذينغ ثم قرأ قوله تعالى « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . فأما
الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » قلت هؤلاء هم يا أبا
أمامة ؟ قال نعم . قلت من قبلك تقول أو شيء سمعته من النبي عليه السلام ؟ قال
إني أذن لجرى . بل سمعته من رسول الله لا مرة ولا مرتين حتى عد سبعا . قلت
ألا ترى الى ما فعلوا قال عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم . قال وروى ذلك اسماعيل
القاضي وغيره

قال ونقل حميد بن مهران قال سألت الحسن : كيف يصنع أهل هذه الاهواء
الحديثة بهذه الآية في آل عمران « ولا تكونوا كالذين تفرقوا » الآية ؟ قال
يذودها ورب الكعبة وراء ظهورهم . قال ابن وهب سمعت مالكا يقول ما آية
في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من أهل الاهواء من هذه الآية « يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين » الآية . قال مالك فأى كلام أين من
هذا ؟ فرأيت يتأولها لأهل الاهواء . ورواه ابن قاسم قال لي مالك : إنما هذه
الآية لأهل القبلة

قال الشاطبي : وما ذكره مالك في الآية نقل عن غير واحد كالذي تقدم
للحسن . وعن قتادة في قوله « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا » يعني أهل
البدع . وعن ابن عباس يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . قال تبيض وجوه أهل
السنة وتسود وجوه أهل البدعة

قال الشاطبي : ومن ذلك قوله « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست

منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » . قال وهذه الآية جاء تفسيرها في الحديث من طريق عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ يا عائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا من هم ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع وأصحاب الضلالة من هذه الأمة . يا عائشة ان لكل ذنب توبة ما خلا أصحاب البدع والأهواء ليست لهم توبة وأنا منهم برىء وهم منى براء . قال ابن عطية هذه الآية تعم أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدال والخوض في الكلام . هذه كلها عرضة للزال وسوء المعتقد . وحكى ابن بطال في شرح البخاري عن أبي حنيفة أنه قال لقيت عطاء بن أبي رباح بمكة فسأله عن شيء فقال من أين أنت قلت من أهل السكوفة . قال أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا . قلت نعم . قال من أى الاصناف أنت ؟ قلت ممن لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ولا يكفر أحدا بذنب . قال عطاء عرفت فالزم . وعن الحسن قد خرج يوما عثمان بن عفان يخطبنا فقطعوا عليه كلامه فتراموا بالبطحاء حتى جعلت لا أبصر أديم السماء . قال وممنا صوتنا من بعض حجر أزواج النبي عليه السلام فقليل هذا صوت أم المؤمنين . قال فسمعتها وهي تقول ألا إن نبيكم قد برىء ممن فرق دينه واحتزب وتلت : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » وعن أبي هريرة أنها نزلت في هذه الأمة . وعن أبي أمامة انهم هم الخوارج . قال القاضي : ظاهر القرآن يدل على أن كل من ابتدع في الدين بدعة من الخوارج وغيرهم فهو داخل في هذه الآية لأنهم إذا ابتدعوا تجادلوا وتخاصموا وفرقوا وكانوا شيعا

ثم قال الشاطبي : ومنها قوله تعالى : « ولا تكونوا من المشركين » من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » . وقد قرئ

« فارقوا دينهم » وفسر عن أبي هريرة أنهم الخوارج . ورواه أبو امامة مرفوعا : وقيل هم أصحاب الاهواء والبدع . قال : روته عائشة مرفوعا الى النبي عليه السلام . وذلك لأن هذا شأن من ابتدع حسبا قاله القاضي اسماعيل . وكما تقدم في الآيات الأخرى

ثم قال الشاطبي : وفي البخاري عن عمر بن مصعب قال سألت أبي عن قول الله « هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا » هم الحرورية ؟ قال لا . هم اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا بمحمد وأما النصارى فكذبوا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب ، والحرورية هم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه . وكان شعبة يسميهم الفاسقين

قال : وفي تفسير سعيد بن منصور عن مصعب بن سعد قال : قلت لأبي « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » أهم الحرورية ؟ قال لا . أولئك أصحاب الصوامع . ولكن الحرورية الذين قال الله فيهم « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » وقد جاء عن علي بن أبي طالب أنه فسر الآخسرين أعمالا بالحرورية أيضا ، فروى عبد الله بن حميد عن أبي الطفيل قال قام ابن الكواء إلى علي فقال يا أمير المؤمنين من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ قال منهم أهل حروراء . وهو أيضا منقول في تفسير سفيان الثوري . وفي جامع ابن وهب أنه سأل عن الآية فقال له ارق إلى أخبرك وكان على المنبر فرق اليه فتناوله بعضا كانت في يده فجعل يضربه بها . ثم قال له علي : أنت وأصحابك . وخرج عبد بن حميد أيضا عن محمد بن جبير ابن مطعم قال أخبرني رجل من بني أود أن عليا خطب الناس بالعراق وهو يسم فصاح به ابن الكواء من أقصى المسجد فقال يا أمير المؤمنين من الآخسرين أعمالا ؟ قال أنت . فقتل ابن الكواء يوم الخوارج . ونقل أهل التفسير أن ابن

الكواء سأله فقال أنتم أهل حروراء وأهل الرياء الذين يحبطون الصنيفة بالمنة . فالرواية الأولى تدل على أن أهل حروراء بعض من شملتهم الآية . ولما قال الله في وصفهم « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا » فوصفهم بالضللال مع ظن الاهتداء دل على أنهم هم المبتدعون في أعمالهم عموماً كانوا من أهل الكتاب أولاً ، من حيث قال النبي كل بدعة ضلالة . فقد يجتمع التفسيران في الآية : تفسير سعد بأنهم اليهود والنصارى ، وتفسير على بأنهم أهل البدعة . لأنهم قد اتفقوا على الابتداع ، ولذلك فسر كفر النصارى بأنهم تأولوا في الجنة غير ما هي عليه ، وهو التأويل بالرأى فاجتمعت الآيات الثلاث على ذم البدعة وأشهر كلام سعد بن أبي وقاص بأن كل آية اقتضت وصفاً من أوصاف المبتدعة فهم مقصودون بما فيها من الذم والحزى وسوء الجزاء ، إما بعموم اللفظ وإما بمعنى الوصف

ثم قال : وجاء عن سفيان وأبي قلابة وغيرهما أنهم قالوا كل صاحب بدعة أو قرية ذليل واستدلوا بقول الله « ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين » وخرج ابن وهب عن ابن عون عن محمد بن سيرين أنه قال : إني لأرى أمرع الناس ردة أصحاب الأهواء . قال ابن عون وكان ابن سيرين يرى أن هذه الآية في أصحاب الأهواء « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » الآية . وذكر الأجرى عن أبي الجوزاء أنه ذكر أصحاب الأهواء فقال : والذي نفس أبي الجوزاء في يده لأن تملىء داري قردة وخنازير أحب الى من أن يجاورني رجل منهم ، ولقد دخلوا في هذه الآية « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور » قال : والآيات المصروفة

والمشيرة الى ذمهم والنهي عن ملاسة أحوالهم كثيرة

هذا بعض ما ذكره الامام الشاطبي في الفصل المتقدم الذكر من كتابه
الاعتصام الذائع الاسم ، وقد تركنا من الفصل أشياء أخرى رغبة في الإيجاز .
وبما نقلناه هنا تعلم أن السلف من الصحابة والتابعين وسائر علماء الحديث
والفقه والدين لم يزالوا يحتجون بعموم الآيات على ما يشمله لفظها أو معناها من
أفعال المسلمين وأقوالهم ، وإن كانت قد نزلت أصالة في أهل الكتاب : اليهود
والنصارى ، وفي المشركين والكافرين والملحدون . والتفاسير القديمة والحديثة
المشحونة بتفاسير السلف والخلف ملأى بذلك . ومن طالع ابن جرير وابن كثير
والرازي وغير هؤلاء وجد من ذلك الشيء الكثير

وقد حكى الامام الشاطبي في مكان آخر من كتابه قال : حكى الباغي عن
الامام مالك أنه قال لا تجالس القدرى ولا تكلمه الا أن تجلس اليه فتغلظ عليه
لقوله تعالى « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله »
فلا توادهم . قال وحكى ابن وهب عن مالك أيضاً أنه كان إذا جاءه بعض أهل
الاهواء يقول أما أنا فعلى بينة من ربي وأما أنت فشاك فاذهب الى شاك مثلك ،
فخاصمه ثم قرأ قوله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني
وسبحان الله وما أنا من المشركين »

قال الشاطبي أيضاً : وحكى صياض عن سفيان بن عيينة قال سألت مالكا عن
أحرم من المدينة وراء الميقات ؟ فقال هذا مخالف لله ورسوله أخشى عليه الفتنة في
الدنيا والعذاب الآليم في الآخرة ، أما سمعت قوله تعالى « فليحذر الذين يخالفون
عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقد أمر النبي ﷺ أن يهل
من الميقات

وقد استدلل الشاطبي في كتابه المذكور بكثير من الآيات النازلة في المشركين

والكافرين على ذم الأهواء وأصحاب الأهواء والبدع وأصحابها من المسلمين ،
وذكر من ذلك نماذج كثيرة ، وروى عن علماء السلف من الصحابة ومن جاءوا
بعدم أشياء متعددة من هذا النوع وهذا الاستدلال

وقد ذكر فخر الدين الرازي - وهو الخصم الأول للسلفيين كما يزعم المخالفون -
في تفسيره ما هو أدخل في موضوعنا وأظهر في النقض على هذا الخصم ومن جرى
معه في هذا الشوط ، فذكر في تفسير قوله تعالى : « ويعبدن من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » قال : « ونظيره في
هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكاير على اعتقاد أنهم إذا
عظموا قبورهم فأنهم يكونون لهم شفعا عند الله تعالى »

تكفير الرازي
للمتعلقين
بالقبور

وهذا نص من هذا الشيخ لا يقبل الخلاف والخصام في أنه يرى تعظيم القبور
والاشتغال بها والعكوف عليها كفرًا وخروجًا من حظيرة الاسلام وإن كان الفاعل
لذلك من المسلمين ومن المدعين التوحيد . بل هو قد أ كفر بقوله هذا هؤلاء
المثوسلين الداعين للاموات صراحة

وقد تأول السلف قول الله تعالى حكاية عن ذلك الشقي الذي قال في القرآن
« إن هذا إلا سحر يؤثر » إن هذا إلا قول البشر . سأصليه سقر » في من زعم
من المبتدعين أن القرآن مخلوق فأكفروا من قال هذه المقالة من مبتدعة أهل
الاسلام أهل الأهواء ، وكذلك احتج العلماء من السلف وغيرهم بقوله تعالى « فان
تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » على أن تارك الصلاة من المسلمين
يقتل والآية نازلة أصالة في المشركين . واحتج من يقول بالكفار تارك الصلاة
من المسلمين بالآية الأخرى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في
الدين » والآية نازلة في الكافرين ، واحتجوا بقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت

مصيرا « على الاحتجاج بالاجماع وأن من خالفه فهو ضال أو كافر ، وهذه الآية صريحة في أنها نزلت أصلا في غير المسلمين ، ولكن احتجوا بالاطلاق والعموم واستدلوا بقوله تعالى في أهل الكتاب « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » مضافا إليها الحديث النبوي الآتي في تفسيرها على تحريم التقليد وقضايته وأن المقلدين على خطر عظيم ، واستدلوا بقوله تعالى : « من الذين هادوا بحرفون الكلم عن مواضعه » على تحريم تحريف الكلام وعظم جريرة المحرفين لقول عن سيده المعلوم ، واستدلوا بقوله تعالى « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم » على تحريم الغلو في الدين وعظم جريرة من يفعلون ذلك من المسلمين وغيرهم ، واحتجوا بقوله تعالى « وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » على عظم جريرة من دعى الى كتاب الله وسنة رسول الله فأبى أن يجيب وأعرض عن الداعي ، واحتجوا بقوله تعالى « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » على أن من يصنع ذلك من المسلمين يكون جزاؤه عند الله مافى هذه الآية من الاعداء الأشد ومن الطرد عن رحمة الله واحتجوا بقوله تعالى « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » على ذنب من لم يصنع ذلك من المؤمنين على عهد الرسول الكريم بل والمخالفون أنفسهم احتجوا بالآية على الذهاب الى قبر الرسول بعد وفاته وطلب الاستغفار والشفاعة منه ودعائه والضراعة اليه . مع أن الآية نازلة أصالة في جماعة من المنافقين الى غير ذلك من احتجاج المسلمين في جميع المصنوع بالآيات النازلة في جماعات أهل الكتاب والمشركين ، وعلماء الاسلام لا يختلفون في أن كل أمر ينهى الله المشركين والكافرين عنه ويعيبهم به ويوعدهم عليه بالنار والعذاب لا يختلفون في أن ذلك الامر محرم على المسلمين لا يحل لهم أن يقرؤوه بوجه من

الوجه إلا أن يستكون من الأمور التي تختلف فيها الشرائع الإلهية إذا جاء دليل على النسخ

فقول الشيعي إن الوهابيين ينزلون الآيات النازلة في المشركين والكافرين في المسلمين قول يوجه إلى المسلمين جميعاً كما رأيت

هذا ما يقال أولاً . ثم يقال بعد هذا : إما أن يريد هذا الرجل أن الوهابيين يتأولون هذه الآيات في من هو مسلم حقيقة وفي من جمع شرائط الاسلام والايمان فيكفرونه ويحكمون عليه بالردة والكفر وهو مسلم مؤمن ، وإما أن يريد أنهم يتأولون هذه الآيات في قوم ادعوا الاسلام والايمان وهم ليسوا كذلك بل هم مشركون كافرون وغاية ما عندهم ادعائهم الاسلام والايمان ادعاء وليس عندهم وراء ذلك الادعاء شيء من الاسلام والايمان

هذا هو ما يمكن أن يريد به قوله هذا . فان كان يريد الأول . قيل له هذا محال باطل . فانهم لا يكفرون المؤمنين ولا يستحلون إكفارهم والقدح في عقائدهم بل يرون الكفار المؤمنين من أكبر الكبائر وأجل الذنوب ، وأما إن كان يريد الافتراض الثاني أي إن كان يريد أنهم يتأولون الآيات النازلة في المشركين في قوم ادعوا الاسلام والايمان وهم ليسوا مؤمنين ولا مسلمين بل هم مشركون لعلمهم ما كان يعمل المشركون . قيل له هذا حق منهم لا ريب فيه ، وكل الناس يصنعون صنيعهم ويرون رأيهم . فان الكافر كافر سواء ادعى الاسلام أم ادعى الكفر ، والفاسق فاسق وإن زعم أنه صالح تقي ، والكاذب كاذب وإن ادعى الصدق والقاتل قاتل وإن قال أنى برىء ، والظالم ظالم وإن قال بآله شديقه انه لم يظلم أحداً وأنه المثل الأعلى للعادل ، وهذا لا ريب فيه فان الحقائق ثابتة كما هي وإن سميت بأسماء غير أسمائها بل وإن لم تسم مطلقاً والحق حق وإن سمي باطلاً ، والباطل باطل وإن سمي حقاً . فن ادعى لنفسه الاسلام وهو ليس كذلك فلا

رب أنه ليس كذلك . ولا أحد من المسلمين العارفين يدعى أن أحداً بادعائه الاسلام والايان ادعاء فقط يكون مسلماً مؤمناً وهو يعمل أعمال المشركين ويأتى ما يأتيه الكفرون من الشرك والتنديد . هذا باطل فلا بأس حينئذ في أن نتأول الآيات النازلة في المشركين في من عملوا أعمالهم وفعلوا أفعالهم ، سواء أقتدوا أم تأخروا ، وسواء أشعروا بحقيقتهم أم لم يشعروا

فإن قال الشيعى ، ولا بد أن يقول ، إن الوهابيين يتأولون هذه الآيات في المسلمين الذين يسألون الأموات ويدعونهم من كل مكان ويطلبونهم ضروب الحاجات دنية ودنيوية ، عاكفين على قبورهم منقطعين اليها ، وهؤلاء مسلمون وإن فعلوا ذلك ، بل وإن فعلوا أكثر منه وأشد . فإن هذا لا يوجب الكفر ولا الشرك . إن قال الشيعى هذا ، وهذا هو ما يقول ، قيل له قد رجعنا بهذا الى أصل المسألة ورأسها وصادرت القضية المطروحة بيننا وبينك ، فإن أصل قضيتنا نحن أن دعاء الأموات المنقطعين اليهم السائلين جميع الشئون مثل ما نشاهده اليوم عند كل ولى بل عند غير الأولياء : قضيتنا أن هؤلاء ليسوا مسلمين ولا مؤمنين وأنهم في هذه المطالب وهذا الغلو ضاريون الاسلام في الصميم ، ومصيبون التوحيد في المقتل . . وأنهم بذلك لاحقون عبدة الأصنام . وهذا ما سوف نتولى إقامة الدليل عليه من الكتاب والسنة . وهذا ما ثبتته إن شاء الله في هذا الكتاب ، أما مخالفونا كذا الشيعى فإنهم لا يخالفوننا في أن هؤلاء إذا كانوا كافرين عاملين أعمال الكفار يصح تأول الآيات النازلة اصالة في المشركين والكافرين فيهم وإن كانوا يدعون الاسلام ، ولكن هؤلاء المخالفين يخالفوننا في أن هؤلاء الداعين للأموات كفرون أو مشركون ، بل هم يزعمون أنهم مؤمنون ويزعمون أن دعاء الأموات وسؤالهم الحاجات لا يستوجب الكفر والشرك ، بل يدعون أن ذلك من الايمان والدين الذي جاءت به الأنبياء ونزلت به الكتب السماوية

فهذا هو أصل القضية والدعوى . فالخلاف بيننا وبين هؤلاء هو في دعاء
الأموات والانقطاع اليهم أ كفر هو أم إيمان ، ونحن نقول إنه كفر وهم يقولون
أنه إيمان ، ولا خلاف بيننا في أن المشركين والكافرين من المدعين الاسلام
والإيمان تشملهم الآيات النازلة في الكافرين والمشركين . فالذى على هذا الشيعى
إذن أن يقيم الدليل على أن هذه الأعمال التى تجترح فوق الأرضة ليست شركا
ولا كفرا وعلينا نحن إقامة الدلائل على أنها شرك بالله ، وإلا فإن اعتراضه
بالشكل الذى ذكر منطلق الى جميع المسلمين . فإن كل مسلم يعتقد أن كل كافر
تشمله الآيات النازلة في المشركين والكافرين وان ادعى الإيمان والتوحيد
والاخلاص . بل وان كان يحفظ القرآن والسنة ويعظمهما ويعظم شعائر الله ودينه
وكتبه ورساله . هذا ما لا ريب فيه ولا يتنازع الناس في أن من كفروا وأشركوا
من المسلمين أى المدعين الاسلام واقفون تحت إيمان الآيات النازلة في المشركين
والكافرين الأوائل ، ولكن الخلاف يعم بينهم هل هذا الانسان المعين كافر
وهل ذاك العمل المعين كفر . فاذا اعتقد أحد منهم أن إنسانا كافر فلا بد أن
يوقعه تحت الآيات النازلة في الكافرين . فالكلام هنا راجع الى أساس المسألة
وهي هل الاستغانة بالأموات وسؤالهم مالا يقدر عليه إلا الله إيمان أم كفر . فإن
كانت كفرا بطل كلام هذا الشيعى وان لم تكن كفرا كان اعتراضه منطلقا الى
الزعم أن هذه الأعمال كفر لا الى تنزيل الآيات النازلة في المشركين والكافرين
فيمين ليسوا مشركين ولا كافرين ، وهذا لا ريب فيه ، وذلك أن من تأول آية
نزلت في المشركين فيمين ليس مشركا إنما تأولها كذلك لاعتقاده أن ذلك الذى
تأولها فيه مشرك كافر ، ولولا هذا الاعتقاد لما تأولها كذلك . فالاغراض ان كان
ثم اعتراض راجع الى الاعتقاد بأن ذلك الانسان المعين هل أعمال المشركين
لا الى تأول الآيات العامة فيه اذا اعتقد أنه مشرك كافر . هذا ما يقال في المسألة .

من الجهة الفنية الجدلية ، وهذا ما يقال ثانيا

ثم يقال بعده : إن من الخطأ الظاهر الزعم أن الآيات التي استدلو بها على أن الأموات لا يدعون ولا يسألون نازلة كلها في الكافرين والمشركون أصالة فإن هذا الزعم ليس صحيحا ، فكثير من هذه الآيات نزل خطابا للمسلمين والمؤمنين ، وبمضيا نزل خطابا للرسول الكريم خاصة . فقول الله « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » من يقول من العلماء إنه نازل في المشركون خاصة ؟ وليس من شك أن الآية إن لم تكن خطابا للمسلمين منفردين فهي خطاب عام للفريقين المؤمنين والكافرين . وقوله تعالى « قل أئندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونزد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا . قل إن هدى الله هو الهدى » هو في دعاء المسلمين غير الله من الأصنام والملائكة والأولياء وغيرهم . وقوله تعالى « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة » عام كل من دعا غير الله . وقوله « ومن يدع مع الله إلها آخر لا يبرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون » عام كذلك . وقوله « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء أله مع الله » خطاب موجه للعباد كافة . وقوله « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذن من الظالمين » ان لم يكن خاصا بالرسول فليس خاصا بالمشركون والكافرين . وقوله تعالى خطابا لرسوله « قل أخبر الله أئخذ وليا » نص في أن الرسول ومن تبعه من المؤمنين لا يتخذون من دون الله أولياء . وقوله تعالى « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير » خطاب للنبيه كما هو ظاهر . وقوله « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له » خطاب للنبي أيضا ، وقوله « فاصب الله غلصا له الدين . ألا لله الدين

(٤٣٢)

الخالص، خطاب أيضا للنبي . ونظائر ذلك كثيرة معلومة لانستطيع حصرها كلها في هذا الكتاب

فزعم هذا الشيعي أن هذه الآيات التي يستدلون بها على امتناع دعوة الأموات نازلة في المشركين خاصة غلط مبين ، وهذا ما يقال ثالثا

ثم يقال بعد ما تقدم : ان هذا الشيعي لو كان جريئا على أن يقول الحق لقال إن الشيعة هي التي تتأول الآيات النازلة في أئمة الكفر والشرك في خلاصة المؤمنين والمسلمين خيار أصحاب النبي وجنود الله من الانصار والمهاجرين ، وهذا أمر لا يختلف الناس فيه وأمر لا تنكره الشيعة ، بل هي تفاخر به وتمكأثر ، وكتبهم المعتمدة المطبوعة ملأى بهذا أي بتأول الآيات النازلة في المشركين في صحابة رسول الله ومن دونهم

قال ابن قتيبة في كتاب تأويل مختلف الحديث صفحة ٨٦ « وقد قالوا في قول الله عز وجل إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة أنها عائشة ، وفي قوله فقلنا اضربوه ببعضها انه طلحة والزبير ، وقولهم في الخمر والميسر انهما أبو بكر وعمر وفي الجيت والطاغوت انهما معاوية وعمر بن العاص مع عجائب أرغب عن ذكرها ويرغب من بلغه كتابنا عن استماعها »

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : « ان الذين أدخلوا في دين الله ما ليس منه وحرفوا أحكام الشريعة ليسوا في طائفة أكثر منهم في الرفض فانهم أدخلوا في دين الله من الكذب على الرسول ما لم يكذب به غيرهم وردوا من الصدق ما لم يرد به غيرهم ، وحرفوا القرآن تحريفا لم يحرفه غيرهم مثل قولهم ان قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) نزلت في علي . وقوله تعالى (مرج البحرين) علي وفاطمة (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) الحسن والحسين (وكل شيء أحصيناه في امام مبين) علي بن أبي طالب

« ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » آل أبي طالب واسم أبي طالب عمران . « فقاتلوا أئمة الكفر » طلحة والزبير . والشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية . « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » عائشة . ولئن أشركت ليحبطن عملك أي ان أشركت بين أبي بكر وعلي في الولاية . وكل هذا وأمثاله وجدته في كتبهم . ثم من هذا دخلت الامماعيلية والنصيرية في تأويل الواجبات والمحرمات^(١) ،

وقال صاحب كتاب الشيعة ص ٦٣ : « أما التحريف الذي وقع والذي يقع فان كتب الشيعة كلها قد حُرِفَتْ وتحرف آيات كثيرة وسوراً عديدة في تأويلها وتنزيلها . وقد جُمِعَتْ آيات تزيد على مائتين من أمهات كتب الشيعة حُرِفَتْها كتب الشيعة أشنع تحريف . ومن أشنعها أن قول الله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون الذين كفروا هؤلاء أهلهي من الذين آمنوا سبيلاً) انها قد نزلت في الصحابة بعد وفاة النبي وأن الصحابة والأئمة قد أنصكرت ما لعل ولأولاده حسداً وبغياً . أصول الكافي (٢ : ١٥٨) وهذه الصحائف في أصول الكافي موضوعة على ألسنة الأئمة إن ثبتت فهي عيب على الأئمة لا ريب في وضعها وضعها كتب الشيعة وحرفت الكتاب الكريم تحريفاً شنيعاً ومنها أن قول الله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) يقول الكافي هم أولياء أبي بكر وعمر اتخضوهم أئمة دون الامام الذي جعله الله وهو علي . قيل لصادق ألم يكن علي قويا في دين الله قال بل قيل فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يدفعهم وما منعه من ذلك . قال الصادق آية في كتاب الله منعه . قيل أي آية قال « لو تزيَّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما » كان لله ودائم مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين ولم يكن علي

يقتل الآباء حتى يخرج الودائع . فلما خرجت على علي ظهر من ظهر فقتلهم . عن الكافي في الوافي (٢ : ١٥٢) . وروى العباس عن الباقر قال : لما قال النبي « اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام » أنزل الله « وما كنت متخذ المضلين عضدا »

« وأصول الكافي ذكرت كل الآيات محرفة تحريفا يخرجها عن أن تكون كلام حافل . وكل آية نزلت في الكفار رجعتها الشيعة إلى الصديق والفاروق ومن اتبعها إلى كل الأمة : « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا » تقول أصول الكافي (٣ : ٣٢٥) إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان . آمنوا بالنبي أولا ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية علي . ثم آمنوا بالبيعة اهل بيته ثم كفروا بعد موت النبي ثم ازدادوا كفرا بأخذ البيعة من كل الأمة » وقال أيضا صاحب الوشيعة ص ٤١ : « وروى الوافي عن التهذيب والكافي (٢ : ٤٥) عن الباقر لما أخذ النبي يوم الغدير بيده على صرخ إبليس في جنوده صرخة لم يبق منهم أحد في بر ولا بحر الا آفاه . فقالوا ماذا دهالك ما سمعنا لك صرخة أوحش من هذه . فقال نعم فعل هذا النبي فعلا ان تم لم يعص الله أحد أبدا . فقالوا يا سيد أنت كنت لأدم أغويته . ولما قال المنافقون إنه ينطق عن الهوى وقال أحدهما لصاحبه (أبو بكر لعمر) أما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنه مجنون ، يعنون النبي صرخ إبليس صرخة تطرب فجمع أوليائه ثم قال أما قلتم اني كنت لأدم من قبل قالوا نعم قال آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب وهؤلاء أنكروا العهد وكفروا بالرسول . ولما قبض النبي وأقام الناس أبا بكر لبس إبليس تاج الملك ونصب منبراً وقعد في ألويته وجمع خيله ورجله ثم قال لهم اطربوا فلن يطاع الله أبداً حتى يقوم إمام ثم تلا الباقر (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين) قال الباقر : كان تأويل هذه الآية لما

قبض النبي والظن من ابليس حين قالوا انه ينطق عن الهوى صدقوا ظن ابليس .
وفي الوافي (٢ - ٢٥) عن سلمان عن علي ان اول من بايع ابا بكر هو ابليس وان
النبي قد قال ان اول من يبايع ابا بكر في منبري هذا هو ابليس . وفي الوافي
(٢ : ٤٧) قال الصادق : ان قول الله (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون) نزل في أبي بكر وعمر حين قالوا
يوم الخدير انظروا الى عينيه تدوران كأنهما عينا مجنون . ويقول الصادق (ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) نزلت في أبي بكر وعمر
وأبي عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وسالم والمغيرة حين كتبوا الكتاب وتماهدوا
وتفاسموا اثن مضى محمد لا تكون الخلافة في بني هاشم ولا النبوة أبداً . ونزل
(أم أيرموا أمراً فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) هاتان
الآيتان نزلتا في هؤلاء . وعن الباقر والصادق إن ابا بكر ساعة موته دعا بالويل
والثبور فجعل يقول هذا محمد وهذا علي يبشراتي بالنار ويده الصديقة التي تعاهدنا
عليها في الكعبة وهو يقول : لقد وفيت بها يا منافق اظاهرت على ولي الله فابشر
بالدرك الأسفل من النار في أسفل السافلين . وفي الكافي (٢ - ٥١) عن الصادق
عن الباقر أن الرسول أقبل يقول على أبي بكر وهو في القار يرتعد اسكن فان الله
معنا وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن . فلما رأى النبي ﷺ حاله قال له أتريد أن
أريك أصحابي من الأنصار في المجالس يتحدثون وأريك جعفراً وأصحابه في
البحر يفوصون ؟ قال نعم : فسح النبي يده على وجهه فنظر أبو بكر الى الأنصار
يتحدثون ونظر الى جعفر وأصحابه في البحر يفوصون ، فأضمر في تلك الساعة
انه ساحر ، فسمى صديقاً »

ومن الظريف أن تكون الشيعة مخترعة هذه الفرائب والعظائم ثم يجرؤ هذا
الشيعة على اتهام أهل السنة بتأويل الآيات النازلة في الكافرين في المؤمنين

والاحاديث التي ذكرها هنا أما الأول وهو قول عبد الله بن عمر في الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين . فيقال فيه إنه يعنى بذلك مثلما ذهبت اليه الشيعة إذ جعلوا الآيات النازلة في رؤوس الكفار وصناديد الشرك في خيار الصحابة من الأنصار والمهاجرين أمثال أبي بكر وعمر وطلحة والزبير وعائشة وحفصة وغير هؤلاء من سادات المسلمين ، وذلك أن الخوارج قد أكفروا الخلفاء في عصرهم وأكفروا من تولاهم ورضى حكمهم من المسلمين . فأكفروا عثمان وعلياً ومعاوية وعمر بن العاص ومن تولى هؤلاء أو أطاعهم أو دان لحكومتهم ، والشيعة فعلت ما هو أشنع من فعل الخوارج . فأنهم ~~كفروا~~ الخلفاء الأربعة إلا علياً وبعضهم تناول علياً أيضاً بالتجريح والتكفير وأكفروا الصحابة ما خلا طائفة قليلة تولت علياً في زعمهم وعرفت له الحق الذي عرفته له الشيعة : وأما من عدا هؤلاء من الصحابة والخلفاء فكفار لدى الشيعة وتأولت فيهم الآيات النازلة في الكفار كما سبق . فأكفرت سائر المسلمين الذين يتولون الخلفاء الثلاثة أو يقدمونهم على علي والذين يتولون معاوية وغيره من الأمويين والذين لا يكفرون هؤلاء ، وتأولوا أيضاً الأحاديث في إكفار المسلمين كما تأولوا الآيات ، وتأولوا قوله عليه السلام : « ليزادن أقوام عن حوضي يوم القيامة فأقول أحبابي أحبابي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . » إنهم مازالوا على أعقابهم مرتدين فأقول سحقاً سحقاً » فزعموا أن هذا الحديث يدل على أن الصحابة ومنهم الخلفاء ومنهم أمهات المؤمنين كمعائشة وحفصة قد ارتدوا بعد وفاة النبي عليه السلام . وبعض الشيعة يزعمون أنهم كانوا منافقين ومخادعين للنبي ، وأنهم ما آمنوا ولا أسلموا . وكذلك تأولوا حديث الفتنة من قبل المشرق الفتنة هاهنا بأن الإشارة كانت إلى عائشة رضي الله عنها كما تقدم عن أحد شيوخهم في أحد كتبهم وهو كشف الغطاء

وفعل الشيعة في هذا الباب مثل فعل الخوارج إلا أن الفرق بين العائنتين .
 أن الشيعة أفرس وأعدى في هذا الميدان ميدان العدوان على المسلمين وعلى عقائدهم
 فإن الشيعة يكفرون أقواماً لا يكفرهم الخوارج بل يتولونهم ويحبونهم كأبي بكر
 وعمر اللذين تخصهما الشيعة بأشد المهجاء والذمة والتضليل . فقول عبد الله بن عمر
 يعني هذا النوع من الاكفار والاعتداء على المسلمين ومن التأويل الفاضح لكتاب
 الله ، ولا يمكن أن يعني بقوله هذا أن الخوارج يكفرون عباد القبور المقطعين
 اليها . قال الخوارج لم يصنعوا ذلك لأن عبادة القبور بدعة محدثة في الاسلام
 بعد ما تناقص العلم وتزايد الجهل وكثر الداخلون في الاسلام من الزنادقة الذين
 ما ادعوا الدخول فيه إلا لأجل الدس فيه وإفساده ونحن لا نرتاب أن عباد القبور
 بالنحو الموجود اليوم وبالنحو الذي يدعو اليه هذا الشيعي لو كانوا موجودين في
 عهد الصحابة وعهد أئمة الاسلام لما توقفوا في إكفارهم وفي الحكم عليهم بالردة
 وهذا ما يأتي بيانه وعلى كل حال هذا راجع الى أصل القضية . فان كان عباد
 القبور كفاراً ومشركين فلا ريب في أنهم داخلون في الآيات النازلة في المشركين
 ولا يشك في هذا أحد لا عبد الله بن عمر ولا غيره ولا هذا التحالف ، وان
 كانوا غير كفار أمكن أن ينطلق هذا الاعتراض الى هؤلاء الذين كفروا
 بعبدة القبور

وأما الرواية الأخرى التي قال انها في غير البخاري عن عبد الله بن عمر ان
 الرسول قال أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه
 فيقال في الجواب قال أحد علماء الهند وهو الشيخ محمد بشير من كبار المحدثين في
 عصره في كتابه صيانة الانسان إن هذا الحديث ليس من رواية عبد الله بن عمر
 وإنما هو من رواية عمر رضى الله عنها رواه عنه الطبراني في الأوسط كما في مجمع
 الزوائد ، وفي سننه اسماعيل بن قيس الأنصاري وهو متروك الحديث ذكر

ذلك في مجمع الزوائد . فالحديث عن عمر لا عن عبد الله بن عمر ثم هو حديث ضعيف . هذا من جهة السند وأما من جهة معناه فلا ريب في صحته . فان المتأولين للقرآن الكريم واللسنة النبوية الواضعين لها في غير مواضعهما مأكبر المصائب التي زعمت العقائد الاسلامية الصحيحة النقية من الاخلاط والفضلات الضارة ، والفرق المتأولة للقرآن والسنة هي من أعظم المعاول الهدامة لصرح الاسلام المشمخ وبنائه الرفيع المنيع ، وما أكثر ما أتى الاسلام من هذه الناحية ناحية التأويل والتفسير الباطل لنصوصه . فان المتأولين لم يدعوا في الاسلام عقيدة يقينية ولا نصاً ثابتاً لا شك فيه إلا تناولوها بالتشكيك وبلاعتراضات الفاشلة وبالتأويلات السخيفة . أليست الشيعة قد أولت فرائض الاسلام الخس بأن المراد بها رجال . أليس قد تناول أحد شيوخهم واسمه بيان قول الله « هذا بيان للناس » في نفسه ، وتناول شيخ آخر منهم وهو المفيرة بن سعيد العجلي قوله « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك » في الخليفة عمر ، وتناول قوله « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » فزعم أن الأمانة التي عرضت على السموات وعلى الأرض والجبال هي منع على رضى الله عنه من الخلافة فتورعت هذه المخلوقات عن هذا الاثم فقام أبو بكر بالخيلولة بين علي وبين الخلافة بإرشاد عمر ومعوته على شريطة أن تكون له الخلافة من بعده ، والانسان الجاهل الظالم في الآية هو أبو بكر ، وتاولت فرقة منهم وهي المعروفة بالمنصورية أصحاب أبي منصور العجلي أحد شيوخ الشيعة قوله تعالى « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً » في صاحبهم هذا ، وزعموا أنه الكسف الساقط من السماء ، وهكذا زعم هو لنفسه ، وتناول أحد شيوخهم وهو بيان وأصحابه البيانية قول الله « كل شيء هالك إلا وجهه » في أن الاله يهلك كله حاشا وجهه ، وزعمت طائفة منهم أن كل مؤمن يوحى اليه

وتأولوا قول الله « وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله » على معنى الا بوحى اليه من الله ، وكذا تأولوا قوله « وأوحى ربك الى النحل » في ذلك ، وتاول أحد شيوخهم وهو أحد الكيال وأتباعه الكيالية الصراط المستقيم في نفسه والجنة في الوصول الى علمه من البصائر والنار في الوصول الى ما يضافه ، وزعم أحد شيوخهم أن قول الله تعالى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » يعنى به على بن أبى طالب ، وزعموا أن قوله « ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا » يدل على أن من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم ووصل الى الكمال ، وهذا كله ذكره الشهرستاني في كتابه المال والنحل والشهرستاني قد شرط على نفسه في مقدمة كتابه ألا يعزو الى قوم إلا ما وجدته في كتبهم لا في كتب مخالفيهم ، وقد ذكر هذا أيضاً غير الشهرستاني ، وتقدم بعض هذه التأويل الفاضحة مثل قولهم إن قول الله يأمركم أن تذبحوا بقرة يعنى بها السيدة عائشة وقولهم في فقاتلوا أئمة الكفر أنهم طلحة والزبير وأن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية ، وأن المراد بقوله ولئن أشركت ليحبطن عملك الاشرك بين على وأبى بكر في الولاية ، وقالوا إن المراد بالبحرين في قوله مرج البحرين على وقاطمة وأن الأوّل والمرجان الحسن والحسين ، وقالوا في قوله تعالى « وكل شيء أحصيناه في امام مبين » أنه على وقالوا في قوله « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » ان هؤلاء هم آل أبى طالب وامم أبى طالب عمران ، وتأولوا الحب والطاغوت الواردين في الكتاب العزيز بابى بكر وعمر ونظائر ذلك من الأقوال التي اعتدوا بها على كتاب الله وعلى الاسلام وعلى المسلمين وعلى الصحابة وعلى الرسول وعلى الأمة وعلى الذوق وعلى الأدب والمنطق وعلى كل فضيلة

وكذلك تأولوا آيات التوحيد توحيد الاسماء والصفات وتوحيد العبادة

والألوهية بأولات في نهاية الفساد والنأى عما أراد الله وعما تدل عليه اللغة التي نزل بها القرآن فحرفوا الآيات الأمرة بتوحيد الله وعبادته وإفراده بالدعاء والرجاء والألوهية تحريفاً سوف يرى القارىء منه ضرورياً متنوعة في هذا الكتاب وكذلك حرفوا آيات الصفات أشنع التحريف كما يجد القارىء ضرورياً من ذلك في هذا الكتاب أيضاً، حتى زعموا أنه يجوز سؤال العباد كل ما يسأل الله من المطالب العالية التي لا يقدر عليها سوى الله . فجوزوا أن يطلب العبد من الميت أن يهدي قلبه وأن يغفر ذنبه وأن يزيد في أجله وأن يرجع له غائبه وأن يدخله الجنات ونظائر ذلك . وحرفوا الآيات الزاجرة أفسى الزجر عن دعاء المخلوق ورجائه وندائه وعن التعلق به والانقطاع إليه بل لقد حرفوا القرآن كله . فإن أم مسألة عنى بها القرآن هي مسألة توحيد الله وإفراده بالعبادة من النداء والدعاء والرجاء دون الأموات ومن لا يقدر على شيء من خلقه العاجزين الضعفاء . ثم لم يقفوا عند هذا الحد من التحريف الشائن المشوه حتى ذهبوا يؤولون كلام هؤلاء الداعين للأموات المنقطعين إلى الأجداث فزعموا أن قول القائل من عبدة القبور يا فلان اشفني واغفر ذنبي معناه كن لي وسيطاً وشفيعاً ، وزعموا أنهم لا يعنون ظاهر قولهم وما يثب إلى الأذهان منه . فجمعوا بذلك بين أنواع كثيرة من الأخطاء والأوهام والتحريف الشنيع لكلام الله وكلام خلقه

فهذا الحديث إذاً صبح كان يعنى هؤلاء ونظراءهم من المحرفين المؤلفين لكلام الله وسنة رسوله الواضحين لهما في غير مواضعهما . فالحديث رد على الشيعة وإخراجهم إن كان صحيحاً

وأما أهل السنة من أهل نجد الذين يدهى الرد عليهم فإنهم مستمسكون بسنة السلف وطريق الرعيل الأول من المؤمنين المعظمين لكلام الله وسنة رسوله الواقفين حيث وقفوا . وهم من أبعد الناس عن التأويل الموحج ، بل هم من أمقت

الناس لهذا التأويل ولمن يتعاطونه ويمنحون اليه . فهم لا يجيزون تأويلا واحدا لم ينقل عن السلف وعن خير القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وعلماء الحديث والفقه والدين وأئمة الفتوى المشهورين بالعلم وبالصالح والامامة . بل هم لا يقولون قولاً واحداً أو يرون رأياً واحداً لم يؤثر عن السلف لافي الأصول ولا في الفروع وهم لا يقولون في التوسل ودعاء الاموات وغير ذلك إلا بما نقل عن السلف وعن أئمة الاسلام . لا يسبقون الى رأى فى ذلك ولا يبتدعون بدعة واحدة . وهم فى تفسير كتاب الله لا يعدلون عن تفاسير السلف من الصحابة والتابعين ، ولا يرغبون عن ذلك البتة ، بل يرون أن الذين يرغبون عن تفسير السلف من الصحابة وأئمة الدين غاطلون مبتدعون ولا ريب ، ومن طالع كتبهم عرف لهم ذلك

وقوم هكذا يفعلون لا يمكن أن يكونوا من الذين يتأولون القرآن ويضعونه فى غير مواضعه ، الا أن يكون السلف كذلك لأنهم لهم تبع . وحاشا الله السلف عن هذا

فلا يمكن تأول هذا الحديث فيهم . ومن تأوله كذلك فقد صار هو تأويله . وهذا الشيى الذى أول أصحاب الخوارج وهذا الحديث فى أهل السنة من أهل نجد هو فى الحق واقع تحت تأويل هذا الحديث وغيره من الأحاديث فى هذا المقام . فإنه قد تأول النصوص الواردة فى الخوارج الضالين الذين أكَفَرُوا الصحابة والمسلمين فى أهل السنة من التجديدين المتمسكين بالوحيين وبما جاء عن السلف الصالح نفيًا وإثباتًا لا يزدون ولا ينقصون فكان الرافضى بهذا التأويل من المؤولين الواضحين للنصوص فى غير مواضعها . لأنه تأول أحاديث الخوارج المضللين فى أهل السنة . فما أخلفه بما فى هذا الحديث من ملامة وهجاء ١١ وما أقبح قول الباطل ، ولكن أقبح منه أن تحمل ما فيك من باطل على

البريء إلا من الحق

وأما الرواية الثالثة التي عراها إلى عبد الله بن عباس قال قول فيها إن كانت
صحيحة كقول في الروايتين قبلها ، يد أنى لا أحسبها صحيحة عن ابن عباس فإن
ظاهرهما بعيد عن الحق . وذلك أنه يقول إن آيات القرآن نزلت في المشركين
وأهل الكتاب إطلاقاً . وليس من الحق ولا مما يشابه الحق الزعم أن آيات القرآن
كلها نزلت في المشركين وأهل الكتاب ، بل هذا الزعم خلاف الحق وخلاف
الاجماع والمعلوم بالبداية . ومن الأسراف الذي لا يقبل الادعاء أن القرآن قد
نزل في المشركين وأهل الكتاب خاصة . وإذا ما كان قد نزل في المشركين وأهل
الكتاب خاصة وكان كل ما نزل في المشركين وأهل الكتاب لا يجوز الاحتجاج به
على أعمال المسلمين وأقوالهم ، فبماذا يحتج على أعمال المسلمين وعقائدهم ، ومعرفة
الصحيح والباطل منها ، فبماذا يعرف المسلمون عقائدهم ودينهم وما يصح من ذلك
وما لا يصح إذا ما كان القرآن قد نزل في المشركين الكافرين خاصة ؟ أنه
لا مرجع حينئذ لعقائد أهل الإسلام ولما يجمل من الآراء وما لا يجمل . وهذا
عين الانسلاخ والتصل من الدين جملة

ثم قال الرافضو : « حادى عشر - كما أن الخوارج سيأثم التحليق والتسبيد كما
جاء في الأخبار الكثيرة ، ومن المرجح أو المعلوم انطباق تلك الأخبار على الوهابية
أو عليهم وعلى الخوارج ، وفي خلاصة الكلام أن التابعين لمحمد بن عبد الوهاب
كانوا يأمرهم من اتبعهم بخلق رأسه ولا يتركون من اتبعهم ينارقه حتى يخلقوا
رأسه ، وكان عبد الرحمن الأهدل يقول لا يحتاج إلى التأليف في الرد على ابن
عبد الوهاب ويكفى في الرد عليه قوله عليه السلام في الخوارج « سيأثم التحليق »
فانه لم يفعله أحد من المبتدعة وكان ابن عبد الوهاب يأمر بخلق رؤوس من اتبعه
من النساء . فدخلت في دينه امرأة وجددت إسلامها بزعمه فأمر بخلق رأسها

فقلت شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجل فلو أمرت بحلق لحى الرجال لساخ
أن تأمر بحلق رؤوس النساء فلم يحرجوا . انتهى كلامه .
ونحن نقول : لا ريب أن الخوارج كانوا يحلقون رؤوسهم ، ولا ريب أن النبي
الكريم ﷺ قد أخبر أن من علاماتهم وصفاتهم التحليق . فانه قال فيهم سيماهم
التحليق والتسبيد . والتسبيد قيل هو الحلق وقيل هو التشعيث . هذا لا ريب فيه
عندنا ، ولكن قول الشيعة : « ومن المرجح أو المعلوم انطباق هذه الأخبار على
الوهابية » قول فاسد مردود ، ويان ذلك أن حجته في هذا القول هي أن النجديين
فيهم من يحلقون رؤوسهم . بل أكثرهم يصنعون ذلك ، ولكن فات الشيعة النظر إلى
معنى السيمى فإن سيمى القوم وهي علامتهم ما به يتميزون عن غيرهم وما به يعرفون
ويختصون ، وإلا إذا كان الأمر مشتركاً بين الناس مشاعاً بين أصنافهم فليس سيمى
لطائفة ولا علامة . فان السيمى فيها معنى التسمية والعلامة فيها معنى التعلیم . فالأكل
والشرب ليسا سيمى لطائفة من الناس ، وذلك لأن الأكل والشرب أمران يشترك
فيهما الناس بل ويشار إليهما فيهما الحيوان . وكذلك اللباس ليس سيمى ولا علامة
لأحد من الإنسان لأنه مشاع بين أفرادهم . وكذلك الكلام والمشي وجميع الأشياء
المشتركة المشاعة وهذا ما لا ريب فيه . فالسيمى هي العلامة المميزة لصاحبها عن غيره
وهي قد تكون إضافية وقد تكون حقيقية نظراً لاختلاف الزمان والمكان والبيئة .
فالتصلاة والسيام وحج البيت الحرام وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
كل هذه الأشياء سيمى للمسلمين تميزهم عن غيرهم من الأمم التي ليست مسلمة .
وذلك لأن هذه الأمور خاصة بالمسلمين لا يفعلها سواهم ، ولكن الإيمان بالله أى
الاعتراف بوجوده والضرعة إليه ودعائه ليس سيمى للمسلمين ، وذلك أن هذه
الأمور يشارك المسلمون فيها غيرهم من الأهلين المقربين بالأنبياء وبالديانات لا ينفرد
بها المسلمون . وكذلك مثلاً الاقرار بالبعث والجزاء والحساب والدار الآخرة

لا يقال إن ذلك سيمى المسلمين . لأن جميع المؤمنين بالأنبياء وبالوحى الالهي يؤمنون بذلك ويعترفون به لا ينكرونه ، ولكن هذا قد يكون سيمى للمؤمنين بوجود الاله . لأن من لا يؤمن بالله لا يمكن أن يؤمن بذلك . فهو سيمى لمن آمن بالله لأنه يميزهم عن الجاحدين للملحين ، وهكذا يقال في أشباه ذلك مما لم نذكره وإذا ما علم هذا قيل إن « التحليق » لا يمكن أن يكون سيمى لأحد اليوم لأن التحليق أمر فعله أم كثيرة في أقطار كثيرة من الاقطار الاسلامية . فلا يمكن أن يكون سيمى للتجدين يقينا ، وذلك أنهم ليسوا هم وحدهم الذين يخلقون وؤوسهم . فأكثر العرب في جزيرتهم يخلقون وؤوسهم كالنجديين سواء . فالحجازيون يخلقون ، وأهل اليمن يخلقون ، وأهل عمان يخلقون ، وفي العراق من يخلقون ، وفي الشام (سوريا وفلسطين) من يخلقون ، وفي مصر من يخلقون ، وفي النجديين من يخلقون ، ومنهم من يوفرون شعورهم كما في غيرهم من يصنعون ذلك ؛ ولا فرق بين النجديين وبين غيرهم من العرب في هذه المسألة مسألة التحليق . فهم لا يتميزون عن أهل اليمن أو عن أهل الحجاز أو عن أهل عمان أو عن أهل البحرين والكويت والعراق والشام بذلك . فلا يمكن أن يكون مظهر ذلك علامة لأحد هؤلاء النجديين ولا لغيرهم من أهل هذه البلاد . فكل هؤلاء فيهم من يخلقون ، وفيهم من يقصرون ، وفيهم من يوفرون ويطلقون وهؤلاء يوجدون في نجد كما يوجدون في هذه الاقطار أيضا ، ولهذا لا يمكن أن يكون خلق الرأس علامة لأهل قطر من هذه الاقطار ولا لأهل مذهب من هذه المذاهب . فن رأى مخلوق الرأس لم يمكن أن يستدل بهذا على بلده وقطره أو عقيدته ومذهبه ، وكذلك من رأى من يوفر شعره ومن يقصره لم يمكن أن يستدل بذلك على قطره وبلده أو عقيدته ومذهبه . فإذا مارأيت من خلق شعر رأسه واستأصله فلن تحكم لأجل هذا بأن هذا الخالق المستأصل نجدى ، وإذا رأيت

من وفر شعره وبالع في توفيره فلن نستطيع أن تحكم عليه بأنه غير نجدى بمجرد توفيره شعره . بل أمكن أن يكون ذلك نجديا وأمكن أن يكون غير نجدى وكذلك الحال يمكن أن يكون نجديا ويمكن أن يكون غيره ، وهذا لا ريب فيه ، وهذا لأن خلق الرأس ليس من خصائص النجديين ولأن توفيره ليس من خصائص غيرهم . فالخلق ليس سمي لم يقينا والتوفير والاعفاء ليس سمي لغيرهم بلا شك . بل هما أمران مشتركان موجودان في النجديين وفي غيرهم

وإذا كان ذلك كذلك فلا يمكن البتة أن يعد خلق الرأس سمي لأهل نجد ، لأنه كما ذكرنا شائع فيهم وفي غيرهم . وذلك كما أنه لا يمكن أن يكون لبس (العقال) أو العباءة سمي لهم ، لأن غيرهم من العرب يلبسون ذلك . وكذلك مثلا اعفاء شعر الوجه لا يمكن أن يكون سمي للنجديين ولا لغيرهم من المسلمين وغير المسلمين . لأن ذلك كله فعله خلق كثيرون في بلاد العرب وفي غيرها من العرب وغير العرب من المسلمين وغير المسلمين كخلق الرأس ولا فرق . والخبر القائل في الطائفة الضالة « سيهم التحليق » لا يمكن أن يعنى بهذه السمي أمرا عاما مشتركا يوجد في الطائفة المذمومة وفي غيرها . وإنما يعنى سمي خاصة مميزة فارقة لا توجد إلا في الطائفة وسحدها في عصرها السكائنة فيه . وإلا إذا كان يعنى أمرا يوجد في الطائفة وفي غيرها وفي مخالفيها الذين يقاتلونهم ويظفرون بها ويثابون على قتالها فكيف يكون سمي لها وعلامة عليها . والسمي كما ذكرنا هي الخاصة الفارقة . ومثل هذا لا يمكن أن يكون خاصا بالطائفة المشار إليها ، كما أن مجرد الصلاة والصيام والقيام بفرائض الاسلام لا يمكن أن يعد علامة على الخوارج . لأن هذه الأمور يؤديها جميع المسلمين ليست من فرائض الخوارج . ومن عده هذه العبادات سمي للخوارج أو لطائفة خاصة من طوائف أهل الاسلام فقد غلط

خلعاً ظاهراً للخاصة والعامة

فالسبب المذكور في الحديث لابد أن تكون خاصة بأهلها وبالطائفة المقصودة بالخبر وبالمذمة . وهذا واضح معلوم . وعلى هذا ليس التحليق سبباً للنجديين بالضرورة البينة ، وإذا ما قال قائل كهذا الشيء إن المعنيين بهذا الخبر هم النجديون لأنهم يخلقون شعورهم قيل له ولماذا لا يكون به غير النجديين من الخلقين شعورهم أو قيل له على سبيل البت إن المعنيين به قوم كذا ممن يخلقون . وإذا قال إن هذا الحديث يدل على مذمة النجديين لأنهم يشاركون الخوارج في التحليق قيل له إذن هو دليل على مذمة جميع العرب وجميع المسلمين الذين يخلقون . حينئذ لا يكون الذم متوجهاً إلى هذه العقيدة التي تنكرها وتأبأها . لأن الذم قد انطلق حينئذ إلى من لا يدينون بهذه العقيدة السلفية ممن يخلقون شعورهم من المسلمين سوى النجديين . وإذا كان هذا الذم منطلقاً إلى أصحاب هذه العقيدة السلفية وإلى خصومها ومن لا ينعمون بها عينا لم يكن ذكر هذه المذمة في النقص على أصحاب هذه العقيدة حقاً ولا صواباً ولم يكن جعلها من الأدلة على فساد هذه العقيدة إنصافاً ولا عدلاً ، ولم يكن في هذا دلالة لا قرينة ولا ضئيلة على ذم هذا المذهب وضعفه وبطلانه . وإذا كان المخالف يريد أن هناك ذنباً يشترك فيه النجديون وغيرهم من الناس لا يتعلق بالدعوة السلفية بل بشيء آخر ، إذا كان المخالف يريد هذا وكان ما ذكر هنا لا يثبت غيره قيل له : نحن لا نعرض في كتابنا هذا إلا لابطال المقالة التي توجه إلى هذه الدعوة وأصحابها خاصة . وأما من قدح في المسلمين كافة فهذا له مقام آخر . وإذا قال هذا المخالف إن هذا يدل على أن الوهابيين من الخوارج لأنهم يوافقونهم في خلق الشر قيل له إذن المخالفون للوهابيين الذين يخلقون شعورهم من الخوارج أيضاً . وإذا كان الوهابيون والمخالفون لهم خوارج فالمسلمون كلهم خوارج . وهذا

محال باطل لا يقال

هذا ، وما هنا شيء آخر في المسألة . وهو أن النجديين كانوا قبل هذه الدعوة وبمدها يخلقون ويمفون ، وكان الذين قبلوها في أول أمرها والذين ردوها وحاربوها يخلقون ويمفون أيضاً ، لا ينفرد أصدقاء الدعوة بذلك دون خصومها ، ولا يختص خصومها بشيء منه أيضاً . ولا يتناز أحد الحزبين عن الآخر لا بهذا ولا بهذا . . فليس أصدقاء الدعوة يخلقون خاصة ولا خصومها يمفون خاصة ، ولم يكن النجديون قبل ظهور هذه الدعوة يمفون شعورهم ثم صاروا بعد ظهورها يخلقون ، ولم يحدث في هذا تغيير في الحالتين ولا في الطائفتين ، ولم يكن هذا مقارنا الدعوة ولا ضده مقارنا ضدها . وهذا لا ريب فيه . وإذا كان هذا الأمر موجوداً فاشياً في النجديين قبل الدعوة وبمدها ، وكان هذا الأمر بعد ظهور الدعوة كما كان قبل ظهورها ، وكان خصوم الدعوة في ذلك مثل أصدقائها وكان أصدقائها مثل خصومها ، أعني أنهم يخلقون ويمفون ويقصرون ، يفعلون هذا وهذا وهذا في الحالتين والزمنين . إذا كان هذا كله صحيحاً - وهو صحيح - فكيف يكون دليلاً على ذم الدعوة وبطلانها ، ولا يكون دليلاً على ذم ما خالفها وبطلانها ، وكيف يكون فيمن قبل الدعوة ذماً ولا يكون فيمن ردها كذلك ؟ أم كيف يكون قدسها في النجديين بعد ظهور هذه الدعوة ولا يكون قدسها فيهم قبلها ؟ ولا ريب أنه إن لم يكن ذنباً في خصوم الدعوة وقدسها في البلاد قبل ظهورها . فلن يكون كذلك في أصدقاء الدعوة وفي بلادها بعد ظهورها . وإن كان ذنباً لأصدقائها فلا بد أن يكون كذلك لخصومها ، وإن كان قدسها في البلاد بعد انتشار الدعوة فيها فلا بد أن يكون كذلك قبلها . وهذه أوليات واضحة جلية . ولكن المخالفين لا يرضون هذا ولا يقبلونه . وهو يدل دلالة جلية ظاهرة على غلط هؤلاء المخالفين وعلى غلط هذا الشيعي المتعصب

فما ذكره هنا لن يمدد قصصا وعييا في هذه العقيدة إلا أصحاب الأهواء الجائرة هذا الذي ذكرناه خاص بالرجال . أما النساء فما كن يحلقن شعورهن في تلك البلاد ألبتة ، بل ما زلن الى اليوم يوفرن الشعور ويرغبن في توفيرها وكثافتها وطولها وهن يفخرن بذلك . وما ذكره هذا الشيعي عن الشيخ دحلان من أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه كانوا يأمرن النساء بحلق شعورهن هو كذب صريح وبهتان لا شبهة لصاحبه فيه ، فما يوجد في نجد امرأة واحدة تحلق شعرها لا اليوم ولا قبل اليوم الا أن يكون ذلك لمرض ألم يدعو اليه وجوبا ، ولا يوجد في النجديين رجل واحد يأمر نساءه بأن يحلقن شعورهن لا اليوم ولا قبل اليوم ، وهم لا يشكون في إثم من يأمر بذلك ويحث عليه ، فهذا الذي ذكره هنا والذي ذكره من حكاية المرأة المعترضة على الشيخ محمد كذب قبيح ، وهذا الكذب الجريء يكفى والله العاقل دليلا على بطلان أمر هؤلاء المعترضين وفساد ما يدعون اليه وما يحاولون الانتصار له . فان الكذب لا يلجأ اليه إلا أهل الباطل والكذب ، وأما أهل الحق فهم لا يحتاجون الى ذلك في نصرة حقهم وعقيدتهم ودينهم . بل هم يجدون في الحق الذي معهم مقسما ومقنعا يفنيهم عن الرجوع الى اختلاق الأكاذيب ، ولا يقترى الكذب الا من في قلوبهم مرض ودغل مر قبيح ، ولهذا كانت النبوة مقارنة للصدق وكان الصدق مقارنا للنبوة لا يفترقان ، وكانت التنبؤات مقارنة للكذب وكان الكذب مقارنا لما لا يفترقان أبدا ، وكان النبي أصدق الصادقين ، وكان المنتهي أ كذب الكاذبين ، وبرهان النبوة الواضح هو الصدق ، وبرهان النبوة الكاذب هو الكذب : فالحق قرين الصدق والصدق قرين الحق لا يفترقان . والكذب قرين الباطل والباطل قرين الكذب لا يفترقان . وهذا الذي ذكره هذا الشيعي كذب صريح ، وكذلك قوله : انهم كانوا يأمرن أتباعهم بأن يحلقوا شعورهم قبل أن يفارقهم كذب أيضا

وعند الله جزاء الكاذبين المفترين

والقول الذى نقله عن عبد الرحمن الأهل وهو قوله انه لم يفعله - أي خلق الرأس - أحد من المبتدعة قول يبطله ما نقله الشيعة نفسه من أن الخوارج كانوا يفعلونه ، وما أخلق أهل الباطل بالتناقض والهموى ، وما أبدم عن الحق والهدى ، وإلى الله يرجع الجيم الأوائل والآخر ، وإلى الأياب والحساب ثم الثواب والعقاب . يوم يجهد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً

ثم قال الرافضى : « ثانى عشر - كما أن الخوارج يقتلون أهل الاسلام ؛ ويدعون أهل الأوثان كما أخبر النبي كذلك الوهايون يقتلون أهل الاسلام ، ويدعون أهل الأوثان . ولم يقتل منهم أنهم حاربوا أحدا سوى المسلمين أو قتلوا أحدا من أهل الأوثان . وفي قتلهم أهل الطائف أولا وآخرا بلا ذنب وقتلهم أهل كربلاء سنة ١٢١٦ وغزوه بلاد الاسلام المجاورة لهم كالعراق والحجاز واليمن وشرق الأردن وغيرهم ، وقتل من ظفروا به من المسلمين . وقتلهم نحو ألف رجل من اليمنيين جاءوا لحج بيت الله الحرام سنة ١٣٤٠ وعدم غزوه لأهل الأوثان . وقد امتلأت الأرض الحاددا وكفرا ، وتوجيه بأسهم وحربهم كله إلى المسلمين خاصة بعد ما ضمنت قوام واستعمرت بلادهم وصار الاسلام غريباً في وطنه أقوى شاهد على ذلك »

انتهى كلام الرافضى

قلت : وهذا قائم على خطئه القديم وهو زعمه أن الوهايين يستحلون قتال المسلمين ، ويستحلون أموالهم ودماءهم . وقد ذكرنا مرات ومرات أن هذا كذب مشهور ، فالوهايون لا يستحلون قتال أحد من المسلمين ، بل هم لا يختلفون أن قتل المسلم من أكبر الذنوب التى تهرن بالشرك والكفر بالله . وذلك لأنهم سلفيون

عقيدة وعملا وقولا لا يختلفون على السلف ولا يطلبون سوى النهج منهاجهم . ولو فرض أنهم أو أن طائفة منهم كفروا طائفة من المسلمين أو قاتلهم ، أو شكوا في أيمانهم لم يكن ذلك لأن من مذهبهم الكفار المسلمين وقتلهم كلا ، وإنما يكون هذا لو وقع من الأغلاط التي يقع فيها بعض الجماعات وبعض الأفراد . وأغلاط الأفراد والجماعات ليست معدودة يقينا مذهبيا للطائفة التي ينتمون إليها . ومثل هذا مثلا أن ينلص بعض علماء الشافعية أو الحنابلة أو الحنفية ، أو غير هؤلاء ، فيكفرون بعض المسلمين لاعتقادهم أنهم كفروا وأنهم قد جاءوا بما يستوجب الكفر . فإذا ما وقع مثل هذا وهو يقع كثيرا في كل زمان ومكان لم يقل أن أهل المذهب الذي ينتمى إليه هذا العالم الذي غلط فاكفر غير الكافر يكفرون المسلمين ويستحلون قتالهم وأموالهم . وكذلك إذا ما قاتل ملك أو أمير أو قائد يعزى إلى مذهب من المذاهب الأربعة أو غيرها طائفة من المسلمين أو ملوك المسلمين أو غزا بلادا من بلاد المسلمين لأسباب صحيحة أو باطلة لم يدل مثل هذا على أن أهل مذهب ذلك الملك أو الأمير أو القائد يستحلون قتال المسلمين ويبيحون دماءهم وأموالهم ، كلا ، كلا . أن مثل هذا لن يكون ، ومن قال به وذهب إليه فهو من الضالين الآمنين . ولو صح مثل هذا لقل أن جميع المسلمين وجميع أهل المذاهب الإسلامية يكفرون المسلمين ويستحلون قتالهم وأموالهم وذلك لأنه ما من مذهب من المذاهب المشهورة الظاهرة في الإسلام إلا وقد قاتل بعض رجاله وبعض المحسوين عليه قوما مسلمين ، وغزوا بلادا إسلامية لأسباب قد تكون صحيحة ، وقد تكون فاسدة ، وقد تكون مبيحة ذلك القتال ، وقد لا تكون مبيحة ، وما من مذهب من هذه المذاهب إلا وقد أكفر بعض رجاله وبعض المحسوين عليه قوما من المسلمين وقوما ليسوا بكافرين لشبهة قامت لديهم حسبوها موجبة الكفر والقبح وقد يظهر لهم بعد ذلك أنهم غالطون وخطئون . ثم قد يرجعون عن ذلك

وقد يصرون عليه لأنه لم يظهر لهم غلطهم . وقد يخالف في هذا بعض رجال المذاهب الأخرى ، وقد ينازعونهم ويجادلونهم ، هذا ما يقع كثيرا في كل زمان وفي كل دولة وفي كل مذهب وفي كل أمة ومن جعل مثل هذه الأعمال الفردية التي يأتيها الأحيان بعض الأفراد والجماعات مذهبا عاما وعقيدة عامة لتلك الطائفة التي كان أولئك من أفرادها ومن علمائها أو جهالها ، فقد أخطأ خطأ لا أظنه يعذر عليه ولا يسلم من تبعته ومعاقبته

ومثل هذا لو وقع من بعض الوهابيين ونحن نفترض هذا افتراضا استكفارا أحد من المسلمين أو مقاتلته أو القدح في دينه وعقيدته ومذهبه : إذا وقع مثل هذا لم يكن دليلا ولا شبه دليل على أن الوهابيين يبيحون قتال المسلمين ويكفرونهم ويقدمون في عقائدهم ومذاهبهم يقينا . ومن ذهب هذا المذهب وأبى إلا إياه فقد لزمه أن يقول ان جميع المسلمين وجميع أهل المذاهب الإسلامية يبيحون قتال أهل الإسلام ويستحلون قتالهم وا كفارهم والقدح في عقائدهم وأديانهم ومذاهبهم على النحو الذي ذكرناه . وهذا عين الضلال وهذا عين القدح في المسلمين عامة

والمذهب بل والدين كله يؤخذ من قواعده وآساسه وأصوله العامة الثابتة التي يرجع إليها حين الاختلاف والنزاع ، والتي رضىها رجال المذهب أو الدين كلهم بلا خلاف بينهم إلا أن يكون شاذاً مردوداً . أما أن يؤخذ المذهب أو الدين ويحكم عليه بما يعمله بعض أفراد أو بعض جماعاته أحيانا إما غلطاً وإما صواباً فليس ذلك من الحق في شيء ، وليس هذا فعل أهل الانصاف والعدل . بل هذا هو فعل أهل الأهواء . وأصول المذهب الوهابي هي أصول مذهب السلف الصالح والرجل الأول من الأصحاب والتابعين والفقهاء والمحدثين وأصول مذاهب الأئمة الأربعة ، ومن هذه الأصول المرجوع إليها أنهم لا يكفرون مسلماً بذنوبها . كان الذنب جايلاً ، وأنهم لا يستحلون دماء المسلمين . بل وأنهم يرون قتال

للمسلمين واستحلال دمايتهم وأموالهم من أعظم المظالم وأفحشها عند الله وفي دين الله وأنهم يلتزمون الآيات والأحاديث في تحريم دماء أهل الاسلام وتحريم أموالهم والقدر فيهم والأيذاء لهم وأنهم يبرؤون الى الله ممن لا يلتزمون ذلك ومن لا يقفون عنده ضيقاً وإثباتاً . بل ومن أصول المرجوع اليها أنهم يتولون المسلمين كافة ويحبونهم كافة ، ويفضون لهم ويغارون لهم كافة ، ويدعون لهم الخير كافة ، ويحبون المسلم البعيد الوطن أكثر من حبيبهم القريب النسب والوطن ممن ليس مسلماً ولا عابثاً بالاسلام . هذه الأمور من أصول هذا المذهب لا يفتازعون فيها ولا يختلفون ، وهذا ما يذكرونه في جميع كتبهم المشهورة المقروءة المألوفة للخاص والعام ، وهذا هو ما يجب أن يؤخذ به المذهب وما يجب أن يثبت عليه أوله وكل ما سواه يجب أن يرد اليه . فهو الأصل والمرجع الأعلى ، وهذا الأصل يتقبله جميع أهل السنة والجماعة لا ينكره منهم أحد

هذا ما يقال إجمالاً عما يدعيه هذا الشيعي من أن الوهابيين يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم ، وأن أهل القبلة جميعاً كفار مارقون من الاسلام والملة عندهم

وأما قوله إنه لم ينقل عن الوهابيين أنهم حاربوا أحداً سوى المسلمين أو قتلوا أحداً من أهل الأوثان فيقال في جوابه : إن كان يريد بغير المسلمين وبأهل الأوثان الذين لم يحاربهم الوهابيون ولم يقتلهم هم من لا يؤمنون بأصل الاسلام ولا بالرسالة المحمدية من اليهود والنصارى والمجوس وإخوان هؤلاء . فصحيح أن السلفيين الذين قاموا في نجد منذ مائتي عام وقبلوا إرشاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الصحيحة للرجوع بالناس الى الاسلام قبل أن يصاب بالاخلط والاحداث فهضوا نهضتهم المعروفة الفتنية الملتبة التي قلبت الأحوال والأحكام في البلاد النجدية وفي الجزيرة العربية ، فاجتمعوا على إمام واحد بعد أن كان لكل بيت

امام ، وعلى عقيدة واحدة بعد أن كان لكل واحد منهم عقيدة ، وقاموا بفروض الاسلام كاملة تامة باخلاص ووفاء ومحافضة وتحمى : ان كان هذا الشئ يريد أن هؤلاء السلفيين لم يقاتلوا اليهود والنصارى والمجوس ومن لا يدينون بأصل الاسلام وبالنسبة الحميدة ، فمنهم من سلم له أن هذا صحيح وأنه حق لاشك فيه . ولكن هل يرى أنهم مؤخذون بهذا وأنهم مقصرون ؟ وأنهم لم يقوموا بالواجب ؟ إن كان يريد هذا فقد أبعد والله المرمى . فهل يريد منهم أن يقاتلوا إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا وأن يجتازوا البحار والقفار والليل والنهار ليقاتلوا الوثنيين في اليابان وفي الصين وفي طرفى الارض الشرق والغرب ؟ أفيريد منهم هذا وهو يمتدح في كتابه بأن الأتراك والأشراف والمصريين قد اجتمعوا على حربهم ومناوأتهم والتضييق عليهم في دارهم وفي كل مكان ، وتماثلوا على غزوهم في بلادهم مرات ، وأنهم مازالوا يحاربونهم ويعشون الأجساد والجيوش الكثيفة الجرارة لاستئصالهم والقضاء عليهم ، وأنهم مازالوا يوقعون بهم الخسائر الفادحة في الرجال والأموال ويدقون قوتهم وينتقصونها من جميع أطرافها . مازالوا كذلك وما زالوا حراماً عليهم حتى قهروهم واحتلوا ديارهم وخرّبوا عاصمتهم وأخذوا أميرهم وأسره أسرى ثم قتلوه صبراً في بلاد الخلافة ، أنيريد منهم أن يركبوا الى هذه الأمم فيصلوا اليها في ديارها ليفزوها وينازلوها وهو يذكر في كتابه أن شريف مكة غزا النجديين في بلادهم في مدة خمسة عشر عاماً أكثر من خمسين غزوة حينما كانوا ضعافاً حديثي العهد بالوجود والظهور ، وفي عصر لم يكونوا قد ملأوا شمشهم ولا جمعوا كرامتهم فيه وفي وقت لم يصبروا القوة المرمية التي بها يستطيعون مصادمة الباغين ومقارعتهم ، إن كان يريد منهم هذا فالرجل في حاجة الى أن يخلق له عقل آخر ليفكر به ولينظره ويمجادل وليكتب به على الوهايين كتاباً ينقد به عقائدهم وأعمالهم ويهجو به رجالهم وشيوخهم وكتبهم ويؤلف به الشبهات

والأوهام على عبادة الاجداث

ليفرض هذا الشيعى أن النجدين أرادوا غزو هذه الأمم وحربها بعد أن يفرض استعدادهم التام لذلك . أفيرى أن أولئك المسلمين الذين غزواهم في بلادهم يتركون لهم السبيل الى وجوههم ويدعونهم يصلون الى هذه الغاية ؟ ألا يرى أن هؤلاء الذين قاتلواهم في أحشاء بلادهم سوف يقاتلونهم حينئذ ، وسوف يكونون لهم الخصوم اللد ؟ اذا كان يعترف بأن الاتراك والاشراف وغيرهم لم يدعواهم يجمعون ويقرون ويعملون بالشريعة الاسلامية الصحيحة ، ولم يدعواهم يهدؤن يوما بل مازالوا يترصبون بهم الدوائر وينتظرون بهم الاندحار ، واذا كان يعترف بأن هذه القوى العديدة الممنوعة ما زالت تناوئهم وما زالت تغرى بهم وقتالهم وكان يعترف بأن قوتهم المادية لم تكن كفتا يوما لمنازلة هذه القوى المادية الفاشية فما له يريد منهم المحال . فيريد منهم أن يسافروا الى أقصى الشرق وأقصى الغرب ليفزوا الوثنية والنصرانية لئلا يكونوا عنده من الخوارج المارقين ؟ ولعمرو الله ماهذا بمنطق يزى به وتتكلف نفقات طبعه ونشره

وليس من الذنب والخطيئة في السلم أن يكون عاجزاً عجز مادة ومشغولاً بنفسه وحاله عن مناهضة أعدى أعدائه وألد أخصامه ، وليس من الذنب له والخطيئة أن يمتدى عليه من هم أقرب اليه ممن يراد منه أن يمتدى عليهم من الخصوم ، وليس من الذنب للنجدين أن يجتمع على اضعافهم ووقف حركتهم وتقدمهم قوى متكاثرة تفوق قواهم وما يمتلكونه من ذلك : ليس في هذا عيب البتة

وإذا شئنا تقرب هذه المسألة لهذا المخالف العنيد قلنا له هذا على بن أبي طالب أفضل البشر عندكم - وهو المصنوع الذي لا يفعل ولا يقول سوى الحق - قد قضى مدة خلافته كلها في حرب المسلمين وقتالهم والاستعداد لمناجزتهم . وما

امتشق في خلافته كلها حساما على أحد من الكفار والمشركين ، ولا على أحد من اليهود والنصارى والمجوس . فحارب معاوية بن أبي سفيان ومن معه من المسلمين والصحابة ، وحارب عائشة وطلحة والزبير ومن معهم من المسلمين ، وحارب الخوارج وأنت تعترف أن عليا ما كان يكفر الخوارج وما كان يراهم قد خرجوا من نطاق الاسلام : فعاطى على هؤلاء كلهم الحسام ، ولم يعاطه جيشا من جيوش الكفر في مدة خلافته كلها . أقول إنه كان ممن يقاتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان ؟ إن قلت إنه كان مدفوعا إلى ذلك دفعا وأنه كان يقاتل هؤلاء بحق لأنهم هم الباغون عليه الخارجون ، وإن قتالهم كان واجبا فرضا لخروجهم على الامام الحق المنصوص عليه ، ومحاولتهم اغتصاب حقه الواجب المفروض ، وقلت إنه كان مشغولا بذلك عن قتال الكفار والمشركين فلم تواته فرصة حربهم في مدة خلافته كلها . إذا قلت هذا قلنا لك : وهذا هو جوابنا عن النجديين ولا ريب . فانهم كانوا هم المبسوئين في هذه الحروب كلها . وإذا كان الامام على رضى الله عنه لم يحارب المشركين في خلافته كلها وكان مشغولا عن ذلك بحرب المسلمين ، وكنت واجيدا له رضى الله عنه معذرة وحجة تخلصه من الذنب والملام ، وهذا مالا شك فيه عندكم ، فالك قطع بانه لا عنز للنجديين في حروبهم ، بل قطع أنهم بذلك ضالون مستوجبون المؤاخظة والعقوبة ، وأنهم به خوارج أو كالخوارج . ولعل الحصول على العذر للوهابيين في هذه المسألة اقرب من الحصول على العذر للامام على . وذلك أن عليا كان لديه من العدد الحربية وعدد الجيوش أعظم مما عند النجديين بأضعاف مضاعفة ، وكان سبيل غزو الكفار والمشركين أيسر وأقرب على علي وأجناده منه على النجديين ، ولم يكن في طريق علي - إذا ما أراد غزو الكفر والشرك - ما في طريق النجديين من المخاطر والعقبات والموانع إذا ما أرادوا ذلك . ولكن الامام عليا كان لدى الشيعة معذورا

كل الضر ، فلماذا لا يضر هؤلاء القوم النجدين اذا ما تركوا ما تركه الامام
على ، بل ان حيزوا عما عجز عنه على رضى الله عنه وهو الخليفة المصوم
عندكم المؤيد من الله العالم بما كان وبما يكون ، وهو البطل الفرد الذي
لا يسمى ولا يحارى

هذا ولقل لهذا الشيعى من من الشيعة والمقشعين قاتل الكفار والمشركين
وغزاهم في ديارهم . ومن من الشيعة والمقشعين من أصحاب السلطة وان ضئيلة
حزيرة لم يحاربوا المسلمين ويشبوا عليهم السيوف ويسفكوا دماءهم ويههبوا
أموالهم بكل الطرق الممكنة ؟ ليدلنا على من شاء من الشيعة لم يفعلوا ذلك ولم
يركوا ذاك ؟ من منهم لم يحاربوا المسلمين ويقاتلوهم ؟ ومن منهم لم يدعوا
الكفار والمشركين بل ويههبوا الكفار بلاد المسلمين عن رضى وطواعية

هذا التاريخ ليحتل نواحيه وليفص في أحشائه ، وليخرج لنا منه قصة
واحد تخالف ما قول وتكذبه . إن أشهر سلطان كان للشيعة هو سلطان الفاطميين
الذين قامت لهم دولة كبيرة مرهوبة حيناً من الزمان في مصر والشام . فهل يعرف
هذا الشيعى كيف نشأت هذه الدولة ، وكيف قامت ، وكيف ظهرت ، وكيف
انتصرت ، وكيف كانت ؟ إنها لم تظهر ولم تنتصر ولم تكن ولم تقم الا على أشلاء
المسلمين وعلى بحار من دمائهم وعلى الكيد للخلافة الاسلامية ، والغارات عليها
ومناوأتها تارات بالنفاق والدس وتارات بالحرب والضرب وامتناع الحسام على
الرقاب المسلمة المؤمنة ، هذا هو ما قامت به هذه الدولة الشيعية إزاء المسلمين
وازاء الخلافة الاسلامية . ولكن ماذا فعلت بالكفار والمشركين في ابان سلطانها
وعنفوانها ؟ وما كان موقفها من الصليبيين المغيرين على الاسلام وعلى الممالك
الاسلامية ؟ وماذا افتتحت من بلاد الشرك والكفر ؟ ليفكر هو ولينظر بماذا يجب
وماذا يكون جوابه ، ثم يجب ان استطاع ونحن نذكره بأقرب من هذا . وذلك أن

تقول له هاتان دولتا الشيعة القائماتان اليوم احداها في إيران والاخرى في اليمن هل يستطيع أن يقول لنا انهما غزتا الكفار والمشركين ، وانهما حاربتا دولة من دول الكفر والشرك ، وقد اعتدى على هاتين الدولتين الكفار ولا يزالون يمتدون واغتصبوا أجزاء معلومة من مملكتيهما ظلماً وعدواناً ، ولا يزالون يحاولون المزيد من هذا النصيب . فاذا فعلتا هاتان الدولتان الشيعيتان إزاء هؤلاء الظالمين ؟ وهل فتحت هاتان الدولتان شبراً من أرض الكفر والشرك ؟ هذا ما يطالب هو بمجوابه . ثم هل يعلم أن هاتين الدولتين قد حاربتا المسلمين كثيراً وسفكتا دماء مسلمة غزيرة في عصور مختلفة . ليدعنا نرث الأستار على هذا كله ونضرب منه صفحاً ، فالتا لا تنمشق هذه الذكري ولا هذا الفرام . وما ذكرناه إلا ضرورة وجزءاً بجزء

ومن الحقائق التي لا ريب فيها أن الشيعة ما زال هواها وحبها منصبا مندفعاً جهة خصوم الاسلام وهدامه في كل المصور . ويتجلى هذا حين نكبات الاسلام ومحن المسلمين . وقد ذكر علامة العراق المرحوم محمود شكرى الألوسى أن أهل إيران الشيعيين قد زينوا بلادهم وحوانيتهم فرحاً وسروراً يوم أن انتصر الروس على المسلمين وعلى الدولة العثمانية ، وعدوا ذلك اليوم عيداً . ودوى الحافظ الذهبي أن أبا القاسم بن عبيد الله الفاطمى أمر بلمن الأنبياء وأطلق منادياً ينادى بلمن الفار ومن لا ذ بالفار يعنى النبى وصاحبه أبا بكر ، وأنه هو الذى أغرى أبا طاهر القرمطى بغزو مكة وبهتريق الكعبة واقتهاب الحجر الأسود وقتل الحبيب . وقد كانت الشيعة عوناً للتتار الذين غزوا الاسلام والممالك الاسلامية حتى دخلوا دار الخلافة وقتلوا الخليفة بمعونة النصير الطومى الامماعلى ومكيدة ابن الطمى الشيعى وزير المستعصم . وهكذا كانت الشيعة في كل الأوقات اعوانا للكفار والمشركين على الاسلام والمسلمين ، لا يدخرون وسعاً من الايقاع بالاسلام

وأهله ، ولا يجمعون عن نصره الكفار والضلال بنية إذلال المسلمين وتحطيم أهل السنة ، ولا عجب في هذا فانهم يستعملون قتال الخلفاء الراشدين أمثال أبي بكر وعمر فضلا عن دونهم من أهل السنة ، ويزعمون أن المسلمين قد اتفقوا على قتل الخليفة عثمان وأن خيار الصحابة كانوا يرون وجوب قتله والخروج عليه ، ويزعمون أن عليا كان من الخارجين عليه المشيرين بقتله الراضين به ، ويزعمون أن قتله كان واجبا ، وأن الخروج عليه كان واجبا ، وأن انتزاع الخلافة والأمر منه كان واجبا ويزعمون لأجل هذا أن قتلته الأئمة مجزيون عند الله خيرا ، وأنهم ما فعلوا إلا الحق والواجب

وكذلك يرون أن الخروج على أبي بكر وعمر كان واجبا وأن قتلها كان واجبا ، وأن من خرج عليهما وقتلها كان عند الله مشكورا مجزيا ولهذا فإن طوائف منهم يمتدحون أبا لؤلؤة الغلام المجوسى القاتل لعمر ويدعون لهذا الغلام ويرجون له المغفرة والثواب جزاء فعلته هذه . ولهذا تذكر كتب الشيعة أن المنتظر اذا ما ظهر هدم مساجد المسلمين وهدم مسجد المدينة ، وهدم حجرة النبي ونش قبر صاحبيه وأخرجها وها حيان طريان ثم صليهما على خشبة وحرقهما ، لأن جميع ما ارتكبه البشر من المظالم والجنايات والآثام ومن ظلم آل على من يوم أن خلق آدم الى يوم القيامة انما صدر عنها ، فالأوزار منحصلة عليهما راجعة اليهما

وكذلك يرون وجوب الخروج على جميع الخلفاء العباسيين والأمويين وقتالهم والحق جميع الخطوب والأضرار بهم ، وهكذا غيرهم من الأمراء والخلفاء وهذه أمور لا خلاف فيها عند الشيعة العاتية وهذا كله هو ما تقتضى به أصول الشيعة وقواعد مذهبهم . وما كان يمنع طائفة الشيعة من أن تسدى الى المسلمين الأضرار والحقن الا العجز . ولا كان يقف عليها عن الثورة على الخلفاء والأمراء والملوك الا العجز أيضا والخذر . ومن دين الشيعة التقية التى قد يلجأ اليها كل

انسان منهم

واذا كانوا يرون الخروج على الخلفاء كأبي بكر وعمر ويرون وجوب قتالهم وقتلهم فكيف لا يرون وجوب الخروج على جميع من جاءوا بعدهم من الملوك من أهل السنة ، وكيف لا يرون وجوب قتالهم بكل الوسائل المؤدية الى قتلهم حربا معلنة أو اغتيالاً وغدرا ؟

هذا ما نقوله أولاً . ثم نقول إن زعمه ان الوهابيين لم يقاتلوا أحداً من أهل الاوثان قائم على خطئه القديم ، وقائم على أن عبادة القبور والصالحين الاموات بالشكل الشائع اليوم بين الشيعة ومن ضاهاهم لدى قبور الصالحين وآل البيت ليس من الشرك ولا من الوثنية الصريحة الصحيحة ولا من عبادة غير الله ولا مما يمنعه الاسلام وغيره من دين الله ولا مما دلت الدلائل الصحيحة على أنه من الشرك ومن الغلو المنهى عنه نهياً صريحاً واضحاً في آيات القرآن وفي الاحاديث الصحيحة المتواترة . ولو أنه علم أن هذا كله شرك بالله العظيم وعلم أن دعاء الاموات والاستغاثة بهم وسؤالهم جميع المطالب كما يفعله جمهور العامة والخاصة والعامة من الشيعة وكما يدعو اليه في كتابه هذا وفي غير هذا الكتاب وثنية صريحة لو علم ذلك كله لما قال ما قاله هنا ولما شك في أن النجديين قد قاتلوا الوثنية وطهروا جزيرة العرب والبلاد النجدية من هذا الشرك وهذا الغلو القبيح الجافى الفظيع الذي لا يتنازع العقلاء اليوم في أنه من عبادة غير الله

وقد كانت بلاد العرب وكانت البلاد النجدية قبل ظهور هذه الدعوة ملأى بعبادة الأحجار والأشجار وعبادة القبور والمشايخ والصالحين ، وكان الناس يستنجدون بالقبور ويطوفون بها ويحجون اليها ويندرون ويندبحون لها ويحلفون بها ويرجونها ويخافونها ويرضون فيها كما يرضونها ، وكان طلاب الحاجات يقصدونها من كل مكان على اختلاف حاجاتهم وتكاثر طلباتهم ، فكان الفقير يأتيها مرجياً

الغنى ، والريض يأتيها مرجياً الشفاء ، والمنكوب مرجياً العافية ، والمانس مرجية الزواج ، والعافر المقيم مرجية البنين والبنات ، والرقوب التي لا يعيش أولادها مرجية أن يعيشوا ، والحائف المطلوب مرجياً الأمن والسلامة ، وكان من أصيب بشئ عنته من الشيخ فلان لأنه قد قصر في حقّه وأعرض عن برّه فلم يهد إليه ولم ينذر له ولم يقدم له شئاً ولا وقوداً . فبادر الى الشيخ طالباً الصفح والفران مقدماً اليه والى حجابهِ وسدنته ما يستطيعه وما لا يستطيعه من الهدايا والتذورات ومن الفراعة والمسكنة مقدماً اليه قلبه وجسمه ، وكان من أصيب بخير ظن ذلك الخير قد جاءه من الشيخ فلان لأنه عنه راض وبه معجب ومعنى لأنه اليه لجأ ورجع وبه تعلق ولاذ وله أهدى ونذر وله رعى ودعا فجذبي برّ ذلك الشيخ ورحب به وسدنته وجعل له من وقته ومن قلبه ومن لسانه ومن ماله ومن ذريته نصيباً موفوراً وسهلاً وفيراً . فعاش بين الناس وبين أهله بحسبه ، وأما قلبه فلذلك الشيخ صاحب ما يتقلب هو وأهله فيه من خير ونعمة . فان ذكر الله ذكر الشيخ ، وان ذكر ما هو فيه من نعمة ذكر الشيخ ، وان ذكر السلامة ذكر الشيخ ، وان رأى مصاباً ذكر الشيخ ، وان رأى معافى ذكر الشيخ ، وان نام ذكر الشيخ وان استيقظ ذكر الشيخ ، وان حلف حلف بالشيخ ، فعند كل شئ يذكر الشيخ ، وفي كل وقت يهتف باسمه وكل ما فيه من خير ومعنى هو للشيخ والى الشيخ منسوب . وما كان هذا نصيباً للمشايخ وحدهم ، ولا كان الناس للمشايخ فقط ، ولعل من هم الاحجار والاشجار والابواب أكثر وأمن ممن هم للاشياخ والاولياء ، ولعل نصيب الشجيرات المزورة المعظمة ، والاحجار المزورة المعظمة من ذلك لا يقل عن نصيب الاشياخ والاولياء

هذا بعض ما كان هناك قبل هذه الدعوة ، وهذا ما كان في كل مكان من بلاد العرب وغيرها من البلدان الاسلامية ، وهذا ما حاربته التجديون وما طهروا

البلاد منه حتى وجمعوها حنيفة اسلامية ، وهذا ان لم يكن شركاً وعبادة للاصنام
فما هو الشرك وما هي عبادة الاصنام ؟ وان لم يكن محارب هذا محارباً للشرك
والوثنية ومحارباً للاصنام والأوثان فكيف تكون محاربة الاصنام والأوثان ، ومن
هم المحاربون للوثنية والشرك ؟

إننا نقول واثقين مما نقول : ان هذه وثنية مضاعفة ، وان من حاربها فقد
حارب الوثنية ، وبراھیننا ماسوف نذكره في كتابنا وهذا ما نهضنا لاثباته ولأنهاض
الدلائل عليه ، والشيعي يزعم أن هذه الأمور كلها من الايمان بالله ومن توحيد
وعبادته ، وقوله هنا ان الوهابيين لم يحاربوا الاصنام والأوثان قائم على زعمه أن
الأمور المذكورة ليست شركاً ولا عبادة لغير الله بل وليست حراماً ولا إثمياً ،
فهذا الخطأ قائم على ذاك الخطأ . ولا يصدق زعمه أن الوهابيين لم يحاربوا الوثنية
حتى يصدق زعمه أن ما يصنعه الناس اليوم وقبل اليوم على جوانب الأضرحة ولدى
الاحجار والاشجار ليس وثنية ممقوتة . فزعمه هنا هو ما يسمى عند علماء الجدل
مصادرة الدعوى . فاذا عجز عن إقامة الدليل على أن هذه المخازي في احشاء
الأضرحة ولدى الاحجار والاشجار ليست شركاً بالله فقد بطل زعمه أن النجديين
لم يحاربوا الوثنية ، واذا ما أقننا البراهين نحن على أن ذلك شرك ووثنية فقد بطل
زعمه هذا . فهو لا يصدق حتى يصدق قوله إن عبادة القبور والمشايخ ليست شركاً
ولا وثنية وليس أحد قولي به بأصدق من الآخر

وأما ما ذكر من قتلهم أهل الطائف وأهل كربلاء وغزوم العراق وشرق
الأردن . فيقال هذا القتال إما أن يكون مشروعاً وإما أن يكون غير مشروع . فان
كان مشروعاً لم يجر لومهم عليه لأنه أمر مشروع ، وان لم يكن مشروعاً قبل
غاية هذا أن يكون خطأ ولده الاحتكاك والمجاورة ، والاحتكاك والمجاورة
يولدان أمثال ذلك دائماً ، وهذا معهود في جميع المصور بين جميع الطوائف والأمم

وهذا أمر لا يختص به مذهب دون مذهب ، ولا عقيدة دون عقيدة . فكما يقع من أهل الحق يقع من أهل الباطل وكما يقع من أهل السنة يقع من الشيعة والمشيبيين وكما يبدأ به الظالمون قد يبدأ به المظلومون أحيانا ، وأية طائفة من الطوائف وأمة من الأمم لم يقع بينها وبين جيرانها الخلاف الباعث على اشتاق السيوف من اغمارها وعلى سفك الدماء والمصادمات الدامية ؟ هذا يقع كثيرا ، ولكن أحدا من العلماء والمؤرخين لن يعد مثل هذا عقيدة ولن يجعله دليلا على أن من وقع منه ذلك يستحل قتال المسلمين ودماءهم أو يستحل قتال الناس كافة . كلا ان أحدا من العلماء لا يذهب هذا المذهب ولا يسلك هذا المسلك . أوليس هذا الشيعة قد ذكر في مقدمة كتابه أن غالبا شريف مكة قد غزا النجديين في بلادهم وقتلهم سراة ، وأنه قتل ونهب منهم ما استطاع ، وأن الاتراك قد حاربوا النجديين وغزوه عدة مرات ، وقتلوا منهم ومن أمراءهم صبورا وغدرا خلقا كثيرا ، وأن محمد علي باشا وأولاده قد غزوا النجديين في أحشاء بلادهم وألبوا عليهم العرب والأعراب والاتراك والسودان ، وبعثوا الى حربهم العدد والعدد العظيم وأنهم مازالوا كذلك حتى تمكنوا منهم فقتلوا منهم وقللوا بهم الافاعيل ، وشقتوا أمراءهم وزعماءهم وعلماءهم ؟ قال هذا القتال لا يكون منكرا ولا دالا على استحلال قتال المسلمين وقتلهم ، ثم يكون قتال النجديين أهل الحجاز أو غيرهم بعد ان ظلموهم ومنعواهم من الحج منكرا ودالا على أن النجديين يستحلون قتال المسلمين وقتلهم ومال قتال الاتراك للنجديين وهجومهم عليهم في مأمنهم بعد عرفا ودينا وطاعة ثم يكون قتال النجديين لبعض ولاية الاتراك وعملهم بعد أن بدؤوهم بالظلم منكرا ، عصيانا وذهابا مذهب الخوارج أو ما ذكره في كتابه أن محمد علي باشا وابنه ابراهيم قد حاربوا الدولة العثمانية وهزموها وقهروها ؟ قال هذا القتال لا يكون دالا على شيء ثم يكون قتال النجديين للاتراك بعد اعتدائهم عليهم منكرا ودالا على

الضلال والخروج على المسلمين وعلى استحلال قتالهم ودماهم ؟ ما هذا لعمر الله
بمدل ولا عقل

هذا نوع من الرد على هذا الشيى قول بعه : إن هذه الحروب التى ينكرها
على النجديين هى حروب بعضها مشروع ولا شك ، وذلك كافتتاح الحجاز أولا
وآخرا . وذلك لأسباب خاصة بالنجديين وأسباب أخرى عامة للمسلمين . فإن
الأشراف الذين هم ولاية الحجاز والذين غزام النجديون قد أفسدوا البلاد
وملثوها بغيرا وإثما ومنكرات متنوعة ، حتى فسدت النفوس والعقائد وتضمضت
الأخلاق ، وصارت البلاد المقدسة جميعا وأتون رجس وبلاء من جميع الوجوه
لا يطاق . الحجاج يسلبون فى الطرق ويقتلون . ويحتال الدجالون والمبتدعون
الكذابون على ما بقى معهم من المال على حساب الدين والعقيدة الباطلة . فالحجيج فى
الطريق يقتلون وينهبون ، وفى المدن والحرم الآمن يخدعون ويضلون ، ثم
لا يجردون نصيرا ولا مغيثا ولا عونا يشكى اليه . وكانت البلاد معرضة لأعظم
الآخطار الخارجية ، كما قد أصابها أعظم الأضرار الداخلية . هذا بعض ما كان
هناك من الاسباب العامة للمسلمين

وأما الاسباب الخاصة بالنجديين ، فذلك أنهم قد أوذوا وتحذوا وأخير على
بلادهم وغزوا فى ديارهم وسبوا وسبت عقيدتهم ودينهم وأذل وطورد من ظهر يودهم
وولائهم ثم منعوا من الحج ومن القيام بهذه الفريضة . وألبت عليهم الضغائن
وحبكت حولهم المكاييد : كل هذا بعض ما كان . فكان بعض هذا مبيعا غزو
البلاد واتخاذها من الآخطار المحدقة بها من دينية إلى سياسية إلى أدبية إلى اجتماعية .
وكان هذا ما لا بد منه . وكان هو عين الحكمة والصواب كما شهد الناس وذكروا
وكما وقع وكان

وأما غزو كربلاء فكان غزواً لتلك المنكرات الشيعة الفاضحة التى تتأبها جميع

الأذواق السليمة بل والأذواق المريضة التي لم تمت بعد . على أن كربلاء كانت ولاية من ولايات الدولة التركية . والدولة التركية كانت معلنة الحرب على النجديين كما يعترف الشيعة نفسه . فكان غزو النجديين لأرض الدولة التركية غزواً لعدو ظالم محارب . وهذا لا يمنعه أحد . وكذلك ما يذكره من هجومهم على العراق . وأما ما ذكر من قتال أهل اليمن ، فجوابه أن تذكره بالحرب اليمنية السعودية الأخيرة ، ثم ما تلاها من محاولة اغتيال جلالة الملك عبد العزيز ، ثم موقف حكومة جلالته من ذلك ، وما أظهرته من الحلم والصبر والحرص على حقن الدماء المسلمة . بل هذا يبدد كل ما حاكه هذا الشيعة من التهم المبهلة .

وأما ما ذكره من قتل حجاج اليمن ، فهذا قد وقع خطأ . فان النجديين ظنوا أن تلك اليمنيين عوناً ومداً لجند الشريف ملك الحجاز إذ ذاك حينما كان يغازي النجديين ويهاديهم ويعتدي عليهم . وكانت هذه الحادثة بعد موقعة حربية قامت بين النجديين وبين الجيوش الحجازية الهاشمية ، وقد اعتذر جلالة الملك عبد العزيز لجلالة الامام يحيى عن هذه الحادثة بأنها وقعت خطأ . وانه يقدم للامام يحيى الاعتذار والدية . فتم الرضا بين الملك عبد العزيز والامام يحيى وزال ما بينهما من أثر في النفوس يرجع الى هذه الحادثة

وهل يظن الشيعة أن النجديين يستحلون قتل الحجاج المخالفين لهم في بعض الاعتقادات ؟ أفلا يعلم أن الحجاز اليوم تقصده جميع الطوائف الاسلامية ، ويقصده فريق قليل من الشيعة ؟ أفيظن أن هؤلاء الحجاج يقتلون هنالك وأن النجديين يستحلون قتالهم ، وأن من ذهبوا إلى الحجاز لا يرجعون ؟ أو لا يعلم أن الحجاج لم يكونوا في عصر من العصور آمن منهم في هذا العصر على عهد السلطان السعودي الوهابي ، وان الناس لم يأمنوا على دمائهم وأموالهم في عصر من العصور أمنهم على ذلك في هذا العهد . والعالم كله شهيد بهذا

وكذلك يقال فيما ذكره من غزو شرق الاردن فان هذا الغزو قد كان من بعض القبائل النجدية جزاء غزو بعض القبائل في شرق الاردن وفي العراق بعض الحدود النجدية . ولم يكن هذا الغزو إلا مكافأة وجزاء بجزاء ، ولم يكن صادراً عن أمر الحكومة . والحكومة لم تسير ذلك الجيش الغازي . وإنما سبيله ما ذكرناه . ومثل هذا لا تؤاخذ به الحكومة ، ولا يؤاخذ به أولو الأمر منها . ولو أن هذا الغزو كان برضى الحكومة لكان له في ذلك الوقت مبرر ظاهر . وذلك أن الاساءات كانت تتلاحق نحو النجديين ونحو حكومتهم وبلادهم من جهة تلك الأقطار . وكانوا هنالك يسيئون اليها ويتعسفون في المطالب ويحكون لها الدسائس ويمشون للقلقل . وكانوا يريدون القضاء عليها . وكان زعيمهم الاكبر لا يفتأ يسعى لايقاع أعظم الضرر بالنجديين . وهذه أشياء معلومة . وقد كانت الحكومة السعودية تتلقى من أولئك أموراً كان يكفي بعضها أن يكون مبيحاً للغزو وامتناعاً الحسام . ولكنها كانت كما شهد الناس أزهد الحكومات في الحرب وفي سفك الدماء . والحرب اليمنية النجدية الاخيرة أنصم دليل على هذه القضية

ومن تهافت الشيعي ومن الدليل على سوء نيته قوله ان النجديين لم يحاربوا أحداً غير المسلمين ، مع قوله انهم هاجوا شرق الاردن والعراق . وقد ذكر في موضع آخر من كتابه صفحة ٥٦ أنهم لما أن هاجوا شرق الاردن قاتلتهم الطيارات والدبابات البريطانية فقتلت منهم وأمرت ، وأن الامرى اطلقوا بأمر الانجليز . فالبلاد التي تدافع عنها الدبابات والطيارات البريطانية أليست بلاداً بريطانية ؟ أو ليس من غزا تلك البلاد المحمية بالطيارات والدبابات البريطانية فقد غزا بريطانيا ، ومن غزا بريطانيا كيف يقال له انه يغزو المسلمين . وكيف يعد غزو بريطانيا دليلاً على أن ذلك الغازي يغزو المسلمين ويقاتلهم ؟

وذكر (ص ٥٨) أن النجديين لما أن غزوا العراق اشتكى العراقيون الى

الانجليز قائلين إما أن تدفعوا عنا ونحموننا من النجديين ، وإما أن تدعونا ندفع عن أنفسنا . وذ كر أن معتمد الحكومة البريطانية فاوض جلالة الملك عبد العزيز في أمر هذا الغزو ، وأن الملك أجابه بأنه لا علم له بذلك وأنه سيسأل قائد تلك الغزوة عما فعل . وذ كر في الصفحة نفسها أن الطيارات الانجليزية قدردت الغزاة النجديين عن العراق وقدفتهم بقنا بلها

فكيف يماسك هذا الكلام الشيعي ! وأحسب أن النجديين لو غزوا الهند إقال هذا الرافضي إنهم غزوا المسلمين واستحلوا قتالهم . ذلك أنه لا يريد إلا أن يقول ان النجديين خوارج مستحلون دماء المسلمين وأموالهم والخروج عليهم شاء الواقع أم أبى . فكل شيء يقف في سبيل هذا الغرض ينكره ويأباه ويلج به إباطه وهذا كما قيل في المثل (معزى ولو طارت)

ومن أ كذب ما كتب قوله : « وقتلهم من ظفروا به من المسلمين » فأننا لا ندرى والله كيف يجرؤ على أن يزعم أن النجديين يقتلون كل من ظفروا به من المسلمين والناس كلهم يرون المسلمين يؤمون الحجاز كل عام من جميع الأطراف ليؤدوا فريضة الحج ، ثم يؤوبون الى بلادهم سالمين موفورين لم تقتل منهم نفس واحدة ولم يرزأ منهم أحد ولم ينل منه النجديون منال سوء لا في مال ولا في نفس ولا في شيء من الأشياء . بل ويشهد كل من رجع من هنالك أن الأمان والسلام لا يجدهما المرء الا هنك حيث يرفرف العلم السعودي الوهابي ذو السيفين وذو الشهادتين . ولو كان هذا الرافضي صادقا في زعمه لما أبقى على الرافضة في الاحساء والقطيف من قلب المملكة السعودية . والرافضة بلا خلاف من شر الفرق المبتدعة ومن شر أهل الضلالة عقيدة ورأيا وقولا ، ومن أبعد المنحرفين عن النجديين منزعا ومذهبيا ، لأن الرافضة أخلى الفرق المنتسبة للإسلام في الباطل ، وأفظها عقيدة في الخلق . فانها بينما تكفر خيار الأمة تضع آخرين منهم في مصاف الآلهة

وتتهم حق الله المعلوم . ولكن الرافضة في المملكة السعودية لا ينالون بسوء ويكتفى منهم باظهار الاسلام وبألا يشيعوا عقائدهم الخاصة الباطلة ككفار الصحابة . وهذا وحده يكفيننا وحده نقضا لما قاله في جميع كتابه من التهم

ثم قال الرافضي « ثالث عشر - كما أن الخوارج كلما قطع منهم قرن نجم قرن كما أخبر عنهم أمير المؤمنين علي عليه السلام . كذلك الوهابيون كلما قطع منهم قرن نجم قرن . فقد حاربهم محمد علي باشا واستأصل شأفتهم ووصل ولده ابراهيم باشا الى قاعدة بلادهم الدرعية وأخربها . ثم نجم قرنهم بعد ذلك وقطع ثم نجم وقطع مراراً » انتهى

قلت وما لما ذكره هنا حاصل ، فانه ان كان يريد بالمشابهة بين الوهابيين والخوارج هنا بقاء كلتا الطائفتين وتماقبهما ، فلهذا من حاصل ، فان الاسلام الصحيح يشبه هذا أيضا ، فانه باق الى قيام الساعة ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح المشهور : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » فالاسلام الصحيح بل والاسلام الذي يعرفه هذا الرافضي باق غير زائل حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فهل يضره أن يكون المذهب الخارجي الباطل باقياً كذلك ، يطفو تارة وبرسب أخرى ، ويعلو ويسفل ؟ بل وكذلك شأن كل مذهب وفكرة في الدنيا فان من دأبها التعاقب ، الظهور حيناً والخفاء آخر ، والقوة مرة والضعف مرة ، وما من مذهب إلا وهو كذلك حتى المذهب الشيعي الرافضي الباطل ، فانه مازال يقوى ويضعف ويبدو ويخفى ، وكلما اختفى منه قرن ظهر له قرن آخر ، ولن يزال كذلك حتى يغمسه الله في محيط العدم اللانهائي ، فالحق والباطل والهدى والضلال والايان والكفر : كل أولئك تشترك في هذا المعنى الذي ذكره ، لا يختص بهذا الضلال دون الهدى ، ولا الهدى دون الضلال ، ولا الحق دون الباطل ، ولا

الاسلام دون غيره من الأديان ، ولا الأديان دون الاسلام ، ولا المذهب الخارجى دون غيره من المذاهب الأخرى ، فلا ينفرد بهذا دين الاسلام الصحيح دون للمذهب الشيعى الرافضى الباطل وما يقاربه أو يباعد

فهذا المعنى بالاجمال مشترك مشاع بين جميع الآراء والمذاهب الثابتة ذات الأنواع ، لا ينفرد بها شيء دون شيء . فاذا فرض أن المذهب الخارجى كاذكروه الشيعى ، وفرض أنه باق خالد يعلو ويهبط وفرض أن المذهب الوهابى - فى تمييزه والمذهب السلفى فى تمييزنا - كذلك أيضا يعز حيناً ويظهر ، ويضعف آخر وينزوى لم يكن فى هذا شيء من الدلالة التى يعينها الشيعى ويحاول إثباتها ، كما أن الاسلام نفسه إجمالاً كذلك ، يعز حيناً ويظهر ، ويضعف آخر وينكش ، وهكذا جميع الفكر كما ذكرنا ، فليس ما هنا شيء يختص به المذهب الخارجى أو الشيعى أو غيرهما ، وهذا واضح لا ريب فيه ، وكذلك محاربة المذهب السلفى ومحاربة أهله بعض الأزمان والتغلب عليهم وعليه ، والتحدى له ولم ، لا يدل شيء من ذلك على بطلان المذهب ومخالفته الحق ، بل هذا المعنى ان لم يدل على صحته وصدقه فلن يدل على ضعفه وبطلانه ، بل هذا لا يدل على أحد الأمرين لا دلالة قوية ولا ضعيفة ، فان الحق قد يحارب وينقلب أهله ، كما أن الباطل قد يحارب أيضا ويتهر نصرائه ، وقد تكون النتيجة العكس ، يحارب الحق فيكون الغالب الظاهر ، كما أن الباطل قد يحارب فيكون الغالب القاهر ، على حسب ما تقضى به سنة الله الكونية ومشيتته النافذة ، وهذا كله مشهود مشهور فى كل زمان ومكان ، وهذا الاسلام نفسه تارة يعز ويعز به أهله ، وتارة يضعف فيضعف أهله ، ولم يكن تغلب الكفر والكفار عليه دليلاً على أنه هو فى نفسه باطل ، ولم يكن خنوعه للكفر والكفار دليلاً على أنهم فى أنفسهم مهتدون ، وكذلك هزيمة أهل هذا المذهب بعض الأوقات لما منوا به من الضعف الخلقى أو النفسى أو الإهمال لما يفرضه

الاسلام والعقل من الاستعداد لنبوءات الزمن وجمع الالهة لطواريه والطوارق المفاجئة أبدأ ، لا يدل على أن المذهب في نفسه باطل غير صحيح ، حتى يدل قبر الأديان والأخلاق والصفاء في بعض البلدان والأزمان على بطلان هذه الأمور في أنفسها . وهذا مما لا يتنازع فيه الناس ، فالما ذكره هنا من حاصل يطعم طامع في التمسك به ، وأبعد الله الهوى ! فانه يرمي بصاحبه كل مرمى ، ويقتحم به كل صعب وذلول !

وهنا انتهت وجوه الشبه التي زعمها الرافضي بين النجديين والخوارج ، وهنا انتهينا من النقض على وجوهه وتسويدها ، وبعد هذا نذكر هنا ثلاثة أمور لازم ذكرها : أولا إقامة البراهين على أن الوهابيين ليسوا هم الخوارج ولا منهم ، ثانيا الحجة على أن الشيعة شر من الخوارج ، ثالثا شبه الرافضة بشر الأمم أعني باليهود

ليسوا هم الخوارج

حاول هذا الرافضي كما حاول غيره من نصراء البدعة والهوى تلفيق الدعاوى على أن أهل السنة من أهل نجد الداعين الى الرجوع بالاسلام سيرته الأولى تقيا من الشوائب والأخلاق والادخيل هم الخوارج الذين جاءت الأنبياء النبوية الصحيحة في مذمتهم وهجائهم وفي الأنبياء عن عظم مصائبهم على الاسلام والمسلمين وقد حشد هذا الرافضي بكل قوته الشبهات التي تغني بها من قبله ، وحاول بها إثبات هذه القضية ، وقد كتبنا عليها ما رآه القاري قبل هذا . ونحن هنا نذكر الدلائل الواضحة على خطأ هؤلاء القوم في هذه الدعوى وهذه المحاولة ، ونذكر الحجة الكافية على أن أهل السنة الذين يسميهم هؤلاء بالوهابيين براء من الخوارج ومن آراء الخوارج ، وبراء من أن يكون بينهم وبينهم شبه يختصون به دون أهل الحق من المسلمين والرعيل الأول الصالح

فنتقول ان أصل المذهب الخارجي قائم على القدح في النبي الكريم وفي عدله وقضائه ، ولذلك قال أولهم ذوالخويرة لما أن شاهد بعض قسمة الرسول وأقضيته قوله المشهور : اعدل يا محمد ! فان هذه القسمة قسمة لا يراد بها وجه الله ! فعضب النبي الكريم وقال قوله المشهور في الخوارج : ان من ضئضئ هذا قوما يقرؤن القرآن لا يتجاوز حناجرهم يرقون من الاسلام كما يرق السهم من الرمية « والوهايون بمحمد الله من أبعد الناس عن هذا البلاء بلاريب ، والشيعي نفسه يعترف أن مذهب الوهابيين قائم على مضادة هذا المعنى والقول ، وهم لا يشكون أن من قدح في عدل الرسول وقضائه وقسمته أو شك في ذلك فهو بري من الاسلام لاحظ له فيه ، ودعوتهم قائمة على دعوة الناس الى الاقتداء بالنبي الكريم في صغير الأمور وكبيرها وفي أقوالها وأفعالها ، وقائمة على أن المسلم لن يفلح ولن يكون مسلماً إلا اذا اقتدى بالرسول ﷺ وتشبه به وعلم أنه ينال رضا الله وسعاده الابدية بذلك ، فالوهايون بلا شك من أبعد الناس عن الخوارج في هذه الصفة ومن أبعد الناس عن مشابهتهم في ذلك ثم ان أصل مذهب الخوارج أيضا اكفار على بن أبي طالب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان ومن وافق هؤلاء الصحابة من الصحابة والتابعين ومن سار سيرتهم من بعد ، ولهذا يكفرون الخلفاء الامويين والعباسيين ومن رضي حكومتهم وخلافتهم

وفكرة الخوارج قائمة على هذا ، ولكن الوهابيين يرددون الى الله من هذا القول وقائله ، ويشهدون بحق وصدق أن هؤلاء الذين أكرههم الخوارج وحكموا بردتهم من أفضل البشر وأصدقهم ديناً وإيماناً وسيرة وسريرة ، ويشهدون لهؤلاء الصحابة والخلفاء ولمن اتبع منهم بسلامة العقيدة ووفور الايمان . ثم يشهدون أيضاً أن غاية اسلم القوى الاسلام أن يتشبه بهم وأن يقبس منهم عقيدته وفعله وأن يفعل ما كانوا يفعلون ويمتد ما كانوا يمتدنون ، وأن يعلم أن من حاد عن

سبيلهم ورغب عن سننهم وطريقهم فهو من الهلكى الضالين وأن من قدح فيهم أو شك في أمرهم فاهو من أهل السعادة والمداية

ثم ان الخوارج أيضا يرون فاعل الكبيرة - وبعضهم يقول وفاعل الصغيرة - كافرأ مرتدأ مأواه النار خالداً فيها لا يخرج منها بل يبقى في عذابها الأليم ما بقى عبدة الاصنام والأوثان والكواكب والبشر ، ولكن الوهابيين براء من هذا القول ومن قائله فهم لا يرون ان ذنباً من الذنوب وان جل قاض بكفر مرتكبه ولا يخرج له من جماعة المؤمنين ولا موجب له الخلود في النار . بل يرون أن المسلم وان فعل الذنوب الكبيرة من المسلمين الناجين من الخلود في النار : وما فعله من الاثم له جزاء دون جزاء الكفر والشرك ، والله أن يجازيه على ذلك ليطهره ثم يخرج به الى الجنة بعد الجزاء والتطهير ، والله أن يعفو عنه وأن يغفر ذنبه وأن يدخله الجنة ابتداء بلا سابقة عذاب ولا عقاب كما قال تعالى « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . فلن يلتقى إذا الوهابيون والخوارج أبداً مع اقتراف مبادئهم وأصول مذاهبهم

والخوارج يأبون تحكيم الرجال ويعمدون ذلك كفراً ، ولهذا أ كفروا علاناً والذين معه وخرجوا عليه لما أن قبل التحكيم بينه وبين خصمه معاوية ، وقد طلبوا منه الاعتراف على نفسه بالكفر ثم الاعتراف بالرجوع الى الاسلام أنفاً . فابى على ذلك فأبوا الاعتراف له بالايمان وأصروا على إكفاره والخروج عليه ، وقد قالوا في ذلك الحين قولتهم المشهورة « لا حكم إلا لله » فقال على كلمته المشهورة رداً على كلمتهم (كلمة حق يراد بها باطل) والوهابيون بريئون من هذا الرأى ومن أصحابه بل هم يرون رأى الامام على حينما قال لهم : ان المصحف لا يتكلم فلا بد من رجال يتكلمون عنه ، وقال ابن حزم في كتاب الملل والنحل تحت عنوان « شنع الخوارج » من الجزء الرابع صفحة ١٤٤ ان قرقة من الأباضية وبينهم رجل يدعى زيد بن أبي

أنيسة كان يقول إن في هذه الأمة شاهدين عليها هو أحدهما ، والآخر لا يدري من هو ، وإن من كان من اليهود والنصارى يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى العرب لا إلينا كما تقول العيسوية من اليهود . قال فاتهم مؤمنون أولياء الله وإن ماتوا على هذا العقد وعلى التزام شرائع اليهود والنصارى ، وإن دين الاسلام سيفسخ بنبي من العجم يأتي بدين الصابئين وقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة إلا أن جميع الاباضية يكفرون من قال بشيء من هذه المقالات ويستحلون دمه وماله ، وقالت طائفة من الاباضية إن من زنا أو سرق أو قذف فانه يقام عليه الحد ثم يستتاب من فعله فان تاب ترك وإلا قتل على الردة ، وشاهدنا الاباضية بالاندلس يحرمون طعام أهل الكتاب ويحرمون أكل قضيب التيس والثور والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهاراً في رمضان فاحتلم ، ويتيممون وهم على الآبار التي يشربون منها إلا قليلاً منهم ، وقال أبو اسمايل البطيحي وأصحابه لا صلاة واجبة إلا ركعة واحدة بالفداة وأخرى بالعشي ، ويرون الحج في جميع شهور السنة ويحرمون السمك حتى يذبح ، ولا يرون أخذ الجزية من المجوس ويكفرون من خطب في الفطر والأضحى ، ويقولون إن أهل النار في النار في لذة ونعيم ، وأهل الجنة كذلك ، وقالت سائر الأزارقة بإبطال رجم من زنا وهو محصن ، وقطع يد السارق من المنكب وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها وقال بعضهم لا ، ولكن تقضى الصلاة إذا طهرت كما تقضى الصيام ، وأباحوا دم الأطفال ممن ليس في عسكرهم وقتل النساء أيضاً ممن ليس في عسكرهم ويرات الأزارقة ممن قعد عن الخروج لضعف أو غيره ، وكفروا من خالف هذا القول بعد موت أول من قال به منهم ، ولم يكفروا من خالفه في حياته وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير عسكرهم ويقتلونه إذا قال أنا مسلم ويحرمون قتل من انتهى إلى اليهود أو النصارى أو المجوس ، وبهذا شهد رسول الله عليهم بالمرور

من الدين كما يمرق السهم من الرمية . إذ قال عليه السلام « أنهم يقتلون أهل الاسلام ويتركون أهل الأوثان » وهذا من أعلام نبوته ، وهو من جزئيات الغيب فخرج نصاً كما قال ، وقالت النجدات ليس على الناس أن يتخذوا اماماً انما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم ، وقالوا من ضعف عن الهجرة لمسكرهم فهو منافق واستحلوا دم القعدة وأموالهم ، وقالوا من كذب كذبة صغيرة أو عمل عملاً صغيراً فأصر على ذلك فهو كافر مشرك ، وكذلك أيضاً في الكبائر وان من عمل من الكبائر غير مصر عليها فهو مسلم ، وقالوا جائز أن يذهب الله المؤمنين بذنوبهم لكن في غير النار واما النار فلا ، وقالوا أصحاب الكبائر منهم ليسوا كفاراً وأصحاب الكبائر من غيرهم كفار ، وقد بادت النجدات . وقالت طائفة من الصفرية يوجب قتل كل من أمكن قتله من مؤمن أو كافر ، وكانوا يؤولون الحق بالباطل ، وقد بادت هذه الطائفة ، وقالت الميمونية وهم فرقة من العجاردة يجواز نكاح بنات البنات وبنات البنين ، وذكر ذلك عنهم الحسين بن علي الكراسي وهو أحد الأئمة في الدين والحديث ولم يبق اليوم من فرق الخوارج الا الاباضية والصفرية ، وقالت طائفة من البيهسية وهم أصحاب أبي بيهس وهم من الصفرية ان كل صاحب كبيرة فيها حد لا يكفر حتى يرفع الى الامام . فاذا أقام عليه الحد فحينئذ يكفر ، وقالت النونية وهم طائفة من البيهسية ان الامام اذا قضى قضية جور وهو بخراسان أو غيرها ففي ذلك الحين نفسه يكفر هو وجميع رعيته حيث كانوا من شرق الارض وغربها ولو كانوا بالاندلس واليمن ، وقالوا أيضاً لو وقمت قطرة خمر في جب ماء بقلعة من الارض فان كل من خطر على ذلك الجب فشرب منه وهو لا يدري ما وقع فيه كافر بالله قالوا الا أن الله يوفق المؤمن لاجتنابه ، وقالت الفضيلية من قال لا اله الا الله محمد رسول الله بإسناده ولم يعتقد ذلك بقلبه بل اعتقد الكفر أو الدهرية أو اليهودية أو النصرانية فهو مسلم

عند الله مؤمن ، ولا يضره اذا قال بلسانه ما اعتقد بقلبه ، وقالت طائفة من الصفرية ان النبي اذا بعث في حين بعثه يلزم جميع أهل للشرق والمغرب الايمان به وان لم يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع . فمن مات منهم قبل أن يبلغه شئ من ذلك مات كافراً . وقالت العجاردة : ان من بلغ الحلم من أولادهم وبناتهم فهم براء منه ومن دينه حتى يقر بالاسلام فيتولوه حينئذ . وقالت طائفة من العجاردة : لا تتولى الأطفال قبل البلوغ ولا نبراً منهم لكن تقف فيهم حتى يلفظوا بالاسلام بعد البلوغ . وكان من قول المكومية ان من أتى كبيرة فقد جهل الله فهو كافر ، ليس من أجل الكبيرة لكن لأنه جهل الله . وقالت طائفة من الخوارج : ما كان من المعاصي فيه حد كالزنا والسرقة فليس فاعله كافراً ولا مؤمناً وأما ما كان من المعاصي لا حد فيه فهو كفر وفاعله كافر . وقالت الحفصية : من عرف الله وكفر بالنبي فهو كافر وليس بمشرك وان جهل الله أو جحدته فهو حينئذ مشرك . وقال بعض أصحاب الحارث الأباضي : المنافقون على عهد رسول الله إنما كانوا موحدين لله أصحاب كبار . ومن حماقاتهم قول بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد فانه كان يقول : كل ذنب صغير أو كبير ولو كان أخذ حبة من خردل بغير حق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهو شرك بالله وفاعله كافر مشرك مخلد في النار إلا ان يكون من أهل بدر فهو مشرك من أهل الجنة ، وهذا حكم طلحة والزبير رضي الله عنهما عندهم . ومن حماقاتهم قول عبد الله بن عيسى تلميذ بكر ابن أخت عبد الواحد المذكور ، فانه كان يقول : ان المجانين والبهائم والأطفال ما لم يبلغوا الحلم فانهم لا يألمون البتة لشئ مما ينزل بهم من العلل وحجته في ذلك أن الله لا يظلم أحداً . هذا كله ما ذكره ابن حزم

وقال الشهرستاني تحت عنوان « مذاهب الخوارج » :

« وبدع الأزارقة ثمان : احداها كفر على وتصويب ابن ملجم قاتله . الثانية

١ كفار القعدة عن القتال وان كانوا موافقين . الثالثة جواز قتل أطفال المخالفين ونسأهم . الرابعة إسقاط الرجم عن الزانى إذ ليس فى القرآن ذكره وإسقاط حد القذف عن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء . الخامسة الحكم بأن أطفال المشركين فى النار مع آبائهم . السادسة أن التقية غير جائزة فى قول ولا عمل . السابعة تجوز أن يبعث الله نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته أو كان كافراً قبل البعثة . الثامنة اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة وخرج به عن الاسلام جملة وكان مخلداً فى النار مع سائر الكفار واستدلوا بكفر إبليس . هذا بعض ما ذكره ابن حزم والشهرستاني . وهذا ما ينقله عنهم عامة من كتبوا فى الملل والنحل ومقالات الاسلاميين . وهذه البدع التى خالفوا بها أهل السنة والجماعة وعرفوا بها وأضيفت اليهم وحدهم وابتدعوها وحدهم يتبرأ منها الوهابيون ومن القول بها ، ويتبرؤون من أهلها ولا يوافقونهم على واحدة منها ولا يوافقونهم الا على الحق الذى معهم ، الذى يوافقهم عليه أهل السنة والجماعة ، والذى قام البرهان على أنه حق لا باطل ، وهذا كما يوافقهم غيرهم من المسلمين ، لأن الحق قد يكون مشتركاً ، وقد يقول الحق من قال الباطل ، وبالمهدى من قال بالضلال ، ومثل هذا لا يضير ولا ينفع القول به ، وإنما الذى يمنع هو ما اختص به أهل الضلال وحدهم وما انفردوا به عن أهل الحق .

وإذا كان الوهابيون يخالفون الخوارج فى جميع ضلالاتهم وبدعهم الخاصة بهم التى ذموا لأجلها وكانوا لا يشاركونهم إلا فيما شاركهم فيه أهل الحق فخطيء كل الخطأ من زعم أنهم يشبهونهم أو أنهم منهم ، وما أبعد المسافة بين الخوارج وبين من يسميهم هؤلاء الوهابيين ! فان الأمور التى يأخذها هؤلاء المخالفون على أهل السنة لم يذكروها التاريخ ولم يذكروا أن أحداً من الخوارج قال بها أو دعا إليها أو رضيها وامتدحها ، ولم يذكروا أن الناس أنكروها عليهم فى عصرهم ولا ذموم لأجل

شيء منها ، فإن الأمور التي ينكرها المخالفون على أهل السنة هي مسائل التوسل والتعلق بالقبور والمعكوف عليها ودعوة الموتى وما يقارن ذلك من تقديم النذور والقراين وما يضاف الى هذا من الحلف بهم والتعظيم القوي لهم والاقطاع اليهم والى قبورهم رغبة ورهبة ، ثم مناوأة البدع والابتدعين ومحاولة تخليص الاسلام منها بمقوّة ، ثم الوقوف بالمسلمين مواقف السلف الأول من الصحابة والتابعين ومن جاءوا بعدهم من المحدثين والفقهاء والعلماء الربانيين ، ممن اتفقت كلمة المسلمين على امتداحهم والثناء عليهم وعلى أنهم من أهل الدين والصلاح والاعتصام بالكتاب والسنة ، ثم مسألة صفات الله التي نصت عليها الكتب المقدسة كلها والآحاديث النبوية ، وذلك كمسألة علو الله على عرشه . هذه هي أشهر المسائل التي يعيبها هؤلاء المخالفون على أهل السنة ، وهذه الأمور لم يقل بها الخوارج ولم يتكلموا فيها مطلقا إلا كما يقول وكما يتكلم فيها غيرهم من السابقين ، ولم يرد عن أحد منهم في هذه المسائل شيء ، لأن الناس في ذلك العصر لم يكونوا يسبحون في هذه المباحث ، لأنه لم يوجد من يصنع ذلك ومن يغفلون في القبور هذا الغلو الشنيع وما يتصل بذلك من الآوهام والآحاد الباطلة

فالبدع التي ابتدعتها الخوارج ودعت اليها وقايلت لأجلها لا يقول بها أحد من الوهابيين بل هم كلهم يبرؤن الى الله منها ، والأمور التي يأخذها هؤلاء عليهم لم يقل بها الخوارج ولم يدعوا اليها كما ذكرنا ، فكيف اذن يقال ان هؤلاء هم أولئك أو منهم أو أنهم يشبهونهم وينهجون منهاجهم ؟ وكيف لا ينجل مدعى هذا وكيف لا يرجو لقاء الله ؟ أليس هذا من أبطال الباطل وأرذل الهوى ؟

الشيعة شر من الخوارج

على ما لدى الخوارج من الباطل والشر والمنكر نعترف بأن الشيعة أكثر منهم شرّاً وباطلاً ومنكراً ، ونعترف بأن الشيعة أبعد عن الاسلام وعن الدين والعقل وعن فعل الخير من الخوارج ، ونعترف بأن الخوارج خير منهم من كل الوجوه أو من أكثره . وبيان هذا فيما يأتي :

(أولا)

لا يختلف أهل البصر والدراية بالتاريخ أن أصل المذهب الشيعي موضوع على الاتحاد والكيد للاسلام وأهله والغدر بالعرب والدمس لهم ولحكوماتهم ومحاولة تقويض خلافتهم وسلطانهم حسداً وبغياً وبغضاً للدين الذي نشره ونصروه فاتصروا هم به . وذلك أن واضع أساس هذا المذهب هو عبد الله بن سبأ الذي أظهر الاسلام خداعاً ونفاقاً لافساده وافساد أهله وللإيقاع بهم وبه . ولقد نال بعض غرضه وألحق بالاسلام والمسلمين هو وأصحابه ما ألحق من الأضرار المادية والمعنوية ومن الفتن الجارفة المدمرة . فانه أظهر في أول أمره التقى وحب النبي وآل بيته ، ثم ادعى أن آل البيت مظلومون ، وأن المسلمين لهم ظالمون وأنهم هم أهل الخلافة وحدهم ، لا يجوز خروجها منهم ولا انتقالها عن علي وذريته وراح يدعو الى هذا القول هو وأصحابه بمكر ودهاء محكين بارعين ، وصار يترنم بهذه النغمة وهذا الطنبور بمثابة عجيبة حتى تغيرت النفوس ووقع فيها ما وقع من التكرار للخلفاء وللعصاة والمسلمين الذين ولوهم الخلافة ورضوا بتلك الصفقة وأخذ هذا المعنى يذو في بعض الصدور ويتضاعف شيئاً فشيئاً حتى فاضت به فحدث ما حدث في فجر الاسلام من الفتن المقتتلة والخلاف الطاحن المدمر وجميع ما حدث

فى ذلك العصر يرجع الى هذه الفتنة وأخواتها إما بوساطة واحدة وإما بوساطات ثم ذهب هذا اليهودى الشيعى برتل مدائح على ويمدد فضائله وأخذ يبالغ فى هذا ويسرف ، منتقلا من خطوة الى خطوة ومن دركة الى دركة أوهد حتى صاح بتلك الدعوة الهائلة ، وأحدث أكبر الأحداث فى الاسلام فادعى فى على الالهية ، وأن جزءا إلهيا حل فيه ، وأظهر هذا الجزء الالهى صفاته ومعانيه وأفعاله وخواصه فى ذات على وعلى أعضائه وجوارحه ، ولهذا كانت أفعاله خارقة معجزة وكان قوله فوق أقوال البشر ، وكانت أفعاله أفعالا لا يستطيعها المخلوقون . فهو لهذا يستحق العبادة ويستحق التأليه وامم الربوبية وسمتها ، وهو إذا يستحق أن يخاطب خطاب الاله ويدعى دعاء الرب وينادى نداه ، فترا كضت هذه الدعاوى والمزاعم الشيعية فى الظاهر ، الالحادية فى الباطن ، الى بعض النفوس والصدور ، فنزلت فيها منزلة التقديس والتبجيل وتمكنت منها وانتشرت على أعضائها فراح هؤلاء الى على وقالوا له أنت الله أنت الخالق الرازق وخلعوا عليه أخص صفات الله الفرد الصمد ، فكان رأى على فى هؤلاء أن يعاقبوا أشد العقوبات . لأن دعواهم هذه من شر الدعاوى ، فأضرم النيران وقذفهم فيها غير مأسوف عليهم ، وقضوا بالتحريق ، فقالوا وهم يحترقون الآن صبح أنك أنت الله إذ لا يمدب بالنار إلا رب النار . وهذه المقالة منهم العجيبة فى تلك الساعة الرهيبة تدل على أحد أمرين : على الدهاء والخبث اللذين ما فوقهما دهاء وخبث ، إما على رسوخ هذه العقيدة الباطلة فى تلك الصدور رسوخا ألقى على وجه الدلائل و لمجج السافر قناعا من أبخرة الباطل والعمى حتى راحت لا تبصرها ولا تبصر شيئا . وأما هذا اليهودى مفترى هذه النحلة فقد هرب وذهب يجتاب البلاد الاسلامية جادا فى نشر دعوته هاربا معه بهروبه مذهبه المنافق الساكر واضعا فى كل أرض يحتلها جذور هذا المذهب ، وهكذا اتسع وانتشر . وما زال الى يومنا

هذا يطفو ويرسب ويفعل ما يفعل من الفساد والفوضى ، ويصنع ما يصنع من الضلالات المبتكرة الخبيثة . قال الامام ابن حزم في آخر صفحة من الجزء الرابع من كتاب الملل والنحل « وما توصلت الباطنية الى كيد الاسلام وإخراج الضعفاء منه الى الكفر إلا على أسنة الشيعة » وقال في آخر كلامه على فرق الشيعة « واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى الى الاسلام فاعما عنصرهم الشيعة والصوفية ، فان من الصوفية من يقول ان من عرف الله سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واتصل بالله » بل نحن نقول إغما عنصر ذلك هم الشيعة وحدهم والصوفية أنفسهم انما عنصرهم الشيعة . فالى الشيعة يرجع هذا البلاء كله . ومنهم يبدأ ، وقال ابن قتبية في كتاب تأويل مختلف الحديث : « ولا نعلم في أهل البدع أحداً ادعى الربوبية غير الرافضة . فان عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي ، ولا نعلم أحداً ادعى النبوة لنفسه غيرهم . فان المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة لنفسه وقال ان جبريل وميكائيل يأتيان الى جهته فصدقته أصحابه واتبعوه وهم الكيسانية » وقال الامام المقبلي في كتابه العلم الشاخ « قال بعض العلماء اتنى بزیدی صغير أخرج لك منه رافضيا كبيرا ، واتنى برافضی صغير أخرج لك منه زنديقا كبيرا يريد أن مذهب الزيدية يجر الى الرفض ، والرفض يجر الى الزندقة » هذا كلام المقبلي ، ولهذا كانت الدول المنقسبة الى الرافضة من أكثر الخلق وأكثرهم افتتاناً بالاحاد والضلال ومخاصمة الاسلام والمسلمين ، والمثل الأعلى لهم الفاطميون والاسماعيلية والقرامطة ، وكما لقي الاسلام والمسلمون من ويلات هؤلاء التشيعيين فالمؤرخون البصرياء بالتاريخ وبنشوء النحل والآهواء في الاسلام لا يشكون أن أصل مذهب التشيع مؤسس بالنفاق والكيد للاسلام ، وأن وضعته ما كانوا مؤمنين بل كانوا ملحدین كذا بين ادعوا الاسلام لحربه من قريب ، وهؤلاء هم رؤساؤهم أما جمهور الشيعة فقد يكونون مخدوعين حسنى النية والقصد لا يضمرون الكفر

والغدر بالاسلام ، ولكن جاءهم هذا البلاء من جانب الجهالة والضلالة وخديعة
 زعمائهم المحكة البرمة ، هذا ما كان من مذهب الشيعة وابتدائه
 وأما أصل مذهب الخوارج فلا ريب أنه ليس قائما على الالحاد والكفر واردة
 السوء بالاسلام ، ولكنه قائم على الجهالة والضلالة وضعف البصر بالدين وضالة
 العقل . فداؤم هو الجبل ، وهذا الشيعة يعترف بهذه الحقيقة ، ويعترف أن
 الخوارج كانوا يطلبون الحق ، ولكنهم قد أخطأوه ، وقد نقل عن علي في كتابه
 أنه قال « لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطأه كن طلب
 الباطل فأصابه » ولهذا كان الخوارج في غاية الاجتهاد والحرص على العبادة والخير
 وأشتات الطاعات ، وكانوا يتهاكفون على نصرته الحق الذي يقتنعون به ،
 ويقذفون بأنفسهم في أكناف الموت والهلكة في سبيل نصرته عقيدتهم ونصرة
 الأمر الذي يرونه حقا وهدى ، وقد كانوا يجاهرون بعقيدتهم في كل مكان
 وزمان لا يرهبون سلطانا ولا يرهبون قتلا أو سجنًا أو مصادرة ، وكانوا يمتنون
 التقية التي يقول بها الشيعة ، وكانوا مياالين نزاعين للصدق وقول الحق يمتنون
 الكذب والتناق والادمان في الدين وفي أمر الله وهذا كله لأجل إرادتهم الله
 ولأجل مآلديهم من حسن النية وسلامة القصد ، وما كان بلاؤهم سوى الضلالة
 والجهالة ولأجل ذلك رجع أكثرهم لما خرجوا على علي وأكفروه فذهب اليهم هو
 والله بن عباس فكلمهم وأرياهم مواقع غلطهم ، وذلك لأنه لا غرض لهم أو
 لا أكثرهم غير الحق ونصرتهم ؛ ولهذا رجعوا لما أن سفرهم جبين الهدى فأبصروه
 وعرفوه بخلاف وضعة مذهب الشيعة . فانهم ادعوا الألوهية في علي فأنكر ذلك
 عليهم وهاله فاستتابهم . فأصروا على ما قالوا وأبوا تصديق من زعموه المآ وكيف
 يكون المآ ثم يكذب ؟ أم كيف يكون المآ فيعصوه كفاحا لأجل طاعته على ما زعموا ؟
 وكيف يعذبهم على ما قالوا إذا ما كان حقا ؟ وكيف يطالبهم بالرجوع عن مقالة

الحق ؟ وكيف يهرب منه زعيمهم عبد الله بن سبأ ؟ وأين المفر من الاله ؟ لا ريب أن بعض هذا يدل على أنهم منافقون ، وأنهم لا يريدون الحق ، وأنهم في زعمهم ألوهية على كاذبون يخادعون لا معتقدون ولا مؤمنون ، وهذا من الامور الظاهرة لدينا ولدى أهل البصر بالدين ونشوء الآهواء والعقائد في الاسلام . واذا كان ذلك كذلك فلا ريب أن من ادعوا الاسلام والايمان نفاقا وخداعا واضرارا به وبأهله شر ممن دخلوا الاسلام وأرادوه حقا باخلاص وصدق ، ولكنهم ضلوا وأخطوا فقالوا أقوالا باطلة منكرة وابتدعوا بدعا سخيفة كما أتيح للخوارج ، فلا ريب إذن أن الشيعة شر من الخوارج وأنأى عن الحق والدين ، وهذا كما نقل هذا الرافضي عن الامام على أنه قال : « ليس من طلب الحق فأخطأه كن طلب الباطل فأصابه »

ومما يدل على أن الرافضة أبعد من الخوارج أن عليا حرق الشيعة الغالية وقضى عليهم بالموت تحريقا لما أن بلغت مقاتلتهم وظفر بهم ولم يدع منهم إلا من لم يستطعه . أما الخوارج فانه لم يقاتلهم ولم يبدأهم بالحرب حتى بدؤوه هم وقتلوا من قتلوا من أصحابه ، والمحفوظ عنه أنه قال للخوارج لما أن خرجوا عليه : « لكم علينا ألا نمنعكم من المساجد وألا نمنعكم من النىء وألا نقاتلكم حتى تقتلونا » وحفظ عنه أنه سئل عنهم : أكنافهم ؟ فقال : لا . فقيل له : أنما نقون ؟ قال لا . فهو لم يحكم بكفرهم ولم يقاتلهم إلا بعد أن قاتلوه وقتلوا من قتلوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل وأقلقوا الأمن والسلام . أما الشيعة الغالية فانه عاقبهم أصرم العقوبات بمجرد أن سمع مقاتلتهم فأصروا عليها . وهذه براهين تدل على مقدار الفرق بين الطائفتين وتدل دلالة جليلة على أن الشيعة شر من الخوارج

(ثانی الامور)

ان باطل الخوارج وأول منكر جاءوا به هو قدحهم في الامام علي وفي خلافته ثم الخروج عليه واستحلال قتله وقتاله ، وهذا أول منكر جاءوا به وأعلنوه ، وهذا ولا رب ذنب عظيم . ولكن ما عند الشيعة من هذا أفضح وأعظم . وذلك أن الشيعة يكفرون من هم أفضل من علي ومن معه من الصحابة ، ويستحلون قتالهم وقتلهم . فهم يكفرون أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة وطلحة والزبير وجميع الصحابة ما خلا شذمة قليلة . وأما الجمهور فكفار منافقون لديهم يجب قتالهم والخروج عليهم بلا ريث ولا هوادة . وقد نقلوا في كتبهم وعن أنتمهم من القبح والظلم في الصحابة ما هو في غاية المنكر والبذاءة والفحش ، مقالات نحسب الخوارج لا يستطيعون روايتها والتحدث بها فضلا عن ابتداعها ثم اعتقادها . وقد قلنا في هذا الكتاب أشياء من ذلك غاية في الخروج على الأدب والحياء . مثل قولهم ان الجيت والطاغوت هما أبو بكر وعمر ، وأن البقرة المأمور بذبحها هي عائشة ، وأن أئمة الكفر هم طلحة والزبير ، وأن الذي قال للانسان اكفر هو عمر ، الى غير ذلك من المقالات التي لا يقولها ملحد عاقل فضلا عن مؤمن بالله ورسوله وباليوم الآخر ، ولا نحسب الخوارج يستطيعون التفوه بهذه المقالات لما فيها من فساد الذوق وفحش التعبير

ولا رب أن من يكفر الصحابة جميعاً إلا القليل ، ومن يكفر أفضل الأئمة كأبي بكر وعمر وأموات المؤمنين شر ممن يكفر عثمان في شطر من حياته وعلياً في شطر من حياته أيضاً فلا شك إذن أن الشيعة شر من الخوارج من هذه الناحية : ناحية العدوان على عتائد المسلمين وإيمانهم ، وهذه الناحية هي أبرز ناحية في الخوارج ، وهي من أعظم ما ابتدعوا وابتكروا . وقد بذتهم فيها طائفة الشيعة

وسبقتهم سبقاً ميبناً كما رأيت ، ففى بلا شك شئ منهم

(ثالث الأمور)

لا نلشك فى أن لدى الخوارج من الأخلاق الفضلى والسجايا المحمودة كالصدق والاستقامة والشجاعة والدين والتقوى والجد فى العبادات والنأى عن مواطن الذم والضعف والسوء ما لم يوجد لدى طائفة الشيعة ، فان الخوارج كانوا من أصدق الناس والشيعة من أكذبهم ، والخوارج من أشجع الناس والشيعة من أجبينهم ، والخوارج من أعبد الناس كما جاءت بذلك النصوص وكما قرر ذلك التاريخ ومنه تاريخ المخالفين والشيعة من أقل الناس ديناً ، والخوارج من أقول الناس للحق وأحرثهم عليه والشيعة من أكتهم للحق وأبعدهم وأجبينهم عنه . وإجمالاً ما من خلق فاضل طيب صالح إلا والخوارج يفضلون الشيعة فيه ويسبقونهم اليه ، وان لدى الخوارج أخلاقاً وفضائل مرضية لم يكن للشيعة منها لا قليل ولا كثير فقد دلت حروب الخوارج ومنازلتهم لمخالفينهم ودلت مواقفهم الصارمة مع الخصوم على أنهم من أشجع الناس وأصدقهم وأفرضهم وأخلصهم نية وقصداً وعلى أنهم من أزهد الناس فى الدنيا ومن أبعدهم عن الحرام وركبوا الآثام ودلت حروب الشيعة ومواقفتهم الخصوم على أنهم بعكس الخوارج فى ذلك كله وأنهم من أكذب الناس وأسوأهم قصداً وأضعفهم قلوباً وأجزعهم عند الحروب ، وأكثروا تهافتاً على الدنيا ولذاتها . وقد دل على ذلك كله خذلانهم علياً وبنيه ذلك الخذلان المتواصل المتلاحق المسبوق بأنواع الخداع والتفجير . وقوام أمر الشيعة شيثان : النفاق والفساد . وقوام أمر الخوارج شيثان : الشجاعة والاندفاع فى نصرة ما يعتقدونه حقاً . فالخوارج يعملون بما يطمون بصبر وجلد ومثابرة عجيبة ، ويجاهدون مخالفينهم بشجاعة وإقدام وصدق وصرامة ، والشيعة لا ينصرون

ما يزعمونه الحق من المعتقدات الا بالخداع والمكر والدسائس ، ولهذا كانت التقية قوام أمرهم ، وكانت هي الأمر الذي به يعنون وله يهتمون . فخرابهم هي اغتيال وكيد ونفاق وتحريش ، ولهذا نجد علماء الحديث والرواية يفرقون بين الخوارج والشيعة فهم يروون عن غلاة الخوارج ويصححون أخبارهم ويحتججون بها لأن الخوارج وان كانوا ضلالا تائبين عن الحق لا يكذبون ، وكيف يكذبون وهم يعدون الكذب كفرا موجبا الدخول في النيران . ولكنهم لا يروون عن غلاة الشيعة ولا يحتججون بروايتهم والمحدثون لا غرض لهم في حب هؤلاء ولا بغض هؤلاء ، ولكن غرضهم هو الحق وحده . وكثيرون من أهل الحديث يرغبون عما رواه الرافضة مطلقا . لأنهم أجرياء على الكذب والزور كما فعل هذا الشيعي في كتابه هذا . فانه حشاه وطعمه بالأكا ذيب الممقوتة تعمدا وقصدا ، وقد روى الامام البخاري في صحيحه عن عمران بن حطان شاعر الخوارج وخطيبهم المفوه وداعيتهم الأشهر ، وهو الذي امتدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل على رضي الله عنه وأبياته في هذا مشهورة أولها :

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
فهذا الخارجى معدود لدى المحدثين ولدى أهل السنة جميعا من غلاة الخوارج
الضلال ومن دعائهم ومع هذا كله روى عنه البخارى في صحيحه والبخارى معروف
أمره وتشده في الرواية ، وكتابه معدود أصح كتب الحديث عند أهل السنة
من المسلمين وأدقها شروطا وشرايط ، ونحن نعلم يقينا أن البخارى لا غرض له في
هذا سوى الحق والحق وحده ، وقد قال أبو داود : ليس في أهل الأهواء أصح
رواية من الخوارج ، وقيل ان حديثهم أصح الأحاديث ، وقال المافظ ابن حجر
في مقدمة فتح الباري « . . . والبدعة الموصوف بها اما أن تكون مما يكفر به أو
يفسق ، فالكفر بها لا بد أن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة

كما في غلاة الرافضة من دعوى بعضهم حلول الالهية في علي أو غيره ، أو الايمان بوجوه الى الدنيا قبل يوم القيامة ، أو غير ذلك ، وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شيء ألبتة ، والمفسق بها كبذع الخوارج والروافض الذين لا يخلون هذا الغلو وغير هؤلاء من الطوائف المخالفة لأصول السنة خلافا ظاهرا لكنه مستند الى تأويل ظاهره سائغ ، فقد اختلف أهل السنة في قبول حديث من هذا سبيله اذا كان معروفا بالتحرز من الكذب ، مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة ، موصوفا بالديانة والعبادة : فقليل يقبل مطلقا ، وقيل يرد مطلقا ، وقيل بالتفصيل »

فالرافضة الغلاة مردودو الرواية مطلقا كما ذكر الحافظ ابن حجر وأما الخوارج وبعض الشيعة غير الغلاة ففي هؤلاء الخلاف على ما ذكر . وفي الواقع أن الرافضة كلهم غلاة الا من شاء الله ، ولكنهم يستترون بالتقية ويكتمون أحيانا غلوهم الشديد عملا بهذه التقية . وأنت اذا راجعت ما ذكره ابن حزم والشهرستاني في كتاب الملل والنحل عن طوائف الشيعة علمت أن القوم كلهم غلاة وفوق الغلاة أيضا . وليراجع ما نقلناه في صدر الكتاب عن الشيعة

فليس في فرق الخوارج من يرد حديثه مطلقا على ما ذكر الحافظ ابن حجر أما الشيعة فيرد حديث الغلاة منهم مطلقا ، وذلك لسوء اعتقادهم وجرائمهم على الكذب وشهادة الزور . قال أشهب سئل مالك عن الرافضة ، فقال : لا تكلمهم ولا ترو عنهم فانهم يكذبون . وقال حرملة سمعت الشافعي يقول لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة . وقال يزيد بن هرون زروي عن كل صاحب بدعة اذا لم يكن داعية الا الرافضة فانهم يكذبون . وقال شريك احمم العلم عن كل من لقيت الا الرافضة فانهم يضمنون الحديث ويتخذونه ديناً .. وقال الأعمش أدركت الناس لا يسمونهم الا الكذابين . وقال الأعمش أيضا : لا عليكم أن تذكروا هذا ، فاني لا آمنهم أن يقولوا : انا أصبنا الأعمش مع امرأة

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : هذه آثار ثابتة صحيحة رواها أبو عبد الله بن حجة في كتاب « الابانة » الكبرى هو وغيره ذكره في منهاج السنة الجزء الاول ص ١٤ ومن تأمل في كتب الرجال وكتب الجرح والتعديل القديمة والحديثة وجد المحدثين وقلة الرجال وعلماء السمة والآثر يحاذرون الشيعة والرواية عنهم كل الحذر ويזהدون في أخبارهم ويوهنون الاحاديث المروية عنهم كل التوهين ، لان الرافضة معروفون لديهم بالكذابة وصنع الاخبار تدنيا ، أو خداعا وضراوا بالاسلام والمسلمين . ولا نجد ثقة الرواة والروايات بقدرهم في طائفة مثل قدحهم في الرجال المشهورين بالرفض وفي ما يروون . ومن أشد القدح في الرجل أن يقولوا : رافضى ومن أشد التوهين للحديث أن يقولوا ان في سنده رافضيا أو شيعيا غالبا

وبالاجمال لا خلاف بين علماء السنة والحديث والأدب والتاريخ أن الخوارج خير حالا من الرافضة ، ولا خلاف أنهم يفضلونهم ويفوقونهم في أكثر أبواب الخير والفضل وأقانين المحاسن والفضائل وان الرافضة يفضلون الخوارج ويفوقونهم في النفاق والخداع والكذب وخبث الطوية والسريرة وفي الضعف والجبن والمعجز عن القيام بالحق الذي معهم والانتصار لما قالوا انه حق

واستمع الى موقف أحد الخوارج بين يدي زياد ابن أبيه ... قال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل : « ونجا عروة بن اذينة من حرب النهروان وبقي الى أيام معاوية ثم أتى الى زياد ابن أبيه ومعه مولى له ، فسأله زياد عن أبي بكر وعمر فقال فيهما خيرا ، ثم سأله عن عثمان ، فقال كنت أتولاه على أحواله ست سنين ثم اتبرأ منه بعد ذلك للاحداث التي أحدثها وشهد عليه بالكفر ، فسأله عن علي رضي الله عنه فقال أتولاه الى أن حكم ثم اتبرأ منه بعد ذلك ، وشهد عليه بالكفر ، فسأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ، ثم سأله عن نفسه ، فقال : أولك لزية ، وآخرك للدعوة ، وأنت ما بين ذلك عاص ربك . فأمر به زياد فضربت عنقه ، ثم دعا

مولاه وقال صف لى أمره وأصدق ، فقال أظن أم اختصر ؟؟ فقال بل اختصر ،
فقال ما أتيت بطعام فى نهار قط ، ولا فرشت له بلبيل فراشا قط . هذه معاملته
واجتهاده ، وذلك خبثه واعتقاده »

وهذا مثل من أمثال صدق القوم وشجاعتهم وقولهم لما يرونه حقاً لا يخشون
سلطاناً ولا قتلاً ولا تمدياً . وفى هذا الدليل على شدة اجتهادهم فى الدين والعبادة
وعلى أنهم ما أصيبت مقاتلهم الا من جهة الجهل والضلال ، ونصيب الرافضة من هذا
أوفر من نصيبهم بلا شك

فالخوارج خير منهم حالا بلا نزاع بين أهل العلم والبصر

(رابع الأمور)

ان لدى الشيعة عقائد منكرة انفردوا بها وحدهم لا يقول بها الخوارج ولا
يشاركونهم فيها ، وهذا النوع كثير معروف . من ذلك قولهم بمصصة الأئمة ،
وأنهم لا يفلطون ولا يقولون غير الحق لا سهواً ولا عمداً ، وأنهم مثل الأنبياء فى
ذلك بل أفضل وأصدق . ومثل قولهم يرجوع الأئمة بعد الموت وبعد الغيبة الطويلة
وكزعهم أن علياً فى السحاب وأن البرق تبسمه والرعد صوته ، ومثل قولهم فى
آخر أئمتهم الثانى عشر أنه غاب واختفى فى سرداب فى سر من رأى وأنه سوف
يعود الى الظهور فينتقم من النواصب أي أهل السنة ، ومن ذلك قولهم بالتناسخ
تناسخ الأرواح . ومن ذلك أيضاً زعمهم أن القرآن محرف وأنه حذف منه ثلاثة
أرباعه ، ومن ذلك زعمهم أن هنالك نسخة هى الصحيحة للقرآن كتبها علي وأنه
سوف يظهرها ، وأنه كان لدى فاطمة أيضاً مصحف ، ومن ذلك اتهامهم جبريل
بالغلط ، وزعمهم أنه كان مرسل إلى علي فغلط فنزل بها على محمد ﷺ . وهؤلاء هم
الفراية منهم . ومنهم من يزعمون أن جبريل تعد ذلك ولهذا يعادونه ويعتقونه

ومن ذلك تحريفهم القرآن التحريف الذي لا يخطر على بال من يريد الحق ورضا الله ، وقد ذكرنا من هذا التحريف نماذج في أول الكتاب وفي ثناياه ، ومن ذلك قولهم بالبداء على الله أى وصفه بالعلم بعد الجهل ، ومن ذلك نزوعهم الى التشبيه كما كان ينزع المشامان منهم ، وأن الله على صورة الانسان ، وأن طوله كذا وعرضه كذا ، وقد تقدم نقل هذا عنهم ، ومن ذلك قول بعضهم بفناء الجنة والنار ، قال ابن حزم : « وفي الكيسانية من يقول ان الدنيا لا تنقأ أبداً » ومن ذلك قولهم بالنبوّة بعد محمد ﷺ وقولهم بأنبياء كثيرين بعد النبوّة المحمدية ، قال ابن حزم في الملل والنحل : « وقالت طائفة منهم ان علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر . ان هؤلاء أنبياء كلهم » . وقد ذكرنا في مقدمة الكتاب نقلا عن كتبهم ما يثبت أنهم يردون الأئمة أنبياء وفوق الأنبياء ، ومن ذلك قول طوائف منهم باسقاط الشرائع وإحلال الحرام وكل شيء ذكره ابن حزم والشهرستاني في الملل والنحل وغيرها ، وكذلك أسقطوا الواجبات من الصلاة والصيام والحج والفرائض الأخرى . ومن ذلك قولهم بالهية آدم والأنبياء بعده نبياً نبياً الى محمد ﷺ ، ثم بالهية على عليه السلام . قال ابن حزم : « وفرقة قالت بالهية آدم والنبيين بعده الى محمد ﷺ ثم بالهية على ثم بالهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد . وأعلنت ذلك الخطائية نهائياً بالكوفة في ولاية عيسى بن موسى ، فخرجوا لصدر النهار في جموع عظيمة ينادون بأعلى أصواتهم : لبيك جعفر ، لبيك جعفر . قال ابن عياش وغيره كأنني أنظر اليهم يومئذ فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلهم . ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالهية محمد بن اسماعيل بن جعفر وهم القرامطة . ومنهم من قال بالهية أبي سعيد الحسن بن بهران الجنابي وأولاده من بعده . ومنهم من قال بالهية أبي القاسم النجار

القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور « هذا ما ذكره ابن حزم وساق بعده كثيرين ألهمهم طوائف من الشيعة . قال « وكل هذه الفرق ترى الاشتراك في النساء » ومن ذلك قول طوائف منهم يحول الله في ذوات أئمتهم ومشايخهم . ومن ذلك أنه قد نبغت منهم فرق هي أ كفر من جميع أهل الملل وأشد حقا من جميع الحقى المشركين وهؤلاء كالنصيرية والاسماعيلية والقرامطة . فهذه الفرق معدودة من فرق الشيعة . بلا خلاف بين المؤلفين في الملل والنحل كالشهرستاني وابن حزم وغيرها ، بل الشيعة أنفسهم يعدونهم منهم ، وهذه الفرق أشد ضرراً على الاسلام والمسلمين من اليهود والنصارى ، وأبعد عن الاسلام وعن جميع الأديان وأكفر بالله وبرسله وكتبه وباليوم الآخر وأصول الأخلاق التي اتفقت عليها كل الديانات الى غير ذلك من عيوب الضلالات التي انفردت بها طائفة الشيعة دون الخوارج بل ودون أعظم الطوائف إلحاداً وزيفاً ، وهذه الضلالات الشيعة لا يوجد لدى الخوارج ما يعادلها ويساويها حماقة وقبحاً ونأياً عن العقول والمنقول . واتنا نحيل القاريء الى ما ذكر في أول هذا الكتاب عن طوائف الشيعة وما اختصت به من الجهل والهوى

وحينئذ يبدو للقاريء الفرق واضحة جلياً بين الشيعة والخوارج ويعلم حينئذ أن الخوارج وهم من الضلال التائبين خير من الشيعة وأدنى الى الخير والدين والعقول والأخلاق الفضلى

والبرهان القاطع على أن هؤلاء شر من هؤلاء أن هذين المذهبين قد بزغ قرناهما في زمن الخليفة على وزمن الصحابة وأئمة التابعين ، فعاقب على الطائفتين وأوقع بالفريقين ، ولكن لينظر الفرق بين ما فعله بهما من العقاب والعذاب . أما الخوارج فإنه لم يقاتلهم ولم يستحل دماءهم حتى بدؤا هم بالقتال وحتى قتلوا من المسلمين من قتلوا وحتى أخافوا الطريق وأقلقوا الأمن . بعد هذه الأمور وبعد أن استتابهم

ودعاهم الى الحق والى الاقصار عن سفك الدماء وعن هذا العدوان كى يدعهم وما يعتقدون بعد هذه الامور كلها قاتلهم فى حكم الدفاع واستأصل شأفتهم اضطاروا وقد حفظ عنه أنه لم يكفرهم ولم يحكم عليهم بالردة وبالخروج من الاسلام . ولهذا لم يستحل أموالهم ولا سبى نساءهم وذرياتهم ، وقد سئل عنهم : أهم منافقون ومشركون ؟ فكان جوابه : انهم ليسوا مشركين ولا كافرين فقيل له : ما هم إذن ؟ قال : هم اخواتنا بنوا علينا ققاتلناهم . وقد نقل الرافضى عن على أنه قال : لا قاتلوا الخوارج من بعدى ، فانه ليس من طلب الحق فأخطأ كن طلب الباطل فاصابه ، وقد تقدم هذا ، والشيعة يزعمون أن عليا عنى بالذين طلبوا الباطل فأصابوه معاوية ومن معه من الصحابة والتابعين كما فسره صاحب نهج البلاغة ، فمعاوية ومن معه من المسلمين هم شر عند القوم وعند على على زعمهم من الخوارج ، هذا موقف على من الخوارج ، أما موقفه من أوائل الشيعة الذين نبخوا فى عصره ، فكان موقفا أصرم وأشد ، وذلك أنه ما ظفر بهم ووقعوا فى قبضته حتى أعظم أمرهم وما جاءوا به فاستنابهم فأصرروا فأصرم النيران وحرقتهم فيها ، وما سلم من ذلك إلا من أعياء طلبه ومن فر بكفره وجلده الى سقر الله وعذابه . هكذا كان موقف على من الطائفتين ، وهذا الموقف يبين لنا الفرق واضحا بين الطائفتين ، ويوضح جليا أن الشيعة شر من الخوارج وأحق بمزيد العقاب والعذاب والتأديب الوجيع

ومن أين البراهين على أن الشيعة الغالية شر من الخوارج أن السبئية والاسماعيلية ومن غلاخلوم من فرق الشيعة كفار باتفاق المسلمين وباتفاق العلماء الذين أدر كهم وعلموا ما كانوا عليه

وأما الخوارج فقد اتفق الصحابة على أنهم غير كفار ، وقد تقدم قول على فيهم ، وأنه لم يكفرهم لا هو ولا أحد من الصحابة ، بل كانوا يمدونهم مسلمين

ظالمين خارجين . ولهذا قاتلهم واهتقوا على حربهم ، ولكنهم لم يستحلوا أموالهم ولا نساءهم وذرياتهم ، لأنهم قاتلهم دفعا لشرهم وعدوانهم لأنهم يكفرون مخالفينهم ويستحلون قتالهم وقتلهم . ولو كانوا يعتبرونهم كفارا لاستحلوا أموالهم وذرياتهم لان الكفار هكذا يعاملون . ولما أن ضرب عبد الرحمن بن ملجم عليا رضى الله عنه وقبضوا عليه وأرادوا قتله قال على دعوه فان مت قاتلوه قصاصا وان عشت رأيت فيه رأي . وهذا يدل على أنه لا يمدد كفرا والا لأمر بقتله لردته . وقد كان رجال من الخوارج ومن زعمائهم يستفتون الصحابة كم عبد الله بن عباس فيفتونهم كما يفتون المسلمين ، وقد قدمنا أن المحدثين كانوا يردون عن الخوارج وعن زعمائهم ورجال دعوتهم . وقد قدمنا أن البخارى قد روى في صحيحه عن عمران بن حطان شاعر الخوارج الذي امتدح قاتل على عبد الرحمن بن ملجم . وأحاديث البخارى من أصح الأحاديث عند المسلمين . ولو كانوا كفارا لما استجازوا الرواية عنهم ولما روى عنهم البخارى في أصح كتب الاسلام بعد القرآن . فالصحابه والتابعون ومن بعدهم من أئمة الدين لم يمدوا الخوارج كفارا . أما غلاة الشيعة كالسبئية والاممائية والقرامطة فلا خلاف في كفرهم . وهذا برهان مستقل على أن هؤلاء القوم شر من الخوارج وأبعد عن الله وعن دينه وعن أهل السنة والجماعة . وقد جاءت أحاديث نبوية في ذم الشيعة والتحذير منهم تنصيحا ونخصيها . وقد قدمنا هذه الأحاديث في صدر كتابنا . وتلك الأحاديث سواء أخصت أسانيدها أم لم تصح فمعناها صحيح . فان القوم رفضوا الاسلام ولفظوه ، وعبدوا المخلوق والهوى ، وادعوا أعظم دعوى في الاسلام ، وخرقوا فيه أعظم خرق في إيمان عنفوانه وفورته في عصر الخلفاء الراشدين ، وقد قالوا لأحد أركان التوحيد الذين لا تزال أسيافهم تقطر من دماء الشرك والمشركين ، والكفر والكافرين : أنت الله ! أنت خالقنا ورازقنا . فقال لهم ويحكم ، انما أنا عبد من عباد الله ، بشر

مأسور بأعراض البشرية ، آكل وأشرب وأحتاج حاجات الانسان ، وحاجات
المخلوق الضعيف المربوب المسير المصير ، فما أنا وما تدعون ، وأين أنا من مقام
الالوهية ؟ ويحكم ! ارجعوا عن هذا الائم وهذا الحدث الأعظم . ان سيفي وسبوف
اخواني الصحابة لم تحجب بعد من دماء الشرك والوثنية . أأليوم تدعون هذه
الدعوى ولما يعض إلا قليل ، وهذه معالم الشرك لا تزال ماثلة خاوية محطمة
تبصرونها وتبصرون فيها آثار طعنات التوحيد وضربات تنذركم بأننا ما قمنا ولا كنا
إلا لمنافضة الشرك وتدمير الوثنية ؟ أفى تدعون هذه الدعوى ثم تأتون لتنتروها
بين يدي ؟ ويلكم منى ثم ويلكم من الله ربكم ، ثم ريلكم من ناره وعقابه . ثم
الويل لكم أبدأ حيث تحلون وحيث ترحلون ؟ فاذا قالوا لالههم الذى زعموا ،
وربهم الذى ألهموا عندما سمعوا قوله هذا ؟ انهم قالوا له لقد كذبت ، وما صدقت .
فأنت إلها حقاً ولكنك تكذب وما تصدق ! ويل القوم أو يكذب الاله ، أو
ينهى عن عبادته ويفض على من عبده ؟ أي اله هذا ، وأي نفوس هذه ؟
ويل القوم يعبدون الهام يأمرهم بعبادته ثم لما أن رأوا ذلك الاله وسمعوا قوله ونهيه
أكذبوه ولم بطيعوه ! أيعبدون من يقولون له كذبت شفها . أيعبدون من
يعاقب على عبادته ومن ينهى عنها ؟ لقد ضعف الطالب والمطلوب والرب والربوب
هؤلاء هم الرافضة ، وهؤلاء هم الذين رفضوا الاسلام حقاً ، ولفظوه بلا شك
وهؤلاء هم شر من الخوارج ومن غير الخوارج ومن هم شر من الخوارج

شبه الشيعة باليهود

تشبه الشيعة اليهود من وجات ووجوه كثيرة . ولا عجب فى الأمر ، فان
أصل المذهب الشيعى كما قد ذكرنا مرات قد وضعه اليهود وأسسوه ودعوا اليه
سراً وجهاً حتى قام وصار مذهباً مستقلاً مبايناً المذاهب والنحل مخالفاً لما بميزاته

وخصائصه الكثيرة المختلفة ، فان عبد الله بن سبأ وهو من أصل يهودي ، أظهر الاسلام لما رأى فعلاته ووثباته القوية التي سحقته اليهود وغير اليهود من أهل الأديان الباطلة والملل الفاسدة ، ولم يكن أسلم قلبه ولا آمن باطنه ولكنه ادعى الاسلام مكيدة وخذراً ونكاية لها نظائر وأشباه اليوم بين المسلمين وبين خاصة المؤمنين ، وغريب من هؤلاء أن ينكروا الدعوة الى الدين الصحيح قسراً وهم يديحون الدعوة الى الأديان الباطلة والالحاد المخذعا ونفاقا فلما أن أظهر هذا اليهودى الاسلام الممزوج بالمشيم ووجد من لبوا دعوته راح فى جد ونشاط ودؤوب يهودي على العقائد اليهودية على المسلمين الضالين ، والعقائد الباطلة الملعونة حتى قام من ذلك المذهب الشيعى خليطاً من الوثنية واليهودية والنصرانية ومن شر الأديان ، ومن الاسلام خير الأديان أيضاً . وقد كان مناققو الأمم ودهاتها الخبيثاء يجدون لمسايدهم ومسايدم مراحم خصبة بين طوائف الشيعة يثرون فيها آراءهم وبذورهم ، فلا تلبث أن تثمر الثمرات المرة ، ولا تلبث أن يتكاثر ثمورها المرير وتفرع عنها النزوع والأصول والأشياء الأخرى ، وكان هؤلاء الكائدون المنافقون لا يجدون مأوى يرضونه ولا قبولاً يرتاحون الى نقيجته عند غير طوائف الشيعة ، حتى أنهم لا يجدون ذلك عند الخوارج أنفسهم الذين هم من أضل الفرق ومن أكثرها شراً وبلاء وجهاً ، ولأجل هذا ادعى الاسلام المشيم أقوام كثيرين كان غرضهم محاربة الاسلام الصحيح ومحاربة أهله من كذب . فادعى هذا الاسلام المشيم آحاد وجماعات من سائر الأمم والشعوب والملل خصوصاً بالدهاء العظيم والمكر السيى والطوية الماكرة الخبيثة . فأحدثوا فى الشيعة المحسوبة على الاسلام الأحداث الكبرى والآراء النكراء ، ومثلوا بالاسلام أشنع التمثيل . وأنت اذا درست المذهب الشيعى واجد فيه من كل الملل أفسدها وأبطلها وأقربها الى الجهالة والنكارة . ولكن المذهب يمتاز بالمفردات اليهودية المتكاثرة . والسبب الظاهر فى

هذا أن المذهب كان واضعه الأول يهوديا كما ذكرنا . وقد أدخل فيه ما استطاع من اليهودية وغيرها من أئيم الآراء والعقائد

قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل : « وأما نشأت شبهاتهم (أى الشيعة) من مذاهب الخوالية ، ومن مذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى ، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخالق بالخلق فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام إلهية في حق بعض الأئمة ، وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة » فالشيعة تشابه اليهود من وجوه كثيرة من ذلك أن الشيعة تقول بالبداة على الله واليهود تقول بذلك أيضا ، والمراد بالبداة أن الله يقول شيئا ثم يبدو له أى يظهر له أن المصلحة والحكمة في خلاف ذلك فيبدل ذلك القول ويريد غيره ، وهذا وصف لله بالجهالة . تعالى الله عن قول الجاهلين

ومن ذلك أن اليهود يقولون بالتشبيه تشبيه الله بخلقه ، فيصفونه بالحزن والبكاء والاعقوب وأعراض النقص ، وكذلك الشيعة يشبهون ، ويصفون الله بصفات الخلق والنقص ، وقد قدمنا ذلك ، قال الشهرستاني « وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة » وقال مثل هذا في غير موضع من كتابه الملل والنحل ، وكذا قال غيره كالإشعري وابن حزم ، وقال ابن حزم : « وكان داود الجوازي من كبار متكلمي الشيعة يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الانسان »

ومن ذلك أن اليهود يعادون جبريل عليه السلام ويمقتونه ويقولون هو عدونا وكذلك الشيعة تقدح فيه وتمقتة ، لأنه في زعمهم قد أرسل إلى على فقلط فنزل على محمد عليه السلام . وبعضهم يزعم أن جبريل تعمد ذلك . وقد تقدم الكلام على هذا مرات

ومن ذلك أن الطائفتين قد ضربت عليهما الذلة والمسكنة فاليهود قد أخبر الله

عنهم بذلك وسجله عليهم في الكتاب العزيز وقد أنبأنا به منذ أربعة عشر قرناً ونصف وأبانه بيانا صريحا واضحا ، ومن ذلك اليوم إلى اليوم واليهود لا يزالون يتقلبون في الذلة والمسكنة والهوان ، لم تقم لهم قاعة ، ولم تثبت لهم دولة وقد حاولوا هذا مرات وإلى اليوم يحاولونه واستخدموا أموالهم الكثيرة الوافرة في هذه الأمنية ولكنهم فشلوا وسيلازمهم الفشل في هذا أبداً ما داموا يهوداً ، وما داموا يخضعون للاخلاق والمعاني اليهودية ، وما دامت نفوسهم نفوساً يهودية . وكذلك الشيعة قد حاولوا مرات في عصور مختلفة الاستعداد بالأمر والنهوض بأعباء الملك والسلطان وانزاعه من أيدي أهله ، وقد نالوا جزءاً طفيفاً من ذلك في فترات من الزمن ، ودانت لقوتهم بعض الأقطار أحياناً قصيرة زائلة ، ولكنهم ما زالوا أذلة صاغرين حتى في أيام دولتهم وسلطانهم ، وحتى في الاقطار التي دانت لهم في الظاهر واعتزقت لهم بالملك . فانهم ما زالوا يخافون غيرهم من أهل السنة وغير أهل السنة وما زالوا يصانعونهم وينافقونهم ويستعينون بهم في تثبيت دعائم ملكهم وإقرار الأمر في أيديهم وما استغنوا عن أهل السنة أرعن غيرهم في عصر من العصور في ضبط الملك وإقرار الأمر ، وما استغنوا عن مداخلتهم ومداجبتهم في عهد من العهود عهود عزم وعهود ذلم ، بل كانوا أبداً في حاجة إلى غيرهم ومصانعتهم ومعاونتهم في جميع أمورهم سياسية وغير سياسية ، وما استقلوا بالأمر وضبطه من جميع الوجوه يوماً من الأيام . ولهذا كانوا دائماً في حاجة إلى التقية أى النفاق ، وهم يمتدحون التقية ويروون لها فضائل ويستدلون لها بالقرآن ويروون عن أهل البيت النبوى فيها أشياء منكرة مكذوبة بلا ريب ، وما احتاجوا إلى هذه التقية وافتقروا إلى المصانة دائماً إلا لهوائهم وذلم المؤبد ، وتجدهم في كل مكان يكتمون مذهبهم ولا يكادون ييوضون به في مكان غير مكانهم وعش غير عشهم وهذا المصنف نفسه يحوم حول هذه التقية كثيراً في كتابه ويلجأ إليها في أغلب مباحثه . ويقال انه يظهر الاعتدال

والقصد اذا ما جلس الى أهل السنة وخاطبهم وخاطبوه . وأنه لا ييوح بذهبه
وتعصبه ضد الصحابة وأهل السنة بين أهل السنة ، وهذه تقيسة ومصانعة ان كان
يفعل ذلك . وإلا فالرجل من الشيعة الغلاة ، وهو في كتابه هذا يحتاج كثيراً بكلام
أهل السنة وكلام المحدثين والأئمة الأربعة وكلام أصحابهم من الفقهاء الذين
يكفرون الرافضة الغلاة ويرمونهم بأشد المقادح ، ويرى القارىء تلبساً وغشاً أنه
يرضى قول هؤلاء العلماء ويقيم لأقوالهم وزناً وأنه يرى ما يقولونه حججاً ، ولكنه
في نفس الأمر ليس كذلك ، بل هو لا يرضى بأبي بكر وعمر وخيار الصحابة
والمهاجرين حاكمين ولا يعتد بأرائهم وما أجمعوا عليه فكيف يعتد بأقوال الأئمة
الأربعة وغيرهم من المحدثين الذين نهاية الكمال والفضل لديهم أن يتشبهوا بالصحابة
وأن يكونوا من حزبهم المقتدين بهم

ولولا ما ضرب على هؤلاء من الذلة والمسكنة والصغار كما ضرب ذلك على
اليهود لما كانوا في حاجة الى هذه التقية أو هذا النفاق . والعزيز الحى الأبى لا يرضى
بالتقية ولا يلجأ إليها . وليس هنالك ما يضطره إليها ولا ما يقضي عليه بها وإنما الذى
يلجأ إليها هو الأذل أو الجبان . وهذا واضح . ولأجل هذا لا يقول أهل السنة
بهذه التقية الرافضية ولا يبيحونها . بل هم يرونها من النفاق المزدرى المهيين
فاليهود والرافضة في هذا سواء وإخوان شركاء

ومن ذلك أن اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه كما قال الله «من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه» وكذلك الرافضة يحرفون الكلم عن مواضعه بل هم
هندي وعند من رأى تفاسيرهم للقرآن أفرس من اليهود في هذا الميدان وأسبق ،
وقد وضعنا نماذج من ذلك في ثنايا هذا الكتاب وفي مقدمته . وذلك كقولهم
في البقرة وفي الجبت والطاغوت وفي أئمة الكفر وفي الشجرة الملعونة في القرآن ،
وفي اللؤلؤ والمرجان وفي الكسف الساقط من السماء وفي البيان . الى غير ذلك من

تأويلهم القرآن ، ولقد جمع بهم هذا حتى أولوا الواجبات والمهرمات بأن الملقى بها رجال يراد موالاتهم ومعاداتهم . وقد دخل الباطنيون والملحدون من بابهم وسيلهم ومذهبهم كما تقدم عن ابن حزم وغيره

ومثل هذه التأويلات هي عند المسلمين شر من الكفر بالنصوص . فلو أن الرافضة كفروا بتلك الآيات وكذبوها وقالوا انها من كلام البشر وكفروا بالقرآن لكان أخف من هذه التأويلات الباطلة ولا سترأحوام وأراحوأغيرهم من عناهم وعناء تأويلاتهم ، ولبقى هذا الباب باب التحريف الآحق الأهوج مقفولا دون الاسلام ونصوصه ، فلم يلجج الملاحضة والباطنية وأهل النفاق والمكابد

وأرباب هذه التأويلات يعرفون ولا شك أنهم يحتالون للخلاص من هذه النصوص احتيالا ، ويصلون أنهم يفسرونها تفسيراً هوخلاف مايربده الله وخلاف ما يفهم جميع العقلاء منها ، ولهذا فاتهم في الباطن يكفرون بالنصوص وينكرونها ويقابلونها بالجحود والانكار والازدراء ، وذلك أن المذهب أصالة موضوع على الاتحاد والزندقة والكيد للاسلام ، وان كان هذا قد يخفى على عامة الرافضة وبعض خاصتهم ، فاليهود والرافضة في هذا إخوان شركاء

ومن ذلك أن اليهود والرافضة لا يعدلون في جهم ولا بغضهم ، ولا يقتصدون في توليهم ولا في تبريهم ، بل كلتا الطائفتين مسرفة في هذا وهذا ، ظالمة في هذا وذاك . فبينما ترى اليهود يفعلون في بعض الأنبياء وفي بعض الأحبار ويتخذونهم آلهة وأربابا ، ويعبدونهم أنواع العبادات ويدلون لهم أعظم الذل ، إذا بهم يقدحون في فريق آخر من الأنبياء ويهدسون اليهم شر التهم والعظام ويرمونهم بالحث وبما هو فوق الحث كذبا وزورا . كذلك الرافضة ، فبينما تراهم يفعلون في الامام على وبعض ذريته ويؤهلونهم ويزعمون أن الله حل في ذواتهم لشرفهم وقداستهم ، إذا بهم يقدحون في الفريق الآخر من الصحابة والمسلمين أمر القدح

ويردوهم بالكفر والنفاق وسوء الطوية وسائر الأدواء النفسية الاعتقادية كذبا وزورا ، خلق يهودى وفعله امرا ئيلية موروثه مستعارة

ومن ذلك أن اليهود يستحلون دماء المسلمين العرب وأمواهم بكل الوسائل بالخداع والربا الفاحش والاعتقال والغش وبما استطاعوا من الوسائل اليهودية ، ويقولون ليس علينا في الأمين سبيل كما في القرآن ، كذلك الرفضه يستحلون دماء أهل السنة جميعا وأمواهم بكل الوسائل بالاعتقال والغش وبما استطاعوا من صنوف الوسائل الباطلة ، والرفضه لا يستطيعون شيئا من ذلك إلا فعلوه وارتكبوه واعتقدوه ديناً وقرية الى الله لأن أهل السنة جميعا نواصب كافرون لا بأس في النيل منهم كل منال ، وقد نقلنا فيما مضى عن أحد أئمتهم المعصومين عندهم قوله « خذ مال الناصبي حيثما وجدته وادفع اليها الخمس » وقد ذكرنا نماذج من هذا في مقدمة الكتاب

ومن ذلك أن اليهود يتعشقون القبور ويهيمون بها هياما ويصبرونها مساجد غلوا وافتتانا . وقد قال ﷺ « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » الى غير ذلك من الأحاديث التي سوف تأتي ، وكذلك الرفضه ينلون في القبور والمشاهد غلوا قبيحاً ، غلوا اليهود أو أشد ، ويتعشقونها كاليهود أو أشد حتى أصاروها مشاهد ومعابد ومساجد بل أصاروها كالكعبة ومشاعر الحج يحجون اليها كما يحج المسلمون الى بيت الله الحرام من كل مكان ، ويطوفون بها كما يطوف الموحدون ببيت الله ، ويسعون حولها كما يسعى المؤمنون بين الصفا والمروة ، ويشدون اليها الرحال من كل مكان كما يشد عبد الله الرحال الى حج بيت الله وأداء فريضة الحج المقدس . ان هؤلاء يصنعون ذلك كله حول القبور بل يصنعون ما هو أكثر ويعظمون المشاهد أكثر من تعظيمهم بيت الله ، ويفضلونها عليه كما قد قدمنا في مقدمة الكتاب أنهم يفضلون كربلاء لأن فيها بعض المشاهد على مكة المكرمة وهم يزينون

الأضرحة بفاخر الزينات ، ويلقون عليها مختلف الملقات . يفعلون ذلك كله
ويزيدون عليه ، يفعلون غلواً شديداً . وهذا أمر لا ينكره أحد حتى أنهم أنفسهم
لا ينكرونه بل إنهم به يفاخرون ويكاثرون . وهذا الكتاب الذى هو كشف
الارتياح مؤلف لهذا العرض والدفاع عنه ومحاولة إقامة الدلائل على أن ذلك كله
من دين الله الحنيف

ومن ذلك أن اليهود يفعلون في تقديس الأحبار والرهبان الى حد العبادة
والتأليه كما قال تعالى : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وقد جاء
في الحديث تفسير الآية أنهم من غلوهم في تقديسهم وإبعادهم عن مواضع الاتهام
والارتياح كانوا إذا أحلوا لهم الحرام أحلوه ، وإذا حرموا عليهم الحلال حرموه ،
لأنهم لقد استهم وقربهم من الله ، كما يزعمون ، لا يقولون سوى ما يريد الله ،
ولا يشرعون إلا ما يريد أن يشرعه ، ولا ينطقون سوى الحق والهدى . وكذلك
الرافضة يفعلون في أئمتهم غلواً تأليه وعبادة ، ويقدسوهم حتى يضعوهم في درجات
هى فوق مستوى البشر والخلق ، فهم يقولون بمصمتهم من الأخطاء والذنوب
والنسيان ، ويقولون أنهم لا ينطقون سوى الحق لا ساهين ولا عامدين ، ولا
يفعلون سوى الحق أيضا لا اختياراً ولا اضطراراً ، ولا يريدون سوى ما يريد
الله ، فهم مع الحق والحق معهم أينما كانوا لا يفارقهم ولا يفارقونه . لأنهم يبررون
عما يريد الله ويترجمون شئونه وحكمه لصلتهم به وإطلاعهم على أسرار

ومن ذلك أن اليهود وغيرهم كالتنصارى ليس لدينتهم ولما يأتونه ويدكرونه
عن أنبيائهم أسانيد لا صحيحة ولا ضيقة ، ولا لمن يروون عنهم كتب تراجم صحيحة
معتبرة لها أسانيد متصلة ، بها يعرف حال ذلك الراوي المحدث وتعرف قيمته
الدينية والعلمية والخلقية ، بل كل ما عندهم أشياء مجهولة منقطعة الأسانيد مظلمة
المعنى ، لا يعرف من رواها ولا كيف رواها ولا أين وصلت الى المتأخرين

والأجيال الفائرة . ولهذا غيرت اليهودية وغيرها من الأديان وداخلها ما داخلها من التعريف والتبديل والزيادة والنقصان ومن الضياع والفساد ، ونفق على أهلها مانفق من الأكاذيب والأعاجيب والمناكير المحجلة . ولهذا فإن أهل هذه الأديان لا يستطيعون أن يثبتوا صحة ما يعزون الى الله وإلى أنبيائهم من الروايات والشرائع على الطريقة العلمية الصحيحة ، ولا يستطيعون أن يستيقنوا هم صحة ذلك وصحة عزوه الى من يعزونه اليه . وإنما يأخذون ذلك ويقبلونه مغضين عن اعتراضات القوانين العلمية ، ومناقضات القضايا المنطقية ، وكذلك الرافضة ليس لمقائدهم ومفرداتهم التي بها باينوا أهل السنة والجماعة واختصوا بها وصاروا بها رافضة مستقلين عن غيرهم أساسيد صحيحة ولا روايات متصلة مقبولة ، ولا لمن يروون عنهم ما يروون من هذه المفاريد والخصائص تراجم معروفة صحيحة يتقدون بها هؤلاء الرواة ، ويعلمون بها مكانتهم العلمية والدينية والخلقية ، ويعرفون بها أم أهل للرواية والنقل والتحديث عنهم ، أم هم قوم منافقون دأبوا على الكيد للاسلام وأهل الاسلام ، وسعوا لافساد الشريعة من طريق الرافضة والازدلاف اليهم . وقد ذكرنا أن الرافضة هم المأوى الرحب ، ينضوى اليه كل مناوى الاسلام خداعا وغشاً ، وأن الرفض هو الصلة المحسكة المبرمة لمن أراد الاتصال بالدين الخفيف لكيدته وفساده . فليس لدى الرافضة رواية يصح الاعتماد عليها والركون اليها الا أن تكون من روايات أهل السنة والجماعة والا أن تكون مروية في كتب أهل السنة والجماعة ، والا أن يكون رواها من أهل السنة والجماعة ، ولا يمكن معرفة رجل من رجال الشيعة ولا معرفة ما كان عليه من صحة وضعف ومن دين ومروق الا من طريق كتب أهل السنة وتراجهم ، ولا يمكن معرفة ما تزويه الشيعة وتضيفه الى الرسول والاختيار من آل البيت وإلى الدين إلا من طريق أهل السنة وأقوالهم وكتبهم ، كما أنه لا يمكن معرفة ما كان عليه الأنبياء

موسى وعيسى وغيرهما ، ولا معرفة ما جاءوا به من الشرائع والكتب الا من طريق المسلمين وكتب الاسلام فان المسلمين شهداء على الناس ، ودينهم شهيد على الأديان بما أنزل الله من الهدى والنور والبينات على قلب خاتم الأنبياء ، فهم الذين يعرفون صحيح الأديان من باطلها ، وهم الذين يشهدون للحق بأنه حق وعلى الباطل بأنه باطل ، وهم الذين يرثون الأنبياء مما أضيف اليهم من الجهالات والضلالات والرعونات الفاضحة التي ألصقتها بهم الجاهلون والأنصار الأغياء . ولولا الاسلام وكتابه ونبيه لما عرف ما عند أهل الكتاب من حق وباطل ، ولما عرف ما جاءت به أنبيائهم لاختلاط ذلك على أهل الأديان أنفسهم ، ولضياع الأسانيد والروايات التي بها يميز الكذب من الصدق ، ويعرف الصادق من الكاذب . وهذا ما أشار اليه الله بقوله « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » وهذا هو شأن الرافضة مع أهل السنة ، لا يمكن أن يعرفوا حق ما عندهم روايات وآراء من باطله الا من طريق أهل السنة . ولهذا يلجأ الرافضة الى العمل بالرقاع المزورة ، ويزعمون أن صاحب الوقت أو إمام الوقت هو الذي يكتب الرقاع ويضع فيها ما يراد من الشرائع ويثبت فيها جواب الأسئلة الموجهة اليه تبيانا لشيعته . ولأجل هذا أيضا ، أي لأجل فقدهم الأسانيد يزعمون أنهم يروون عن رسول الله عن الله ، وأن الناس يروون عن الناس . كما قال أحد أئمتهم : « ذروا الناس فان الناس أخذوا عن الناس ، وانكم أنتم أخذتم عن رسول الله » ذكره في الوافي

هذا والرافضة يزعمون أن القرآن محرف ، ويزعمون أن التقية جائزة بل واجبة ، ويزعمون أن أهل الحق وآل البيت ما زالوا يكتمون الحق ويخفون الهدى طيلة تلك المصور التي كانوا فيها مظلومين تمية عندهم ، ويزعمون لذلك أن عليا وغيره من الأئمة الراشدين كانوا كاتمين النصوص الواردة في فضلهم وحقهم وفي

الرواية بالخلافة وولاية الأمر لهم واحدا فواحدا ، وأنهم كانوا كاتمين المصحف الصحيح الذى كتبه على وكذا مصحف فاطمة طيلة هذه العصور تقية أيضا ، وإن هليا كان يرى الصحابة المنافقين خصومه وخصوم آل بيته يحرفون القرآن ويدلونه ويحذفون منه ما يحذفون من فضائله وفضائل آل بيته وذريته وهو موافق لهم فى الظاهر تقية أيضا ، ويزعمون أن المصحف الكامل الصحيح سوف يظهره الامام المنتظر اذا مظهر ، ويزعمون أن الامام المنتظر هارب بنفسه مخفى عن الانظار ، أنظار أعدائه وأصدقائه كاتم أمره ومأمعه من الحق والمهدى تقية أيضا ، ويروون عن آل البيت روايات فى غاية الغرابة فى هذه التقية وفى فضل العمل بها

فاذا كان هذا كله صحيحا : أى اذا كان القرآن محرفا مبدلا ، وكانت التقية أى كتمان الحق والمهدى خيفة الأعداء جائزة وواجبة فى كل هذه العصور والعهود ، وكانت هذه التقية تقضى باخفاء الحق وترك الناس فى لبسهم وضلالهم يعمهون فى هذه العصور المتطاولة كلها ، وإن الامام منهم قد يقول القول وهو لا يريد ولا يرى ما يقول حقا ، ولكنه يقوله تقية ، فكان ينفى الواقع ويثبت ما ليس واقعا تقية أيضا

اذا كان هذا كله صحيحا فكيف تمكن عندهم معرفة حق ما من القرآن أو من السنة وكل ما هنالك يتطرق اليه احتمال التحريف واحتمال صحت التقية وما تقضى به من كتمان وموافقة على الباطل ؟ إن هذا مالا يمكن معرفته . وهذا مالا حيلة للشيعة فى دفعه ولا فى الانفكاك منه

فان شئمة اذن لا يمكن أن يعرفوا الحق من الباطل الا أن يرجعوا الى أهل السنة والى كتبهم وأسانيدهم وهداهم ، كما أن اليهود وغيرهم من أهل الكتاب الأديان لا يمكن أن يعرفوا ما جاءت به أديانهم وأنبيائهم الا أن يرجعوا الى

الاسلام وكتابه ونبيه خاتم الانبياء

ومن ذلك أيضا أن اليهود يقولون بالتقية وكتمان الحق والمواقفة على الباطل ، قال الله تعالى محدثا عنهم « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ، ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ، أي آمنوا واكفروا على حسب ما ترون من الاضرار بالمؤمنين والخذية لهم ، أي آمنوا واكفروا تقية ومكيدة ، وكذلك الرافضة يقولون هذه المقالة ويدعون هذه الدعوى ويسرفون في ذلك ، أي يقولون غير الحق ويكتمونه كما قدمنا ، ولم في هذه التقية روايات غريبة ، من ذلك ما يقوله الباقر والصادق : « من أظهر الحق وترك التقية في دولة الباطل كان ممن لم يرض بقضاء الله ومن خالف أمر الله وضيع مصلحته التي اختارها لعباده ، فهو مارق من الدين » . ذكره في أصول الكافي ، وكما كان هؤلاء الذين حدث الله عنهم من أهل الكتاب يظهرون الايمان بما آمن به المؤمنون خداعا وحيلة لردم عن دين الله كذلك كان رجال من الشيعة يدعون الاسلام ويظهرون التشيع نفاقا وغشاً الذين آمنوا كما صنع ذلك واضع المذهب الشيعي الأول ، والله أعلم بما كانوا يعملون

هذا ومثابه الشيعة لليهود كثيرة متعددة ، ومن أجمع ذلك ما رواه الامام ابن شاهين في كتاب اللطاف . وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب صفحة ٤٣ فليراجع وكذلك الشيعة يشبهون النصارى من وجوه عديدة فنضرب عنها صفحا ٥٠ م ان اليهود والنصارى يفضلون الشيعة في أشياء غير ما ذكر في تلك الرواية التي أحلنا القارىء عليها في أول الكتاب فلنضرب عن ذلك صفحا أيضا



وبهذا تمت مقدمات الكتاب وتم التقض عليها والابطال لباطلها بالشكل الذي رأى القاريء ، ويل المقدمات من الكتاب الباب الأول منه

باب كتاب الرافضى الاول

وعنوان هذا الباب في كتاب الشيعي « باب في ذكر جميع معتقدات الوهاية
ومحور مذهبهم الذي يدور عليه . »
ونحن نلخص ما في هذا الباب ونذكر كل ما اشتمل عليه من الدعاوى
ونذكر الجواب عما في ذلك من خلط وخط . .

الاجتهاد

ذكر أولا ما خلاصته أن الوهايين يدعون جواز الاجتهاد في بعض الأمور
والمسائل لا في الأمور كلها ولا في المسائل كلها . وذكر أنهم يقولون لا يجوز لنا
أن ندع السنة النبوية إذا ما بان لنا وعلمت لأجل تقليد بعض الأئمة ، ولكن
التقليد لا يجوز إلا عند الضرورة وعند خفاء السنة النبوية المخالفة لما توارى عن
الامام المراد تقليده . ثم ذكر عن بعض علمائهم أنه قال : « ولا نعتز على
أحد في مذهبه إلا إذا اطلعنا على نص جلي يخالف لأحد الأئمة وكانت المسألة
عما يحصل بها شعائر ظاهرة كإمام الصلاة فنأمر الحنفى والمالكي مثلاً بالطائفة في
الاعتدال والجلوس بين السجدين لوضوح ذلك بخلاف جبر الشافعي بالبسملة
فلا تأمره بالاسرار . ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ،
وقد اختار جمع من أئمة المذاهب الأربعة خلاف مذهب مقلدهم »

هذه خلاصة ما ذكر الشيعي عن الوهايين في الاجتهاد وفي نظرهم الى هذه
المسألة المأثورة في كتب الأصول . ونحن لا ندري هل الشيعي يريد بهذا ذمهم
أم مدحهم ، وموافقتهم أم مخالفتهم . فان هذا الرأي الذي قلناه عنهم في الاجتهاد

هو من أهل الآراء وأبعدنا عن الإفراط والتفريط وعن القلو في التقليد والعلو في الاجتهاد . فان هناك طرفين مذمومين في هذه المسألة : طرفاً مفرطاً وطرفاً مفرطاً . طرف يقول : يلزم التقليد مطلقاً وعلى كل حال ، ولا يصح الاجتهاد ولا مخالفة الماضين ولو صحت بذلك النصوص وقامت الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وشيوخ الاسلام ، بل لا تصح محاولة ذلك ، ولا محاولة فهم الكتاب والسنة ، ومحاولة أخذ الأحكام منهما والاستقلال في فهم نصوصهما ، وان كانت واضحة جلية وظاهرة قوية . ثم يخلو هذا الطرف المتطرف فيزعم أن باب الاجتهاد ، أى باب الاعتراف من منهل الكتاب والسنة قد أغلق منذ أزمان قديمة وأن هذا الباب لا يجوز اجتيازه ولا فتحه ألبتة . ثم يخلو هذا الطرف في التطرف فيذهب يزعم أن من حاول الاستقلال في فهم شيء من كتاب الله أو سنة رسوله وحاول الاجتهاد ومخالفة الامام المقلد في مسألة من المسائل التي ظهر له دليلها قوياً ظاهراً فقد ارتد أو كاد . . . فخرم هذا الطرف من الطرفين المذمومين استعمال المقول فيما خلقت له ، وحال بينها وبين وظيفة الفهم لأشرف كلام وأجل موضوع ، وهو كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، وحرما لذة الدليل والبرهان ولذة الظفر بالدليل والبرهان ، البرهان على الله وعلى عبادته ومعرفته وشرعه . وحرم الإنسان أخص وصف له وأجله وهو وصف العلم والمعرفة القائمين على الدليل والحجة فجنى هذا الفريق على الدين وعلى كتاب الله وعلى العقول وعلى الانسان أكبر جناية وأشدّها ضرراً . فصدئت العقول والأذهان والقرائع من طول الرقود ، وركبت ثم تناقصت ، وتكامل نقصها وركودها حتى مانت أو كادت . فضعف الدين وضمف أثره في تلك النفوس ، وقلت ثمرته التي كانت تظهر على الأعضاء والجوارح والأعمال ، وتناقص العلم بين المسلمين ، ووقف الاتاج والثقافة حتى نسيت المؤلفات القوية النافعة ، الناحية منحي الفهم والاستقلال

في الفهم ومطالبة الدليل ، ورُغب من هذا الصنف من الصكوك حتى هجر ونسى وأصبح مطموراً تحت أكداس النسيان والجهالات واستبدل الناس بهذا النوع الذي هو أدنى وأحط ، فأنحط التأليف ونزل جداً ، وتبع نزول ذلك نزول اللغة وأنحطاطها وفسادها وتدهورها ، هذا التدهور الذي لا تزال آثاره بادية في التأليف وفي اللغة نفسها وفي سائر العلوم ، ولا يزال ذلك يحتاج إلى العلاج والتطبيب ، ولحق هذا سلسلة أمراض لقوية ودينية وعقلية انفرطت حياتها حينما سقطت الحبة الأولى من هذا العقد المتناسك الحبات . وفي سبيل الشيطان ما لقي الاسلام والمسلمون من جراء هذا الطرف المتطرف

وأما الطرف الثاني فزعم أن الاجتهاد أمر مباح لكل أحد ولكل قائل ونطاق بلا قيد ولا شرط ، وليس بلام أن يكون في حدود الكتاب والسنة ، ولا تحت نطاق الشريعة المعلومة بالاجماع والتواتر ، ونطاق الاسلام المضروب على كل المسلمين من قاص ودان ، ولا تحت نطاق اللغة العربية التي نزل بها الكتاب والسنة . بل الاجتهاد أمر مشاع مباح لكل وارد وقائل في جميع المسائل وجميع ضروب الأصول المعلومة للخاصة والعامة . فن ارتشف رشقات عجبى خاطفة من علوم الفلسفة العابثة . حب يجتهد في أصول الاسلام ويتحكم فيها ، ويؤولها تحريفاً وإفساداً ، وينزلها على ما اختطف من هذه الفلسفة الفاوية . يخالف الأصول والقواعد والمقائيد التي هي أصل الدعوة الاسلامية ، وخرج على الاجماع وعلى الكتاب والسنة وعلى سنن المسلمين في جميع المصورات الاسلامية الذهبية ، ومن انغمس في الصوفية البوذية البرهمية الاتحادية وابتل بمائها وبجهاها الماذية المازلة راح يهنو في ذات الله وفي صفاته ودينه وشرعه ، وفي الأنبياء والملائكة وفي الكتب المقدسة وراح يبعث الكلمات الملحدة الفاسقة الكافرة ، وراح يدعى دعاوى الكافرين الملحدين ، ويقول أقاويل الفاوين المنكرين . يخالف الاجماع وخالف أصول الاسلام

وخالف الكتاب والسنة وما اتفق عليه المسلمون في جميع المصنوع ، وذهب يمدح في المسلمين وفي الأنبياء والمرسلين وقض هو الدين ورداءه من على كتفيه فأصبح إمام المارقين المتجردين ، بل وراح يدعي في نفسه الألوهية والربوبية والنبوة أن تواضع ، فصار رأساً في كل ضلالة وفي كل حماقة وفي كل بلية ، ومن شام يرق المعرفة والعلم ولم يرد ، وقصدت به نفسه وحاله عن البلوغ والورود راح يحاول الاجتهاد في كتاب الله وفي سنة رسول الله وفي اللغة وفي وسائل ذلك كله ، وهو لم يملك وسيلة واحدة من تلك الوسائل الأولية ، فمبث بالكتاب وبالسنة وباللغة وبكل شيء . فخالف الاجماع والاصول والمقائد الأولية ، فصار هو بدعة سيئة في الدين وفي الأمة وفي اللغة . وفي سبيل الشيطان ما لقي الاسلام والمسلمون من بلاء هذا الفريق

فهذان الطرفان المتقابلان طرفان مذمومان مخالفان للشرع وللعقل ولاجماع المسلمين قبل أن يلامس عقائدهم وعقولهم هذا الضعف والفساد ، وذلك الانحطاط التنعيم

وأما ذلك الفريق الوسط المعتدل الواقع بين هاتين المنطقتين الحارة جداً ، والقارة جداً ، فهو الفريق الذي لا يفرط إفراط هؤلاء ، ولا يفرط تفريط أولئك بل يقول ان القصد كله هو معرفة حكم الله وحكم رسوله ﷺ وسنة المسلمين العمالية العلفية في عصور الاسلام الفنية . فهذا هو ما يراد معرفته والعلم به لأن الدين لله ومن الله واليه وحده يرجع ، فالمسلم واجب عليه أولاً أن يعرف كتاب الله وما جاء فيه من الهدى والنور وأن يعرف سنة رسوله ﷺ وما جاء فيها من الهدى والنور وأن يعرف ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المستوفين . فما عرفه من ذلك بوسائله اللازمة الصحيحة وجب عليه الاستمسك به والمعروف عما خالفه من الآراء والأقوال والأعمال ، لأنه لا غاية للمسلم وراء

الله ووراء رسوله المبلغ عن الله ، ولأن ذلك هو قول علماء الاسلام الهداة كافة ، ولأن ذلك هو ما أنزل لأجله كتاب الله وسنة رسوله وجمله باقيا محفوظا الى قيام الساعة للرجوع الى الله للجزاء من ثواب وعقاب ، ولكن اذا كان المرء المسلم عاجزاً عن معرفة دليل مسألة من شرع الله من الكتاب والسنة ، وعاجزاً عن الاستقلال واستخراج البراهين من النصوص ودار الامر بين أن يعمل برأيه هو واجتهاده ، وبين رأى امام كبير من أئمة الاسلام واجتهاده اختار رأى ذلك الامام على رأيه هو واجتهاده ، وأحسن الظن بذلك الامام المعروف بالعلم والدين قبل أن يحسن الظن بنفسه واجتهاده هو ، لأن المسألة حينئذ مسألة رأى واجتهاد لا مسألة برهان وحجة ، والمسلم الصحيح هو من لا يأخذ الفرور يديه ، فلا يفضل دينه وعلمه وعقله على عقل امام من أئمة الاسلام الهداة وعلى دينه وعلمه . أما اذا وضع له البرهان من الكتاب والسنة فليس بجائز له ترك هذا البرهان الشرعى تمسكاً بالتقليد واتباع فلان أو فلان . فان الذي يفعل ذلك يكون مخالفاً للإسلام وللكتاب والسنة وللإمام الذي زعم تقليده . يزعم أنه ترك الكتاب والسنة اعتلالاً بالتقليد له . وذلك أن أئمة الاسلام جميعاً ولا سيما الصدر الأول ومنهم الأئمة الأربعة كانوا يعتقدون مثل هذا التقليد أشد المقت ، وينهون عنه أشد النهى ولا يرتضونه للمسلم أبداً . بل لقد جاء عنهم جميعاً النهى عن التقليد واتباع الرجل ما لم يعرف دليله وحجته . وكل واحد منهم قال اذا صح الحديث فهو مذهبي ، وقال قائلهم اذا خالف الحديث قولى فاضربوا بقولى الحائط ، وقال الآخر : لا تقلدنى ولا تقلد ما لكأولا الشافعى ولا غيرها وانظر من حيث أخذوا وخذ . وهذا المعنى متواتر عن الأئمة فمن ترك النصوص الواضحة تقليداً لامام فقد خالف الدين وخالف ذلك الامام وقامه التقليد الذى ترك النصوص له ، لأنه لو كان مقلداً لذلك الامام تقليداً عاقلاً لما خالفه فى أمره بالأخذ بالدليل والنهى عن التقليد مع وضوح الحجة وظهورها .

فهؤلاء لا يقلدون ولا يجتهدون ولا متبعون فاذا يصنعون ؟؟

وهؤلاء الجامدون على هذا التقليد يتملأون بملال واهية في تركهم النصوص الواضحة المخالفة لمن زعموا تقليده ، مثل قولهم : لعل هذا النص منسوخ ، ولعله ضعيف ، ولعله متروك الظاهر ، ولعله مخصوص . ومثل قولهم : ان الكتاب والسنة عريان ونحن لا نعرف اللغة العربية ، فان في اللغة المجاز والحقيقة والتورية والكناية وأنواع المجازات ، ونحن لا نعرف هذا كله ويخفى علينا الشيء الكثير منه . يتملأون بهذه العلل في هجران النصوص ، وما علموا أن هذه الايرادات ترد على كلام الامام الذين زعموا الاستمسك بتقليده واتباعه وعلى كل المؤلفين الذين يتقلون لهم مذهب ذلك الامام . فان كلام الأئمة لا يخلو أيضا من المجازات والكناية والاستعارة وضروب البلاغة ، فهذه الأمور الموجودة في كلام الله وكلام رسوله موجودة بشكل قد يكون أخفى وأغمض في كلام الأئمة ومن يقلدونهم ، وكذلك يوجد المنسوخ والمخصوص في كلام الأئمة . ويراد بالمنسوخ هنا الرأي المرجوع عنه . وقد عرف كثيراً أن الامام من الأئمة يقول القول ، ويفتي الفتوى ، ويرى الرأي استناداً الى دلائل مخصوصة ثم تبدو له دلائل أخرى ومعارضات غير تلك فيرجع عن ذلك الرأي والقول وتلك الفتوى الى رأي آخر وفتوى أخرى اعتماداً على الدلائل الاخرى ، فيكون الرأي الأول منسوخاً أى مرجوعاً عنه . ولهذا قد ينقل عن الامام الواحد في المسألة الواحدة مذاهب متعددة ، ويوجد لبعض الأئمة الكبار ما يسمى بالمذهب القديم والمذهب الجديد ، أي المذهب المرجوع عنه والمرجع إليه

فان كان مثل هذه الايرادات تقضى بالاعراض عن الأخذ من الكتاب والسنة ومحاولة فهمها قضت هي نفسها بوجوب الاعراض أيضا عن كلام الأئمة وكتبهم والاعراض عن محاولة الفهم لما كتبوا وقالوا ، لأن هذه الايرادات ترد على كلام

الائمة وكتبهم ولاسيا القصحاء القدماء منهم مثل الامام الشافعى ومالك وأبى حنيفة وأحمد . وهذا لا يقبله المخالفون أنفسهم . فما كان مثله فهو مثله فى الحكم ، فهذه الشبهات التى تردد وتقال لمن دعا الى الكتاب والسنة الواضحة شبهات داحضة لأنها لو صحت لامتنع العمل بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة أيضا ، وهذا لا يصير اليه أحد ، لانه وسيلة الى باطل بالاجماع والضرورة ، وإذن لا مفر من وجوب العمل بما دلت عليه السنة الصحيحة وبما دل عليه كتاب الله وإن خالف ذلك ما جاء عن الامام المقلد ، لان الامام مهما كان ليس ممصوماً . والعصمة لكتاب الله ولسنة رسوله فقط . أما إذا لم يكن هناك دليل صريح صحيح من الكتاب والسنة ودار الامر بين رأى المرء ورأى الامام حسن المصير الى رأى الامام واجتهاده لدينا . هذه هى الخطة الوسطى المثل القصية عن الافراط والتفريط ، وهذا قول أهل السنة من أهل نجد وغيرهم ، وهذا قول المحققين من علماءهم قديماً وحديثاً ، وهذه هى خطة أقول علماء المذاهب الاربعة وكبارهم فانهم يأخذون برأى الامام ويفتون به ويحكمونه مع احترام الكتاب والسنة ومحاولة فهمهما واستخراج الدلائل منهما ، فإذا ما حنت لم سنة أو آية مخالفة لما صح عن الامام ، والامام إنسان يخطئ ويصيب ، كما يعلون لم يمدلوا عن الكتاب والسنة ، ولم ينفوا عنها مذهباً ولا بهما بدلاً ، بل حكموا وأفتوا بهما وقالوا : إن هذا هو مذهب إمامنا بمقتضى القاعدة التى وضعها بقوله : إذا صح الحديث فاشهدوا أنه مذهبى ، فوافقوا بهذا الكتاب والسنة وإجماع أهل البصر بالدين ، ووافقوا امامهم القائل إذا صح الحديث فهو مذهبى . فجمعوا بذلك بين أشد الحق ومقاريفه ، وما من مذهب من المذاهب الاربعة وغيرها الا وعلماءه الفضلاء المحققون يرون هذا المسلك ، وينهجون هذا المنهاج المستقيم . ولهذا يوجد فى المسألة الواحدة فى المذهب الواحد الآراء المختلفة ، منها رأى الامام نفسه ، ومنها رأى أصحاب الامام أو بعض أصحابه ،

فيقال هذه المسئلة قال فيها الامام كذا وقال فيها صاحبه فلان ، أو صاحبه فلان وفلان كذا وكذا ، فجاء فلان من المتأخرين فرجع رأى الامام على آراء الاصحاب أو فرجع آراء الاصحاب على رأى الامام نفسه ويقولون في هذه المسئلة رأى لأحد أصحاب الامام الشافعى أو أصحاب الامام مالك أو أصحاب الامام أحمد أو الامام أبى حنيفة . ويقسمون المجتهدين قسمين : قسم هو المجتهد المطلق كالأئمة الأربعة ، وقسم هو مجتهد المذهب . وهؤلاء هم من دون القسم الأول . ويقسمون الاجتهاد نفسه قسمين : اجتهادا مطلقا عاما واجتهادا خاصا في بعض المسائل دون بعض . وهذا ما يسمى بتجزئة الاجتهاد ، وهو الاجتهاد في بعض الامور دون بعض . وهذا يميزه جماهير من علماء المذاهب والأصول . وهذا مدون في كتب أصول الفقه . وتجزئة الاجتهاد معقولة ومنقولة لاريب في جوازها وصحتها . وهذا ما يقوله علماء نجد وغيرهم من أهل السنة والجماعة . وهذا ما كان عليه السلف الصالح في كل زمان ومكان . فهل الرافضي يريد بما قاله هنا مدحهم أو القدح فيهم ؟

أما الشيعة فانهم يجتهدون ذلك الاجتهاد المنهور المأذى ، الذى لا يتقيد بكتاب ولا سنة ولا لغة ولا معقول ولا اجماع ولا ضرورة ، ويفخرون بهذا النوع من الاجتهاد ، ويزهون به على أهل السنة ، ويدعون . علماءهم بالمجتهدين ، والعالم منهم بكبير مجتهدى الشيعة ، وبالمجتهد الأكبر ، وأمثال هذه الألقاب المتعصية الأندلسية وقد أرى القارىء أفانين من هذه الاجتهادات الرافضية ، ونماذج من اجتهادات صاحب هذا الكتاب أحد كبار مجتهدى الرافضة في هذا العصر . ولعمرك الله ان التقليد الأسمى الأصم الأبكم خير من هذه الاجتهادات وأفضل عند الله وعند عباده . وإن اجتهادا واحداً من هذه الاجتهادات لشر من تقليد البهايم السائمة

وأما طريقة أهل السنة من التجديد الذين يحاول الرد عليهم صاحب هذه الاجتهادات ، فانها طريقة لا يمكن أن يعيها الا جاهل بها أو بالدين والنظر أو بهما معا أو صاحب هوى قاصر قاهر . وهذا الرافضى يحاول بجهد وبكل طاقته أن يجمع لهم زلات واغلوطنات يستطيع بها مس مسمتهم وإيذاء عقائدهم ، فما استطاع أن يفعل سوى أن يمد عليهم انكارهم هذا الضلال المنكر الفاضى الذي سوف تقوضه بهذا الكتاب . وسوف نبين ان شاء الله أن جميع ما قالوا فى هذا الباب صواب بلا غلط ، وحق بلا باطل ، ويقين بلا شك . والله بكل شىء محيط وهو من وراء كل قصد

الاستواء على العرش واثبات صفات الله

ثم هجم هذا الرافضى ثانيا على هذه المسألة الخطيرة وقال ما خلاصته :
 « إن الوهابيين وامامهم ابن تيمية قد اباحوا حتى التوحيد ونسبوا الى الله مالا يليق . فأثبتوا له جهة فوق والاستواء على العرش والقول الى سماء الدنيا والمجيء والقرب . وغير ذلك من الصفات كالوجه واليدين والأصابع والعينين والمحبة والرضا والفضب ، وأنه يتكلم بحرف وصوت ، فجعلوه محلا للحوادث ، وأثبتوا هذه الصفات كلها وغيرها لله بعمانيها الحقيقية من دون تأويل . وهذا تجسيم صريح

« أما ابن تيمية فقال بالجهة والتجسيم والاستواء على العرش حقيقة . وأنه تعالى يتكلم بحرف وصوت ، وهو أول من زقا بهذا القول وتبعه تلاميذه ، وقد حكم علماء عصره بكفره وألزموا السلطان قتله أو حبسه فحبس ومات محبوسا
 « ونحن ننقل ما حكموه عنه فى ذلك . وما قالوه فيه لتعلم قيمة ابن تيمية عند العلماء » وهنا نقل بعض المقادح فيه عن ابن حجر الهيتمى المسكى وما ذكره

الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « الدرر الكامنة » من مقادح الخصوم فيه ، وما ذكره بعض الغلاة من المتأخرين . . والمقادح التي قلها تنحصر في أمرين أحدهما كذب وبهتان مبين ، والآخر صحيح ، ولكن الحق هو ما قاله كما سوف نرى . أما الأمر الذي هو كذب فهو ما ذكر من أن ابن تيمية كان يسعى للإمامة الكبرى ويضمر هذا في قلبه ، وإنه كان لهذا يتبع أخبار ابن التومرت ويتدحه ، وما ذكر من أنه كان قدسح في الخلفاء من الصحابة ، وأنه كان يقول إن عثمان كان يحب المال ، وأن عليا كان مخذولا حينما توجه ، وأنه كان يقاتل للرئاسة والملك لا للدين ، وأنه أسلم صبياً ، والصبي لا يصح إسلامه ، وأنه كان ينفذ عليا ، وأنه قدسح في أهل البيت . وكذا ما ذكر من أنه كان يقول إن الله جسم وأنه في جهة . هذا أحد نوعي المقادح . وهذا كله كذب صحيح صريح . وأما الأمر الآخر من المقادح فهو ما ذكر من أنه كان يقول إن الله مستو على العرش ، وأنه فوق المخلوقات ، وأنه يقر الله سائر الصفات الواردة في النصوص الصحيحة ، وأن الله يتكلم بحرف وصوت . فهذا كله صحيح عن ابن تيمية . هذا خلاصة ما ذكره من المقادح في هذا الإمام . وبعد هذا قال : « وقد ائتمني محمد ابن عبد الوهاب وأتباعه آثار ابن تيمية فأثبتوا لله الجهة والجسم واليدين والأصابع واستدلوا بالآيات والأحاديث في ذلك . ومن هذه الدلائل أن حبراً من أحبار اليهود جاء إلى رسول الله فقال : إنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والأرض على أصبع وسائر الخلق على أصبع ، فيقول أنا الملك ، فضحك النبي عليه السلام حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر اليهودي ، ونزلت الآية « وما قدرنا الله حتى قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه » . وهذا خطأ فإن ضحك النبي ليس تصديقا لقول اليهودي بل تكذيب وتمجيب منه « وإثبات هذه الصفات الاستواء على العرش وإثبات الجهة والرحمة والرضا

والغضب واليدين والأصابع هو عين التجسيم الذي أجمع المسلمون على كفر معتقده
لاستلزامه التركيب والتعيز والوجود في جهة ، ويلزم من إثبات المحبة والرضا
والغضب والرحمة بمانيها الحقيقية ، وهى ميل القلب ورقته وهيجان النفس وعدم
هيجانها ، كونه محلا للحوادث الموجب حدوثه

« والقول بالاستواء يلزمه أحد أمرين : التجسيم أو القول بالحال ، وكلاهما
محال . لأن حصول حقيقة الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل ومع الكيف
تجسيم فلا بد من التأويل والمجاز

« ومن هذا تعلم أن ما يروى عن الامام مالك من قوله : « الاستواء معلوم ،
والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » كذب لا يكاد يصح . وذلك أنه ان أراد
أنه معلوم بمعناه الحقيقي فهو ممنوع بل عدمه معلوم لاستحالة الجسمية على الله ،
واستحالة الاستواء الحقيقي بدون الجسمية ، وإن أراد أنه معلوم بالمعنى المجازى فلا
يصلح شاهداً لقوله ثبت حقيقة الاستواء ، ولا يكون السؤال عنه حينئذ بدعة ،
ولا يلزم للكيف حتى يقال انه مجهول ، وإن أراد أننا نؤمن به على حسب ما أراده
الله وإن لم نعلمه تفصيلاً ، فإن كان يحتمل أنه أراد حقيقة الاستواء ففاسد لما عرفت
وإن كان التردد بين المعانى المجازية فقط فأين حقيقة الاستواء التى أثبتناها ؟

« وإذا كان ما قال الامام مالك حجة عند هؤلاء فلم لم يقولوا ان الراجع
استقبال القبر الشريف والتوسل بصاحبه عند الدعاء حسبما أمر به مالك المنصور ؟
« والجحود للحقيقة والاقرار بها حكم عليها والحكم على الشيء فرع معرفته ،
فيلزم أولاً أن نعرف ما أريد بهذا اللفظ هل هو معناه الحقيقي أو المجازى لنعرف
ما وصف به نفسه فنقر به . وإذا كان المعنى الحقيقي يستحيل إرادته فلا يكون مما
وصف به نفسه ، فلا يكون جحوده كفراً . وما أشبه هذا بقول النصارى فى الابن
والآب وروح القدس . والامر الذى يكون فوق العقل لا يمكن للمقل الاذعان به »

هذا خلاصة ما ذكره الرافضي هنا ، ويعلم الله وحده ما في هذا الكلام من
الهموى والخلط والاصطدام بالحقائق الخالصة . وسوف نذكر من هذا ضروريا كثيرة
والكلام عليه من وجوه :

التشبيهي

(أولا)

يقال ان الذين أباحوا حتى التوحيد وهتكوه ونسفوه وأضافوا الى الله ما لا يليق
بقدسه وجلاله وكأله من التشبيه والتثيل هم طائفة الشيعة لا غيرهم ، وم شيوخ هذا
الرجل ، لا من يحاول الرد عليهم كابن تيمية وتلاميذه الأبرار ، ولا خلاف بين
علماء الملل والنحل أن التشبيه والتثيل ، تمثيل الله بخلقه ، لم يوجد في طائفة من
الطوائف المنحرفة مثلها وجدا في طائفة الرافضة ، ولا خلاف بين علماء الملل والنحل
أن التشبيه أول ما دخل على الطوائف الدائنة للإسلام إنما دخل عليها من شعر
الرافضة وجانب شيوخها القداحي ، ولا خلاف أيضا أن التشبيه كان أصلا ووضعاً في
طوائف الشيعة وشيوخها ووضع من مذهبها وبناء نحلها كما سوف ترى هذا منقولا عن
الكاتبين في الملل والنحل . وتأويل هذا ووجهه أن واضع مذهب الشيعة هو رجل
يهودي وهو عبد الله بن سبأ الصنعاني ، كما ذكر مرارا . واليهود هم أهل التشبيه
والتنقص لله جل وعلا فهم يضيفون اليه تعالى من التشبيه والتثيل أقله وأرذله
فيزعمون أن الله يبكي وأنه يحزن ويتمب ، وأنه يستريح وأنه فقير وهم أغنياء كما في
القرآن ، وأن يده مغولة ، غلت أيديهم . فادخل هذا اليهودي المتشيع هذه العقيدة
اليهودية وهذا التنقص اليهودي في مذهب الشيعة وعقائدها كما قال الشهرستاني في
كتابه الملل والنحل وكما قال غيره . ثم ابتدعت طوائف الشيعة بدعا منكرا
مخزية أخرى ، وقاسوا على ما نقل لليهم من اليهود وزادوا وأضافوا وابتكروا

واخترعوا ، حتى فرست الشيعة اليهود في هذا النقص الذي هو التشبيه
والقدح في الله

قال يهود وضموأ لهم البنور وفيهم كان النبات والنو والريح الذي هو خسران .
ونحن لا قول هذا اجتهداً من عند أنفسنا ، ولا استخراجاً من دلائل غامضة معاً
ولا قتلاً عن الوهايين الذين تطيب لهذا الرجل مخاصمتهم ، ويطيب له أن يدعى
عليهم هذه الدعاوى . ولكننا ننقل عن اتفقت كلمة الناس على أنهم لا هوى لهم
في القدح في الشيعة والدم لمذهبيهم وعن علماء ثقات اتفقت كلمة الناس على
صدقهم ودينهم ، وعلى إرادتهم الحق والصدق ، وعن علماء شرطوا على أنفسهم
مثل الشهرستاني ألا يمدوا على طائفة مذهبها لما إلا ما وجدوه في كتبها المعروفة
قال الشهرستاني في باب مذاهب الشيعة : « ومنهم الغالية ، وهم الذين غلوا
في حق أنتمهم وأخرجوهم من حدود الخلقية ، وحكوا فيهم بأحكام الألوهية . فربما
غلبوا واحداً من الأئمة بالاله وربما شبروا الاله بالخلق ، وهم على طرفي الغلو والتقصير .
وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ، ومذاهب التناسخية ، ومذاهب اليهود
والنصارى . إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق .
فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام إلهية في حق
بعض الأئمة ، وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة ، وانما عاد الى بعض أهل
السنة بعد ذلك ومنهم الكاملية . ومذهبهم أن الله قائم بكل مكان ، ناطق بكل
لسان ، ظاهر بشخص من أشخاص البشر ، وذلك معنى الحلول . وقد يكون الحلول
بجزء وقد يكون بكل . أما الحلول بجزء فهو كاشراق الشمس في كوة ، أو كاشراقها
على البلاد ، وأما الحلول بكل فهو كظهور ملك في شخص ، أو كشيطان بمحيوان
» ومنهم المغيرية أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي . غلا في حق على رضي الله
عنه غلواً لا يعتقده عاقل ، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه ، وقال ان الله صورة وجسم

ذو أعضاء على حروف الهجاء ، وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله قلب تنبع منه الحكمة . وزعم أن الله لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقه على رأسه تاجا . قال وذلك قول الله « سيح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى » ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه فغضب من المعاصي فغرق فاجتمع من عرقه بحران ، أحدهما مالح ، والآخر عذب ، والمالح مظلم والعذب نير . فاطلم في البحر النير فأبصر ظله فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر وأقنى باقي ظله ، وقال لا ينبغي أن يكون معي إله غيري

« ومنهم المنصورية أصحاب أبي منصور المجلى ، زعم أنه عرج به الى السماء ورأى معبوده فسح بيده رأسه وقال : يا بنى انزل وبلغ غنى »
« ومنهم الخطاوية أصحاب أبي الخطاب . زعم أن جعفرآ هو الاله فى زمانه ، وليس هو المحسوس الذى يروونه ، ولكن لما نزل هذا العالم لبس هذه الصورة فرآه الناس فيها . وقد قتل لهذه الدعوى

« ومنهم المشامية أصحاب هشام بن الحكم صاحب المقالة فى التشبيه ، وهشام الجوالقى الذى نسج على منواله فى التشبيه . حكى ابن الراوندى عن هشام أنه قال ان بين معبوده وبين الأجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه وحكى الكهبي عنه أنه قال هو جسم ذو أبعاد ، له قدر من الأقدار ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ، ونقل عنه أنه قال هو سبعة أشبار بشير نفسه ، وأنه فى مكان مخصوص وجهة مخصوصة ، وأنه يتحرك وحركته فعله ، وليست من مكان الى مكان ، وأنه متناه بالذات غير متناه بالقدرة . وحكى عنه أبو عيسى الوراق أنه قال : ان الله تعالى مامس لعرشه لا يفضل منه شيء من العرش ، ولا يفضل عن العرش شيء منه . وقال هشام بن سالم الجوالقى ان الله على صورة انسان أعلاه مجوف ، وأسفله مصبت ، وهو نور ساطع يتلألأ ، وله حواس خمس ويدور رجل

وأنف وأذن وعين وفم ، وله وفرة سوداء ، وهو نور أسود ، ولكنه ليس لحماً ولا
 دماً . وقل عنه أنه أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بمصبة الأئمة ، ويفرق بينهما
 وغلا هشام بن الحكم في حق علي رضي الله عنه حتى قال انه إله واجب الطاعة
 » ومنهم النعمانية أصحاب محمد بن النعمان ، وافق هشام بن الحكم في أن الله
 لا يعلم شيئاً حتى يكون ، وقال : ان الله على صورة انسان . وبأي أن يكون جسماً ،
 ولكن قال قد ورد في الخبر أن الله خلق آدم على صورته وعلى صورة الرحمن فلا بد
 من تصديق الخبر

» ومنهم اليونسية أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي . زعم أن الملائكة
 تحمل العرش وأن العرش يحمل الله ، وهو من مشبهة الشيعة ، وقد صنف لهم كتباً
 في هذا

» ومنهم طائفة النصيرية والاسحاقية ، وينتم خلاف في إطلاق اسم الالهية
 على الأئمة ، قالوا ظهور الروحاني بالجسد الجاني أمر لا ينكره عاقل . اما في جانب
 الخبر فكظهور جبريل ببعض الأشخاص والتصور بصورة أعرابي والتثل بصورة
 البشر . وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة الانسان حتى يعمل الشر
 بصورته ، وظهور الجن بصورة بشر ، حتى يتكلم بلسانه ، وكذلك نقول ان الله
 ظهر بصورة أشخاص ، ولما لم يكن بعد رسول الله من هو أفضل من علي بن
 أبي طالب وبعده أولاده المخصوصون وهم خير البرية ظهر الحق بصورتهم ونطق
 بلسانهم وأخذ بأيديهم وعن هذا أطلقنا اسم الالهية عليهم . وانما أثبتنا هذا
 الاختصاص لملي دون غيره لأنه كان مخصوصاً بتأييد من عند الله مما يتعلق بباطن
 الأمرار . قال النبي ﷺ : أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر . وعن هذا
 كان قتال المشركين الى النبي وقاتل المناققين الى علي . وعن هذا شبهه بعيسى بن
 مريم ، وقال لولا أن يقول الناس ما قالوا في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالا ،

وربما أثبتوا له شركة في الرسالة ، وقلم باب خبير لا بقوة حيوانية من أدل الدلائل على أن فيه جزءاً إلهياً وقوة وبانية ، أو يكون هو الذي ظهر الاله بصورته وخلق يديه وأمر بلسانه . وعن هذا قالوا كان هو موجوداً قبل خلق السموات والأرض وقال كنا ظلة عن عرش العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا . والنصيرية أميل الى تقرير الجزء الالهى والاسحاقية أميل الى تقرير الشركة في النبوة ،

ذكر هذا كله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل وقد ذكر غير هذا تركنا نقله ، وقد ذكر كثيراً من هذا ابن حزم في كتابه الملل والنحل ، وكذلك ذكره المقرئ في الجزء الرابع من الخطط ، وذكره جميع من كتبوا في مقالات المسلمين ولا يختلفون في نقل هذا عن الشيعة لأنه متواتر عنهم مثل تواتر قولهم في الإمامة وفي الصحابة وفي عصمة الأئمة قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب منهاج السنة قد افق على نقل هذا عن الشيعة حتى الشيعة نفسها تنقل هذا كابن النجاشي وغيره منهم . قال الأشعري في كتابه مقالات الاسلاميين : « اختلف الرافضة أصحاب الإمامة في التجسيم ، وهم ست فرق الفرقة الأولى الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضي يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية وحد طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يوفى بمضه عن بعض ، وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار في مكان دون مكان كالسيكة الصافية ، يتلأأ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها . ذو لون وطعم ورائحة ومجسة ، والفرقة الثانية من الرافضة يزعمون أن معبودهم ليس بصورة ولا كالأجسام ، وإنما يذهبون في قولهم إنه جسم الى أنه موجود ولا يثبتون الباري ذا أجزاء مؤتلفة وابعاض متلاصقة ويزعمون أن الله مستور على العرش بلا كيف ولا عمامة ، والفرقة الثالثة من الرافضة يزعمون أن ربهم على صورة الانسان ويمنعون أن يكون جسماً ، والفرقة الرابعة من الرافضة الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقي يزعمون أن ربهم على

صورة الانسان ، وينكرون أن يكون لحماً ودماً ، ويقولون انه نور ساطع يتلألأ
 بياضاً ، وانه ذو حواس خمس كحواس الانسان . له يد ورجل وأنف وأذن
 وفم وعين ، وأنه يسمع بغير ما به يبصر ، وكذا حواسه كلها متقاربة عندهم . وحكى
 أبو عيسى الوراق عن هشام هذا أنه كان يزعم أن لربه وفرة سوداء ، وأن ذلك
 نور أسود ، والفرقة الخامسة يزعمون أن لله ضياء خالصاً ونوراً بحتاً وهو كالصباح
 من حيث ما جئته يلقاك بنور ، وليس بنفي صورة ولا أعضاء ولا اختلاف في
 الأجزاء ، وأنكروا أن يكون على صورة الانسان أو على صورة شيء من الحيوان .
 والفرقة السادسة يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا
 يتحرك ولا يسكن ولا يماس

« واختلفت الرافضة في حلة العرش . أيحملونه أم يحملون الله ! وم فرقتان
 فرقة يقال لها اليونسية أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي يزعمون أن الحلة
 يحملون الباري ، واحتج يونس أن الحلة تطيق حمله وشبههم بالكركي وأن رجله
 تحملانه وهما دقيقتان ، وقالت فرقة أخرى إن الحلة تحمل العرش ، والباري
 يستحيل أن يكون محمولا » انتهى كلام الأشعري

وهذه النقول متواترة عن الرافضة وطوائفها ، ولأجل انحراف القوم الى
 التشبيه وانصبابه في نفوسهم وعقائدهم انصباباً قالوا ما قالوا من العقائد والأقوال
 الباطلة في الله وفي الأئمة . فزعم مبتكر مذهبهم وأصحابه أن الله حال في علي وفي
 ذريته ، فزعموه ألها وزعموه آلهة ، وقالوا له أنت الله أنت خالقنا ورازقنا !
 وعن هذا التشبيه ألها الأئمة وعبدوهم في كل عصر ومصر . فهم أكثر الناس بلا
 خلاف تشبيهاً وتنقصاً لرب العالمين . فذهب الرافضة قائم أصالة على رفع الخلق
 وخفض الخالق ، وعلى تنقص الله في سبيل إعظام عبادته ، وعلى هذا الأساس ألف
 هذا الشيعة كتابه هذا وسلك هذا المسلك ، ومن العجب أن الشيعة قد جمعوا

بين رذيلتي التعطيل والتثليل ، ورذيلتي التشبيه والجهود . فطوائف منهم كما رأيت يقولون هذه الأقوال المنكرة في الله ، ويضيفون الى قدسه وكأله هذه النقائص ويشبهونه هذا التشبيه المهزى ، ويمثلون خلقه به ويمثلونه بخلق هذا التمثيل المردى وطوائف أخرى منهم يذهبون الى تقيض هذا المذهب ، ويقولون تقيض هذه الأقاويل فيغلون في التجريد والتعطيل ، فيجردونه من الأوصاف ومن صفات الكمال خوف التشبيه كما يزعمون . فينكرون جميع الصفات ويبحدون ما علم بالضرورة عقلا وشرعا من أوصاف الله ، ويجردونه تجريدا لا يقبله العقل ولا الدين . حتى أنهم يرفعون عنه التقيضين في وقت واحد . فيقولون إن الله لا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، ولا موجود ولا معدوم . ويقولون لا يصح أن يقال انه حي ولا أنه ميت ، ولا أنه كبير ولا أنه صغير ، ولا أنه موجود ولا أنه معدوم ، ولا أنه قادر ولا أنه عاجز ، ولا أنه خالق ولا أنه غير خالق ، ولا أنه مرید ولا أنه غير مرید . أى أنهم لا يصفونه بالنفي ولا بالاثبات . وهذا باطل بداهة عند جميع الخلائق العقلاء ، لأنهم لو وصفوه بصفة من هذه الصفات كما يزعمون لكان مثل خلقه الذين يوصفون بها ، ولو جردوه من هذه الصفات لقام به ضدها ، وهذا محال فلا يصح حينئذ النفي ولا الاثبات ، ولا وصفه بصفة ولا بضدها ، وهذا معلوم عنهم ، وقد ذكره الشهرستاني وغيره كالمقريزي في خططه عن طائفة الامم اعيلية منهم ومن هذه الطائفة كانت دولة الفاطميين

وليعلم أن هذا الشيعي صاحب هذا الكتاب من المدافعين عن الفاطميين كما سوف يجرى ، قال الشهرستاني في هذه الطائفة : « ووضعا ككتبتهم على منهاج الفلاسفة ، فقالوا في الباري لا قول موجود ولا لا موجود ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك جميع الصفات ، فان الاثبات الحقيقي يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي أطلقنا عليها وذلك تشبيه ، فلم يمكن الحكم

بالاتبات المطلق ولا النفي المطلق ، بل هو الله المتقابلين ، وخالق الخصمين والهاكم بين المتضادين ، ويقولون هذا عن محمد بن علي الباقر وأنه قال لما وهب العلم بحالين قيل هو عالم ، ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر ، فهو قادر وعالم ، بمعنى أنه وهب العلم والقدرة لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة ، أو وصف بالعلم والقدرة . فقيل فيهم أنهم نفاة الصفات حقيقة ، معطلة الذات عن جميع الصفات . وكذلك تقول في القدم إنه ليس بقديم ولا محدث ، بل القديم أمره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته » هذا ما نقله الشهرستاني ، وقد ذكره عنهم وعن الفاطميين المقرئ في خطه وذكروه غيرها من المؤلفين في هذا الباب ، وقد ذهبت طوائف منهم إلى أشنع من هذا وأقبح فزعموا أن الله خلق صفاته كالعلم والارادة بعد أن كانت معدومة . قال الأشعري « اختلفت الرافضة في القول بأن الله عالم وقادر ومميع وبصير وهم تسع فرق : فالفرقة الأولى منهم الزرارية أصحاب زرارة بن أعين الرافضي يزعمون أن الله لم يزل غير مميع ولا عليم ولا بصير حتى خلق ذلك لنفسه . والفرقة الثانية السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ ، يفتون في هذه المعاني ، يزعمون أن القول فيها ما يقول جعفر كائنا قوله ما كان ، ولا يعرفون هذه الأشياء قولا . والفرقة الرابعة يزعمون أن الله لم يزل لا حيا ثم صار حيا . والفرقة الخامسة وهم أصحاب شيطان الطائفة يزعمون أن الله عالم بنفسه وليس بجاهل ، ولكنه إنما يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها ، فأما قبل أن يقدرها ويريدها ففعال أن يعلمها ، لا لأنه ليس بعالم ولكن الشيء لا يكون شيئا حتى يقدره والتقدير عندهم الارادة . والفرقة السادسة أصحاب هشام بن الحكم يزعمون أنه محال أن يكون الله لم يزل عالما بالأشياء بنفسه وأنه إنما يعلم الأشياء بعد أن لم يكن عالما بها ، وأن العلم صفة ليس هو هو ولا هي غيره ولا بمعنى ، فلا يجوز أن يقال العلم محدث أو قديم ، لأن العلم صفة والصفة لا توصف . ولو كان لم يزل عالما لكأن المعلومات لم تزل لأنه لا يصح عالم إلا

بمعلوم موجود ، ولو كان عالماً بما يفعله عباده لم تصح المحنة والاختيار . وقال هشام في سائر صفات الله كقدرته وحياته ومحمه وبصره وإرادته أنها صفات الله لا هي الله ولا غير الله ، وقد اختلف عنه في القدرة والحياة فمنهم من يحكى عنه أنه كان يقول : ان الله لم يزل قادراً حياً ، ومنهم من ينكر أن يكون قال ذلك . والفرقة السابعة من الرافضة يزعمون أن الله عالم بنفسه كما قال شيطان الطاق ، ولكنهم يزعمون أن الله لا يعلم الشيء حتى يؤثر فيه أثره والتأثير عند عدم الإرادة . فإذا أراد الشيء علمه وإذا لم يردده لم يعلمه ، ومعنى أراد عندهم أنه يتحرك حركة هي إرادة فإذا تحرك علم الشيء وإلا لم يحز وصفه بأنه عالم . والفرقة الثامنة يزعمون أن معنى أن الله يعلم أنه يفعل ، فإن قيل لم أن الله لم يزل عالماً بنفسه ، اختلفوا فمنهم من يقول لم يزل لا يعلم نفسه حتى فعل العلم لأنه قد كان ولم يفعل ، ومنهم من يقول لم يزل يعلم نفسه . فإن قيل لم فلم يزل يفصل قالوا نعم ، ولا نقول يفعل الفعل . ومن الرافضة من يزعم أن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون إلا أعمال العباد ، فانه لا يعلمها إلا حال كونها . والفرقة التاسعة يزعمون أن الله لم يزل حياً عالماً قادراً ، ويميلون الى نفي التشبيه ولا يقرون بحدوث العالم

« واختلفت الرافضة في إرادة الله ، فمنهم من يقول هي حركة ، فإذا أراد الشيء تحرك فكان ما أراد . ومنهم من يقول إن إرادة الله ليست حركة »
هذا ما نقله عن الرافضة سائر العلماء مثل الشهرستاني والأشعري وابن حزم والمقرئ ، وغير هؤلاء . وهذه أمور منقولة عنهم بالتواتر لا يمكن جردها ولا إيايتها . وفي منهاج السنة أن شيوخ الرافضة المؤلفين يذكرون هذه الأمور عن الشيعة بلا خلاف . ومن أقبح خطل الشيعة في التشبيه قولهم على الله بالبداء ، أى يعلمه الشيء بعد جبهه إياه ولهذا يغير إرادته . وقد أسلفنا هذا . ومن أقبح هذا القبيح قولهم : إنه تعالى يحل في المخلوقات وفي أجسام بعض خلقه مثل الأئمة ،

وهذا من شر التشبيه وأخبثه . وقولهم إنه تعالى يبدو في صور بعض عباده وأن هؤلاء العباد الذين يحل الله في ذواتهم يستحقون العبادة والتقديس ، كما كان يذهب هذا المذهب الفاطميون ، وكانوا يدعون إلى عبادة أنفسهم ويعرضون الناس بأنهم آلهة

والعجب أن جميع طوائف الشيعة ما بين مفرط ومفرط في هذه المطالب العالية فعلوا ثلث غالية مشبهة تشبيها شنيعا ، وطوائف أخرى غالية في التعطيل والجحود كما رأيت ، فهما طرفان متباعدان فقد بينهما الوسط المعتدل القائم بالقسط والعدل فالشيعة ما بين مشبه لله بخلقه ، واصف له بالصفات التي لا تكون إلا للمخلوقين ، وما بين معطل لله مجرد له من جميع الصفات والأوصاف . وليس في الرافضة فيما رأيت من هم على مذهب السلف ، بل كلهم يتقنون من السلف ومن أهل الحق والاعتدال فالمشبهون المجسمون منهم يرمون السلف بالتعطيل والجحود ، لأنهم أنكروا التشبيه والتجسيم ، والمجردون المعطلون منهم يرمون السلف بالتجسيم والتشبيه والايماض بالباطل ، إذ آمنوا بما جاء في النصوص المتواترة الصحيحة . فالسلف ممقوتون عند هؤلاء وهؤلاء ، عند المعطلين وعند المشبهين المجسمين ، والفريقان أنفسهما متنابذان متلاعنان لأنهما متباعدان جدا . فالمشبهون منهم يذمون المعطلين ويقعون فيهم ، والمعطلون يذمون المشبهين ويقعون فيهم ، فكل الفريقين عائب معيب ، وكلهما ذام مذموم ، والله ورسوله وعباده الصالحون منهم براء ، والحق عن هؤلاء وهؤلاء في مكان قصي . ومن العجيب المؤلم أن تكون هذه عقائد الشيعة وآراؤهم في الله ما بين تشبيه قبيح صريح ، وما بين تعطيل صريح قبيح ، ثم يقوم واحد منهم ، من هؤلاء المشبهين المعطلين يرمي أهل السنة والحديث كابن تيمية وتلاميذه الأبرار ، بأنهم مشبهون لله ، وأنهم قائلون عليه بالباطل إذ وصفوه بما وصف هو به نفسه في كتابه ووصفه رسوله في سنته نفيًا وإثباتًا ، لا زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا

تمثيل ، زاعما أن ذلك يلزمه التشبيه والباطل ثم زاعما أن هذه الصفات لا تكون
 إلا للاجسام ولا يوصف بها غيرها
 وأما دعواه أن شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وتلاميذه وأهل السنة من
 أهل نجد يقولون ان الله جسم وأنه في جهة ، وأنه يشبه أحداً من خلقه في صفة
 من صفاته ونعت من نعوته ، فهذه دعوى يتقلدها ويؤوء بأعها هو ومن افتجروا له
 وقوله فيها ، ممن تعبدوا الله بالأكاذيب والاختلاق على رجال السنة والحديث
 تقريراً وتنقيراً وخداعاً مزرياً . ولو لم تكن كتب ابن تيمية وتلاميذه الأبرار
 وأهل السنة من أهل نجد مطبوعة منشورة في أنحاء العالم ، معروفة للخاصة والعامة
 لقلنا كذب على غائب مجهول ، قد يروج وقد ينفي ، وقد يحسب من الحقائق
 الصادقة ، وقد يكون كذلك ، وقد يخادع الكاذب نفسه ويفش علمه ويفلم دينه .
 أما الكذب على معلوم حاضر فلا يجرؤ عليه إلا أناس قليلون استهانوا بالحق وبالحق ،
 واستهانوا بالعلم وبأنفسهم . وضأثرهم ، ثم استهانوا بالناشرين والطابعين والقارئین .
 هذه كتب ابن تيمية وكتب تلاميذه وكتب النجديين موجودة في كل مكان ،
 قد طبع الشيء الكثير منها . وهذه مقالاتهم وآراؤهم في هذه المطالب المتنازع
 فيها بينهم وبين هؤلاء الخلف المخالفين . وهذه أقاويلهم في الله وفي صفاته ، مثل
 الاستواء على العرش ومثل كلامه ونزوله إلى سماء الدنيا وسائر صفاته تعالى ، هل
 يستطيع أحد من الناس أن يجد فيها أنهم زادوا على النصوص الصحيحة من الآيات
 والأحاديث الثابتة ، أو أنهم قالوا على الله قولاً لم يكن في كتاب الله ولا في سنة
 نبيه أو أنهم وصفوه بصفة غير متواترة النصوص ، أو أنهم قالوا ان الله جسم أو
 عرض ، أو أنه يشبه خلقه في ذاته أو في صفاته أو في شيء من الأشياء ، أو يجد
 أنهم يشكون في ذلك أو يجوزونه أو يلاينون من قاله من أهل البدع والآهواء
 والافتئات على الله ؟ هل يستطيع هذا الخالف المدعى أو غيره من الناس أن يجد

واحدا من هذه الامور في كتب شيخ الاسلام ابن تيمية أو كتب النجدين ؟ إن أبلغ التعجيز وأبلغ اظهار الثقة بالقول هو التحدى . وإننا لهذا نتحدى هذا المخالف وغيره من المخالفين لنا ، ونقول لهم جميعا : أرونا أمراً واحداً من هذه الامور التي زعمتموها على القوم إن كنتم صادقين أرونا أن شيخ الاسلام أو ابن القيم أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو أحداً من هؤلاء قال ان الله جسم ، أو قال إنه يشبه خلقه في ذاته أو في صفاته أو في شأن من شئونه أو قال انه يوصف بما لم يصف به الكتاب أو السنة ، أو ما أجمع عليه سلف الأمة ، أو أن أحداً من هؤلاء جوز وصفه تعالى بذلك . أرونا ذلك فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا ، فأتقوا الله واحترموا القارئين واحترموا العلم . ومن جمع أكاذيب وأموراً مناهضة للواقع وألفها وطبعها في كتاب فلا يمكن إلا أن يكون قد علم أن كتبه لن تقرأ ، لاستخفافه بنفسه ، أو ممن استخف هو بالقراء وتفعلهم ، وإننا لا نتحدى المخالفين في هذا ونطلب اليهم نقل ما زعموه لأن الأمر يحتاج الى هذا التحدى ، بل إنما تحديناكم زيادة إعجاز وإقناع وإلا فقد كتب هؤلاء العلماء الذين اتهموا بأنهم يقولون ان الله جسم وأنه في جهة وأنه يشبه خلقه في غير ما كتاب من كتبهم المطبوعة الانكار الصريح على من قال من أهل الابتداع كالرافضة وغيرهم ان الله جسم أو أنه في جهة أو أنه يشبه خلقه وعلى من وصف الله وصفاً لم يرد في الكتاب ولا في السنة . وقد ذكر ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم المطبوعة ما لا يحصى من التصريحات بأنهم لا يقولون ان الله جسم أو أنه في جهة من الجهات ، وقد ذكروا ما لا نستطيع إحصاءه أن من قال ذلك فقد ابتدع وقال في الله الباطل وما لا يليق ، وأنه تجاوز الحدود وهجم على للنكر . وقد ذكر في منهاج السنة في الرد على الشيعة في غير موضع منه ، وذكر في غيره من كتبه المطبوعة ، أنه لا يصح أن يقال ان الله في جهة ولا أن يقال انه ليس في جهة ، ولا أن يقال انه جسم أو أنه غير جسم ، أى ان ذلك لا يثبت ولا يثبت ،

قال لأن ذلك النفي وذلك الاثبات لم يردا في كتاب ولا سنة ، ولم ينقلا عن سلف الأمة ، قال ولأن النافي قد ينفي حقاً ثابتاً ، والمثبت قد يثبت باطلاً ، فان القائل ذلك ، أى القائل ان الله ليس في جهة قد يكون يريد بهذا انه ليس على العرش ولا فوق السماء ، فيكون بقوله هذا مخالفاً الكتاب والسنة وإجماع السلف ، وقد يريد القائل انه في جهة أنه حال في مكان أو أنه محمول على شيء من خلقه مثل العرش أو غيره ، فيكون بهذا قائلًا على الله الائم والضلال ، وقد يكون القائل انه جسم يريد أنه مثل الأجسام المؤلفة من اللحم والدم والأعصاب والعظام ، وهذا باطل وضلال ، وقد يريد من قال أنه ليس بجسم أنه ليس قائما بنفسه ، وأنه ليس مستويا على العرش ولا باثنا عن خلقه ، فيكون بهذا مخالفاً الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، وإذن لا النفي يجوز ولا الاثبات خوف الابتداع والوقوع في الضلال وإذن لا يصح المصير الى ما لم يرد لا نفياً ولا إثباتاً ، وانما حسب المسلم أن يلتزم قول الله وقول رسوله ﷺ ، وأن يرض عمارغبا عنه ولا سيما في باب العلم بالله وبصفاته ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه

فإن تسمية وتلاميذه والنجديون يصرحون جبراً بأنه لا يجوز القول بالجهة ولا بالجسم لا نفياً ولا إثباتاً ، ويأبون القول على الله وفي صفاته بما لم يرد في النصوص وما لم يؤثر عن السلف ، ويرون أن من قال شيئاً من ذلك فقد ابتدع وقال في الله وعليه الباطل والائم . وهذا مذكور في كتبهم كلها . فن الائم إذن والجنابة الكبرى اتهمهم بذلك ؛ ومن الاقدام على الذنب الاقدام على هذا الاتهام وإذا لم تؤخذ مذاهب الناس من كتبهم وكلامهم فم تؤخذ ؟ وإذا لم يؤخذ الرجل بما كتب وقال فبماذا يؤخذ ؟ ان كل انسان يستطيع أن يكذب ويستطيع أن يتهم الأبرياء ويستطيع أن يضيف الى عظام الرجال ما يمليه عليه هواء أو قصه ولكن الشأن في تصديق ذلك وإقامة البراهين على صدقه ومن ذا الذي يسمى أو

يتعاضى عما كتبه الرجل مذهبا له ليتقبل طوعا أو كرها ما ينسبه اليه أهل الضغن والخصومة الظالمة الاختلاق كما قلنا لا يعجز أحدا وقد اختلق الضغن والهوى على الصديق والفاروق وعثمان وعلى غيرهم ممن هم ذو نهم أو فوقهم . وهل يعجز من اقترف على هؤلاء وساق إليهم التهم سوقا من كل وجه أن يسوق ذلك أو بعضه أو أكثر منه إلى ابن تيمية وتلاميذه وإلى التجديين كافة ؟ إن ذلك لن يعجزه ولكن الذى يعجزه حقا هو تصديقه وإقامة البرهان عليه

فإن قيل إن أحد الناس طبع فى هذه الايام رسالة زعم فيها أن شيخ الاسلام ابن تيمية قال فى كتابه منهاج السنة إن الله فى جهة ، وقال أشياء أخرى فى المنهاج وفى كتابه العقل والنقل ، وأن صاحب هذه الرسالة زعم أنه دل على المواضع التى قال فيها ابن تيمية ذلك من كتابيه المذكورين بالصفحة ، إن قيل هذا قلنا إن صاحب هذه الرسالة لم يرد الحق والصدق ، ولم يرد أن يكون امينا فى نقله وقوله . وبالرجوع الى المواضع التى دل عليها من ذينك الكتابين يعرف أن صاحب هذه الرسالة لم يكن صادقا ولا حريصا على أن يكون صادقا ، ويعرف أنه كان يتصيد الكذب ويحتمل على الاختلاق . ولعل كثيرين من الناس لم يكونوا يحسبون أن عالما يحترم نفسه ويحترم العلم والتأليف ، يمكن أن يقول خلاف الحق متعمدا ، ثم يذهب يدل على مواضع جريته فى صفحات الكتاب الذى اجترم على صاحبه ما اجترم ثم يذهب يرشد الناس إلى أنه غير صادق فى علمه وتأليفه ! ولعل هذا اللون من الابتكار نوع من أنواع الخداع وترويج الجريمة والبهينة وابعاد الظنة والتهمة ، وذلك أن الناس كلهم أو جلهم لم يبلغ بهم سوء الظن بالناس ، وبالعلماء المؤلفين منهم خاصة أن يظنوا ان الرجل منهم يذهب ينقل عن كتاب مطبوع مقروء موجود فى المكاتب الخاصة والعامة ويدل على ما نقل بالصفحة ثم لا يكون فى ما نقل وكتب صادقا ! ان هذا النوع من الابتكار فى الخداع لم يكن الناس يألفونه ويعرفونه .

ومن ثم كان من صنم هذا واقترفه جاهداً في وضع نفسه عن الاتهام وسوء الظن بعيداً ، جاهداً في الاضلال والخذاع ، اللذين لا ينفسان على أحد !
 واثنا نرجو من وقعت في يده هذه الرسالة أن يرجع الى المواضع التي ذكر أنه وجد فيها ضلال ابن تيمية وزيفه ليعلم من الضال الزائع حقا ، وأما من لم يطلم على هذه الرسالة فيكفيه أن يتناول ما شاء من كتب هذا الامام وكتب تلاميذه ويقرأ ما شاء من هذه الكتب ، فانه لن يجد فيها قولاً واحداً في الله أو في صفاته إلا أن يكون موجوداً في الكتاب أو في السنة الصحيحة ، وأما ما ليس كذلك فلن يقولوه فان قلت إنا نعترف بأن ابن تيمية وتلاميذه ، وكذا النجديون ، لا يقولون بالجهة ولا بالتجسيم والتشبيه صراحة ونصاً ، ولكن إيمانهم بهذه الصفات ، مثل الاستواء والصفات الأخرى على ظاهرها ، يقضى بالتشبيه والتجسيم والقول بالجهة فهو كذلك لزوماً واقتضاءً ولا معنى للإيمان بهذه الصفات الا الايمان بهذه الأمور اللازمة لها ، ان قلت ذلك قلنا : هذا ما سوف نتناوله بالبيان في الفصل الآتي :

الاستمراء على العرش

نعم ان هؤلاء الأئمة يؤمنون بأن الرحمن على العرش استوى ، وأنه فوق جميع المخلوقات ، كما جاء ذلك في جملة الكتاب الكريم والسنة وسائر الكتب السماوية ، ويؤمنون أيضاً بسائر الصفات التي صحت نصوصها مثل أن الله يرحم عباده رحمة عامة ورحمة خاصة ، وأنه يرضى من عباده الايمان وأعمال البر ، ويكره الكفر والمصيان والشر ، ويمقت الاثم والفسوق وأنواع الفساد ومن عملوا ذلك ، ويجب عباده الطاهرين المتقين أهل الدين والعدل والصدق والمروءة وأنواع الفضائل ويغض أهل الظلم والكذب والخبث وأفانين الرذائل ، ومثل أن له يداً ليست كأيدينا ، ووجهاً ليس كوجوهنا ، وكلاماً بحرف وصوت كما جاء في الأحاديث

الصحيحة ولكن ليس ككلامنا ولا كهروفنا وأصواتنا ، وأن له ذاتاً ووجوداً وحقيقة وإرادة وعلماً ومشية وحياة واختياراً وغير ذلك من صفات الكمال الواردة في الكتب المقدسة والتي أرشدت إليها العقول السليمة . ولكن شيئاً من ذلك لا يشبه شيئاً من صفات المخلوقين في وجه من الوجوه ولا معنى من المعاني ، فكما أن ذاتاً لا تشبه ذوات الخلق فكذلك صفاته لا تشبه صفاتهم ، والكلام في الصفات كالكلام في الذات ، فإذا كانت ذاته تعالى لا تشبه ذوات المخلوقين ، والمخلوقين ذوات ، فكذلك صفاته لا تشبه صفاتهم يقينا

والأمر الجامع لهذا أن نؤمن بجميع ما ورد لله في كلامه وكلام أنبيائه من الصفات والشئون إيماناً خالصاً يربثنا من التعطيل والتثييل ومن التجريد والتشبيه ، فلا يجوز لنا نفى ما ورد له من الصفات كما لا يجوز لنا تشبيه ذلك بصفات الحوادث فمن شبه فقد ضل ومن نفى فقد ضل ، والنافى كالمشبه كلاهما غلط ضال ، وكلاهما قائل على الله غير الحق . والنفى والتشبيه متقارنان متلازمان لا ينفصلان ، فكل مشبه نافى وكل نافى مشبه ، ولولا التشبيه لما كان النفي ، ولولا النفي لما كان التشبيه فان النافي ينفي هذه الصفات عن الله لظنه أنها في الله لا بد أن تكون مثل صفات الخلق ، ولا بد أن تكون مشابهة ما يسمى باسمها من أوصاف العباد ، ولا يمكن أن تكون مخالفة صفاتهم أبداً ، ولأجل هذا الظن لجأ إلى النفي والتعطيل ، فقد شبه أولاً ونفى ثانياً ، فهو مشبه نافى ، فهو إذن جامع الضلالتين ، ولو أنه لم ينتقد هذا التشبيه لما كان هنالك ما يضطره إلى النفي ، ولو أنه علم أن صفات الله كذاته لا تشابه ولا تماثل ، لما لجأ إلى الإبطال والنفي وإلى تأويل النصوص . قالنا في كما قلنا مشبه نافى ، ولأجل هذا نجد المنزهين الذين يطعون أن هذا التشبيه المزعوم مرفوع ممنوع ، والذين يطعون أن الله وصفاته لا يشبه شيئاً لا يرون شيئاً أمراً يدعوهم إلى التأويل وإلى التعطيل . فقد علموا أن صفات الله ليست كصفات عباده

فآمنوا بها مع هذا التنزيه فخلصوا من هاتين الضاللتين ، أغنى التشبيه والتعطيل ، وخلصوا بذلك من مخالفة التصوص والخروج على الاجماع الأول ، ولهذا فانك غير واحد حجة واحدة عند فناء الصفات غير دعواهم ان الايمان بها يقضي بهذا التشبيه ، ولهذا يسمون المؤمنين مشبهين مجسمين . ويدعون عليهم خطأ أنهم يقولون بذلك صراحة ، وذلك لحسابهم أنه غير ممكن الايمان بهذه الصفات الا مع التشبيه والتشبيه باطل بلا ريب . ولأجل ما ذكرنا نجد الطوائف المشبهة تصير آخره الى التعطيل وتثبت بينها طوائف أخرى معطلة ملحة في التعطيل ، وقد ذكرنا آنفاً أن هذا المرض - أغنى التشبيه - أصلاً ووضعاً كان في طوائف الشيعة وأنهم هم الذين ابتكروه في الاسلام . وهم الذين غلوا وبالغوا فيه أشد المبالغة والغلو ، وذكرنا أن طوائف منهم كالإسماعيلية كانوا يقولون بالتعطيل الصريح التام ، حتى أنهم يأبون وصفه تعالى بصفات الوجود والحياة والقدم والبقاء والعلم والخلق والارادة وأخص صفات الربوبية ، لزعيمهم أن وصفه بهذه الصفات عين التشبيه والتشبيه لاريب باطل ، ولأن وصفه بصفة من هذه الصفات الوجودية يقضي بأن يكون مشاركاً خلقه للوصوفين بها ، والله لا يشاركه مشارك في صفة من الصفات وأمر من الأمور وإلا لو شاركه مشارك في شيء من ذلك لكان هو مثل ذلك المشارك . فباطل إذن وصفه تعالى بشيء من تلك الأوصاف ، حتى امتنع أن يقال انه موجود أو حي أو خالق أو رازق خيفة ذلك المحذور فلزم تجريده تجريداً عاماً ، ووجب جحد جميع صفاته جحداً تاماً ، فكانوا بهذا حقاً معطلين ملحدين ، بل كانوا أئمة هؤلاء الخاسرين الضالين ، وكانوا أيضاً قائلين بما يستحيل وجوده وما لا يعرف مثله ، فإن الناس ، ما خلا هؤلاء ، يملكون بداهة بأن أحداً موجوداً قائماً بنفسه لا يمكن أن يكون مجرداً من جميع الصفات ، ولا يمكن أن يعترف انسان بوجود شيء وهو ينفي عنه جميع الصفات ، ان هذا من أبين الأمور المستحيلة ،

وأن القول به من أعظم المخارق والمهازل التي يصاب بها العلم والدين الفرط من الزمان . وأما إن كانوا يريدون أن هذه الصفات ثابتة لله قائمة به ولا ريب ، ولكن مع هذا يمتنع وصفه بها ويمتنع الاخبار عنه بأنه متصف بها فهذا أيضا واضح البطلان ، لأنه إذا كان المانع عندهم من وصفه بالصفات هو خيفة مشاركة الخلق له لم يكن السكوت عن وصفه بها وقيامها به نافعا ولا دافعا شيئا مما حذروه وخافوه لأن الخوف هو من مشاركته تعالى الخلق في الصفات لا من الاخبار عنه بتلك الصفات . فان التشابه يكون بين الموجودين بما يتصفان به من الأمور الوجودية لا بالاخبار عنهما بأنهما مشاركان أو تماثلان في حقيقة من الحقائق . فان الاخبار عن الموجودين بأنهما متشابهان وهما ليسا كذلك لا يقضي بأن يكونا متشابهين ، والاعراض عن وصف المتشابهين بالتشابه لا يقضي بأن يكونا غير متشابهين . وهذا ضروري لا يرام نزاعه ، فالشيء الثابت في الواقع ثابت في نفسه سواء أخبر عنه بالثبوت أم لم يخبر عنه ، بل هو ثابت وان قيل انه غير ثابت . فالوجودان التماثلان تماثلان سواء أخبر عنهما بذلك التماثل أم لم يخبر ، والموجودان المتباينان اللذان لا تماثلان هما غير متماثلين سواء أقيل انهما تماثلان أم قيل انهما ليسا كذلك . وحينئذ فالله إما أن يكون موصوفا ، وإما أن لا يكون موصوفا ، فان كان موصوفا فالشبهة التي أنكروا لأجلها وصفه واردة ، وهي أنه يكون بذلك شبيه خالقه الموصوفين ، وحينئذ فالأخبار عنه بالصفات لا يضر شيئا ولا يقوى الشبهة المذكورة والاعراض عن الاخبار بذلك لا ينفع شيئا ولا يدفع هذه الشبهة أو يضعفها . وأما ان قيل انه مجرد من جميع الصفات في الواقع قيل هذا مستحيل استحالة لا يدفعها عاقل ، فان كل موجود موصوف ، وما لا يوصف هو معدوم بلا شك . فالذي يقول ان الله ليست له صفات انما يقول بتعبير آخر ان الله ليس موجودا وليس لهذا العالم رب . ولهذا كان مصير هؤلاء الى الاتحاد المطلق والجمود الصريح .

فانه لا فرق في التحقيق بين من يقول ان الله موجود ولكنه ليس له وصف من الأوصاف الوجودية ولا يمكن وصفه بشيء من ذلك ، وبين من يقول ان الله غير موجود . فان القولين في المعنى والنتيجة واحد وحاصلهما واحد فهما سواء غير أن القول الأول يفوق الثاني تناقضاً ومكانة في الاستحالة ، فان إنكار وجود الموجود أقرب في العقول من القول بأن هنالك موجوداً قائماً بنفسه لكن ليس له صفة ما من الصفات ولا يمكن الاخبار عنه بأمر من الأمور ، وهذا أثبت المستحيلات نسبياً وأظهرها في أوليات العقول الصحيحة بل والريضة . ومن ثم فانا نزع ، ولا نشك في صحة زعمنا ، أن أصحاب هذه المقالات المستحيلة هم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا بأن لهذا العالم خالقاً ولا يؤمنون بالشرائع ، بل هم ملحدون خالصون ولا ريب عندنا في هذا ، فان مقالات المؤمنين لا تشبه بمقالات الملحدين ، وان نفحات الإيمان لا تلبس بلفحات الكفران ، وان لموارد الأقوال دلائل على مصادرها ولمصادرهما فلتات تتم على مواردها

ثم نعود الى أول المسألة فنقول : لا ريب في أن القرآن بجملته ، بل الكتب السماوية بجملتها ، دلائل ناطقة وظواهر قاطعة على أن الله في السماء مستور على العرش استواء يليق به ، وأن السنة النبوية بجملتها دالة على ذلك دلالة لا ريب فيها ، وأن كلام السلف الأول ، الصحابة فمن بعدهم من أهل السنة وعلماء الآثار والحديث مؤيد ذلك كله تأييداً لا شك فيه . لا ريب في ذلك كله ، ثم لا ريب أن الفطرة والضرورة بمد ذلك شاهداً عدل وصدق على هذا القضية ، قضية علو الله على خلقه . هذا ظاهر عندنا غنى عن ذكر دلائله ، ويكفي من أراد أن يعلم هذه الحقيقة أن يقرأ ما تيسر له من القرآن أو من السنة ، وأن يلم الإمامة سريعة قصيرة بآثار السلف وعلمهم والروى عنهم . وقد ألفت في ذلك الكتب كما فعل الحافظ الذهبي في كتابه « العلو » وابن القيم في كتابه « اجتماع الجيوش الإسلامية » وقد

تفنن الكتاب العزيز في هذه المسألة أى تفنن . وأثبتها بعبارات مختلفة واضحة ،
وأساليب متنوعة ظاهرة ، وبطرق من القول والكلام كثيرة . كل ذلك ينهى عن
معنى واحد ، من علو الله على خلقه إنباء لا شك في صدقه ، فتارة يخبر عن ذلك
بلفظ الاستواء على العرش ، وقد أتى هذا اللفظ في جملة سور من القرآن ، وتارة
يخبر بلفظ الاستواء الى السماء ، وتارة يخبر بقوله « يخافون ربهم من فوقهم »
وتارة يخبر بأنه العلى وأنه الأعلى ، وتارة يخبر بأن الملائكة ترجع اليه وبأنه
ذو المعارج ، وتارة يخبر بأنه رفع اليه عبده عيسى ، ويقول « بل رفعه الله اليه
وتارة يخبر بأن الكلم الطيب يصعد اليه ، وتارة يخبر بأنه في السماء ، وتارة يخبر
بأن الكتاب ينزل من عنده وأن الملائكة ينزلون من لدنه ، وتارة يخبر بأن كل
خير وفضل ونعمة بالناس آت من جانب السماء ، وتارة يخبر بأنه عرج بعبد محمد
عليه السلام اليه وبأنه كان يقلب وجهه في السماء انتظار أمر ربه بقوله : « قد نرى
قلوب وجهك في السماء » وتارة يخبر بأن موسى عليه السلام قال لفرعون إن ربى
في السماء فقال فرعون « يا هامان ابن لى صرحا لى أبلغ الأسباب ، أسباب
السموات فاطلم الى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا » أى فى قوله ان ربى فى السماء
وتارة يخبر بأنه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ، وتارة يخبر بأن الشهداء الذين
قتلوا فى سبيل الله أحياء عنده والشهداء فى السماء ، وتارة يخبر بأنه ربيع الدرجات
وتارة يخبر بأن الملائكة عنده ، والملائكة فى السماء قال : « ان الذين عند ربك
لا يستكبرون من عبادته » وتارة يخبر عن تلك المرأة الصالحة بأنها قالت رب ابن لى
عندك بيتا فى الجنة ، وتارات يخبر عن ذلك بغير هذه الألفاظ بما لو أول كله
لماد الشرع كله مؤولا وما لو عد كله مقشبا لماد الشرع كله مقشبا كما قال
الفيلسوف ابن رشد فى كتابه منهاج الأدلة المطبوع مع كتابه الآخر المعروف
بفلسفة ابن رشد . فانه قال فى هذا الكتاب : ان ظواهر الشرع ونصوصه تدل

كلها على أن الله في السماء ، قال : وهذه النصوص لا يصح عدّها من المتشابهات لأنها لو عدت من ذلك لمعاد الشرع كله متشابهاً ، ولا يصح أيضاً تأويل هذه النصوص ، لأنها لو أولت لمعاد الشرع كله مؤولاً ، وذلك لأن أحكام الشريعة تؤخذ من نصوصها الظاهرة لا من شيء آخر ، فإذا أمكن أن تكون نصوص علو الله على خلقه ، وهى نصوص لا تخصى ، مؤولة أو متشابهة أمكن أن تكون نصوص جميع الأحكام الشرعية مؤولة أو متشابهة لأنها ليست أبعد عن التأويل وعن عدّها من المتشابهات من نصوص هذه المسألة التى معنا ، أعنى مسألة علو الله ، فإن نصوص العلو ليست أقل ولا أغمض من نصوص دلائل البعث الجثمانى وحشر الأجساد ودلائل وجوب الصيام والصلاة والزكاة والفرائض الأخرى ، ونصوص دلائل رؤية الله ودلائل الشفاعة وتخليد الكافرين أبداً فى الجحيم ، والمؤمنين أبداً فى جنات النعيم وإخراج المؤمنين من النار بعد تطهيرهم من ذنوب اجتروحوها وغير ذلك ، وإذا أمكن أن يؤول كل هذا أو يعدّ كله من المتشابه فالشرع إذن كله مؤول متشابه ، وحينئذ تبطل الشريعة وتبطل نصوصها وتصير لغواً لا فائدة فيه بل لا يستفاد منها حينئذ غير الشبهات وغير عناء التأويل وتطلب وجوهه ومخارجه ، وفى هذا غاية الفساد والبلاء على الأمة والدولة ، وما يدعيه هذا المصنف هو مقدمات لهذا البلاء . وقد وقع ما حذره القاضى ابن رشد . فقد بالغ الناس فى التأويل وفى الادعاء على النصوص بأنها متشابهة حتى تناول التأويل كل شيء وكل نص حتى زعم بعض المؤولين أن المراد بالصلاة والصيام والحج والزكاة رجال عظماء يراد ولاؤهم واحترامهم وحتى أولت دلائل التوحيد وعبادة الله وحده كما فعل الرافضى . وهذا بلاء تكفى طلائمه

هذا الذى ذكرناه أفاين من جملة تعبير القرآن الحكيم عن هذه المسألة ، وأما السنة نالامر فيها أكثر وأظهر وماغيها من هذا لا يحصى ولا يحصر ، وقد أراد

بعض الحفاظ أن يجمعوا بعض ذلك فوضعوا كتباً خاصة كما فعل الحفاظ الذهبي وابن القيم في الكتابين المذكورين ، وعلى من يشك في هذا ومن يريد أن يعلم به أن يراجع هذين الكتابين . أو كتاب التوحيد لابن خزيمة . أو كتاب الأسماء والصفات للبيهقي . أو كتاب التوحيد للبخاري وما كتبه عليه ابن حجر العسقلاني أو كتاب السنة لابن الإمام أحمد أو ما شاء من كتب السنة والحديث التي ألفها حفاظ الإسلام وحملوا الشريعة . وأمامه ما يشاء من كتب الصحاح والمسانيد والجوامع مثل صحيح البخاري ومسلم والسنن وغير ذلك من كتب الحديث لانخص كتاباً دون كتاب ولا إماماً دون إمام . وقد جمع الحفاظ الذهبي من ذلك في كتابه المسمى بالعلو من الأحاديث ما جاء في صفحة ١٥١ من الكتاب المذكور وجمع ابن القيم من ذلك ما يقارب هذا أو ما يزيد ، وقد عد الذهبي بعض ألفاظ الأخبار التي رواها في كتابه متواترة وجعل من ذلك حديث معاوية بن الحكم الذي فيه إنه جاء رسول الله ﷺ بجارية سوداء يريد أن يعتقها فقال لها رسول الله من أنا ؟ قالت أنت رسول الله . قال لها أين الله ؟ قالت في السماء . فقال رسول الله أعتقها فإنها مؤمنة ، وقد خرج هذا الحديث مسلم في صحيحه وخرجه من لائحته من المحدثين ، وقد صدر الذهبي به الأخبار التي رواها في كتابه ، وجعله النسائي تفسيراً لقوله تعالى « ثم استوى إلى السماء » وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة مختلفة بمبارات مختلفة عن معاوية بن الحكم وعن غيره من الصحابة ، وهذا الحديث لا ريب في صحته عن رسول الله ﷺ عليه السلام ولا ريب في وضوحه ودلالته على المسألة دلالة قاطعة لا يمكن النزاع فيها ولا الاختلاف ، ولا يمكن تأويله ولا الانفصال عنه بتأويل أو تخريج بعيد أو الدعوى بأنه من المقشبات ، وقد حاول بعض المتأخرين الانفصال منه ومن معناه فذكر له تأويلات باطلة فاسدة . فمن ذلك أنه زعم أن النبي الكريم أقر هذه الجارية على قولها إن الله في السماء وهو يعلم

أن قولها هذا كفر وتشبيه لأنها كانت جاهلة فاكنتى منها بهذا القول الذى هو باطل . وهذا تأويل يؤول الى القدح فى النبى وفى الشريعة وفى القرآن وفى كل دين لأن محصل هذا الجواب أن الرسول الكريم يقر على الكفر بل ويمتدحه ويشئ عليه وعلى صاحبه بل ويحكم بأنه إيمان ! وهذا غاية الضلال . ثم ألا يعلم هذا المؤول أن الجاهل يملّم ويعرف ولا يقر على جهله وكفره وضلاله ؟ وإذا كان الرسول يقر الجاهلين على الجهل وعلى خلاف الحق فمن ذا بعد الرسول يعلم الجاهلين ويهتدى الضالين ؟ ثم إذا كان اقرار النبى الكريم الجارية على ضلالها وكفرها إنما كان لأجل جهلها وضللها كما يدعون ، فلماذا لم يذكر هذا ولماذا لم يذكر فى لفظ واحد فى رواية واحدة أن الله ليس فى السماء وليس مستويا على العرش تحذيراً من هذا الضلال الذى أقره وجعله إيماناً وإسلاماً وشهد لقائلته بأنها مؤمنة ؟ ولماذا لم يقل النبى الكريم إذا كان الأمر كما يذكرون للجارية أو لرب الجارية جثنى بها بعد كى أعرفها أن قولها هذا كفر ومروق من الاسلام ؟ بل ولماذا يشهد لها بالإيمان حينما قالت الكفر وكان يمكن أن يقتصر على قوله اعتقها دون أن يقول قائلها مؤمنة لئلا ينساق هذا الباطل الذى هو الايمان بأن الله فى السماء الى بعض الأذهان ؟ بل لماذا لم يقل لها : لا تقولى هذا بل قولى إن الله ليس فى السماء ولا فوق العرش ولا فى جهة من الجهات ؟ وهل فى مثل هذا صعوبة أو خفاء ، وقد كان ممكناً أن ينتفع بهذا غير الجارية من الحاضرين إذا فرض أن عقل هذه الجارية كان ضيقاً لا يتسع لثقة لمثل هذه العقيدة ولا يمكن أن تؤمن إلا بالحسيات ؟ وإذا ما تركنا كل ما قلنا وفرضنا أن ما قاله المخالفون حق فلماذا لا يصنعون صنع النبى الكريم فيدعوا الجاهل بمقدون أن الله فى السماء . لأنهم جهال لا يؤمنون إلا بمثل ما آمنتم به تلك الجارية ولماذا يكتبون كتباً يقولون فيها إن من دان هذه العقيدة فهو كافر ثم ينشرون هذه الكتب بين العامة الجاهلة ؟

وفي هذا الحديث دلالة أخرى من ناحية أخرى على أن الله في السماء ، وذلك أنه يدل على أن الناس كانوا في عصر النبوة وعصر نزول القرآن والشرائع يؤمنون بعلو الله ، وقد جاء هذا في أخبار وروايات وأشعار معلومة ومع هذا لم يجيء في القرآن ولا في السنة لفظ واحد يقول إن الله ليس في السموات أو يطلب من الناس أن يخالفوا فطرتهم المحبولة على الإيمان بعلو الله . بل قد جاء القرآن والسنة شاهدين لعقيدتهم هذه مقرر لما جيلوا عليه من أن الله فوق كل شيء ، ولا ريب أنه كان لازماً تغيير هذه العقيدة لو كانت باطلة ؛ ولو كانت عقيدة تشبيه وتجسيم كما يقول المؤمنون . فلا شك إذن في بطلان أمثال هذه التأويلات وشناعتها ، وقد ذكر بعضهم للحديث تأويلاً آخر أبعد من الأول . ذلك أنه زعم أن قولها إن الله في السماء ليس معناه أنه تعالى في السماء كما يراد ، وإنما معنى قولها هذا إيمانها بالله وتوحيدها وهجرانها الأصنام وعبادتها . لأن قولها إن الله في السماء اعتراف منها بهجران الأوثان وما يعبد من دون الله في الأرض ، ومثل هذا القول لا يستحق عندنا أن يسمى تفسيراً أو تأويلاً بل هو قول دون ذلك ، وما هو إلا تلاعب أطفال ، ومجانة ديان ، وهو كقول أحد شيوخ الشيعة واسمه « بيان » في قوله تعالى « هذا بيان للناس » إنه هو المعنى ، وقول آخر منهم واسمه الكسف في قوله تعالى « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً » أنه هو المراد بالآية وكقولهم في البقرة المأمور بذبحها إنها هي عائشة وأشباه ذلك ، ومثل هذا يقل عن أن يسمى تأويلاً وعن أن ينقل لأنه رأى في الحديث ، ولكن ينقل أن نقل عبرة وعظة وما من قول ونص في الدنيا إلا ويمكن تسليط أمثال هذه المزاعم الباطلة عليه ويمكن افساده والخروج منه ومن دلالاته بأمثال هذا الهراء والعناء ، وهذا يؤدي إلى الانفصال من كل شيء ، وهذا ما صار إليه المفتونون بأشياء هذا العناء المسمى عندهم بالتأويل حتى عاد الشرع كله مؤولاً ولكن أهل الحق يرضون بدينهم

وبطلهم عن هذا

ذلك ، وأما ما نقل عن السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المعروفين
المشهود لهم بالسبق والتبريز في هذه المسألة فشيء لا يحصره حاصر ولا يجمعه من
حاول الجمع والاحاطة . فان القوم كانوا لا يختلفون في أن الله فوق سماواته وجميع
خلقه ، وقد نقل اتفاقهم على ذلك جميع المؤلفين في المسألة من أهل السنة قديما
وحديثا ، فنقل اتفاقهم القاضي المالكي الفيلسوف ابن رشد في كتابه مناهج الأدلة
وقال ان أهل الشرع ما زالوا يثبتون ذلك ويصرحون به حتى جاءت المعتزلة
والتأخرون من الأشعرية فنفوه لمزاعم زعموها غير صحيحة ، قال وظواهر الشريعة
ظاهرة في إثبات هذا بحيث لا يمكن تأويلها ولا عدها من التشابهات . ونقل ذلك
القرطبي في تفسير قوله ثم استوى على العرش قال وقد كان السلف لا يقولون بنفى
علو الله على خلقه ولا ينطقون بذلك بل ينطقواهم والكافة باثبات ذلك لله كما
نطقت كتبه وأخبرت رساله ، قال ولم ينكر أحد من السلف أن استواءه على عرشه
حقيقة وإنما جهلوا كيفية الاستواء فانه لا يعلم حقيقة كيفيته ، ونقل اتفاقهم ابن قتيبة
في كتاب تأويل مختلف الحديث ، وقال ان الأمم كلها عربها وعجمها تقول ان الله
في السماء بقاضى فطرها ، قال ولا ينكر علو الله على خلقه إلا من لقن الإنكار تلقينا
وعلمه تعلما . ونقل ذلك أيضاً ابن عبد البر في شرح موطن الامام مالك وفي غيره
كما ذكره عنه الحافظ الذهبي في كتابه العلو ، قال أجمعت الصحابة والتابعون على
أن الله على العرش وعلمه في كل مكان ، وما خالفهم في هذا أحد محتج بقوله وقال
ان أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة في الكتاب العزيز والسنة وحملها
على الحقيقة لا على المجاز ، قال وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ولا
يحمل شيئاً منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها فهو مشبه ، قال وهم عند من
أقر بها نافون للمعبود ، ونقل هذا وأشباهه ابن حجر المستقلان الشافعي في فتح

البارى شرح صحيح البخارى فى الجزء الثالث عشر فى تفسير قوله تعالى « وكان عرشه على الماء » ونقل الاتفاق الذهبى فى كتابه الملو ونقل عن غير واحد من علماء السنة والجماعة أنه نقل الاتفاق على ذلك ، ونقله أيضا ابن القيم ، ونقل الامام الأشعرى اتفاق أهل السنة على أن الله فى السماء ، ذكر ذلك فى كتابه « الابانة » وهو كتاب مطبوع معروف وذكره فى غير هذا الكتاب . ونقله ابن الامام أحمد ابن حنبل فى كتاب « السنة » والكتاب مطبوع ، ونقله ابن خزيمة فى كتاب التوحيد وهو كتاب مطبوع مشهور ، ونقل الاتفاق أيضا غيرهم ممن لا يحصون من علماء السنة وحلة الآثار وقد حاول الحافظ الذهبى وابن القيم أن يجمعا جلا من أقوال الصحابة ومن بعدهم فى كتابيهما الملو واجتماع الجيوش الاسلامية فجمعا شيئا كثيرا يجعل المطلع على ذلك لا يشك فى أن المسألة من قواطع الاسلام وضرورياته ، ومن الاجماع المتناقل فى جميع المصنوع والاوقات ، وقد جاء ما جمعه الذهبى من ذلك فى مائة وتسعين صفحة وجاء ما جمعه ابن القيم ما يقرب من هذا أو ما يزيد عليه ، وللافتاف فى علم هذا أن يراجع الكتابين أو يراجع ما كتبه ابن حجر على تفسير قوله « ركان عرشه على الماء » من صحيح البخارى ، أو يراجع كتاب التوحيد لابن خزيمة ، أو كتاب السنة لابن الامام أحمد أو كتاب الأسماء والصفات للبيهقى ، أو غير ذلك من آثار السلف . وما من كتاب من كتب السنة إلا وفيه الروايات العديدة عن الأئمة يقررون بها صفة الملو لله وينكرون على من أنكروها . وقد نقل هذا الذهبى فى كتابه المذكور عن يقارب مائتين من علماء الاسلام الفحول المشهورين ، كلهم يقول باستواء الله وكلهم ينكر على من أنكر هذه الصفة لله وكثيرون منهم ينقلون على ذلك اجماع أهل السنة والجماعة فى جميع المصنوع والبلدان ، وهذا غير ما ذكره من ذلك عن الصحابة والتابعين . ومن جملة من نقل عنهم هذا الأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل

وقله عن زعماء اللغة كابن الأعرابي والأصمعي وابن قتيبة وثلثون وثلثمائة ، وقوله عن أئمة المفسرين أمثال ابن جرير الطبري والبغوي والقرطبي ، وحكاية عن أئمة علماء الكلام والنظر نظير أبي المعالي امام الحرمين والأشعري والباقلاني وأبي بكر ابن فورك ، وحكاية أيضا عن أئمة الصوفية والزاهدين كهبد القادر الجيلاني وشيخ الاسلام أبي بكر اسماعيل الهروي الانصاري صاحب كتاب « منازل السائرين » وغير هؤلاء ، وحكاية عن أئمة الحديث وحمل الأثر أمثال البخاري ومسلم صاحبي الصحيحين . قال البخاري في آخر صحيحه من كتاب التوحيد : « باب وكان عرشه على الماء ، قال أبو العالية : استوى الى السماء اركفع ، وقال مجاهد : استوى علا على العرش » ثم أورد بعض الأحاديث الواردة في علو الله على عرشه وخلقه مثل قول زوج النبي الكريم زينب : ان الله زوجني في السماء . ثم قال البخاري : « باب قول الله تعرج الملائكة والروح اليه وقوله اليه يسمع الكلم الطيب ، وقال أبو جرة عن ابن عباس بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال لأخيه اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، قال مجاهد : العمل الصالح يرفع الكلم الطيب . يقال ذو المعارج الملائكة تعرج الى الله » ثم ساق بعض الأخبار النبوية الناصة على علو الله على عرشه وخلقه ثم عقد أبو ابا كثيرة في ما تنكره الجهمية المعطلة من صفات الله كصفة اليد والعين والذات والوجه والرؤية ونحو ذلك ، ذاكراً الآيات والأحاديث الناصة على إثبات هذه الصفات لله ، مردياً بذلك الرد على المعطلين نفاة هذه الأوصاف ، زاهمين أنهم بنفيها ينفون عن الله التشبيه والتجسيم كما يزعم هذا الشيعة المؤلف . ومن حكى عنهم الذهبي الايمان بهذه الصفة أي صفة العلو لله كبار التابعين كمجاهد ومسروق وكعب الأحمار وسعيد بن جبير وآخرين كثيرين غير هؤلاء . وكذلك حكاية عن طوائف من كبار الصحابة وساداتهم . وإجمالاً جمع من هذه القول كتاباً كبيراً مستقلاً أسماه « العلو للعلو الففار » وكذلك صنع

الحافظ ابن القيم الحنبلي المشهور

قالت ثلاثة : الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح الأول ، متفقة على أن الله في السموات مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وكماه ، ومتفقة على أن إنكار هذه الصفة ضلالة ظاهرة وبدعة منكرة ، وخلاف لدين الاسلام ولضرورياته ولنصوصه المتعددة المتكاثرة ، ولكن دليلا واحداً من أحد الأمور الثلاثة : الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح يدل على جحد هذه الصفة لن يظفر به طالبه ، أو يجنده ملتزمه

فما في كتاب الله ولا في سنة نبيه لفظ واحد يدل على نفي هذه الصفة وجحدها ويدل على أنه لا يصح وصف الله تعالى بها . وكذلك لن يظفر بكلمة واحدة من كلام السلف والأئمة المشهورين الواقفين حيث وقف الكتاب والسنة والمنتهين حيث انتهوا تدل على أن الله ليس في السماء وليس مستويا على عرشه ، أو تقول إن إثبات هذه الصفة لله تشبيه أو تجسيم ، ولا جاء عن أحد من هؤلاء أنه أول النصوص الواردة في هذا ، ولا أنه فسر شيئا بخلاف الظاهر البادي منها لفصحاء الناس . ومن المطالبة بما لا يمكن إدراكه أن نطالب المخالفين لنا بكلمة من الكتاب أو من السنة أو من كلام السلف كالصحابة والأئمة الأربعة مثلا تدل على إنكار هذه الصفة أو تدل على أن في إثباتها لله قصا أو تشبيها أو تجسيدا ، أو ما يرعه هؤلاء الخلوفا المخالفون . ولعل الماقل يعرف أنه من المستحيل البين أن يكون قول بملو الله على عرشه وخلقه ضلالا أو تنقصا لله ، ثم لا يوجد لفظ واحد في الكتاب ولا في السنة يشير إشارة قريبة أو بعيدة الى بيان هذه الحقيقة وكشف هذه القضية الاعتقادية ! أو يليق أن يبين الكتاب والسنة أحكام الوضوء والطهارة والحيض ونحو ذلك ويدل على أنواع المحرمات دلالات واضحة بينة ، ثم لا يذكر فيها لفظ واحد يشير الى أن الله ليس في السماء وأن القول بذلك بدعة موبقة ،

وعقيدة فاسدة ، بل وأن يملأ الكتاب والسنة نصوصاً ودلائل على عكس ما يدعون وعلى أن الله في السماء فوق عرشه وفوق جميع خلقه ، ثم لا يرد عن السلف من الصحابة ومن بعدهم أنهم أولوا شيئاً من ذلك أو أنكروه أو زعموا ما يزعمه هؤلاء النفاة الجحطة ؟

أفيمكن أن يبلغ استخفاف السلف بأصول الاسلام وعقائده وفي صفات الله أن يعلوا أن ظاهر الكتاب والسنة كفر وتشبيه ثم لا يحذروا المسلمين القارئين للكتاب والسنة المؤمنين بهما من هذه الظواهر الباطلة المصروفة عن ظاهرها . ثم لا يكشفوا لهم عن وجه الحق والصواب ولا يعرفون التأويل الواجبة لتلك النصوص وهم يملون أن في الناس الجاهل والعالم ، والذكي والغبي ، والعربي والأعجمي ، وهم يملون ما بين العقول البشرية من اختلاف وتفاوت ، وسوء وهبوط ، وصحة ومرض ، وضعف وقوة ، وانحراف واعتدال ، وثورة وهدوء ، الى غير ذلك من أسباب الاختلاف وأسباب الوقوع في الضلال ، وجنوح الآلباب عن هداها وعن الوصول الى الحقيقة مفردة بلا هاد ولا مرشد ؟ ثم لا يقفوا عند هذا الحد من السكوت عن بيان هذه الظواهر التي زعمت باطلاً فاسدة . بل تتوارد أقوالهم والروايات عنهم على إقرار هذه النصوص والايان بها والأمر بأمرها على ظاهرها والقول بأن من أولها أو فسرهما بخلاف ما بدا منها فقد أخطأ وصار الى الضلالة البادية ، بل ويمجرون بأن الله في السماء وعلى العرش ، ثم يجهرون بأن المنكرين ذلك قائلون على الله وعلى دينه وكتابه الباطل والاثم الصريح الصحيح كما تقدم النقل عنهم

ان مثل هذا مملود نهاية القدح في السلف وفي حملة الاسلام وصحة النبي الكريم ونعوذ بالله من هذا

هذه حقائق لا خلاف فيها ، والمخالفون أنفسهم يسترفون بأن ظواهر النصوص

ونصوص الكتاب والسنة دالة على إقرار هذه الصفة لله ، ودالة على أن الله في السماء ولكنهم بعد هذا الإقرار والاعتراف يزعمون أن هذه النصوص الظاهرة مؤولة مصروفة عن ظاهرها مفسرة بغير ما يفهم منها عند التلاوة . والامر الذي حملهم على التأويل بخلاف الظاهر المتبادر هو في زعمهم المقول وقضاياها القاهرة التي لا تكذب فيما زعموا ، فانهم قد زعموا أن هذه الظواهر لا يصح أخذها كما هي ولا التسليم بها تسليماً مطلقاً على طول الخط كما يقولون ، بل يجب عرضها على المقول وقضاياها فان قبلتها قبلت وإن ردتها ردت وأولت وفسرت . والمسائل الاعتقادية عند هؤلاء تتلقى من المنطق المؤسس على المقول لا من النصوص وظواهرها

قال هؤلاء النافون : وقد عرضنا هذه المسألة ، مسألة علو الله على عرشه وأخواتها على العقل فما قبلها ولا دان لها بل قضى بانكارها ولزوم تأويل نصوصها فصار حتماً علينا ذلك فذهبنا حيث ذهب العقل وأنكرنا ما أنكره العقل ، ولم نخالفه قيد شعرة ، قالوا : ولولا العقل لكننا من أول المؤمنين بعلو الله . لأننا لا نستطيع أن ندهى أن الكتاب والسنة لا يدلان على إقرار هذه الصفة . كلا بل الكتاب والسنة دالان بجملةهما على ذلك وعلى كل الصفات التي أنكرناها كالرحمة والغضب والرضا والصفات الأخرى ، ولهذا نسمى أنفسنا مؤولين ، ونعترف بأن ما نفسر به النصوص هو مجازات دل عليها العقل وأوجب المصير إليها ولا يمكن أن نزعم لأنفسنا أننا مستمسكون بالظاهر وإنما نزعم أننا راشدون بهذا التأويل وبالعدل عن ظاهر ، لأن العقل ، وهو مصدر الاعتقادات ، أرشدنا إلى هذا وقضى علينا به فما علينا في هذا من حرج وما لنا منه بد . ونحن لأجل هذا نؤثم من تمسك بالظواهر وتدعوهم إلى التأويل لأننا نعلم غلطاً وقائلاً على الله ما لا يسلمه العقل وما هو من سمات الحدوث وصفات العباد

هذه هي حقيقة أمر هؤلاء المؤولين النافين لعلو الله على إحسان الظن بهم

وتبرئتهم من فساد القصد ، فوجب علينا حينئذ أن نضع اللثام عن هذه القضية العلمية الكبرى ، وأن نكشف أمر دعوى هؤلاء وما معهم من قضايا زعمت عقلية ، وزعمت قاضية بالتأويل وبانكار علو الله . وإذا ما استطلعنا تبديد الشبهات أو الحجج التي زعموها حائلة بينهم وبين اقرار هذه النصوص والايان بهذه الصفة هان علينا رجع هؤلاء الى الحق والى الحقيقة ، وهان عليهم هم الرجوع الى ذلك والنكوص عن التأويل البعيد وصاروا الى مالا يد من المصير اليه وهو الايمان بالله وبكتاب الله وبسنة رسوله ظاهراً وباطناً وهذا ما نرجوه ونحاوله . ولكن يشترط قبل هذا في مثل هذه المباحث العليا لأجل الوصول للحقيقة فيها أن يتنازل المرء عن هواه وعن كبريائه ، وعن التقليد الذي لاعقل له وعن العصية الجاهلية الباطلة كي يشيم لمعان الحق عند اقسامه وعند وضوح ناره ونوره . فان للحق نوراً باهراً ولكن لا يبصره إلا المتواضعون ، أما المتكبرون فانهم وان غشيم وأحاط بجهاثهم لا يبصرونه . والحق أشرف على الله وعلى الحق من أن يذل لأصحاب الأهواء وأسرى التقليد وأهل الصدور الموقرة بالحق والهوى والحسد . واننا بعون الله نذكر هنا عمدة ما يحتجون به من التعليقات على هذه القضية ونكشف غلطها وضعفها كيلا يبقى لهم عذر ولا حجة . ولا بد من سؤال الله العون والمدد ، ولا بد من الضراعة اليه كي يلمننا السداد والرشاد ، ويمنحنا التوفيق والعناية فان عبداً يتخلى ربه عنه وعن عونه لا يفلح أبداً ، وإن عبداً يراعاه الله ويسدد خطاه لا يمكن أن يضل سبيله

ف نقول نرجع الى شبهات هؤلاء التي احتجوا بها على نفهم فنجعلها تنحصر في أمور تأتي على ذكرها وعلى ذكر ذى الشأن والبال منها . وإننا نذكر الشبهات على المسألة الكبرى مسألة علو الله ونذكر جوابها . وهذا يفتى عن ذكر الشبهات على باقى الصفات . فاننا اذا حسمنا مادة الاعتراضات على العلو فانكشفت باطله لم تبق الاعتراضات الاخرى على الصفات الاخرى ، فان هذه أم الصفات وباب المسألة ورأسها كما هو ظاهر

شبهات النافين علو الله

(الشبهة الأولى)

قالوا لو كان الله فوق العرش لكان جسماً ، والتجسيم باطل ، فكونه فوق العرش باطل إذن

هذه إحدى شبهاتهم يدكرها بعضهم مطلقة هكذا وبعضهم يزيد في التذليل وصياغة الشبهة . ونحن نقول ان هذه الشبهة قائمة على دعويين : الأولى أن كل ما هو في جهة فهو جسم ، والثانية وباطل أن يكون الله جسماً . أما الدعوى الأولى فباطلة بأمرين ضروريين : أحد الأمرين أن الأعراض والمعاني في جهات بالمشاهدة والضرورة ، وهي ليست بأجسام لأنها قسمة الأجسام ، وثاني الأمرين أن المخالفين يسلمون لله صفات كثيرة كالعلم والحياة والقدرة والخلق والارادة والوجود ونظائر ذلك ، ومع هذا لا يقولون : ان الله جسم ، بل يصرحون بأنه غير جسم ويكفرون من قال ذلك ، فاذا كانت هذه الصفات لله لا تفضى بأن يكون جسماً ، كما يدعون ، لم تكن صفة العلو والاستواء على العرش قاضية بذلك . وهذا إزام لا يخلص ولا مفر منه . ولو طلع المخالفون الى السموات ونزلوا الى أعماق الأرضين ، وجمعوا الجن والانس والذاهب والفاير على أن يجهدوا فرقا بين الأمرين ومخلصاً من هذه الحجة وهذا الإزام لما وجدوا ذلك ولما استطاعوا اليه سبيلاً . وبهذين الأمرين تبطل المقدمة الأولى من هذه الحجة . ونزيد على هذين الأمرين أمراً ثالثاً ، هو أن نقول : إدعاء المخالف أن كل ما هو في جهة جسم ليس أظهر ولا أبين من أن يقال كل ما ليس فوق ولا تحت - الى آخر التقى - معدوم لا وجود له . فهذا المعنى الذى تؤدى اليه هذه الحجة هو أظهر بطلاناً فى الموازين العقلية من المعنى الذى أقاموا له هذه الحجة . ولن يكون حقاً ما يؤدى الى باطل ،

ولن يكون حقاً ما يلزمه الباطل لزوما عقليا لا محيد ولا قرار عنه . ونزيد أمراً رابعاً بأن نقول : هذه الحجة ليست واردة على الله من حيث هو مستو على العرش ومن حيث هو في السماء بل هي واردة عليه من حيث هو موجود ولا شك ، كأن يقال الله موجود والموجود إما أن يكون جسماً قائماً بنفسه ، أو عرضاً قائماً بغيره ، ولا ثالث لهذين الأمرين إذ الموجودات كلها كذلك ، والله موجود ، فلما أن يكون جسماً وإما أن يكون عرضاً ، وباطل أن يكون الله عرضاً ، فلم يبق إلا أن يكون جسماً فهو جسم إذن ، فثبت أنه جسم سواء أقيّل أنه في السماء أم لا في السماء ولا في غيرها . فلا ضرر إذن من القول بأنه في السماء لأنه لا يلزم هذا معنى فاسد من حيث هذه الصفة نفسها . وحينئذ يقال : إن أمكن أن يكون ثم موجود ليس جسماً أمكن أن يكون ثم موجود في السماء أو في غير السماء وليس جسماً بالضرورة ، وإن لم يمكن ذلك ، بأن لزم أن يكون كل موجود جسماً أو عرضاً لم يبق في نقي مسألة الاستواء والعلو على العرش فائدة ، لأن المفروض أن هذه الصفة نفيت خوف التجسيم . وقد ثبت أن التجسيم منصب على الله من حيث وجوده لامن حيث علوه وما يلزم الموجود لازم له . أما الاستواء على العرش وعلى الخلق أو الكون في جهة من الجهات فهو من لوازم الوجود نفسه فهو لازم لا ملزوم من الناحية المذكورة . وهذا واضح جداً وما على المرء إلا أن يتدبره جيداً ليتضح له جيداً . وبهذه الأمور الأربعة فسدت المقدمة الأولى من الشبهة الأولى

وأما المقدمة الثانية ، وهي قولهم والله باطل أن يكون جسماً ، فنقول اتنا نحن لا نقول أن الله جسم ولا نستجيز هذا القول ، كما لا نقول أن الله في جهة ولا نستجيز هذه المقالة ، وإنما نقول : الرحمن على العرش استوى كقول السلف قاطبة ، لأننا قيدنا أقوالنا وعقائدنا بالكتاب والسنة لا زيادة ولا نقصان ، والنقصان عندنا كزيادة ، والزيادة مثل النقصان لأنهما كليهما قول على الله وفي الله بلا يرهان من

الله ، بيد أنا نقول إن المخالف لم يذكر برهاناً على صحة هذه المقدمة كي تكون مقبولة يحق له أن ينفي بها ما تواردت عليه نصوص كتب الله ، ويحق له بها أن يؤول الكتاب والسنة ، ولا ريب أن قولاً يقضى بنقد النصوص وتحريفها غير حقيق بالقبول إذا لم يكن له حجة قاطعة . ولا ريب عندنا أن من علم أن إثبات استواء الله على عرشه يقضى بأن يكون جسماً قضاء لا شك فيه يلزمه أن يؤمن بما يقضي به ذلك وبما تقضي به هذه الصفة ، لأن هذه الصفة التي هي علو الله قد اتفقت عليها النصوص بلا خلاف . أما ما زعم بأنه ترك النصوص وأولها لأجله فانه لم يذكر عليه برهاناً واحداً . ولا يجوز بنقد النصوص المتواترة دعياً لشبهة لم يذكر لها برهان واحد

والمخالفون إذا ما قيل لهم : ما برهانكم على أن الله ليس جسماً ، ولماذا تنكرون أن يكون جسماً إذا كنتم تزعمون أن الإيمان بهذه النصوص يقضى بأن يكون جسماً وما يلزم الحق حق وما يقضى به الملهدي هدى : إذا ما قيل لهم هذا المقال ، وسئلوا هذا السؤال قالوا انه لا يصح الإيمان بالنصوص الدالة على أنه جسم لأن الأجسام حادثة . فلو كان الله جسماً لكان حادثاً ، ولكن الله غير حادث بل هو قديم يرجع إليه جميع الحوادث ، ولأجل هذا أولنا النصوص ان استطعنا تأويلها ودفعناها إن لم نستطيع التأويل ؟ ثم لو سئلوا مرة أخرى وقيل لهم : ما برهانكم على أن الله لو كان جسماً كان حادثاً لقالوا لأن الأجسام كلها حادثة فلو كان جسماً لكان حادثاً مثلاً ، ولكن لم يدروا هؤلاء أن قولهم : لو كان الله جسماً لكان حادثاً لأن الأجسام كلها حادثة مثل قول من يقول : لو كان الله موجوداً لكان جسماً أو عرضاً . لأن الموجودات كلها إما أجسام وإما أعراض ، ومثل أن يقال لو كان موصوفاً بصفة لكان مركباً متعدداً وإمكان جائزاً سلبه صفته وتجريده منها لأن كل موصوف في الشاهد يجوز أن يفقد أوصافه ، وأن يقال : لو كان حياً لجاز موته ، لأن كل حي

فى الشاهد يجوز أن يموت وأن يفقد حياته ، ولو كان بصيراً لجاز أن يموت أعمى لأن كل بصير فى الشاهد يجوز أن يصير أعمى ، وأشبه هذا الكلام الذى يمارض هذه الشبهة التى يحاول هؤلاء المؤلفون أن يطلوا بها قواطع الاسلام ، ولا ريب أن هذا الكلام مثل قول النافين : لو كان جسماً لكان حادثاً ، وهذه الأقوال كلها باطلة فاسدة لا برهان لها غير القياس الفاسد الباطل

ولا شك عندنا أن من قال ان الله جسم لا كالأجسام كما يقال ذات لا كالدوات وشيء لا كالأشياء أرشد وأهدى من راح يجرى الله من صفات الكمال وأوصافه الثابتة له فى جميع كتبه على السنة جميع رسله خوف التشبيه والتثليل ولا شك أيضاً أنه اذا كان يمكن أن يكون الله لا فوق ولا على العرش ولا فى جهة من الجهات ، وهو الرب العظيم الموصوف بأوصاف الكمال ، أمكن أن يكون جسماً وهو الاله العظيم القديم المنزه عن سمات الحدوث وصفات الحوادث ، ولا شك أيضاً أن تعطيله سبحانه وتعالى من أوصافه الثابتة له عقلاً وتقلياً كصفة العلو وغيرها أدخل فى النقصان من القول بأنه جسم لا كالأجسام ان كان فى هذا نقص كما يقال شيء لا كالأشياء ، وذات لا كالدوات فهذه الحجة باطلة ، ومقدمتها باطلتان مدخولتان وهذه هى الحجة الأولى

(الشبهة الثانية)

قالوا : لو كان الله فوق العرش أو فى السماء لكان متحيزاً والله منزّه عن الأحياز . فالله ليس فوق العرش ولا فى السماء اذن هذه هى الشبهة الثانية ، وجوابها أن نقول : هم يريدون بالحيز هنا المكان فيريدون بقولهم : انه ليس متحيزاً انه ليس فى مكان ، وحينئذ يقال : هذا الحيـز أو المكان الذى قيل ان الله منزّه عنه اما أن يراد به شيء وجودى مخلوق

فيكون المعنى ان الله ليس حالاً في مكان مخلوق حادث ، وليس مظلوماً في شيء من ذلك ، واما أن يراد به شيء علمي اعتباري ، فيكون المعنى أنه تعالى ليس في الجهة التي يراد بها الفضاء المحض أى انه ليس فوق الخلائق ولا فوق العالم . فان كان المعنى الأول هو المراد قيل : أجل اتنا ننزه الله جل شأنه عن أن يحل في شيء من مخلوقاته أو أن يحل فيه شيء منها بل هو تعالى بائن عن خلقه وخلقه بائن عنه ، وهو سبحانه فوق جميع الخلائق منفصل عنها منفصلة عنه . فهذا المعنى منفى عن الباري باطل في حقه . وأما ان كان التقدير الثاني هو المراد ، وكان يراد بالحيز هنا الفضاء فيراد أنه تعالى ليس فوق الخلق ولا بائناً عن العالم ، قيل هذا باطل وهذا ما تأباه إذ هو خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف والرعيال الاول . فان ما فوق العالم وما فوق الخلائق فضاء محض وعلم صرف ليس شيئاً وجودياً مخلوقاً وليس حادثاً لأنه علم ، والعلم قديم ، لأنه ليس مخلوقاً . إذ المخلوق هو الشيء الوجودي فالذي يخلق هو الوجود لا المعدم . فان الفضاء عبارة عن لا شيء والعالم المخلوق للربوب الحادث واقع في الفضاء حالاً فيه ، والفضاء ليس حالاً في شيء لأنه علمي اعتباري ، ولو كان كائناً في شيء مخلوق حادث لكانت المخلوقات المصينة المشخصة في الخارج لا نهاية لها ، وهذا باطل ضرورة ، وعلى هذا إذا قيل ان العالم كائن في مكان ، وان المخلوقات واقعة في مكان أو حيز قيل ماذا يعنى بالمكان أو بالحيز الذي زعم أن المخلوقات كائنة فيه ؟ أيعنى أن الخلائق كلها حالة في شيء مخلوق حادث بعد أن لم يكن ؟ أم يعنى أن العالم المخلوق قائم كله في المدم الذي يعبر عنه بالفضاء والحلاء أو باللا شيء ؟ أما الاول فلا يمكن أن يعنى لأننا اذا قلنا العالم أو الخلائق عنينا بذلك جميع ما خلقه الله وجميع ما حدث بعد ان كان في عالم المدميات ، واذا كان ذلك كذلك فلا يمكن أن تكون الخلائق كلها كائنة في خلائق أخرى ، بحيث مامن مخلوق يفرض إلا وقد حل في مخلوق

آخر ولم جرا . فان هذا يلزمه الحال المتمنع . لأننا اذا قدرنا أن المخلوقات سلسلة متواصلة الوحدات ، كل واحدة منها واقعة في أخرى ، وقف بنا التقدير ولا محالة عند آخر السلسلة ثم قيل : وآخر السلسلة بماذا يحل ؟ فلا بد ألا يكون آخر السلسلة حالاً في مخلوق من السلسلة نفسها . لأننا فرضناه آخرها ولو كان ما فرضناه آخرها كائناً في مخلوق آخر لما كان هو آخرها ، وما من شيء يقدر الآخر للسلسلة والنهاية للخلائق إلا ويسأل عنه هذا السؤال ويورد عليه هذا الاشكال حتى ينتهي السؤال عند آخر نهاية الخلائق ، ولا يمكن أن يكون بعد نهايتها شيء منها والا لما كان ما سميناها نهايتها نهايتها ، وهذا باطل ، ولا بد أن يكون للخلائق نهاية ، ونفنى بالخلائق الاشياء الحادثة المعينة ، وهذا ضرورى . فالمخلوقات المعينة الخارجية محدودة بمحدود جعلها الله لها . وما لا يكون له حدود لا يمكن أن يكون مخلوقاً مروباً بلا شك ، وعلى هذا لتفرض العالم كله - ونفنى به المخلوقات - مخلوقاً بشكل كروى يشبه البيضة أو البطيخة أو القبة أو ما مائل ذلك . فاذا ما افترضنا العالم كله كذلك فلا بد من أن نفترض لهذا العالم الكروى المحدود سطحاً ، ونفنى بالسطح النهايات من جميع جهاته الخارجية كسطح البيضة مثلاً . فاذا ما افترضنا هذا كله فلا بد من أن نفترض أن سطح العالم قائم في الفضاء المحض المسمى ، ولا بد أن نقول إنه قائم في شيء غير مخلوق ، بل قائم في الفضاء ، وحينئذ اذا قال قائل : ان العالم قائم في مكان أو حيز قيل له ما نفنى بهذا ؟ أتفى أن العالم قائم في عالم آخر ؟ إن كنت نفنى هذا فهذا باطل ضرورة وان كنت نفنى أنه قائم في الفضاء الذى هو ليس بمخلوقا وليس في الحقيقة شيئاً وإنما نفى أنه قائم في لا شيء قيل هذا حق صحيح ، ولكن تسمية هذا حيزاً أو مكاناً يجب ألا يفهم منه معنى غير صحيح يترتب عليه معنى آخر غير صحيح . فان الالاماء كثيراً ما تغير الحقائق في أنفس المسمين لها لا في ذاتها هي .

غليـر ع هذا جيداً

وعلى هذا فإذا قال قائل : ان الله في حيز أو في مكان قيل له ماذا تريد بالحيز والمكان ؟ أتريد أنه فوق العالم أجمع وفوق المخلوقات كلها ليس في شيء منها وليس منها شيء فيه ، وتعني أنه منفصل عنها ومنفصلة عنه وأنه على العرش استوى ؟ فان كنت تعني هذا قلنا : هذا حق صحيح لا ريب فيه ، ولكن الكلام في تسمية هذا حيزاً أو مكاناً ، فالتنا نأبى إطلاق هذا اللفظ على هذا المعنى لأن فيه اشتراكاً ، ولأن فيه إيهاماً ، ولأن بعض الناس قد يعني به باطلاً ليس فيه ، ولأنه لم يرد شرعاً والخلاف يرجع حينئذ إلى الألفاظ . أم تريد بقولك إنه في حيز أو في مكان أنه حال في شيء مخلوق مطروفي فيه ؟ فان كنت تريد هذا فهو باطل فان الله سبحانه منزّه عن أن يحل في شيء من خلقه أو أن يحل فيه شيء منهم بل هو بائن عن المخلوقات وهذا معنى قول السلف ان الله بائن عن خلقه وخلقه بائن عنه . وبهذا التفصيل ينكشف الاشكال ، وتنكشف هذه الشبهة

(الشبهة الثالثة)

قالوا : لو كان الله فوق العرش وفي السموات لكان على إحدى حالات ثلاث بلا ريب : إما أكبر من العرش وإما أصغر وإما مساوياً له ، قالوا : والحالات الثلاث باطلة . فالقول بأنه على العرش باطل إذن ، قالوا أما القول بأنه أصغر من العرش أو مساو له فلا ينافي عاقل في بطلانه ، وأما القول بأنه أكبر منه فباطل أيضاً ، لأنه لو كان كذلك لكان تعالى مركباً من أمرين اثنين : من القدر المساوي للعرش ومن القدر الزائد عليه الذي صار به أكبر منه ، والباري مبرأ من التركيب والأجزاء لأن المركب لا بد أن يكون له مركّب ، والمركّب مخلوق حادث ، لأنه على وزن مفعول ، ولا بد له من فاعل ، وهذا محال باطل ،

وبهذا صح أن البارى ليس مستويا على العرش وليس فى السماء
والجواب أن قول : هذه الشبهة - ان كانت صحيحة أو كانت باطلة - ليست
واردة على الله - ان صح أن ترد - من جهة استوائه على العرش وعلوه على خلقه ،
وانما هى واردة عليه تعالى ان أمكن الورد من حيث وجوده تعالى . فان الله
موجود والعرش موجود فهما موجودان فهما داخلان تحت هذا الاعتراض وارد
عليهما هذا التقسيم بأن يقال مثلا : ان الله موجود والعرش موجود ، فاما أن يكونا
متساويين أو يكون العرش أكبر أو يكون الله أكبر ، لأن كل موجودين إما متساويان
أو أحدهما أكبر من الآخر ولا بد ، وباطل أن يكون الله أصغر من العرش أو أن يكون
مساويا له إذ لا يقول عاقل إن ربه أصغر من العرش أو أنه مثله ، وأما القول بأنه
أكبر فلا يمكن أيضا ، لأنه اذا كان أكبر كان مركبا من أمرين اثنين : من
القدر المساوى للعرش ومن القدر الزائد عليه ، وباطل أن يكون الله مركبا لأن
الركب مفعول والمفعول لا بد له من فاعل ، وتقصى البارى عن التركيب والحدوث
ومماته أو يقال مثلا : الله موجود والعالم موجود ، فهما إما متساويان وإما أن يكون
العالم أكبر أو يكون الله أكبر والأقسام الثلاثة باطلة لما ذكر . أو يقال الخالق
موجود والمخلوق موجود فاما أن يكونا متساويين ، وإما أن يكون الخالق أكبر
أو يكون المخلوق أكبر ، ولا فرار من الأقسام الثلاثة ، والأقسام الثلاثة باطلة لما
ذكر أيضا ، أو يقال نحو ذلك من الأقسام والتقسيمات التى لا تخرج عما ذكر
الخصوص . والنتيجة التى تلازم هذه المقدمات الصحيحة عند المخالفين معلومة باطلة
بالضرورة والاجماع لأن النتيجة تكون حينئذ هكذا : فاما أن يكون الله غير موجود
أو يكون العالم غير موجود ، والأمران باطلان بالاتفاق ، فلا بد إذن أن تكون
المقدمات التى ألفت هذه النتيجة مقدمات باطلة فاسدة وإذا ما كانت المقدمات
هكذا لم تكن صالحة لأن تكون دافعة للنصوص الكثيرة من الآيات والأحاديث

في استواء الله على عرشه وخلقه ، بل لم تبق صالحة لشيء من الأشياء . وهذا هو المطلوب

وليس من شك عندنا في أن هذه الشبهة واردة على الموجودين من حيث الوجود لا من حيث أن أحدهما في جهة من الآخر ولا من حيث أن أحدهما مستو على الآخر فالتنا إذا عرضنا على العقول موجودين مضمين عن جميع الأحوال الأخرى من علو وهبوط وقرب وبعد ، واستواء وغيره ، فلا محالة أن تقتض العقول أن هذين الموجودين إما متساويان ، وإما أن يكون أحدهما أكبر والآخر أصغر ، ومن المحال الظاهر ألا توجب العقول هذه القسمة وأحد هذه الأقسام قبل أن يعرض عليها أو يعرض فيها مكان أحد الموجودين من الآخر وحيزه من حيزه ، وقبل أن تعرف أن أحدهما مستو على الآخر والآخر مستو عليه ، أو أنهما متباينان منفصل كل واحد منهما عن قرينه ، هذا ما لا بد منه . فاذا عرض على العقول بعد هذا أن أحد هذين الموجودين مستو على الآخر أو فوقه أو تحته أو عن يمينه أو عن شماله أو نحو ذلك لم يزد هذا شيئاً ولم يغير حكمها وتقديرها أحد الأقسام الثلاثة وقضاءها بأنه لا انفصال عن تلك القسمة المفروضة . فكان أحد الموجودين من الموجود الآخر لا تأثير له مطلقاً من هذه الناحية في وجوب اقتراضها هذه الأقسام الثلاثة وإيجابها لأحد الأقسام . فان كان ممكناً أن يكون هناك موجودان لا تجب فيهما هذه القسمة ولا يجب لهما أحد الأقسام أمكن أن يكون هناك موجودان مستو أحدهما على الآخر ، وكل واحد منهما في جهة من أخيه مع القول بأن هذه القسمة ليست واردة عليهما وليس أحد الأقسام واجباً لهما ، وإن لم يمكن أن يكون هناك موجودان إلا ولا بد أن ترد عليهما هذه القسمة والشبهة فلا فائدة في فني الاستواء بخافة ورود هذه القسمة وأحد هذه الأقسام ، لأن ذلك وارد على الموجود من حيث هو موجود لا من حيث أن ذلك الموجود في مكان وجهة . وهذه أمور أولية

لا يمكن أن ينازع فيها من تصورها تصوراً جيداً فهذه الشبهة إذن داحضة لا يعبأ بها

ومما يبين ببياناً قاطعاً أن هذه القسمة واردة على الوجود لا على الاستواء أننا نعلم بالبرهان العقلي القاطع أن المكان الذي هو الفضاء المحض الذي هو ظرف الخلائق الحادثة ليس في مكان ولا يحتاج إلى مكان ، لأننا لو قلنا ان المكان يحتاج إلى مكان لمكان هذا قولاً باطلاً مستحيلًا . فالمكان الذي هو الفضاء الذي هو ظرف للخلائق لا يحتاج إلى مكان ولا يمكن أن يكون في مكان . وإذا علم أن المكان الذي هو الفضاء والخلاء ليس في مكان قيل ان العقول كافة اذا عرض عليها هذا المكان الذي هو الفضاء والذي ليس في مكان ، ثم عرض عليها موجود آخر ، فتصورت هذا الموجود وتصورت المكان الذي هو الفضاء ، فلا بد أن نفرض أن هذين الأمرين أعني الفضاء والموجود المفترض إما أن يكونا متساويين في القدر وإما أن يكون الفضاء أكبر ، وإما أن يكون الموجود الآخر المفترض أكبر ، ولا يمكن أبداً ألا تفترض هذه القسمة ولا يمكن إلا أن تقضى بأحد هذه الأقسام ، ولا يمكن أن تقدر امكان الخروج من هذه القسمة العقلية ، هذا غير ممكن مع العلم بأن المكان الذي هو الفضاء ليس في مكان ولا يمكن أن يكون في مكان ، ولا يحتاج إليه البتة . إذن هذه القسمة وهذه الأقسام الثلاثة المذكورة ترد على الأمرين بلا ريب وان كان أحدهما ليس في مكان ، بل وان كان ليس مستويا على شيء ولا محتاجا إلى هذا الاستواء مطلقاً ، كما وردت هذه القسمة على المكان المفترض وعلى الموجود المخلوق

وإذا كان ذلك كذلك علم أن هذه الشبهة وهذه القسمة تعرض للأمرين لا لأن كلا منهما في مكان ، ولا لأن أحدهما فوق الآخر ومستو عليه ، بل الشبهة أو القسمة ترد على الأمرين من حيث ذاتهما ووجودهما ، أما الاستواء أو العلو فأمر

لا تأثير له من هذه الناحية يقينا

وشئ آخر يدل على هذا دلالة واضحة ، ذلك أننا إذا افترضنا وجود أمرين قبل وجودهما وقبل كونهما ، فلا بد أن نقدر أن هذين الأمرين حينما يوجدان إما متساويان وإما أن يكون أحدهما أكبر أو أصغر ، ولا بد أن تقدر هذه القسمة وأن تملأها وتحكم بها جميع العقول على هذين الأمرين اللذين قدر وجودهما تقديرًا وفرض فرضًا قبل أن يوجدوا ويخلقوا ، فإذا وجدوا وخلقوا بعد التقدير والافتراض لهذه القسمة لم يتغير هذا التقدير ، ولم يختلف هذا الافتراض يقينا ، وإنما يطلب بعد وجودهما معرفة أحد هذه الأقسام المفترضة ، أما إيجاب وجود هذه الأقسام الثلاثة وهذه القسمة الثلاثية فأمر معلوم قبل وجودهما وقبل خلقهما في مكان ما ، بل وقبل التفكير في المكان وفي وجوب المكان لما إذ هذا أمر آخر . هذه أشياء واضحة جلية لا خلاف فيها عند من تصوروا تصورًا جيدًا

وهؤلاء لما وجدوا أن الموجود المستوى على الشيء لا بد أن يكون أكبر من ذلك الشيء المستوى عليه أو أصغر أو مساويا حسبوا أن وجوب هذه القسمة آت من جهة صفة الملو والاستواء ، وما علموا أن ذلك آت ان كان آتيا من جهة الوجود ، فاختلط عليهم الأمر فقالوا ما قالوا ، وهذا غلط بلاريب

وعلى كل حال فإن هؤلاء لن يظفروا بفرق بين قولهم هذا وحجتهم هذه ، وبين أن يقول غيرهم : الله موجود والعرش موجود ، فاما أن يكونا متساويين أو أو أن يكون الله أكبر أو يكون العرش أكبر ، والأقسام الثلاثة باطلة . فهذه الحجة واردة ولا محالة ، فلا فائدة إذن في نفي الاستواء فراراً منها إذ هي واردة سواء أقييل بالاستواء أم بانكاره

هذا ما يقال من جهة ، ثم يقال من جهة أخرى : ولماذا لا يقال الله تعالى أكبر من العرش بل أكبر من جميع المخلوقات ؟ بل لماذا لا يجب هذا القول ولماذا

لا يجب أن يكون كذلك كما يقول المسلمون في صلواتهم وفي كل حالاتهم : الله أكبر ، أى أكبر من كل كبير ومن كل شيء في الأرض وفي السماء ، كما يقولون الله أعظم وأعلم وأمثال ذلك مما لا يختلف المؤمنون بالله في جوازه ووروده في الشرائع جميعا ، وفي اتفاق الناس المقرين بالله تعالى عليه ؟ وهم اذا قالوا أمثال هذا الكلام كان مرادهم أنه أكبر وأعظم وأعلم من جميع المخلوقات والموجودات ، لا يتنازعون في هذا كما لا يتنازعون في جوازه وجواز قوله ، بل كما لا يتنازعون في وجوب قوله واعتقاده . ومتى اختلف المؤمنون في أن الله أكبر وأعظم وأعلم من جميع الكبرياء والعظماء والسماة ؟ ومتى كان مثل هذا القول واعتقاده باطلا أو مختلفا فيه أو مشكوكا في جوازه ؟ فالله أكبر من العرش ومما تحت العرش ومن كل شيء في الأرض أو في السماء ، وهل ينازع في هذا مؤمن أو ياباه عارف بالله ؟

يا ويح هؤلاء المخالفين ! ويا ما أكثر حيرتهم وأطول حسرتهم ! أنكروا علو الله على خلقه واستواءه على عرشه وفارقوا نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح وعاندوا الفطرة والبداية ، فمجدوا هذه الصفة ثم شعبوا عن هذه البدعة ما شعبوا ، وفرعوا عنها ما فرعوا ، وما زالوا يفرعون ويشعبون ، حتى قالوا بانكار أن يكون الله أكبر من عرشه ومن خلقه ، فأنكروا أن يكون الله كبيرا ثم أنكروا أن يكون أكبر من غيره ! وليس إنكارهم أن يكون الله أكبر من خلقه بأقل قبحا وضللا من إنكارهم علوه واستواءه على عرشه ، وهذه عاقبة من ينفذ كتاب الله وسنة رسوله وما أجمع عليه السلف زاعما أنه هدى الى ما لم يهد اليه السلف الصالح وزاعما أنه قد اخترق طباق الظواهر حتى نفذ في قلب الحقيقة وغرق في أحشاء الحق القصي المكتم المضمون به على أهل النصوص والظواهر والآيات الظنية وأحاديث الآحاد ! أما المسلمون جميعا الذين لم تنسدهم وقوتهم ، والذين وقفوا حيث وقف الكتاب والسنة وانتبهوا حيث انتبهوا فيعلمون أن الله أكبر من العرش

ومن كل شيء ، ويملمون أن من أنكر هذا فقد ضل الضلال البعيد وجحد صفة من صفات الحق لا يتنازع العقل والنقل في وجوبها لله . وأما ما يقال في الشبهة بأنه لو كان أكبر من العرش لكان مركبا من القدرين المساوي والزائد فهو قول مركب من أمشاج الباطل منسوج من خيوط الأوهام الواهية ، وبيان هذا أن هذه الشبهة أو الحجة مثل أن يقال : لو كان لله صفات وذات لكان مركبا من أمرين من الذات والصفات ، والمركب لا بد له من مركب لأنه مفعول فلا بد له من فاعل يخلق فيه التركيب والامتزاج ، فالحق إذن إما أن يكون مركبا وإما أن لا يكون له صفات أو لا يكون له ذات لثلا يكون مركبا . وهذه أشياء فاسدة باطلة ، وهذا مثل أن يقال : لو كان الله موجودا لكان محتاجا الى موجد إذ ما من موجد في الشاهد إلا وهو محتاج الى من يوجد منه ومن يحفظ له الوجود ، وعلينا هذا كملنا أن كل كبير وكل ما هو أكبر من غيره فلا بد له من فاعل قاهر أوجد له الكبير وخلق فيه صفة الكبير وألف أجزائه وما هو به كبير حتى صار كبيرا وحتى أصبح أكبر من غيره فإن كان هذا القول صحيحا كان ذلك مثله صحيحا ، وإن كان باطلا كان ذلك مثله باطلا . لأنه لا فرق بينهما في القانون العقلي يقينا مع مراعاة أن الأشياء العقلية لا تؤخذ بالالفاظ وال عبارات

ومثل هذه الحجة أو الشبهة أيضا أن يقال : لا ريب أن صفات الله متغايرة كل صفة خلاف الصفة الأخرى لفظا ومعنى ، وكذلك أسماءه . فلا ريب أن صفة طله غير صفة خلقه ، وإن صفة خلقه غير صفة إرادته ، وصفة إرادته غير صفة أمره ونهيه ، وصفة أمره ونهيه غير صفة وجوده . فصفاته تعالى وكذلك أسماءه متغايرة متعددة . فإن اسمه الرحمن غير اسمه المنتقم الجبار ، واسمه الخلاق غير اسمه العالم والمريد وأشياء هذا ، وإذا كان ذلك قيل إذن صفات الله وأسماءه مركبة من أشياء مختلفة متعددة ، والمركب مخلوق مصنوع . فلما أن

تكون صفات الله وأسماءه مخلوقة حادثة ، وأما ألا يكون له أسماء ولا صفات . لأن القول بأن له ذلك قول بأنه مركب مخلوق محتاج الى من يركبه ، ولا شك أن هذه الاقويل ونظائرها أقاويل فاسدة باطلة مع أنها لا فرق بينها وبين حجبتهم هذه يقينا . والدلائل التي تؤلف نتائج باطلة لا بد أن تكون هي باطلة أيضا وإن لم يعرف مكان فسادها وبطلانها ، وهذا غير لازم في معرفة بطلان الامر وفساده وكشف الغطاء عن هذا أن كلمة « التركيب ، والمركب » فيها اشتراك واشتباه بلبسان الحق بالباطل كثيرا ويقنعان وجه الحق حتى تضل عنه الابصار والبصائر وهذا شأن جميع الألفاظ المحدثه المبتدعة التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة . فان المركب قد يراد به الشيء الذي كان مفرقا فجمع وألف بعد أن لم يكن كذلك ، وهذا كما يقال الساعة أو الطائرة مركبة ، والانسان مركب من مواده الاولى كما قال الله تعالى « في أى صورة ماشاء ركبك » أى جمعك بعد أن كنت أجزاء مفرقة في الماء والهواء والغذاء ، ومثل هذا مركب حقيقة لقصة وشرعا وعقلا ، وأهل اللغة يسمون هذا النوع تركيبا ومركبا لا يختلفون في هذه التسمية وهذا الاسم

وقد يراد بالمركب ما يمكن أن يفترض العقل جواز تركيبه وجواز أن يكون قد جمع وركب بعد أن كان مفرقا مبعثرا . والعقل قد يفترض الحالات وما لا يمكن وجوده في الخارج . فقد يفترض أن القديم الواجب الوجود قد لا يكون واجب الوجود ولا قديما وقد يفترضه حادثا وغير موجود في زمن من الأزمان وحالة من الحالات ، كما قد يفترض الحادث الوجود المخلوق للربوب قديما واجب الوجود لا يمكن فناؤه ولا عدمه ، وقد يفترض أيضا كل موصوف وإن كان قديما الوصف والصفة ، فاقد صفاته مجردا من أوصافه ، كما قد يفترض كل حى ميتا فانيا ، بل قد يفترض الشيء لا قديما ولا حادثا ولا واجب الوجود ولا جائزه ، ولا خاقا

ولا مخلوقا . وقد يفترض غير ذلك من الحالات التي لا يمكن أن تقع في عالم الوجود والحقيقة المشهودة ، كما قد يسمى أقوام علم الله وإرادته وسائر صفاته وأسمائه تركيبا فيفزعون الى انكار الأسماء والصفات لأجل ذلك ولأجل أنهم حسبوا هذا تركيبا لا بد له من مركب يوجد فيه التركيب والامتزاج ، كما سمى هؤلاء النفاة لعلم الله عظمته وكبره تركيبا ففزعوا منه وأنكروا أن يكون الله كبيرا وأكبر من عرشه وخلقه فماندوا النصوص والضرورة والفطرة والدلائل العقلية التي لا تعد ، وجعلوا هذه البدعة المنكرة حجة على البدعة الأخرى وهي انكار علو الله واستوائه على خلقه وعرشه ، ولكن لا ريب أن هذه الأقوال وأمثالها أوهام متماسكة أخذ بعضها برقاب بعض أخذت تقليداً واتباعاً مجرداً من الاختيار ، وقلد فيها الآخر الاول بلا نظر ولا بصرفز أمرها وشأنها حتى حسبت حقاً لا يدفع ولكنها في الحق من أضعف الباطل وأهونه ، وذلك ان التركيب هو الجمع والتأليف بين الوحدات المتفرقة المبعثرة كتركيب الانسان والآلات المصنوعة مثل الطيارات والساعات وأشياء هذا فهذه أشياء مركبة حقيقة لغة وشرعا وعقلا لأن مركبا قد ركبها وأوجد لها صفة التركيب والمركب ، وقد كانت قبل هذا ليست كذلك ، فهي مصنوعة مخلوقة حادثة ، وأما ما ليس هنالك برهان على أنه مركب وأنه أوجد له التركيب غير افتراض العقل ذلك واقتراضه جوازه ، واقتراض أنه كان له التركيب بعد التفريق فهذا ليس مركبا يقينا لا لغة ولا شرعا ولا عقلا حتى يقوم الدليل على أنه قد لحقه وصف التركيب والمركب بعد عدمه ، فان التركيب وصف ، أو نسبة بين أمرين أو أمور ، حادث باحداث قادر عليه متقدم عليه زمانا ومكانا . هذا هو التركيب بلا خلاف بين أهل اللغة والعقل ، وحينئذ فما علم بالبرهان أنه كذلك فهو مركب قد لحقه تركيب مركب فاعل ، وما لم يعلم أنه كذلك سوى افتراض العقل أو الوهم فلا يقال انه مركب ولا يوصف بالتركيب يقينا . وهذا

جلى واضح . وهكذا سائر المعاني وما يسمى بالاعراض أو الصفات ، فالخلق مثلاً يراد به الابداع المسبوق بالعدم . وكل موجود من قديم وحادث قد يفترضه العقل أو الوهم مخلوقاً وقد يفترض أن صفة الخلق الذي هو الابداع قد لحقته بعد عدمها ، كما قد يفترضه قديماً واجب الوجود لم يطرأ عليه عدم ولا خلق ، وكما قد يفترض أن كل موصوف ، وإن كان قديم الوصف حادث الوصف مخلوقه ، كما قد يفترض الحى وإن كان قديماً يجوز أن يموت ويفنى ، إلى أشباه ذلك مما مصدره الوهم والافتراض والتصور العام والقياس الناقص ، ولكن شيئاً من ذلك لا يقبل ولا يصح أن يقبل حتى يقام عليه البرهان القوي الصحيح والحجة الظاهرة القوية ، فلا يقال إن موجوداً ما مخلوق حادث حتى يدل البرهان الصحيح عليه ، ولا يقال إن حياً من الأحياء يمكن أن يموت وأن يفقد حياته حتى يقام على ذلك البرهان الصحيح أيضاً ، ولا يقال إن موجوداً ما مركب حتى يقام على هذا القول البرهان أيضاً . وقد يتوهم العقل كما ذكرنا أن القديم الواجب الوجود ، الذى وجوده من ذاته حادث مخلوق لا لدليل سوى أنه موجود ، والموجود قد يكون كذلك ، أي قد يكون حادثاً مخلوقاً كما جاء فى الحديث الصحيح أن النبى الكريم ﷺ قال : « يجيء أحدكم الشيطان فيقول هذا الله خلق العالم فمن خلق الله ؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فلينته » وهذا العارض يرد على عقول كثيرين من المؤمنين ، وقد يجثم فى صدورهم حتى يصير زياله فيذهبون يتساءلون عن ذلك ويذهب الشيطان يلقى السؤال المذكور فى الحديث ويصوغه على ألسنة المصايين بهذا الوسواس كما ورد على عقول هؤلاء المخالفين أنه لو كان الله كبيراً وأكبر من العرش لكان مركباً مؤلفاً ! فأنكروا لذلك أن يكون كبيراً ، ثم أنكروا تبعاً لهذا الاستواء والعلو . والعقول تعلم بداهة بطلان هذا الوهم والسؤال ، وتعلم بداهة أنه لا بد من الإيمان بقديم واجب الوجود لا يفتقر إلى غيره بوجه واحد من وجوه الافتقار والاحتياج . وإلا لو كانت الموجودات

كلها حادثة مخلوقة لكانت الحوادث تحدث بلا محدث وبلا سبب حادث . وهذا باطل فاسد بنظرات العقول الأولى . فان من أظهر علوم البشر وأدومها عليهم أن الحوادث لا تحدث بأنفسها بلا محدث سابق عليها

وعلى هذا فاذا قال المنكرون لعلو الله انه لو كان تعالى أكبر من العرش لكان مركبا قيل لهم ماذا تريدون بالتركيب ؟ أتريدون أنه مركب لمركب فاعل أوجد فيه التركيب بعد أن كان فاقداً ذلك ؟ ان كنتم تريدون هذا المعنى قيل لكم : كيف علمتم أنه اذا كان كبيراً وأكبر من عرشه وخلقه فلا بد أن يكون مركباً ذلك التركيب ، وما البرهان عليه ؟ لاشك أن مثل هذه المقالة لا بد لها من الحجة الظاهرة ، كما أن قول القائل : الموجود لا بد أن يكون حادثا مخلوقا ولا بد أن يكون له موجد لا يقبل ولا يسمع إلا يبرهان . وهذا المقال مثل ذلك المقال عند التبصر . فان قولهم : الكبير والأكبر لا بد أن يكون مركبا لمركب وهبه صفة التركيب مساو لقول بأن الموجود لا بد أن يكون حادثا مخلوقا لخالق محدث ، ومساو لقول بأن الموصوف من حيث هو موصوف حادث الصفة مخلوقا فهو جائز أن يفقد ذلك وأن يعمود غير موصوف ، ومساو لقول بأن الحى من حيث هو حى موهوب الحياة معطاهها ليس واجبها ولا قديمها ، فهو جائز عليه أن يفقدها الى أشباه هذا . وهذه أقوال كلها فاسدة باطلة

وأما ان كانوا يريدون أنه لو كان كبيراً وأكبر من عرشه وخلقه لكان مركبا ، بمعنى أن العقل أو الوهم قد يفترضه كذلك ، قيل لهم هذا لا يضير شيئا ، وذلك أن العقل يفترض المحالات التي لا يمكن أن تقع في الخارج ، كما أنه قد يفترض موجوداً لا قديماً ولا حادثا ، ولا واجب الوجود ولا جائزه ، وهذا محال صدقه ووقوعه ، وكما قد يفترض القديم حادثا والحادث قديماً . وقد يفترض جسما قائما بنفسه ليس في مكان ولا جهة من الجهات بحيث لا يمكن الإشارة اليه

وقد قال قائلون : ان هناك رباً قديماً قائماً بنفسه مصدراً لجميع الحوادث مجرداً من جميع الصفات الوجودية والعدمية . وهذا من أظهر المحالات في العلوم البشرية ، فان موجوداً ما لا يمكن أن يتجرد من جميع الصفات العدمية والوجودية ، وليس الوجود إلا الموصوف بصفة الوجود والثبوت والامتياز عن غيره وعن المدحومات وإلا فان الوجود المجرد من الصفات مساو للمدوم بل هو المدوم عينه . ومن قال ان الله موجود وهو مجرد من جميع الصفات فقد قال بإنكاره ولكن بعبارة مناقضة غبية ، وبعبارة جاهلة مراوغة ، ولا فرق عندنا بين أن تقول : ان عندى شيئاً لا يميناً ولا شمالاً ولا فوق ولا تحت ، ولا فى جهة من الجهات ، وليس له وجود ولا عدم ولا امتياز ، ولا يوصف بصفة من قلة وكثرة ، وبين أن تقول ليس عندى شيء . فالقولان سواء فى أن كلا منهما يعبر عن العدم والفقدان ، بيد أن القول الثانى أصرح وأخف وأوضح فى المراد ، وكذلك لا فرق بين أن تقول ان للعالم رباً مجرداً من جميع الأوصاف بحيث لا يوصف بعلم ولا حياة ولا وجود ولا قدرة ولا علو ، وبحيث لا يوصف بصفة من الصفات وبحيث لا يشار اليه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، وبين أن تقول ليس للعالم رب ولا خالق . ولهذا كانت أقوال هؤلاء المعطلين معدودة عند السلف من الالحاد الصريح والجحود رب العالمين ، وكانوا لأجل هذا يشتدون فى الحكم على الجهمية أئمة التعطيل ، ويسمونهم الملحدين والكفار أحياناً ، ويمتدون بقتلهم ردة ، لأن مقالاتهم هذه هى من شر أنواع الإنكار والالحاد . ولا ريب عندنا أن الذين ابتدعوا هذه العقائد الجهمية المعطلة فى الاسلام كانوا خونة ادعوا الايمان والاسلام خداعاً وكيداً ليفسدوا ذلك . وهناك أقوال رواها عنهم السلف مثبتة فى كتاب السنة لابن الامام أحمد بن حنبل ، وفى كتاب خلق أفعال العباد للبخارى تدل دلالة قوية على ما نقول . وقد حدثوا عن الجهم بن صفوان أحد مراجع التعطيل والتجريد

أنه أنكر وجود الله أربعين صباحاً ، وذكروا عنه أنه مرّ بآية الرحمن على العرش استوى فتمعر وجهه غيظاً وغضباً ورمى بالمصحف من يده ، وقال : لو استطعت أن أحك هذه الآية من المصحف لفعلت . ولا ريب أن مثل هذا القول لا يصدر عن قلب لامسه الإيمان وعقد على الاسلام . وقد علم أن جماعات كثيرة دخلوا في الاسلام أو ادعوا الدخول فيه على الأصح ميكدة للاسلام وخداعاً لأهله كما فعل ابن سبأ واضع المذهب الشيعي القالي ، وكذلك فعل غيره ، علم منهم من علم ، وجعل من جهل

(الشبهة الرابعة)

قالوا : لو كان الله فوق عرشه وخلقه لكان محدوداً بمحدود ذاتية مكانية ، والله ليس محدوداً بمحدود ما
والجواب أن نقول : ان هذه الحجة كما قد قدمنا ترد على الموجود من حيث هو موجود ، ومن حيث هو قائم بنفسه ، لا من حيث انه مستو على العرش أو على شيء من الأشياء . فان كانت هذه الحجة صحيحة واردة فهي واردة على كل حال لا يدفعها نفي الاستواء والعلو على العرش ، وان لم تكن صحيحة ولا واردة لم يوردها ولم يقض يورودها القول بالاستواء والعلو . فالقول بالاستواء - سواء أ كان حقاً أم باطلاً - لا يضر ولا ينفع في هذه المسألة يقيناً . وذلك أن يقال لو كان الله موجوداً لكان محدوداً ، لكن الله لا يحد بمحدود ذاتية مكانية ، أو يقال الله موجود وكل موجود محدود فلا بد أن يكون محدوداً . فان أمكن أن يكون ثمت موجود قائم بنفسه ، موصوف بكل صفات الكمال ، وليس محدوداً أمكن أن يكون هنالك موجود مستو على الخلق ، وليس محدوداً بحد ما لا زماني ولا مكاني ولا ذاتي وإن لم يمكن وجود شيء ما وقيامه بنفسه إلا أن يكون محدوداً بمحدود ونهايات لم يند نفى

الاستواء والعلو في دفع هذه الحدود والنهايات لأنها واردة على الوجود لازمة له .
فالقول إذن بنى الاستواء والعلو لا يضر ولا ينفع في هذه المسألة ألبتة . وهذا واضح
وإذا كان ذلك كذلك لم يحجز القول بانكسر ما اتفقت عليه الكتب المقدسة
والفطر كلها والضرورة والاجماع دفعا لشبهة هي غير مدفوعة ولا باطلة . وهذا
لا نزاع فيه عند من تبصر وفهم

والقول بالحد لذات الله لم يرد في الكتاب ولا في السنة تنصيحا وتصريحا فيها
أعلم . ولكن جاء هذا القول عن السلف الصالح ونطقوا به وجعلوه معنى لاستواء الله
على عرشه وعلوه على خلقه ، وافصاله عنهم وافصالهم عنه تعالى ، فان مذهب السلف
الذي لا يختلف فيه بينهم أن الله سبحانه مستو على عرشه عليّ على خلقه بائن عن
غيره بائن غيره عنه . وهذا هو الفصل بينهم وبين أهل البدعة والضلالة ، لأن فريقا
من المبتدعين صار الى القول بحلول الله في خلقه وحلوله في كل مكان وذات ١١
وهذا شر من قول النصارى والحلولية . وفريق آخر متأخر صار الى القول بأن الله
لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا بائن عنه ولا حال فيه
ولا فوق ولا تحت ولا يميناً ولا شمالاً ولا وراء ولا قدام ولا تمكن الإشارة اليه
بوجه من الوجوه . وهذا القول مساو لقول الملحدين المنكرين لوجود الخالق إلا أنه
بعبارة مراوغة منافقة . وهذا مثل أن يقال : ان الله لا موجود ولا معدوم ، ولا
خالق ولا غير خالق ، ولا قديم ولا حادث ، كما يقول هذا الاسماعيلية وغيرهم
من فرق الشيعة . وهذا كله جهود والحاد بلا خلاف بين العقلاء

فلم يبق بعد هذين القولين الباطلين الكاذبين سوى قول السلف وصدر الأمة
الأول من الصحابة والتابعين وغيرهم ، وهو القول بأن الله فوق خلقه مستو على
عرشه منفصل عن المخلوقات منفصلة عنه . وهذا عند السلف هو معنى القول بالحد
ولا بد من الحد بهذا المعنى . ويراد بالحد التمييز بين الخالق والمخلوق والتفريق بينهما

بالذات والصفات وكل شيء . ومعناه عندهم أن الله ليس حالاً في خلقه وأن خلقه ليسوا حالين فيه ، لأن القول بالحلول قول أهل الكفر والنسب . ولا يراد بالحد غير هذا المعنى ، ومن ظن أنهم يعنون بالحد سوى ما ذكرنا فقد غلط عليهم . ونصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف مجمعة على هذا المعنى لا تختلف فيه ، وإن كان هذا اللفظ خاصة لم يرد في كتاب الله ولا في سنة نبيه ، وإنما قاله كثير من أئمة السلف والسنة لما شاعت البدع ، بدع الجهمية المعلقة وبدع المعتزلة والشيعة تمييزاً لمقيدتهم وعقيدة السلف عن عقائد هؤلاء المصلين ، فقالوا : إن الله فوق خلقه مستو على عرشه بحد كما قال الإمام أحمد ، نقله عنه ابنه عبد الله في كتاب السنة . وقال هذا غير الإمام أحمد كابن المبارك وعثمان بن سعيد الدارمي من أئمة السنة والآثر . وهؤلاء الأئمة الذين قالوا هذا يطمون أن الأفضل هو الوقوف مع ألفاظ الكتاب والسنة سلباً وإيجاباً ، ويطمون أن هذا اللفظ لم يرد في نصوص الشريعة فيما نعلم وإن كان معناه وهو ما ذكرناه في تفسيره متواتراً في النصوص ، متواتراً عن الصحابة والتابعين . ولكن لما ظهر المبتدعون النفاة وقالوا تلك المقالات التي لا تعقل قال السلف إن الله مستو على عرشه وفوق خلقه بحد تمييزاً لمقالاتهم ومقالات السلف عن أقوال الجهمية والمصلية ومعنى قولهم بحد هو ما ذكرناه من أنه فوق خلقه لا كما يقول أهل التطليل والحلول

وهؤلاء المتكلمون يضمنون ألفاظاً مبتدعة لمان صحيحة ثابتة لا يختلف فيها فينفرون الناس عن الحق بما يعبرون عنه به من البارات المخترعة الموحشة والألفاظ المبهمة المشتركة بين المعاني الصحيحة والباطلة . وللتصريح عن المعنى المقام الأول في قبوله ورده . وذلك مثل تمييزهم عن الصفات والأفعال بالأعراض وحلول الحوادث في ذات الله ، ومثل تمييزهم عن علو الله بالتحيز والحد والتجسيم ، ومثل تمييزهم عن صفات الذات بالجوارح وظواهر ذلك من الألفاظ المبهمة المشتركة التي يراد

بها حيناً حق ويراد بها حيناً آخر باطل . ولو أن هؤلاء القوم تأدبوا بآداب الله وآداب كتابه وآداب رسوله فوقفوا عند عبارات الكتاب والسنة وعبارات السلف الصالح وعبروا عن صفات الله وأسمائه بالألفاظ الشرعية المنقولة ، ولم يخترعوا ألفاظاً مبتدعة ولا عبارات مصنوعة حادثة لوقفوا بمنجى من هذا الضلال في أنفسهم ، والتضليل لغيرهم ممن يؤخذون بالألفاظ والكلمات المنحوتة التي أريد بها الاستغزاز والتحويل والتخويف . ولأجل هذا كان السلف الأول لا يعللون من الفاظ الشرع ، ولا يقولون لفظاً لم يرد ، وإن كان معناه صحيحاً حقاً ، وإن كان مرادفاً للفظ الوارد في الشرع إلا أن يلجئوا إلى شيء من ذلك الجاء ، وفرض عليهم فرضاً ، وكانت بدع المخالفين تقضى بالتصريح والتعبير بألفاظ أخرى أمس بفهم المخالفين المعاصرين ، كما جاء عنهم في الحد والعلو على العرش بالذات والبينونة عن الخلق . ولكن العاقل الحازم لا يدع الحق الصحيح استيحاشاً من تعبير مبهم مشترك ، أو تعبير فاسد باطل ، بل العاقل ينظر إلى الحق حيثما كان وأين كان ، فينتزعه من مكانه وينزع إليه لا يتبببه خوف تعبير أو تعبير

(الشبهة الخامسة)

قالوا : الاستواء على العرش إما أن يكون حادثاً ، وإما أن يكون قديماً ، ولا بد من أحد هذين الأمرين ، والأمران مستحيلان ، أما الثاني فلا يمكن البتة فإن العرش حادث كائن بعد عدم ، وما كان حادثاً لا يمكن أن يكون الاستواء عليه قديماً ، فهذا لا يمكن بالبداية . فالاستواء إذن لا يمكن أن يكون قديماً فلم يبق إلا أن يكون حادثاً ، ولكن الاستواء الحادث على الباري مستحيل أيضاً ، وذلك أنه يلزمه أمران أحدهما قيام الحوادث في ذات الله ، وهذا باطل ، وثانيهما

أن هذا انتقال وحركة والانتقال والحركة مستحيلان في حقه تعالى . فالقول بالاستواء إذن باطل

والجواب أن قول : أجل ان الاستواء على العرش الحادث حادث ولا ريب كما قال تعالى « خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش » في آيات عدة ، فالاستواء على العرش بعد خلق السموات والأرض الحادثة . أما ما ذكره من أن في هذا إتيان الحوادث في ذات الله وهو باطل ، فجوابه أن يقال : قد اتفقت نصوص الأديان كلها ، واتفقت الروايات عن السلف الأول وعن المسلمين جميعا بل عن المؤمنين بالله كافة ، على أن الله لا يزال يفعل ويقول ويحيي ويميت إذا شاء ، كل يوم هو في شأن ، وقد دلت المخلوقات الحوادث على ذلك ودلت الكائنات المشهودة على أنه كل يوم هو في شأن ، ودلت الضرورة على هذا . وما من مؤمن بالله إلا وهو يعلم أن الله يفعل ما يشاء متى شاء لا مانع ولا معترض عليه ، ولأجل هذا يدعو ويضرع إليه في حالاته كلها في السراء والضراء وفي الرخاء والشدة ، لأنه يعلم علم اليقين أن الله دائم الفعل دائم التصريف ، دائم الخلق دائم الأحياء والاماتة والرزق ، يحدث من أمره ما يريد ، ويريد في خلقه ما يحدث ، يكلم من شاء إذا شاء ويرزق من شاء متى شاء ويميت من يميت إذا شاء ويحيي من شاء متى يشاء ، ويشي من شاء حين يشاء ، ويمرض من شاء حين يشاء ويقرب ممن يشاء ويبعد ممن يشاء ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . اليوم يقضى بحياة أقوام وغداً يقضى بموتهم ، واليوم يقضى بأفكار عبده فلان وغداً يقضى بأفئاته . واليوم يقضى بمر هذه الدولة وغداً يقضى بذلها واليوم يقضى بذلها وغداً يقضى بمرها ، واليوم يقضى بإبعاد عبده فلان وغداً يقضى بتقريبه ، واليوم يقضى بصلاحه وغداً يقضى بفساده ، يفعل ما يشاء ويمتار وهو شديد الحال . لا خلاف بين الأديان ، ولا خلاف بين أهل الأديان ، أن هذا

كله بعض شأن الله في خلقه وملكه ، ولا خلاف بينهم وبينها أن خلقه اليوم غير
 خلقه غدا ، وأن إيجاده أمس غير إيجاده اليوم ، ولا خلاف بينهم وبينها أن من
 أوجده اليوم ليس قديما ، وأن شفاه اليوم من كان بالأمس مريضا ليس أزليا ،
 وأن اغناؤه اليوم من كان بالأمس فقيرا ليس قديما ، وأن استواءه على العرش
 الحادث له بداية زمنية ، وأن نداءه عباده موسى وعيسى وإبراهيم ونوحا ومحمدا
 ﷺ كائن بعد خلقه أيام ، وأن خلقه أيام حادث له ابتداء ، ولا خلاف بين
 أهل الأديان السماوية في هذا وفي أمثاله ، ولا خلاف بينهم في أن أفراد هذا كله
 حادثة كائنة بعد أن لم تكن ، ولا خلاف بينهم في أن هذا هو معنى كونه مختارا
 يفعل ما يشاء حين يشاء وأن هذا لازم القدرة والربوبية ، وأن من لا يفعل متى
 شاء ليس قادرا ولا جليل الوصف ، ولا ريب أن من أنكر هذا الوصف لله فقد
 سلبه أخص أوصاف الربوبية وسلبه القدرة والكمال ، وأن القادر هو الذي تتجدد
 أفعاله ويتعاقب خلقه وصنعه ويحدث من أمره ما يشاء ثم يفعل وأنه لا يزال كذلك
 وهذا هو معنى وصفه القادر والرب المدير ، ومن جملة صفاته المتجددة الاستواء
 على العرش والعلو على الخلق ، فإن كان ممتنا عليه الاستواء لأن في ذلك قيام
 الحوادث في ذاته كان ممتنا عليه خلق العرش وخلق غيره من الحوادث ، لأن في
 ذلك أيضا قيام الحوادث بذاته . فإن الخلق وصف ذات كالاستواء والعلو إلا أن
 الفرق بينهما أن الخلق وصف بعد والاستواء وصف لازم ، ولكن كلاهما كائن
 بعد أن لم يكن ، فكما أن الاستواء على العرش لا يمكن أن يكون قديما ، لأن العرش
 حادث والاستواء على الحادث حادث ، فكذلك خلق العرش وغيره من المخلوقات
 لا يمكن أن يكون قديما بل لا بد أن يكون حادثا ، لأن إيجاد الحادث لا بد أن
 يكون حادثا ، بل الإيجاد من حيث هو إيجاد معين لا بد أن يكون حادثا كائنا
 بعد أن لم يكن . وإن أمكن أن يكون خلق الحادث قديما أمكن أن يكون الاستواء

على الحادث قديما ولا فرق وإن لم يمكن هذا لم يمكن هذا . فالكلام في الاستواء على العرش كالكلام في سائر الصفات من الخلق والايجاد والاحياء والامامة ونظائر ذلك . فان كانت افراد هذه الصفات حادثة متجددة كما دلت النصوص والمتنولات واجماع المؤمنين بالله ، فلا مانع إذن من القول بالاستواء على العرش وعلى المخلوقات جميعا ، ولا مانع من القول بأن الاستواء على هذا حادث ، وإن لم تكن أفراد هذه الصفات متجددة كائنة بعد أن لم تكن ، بأن كانت قديمة أزلية قيل ان الاستواء كذلك قديم أزلي ليس حادثا . فاذا قيل : كيف يمكن أن يكون الاستواء على الحادث قديما ؟ قيل كيف يمكن أن يكون إيجاد الحادث قديما ؟ فان كان هذا معقولا كان ذلك معقولا ، وإن لم يكن لم يكن . فاذا قالوا اننا قلنا إن أفراد صفات الله ، مثل الایجاد والخلق والاحياء والامامة قديمة لأنها لو كانت حادثة لكان في هذا قيام للحوادث والأعراض في ذات الله وهذا محال ، قيل كذلك ليقول : ان الاستواء على العرش الحادث قديم ، لأنه لو كان حادثا لكان في هذا قيام الحوادث ، والأعراض في ذات الله وهو محال . وكل ما يوردون على الاستواء على العرش من هذه الجهة المذكورة يورد على سائر الصفات المذكورة ، وما كان جوابا لهم عن هذه الصفات كان جوابا لنا عن الاستواء على العرش ، وما كان وارداً على الاستواء فوق العرش كان وارداً على الصفات المذكورة . وبالإجمال الاستواء على العرش صفة من هذه الصفات ، والقول فيه كالقول فيها وإذا كان ذلك كذلك فلا وجه لتخصيص الاستواء بهذه الشبهة دون غيرها . بيد أنه لا ريب عندنا في أن صفات الله وأفعاله متجددة ، وأنه يحدث كل يوم من أمره ما يشاء حسب تجديد الكائنات . فان الكائنات متجددة دائماً حادثة مشهود حدوثها وتخليقها وتغيرها وتطورها ، وهذه الحوادث المشهودة المرئية ، وهذا التغير المشهود المرئي ، لا بد من القول بأنها وبأنه متغيرة متغير باحداث محدث وتغير

منغير قاهر فاعل ، ولا بد أن توجع هذه الأحداث ويرجع هذا التغير الى علة موجبة ضرورة ، والقول بخلاف هذا قول بمحدثات الحوادث بلا محدث خالق غالب ، وهذا باطل عقلا وقلا وإجماعا . فلا ريب أن محدث هذا كله هو الله رب العالمين

إذا علم هذا كله قيل هذه الحوادث المتجددة المتغيرة كل وقت إما أن يكون خلق الله إياها وإرادته خلقها قديما أو حادثا ، لا بد من أحد القولين ، أما القول بأن خلقه إياها وإرادته لها قديمان فباطل ، لأنه إذا كان الله قديما وكان خلقه المخلوقات قديما وإرادته خلقها قديمة وجب أن تكون هي أيضا قديمة ضرورة ، لأن المعلوم المخلوق لا يمكن أنه يتأخر عن علته الموجبة التامة الخالقة ، وإلا لو تأخر المعلوم المخلوق عما فرض أنه علته للموجبة التامة لما كان معلولا لذلك ولا مخلوقا له ، ولكننا فرضناه معلولا لمخلوقا ، فلم يبق إلا القول بأن خلقه المخلوقات حادث كائن بعد أن لم يكن

أو يقال بعبارة أخرى حدوث هذه الحوادث المشهودة المتجددة إما أن يكون بأحداث محدث أو بلا أحداث ، الافتراض الثاني باطل ، فلم يبق إلا أن يكون حدوثها بأحداث محدث . وهذا الأحداث الذي حدثت به الحوادث إما أن يكون قديما وإما أن يكون حادثا ، لكنه لا يمكن أن يكون قديما ، لأنه لو كان كذلك لكانت الحوادث أيضا كذلك ضرورة كون الأحداث إحداثا لها ، فأحداث الحوادث لا بد أن يكون حدوثها مقارنا له ، كما أنه لا يمكن أن يحدث ضرب بدون مضروب وبدون قبول المضروب للضرب ، ولأن الأحداث لا معنى له إلا أن يكون حادثا ، فإن معنى الأحداث هو الإيجاد لشيء من الأشياء أتت عليه أطوار من الزمن لم يكن موجودا فيها ، ولا معنى للأحداث سوى هذا . فلم يبق إلا القول بأن أحداث الحوادث وحوادثها حادثان

أو يقال بعبارة أخرى : الحوادث التي سوف تحدث بعد اليوم إما أن يكون الله أحدثها وإما أن يكون لم يحدثها بعد وسوف يحدثها إذا شاء ، أما القول بأنه أحدثها فباطل بالضرورة والمشاهدة ، لأنه لو كان أحدثها لحدثت ولوجدت ، ولا يمكن أن يقول عاقل : ان الله قد أقام الساعة وحشر الناس وحاسبهم وأدخلهم الجنة أو النار اليوم . فلم يبق إلا القول : بأن الله لم يحدث الحوادث التي لم تحدث بعد وأنه سوف يحدثها إذا شاء .

أو يقال بعبارة أخرى : إما أن يكون الله - بجميع صفاته الحقيقية وإضافيها - قديما أزليا بحيث لا يقوم به تعالى فعل ولا كلام ولا خلق ولا إيجاد ولا فنع ولا ضر ولا إحياء ولا إماتة بعد أن لم يكن ، وإما أن لا يكون كذلك ، بل يكون الله بصفاته الحقيقية النوعية قديما لم يزل ولم تزل أفراد صفاته تتجدد وتقوم به ، فيتكلم ويفعل ويخلق ويهلك إذا شاء ويصنع ما يشاء متى يشاء أزلا وأبدآ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . أما الاقتراض الأول فلا يمكن القول به عقلا ، لأنه لو كان كذلك لزم أحد أمرين باطلين ، أحدهما أن تكون الحوادث المخلوقة قديمة ، وثانيهما أنه يلزمه ألا تحدث الحوادث وألا يوجد مخلوق ما . والأمران باطلان بالمشاهدة . وذلك أنه إذا كان الله بجميع صفاته - من خلق وإيجاد وفنع وضر وإحياء وإماتة - قديما لم يزل فكيف حدثت الحوادث اذن وبماذا حدثت وما من زمن يفرض إلا وكان يمكن أن تحدث فيه ؟ ولماذا حدثت في زمن دون زمن وقد كانت جميع الأزمان سواء بالنظر الى حدوثها فيه ؟ وما الذي رجح أن تحدث في الزمن الذي حدثت فيه على الأزمان الأخرى التي لم تحدث فيها وقد فرضنا كل شيء قديما وفرضنا أنه لم يحدث مرجح ما لحدوث الحوادث في الزمان الذي حدثت فيه على غيره من دولات الزمن ؟ وما الذي جعل ما حدث اليوم لم يحدث أمس أو قبله أو بعده وهذه الأوقات كلها سواء

بالنظر الى ذات الخلاق وصفاته القديمة ؟ ان القول بهذا قول يحدث الخلاق بلا خالق ولا فاعل . فلم يبق الا الافتراض الثانى ، وهو أن الله بصفاته قديم لم يزل لكن افراد صفاته وأفعاله لم تزل تتجدد ولم يزل يريد فيخلق ويشاء فيفصل ، كما قال انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وهذه أمور ظاهرة تدل دلالة قاطعة على أن الله يفعل ما يشاء ويخلق ما يريد متى أراد ومتى شاء ، وتدل على أن من أنكر ذلك زاعما أنه أنكر قيام الحوادث بذات الله فقد عاند الضرورة والمقول ونصوص الأديان كلها ، فان الشرائع قائمة على أن الله دائم الفعل ودائم الخلق والايجاد وتصريف هذا الكون من حال الى حال ومن طور الى طور . ولا ريب أن من أنكر أفعال الله متى شاء وحين يريد فراراً من القول بقيام الحوادث بذاته تعالى فقد تنقصه وسلبه أخص أوصاف الكمال والربوبية . فان الكامل هو الذى لا يزال يفعل ويخلق ويقول ويصرف خلقه وعباده ، وينقلهم من حال الى حال ومن شأن الى شأن ويفعل ما يشاء متى يشاء . وأما من ليس كذلك فلا شك أنه ناقص عاجز مغلوب على أمره . ولو عرض على العقول موجودان ، أحدهما دائم الفعل والايجاد والتصريف والآخر جامد ساكن ، لا يمكن أن يقوم به فعل ولا ايجاد ولا تصرف ولا كلام ولا ارادة ولا يقوم به شيء مما يسمى حوادث ، لحكت العقول جميعاً بأن ذلك الوجود الدائم الفعل والايجاد هو الكامل الأعظم ، وأن الثانى الذى لا يمكن أن يقوم به فعل ناقص مهين فاقد أشرف الأمثال وأسمائها

وقد عاب الله في غير ما آية من الكتاب الأصنام والأوثان بمجزها عن الفعل وعن الكلام وعن الضر والنفع . وذلك لأن من لا يفعل ولا يمكن أن يفعل اذا شاء ناقص معلوم تنقصه في جميع العقول وقرارات الفطر . ولهذا قال السلف : من زعم أن الله لا يتكلم اذا شاء فقد زعم أنه يعبد صنماً : ذلك أن الصنم عاجز عن

الكلام وعن الفعل . فالذين يقولون ان الله لا يتكلم ولا يفعل حين يريد خوف قيام الحوادث والأمراض به يضربون له تعالى أسوأ الأمثال وأدناها وهي الأصنام والأوثان المأجزة عن أن تفعل وأن تقول وأن تحدث شيئاً ما ، فثقلها هو المثل الأدنى للمأجز الضعيف ، والله المثل الأعلى والصفات الحسنی . « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون »

وهؤلاء النفاة المطلون يضمنون لصفات الله وأفعاله وأسمائه أسوأ الأسماء فيسمونها بالاعراض والحوادث ، ثم يقولون : ان الله منزّه عن الاعراض والحوادث ، فلا يقوم به عرض ولا حادث ، فيلبسون ويمثلون أولاً ، ويحيطون ويمطلون آخرأ ، فيجمعون بين الرذيلتين : التشبيه والتعطيل . والناس الذين لا يحيطون بمرامهم ولا يسمون على أعراضهم يندعون ويؤخنون بهذه العبارات والأسماء ، فانهم اذا قيل لهم : ان الله منزّه عن الاعراض والحوادث حسبوا هذا صحيحاً فلم ينازعوا فيه ، لأنهم يحسبون أن الاعراض والحوادث التي ينزهون الله عنها هي ما يعرفونه في كلام الناس واصطلاحهم فان ذلك في كلام الناس هي التغيرات والاستحالات ، والحوادث عندهم هي الأشياء المخلوقة والطوارئ المفاجئة المؤذية . ولا ريب أن الله منزّه عن هذا كله ولكن هذا هو ما يريدون تنزيه الله عنه ، وإنما يريدون به تعطيله من أفعاله وصفاته وما يقوم به من أوصاف الربوبية كالخلق والإيجاد والضر والنفع والخطاب والكلام ، وغير ذلك من الصفات اللازمة لفعل لما يريد ، القاهر فوق عباده ، ولكنهم ترجوا الأفعال والصفات بالاعراض والحوادث تنظيراً وإباحاشاً من الايمان بصفاته وأفعاله فكان هذا كما قال ابن الرومي :

تقول هذا مجاج النمل تمدحه وإن تشأ قلت ذاقه الزعاعير
مدحاوثما وما جاوزت وصفها والحق قد يصبره سوء تعبير

ولو أن هؤلاء النفاة سمو الأشياء أسماءها فسموا صفات الله وأفعاله بالصفات والأفعال كما سماها الله وأنبيأؤه والسلف قاطبة وجهور المسلمين وقالوا إن الله منزّه عن الأفعال والصفات ومنزّه عن أن يفعل وأن يقول وإن ينادى وأن يخلق ويوجد ما يشاء إذا ما شاء لما آمن لهم الناس ولما خدعوا بقولهم وتعطيلهم . وهذا كما وصفوا الاستواء على العرش بالاهتمام المنفرة الباطلة فسموه بالاحتياج الى الجبره والتمكن والتحيز والتجسيم والتشبيه والتحديد وأشياء هذه الكلمات الموضوعة إرادة الاستفزاز والتشنيع . ومن جهلوا ما يرى اليه النفاة وسمعوا منهم هذه الألفاظ انخدعوا وانقادوا لهم ولما يريدونه من التعطيل ووقفوا فيما وقفوا فيه من حيث لا يشعرون ولا يعلمون ، ولهذا وجب التفصيل والتفسير ومحاذرة الألفاظ المبتدعة . فان للالفاظ سلطانا أحيانا غالبا على المعاني . والبصير لا يصرفه سوء التعبير عن الحق وقبوله . هذا ما يقال أولا عن شطر هذه الشبهة الأول

ويقال في الجواب أيضا : لنفرض أن ذات الله لا يقوم بها فعل ما ، لا خلق ولا استواء ولا غير ذلك ، ولكن هل يلزم من استوائه على عرشه بعد خلقه وبعد خلق السموات والأرض أن يكون قام بذات الله فعل هو الاستواء على العرش والمو على الخلق ؟ اننا نقول في جواب هذا السؤال كلا انه لا يلزم هذا هذا . وذلك أننا نفرض ان الله كان كما كان أزلا وكما يكون أبدا ثم خلق العرش وخلق سائر خلقه من مسموات وأرضين تحت ذاته المقدسة فصارت المخلوقات من عرش وغيره تحته تعالى وكان هو فوق ذلك مستويا عليه كله من غير أن يقوم بذاته شيء ومن غير أن يقوم به الاستواء وهذا ظاهر جلي . ومثله أن نفترض أن العرش كان قديما في مكانه الذي هو فيه فخلقت السموات والأرض تحته فأصبح هو فوق ذلك وأصبح مستويا عليه من غير أن يقوم به فعل ولا تغيير ولا وصف ما

ذاتى ، ومن غير أن يقوم به عرض من الأعراض . فالشطر الأول من هذه الشبهة باطل على جميع الافتراضات سواء أقيـل ان الله يقوم بها الأفعال المتجددة المتكررة ، أم قيل انه لا يقوم به وصف ما متجدد

وأما الجواب عن الشطر الثانى من الشبهة وهو أنه يلزم استواءه على العرش اذا كان حادثا الانتقال والحركة ، والانتقال والحركة فى حق البارئ باطلان ، فيقال : الجواب عن هذا أمران ظاهران ، أحدهما أنه لا مانع من القول بالانتقال على الله ، وقد دلت الدلائل التى لا تحصى من الآيات والأخبار الصحيحة المتواترة على أنه تعالى يحىء يوم القيامة لحساب الخلائق وللفصل القضاء والمجازاة المؤمن بأعماله والكافر بأعماله كما قال تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا » . وقال : « هل ينظرون الا أن تأتيتهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك » والآيات فى هذا كثيرة معلومة . وقد تواتر قوله عليه الصلاة والسلام « ينزل ربنا كل ليلة على عماء الدنيا » وما يذكر المصلون النافون من الشبهات على أخبار إتيانه باطل ضعيف وذلك أنه ما من اعتراض يوجه الى صفة إتيانه الا ويوجه الى صفاته كلها حتى المعلوم منها بالعقل ، بل ويوجه الى ذاته وجوده ، فان الكلام فى الذات مثل الكلام فى الصفات ، والكلام فى الصفات كالكلام فى الذات ، فاذا قال النفاة : لا يأتى إلا الأجسام قيل لهم ولا تقوم الصفات إلا بالأجسام وأنتم تتعرفون له ببعض الصفات ولا يوجد أيضا الا ما هو جسم أو عرض ، وأنتم لا تقولون انه جسم ولا عرض ، فان أمكن أن يكون موصوف بالصفات وليس جسما أمكن أن يأتى وهو ليس جسما ؛ وان كان لا يمكن ذلك الا اذا كان جسما قاله جسم سواء أقيـل بجواز الانتقال أم قيل بامتناعه فالقول إذن بامتناع الانتقال عليه لا وجه له ، وما يورد النفاة من شبهة على أخبار إتيانه إلا ويورد مثل ذلك على ما يتعرفون به من الصفات له . ولو أن النفاة جمعوا الجن والانس والحاضر

(٥٧٧)

والغايير وجهدوا على أن يفرقوا بين صفة الايمان وضيرها من الصفات لما وجدوا الى ذلك سبيلا .

هذا هو الجواب الأول . والجواب الثاني أن يقال إنه ليس بلام استواءه على عرشه بمدخله أن يقوم بذاته انتقال أو حركة ، وذلك أننا نفترض أن الله كان كما كان أزلا وكما يكون أبدا ثم خلق العرش تحته فصار مستويا عليه من غير أن يقوم به ثقل ولا حركة . ومثل ذلك أن نفترض السموات قديمة كما هي في مكانها فخلقت الأرض تحتها فصارت السماء فوقها من غير أن يقوم بها انتقال ولا حركة . فهذه الشبهة باطلة على جميع الافتراضات وهي باطلة أيضا بوجوه أخرى كثيرة ، ولكننا نوجز إيجازا

(الشبهة السادسة)

قالوا : استواء الله على العرش إما أن يكون واجبا وإما أن يكون جائزا ، ويعنى هنا الجواز والوجوب العقليان . أما القول بأنه واجب فباطل ضرورة ، وذلك أننا نعلم بالبداهة الظاهرة أنه ليس واجبا عقلا استواء الله على عرشه ، بل نعلم بداهة أنه ليس واجبا خلق العرش ووجوده فضلا عن وجوب الاستواء عليه ، كيف والعرش مخلوق حادث وهو لذلك جائز عليه الفناء بقدره الله وإرادته القاهرة . وما كان كذلك لا يمكن أن يكون الاستواء عليه واجبا ضرورة . وأما أن قيل : أن استواءه على العرش جائز ، قيل إذا كان أزلا وقبل خلق العرش ليس مستويا على شيء وكان ممكنا عقلا وشرعا ألا يكون فوق العرش ولا فوق غيره ، بل وألا يكون في جهة من الجهات بحيث يصدق أن يقال أنه لافوق ولا تحت ولا يمينا ولا شمالا ولا متصل ولا منفصل وجب أن يكون اليوم وأن يكون أبدا كما كان أزلا لافوق العرش ولا فوق غيره . قالوا : وحجة القائلين باستوائه

على العرش القوية القاهرة هي زعمهم ان موجودا قديما كان أو كان حادثا لا يمكن أن ينفك من ان يكون في احدى الجهات ، فاذا أمكن ألا يكون الله فوق ولا تحت ولا في جهة من الجهات قبل خلق العرش وخلق غيره من المخلوقات كما سلمتم بطلت هذه الحجة ، وكان غير واجب ان يكون الموجود في جهة من الجهات ، وكان ممكنا عقلا ألا يكون الله بعد خلقه العرش والمخلوقات الأخرى في إحدى الجهات ، وممكن ان يقال انه تعالى لافوق ولا تحت ولا ، ولا ، قالوا : وفي المسئلة قولان لثالث لهما ، أحدهما انه واجب ان يكون الله في جهة من العالم وهذه الجهة هي الجهة العليا ، إذ مستحيل عقلا ان يكون هناك موجود قائم بنفسه ثم لا يمكن الإشارة اليه بانه هنا أو هناك ، والقول الثاني انه باطل عقلا وشرعا ان يكون الله في جهة من الجهات وان تكون الإشارة الحسية اليه ممكنة . هذان هما القولان المعروفان في هذه المسئلة ، أما اختراع قول ثالث وهو ان يكون النفي والاثبات كل منهما جائزا ممكنا لا واجبا ولا لازما فهو شيء مخالف للاجماع مخالف المعروف فهو باطل لذلك . وبهذا بطل القول باستواء الله لاجوازاً ولا وجوبا

والجواب عن هذه الحجة أن قول : اننا لانزعم ان الاستواء على العرش واجب لعقلا ولا شرعا

ولكن قول : ان استواءه على العرش بعينه جائز عقلا ثابت شرعا ، وكذا استواءه على ما يشاء من خلقه ولا يلزم كون الاستواء على العرش ليس واجبا أنه لا يقع البتة

وهذه الحجة تشبه أن يقال : خلق هذا العالم إما أن يكون واجبا وإما أن يكون جائزا ، أما الأول فلا يمكن يقينا ، إذ العقول تجاوز كلها ألا يخلق الله شيئا من العالم وألا يخلق السماء أو الأرض أو العرش أو فلانا أو فلانا . وأما الثاني ، وهو أن يكون خلق العالم جائزا لا واجبا ، فلا يمكن أيضا ، لأن الله تعالى يجب

أن يكون اليوم وأن يكون أبداً كما كان أزلاً ، وقد كان أزلاً بلا خلق ، وكان لم يخلق هذا العالم ، وكان ولا شيء معه فيجب أن يكون في كل وقت على ما كان عليه في الأزل قبل أن يكون هناك موجود سواء . فثبت أن الله لم يخلق هذا العالم لا وجوباً ولا جوازاً ، أو فيجب ألا يخلق الله شيئاً لا على سبيل الوجوب ولا على سبيل الجواز

وهذا الاحتجاج يشبه هذه الشبهة على نفي الاستواء ، ولكن هذا الاحتجاج باطل وكاذب بالضرورة والمشاكلة ، ومثله هذه الشبهة . فاحتجاجان باطلان مثلاً هذا قبل خلق العرش وقبل خلق المخلوقات ووجود شيء غير الله ، أما بعد ذلك فلا يمكن القول بأنه تعالى ليس في جهة من العالم ، ولا القول بأنه لا فوق ولا تحت ولا متصل ولا بمنفصل كما يقولون بل هذا مستحيل بداهة ، إذ كل موجودين لابد أن يكون أحدهما في جهة من الآخر بحيث يمكن الإشارة الحسية الى كل منهما بأنه هنا أو هناك ، ولا يمكن غير هذا . وإنما كان هذا ممكناً في حق الله قبل خلق العرش وخلق غيره لأن هذه المسألة ، أي مسألة المسألة اضافية لا تصدق إلا بين اثنين أو أكثر ، فيقال ان هذا فوق هذا أو تحت أو أمامه أو خلفه ومتصل به أو منفصل عنه وقريب منه أو بعيد عنه . أما اذا كان الوجود واحداً فقط فيمتنع هذا التضاييف ، لأنه لا يكون كما قلنا إلا بين ذى العدد . وكون الله قبل خلق العرش وخلق الكائنات لا فوق ولا تحت ولا أمام الى آخره لا يخل على أنه بعد خلقه ذلك يكون كذلك ، بل ولا يدل على جوازه وإمكانه . والدليل القاطع على هذا أننا اذا فرضنا أن الله خلق مخلوقاً واحداً وانفرد ذلك المخلوق بالوجود ، فهذا المخلوق لا يقال له في حالة انفراده إنه فوق أو تحت أو عينا أو شمالاً أو متصل أو منفصل ، أو قريب أو بعيد على رأى هؤلاء قينا ، وذلك أن هذه الأمور والنسب لا تصدق إلا بين متضايقات من اثنين فأكثر ، وقد فرضنا أن الوجود

واحد فلا تضاييف وقتئذ يقينا إلا أن يزعم أن هذا المخلوق الواحد لابد أن يكون في جهة من الله ومتصلا به أو منفصلا عنه ، فاذا ما زعم هذا ورضيه المخالفون فقد سلموا مسألة النزاع ، ولكن هذا خلاف المقترض ، بيد أن هذا المخلوق المنفرد بالوجود الذي اهتم عليه أن يقال انه فوق أو تحت أو . حينما كان منفردا لا يمكن أن يكون كذلك بعد مشاركة غيره له في الوجود ، ولا يمكن أن يقال انه لا فوق ذلك المخلوق الآخر المشارك ولا تحته ولا متصل به أو منفصل عنه ولا في جهة من جهاته ، لأنه كان كذلك قبل أن يوجد غيره وحينما كان هو الموجود وحده ، هذا كله لا يمكن ، بل لابد أن يكون في جهة من الآخر ، ولا بد أن يكون قريبا أو بعيدا منه ، وهذا أمر ضروري . واذا كان ذلك كذلك قيل إذن كون الله قبل أن يخلق شيئا ، وقبل أن يكون معه موجود لا يقال له انه فوق ولا نحو ذلك لا يدل على أنه بعد خلقه العرش وخلق المخلوقات كذلك بل لا يدل على أنه يمكن هذا عقلا كما رأيت في المثل الذي ضربناه ، وهذا بين

فالكلام في هذه المسألة له حالتان : حالة قبل خلق الخلق وقبل وجود شيء سوى الله ، وحالة بعد وجود العرش وبعد وجود غيره من المخلوقات ، ففي الحالة الأولى التي لا يوجد فيها غير الله يمتنع أن يقال إن الله فوق أو نحو ذلك . وذلك أن معنى فوق أنه فوق شيء من الأشياء ، وممتنع بداهة أن يقال انه فوق شيء في حين أنه لا شيء هذا ممتنع ضرورة وامتناع ذلك منسوب لما ذكرناه من أن الفوقية ونحوها من الأمور النسبية التي لا تصدق الا بين الشيء ذى العدد ، لا لأجل أنه ممتنع ذلك على الله كما ظن المخالفون ، ولهذا فانه لا فرق بين التقديم والإحداث ، وبين الخالق والمخلوق من هذه الناحية . وأما في الحالة الثانية ، أى في حالة وجود المخلوقات المتضاييفات ، فليس بممكن أن يقال إنه تعالى لا فوق العالم ولا في جهة ، أو يقال انه لا قريب ولا بعيد ، لأن هذا مستحيل على الوجود من

حيث هو موجود . والذين يقولون بالاستواء على العرش يطمون أنه قبل أن يخلق شيئاً لا يمكن أن يقال أنه فوق أو نحو ذلك لأجل ما ذكر ، والذين ينكرون الاستواء يطمون أن موجوداً واحداً إذا لم يشاركه غيره في الوجود لا يمكن أن يقال إنه في جهة من الجهات وقت انفراده بالوجود، وإن كانوا يطمون أنه في حالة مشاركة غيره له في ذلك لا بد من أن يكون في جهة من ذلك الموجود الآخر . هذا كله معلوم ، ووجهه هو ما ذكرناه

هذا ولعلم أن قولنا أنه تعالى قبل خلق العرش والعالم ليس في جهة معناه أنه لا يمكن أن يقال أنه فوق أو تحت أو نحو ذلك ، لأن هذه الألفاظ موضوعة لتبصر عن النسبة بين الأمرين أو الأمور . فإذا قيل هذا فوق هذا كان معناه أنه فوق شيء موجود ، فإذا لم يكن إلا موجود واحد لم يصح أن يقال أنه فوق ، وهذا ككلمة « مع » فإن هذه الكلمة لا تقال إلا حيث تعبر عما فوق الواحد ، فإذا لم يكن إلا واحد فقط لم تقع هذه الكلمة في الكلام . ولا يفهم أحد من قولنا أنه قبل خلق العالم ليس في جهة أننا نفى أنه لا يمكن أن يكون فوق شيء ولا أن يستوى على شيء كما فهم المخالفون ، فإن كان أحد من الناس يعنى بالقول بأنه كان في الأزل ليس في جهة أنه لا يمكن أن يستوى على العرش لم يسلم لهذا أن يقول أنه كان أزلاً ليس في جهة ، وإنما يسلم له التعبير الذي لا ينفي حقاً ولا يتخذ طريقاً لإبطال أمر من الأمور الصحيحة . والألفاظ إنما جمعت لتبصر عن الحقائق والأمور الموجودة في النفوس ، فهي ليست سوى آلة

فمن قال أنه لم يكن في الأزل في جهة ، وكان يعنى بهذا أنه لا يمكن أن يكون فوق الخلق ولا فوق العرش ، كان غالطاً في التعبير غالطاً في نفسه ، وحينئذ لا نسلم له هذا التعبير . ومن قال هذا وكان مراده ما ذكرناه كان قوله صحيحاً لغة ومضى ولكن هذا لا يشهد لقول المخالفين للتكرين لهذه الصفة ، صفة الطور والاستواء ،

فهذه الحجة ، كيفما صرفت وقلبت ، باطلة داحضة

(الشبهة السابعة)

قالوا : ان القائلين بالاستواء وبالمو على العرش يزعمون أن الله لا بد أن يكون أزلا وأبداً في جهة ، وأنه لا يمكن عقلاً أن يكون هناك موجود ، سواء أ كان قديماً أم حادثاً ، الا ولا بد من أن يكون في جهة من الجهات بحيث تمكن الإشارة الحسية اليه فيقال انه هنا أو هناك أو هناك ، وأنه لا يستغنى عن الجهة إلا المردوم الذي لم يوجد . قالوا : ولو كان هذا صحيحاً لوجب أن تكون الجهة قديمة مع الله ، ولكن المسلمين يملكون أن ما سوى الله حادث كائن بعد العدم ، ثم لو كانت الجهة قديمة لكانت غير مخلوقة ولا مرهوبة ، إذ القديم لا يعقل أن يكون مخلوقاً ، إذ المخلوق هو الكائن بعد العدم ، وكل المسلمين يملكون أن ما عدا الله مخلوق مرهوب لله وحده . ثم قالوا : والله كيف يحتاج في وجوده الى شيء غيره كالجهة أو غيرها فان المحتاج في وجوده الى غيره لا يكون واجب الوجود ، فان واجب الوجود الذي وجوده من ذاته لا يحتاج الى غيره مطلقاً . قالوا : وبهذا يعلم أن الله تعالى لا يحتاج الى الجهات ولا الى غير الجهات كالاستواء وغير الاستواء

والجواب أن يقال : ان هذه الشبهة أو الحجة قائمة كلها على غلطة واحدة واضحة ، هذه الغلطة الواحدة الواضحة هي أنهم ظنوا انه اذا قيل أن الله فوق العرش أو فوق السموات أو فوق المخلوقات ، أو قيل انه في جهة - وهذا القول ممنوع شرعاً لأنه لم يجهى ذكره في النصوص - غنى بذلك كون الله عز شأنه وسلطانه حالاً وكائناً في شيء مخلوق وفي ظرف محيط به موجود فيه ، وغنى بالجهة أمر وجودي يحتاج اليه الباري تعالى أمره لا يستغنى عنه ، ولا يمكن وجوده إلا ملزوماً لذلك الأمر الوجودي مقارنة له في الوجود الزماني والمكاني ، وأنه لو فقد

ذلك الأمر الوجودى اللازم لوجوده فقد ذلك للزوم الذى هو الوجود ، لأن
الأمرين متلازمان مقترنان لا ينفك أحدهما عن الآخر وجوداً زمانياً ومكانياً .
هذا مثار الغلط ومأثمه ، وهذا هو عتق الشبهة وموضعها . فيقال لهؤلاء الفالطين :
ان القائلين بذلك والقائلين بأنه تعالى فى جهة من الجهات فوق ، أو فوق الخلائق
كلها أو هنا أو هناك أو هناك ، لا يمتنعون بالجهة هنا أمراً وجودياً لا حادثاً ولا
قديم ، ولا جائز الوجود ولا واجبه . ولكنهم يمتنعون بذلك أنه تعالى بائن عن
خلقه وأن له وجوداً حسياً ووجوداً من جميع جهات الوجود ومعانيه ، بحيث يمكن
الإشارة الحسية اليه وبحيث يرى بالآبصار فوق الرأى مواجهة ، وبحيث يقال أنه
فوق العالمين وفوق العرش ، وأنه يقرب من خلقه ويبعد كما يشاء أنواع القرب
اللائقة به كلها : لا يمتنعون بذلك القول أكثر من هذا . ولفظ الجهة فيه اشتباه
واشتراك يوقمان كثيراً فى اللبس والضلال . وذلك أن قوما يطلقون الجهة ويريدون
بها المكان المخلوق للوجود الكائن بمعد الدم ، وقوم آخرون يطلقون الجهة
ويريدون بها الفضاء المحض ، الذى هو العظم المحض ، ويمنون بالفضاء المحض الفراغ
الذى تشغله الموجودات بوجودها ، والجهة على التفسير الأخير لا مانع من القول
بأنها قديمة ، بل لا بد من ذلك وذلك أنها كما ذكرنا عدم خالص ، وعدم قديم
عريق فى القدم إذ هو خلاف الوجود . وإذا كان الوجود الذى هو وجود المخلوق
حادثاً كان عدمه ولا محالة قديماً ، فإن عدم الحادث بلا ريب قديم ، إذ لو لم يكن
عدمه قديماً لكان وجوده قديماً ، وإذا كان وجوده قديماً كان هو قديماً ، والقديم
ليس مخلوقاً ضرورياً ، وقد فرضناه قديماً . فإذا علم هذا وعلم أن الجهة بهذا المعنى
الذى هو الفراغ البحت قديمة ، وهى العدم المحض ، علم أن هذه الشبهة واهية باطلة
وعلم أنه لا مانع من القول بأن الفراغ كان بلا بداية زمنية وقتية ، وعلم أن قول النفاة
ان الله يكون حينئذ محتاجاً الى الجهة قول مبنى على هذا الغلط وهذا الاشتباه اللفظى

وذلك أن هذا القول مثل أن يقال : إن الله محتاج إلى عدم الشريك له وإلى عدم قدم الخلق وإلى عدم وجوبهم لذواتهم وأشباه ذلك . وهذا كلام لا معنى له ولا طائل تحته ، وهو مثل أن يقال : إن الله محتاج إلى وجوده وإلى امتيازته على جميع الخلائق ومباينته لهم في الصفات والذات وما يدخل تحت هذا . وهذه الأقوال والفلسفات خلق بالعقل ألا يهبط شيئا من وقته ونفسه وعلمه . بل هذه الفلسفات وأمثالها من أمراض الفكر البشرى التليدة والطريفة . وهذا يشبه ما قاله فخر الصافات : لو كان لله صفات قديمة لكان القدماء غير واحد ، وهم الله وصفاته ، ولكان بذلك محتاجاً إلى غيره ، ويعنون هنا بالغير الصفات اللازمة لله . وقد يشبه قولهم هذا في قدم الفراغ والفضاء أن يقال لو كان قديماً بلا بداية زمنية لكان الزمان قديماً ولكان الله في قدمه ووجوده محتاجاً إلى الزمان لا يستغنى عنه في وجوده ، فإن الإنسان عندما يتصور الزمان وحقيقته يمسر عليه جداً أن يتصور وجود أمر من الأمور إلا ولا بد أن يكون هناك زمان تتعاقب دولاته وأطواره على وجود ذلك الموجود المفروض وجوده في وقت من الأوقات

أذن فالجهة أو الفراغ أو الفضاء الذي يعنى به العدم البحت لا بد من القول بأنه قديم لا بداية لقدمه ، لأنه لو لم يكن قديماً لكان عدمه حادثاً ، وإذا كان العدم حادثاً كان الوجود قديماً . ولكن قدم الوجود أي وجود المخلوق باطل . وإذا علم المخالفون هذا علموا بطلان هذه الشبهة بلا شك

ونحن نقول ، كما قدمنا ، إذا كانوا يفهمون من الجهة معنى باطلاً فليعلموا أن هذا المعنى الباطل لا تصح إرادته . وإذا كانوا لا يستطيعون التعبير عن المعنى الصحيح إلا بذلك اللفظ الذي يقع فيه الاشتباه والاشتراك وجب هجران ذلك اللفظ ووجب التمييز بتعابير الشرع المفهومة فراراً من الاشتراك والاشتباه وما يسوق إلى الباطل أو يدفع عن الحق . فإذا كانوا لا يفهمون من الجهة إلا المعنى

الباطل الفاسد لزم هجران هذه الكلمة وإنكارها ولزم الوقوف عند كلام الشرع وما لا اشتباه فيه . وحينئذ لا علينا نحن أن ننكر هذه اللفظة معبرة عما يعنون بها من المعنى الفاسد الباطل ، ووجب أن نقول : ان الله فوق العباد وفوق العرش والقاهر فوق عباده ، لا نزيد على هذا ولا نقص منه ، فلا نطلق الجهة ولا الحيز ولا الفراغ ولا الفضاء ولا ما لم يرد في النصوص الصحيحة في هذا المعنى هروبا من الاندفاع في الأخطاء الآتية من جانب الالفاظ المبتدعة التي نتحمل حقا ونحمل باطلا ، ونحمل هدى ونحمل ضللا . أما كلام الشرع فيجب الأخذ به على كل حال ، لا يصح المدول عنه بحال ، لأنه هو الحق ومن فهم منه باطلا أيّن له باطله وكشف له خطؤه مع الاستمسك بما قال الشارع على كل حال

(الشبهة الثامنة)

قالوا : لو كان الله مستويا على العرش لكان محمولا له . وتعالى الله عن أن يحمله شيء وعن أن يكون في حاجة إلى حامل يحمله
والجواب أن يقال ان استواءه على العرش لم يكن لاحتياج إليه ولا لضرورة دعت لذلك الاستواء ، بل الله الغنى عن كل شيء ، وكل شيء فقير إليه لا يستغنى عنه لحظة واحدة ولا يقوم بنفسه دونه تعالى في لحظة من اللحظات . استوى على العرش وهو الحامل للعرش ولغيره من الخلائق . وتعالى الله أن يحمله حامل أو يفترق إلى قوة حامل . ولكن استواؤه على العرش وعلوه على الخلق فعل من أفعاله وصفة من صفاته وشأن من شؤونه لحكمة من حكمه العالية ، لا عن فقر واحتياج ، ولا عن ضرورة موجبة لمزمة . فلم يكن في هذه الصفة التي هي الملو على الخلق والاستواء على العرش مفترقا إلى ذلك ، كما أنه في خلقه للعالم لم يكن مفترقا إلى الخلق ، وكما أنه لم يكن في فعل من أفعاله مفترقا ولا محتاجا ، وكما لم يكن في أوامره ونواهيه وشرائعه

وأفعاله محتاجا ، ولو كان يلزم استواءه على العرش أن يكون محتاجا للزم أن يكون ذلك الاحتياج لازما لجميع أفعاله الاختيارية ، وجميع أوامره ونواهيه وشرائعه . وإذا لم يكن في شيء من ذلك محتاجا فلن يصحكون في صفة الاستواء والمساواة كذلك بالضرورة . فان الكلام في صفة الاستواء كالكلام في سائر الصفات والأفعال فما كان واجبا وجائزا على نوع الصفات والأفعال كان واجبا وجائزا على أفرادها وما كان ممتعا على أفرادها كان ممتعا على نوعها . وليس هنالك فرق بين صفة الاستواء والمساواة وصفة الخلق والايجاد من هذه الناحية نفسها . وكل ما يمكن أن يعد شبيها على الاستواء والمساواة من هذه الناحية يمكن أن يعد شبيها على الخلق والايجاد من الناحية المذكورة

ولكن لا ريب في بطلان ~~كل~~ ما يعد شبيها على صفة الخلق والايجاد والأفعال المتعدية . فكذلك لا ريب في بطلان ما يعده المخالفون شبيها على الاستواء والمساواة

والاستواء على العرش لا يلزمه شيء مما ذكره لا عقلا ولا لغة ولا عرفا . فهذه الخلوقات ، والله المثل الأعلى ، قائم بعضها فوق بعض ، مستو بعضها على بعض ، ولم يقض هذا بأن تكون كلها متعاملة بلا انفكاك ، ولم يلزم أن يكون الأعلى محمولا بالأسفل ، أو يكون الأسفل حاملا للأعلى . فهذه السموات وهذه الأجرام العلوية قائمة فوقنا وفوق الأرض ، ولم تكن الأرض حاملة لها ، ولم تكن نحن حاملينها ، بل وهذا السحاب ناهض فوقنا وفوق الأرض ولنا حاملية وليست الأرض حاملة له . وكذلك يقال في الهواء وغير الهواء مما في هذا الملك العريض . فان أجزاءه مخلوق بعضها فوق بعض وليس الأعلى محمولا بالأسفل ، بل الأسفل والأعلى قائمان بقدرة الله وبأمره وسلطانه ، وهما في الافتقار إليه تعالى سواء ، وهما في العجز عن الاستغناء والقيام بالنفس صنوان

وإذا كانت المخلوقات كذلك فأن الله خالق المخلوقات أعلى وأولى ألا يكون في استوائه على العرش وعلوه على الخلق محتاجا ولا محمولا لشيء من هذا العالم المخلوق القائم بذاته وأمره تعالى فهذه الشبهة لا تعدو أن تكون عارض ومتمحرة هبة من هبات الحق

(الشبهة التاسعة)

قالوا : لو كان الله فوق العرش وفوق الخلائق كما يزعمون دون الأرض ودون الجهات الأخرى وهذا هو ما يزعمون ويقولون ، لكن محدوداً ، ويعنى أنه يكون ذا حدود ونهايات ذاتية تنتهى عندها الذات : قالوا : ومن الباطل الصارخ الزعم أن ذات البارئ محدودة بهذا المعنى والجواب أن يقال : أن هذا الاعتراض يرد ، أن كان صحيحاً ، عليه تعالى من حيث هو موجود ، لا من حيث هو مستو على العرش على الخلق بأن يقال الله موجود ، والموجود إما أن يكون متناهي الذات وإما أن يكون غير متناهيها ، ولو لم يكن متناهيها لكان ممزوجاً مخلوطاً بالوجود ، حالاً في المخلوقات حالة هي فيه وهذا باطل ، ثم محال ألا يكون متناهي الذات ، لأن هنالك موجودات أخرى مألثة فراغاً ما ، وهذا الفراغ المملوء بهذه المخلوقات لا يمكن أن يكون فيه غيرها إذ لو كان كذلك لما كانت هذه المخلوقات شاغلة فراغاً ما ، وهذا باطل بالاتفاق . وعلى كل حال لا يمكن أن يزعم أن هنالك موجوداً مألثاً بذاته الفراغ كله ، إذ لو كان كذلك لما وجد غيره . فلو فرضنا أن ذات الله غير متناهية بالمعنى الجاف الحسي الذي يعنيه هؤلاء المبردون المعطلون لما أمكن أن يوجد غيره من الموجودات الحسية المادية ، إذ لا مكان لما حينئذ في هذا الوجود واذن لا يمكن القول بأن ذات الله غير متناهية بالمعنى الحسي الجاف ، فلم

يقبض إذن خير القول بأن ذاته متناهية سواء أقيـل بالاستواء على العرش أم لم يقبل به
فهذا القول لا يزيد هذه القضية ثبوتاً وصحة ، وإنكاره لا ينفخ لزوئها .
فالإيمان بالاستواء لا يضر المؤمن بذلك ، والمجحد له لا ينفع الجاحد له ، فلا يصح
- والأمر كما ذكر - إنكار صفة من صفات الله الواردة في جميع كتب الله وعلى
جميع السنة الأنبياء فراراً من أمر لا يمكن الفرار منه وحذار قضية لا يمكن حذارها
فهذه الشبهة واردة على جميع المؤمنين بالله لا تختص القائلين بالاستواء والعلو
افراداً . فالجواب إذن عنها مشترك بين جميع الالهيين من المؤمنين بالاستواء
والمنكرين له . فان كان يمكن عند هؤلاء ألا ترد هذه الشبهة على الموجود من حيث
هو موجود ، ولا على الله إذ هو موجود وأمكن ألا يكون الله متناهي الذات ، أو
أمكن أن يكون متناهيًا مع القول بأنه ليس محدوداً . إن أمكن هذا عند المخالفين
أمكن بلا شك القول بالاستواء على العرش والعلو على الخلق مع إنكار أن يكون
متناهي الذات ومحدودها ، ومع القول بإنكار هذه الشبهة جملة ، وإن لم يمكن هذا
لم يمكن هذا ، ولا حيلة المخالف في هذا البتة . ولا ريب أنه اذا عرض على العقلاء
موجود وثب الى عقولهم افتراض أن يكون هذا الموجود محدود الذات متناهيها ،
وإن لم يفكروا في علوه واستوائه على غيره ، بل وإن لم يفكروا في صفة من صفاته
اللازمة له . واذا عرض على عقولهم بعد هذا علو ذلك الموجود واستوائه على مكان
كذا وفي جهة كذا لم يزد هذا افتراضهم أن ذلك الموجود لابد أن يكون محدود
الذات متناهيها . فهذه الصفة التي هي صفة الاستواء لا تزيد في لزوم هذا الافتراض
ونسيان هذه الصفة لا ينقص الافتراض لزوماً ووجوباً

وكل شبهة تقدح في وجود الباري لا ريب في أنها شبهة داحضة لا يعبأ بها ،
فهذه الشبهة حكها كذلك لأنها تنقض على وجود غاية كل موجود . هذا ما يقال
من وجه ، ثم يقال من وجه آخر : ان كلمة محدود الذات - وما شابهها - كلمة ذات

وجوه على حسب اختلاف فهم الناس إلهاء ، ولما من ذلك ما هو حق ، وما هو باطل ، وكذلك أكثر صفات الله ، والذين يصيرون الى الانكار والجحود إنما أتوا من هذه الناحية ، ناحية الإيهام القائمة على اختلاف الناس في فهم ما يقال وما يسمعون ، فكن أقواماً كثيرين صاروا الى إنكار أمور صحيحة ثابتة لأنهم فهموها وعقلوها على غير الوجه الصحيح الذى فهمه وعقله المؤمنون ، وهذا علة من علل الاختلاف على الحق والتزاع فيه ، ولله علة الطل في كثير من هذا :

حق واجب على من يخافون الانزلاق في مدارج الباطل ودرجات النقي أن يعرفوا هذا جيداً وأن يتجنبوه بحذر وإتقانه . وعلى هذا وجب علينا أن نقابل كلمة محدود بالتربث العاقل ، فلا نبادر الى ردها ودفعها جملة بلا امتحان لمعناها ولما تحصل من حق أو باطل كحال أغلب الصفات التى ينكرها هؤلاء النفاة الجعلة ، وقد جربنا عليهم انكار الحق المعلوم الثابت وحشة من ألفاظ وضعوها له بدون تفوذ في أحشائه وبواطنه . وهذا خطأ قديم ، وحديث أيضاً ، تتابع عليه الناس وقد فيه آخرهم مذهب أولهم . وقد يقول بعض الناس الحريصون على الدقة التى لا خير فيها في هذا المعنى : ان المخلوقات محدودة ولا ريب ، لأنها لو لم تكن محدودة لما كانت مخلوقة ، واذا ما كانت محدودة فلا ريب أن الفعل الذى وجدت به محدود أيضاً . والفعل الذى وجدت به المخلوقات هو فعل الله أى خلقه وإيجاده . وغير ممكن البتة أن تكون المخلوقات محدودة ثم يكون الأحداث الذى به حدثت ووجدت غير محدود . . فتكون نتيجة هذا أن يقول صاحب هذا القول الدقيق الجانح الى الفلسفة : ان الخلق الذى هو الإيجاد - وهو صفة من صفات الله - محدود . فتكون صفة من صفات الله محدودة ، وإن كان هذا بأباه أمثال هؤلاء بهذا النحو . ومثل هذا يقال في صفات أخرى من صفات الحق جلت قدرته وتسامت حكمته . وهذا من الدقة التى لا خير فيها كما قلنا ومن الفلسفة

المفاسة . وأقرب من هذا في افهام هؤلاء خطأهم أن ينيبوا على أنهم يمدون لله صفات محصورة لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها ، ثم يزعمون أنه جائز ألا يكون لله سوى تلك الصفات المحصورة التي يمدون ويعهدون . وهذا عند هؤلاء من أصول التوحيد والتنزيه . فإذا كانوا يمدون صفات الله أو يجوزون ذلك ، أو لا يرون مانعاً أن تكون صفات الله محدودة فما لهم لا يقبلون هذا المعنى في الذات ؟ وهذا لو كان باطلاً في الذات لكان باطلاً في الصفات ، وإذا كان جائزاً في الصفات كان جائزاً في الذات . وهذا عندي ظاهر جلي . وتحديد الصفات على هذا المعنى المقصود عندهم معلوم من بطلان أن يكون الله موصوفاً بكل الصفات . فإن نفى بعض الصفات الموجودة عن الله - سواء أ كانت نقصاً أم كانت كلاً - قول بتحديد الصفات فإنه إذا قيل : هو موصوف بكذا غير موصوف بكذا ، وقيل إن هذه الصفات واجبة له وتلك باطلة في حقه ، كان هذا صريحاً في هذا التحديد . فهو على الأقل قول بتحديد صفاته تعالى بالكامل من الصفات . ولكن هذا على كل حال تحديد للصفات بالقسم المحمود منها دون الناقص المذموم . وليس من شك في أن انكار صفة الاستواء وغيرها من الصفات تحديد صريح في وصف البارئ ، فإن من أقر له بجميع الصفات ثم أنكر صفة الاستواء فقد حدد صفاته تعالى وقال بقتاها ، وكذلك انكار صفة ما من صفاته هو قول بالتحديد والتعديد . فإن المفهوم الحق من قولهم : حدد هذا الأمر أنه جعل له حد وغاية يقف عندها لا يجوزها . والذين ينكرون بعض أوصاف الله أو ينكرون أن يكون موصوفاً بنوع كذا من الصفات هم يحددون بهذا - ولا ريب - أوصاف الحق ويحصرونها في غير ما ينكرون وما يأبون من الصفات التي ظنوها نقصاً في ذات الله . وإذا كان هذا التحديد الفلسفي الدقيق عند النفاة جائزاً في صفات الله القائمة بذاته القديمة بقدم ذاته ، بل إذا كانوا قائلين بهذا التحديد راضين به فلماذا ينكرونه في

الذات لينكروا بانكلره أمرا ثابتا في جميع الكتب المقدسة وعلى جميع السنة الأنبياء
والسنة جميع الملائكة وماذا يعنون ويريدون بقولهم : انه يكون محدوداً اذا ما كان
فوق العرش وفوق الخلق دون الأرض ودون الجهات الأخرى ؟ أينون انه يكون
حينئذ محدوداً بفعل حاد محدد أو جده ذلك الحد المفترض ؟ ان كان هذا أو
نحوه من المعاني الباطلة هو ما يعنونه قيل لهم : كلا ان الله ليس بمحدود على هذا
الاعتبار والتفسير ، ولا يجوز أن يكون محدوداً ، وهذا لا يلزم القول بالاستواء
والعلو . ومن قال ان هذا يلزم هذا كان قائلًا قولاً باطلاً بلا شك ، بل وكان
مصادراً في أصل المسألة ، وكان قوله هذا كأن يقول قائل : اذا كان الله موصوفاً
بصفة ما فلا بد أن يكون غيره أوجدها له . وذلك أن الحد لا يعدو أن يكون صفة
من الصفات ، لأنه في الشاهد هيئة من الهيئات ، وهذا هو حقيقة الصفات . أم
يعنون بذلك أنه يكون حينئذ في السماء وفوق العرش دون الأرض ودون الجهات
الأخرى ؟ فان كان هذا هو ما يعنون قيل لهم : هذا هو حقيقة الدعوى وهذا هو
ما نقوله وما يقوله المثبتون وما جاءت به كتب الله ورسالات الأنبياء كما سبق ،
فما المانع منه ، ولماذا كان القول به باطلاً عندكم ؟ هذا ما لا تجدون له دليلاً يركن
اليه العقل ويأنس به العلم المنافي للجهل

هذا وليعلم أن إطلاق الحد على الله قد ورد عن بعض الأئمة الكبار أمثال
الامام أحمد وأبي حنيفة ، وقد ذكر هذا عنه ابنه عبد الله في كتاب السنة ،
وجاء هذا أيضاً عن عبد الله بن المبارك ، وأطلقه عثمان بن سعيد الدارمي وأشاد به
في كتابه النقض على المريسي من شيوخ الجهمية المعطلة ، وقد جعل الدارمي إنكار
ذلك من أقوال الجهمية ، وجاء هذا عن غير هؤلاء من شيوخ الاسلام المجتمع على
إمامتهم وزعامتهم العلمية والدينية وهم يريدون بالحد ما ذكرناه من أن الله تعالى
بائن عن خلقه بائنون عنه ليس حالاً فيهم وليسوا حالين فيه ، ويعنون أنه فوق

المخلوقات ليس تحت شيء منها وليس فوقه منها شيء وفاق النصوص
فهذه الشبهة لا تخرج عن أن تكون حلقة من سلسلة هذه الشبهات الواهية النظام
التي أرينا القارىء حلقات منها . ومن البلاء أن تردّ النصوص التي لا تدخل تحت
الاحصاء ، وأن تردّ المقولات القاهرة المنادية بماو الله على خلقه ومحوه فوق مماواته
إحتراما لأمثال هذه الأوهام العارضة ، التي تمكن معارضتها بأضعاف أضعافها من
أمثالها . وما كان ممكنا أن تقبل العقول أمثال هذه الأوهام لولا أنه ليس كالعقول
البشرية قبولاً للحق وقبولاً للباطل ، وصعوداً في معارج الكمال ونزولاً في دركات
النقصان . وما ان كالعقول البشرية ثقلياً بين هوى الضلال وتعشق الهداية ، وحيرة
بين داعي الحق ومنادي الباطل . لهذا كان الحق عزيزاً وصاحبه أعز ، وكان
الباطل ذليلاً وصاحبه أذل . وعلى الله وحده قصد السبيل

(الشبهة العاشرة)

قالوا : قد ثبت علمياً أن الأرض كروية الشكل ^(١) وأن الناس يسكنون
سطوحها من جميع جهاتها ، بل والعالم كله كروي الشكل ، فما كان فوق من هم
في أقصى الشرق كان تحت من هم في أقصى الغرب ، وما كان تحت أهل المشرق
كان فوق أهل المغرب وما كان فوق رؤوس من يسكنون أقصى الشمال كان
تحت أقدام من يسكنون أقصى الجنوب . وبالإجمال فما كان تحت أقوام كان
فوق أقوام آخرين . وكل ما كان قابلاً أن يكون في الجهات فلا بد أن يكون
فيها كلها لأجل ما ذكرنا ، فالشمس مثلاً اذا كانت فوقنا معشر الشرقيين كانت
في الوقت نفسه تحت الغربيين ، واذا كانت فوقهم كانت تحتنا ، وهكذا الأمر

(١) قد قال علماء الاسلام بكروية الارض ومن القائلين بهذا ابن تيمية وابن

القيم وابن حزم والرازي وابن الجوزي وابن المنادي وغيرهم

فى جميع الأفلاك العلوية ، ومعنى هذا أنه ليس هنالك جهة ثابتة حقيقية لشيء من الأشياء الموجودة فى الجهات ، وهذا كالكرة مثلاً فإنه ليس لسطحها بالنسبة إليها جهة حقيقية بل كل ما يفرض لها فوقاً يمكن أن يفرض لها تحتاً ، وهكذا ، والعالم مثل هذا لأنه كروى . وحينئذ لو فرض أن الله فوق العرش أو فوق العالم أو فوق السموات لكان معنى هذا أنه فوقها وتحتها ، أو فوق بعضها وتحت بعضها ، ولكان قولنا : إنه فوق العالم مساوياً لقولنا : إنه تحت العالم ، ولجاز أن يقال : أنه تحت السموات وتحت العرش وتحت الخلق ، كما يقال أنه فوق ذلك ، أو لكان ممتنعاً هذا وهذا ، أو واجباً هذا وهذا لما ذكرنا ، كما نقول أن الشمس تحتنا حينما تكون فوق من هم تحتنا فى الجهة المقابلة من سطح الأرض ، وكما يقول من هم تحتنا : أن الشمس تحتهم حينما تكون فوقنا نحن ، وهلم جرا . ولكن القول بأن الله تحت خلقه أو تحت بعض خلقه قول باطل بالاتفاق بين نفاة الاستواء ومثبتيه . والقول الذى يلزمه هذا الباطل باطل ، فالقول بأن الله فوق العرش أو فوق الخلق باطل لأجل ذلك . قالوا وذلك أننا نعلم أن المثبتين لعلو الله على خلقه لا يجوزون بوجه من الوجوه القول بأنه تعالى تحت المخلوقات أو تحت شيء منها لا العرش ولا غيره ، كما لا يجوزون أن يتجه إليه عباده فى جهة غير جهة العلو والسماء . قالوا ولأجل هذا - ولأجل هذه المقدمات الضرورية المسلمة بالإجماع - ذهبنا إلى إنكار علو الله ، واضطرتنا هذه المقدمات الصحيحة إلى هذه النتيجة الصحيحة اضطراباً لا استطاع عقلاً ونظراً الانفكاك منه بحال من الأحوال . فalcائلون إذن بالاستواء والعلو غالطون خارجون على قضاء هذه الحقائق الصريحة الصحيحة

قلت هذا خلاصة هذه الشبهة ، والجواب أن يقال : إن بعض أجزاء هذه المقدمات غير صحيح وبعضها صحيح ، ولكنها على كل حال لا تؤدى إلى هذه النتيجة التى هى إنكار علو الله واستوائه على عرشه . وبيان ذلك أن يقال : أن علم العقلاء

اليقيني بأن كل موجود لابد من أن يكون في إحدى الجهات لا انفكك ولا مهرب
 آيين وأثبت من علمهم هذه المقدمات ثم علمهم إنتاجها هذه النتيجة القاضية بنفى علو
 الله على خلقه ، ثم علمهم لزوم هذه النتيجة لهذه المقدمات ، فالعقلاء يعلمون أن الموجود
 - قديما كان أو حادثا - لا يمكن أن ينفك عن أن يكون في إحدى الجهات من
 الموجودات الأخرى إذا افترض وجود موجودات أخرى أعظم وأثبت من علمهم
 أن الموجود الكائن في إحدى الجهات - كالعالم مثلا - لابد أن يكون فوق وتمت
 وفي كل الجهات أو لابد أن يكون فوق شيء تحت شيء آخر ، بل العقلاء يعلمون
 أن الموجود من حيث هو موجود لا مناص من أن يفرضوه في إحدى الجهات من
 الجهة التي هم فيها ، ولا يمكن أن يعلموا موجوداً أو يفرضوه دون أن يعلموا فوراً
 أنه لابد أن يكون في إحدى الجهات . أما علمهم أن ذلك الموجود - إذا كان في
 إحدى الجهات ، فلا بد أن يكون فيها كلها ، أو أن يكون في جهة بالنسبة إلى قوم
 وأخرى بالنسبة إلى آخرين ، إن أمكن أن يعلموا ذلك - فلم نظري مكتمسب
 قائم على مقدمات يطول فيها النزاع والاختلاف ، وجاهير الناس اليوم وفي كل
 يوم يعلمون أن الموجود هو وإحدى الجهات لا ينفك عن ، ولكنهم يجهلون هذه
 المقدمات التي أريد بها نفي العلو جهلاً تاماً واضحاً - بل لو عرضت عليهم هذه
 الأشياء وذكرت لهم ، ثم طلب منهم الإيمان بها لردوها وأنكروها ، ولما استطاعوا
 أن يدركوها فيصدقوها ، بل ولم يجوبوا من المسلمين بها القائلين ، لأنها لديهم أشياء
 باطلة وفلسفة واهية

وإذا علم هذا قيل : اتنا لو أنكرنا علو الله واستواءه على عرشه - قائلين انه
 لا فوق ولا تحت كما يقولون فراراً من هذه الشبهة - لكننا غالطين غلطاً فاحشاً .
 وذلك أننا نكون حينئذ قد أبطلنا الأمر الضروري اليقيني ، الذي هو أن الموجود
 قديما كان أو كان حادثا لابد أن يكون في جهة ، فراراً من الاصطدام بالخطأ

النظري الظني الذي هو ان ما كان في جهة من الجهات فلا بد أن يكون فيها كلها ، أو أن يكون في جهة بالنسبة الى قوم وفي أخرى بالنسبة الى آخرين ، ثم فراراً مما في هذا المعنى من الخطأ والضلال . ولكن الذي عليه العقلاء في جميع المصنوع والاعم بلا خلاف أن الامر الضروري لا يطله الامر النظري الظني ، وأن الحقائق الثابتة بالضرورة لا تدفع هروبا من الوقوع في خطأ نظري ظني . فمثلا العلم بأن المفعول المحدث الكائن بعد عدم لا محالة من أن يكون له فاعل محدث خالق وهبه صفة الوجود والظهور علم ضروري تلتقي على تصديقه والاذعان له جميع العقول والأذهان بلا تواطؤ ولا مبالاة ولا ادارة نظر أو احتمال فكرة لا قرينة ولا بعيدة ، فلو أراد مرید أن ينازع هذا العلم الضروري ، وأن ينتزعه من العقول بما استطاع وبما يمكن أن يستطيع من المعارضات والشبه التي قد نهوى اليها بعض الرؤوس ، والتي قد تحتل زوايا بعض الأذهان الرخوة الضعيفة إزاء كل داع ودعوة ، والتي لا بد أن تكون نظرية باطلة واهمة ، لكان هذا المرید غالطاً غلطاً جلياً ، ولكان جميع ما يدلى به من الشبهات والمعارضات باطلاً بلا تعرف لكان بطلانه وموضع خله سوى أنه يراد به إبطال أمر ضروري ، والأمور الضرورية لا تبطلها النظريات وإلا لبطلت الضروريات والنظريات ، إذ ما من أمر نظري إلا ولا بد أن ينتهي الى ضروري يسلمه الجميع ، فالضروري قاعدة النظرى ، والنظرى فرع له ، والفرع كما يقولون لا يقدح في أصله وقاعدته وإلا لبطل الأصل وفرعه

وكذلك نعلم بالضرورة أن الامر الواحد المعين للشخص لا يمكن أن يكون في زمن واحد في مكانين مختلفين محتلا لذيئك المكانين بذاته الواحدة المينة للشخصية ، فكل ما يورد على هذا العلم الضروري من الشبهات لا تتردد في ردها ورجعها على قائلها ، لأنه يراد بها القدح في شيء اجتمعت العقول كلها على علمه والاعتراف به والتسليم له بلا تواطؤ ولا مبالاة ولا احتمال فكرة . وهكذا يقال في

أمثال هذا من الحقائق الانسانية المجتمع عليها

وكذا يقال : ان العقلاء بل وغير العقلاء يملكون يقيناً بلا تواطؤ ولا بمالأة أو تواص أن الوجود من حيث هو موجود - ويستوي في ذلك القديم الواجب الوجود، والحادث الجائز الوجود - لا بد أن يكون في جهة من المتصور وجوده المسلم بوجوده ، ولا يمكن بداهة أن يقول قائل : ان هذا أو ذلك موجود الا ويثب ذهنه فوراً الى جهة من جهاته يتلمس وجود ذلك الموجود ويتطلب الاتصال به أو الانفصال عنه . ولن يقول قائل سليم العقل - ولا أغنى سليم العقل من الضعف والمرض ، بل سليم العقل من الدعايات المدخولة البلاء - : الله موجود إلا ويحاول ذهنه الوثوب الى جهة من الجهات أو الى كل الجهات متمسكاً بذلك الموجود ولن يقول قائل : يا فلان أو يا من اسمه كذا وصفته كذا ، الا ويتحرك ذهنه إلى جهة من الجهات التماساً لذلك المدعو المتهوف باسمه وصفته . هذا ما لا شك فيه بين العقل والمنطق ذى المقدمات المتزعة من الواقع المشهود ، والاجماع الانساني الموروث الذي يتغير في هذا الوجود ما يتغير وهو حيث هو ثابت مكانه لا يتحطل ولا يزول

وإذن فكل ما يورد على هذا العلم لا يمكن الا أن يكون باطلا ، لأنه قدح في الضروري ، والضروري - كما قلنا - لا يتحمل القدح ولا يقبل القدح فيه بوجه من الوجوه ، لأن للبشر علوماً ومدارك ثابتة لا يمكن أن تنتزع ، ولا يمكن أن يتغير فيها الحكم والعلم مهما تغير الزمان وأهل الزمان ، وذلك العلم والحقيقة التي هي أن الوجود لا يتصور الا أن يكون في احدى هذه الجهات المألومة للبشر أحد هذه العلوم والمدارك البشرية الثابتة التي هي احدى قواعد وأساس المدارك الانسانية التي تلتقي عليها جميع الأذهان في جميع العصور والبيئات المختلفة . فلو أنك سألت إنساناً ما في أقصى الشرق ، ثم سألت آخر في أقصى المغرب عن هذه المسألة لما

خفرت باختلاف بينهما ، وان كان بينهما من الاختلاف في أمهات المسائل الاجتماعية والدينية والأدبية مقدار ما بين وطنيهما المشرق والمغرب من الأبعاد والمسافات . وقد قام قائلون منذ قرون عديدة يعالجون هذه الضرورة علاجاً شديداً ويحاولون أن يقتنعوا أنفسهم أولاً ، وأن يقتنعوا غيرهم من الاتباع والمخالفين ثانياً بأن ربهم ليس منهم قريباً ولا بعيداً ، وأنه ليس بمتصل بهم ولا منفصل عنهم ، وأنه لا يمكن الإشارة والاتجاه إليه بحال من الأحوال مستعنيين بما نبغوا فيه وفي حذقه من صناعة الجدل ، وصناعة السفسةطة ، وصناعة التهريج المضل ، واضعين ذلك في كتب ضخمة معروفة بذلوا فيها غاية جهدهم وغاية جهد الإنسان وما أوتيته من نبوغ وذكاء ومهارة ، ولكنهم رجعوا كما بدأوا وانتهوا حيث ابتدؤوا ، ثم نظروا فإذا هم لم يخرجوا من هذا المعمان الأبقيل وقالوا واعترض وأجيب . أما الحقيقة فهي باقية كما كانت ، وكما سوف تكون كذلك أبداً وإلى النهاية ، وأما أنفسهم فكانت أيضاً كما كانت وكما سوف تكون أبداً وإلى النهاية ، لا تعترف إلا بالحقيقة ، ولا تخضع في هذه المسألة إلا لما لا يمكن الاغفلت من الخضوع له . أما ما قالوا وما كتبوا فانه لم يعد نطق الأوراق ، ولم يكن إلا غباراً لحرب شعواء يمشوها على الحق أولاً وعلى الأهل والاخوان ثانياً انخداعاً بأقوام ما كانوا قط شرفاء ، واتباعاً لأهواء ما كانت قط صالحة بارة . ومثل هذا لا يمكن أن يكون في مقدوره إطفاء نار الحق ونوره

ومن العجيب أن هؤلاء الماكنين بهذا التعطيل لم يستطيعوا إخفاء الحق بجوارحهم إذ استطاعوا إخفاءه ونكرانه بالسنتهم فان واحداً من هؤلاء المنكرين لم يستطع أن يمل هذا الإنكار على شيء من جوارحه سوى لسانه . أما بقية أعضائه فهو عاجز وكل شيء عاجز عن املاء هذا الكذب عليها . ألسنا نجد أشد هؤلاء الحاجة وإنكاراً وتعطيلاً قلبه يذاه وعينه وجهه جسمه على هذا كله وعلى ما قال

وما كتب في حياته كلها . فنجد عينيه تشخصان الى السماء ، ويديه ترتفعان حيث تلمس المقول بارثها غاية كل شيء ؟ ألسنا نجد جسمه كله عند ثورة الارض به يريد السمو والسماء . لا يريد غير ذلك ليهرب الى الله من الارض وأهلها ، ومن كذب الارض وكذب أهلها ، ومن هذه الكذبة الاعتقادية التي وضعها غير الحق على لسانه ؟ ألسنا نجد الناس جميعا المنكرين والمؤمنين قد اتفقوا على هذا بأفعالهم حينما يرغبون أو يرهبون ناسين كل ما قالوا وكل ما كتبوا ؟ ومن غريب ما في الانسان أن تجد من ينكر استواء الله وعالوه يسمو بصره الى السماء حينما يقول لك إن الله ليس في السماء ! كأن بصره وطبعه أيما الا تكذيب لسانه في جميع حالاته أفلا ترى في هذا كيف يستخلص الحق من الباطل ! وكيف تبقى للحق أعلام يهتدي بها المهتدون وان جهد الباطل كله على طمس أعلام الحق كلها ! بل ألسنت ترى أن الحق أوضح ما يكون وألمع ما يرى حينما تحيط به ظلمات الباطل وحنادسه الكثيفة ! أفلمست تجد في هذا كله مقنعا بأن كل ما يعارض علو الله واستواءه على عرشه باطل باطل ، وضلال ضلال ؟ أما اذا حاول المعطلون المخالفون الا فلات من هذا الالتزام وهذا العلم الضروري الناضج بمحاولة من محاولاتهم المولومة . كأن يقولوا مثلا : ان الموجود - وان كان من حيث هو موجود لا بد أن يكون في إحدى الجهات كما تذكرون - بيد أنا نستثنى من هذا القانون العام الشامل الله رب العالمين . لأنه ليس كالموجودات فلا يشملها قانون عام يشملها كلها بضرورة مخالفتها إياها في الصفات وفي ما يجوز وما يجب وما يتمتع فهو - وان كان لا يعقل موجودان البتة إلا ولا بد أن يكون أحدهما في جهة من الموجود الآخر - فאלله ليس كذلك لأنه ليس كمثل شيء : ان حاول المخالفون المعطلون الا فلات مما ذكرناه من الالتزام بهذا قلنا جوابا عن هذه المحاولة : إن صح لكم هذا المذهب في هذا المهرب صح لنا جماعة أهل الاثبات المسكين بالنصوص الشرعية أن

نجاب عن هذه الشبهة التي أقيمت على علو الله واستوائه بهذا الجواب الذي اخترتموه بأن نقول مثلاً : هذه الشبهة التي أقيمتوها على الاستواء والعلو بنظرية كروية الأرض والعالم - وإن كانت ترد على كل موجود يكون في إحدى الجهات لا ترد على الله وعلى علوه واستوائه ، ولا يصح أن ترد ، وإن وردت على المخلوقات كلها ضرورة مخالفتها إياها في الصفات وفي ما يجب وما يجوز وما يتمتع فالله ليس كمثل شيء لافي علوه واستوائه ولا في غير ذلك من الصفات ، وحينئذ فكل ما يورد على جوابنا يورد على جوابكم ، وكل ما تمحيبون عنه بهذه الطريقة نجاب عنه نحن بالطريقة أيضاً نفسها سواء مثلاً . فتتكافأ الشبهتان على أقل الاحوال وساعتئذ لا يبقى إلا الرجوع الى دلائل أخرى فترجع الى نصوص الاديان فنجدها متفقة أعظم اتفاق على استواء الله وعلوه بلا خلاف . فلا يبقى إلا الايمان بالاستواء والعلو على جميع الافتراضات والاحوال ، وهذا هو المطلوب . هذا ما يقال في جواب هذه الشبهة أولاً

ثم يقال ثانياً : ان الذي نقوله نحن وندعيه هو أن الله مستو على عرشه على خلقه كما جاءت بذلك النصوص المتواترة في الكتاب والسنة . لا يزيد على هذا ولا تنقص منه ، ولا نتقدمه ولا نتأخر عنه . فإن كان هذا القول وهذا الاعتقاد شيء مما ذكره المعارضون في هذه الشبهة فهو حق يلزم المصير اليه والقول به . لأن ما يلزم الحق لا يمكن أن يكون باطلاً ، ولأن ما يقضى به الحق لا يصح القضاء بخلافه ، والحق لا يمكن أن يلزمه الباطل ، وإلا لو لزمه لما كان من الحق في شيء يقينا والصحيح لا بد أن يكون صحيحاً بنتائجها ولو ازمه وكل ما لا ينفك عنه فإن كان حقاً ما ذكره في هذه الشبهة من أنه يلزم استواءه على العرش - مع كون الأرض كروية الشكل ، وكذلك العالم أجمع - أن يكون تعالى محيطاً بالخالق محيطاً بكل شيء لم يبق هنالك مانع عقلي أو نقلي يمنع من المصير الى هذا ، وينم

من القول بأنه محييط بالعباد وبالحلائق أجمعين إحاطة تليق بذاته وصفاته وجلاله لا كما يحيط المخلوق بالمخلوق تعالى الله عن ذلك وعن شبه المخلوقات ، وقد جاءت النصوص دالة على إحاطته كما ذكرنا قال الله « وكان الله بكل شيء محيطا » الى آيات أخرى معلومة في هذا المعنى ، ولكن يلزم أن يرعى في هذا رفع التشبيه والمبالغة في التنزيه ، كما يلزم هذا المعنى في جميع صفات الله وجميع شئونه الظاهرة والباطنة وإذا رعى هذا وحفظه المثبتون انقطع لجأج المنكرين الجاحدين وخصامهم وشغبهم وشبهاتهم

وكذلك ان كان يلزم علوه على خلقه واستواءه على عرشه وفاق النصوص المتواترة أن يكون فوق بعض المخلوق وتحت البعض الآخر بالنحو المذكور في قاطبة الشبهة وجب القول بهذا ولزم المصير اليه إذعانا وتسليما لا اعتراض ولا ممانعة ولم يكن في هذا المعنى نقص ما . فان هذا بالصفة المذكورة في الاعتراض ليس فيه ما يؤني وينكر ، والناس اذا فهموا في صفة « التحت » نقصا أو ضعفا أرادوا به « التحت » المهود لهم وللعامية في الاصطلاح العام الساذج . لا التحت الذي عنوه بهذه الشبهة ، فان هذا تحت من نوع آخر لا نقص فيه ولا ضعف . ومن ذا مثلا يستطيع أن يفهم في الشمس نقصا أو ضعفا اذا قيل : انها تحت الأرض وأهل الأرض على النحو المذكور في الشبهة المذكورة في طائفة هذا الكلام . وليس من ريب أن القول بالتمثيل الذي ينتحله هؤلاء النفاة من أنه لا فوق ولا تحت ولا قريب ولا بعيد أقرب الى الاستحالة والبطلان والنقص والضعف من القول بالاستواء والعلو وان لزم هذا ما ذكره . هذا ما يقال ثانيا

ثم يقال ثالثا : ان هذه الشبهة فاسدة باطلة من أساسها ، ذلك أن كلمة « فوق » وكلمة « تحت » كلمتان اصطلاحيتان عرفيتان تواضع الناس على اطلاقهما ليعبرا عما يفهمه عامة العارفين بالالفة منهما عند الاطلاق المجرد ، وليس للعقل الفلسفي والمنطق

الفنى تصرف فى ذلك البتة ، فلو أريد بكلمة « التحت » ما يراد بكلمة « فوق » وأريد بكلمة « فوق » ما يراد بكلمة « التحت » لما نازع ذلك العقل ولما وجد فيه مكانا ومساغا للاعتراض والمواقفة ، وذلك أن مثل هذا ليس من خصائص العقل ولا من وظائفه ، وكذا أمثاله مما مرده الى العرف المجرد الخاص أو العام ، فما معنى كلمة « فوق » وما معنى كلمة « تحت » ؟ وعلى ماذا يدلان عند عامة أهل اللغة واللسان ؟ ان الجواب عن هذا السؤال هو الفصل فى هذه المسألة

لا ريب أن الأرض تحتنا - سواء ارتكزنا عليها بأرجلنا أم اتجهنا اليها برءوسنا أو جنوبنا أو ظهورنا أو غير ذلك من سطوح أجسامنا ، ولا ريب أن السماء فوقنا سواء اتجهنا اليها برءوسنا أم بأرجلنا أم بأية ناحية من نواحي أبداننا ، إذن فالفوق ليس هو ما يلى رأسك ، والتحت ليس هو ما يلى رجلك ، وليس أحد هذين المعنيين هو ما يلى سطحا معينا من سطوح جسمك ، وهذا كما رأيت فى مثالى السماء والأرض ، فما الفوق وما التحت إذن ؟

لا شك أننا نحس أجسامنا تهوى الى الأرض وتريد الانغماس فيها ، ونضطر الى ذلك اضطرارا لا حيلة لها فيه ولا فى دفعه ورفعه ، ثم نحس أنه لولا صلابة الأرض ورفعها إيانا لتجلبجنا فى أحشائها ولذهبنا فى بطنها الخفيف المظلم ، وبمباراة أخرى نحس أنه لولا ما وهب الله الأرض من القوة والأيدي على دفننا ورفعنا لابلتمنا ولا تنفسنا فى قلبها الى قرار معلوم لا يمدى

هذا هو ما نحسه نحو الأرض التى نقول أنها تحتنا ، والتى هى تحتنا حقيقة

ولا شك

ثم ان أجسامنا تأبى الاتجاه على كل الحالات الى السماء وتعالى ما تعانى فى محاولة الدنو منها والوصول اليها مهما خفت أجسامنا ومهما ثقلت ومهما وضعت واتجهت . هذا ما نحسه نحو السماء التى نقول أنها فوقنا والتى هى فوقنا ولا شك .

ونحن اذا ما امتطينا أجنحة العلم فخلقنا في الهواء على متن طائرة كانت الارض تحتنا والسماء فوقنا مهما اتجهنا ومهما ذهبنا . وكذلك كل ما هو فوق الارض من هواء وسحاب وخلائق أخرى ، فالسماء فوقه والارض تحته كيف كان وكيف عرض واتجه ، فما هو الفوق والتحت إذن ، وكيف يعرف هذان من هذه الامثال المذكورة ؟؟

اتنا اذا امتحننا ما ذكرناه جيدا وسبرناه حقا ظهر لنا ان التحت هو الجهة التي نجذب أجسامنا مدفوعة نحو الانحدار اليها والهوى فيها والارتكاز عليها ، أو بعبارة أخرى ان التحت هو الجهة التي تجذب اجسامنا جذبا وتجرها اليها جرا طبيعيا دائما كما نجذب نحو الارض التي هي تحتنا بلا شك ، وظهر لنا أيضا أن الفوق هو الجهة التي نجذب أجسامنا بطبيعتها تآبي الاندفاع اليها والذهاب نحوها دائما وعلى كل حال كما نجذب نحو السماء التي هي فوقنا بلا شك . إذن فالتحت هو الجهة الجاذبة والفوق هو الجهة المضادة لذلك ، وإذن فالسماء فوقنا وفوق أهل الأرض كافة سواء أ كانت محيطة بالأرض من جميع الجهات أم كانت غير ذلك ، وذلك أن أهل الأرض أينما كانوا فالسماء كائنة منهم في الجهة المضادة للجهة الجاذبة التي هي التحت ، فالسماء فوق جميع من هم فوق سطح الأرض لأنهم حيثما كانوا - في الشرق والغرب والشمال والجنوب والجهات كلها - يمدون أنفسهم في الجهة التي حيث تكون السماء منها فوق على النحو الذي ذكرناه من جهة الجذب وضده . ولو أن هابطا هبط في جوف الأرض حتى المركز الذي ينتهي عنده الجذب لكانت السماء فوقه من الجهة الأخرى ، أي من الجهة التي هبط نحوها مجذوبا بمركز الأرض . ولو أن انسانين هبطا الى المركز من جهتين متقابلتين - كالشرق ومثلا والغرب ، حتى التقت أرجلهم وتلامست - لما كان أحدهما فوق الآخر ولا تحته لأجل ما ذكرناه من معنى للفوق والتحت ، واذا كان الهابط من جانب ساحة الأرض الشرقى نحو مركزها

(٦٠٣)

حتى وصله فعلا لا يقال له ان سطح الأرض الغربي الذي نزل نحوه تحته عندما يصل
المركز فيكون مما يلي رجليه فكيف يقال ان أهل المشرق تحت أهل المغرب مثلا
إذا ما افترضنا الأرض كروية وكانت كذلك وأن أهل الجنوب تحت أهل
الشمال ؟ ان هذا مالا يكون وما لا يصح ، وكيف يصح هذا وهو لو صح لكان
أهل المشرق تحت أهل المغرب ، ولكان أهل المغرب تحت أهل المشرق ، وأهل
الجنوب تحت أهل الشمال ، وأهل الشمال تحت أهل الجنوب ؟ وهذا باطل ، لأن
الشيء اذا كان تحت شيء كان ذلك الشيء فوقه لا تحته ، وأما أن يكون هذا
تحت هذا وفوقه فأمر باطل كاذب ، وليعتبر هذا المعنى بالأشياء الكروية الهيئة
كالبيضة والبطيخة مثلا ، فانهما كرويتا الشكل ولا يقال لهما ان هذا السطح تحت
هذا السطح وأن هذا فوق ذلك ، بل يقال ان سطحهما هو الأعلى من جميع الجهات
وعلى هذا فاذا توم متوهم أن الشمس تكون تحتنا نحو نصف الليل كان غاملا
ظلمة واضحا ظاهرا ، وذلك أن الشمس في تلك الساعة التي يتوهم الوهم فيها أنها
تحتنا هي فوق أهل الأرض الذين يحسبون تحتنا في سطح الأرض المشرق المقابل
واذا كانت فوق من هم تحتنا على النحو المذكور فكيف يقال انها تحتنا ؟ بل هي
فوقنا كما هي فوقهم في جميع الأوقات والحالات ، وقد ذكرنا أن من هبط الى
مركز الأرض حتى وصله لا يكون ما بعد المركز تحته ، فكيف يكون تحته ما بعد
المركز وما فوق المركز ؟ واذا ما افترضنا السموات ، أو شيئا آخر غير السموات
كرويا مثل القبة ، ثم افترضنا وجود شيء في مستوى الدائرة دائرة القبة كانت
القبة فوق ذلك الشيء من جميع الجهات ، ولم يكن شيء من سطوح القبة المجوفة
تحت ذلك الشيء الموجود في دائرتها ، وكان كل من وقف فوق سطح ذلك
الشيء يرى القبة فوقه ويشير اليها اشارته الى السموات والعلويات ، فالسماء فوق
الأرض ومن عليها مطلقا وعلى جميع الحالات والاعتبارات ، وكذلك الاجرام التي

ينظر إليها من عل هي فوق الأرض وأهلها على كل حال . وإذا علم هذا جيداً قيل
فإنه الذى هو فوق كل شيء ، والذى له الملو المطلق التام على كل شيء فى الأرض
أو فى السماء . ليس هو تحت شيء وليس فوق شيء دون شيء ، بل هو القاهر
فوق عباده عليهم وسفليهم وهو العلي الأعلى . وكل عبد يتجه اليه تعالى أينما كان
ويضرع الى مقامه العلى من جهة السماء وجانب الملو لا من جانب السفلى والأرض
فهذه الشبهة باطلة على كل الأحوال . هذا ما يقال ثالثاً

ثم يقال رابعاً : ان هذه الحجة واردة على الموجود من حيث هو موجود
لا على العلى من حيث هو على ففى - ان كانت صحيحة - واردة على البارى لأنه
موجود لا لأنه فوق الخلق والعرش ، وذلك أن يقال : الله موجود ، والموجود اما
أن يكون فى جميع الجهات واما أن يكون فى جهة دون الجهات الأخرى ، ولكن
لا يمكن أن يكون فى كل الجهات لأجل ما ذكرناه ، ولا يمكن أن يكون فى جهة
دون الجهات الأخرى لأجل ما ذكرناه أيضاً وذكره هم فى الشبهة . ولا ريب
أن ورود هذا الاعتراض على الموجود لأنه موجود أوضح وألزم من وروده على
المستوى والأعلى من حيث هو مستو وأعلى . ولا يمكن أن ترد الشبهة على الاستواء
والموئم لا ترد من الوجود والامتياز . فمن استطاع أن يعلم موجوداً ليس فى جهة
من الجهات وليس عرضة لذلك استطاع ولا شك أن يعلم موجوداً مستويا عالياً
وليس عرضة لهذا الاعتراض ، ومن لم يستطع أن يعلم مستويا عالياً ولا بد أن
يخلص اليه هذه الحجة لم يستطع أن يعلم موجوداً ما يمكن أن يخلص من هذا
الاعتراض . فالاعتراض - ان كان صحيحاً - وارد على كل حال سواء أقيـل ان
الله فوق الخلائق مستو على العرش أم قيل غير ذلك . فانكار الاستواء والمو
لا يدفع الشبهة ، والايـمان بالاستواء والمو لا يزيد الشبهة قوة وصحة كما ذكرنا
وحيث لا معنى لانكار الاستواء هرباً عما لا مهرب منه . فوجب الايمان بما دلت

عليه النصوص من علو الله واستوائه على عرشه وخلقه ، وسائر الصفات الثابتة
النصوص ، وبهذه الأمور الاربعة خلصت صفة الاستواء والعلو من هذه الحجة
المقامة على مسئلة كروية الارض والعالم

هذه شبهات عشر طالما صال بها المعطلون على استواء الله وعلوه قد أرينا
القاريء لهذا الكتاب حقيقة أمرها ومقدار حظها من الضعف والخلل والركالة
وقد وضعنا أمام كلتا عينييه البراهين على أنها شبهات داحضة كاذبة ، وعلى أنها
لا بد أن تحترق عند اصطدامها بأول لفحة من لفحات المنطق الصحيح المؤلف من
الواقع ومن المعقول الصريح والمنقول الصحيح

وهذه الشبهات العشر هي أفضل مامع المعارضين علو الله وأقوى مافي أيديهم
من سلطان وحجة يصولون بها على النصوص المتواترة في جميع كتب الله قديمها
وحديثها ، وعلى الفطر البشرية التي لا تختلف ولا تضل مجتمعة متفقة
وإذ قد كشفنا الغطاء عن هذه الشبهات ، وعريتها من بهارج الخداع والضللال
وأسمال الباطل البالية ، وألبسناها لباسها الحقيقي القوي هو بخار الاغلاط وغبار
الجدل الآثيم ، وزينة الشيطان المضل . فلا نرى بنا ولا بالقاريء الكريم حاجة الى
غيرها مما مرده الى هذه الشبهات العشر . على أن كل ما يجده المؤمن الفطين في
سبيله الى عرفان الحقيقة ولقاء الحق من عقبات ومعارضات يستطيع أن ينتضي عليها
حسناً قاطعاً وينزع سلاحاً حاداً من صميم ما ذكرناه هنا . أما هذا المؤلف
الشيخي فانه لم يذكر شبهة واحدة من هذه الشبهات ولا من غيرها على ما قال وعلى
قدحه في النصوص وقدحه في المؤمنين بها . بل رجي بها دعوى خزبي متمثلة
بصخرات الحق القوي الصلب . فما ذكرنا هنا من هذه المباحث والمعارضات
والاجوبة عنها . ليس جواباً ولا دفعا لما كتبه هذا الرجل في كتابه هذا . لأنه
لم يأت بشيء من ذلك . وانما هذه حقائق عليا تقدمها لمن يقرءون كتابنا ممن

قدر لهم أن يثبوتوا . أو سوف يقدر لهم ما لا أن يثبوتوا يعض هذه المزالق العلمية
الاعتقادية التي خطت بأقلام لم يرد الله أن يذيقها طعم الحقيقة ، ولا أن يسبق لها
شراب الاطمئنان والايان الشبم

أما ما يزعمه بعض الناس من أن هناك نصوصا دينية يصح أن تؤخذ براهين
على انكار استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه ، فليس لدينا من جواب لهذا
الزعم سوى أن نطلب الى القارىء أن يرجع الى الكتاب والسنة ويتقاصها آية
آية وحديثا حديثا ، فان وجد آية واحدة أو حديثا واحدا تقول أو يقول ان الله
ليس فى السماء وليس على العرش ، أو نحو ذلك من أنواع الدلالات ، فكل
ما كتبناه باطل عاثر ، بل ان لم يجد الكتاب والسنة بالجملة دالين أنواع الدلائل
على ما تقول فانتا راجعون عن جميع ما قلناه فى هذا الباب من الحجج والبيانات .
ولكن هيات هيات لما يزعمون ولما يحاولون ويقولون ١١

مذاهب السلف فى علم الله واجماعهم عليه

وأما قول هذا الرجل : ان أول من زقا بعلم الله هو ابن تيمية . ثم تبعه
الوهابيون . فالجواب أن يقال :

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم
لا ريب أن هذا القول وأمثاله من أعظم المآسى العقلية الدينية ، بل ان هذه
الأمور ونظائرها من المصائب التي شاء الله وهو الفاعل لما يشاء أن تكون جرحا
بالدوام فى صميم الانسانية ومكان الشرف والفور منها لا يلتئم على رغم
ما يديه الانسان من ضروب الذكاء والدهاء والمعارف المبتكرة المفرورة ، وانى
وأيم الحق لا أعلم بماذا أعلل هذا الانتحار العلمى الدينى الذي ينساق اليه هذا الرجل
بخطا واسعة حثيثة ١ ولو أن رجلا لم يعلق بأسباب العلم أو لم يحترف صناعة العلم

(٦٠٧)

ادعى هذه الدعوى لكان عندنا وعند العلم من المؤمنين المأخوذين بما قالوا ، فإذا قول ويقول العلم في رجل يدعى هذه الدعوى بمد أن اشتغل بالعلم مدة أعمار رجال ؟ من المستبعد أن يكون مرجع هذا هو النقصان العلمي ، ومن المستبعد أيضا عند من لم يلم بأمراض الانسانية أن يكون مرجعه الانحدار في هوة الهوى السحيقة التي لا قرار لها عن رضا واختيار

لا يدري أن الناس سبقوا شيخ الاسلام ابن تيمية الى القول بهذه المسألة وتقريرها وهتك حجاب من أنكرها من الجهمية المعطلة واخوانهم الثائمين الخيري هذا مصيبة على العلم وعلى المشغولين بأسباب العلم ، هذا ان كان لا يدري ، وأما ان كان يدري هذه الحقيقة الاعتقادية العلمية ، ويدري مكانها من الحق والواقع والعلم والعلماء فاختر أن يلقي عليها حجاب الانكار والجحود انسياقا مع الهوى ، وامتناناً للعلم واستهانة بالقراء ، وانتقاماً من العلماء الأبرياء ، ثم استهتاراً بأمراضه ، ونسياناً لحسابه والموقف بين يديه لثواب والعقاب فالمصيبة أعظم وأجل ، وهما أمران أحلاهما مر

يقول المجتهد الشيعي ان أول من زقا - أي نادى - بلوا لله واستوائه على عرشه هو شيخ الاسلام ابن تيمية النابغ في القرن الثامن الهجري ، ثم قلده من قلده من تلاميذه وأتباعه !

ونحن نقول له : لا والله لم نصب أيها الشيخ المحترم ولم ترشد ، وأسفاه ! بل قول بالبرهان والاثبات : لقد سبق ابن تيمية وأتباعه ومن جاؤا بعده الله رب العالمين في كتابه العزيز في آيات بينات خالافات يمز علينا احصاؤها الآن ، ويعرف هامة المسلمين - بله - الخاصة - الشيء الكثير الكافي منها . ومن هذه الآيات الخالافات قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » وقد جاء هذا اللفظ في سور ذات عدد من كتاب الله . ومن هذه الآيات البينات الخالافات قوله تعالى : « بل

رفعه الله اليه » وقد جاء معنى هذه الآية في غيرها من السور المحكمة ، ومن هذه الآيات البيّنات الخالدات قوله تعالى « تخرج الملائكة والروح اليه » ومن ذلك قوله « أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض » الى غير ذلك من الآيات البيّنات الخالدة المنادية بملو الله واستوائه على عرشه ، وقد ذكرنا أطرافا كثيرة من هذا النوع آنفا

واقعد سبق أيضا ابن تيمية وأتباعه والوهابيين الى ذلك محمد بن عبد الله عليه صلوات ربه وتحياته المساطلة ، وهذا في ما لا يجمعه جامع من أقواله الصحيحة الصريحة المعلومة . وقد جمع من ذلك الحفاظ ، حفاظ السنة كتبها خاصة كبيرة ، كما فعل الحفاظان الذهبي وابن القيم في كتابيهما « الملو » و « اجتماع الجيوش الاسلامية » وفي هذين الكتابين الشيء الكثير المقتنع كل من جانب المولى ، وهذا أشهر وأظهر من أن تضرب له الأمثال ويدل على وجوده بالاحاد

ومن ذلك الحديث المشهور ، أعنى حديث الجارية التي قال لها رسول الله : « أين الله ؟ » فقالت : في السماء ، فقال رسول الله لمولاه : « اعتقها فانها مؤمنة » وقد عد الحفاظ الذهبي في كتاب الملو هذا الحديث من الأحاديث المتواترة ، وقد أسند له طرقا وأسانيد كثيرة . ومعنى هذا الحديث في الأحاديث النبوية أنه حيحة أعظم من أن تضرب له الأمثال أو يدل على صحته ومكانه . والمخالفون أنهم لا يخالفون في هذا ، ولكن الخلاف بيننا وبينهم في التأويل والتفسير ، فهم يدعون ذلك ويدعون إمكانه ، وأما نحن فنرفضه ونأبى إمكانه لغة وشرعا وعقلا وقد ألمعنا الى هذا في ما غبر من الكتاب

ثم لقد سبق شيخ الاسلام ابن تيمية وتلاميذه والوهابيين الى ذلك جميع الصحابة ومن بعدهم من التابعين ومن بعدهم من أعلام السنة الذين وقفوا عندهم الامامة والزعامة الاسلامية والعلمية ، أمثال الأئمة الأربعة ، وأمثال شيوخ الحديث

وجهاً بذه وقاده ، نظراء البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي
والآخرين ، وغيرهم وغيرهم كما سوف ننقل ذلك من مصادره الصحيحة الموثوقة ،
والشيعة يعترفون بهذه الحقيقة ويعترفونها لطاء السنة ويقدمون فيهم لاجلها .
ويضيفونها الى معانيهم المزعومة المدودة في كتب القوم ، وقد ذكر هذا ابن المطهر
الحلي الشيعي في كتابه الذي ألفه في الامامة وفي القدح في الصحابة وفي الخلفاء
الراشدين خاصة ، ثم القدح في جميع المسلمين الذين لا يرغبون في الانتماء الى الشيعة
والى آرائها الخاصة الخاطئة ، وهذا الكتاب هو الكتاب الذي قضه عليه شيخ
الاسلام ابن تيمية بكتابه الكبير « منهاج السنة » وذكر ابن المطهر هذا في كتابه
هذا أن من الدلائل على بطلان مذاهب أهل السنة وفساد أمرهم الاعتقادي قول
طوائف منهم ومن أئمتهم بعلو الله واستوائه على عرشه وما في ذلك من التشبيه ،
وهذا اذا صح من ابن المطهر الشيعي بطل قول هذا الشيعي الآخر : انه لم يقل أحد
بعلو الله قبل ابن تيمية وتلاميذه ، واذا صح قول الشيخ محسن العاملي بطل قول
ابن المطهر الحلي

والقوم لا يتبعون طريقة واحدة ولا يسلكون منهاجاً واضحاً معلوماً ، بل هم
يتحرفون مع الهوى هذا وهناك ، ويسيلون في أودية الاغراض الظالمة ، فحينما
يريدون القدح في ابن تيمية وتلاميذه الا يراهم يقولون انه لم يقل بعلو الله أحد قبلهم
وحينما يريدون الوقعة في المسلمين كافة يقولون أنهم كانوا مشبهين بمجسمين قائلين
بعلو الله ويجلسه على العرش ، قائلين غير ذلك من الآراء المقوتة الباطلة ، وهذا
مع الاسف المر - ليس من دأب أهل الايمان ولا من أخلاق العلماء والمتقين .
حفظنا الله من سوء والمقت والغضب

هذا وقد قدمنا في طالع هذا الكتاب بعنوان « حماقات الشيعة » أن شيوخ
الشيعة كانوا مشبهين ومجسمين . قائلين في الله شر الأقوال من وصفه بالحلول

والجهل والبداء وممات الخلق الأخرى الناقصة ، وكانوا قائلين باستواء الله وعلوه ولكن بشكل ردي لا يليق بذات الله وكلماته وعظمته ، وليراجع هذا في صفحة ٤٢ من هذا الكتاب ، وقد ذكرنا هذا المعنى في غير موضع من الكتاب عن شيوخ الشيعة القدماء الذين وضعوا أحجار هذا المذهب وطافوا بأركانهم عصوراً غير قصيرة من مسلمين قيادة هذه الطائفة ، وذكرنا عن أئمة النقل الذين كتبوا في النحل مثل الشهرستاني أن أول من زقوا بالتشبيه في الإسلام هم شيوخ الرافضة خلا عن الأمة اليهودية العريضة في التشبيه ونعت الله بما لا يليق به من ممات الخلق العاجزين الضعفاء . فما غير به هذا الرافضي شيخ الإسلام ابن تيمية وزعم أنه هو المبتكر له قد سبقه إليه شيوخ الشيعة والرافضة . غير أن الفرق بينه وبينهم في هذا واضح جلي . فابن تيمية كجميع السلف الصالحين يقولون بالاستواء والعلو كما في النصوص مع التقديس والتنزيه ورفع التشبيه ووفقاً مع النصوص الصحيحة بلا تقدم ولا تأخر أما شيوخ الرافضة فانهم يقولون ذلك وغيره مما لا يليق بذات الباري من النقائص بشكل ناقص ممقوت مع التشبيه الصريح الممقوت . بل ويهوون في هذه الهوة البعيدة القرار فيزعمون أن الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الله ! تعالى الله عن ذلك ، وقد تقدم هذا عن شيوخهم القدماء ، ويزعمون أيضاً أن الله ينزل من عليا سمواته فيحل في أجسام تأكل وتشرب ونجوع وتظأ وتلاق ما يلاق الآكل الشارب من الأعراس والعوارض المادية الترابية المفروضة عليها في كتاب الأزل المحكم

يقول هذا الشيعي المجتهد : ان أول من زقا بعلو الله هو ابن تيمية وأتباعه والوهابيون ! ونحن نقول : ان السلف قاطبة كانوا مجمعين على الإقرار لله بهذه الصفة ، ومجمعين على مذمة من أنكرها من الجهمية والمبتدعين الضالين ، ونقول : أيضاً انه لم يسند عن واحد منهم لا من الصحابة ولا من بعدهم من أئمة التابعين

والمحدثين ، كالأئمة الاربعة ومن سار سيرتهم ونهج نهجهم سوى انه انكر هذه الصفة أو أول شيئا من نصوصها ودلائلها الشرعية المتواترة . وعلينا نحن ان نثبت هنا البراهين المتكاثرة على دعوانا هذه وصدقها

قال القاضي الفيلسوف ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هجرية في المجموع له المطبوع المعروف « بفلسفة ابن رشد » : « القول في الجهة ، وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله حتى فتتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية ، رغلوا في الشرع كلها تقضى باثبات الجهة » وبعد هذا أورد بعض النصوص ثم قال : « الى غير ذلك من الآيات التي ان سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولا ، وإن قيل فيها إنها من المقتضيات عاد الشرع كله متشابها لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء . وإن منه تنزل الملائكة بالوحى الى الانبياء ، وإن من السماء نزلت الكتب ، وإليها كان الامراء بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك . والشبهة التي قادت فناء الجهة الى نفيها أنهم اعتقدوا أن اثبات الجهة يوجب إثبات المكان ، واثبات المكان يوجب اثبات الجسمية . ونحن نقول ان هذا كله غير لازم » فأفسد هذه الشبهة وذكر كلاما قال بعده : « فقد ظهر لك من هذا أن اثبات الجهة واجب بالشرع وبالعقل ، وأنه هو الذى جاء به الشرع وانبنى عليه ، وإن ابطال هذه القاعدة ابطال للشرائع »

هذا بعض ما ذكره فيلسوف المغرب وعالمه قاضى القضاة فى عصره ، الامام المالكي محمد بن رشد ، وهو متوفى قبل أن يولد ابن تيمية وتلاميذه ، وقبل أن يعرف الوهابيون بأزمان

وقال مؤرخ مصر الكبير المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ فى كتاب الخطوط الجزء الرابع ص ١٨١ : « اهل أن الله لما بعث نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام من

للعرب رسولا الى التلى جميعاً وصف لهم ربهم بما وصف به نفسه الكريمة فى كتابه
 العزيز الذي نزل به على قلبه عليه الصلاة والسلام الروح الأمين وبما أوحى اليه
 وبه تعالى ، فلم يسأله عليه السلام أحد من العرب بأسرهم قرويههم وبدويهم عن معنى
 شيء من ذلك كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك
 مما قلده فيه أمر ونهى ، وكما سأله عليه السلام عن أحوال القيامة والجنة والنار ، اذ
 لو سأله إنسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة
 عنه عليه السلام فى أحكام الحلال والحرام ، وفى الترغيب والترهيب وأحوال
 القيامة والملاحم والفتن ، ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجها ومسانيدها
 وجوامعها . ومن أمعن النظر فى دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية
 علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة على اختلاف
 طبقاتهم وكثرة عددهم ، أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب
 سبحانه به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد عليه الصلوات
 والتحيات بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام فى الصفات ، نعم ولا
 فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل ، وإنما أثبتوا له تعالى صفات
 أزلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والحلال والاكرام
 والجلود والالعام والعز والعظمة ، وساقوا الكلام سوقاً واحداً ، وهكذا أثبتوا رضى
 الله عنهم ما أطلقه الله على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك . مع نفي مماثلة
 المخلوقين فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع
 ذلك أحد منهم الى تأويل شيء من هذا ، ورأوا باجمهم اجراء الصفات كما ورت
 ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله وعلى اثبات نبوة محمد عليه
 الصلاة والسلام سوى كتاب الله ، ولا عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ،
 ولا مسائل الفلسفة ، ففضى عصر الصحابة على ذلك ،

ثم قال القرظي ص ١٨٨ من هذا الجزء أيضا « وقد كان الناس قبل أنزل الشرائع يمشون على رؤسهم بالله إنما هو بطريق التنزيه له عن صفات الحوادث وعن التركيب والافتقار ، ويصفونه سبحانه بالاعتقاد المطلق ، وهذا التنزيه هو للشهور عقلا . فلما أنزل الله شريعته على رسوله محمد ﷺ وأكمل دينه كان سبيل العارف بالله أن يجمع في معرفته بالله بين معرفتين : أحدهما للمعرفة التي تقتضيها الأدلة العقلية ، والآخرى المعرفة التي جاءت بها الأخباريات الإلهية وأن يرد علم ذلك إلى الله تعالى ويؤمن به وبكل ما جاءت به الشريعة على الوجه الذي أرادته الله من غير تأويل بفكره ، ولا تحكم فيه برأيه ، وذلك أن الشرائع إنما أنزلها الله لعدم استقلال العقول البشرية بأدراك حقائق الأشياء على ما هي عليه في علم الله وأنى لما ذلك وقد قيدت بما عندها من إطلاق ما هناك ؟ فإن وجهها علما بمراده من الأوضاع الشرعية ومنعها الاطلاع على حكمه في ذلك كان من فضله تعالى فلا يضيف العارف هذه المنة إلى فكره . فإن تنزيهه لربه بفكره يجب أن يكون مطابقا لما أنزله سبحانه على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام من الكتاب والسنة وإلا فهو تعالى منزوع عن تنزيه عقول البشر بأفكارها . فإنها مقيدة بأوطارها فتزنيها كذلك مقيد بحسبها وبموجب أحكامها وآثارها إلا إذا ضلت عن الهوى فإنها حينئذ يكشف الله لها الغطاء عن بصائرهما ويهديها إلى الحق فتزنيه الله عن التنزيهات العرفية بالأفكار العادية ، وقد أجمع المسلمون قاطبة على جواز رواية الأحاديث الواردة في الصفات ، ونقلها وتبليغها من غير خلاف بينهم في ذلك . ثم أجمع أهل الحق منهم على أن هذه الأحاديث مصروفة عن احتمال مشابهة الخلق لقوله تعالى « ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ^(١) » : فإذا ثبت إجماع المسلمين

(١) وهذا صحيح ، فإن الذين يقولون هذه الصفات وغيرها يطمون أنها لا تشابه صفات المخلوقين البتة ، بل الله بصفاته وذاته ليس كمثل شيء وهو السميع البصير

على جواز رواية هذه الأحاديث ونقلها مع إجماعهم على أنها مصروفة عن التشبيه لم يبق في تعظيم الله بذكرها إلا نفي التعطيل لكون أعداء الله مموا ربهم أسماء نقوا فيها صفاته . فقال رسول الله هذه الأحاديث المشتملة على ذكر صفات الله ونقلها عنه أصحابه البررة ، ثم نقلها عنهم أئمة المسلمين حتى انتهت اليها ، وكل منهم يرويها بصفتها من غير تأويل لشيء منها . مع علمنا أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس كمثل شيء وهو السميع البصير . ففهمنا من ذلك أن الله أراد بما نطق به رسوله عليه الصلاة والسلام من هذه الأحاديث ، وتناولها عنه الصحابة وبلغوها لأئمة أن ينص بها حلق الكافرين ، وأن يكون ذكرها نكتا في قلب كل ضال معطل مبتدع يقفو أثر المبتدعة من أهل الطبائع وعباد العلال . فلذلك وصف الله نفسه الكريمة بها في كتابه ، ووصفه أيضا رسوله بما صح عنه وثبت . فدل على أن المؤمن إذا اعتقد أن الله ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ، وأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد كان ذكره لهذه الأحاديث تمكين الاثبات وشجاً في حلق المعطلة ، وقد قال الشافعي رحمه الله « الاثبات أمكن » نقله الخطابي ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة وتابعيهم أنهم أولوا هذه الأحاديث والذي يمنع من تأويلها اجلال الله من أن يضرب له الامثال ، وأنه اذا نزل القرآن بصفة من صفات الله كقوله « يد الله فوق أيديهم » فان نفس تلاوة هذا يفهم منه السامع المعنى المراد به ، وكذا قوله « بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء » فان نفس تلاوة الآية بيان المعنى المقصود ، وأيضا فان تأويل هذه الأحاديث يحتاج أن يضرب لله فيها المثل . نحو قولهم في قوله « الرحمن على العرش استوى » الاستواء هو الاستيلاء كقولك استوى الأمير على البلد ، وأنشدوا :

قد استوى بشر على العراق

فلزمهم تشبيه الباري ببشر . وأهل الاثبات نزهاوا جلال الله عن أن يشبهوه

بالأجسام حقيقة ولا مجازاً ، وعلموا مع ذلك أن هذا النطق يشتمل على كلمات متداولة بين الخالق وخلقته ، وتحرجوا ان يقولوا مشتركة لأن الله لا شريك له ، ولذلك لم يتأول السلف شيئاً من أحاديث الصفات مع علمنا قطعاً انها عندهم مصروفة عما يسبق الى ظنون الجبال من مشابقتها لصفات المخلوقين ^(١)

« واعلم ان السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الاسلام ان الفرس كانت من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة في أنفسها بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم ، فلما امتنعوا بزوال الملك منهم على أيدي العرب ، وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً ، تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الاسلام بالحاربة في أوقات شتى ، وفي كل ذلك يظهر الله الحق . فرأوا ان كيده على الحيلة أنجح ، فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام ، واستبشاع ظلم علي بن أبي طالب ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى . فقوم أدخلوهم إلى القول بأن رجلاً ينتظر يدعى المهدي عنده حقيقة الدين ، إذ لا يجوز أن يؤخذ الدين عن كفار ، إذ نسبوا أصحاب رسول الله إلى الكفر . وقوم خرجوا إلى القول بادعاء النبوة . وقوم سلكوا بهم إلى القول بالحلول وسقوط الشرائع . وآخرون تلاعبوا بهم ، فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة . وآخرون قالوا : بل هي سبع عشرة صلاة في كل صلاة خمس عشرة ركعة . وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندي قبل أن يصير خارجياً صفرياً . وقد أظهر عبد الله بن سبأ اليهودي الاسلام ليؤكد أهله ، فكان هو أصل إثارة الناس على عثمان رضى الله عنه . وأحرق على منهم

(١) ومؤلاء الجبال كالنفاة لأنهم ما نفوا إلا لا اعتقادهم ان هذه الصفات

لا تكون لله الا كما تكون لخلقته

طوائف أعلنوا إلهيته . ومن هذه الأصول حدثت الإسماعيلية والقرامطة ، والحق الذى لا ريب فيه أن دين الله ظاهر لا باطن فيه ، وجوهر لا سر تحته ، وهو كانه لازم كل أحد لا مسامحة فيه ، ولم يكتم رسول الله عليه السلام من الشريعة ولا كلمة ولا أطلع أخص الناس به - من زوجة أو ولد عم - على شيء من الشريعة كتمه عن الآخر والاسود ورعاة القتم ، ولا كان عنده عليه الصلاة والسلام سر ولا رمز ولا باطن غير مادعا الناس كلهم اليه . ولو كتم شيئا لما بلغ كما أمر . ومن قال هذا فهو كافر باجماع الامة

« وأصل كل بدعة فى الدين البعد عن كلام السلف والانحراف عن الصدر الاول » انتهى كلام المقرئى وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى شرح صحيح البخارى الجزء الثالث عشر ٣١٥ : « وقد نقل أبو اسماعيل المروى فى كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن على بن خلف ، قال كنا عند أبي عبد الله بن الاعرابى فقال له رجل : « الرحمن على العرش استوى » فقال هو على العرش كما أخبر ، قال يا أبا عبد الله إنما معناه استولى . فقال اسكت . لا يقال : استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد . ومن طريق محمد بن أحمد بن النضر الأزدي سمعت ابن الاعرابى يقول أرادنى أحمد بن أبى دواد أن أجد له فى لغة العرب « الرحمن على العرش استوى » بمعنى استولى فقلت : والله ما أصبت هذا . وقال غيره لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش لأنه غالب على جميع المخلوقات . ونقل محبى السنة البغوى فى تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه ارتفع ، وقال أبو عبيد وغيره بنحوه ، وأخرج أبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة من طريق الحسن البصرى عن أمه عن أم سلمة أنها قالت : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول . والاقرار به إيمان والجحود به كفر . ومن طريق ربيعة بن أبى عبد الرحمن أنه سئل : كيف استوى على العرش ؟ فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير

مقول وعلى الله الرسالة ، وعلى رسوله البلاغ ، وعلىنا التسليم . وأخرج البيهقي بأسناد جيد عن الأوزاعي قال كُنا - والتابعون متوافرون - نقول ان الله على عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته . وأخرج الثعلبي من وجه آخر عن الأوزاعي أنه مثل عن قول الله « ثم استوى على العرش » فقال هو كما وصف نفسه . وأخرج البيهقي بأسناد جيد عن عبد الله بن وهب قال : كُنا عند الامام مالك فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله « الرحمن على العرش استوى » وكيف استوى ؟ فأطرق مالك فأخذته الرضاء . ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال « كيف » وكيف عنه مرفوع ، وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجه . ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة لكن قال فيه : والافرار به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وأخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون ولا يشبهون ، يروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف . قال أبو داود : وهو قولنا قال البيهقي وعلى هذا مضى أكارها وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير . فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهنم فقد خرج عما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب بصفة لا شيء^(١) . ومن طريق الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي ومالك والثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة . فقالوا أمرؤها كما جاءت بلا كيف . وأخرج ابن أبي حاتم في مناقب الامام الشافعي عن يونس بن

(١) ومثل الجهمية الشيعة المعطلة الغالية الذين ينكرون صفات الله ويحرفون نصوصها ويصفونه بصفة لا شيء.

عبد الأعلى سميت الشافعي يقول : لله أسماء وصفات لا يسم أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يندر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكر . فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال « ليس كمثل شيء » وأسند البيهقي بأسناد صحيح عن أحمد بن أبي الخوارى عن سفيان بن عيينة قال كل ما وصف به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه ، ومن طريق أبي بكر الصبيعي قال مذهب أهل السنة في قوله « الرحمن على العرش استوى » قال بلا كيف ، والآثار فيه عن السلف كثيرة وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل . قال الترمذي في الجامع عقب حديث أبي هريرة في النزول : وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات ، وقال في باب فضل الصدقة : قد ثبتت هذه الروايات فتؤمن بها ولا تتوهم ولا يقال كيف : كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف ، وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، وأما الجهمية فأنكروها وقالوا هذا تشبيه ، وقال إسحاق بن راهويه : إنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد ، ومعم كسمع . وقال في تفسير سورة المائدة : قال الأئمة تؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير ، منهم سفيان الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك . وقال ابن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكتفوا شيئاً منها ، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج ^(١) فقالوا : من أقربها فهو مشبه ، فسامم من أقربها معطلة . وقال امام الحرمين في الرسالة النظامية : اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها والنزوم ذلك في آيات الكتاب وما يصح من السنن ، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف

عن التأويل وأجراء الظواهر على مواردنا وتفويض معانيها إلى الله تعالى . والذي نرتضيه ديناً وندين الله به عقيدة اتباع سلف الامة للدليل القاطع على أن اجماع الامة حجة ، فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً لاوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع انتهى . وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثوري والأوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم ، وكذا من أخذ عنهم من الائمة ، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة »

هذا بعض ما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني وما نقله في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري أصح كتب المسلمين بعد كتاب الله

وقال امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة المتوفى سنة ٣١١ هـ في كتاب التوحيد ص ٦٨ : « باب ذكر استواء خالقنا على عرشه ، فكان فوقه وفوق كل شيء عالياً كما أخبر في قوله « الرحمن على العرش استوى » وقال « هو الذي خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش » فنحن نؤمن بنحبر الله أن خالقنا مستو على عرشه لا نبدل كلام الله ، ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا كما قالت المعطلة الجهمية انه استولى على عرشه لا استوى ، فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة ، مخالفين لأمر الله ، وكذلك الجهمية »

ثم ساق بعد هذا الاحاديث الدالة على العلو والاستواء . فذكر حديث العباس بن عبد المطلب الذي عدد فيه رسول الله أشياء من خلائق الله وكونه والذي في آخره : « والله فوق ذلك » وذكر حديث الاعرابي الذي استسقى برسول الله وقال : انا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك ، فعضب رسول الله

وقال : ويحك انه لا يستشفع بالله على أحد من جميع خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ، أتدري ما الله ؟ ان الله على عرشه ، وعرشه على سمواته ، وسمواته من أرضه . وذكر حديث أبي هريرة الذي فيه ان رسول الله قال : « وإذا سألت الله فاسأله الفردوس ، فانه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تخرج أنهار الجنة » ثم ذكر حديث أبي هريرة الآخر الذي فيه أن الرسول قال : « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحتي غلبت غضبي » وساق هنا أحاديث أخرى معلومة . ثم قال : « باب ذكر البيان ان الله عز وجل في السماء كما أخبر في محكم كتابه وعلى لسان رسوله عليه السلام وكما هو مفهوم في فطر المسلمين ، علمائهم وجهالهم ، أحرارهم ومماليكهم ، ذكراهم وإناثهم ، بالفيهم وأطفالهم ، كل من دعا الله جل وعلا قائما يرفع رأسه إلى السماء ، ويمد يديه إلى الله إلى أعلاه لا إلى أسفله ، وقد ذكرنا استواء ربنا على العرش في الباب قبل ، فاسمعوا الآن ما أتلو عليكم من كتاب ربنا الذي هو مسطور بين اليفتين ، مقروء في المحاريب والكتائب مما مصرح في التنزيل ان الرب عز وعلا في السماء لا كما قالت الجهمية الممثلة إنه في أسفل الارضين . فهو في السماء . قال : « أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض » وقال : « أم أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا » . أفليس قد أعلمنا خالق السموات والارض وما بينهما في هاتين الآيتين أنه في السماء . وقال « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » . أفليس العلم محيطا أن الرب فوق من يتكلم بالكلمة الطيبة فتصعد إلى الله كلمته ، لا كما زعمت الجهمية الممثلة . ألم تسمعوا يا طلاب العلم قول الله لميسى بن مريم : « يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى » . أفليس انما يرفع الشيء من أسفل إلى أعلى ، لا من أعلى إلى أسفل . وقال : « بل رفعه الله إليه » ومحال أن يهبط الانسان من ظهر الارض إلى بطنها أو إلى موضع أخفض منه وأسفل ، فيقال : رفعه الله إليه ، لان الرفة في لغة

العرب الذين بلغتهم خوطبنا لا تكون الا من أسفل الى أعلى وفوق ألم تسمعوا قول الله « وهو القاهر فوق عباده » ، أوليس العلم يحيط أن الله فوق جميع عباده من الجن والانس والملائكة الذين هم سكان السموات جميعاً ، أو لم تسمعوا قوله تعالى « والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » فأعلمنا في هذه الآية أن ربنا فوق ملائكته وفوق ما في السموات وما في الأرض من دابة ، وأعلمنا أن ملائكته يخافون ربهم الذي هو فوقهم ، والمعطلة تزعم أن معبودهم تحت الملائكة . ألم تسمعوا قوله « يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه » أليس معلوماً في اللغة السائرة بين العرب التي خوطبنا بها ولسانهم نزل الكتاب أن تدبر أمر السماء الى الأرض انما يدبره المدير ، وهو في السماء لا في الأرض ، كذلك مفهوم عندهم أن المعارج المصاعد قال تعالى « تعرج الملائكة والروح اليه » وانما يعرج الشيء من أسفل الى أعلى وفوق ، لامن أعلى الى دون وأسفل . فتنهوا لغة العرب ولا تغالطوا . وقال : « سبح اسم ربك الأعلى » فالأعلى مفهوم في اللغة أنه أعلى كل شيء وفوق كل شيء ، والله قد وصف نفسه في غير موضع من كتابه وأعلمنا أنه العلي العظيم أفليس العلي - يا ذوى الحجا - ما يكون عالياً ، لا كما تزعم المعطلة الجهمية أنه أعلى وأسفل ووسط ومع كل شيء وفي كل موضع من أرض وسماء وفي أجواف جميع الحيوانات . ولو تدبروا الآيات من كتاب الله لعقلوا أنهم جهال لا يفهمون ما يقولون وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقاماتهم

« ثم اسمعوا يا ذوى الحجا دليلاً آخر من كتاب الله أن الله عز وعلا في السماء مع الدليل على أن فرعون مع كفره وطقيانه قد أعلمه مومى بذلك ، وكأنه قد علم أن خالق البشر في السماء ، ألا تسمع قوله تعالى يحكى عن فرعون « يا هامان ابن لى صرحا ، لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات ، فاطلع الى إله مومى

ففرعون يأمر ببناء صرح فحسب أنه يطلع الى اله موسى ، وفي قوله « واني لأظنه كاذبا » دلالة على أن موسى قد كان أظنه أن ربه أعلى وفوق ، وأحسب أن فرعون إنما قال لقومه « واني لأظنه كاذبا » استدراجا منه لهم أخبرنا الله في قوله « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوآ » فأخبر تعالى أن هذه الفرقة جمحت - يريد بالسنتهم - لما استيقنتها قلوبهم ، فشبه أن يكون فرعون إنما قال لقومه « واني لأظنه كاذبا » وقلبه أن كلم الله من الصادقين لا من الكاذبين . والله أعلم أكان فرعون مستيقنا بقلبه - على ما أولت - أم مكذبا بقلبه ظانا أنه غير صادق . وخليل الله ابراهيم عليه السلام عالم في ابتداء النظر الى الكوكب والقمر والشمس أن خالقه عال فوق خلقه حين نظر الى الكوكب والقمر والشمس . ألا تسمع الى قوله « هذا ربي » ولم يطلب معرفة خالقه من أسفل إنما طلبه من أعلى مستيقنا عند نفسه أن ربه في السماء لا في الأرض »

ثم قال بعد هذا الذي سقناه من كتابه المذكور :

« باب : ذكر سنن النبي عليه الصلاة والسلام المثبتة أن الله عز وجل فوق كل شيء ، وأنه في السماء كما أعلننا في وحيه على لسان رسوله ، إذ لا تكون صفته أبداً المنقولة عنه بنقل العدل عن العدل موصولا اليه الا موافقة لكتاب الله لا مخالفة له »

ثم أورد جملة من الأحاديث الدالة على العلو والاستواء ، فأورد قوله عليه الصلاة والسلام « أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » وأورد قوله عليه الصلاة والسلام : « الملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم . كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم

يصلون » ثم أورد قوله عليه السلام : « أنا أمين من في السماء » ثم ذكر حديث المعراج بالنبي إلى الله ثم قال : « وفي الأخبار دلالة واضحة أن النبي عليه الصلاة والسلام عرج به من الدنيا إلى السماء السابعة ، وأن الله تعالى فرض عليه الصلوات على ما جاء في الأخبار . فذلك الأخبار كلها دالة على أن الخالق فوق سبع سموات لا على ما زعمت المعتلة . وفي خبر الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء في قصة قبض روح المؤمن وروح الكافر ، قال في قبض روح المؤمن : « فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مقبرة من الله وروضان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السماء لا يتركونها في يده طرفه عين ، فيصعدون بها إلى السماء فلا يمرون بها على جند من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان بأحسن أسمائه ، فإذا انتهى بها إلى السماء فتحت لها أبواب السماء ، ثم يشيخها من كل مماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة ، ثم يقال اكتبوا كتابه في عليين » ثم أورد الحديث الذي فيه أن قريشاجات الحصين وكانت تعظمه ، فقالت له كلم هذا الرجل لنا فإنه يذكر آلهتنا ويسبها ، فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب للنبي عليه السلام ودخل الحصين فلما رآه النبي عليه السلام قال أوسعوا للشيخ - وعمران وأصحابه متوافدون - فقال الحصين : ما الذي ييلفنا منك أنك تشتم آلهتنا وتذكرها ، وقد كان أبوك جفنة وخيزراً ؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : يا حصين كم إله تسبد ؟ قال : سبعة في الأرض وواحداً في السماء قال فإذا أصابك الضر من تدعو ؟ قال الذي في السماء . قال : فإذا هلك المال من تدعو ؟ قال الذي في السماء . قال فيستجيب لك وحده وتشر بهم معه ؟ ثم قال : « باب ذكر الدليل على أن الإقرار بأن الله في السماء من الإيمان » وذكر في هذا الباب حديث الجارية المشهور الذي فيه أن الرسول الكريم قال لجارية جيء بها إليه . أين الله ؟ فقالت في السماء فقال لمولاهما أعتقها فإنها مؤمنة

وقد أورد هذا الحديث من طرق وبعبارات ذات عدد ثم قال « باب ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي عليه الصلاة والسلام في نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا ، نشهد شهادة مقر باسائه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الاخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية ، لان نبينا عليه السلام لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى سماء الدنيا ، وأعلمنا عليه السلام أنه ينزل ، لم يترك بيان ما بالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الاخبار من ذكر النزول ، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية اذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول . وفي هذه الاخبار ان الله عز وجل فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا انه ينزل اليه ، اذ محال في لغة العرب أن يقول ينزل من أسفل الى أعلى ، ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلى الى أسفل »

ثم ساق الاحاديث المشهورة في نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا في النصف الآخر أو في الثلث الآخر . وهذه الأحاديث ثابتة عن رسول الله يقينا .

هذا بعض ما ذكره أمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد

وقال الذهبي في مقدمة كتاب « العلو » بعد أن أورد بعض الآيات في علو الله واستوائه على عرشه « فإن أحببت يا عبد الله الانصاف فقف مع نصوص القرآن والسنة . ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات ، وما حكاه من مذاهب السلف . فاما أن تنطق بعلم واما أن تسكت بحلم ، ودع المراء والجدال ، فان المراء في القرآن كفر . كما نطق بذلك الحديث الصحيح ، وسترى أقوال الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الاحاديث النبوية . جمع الله قلوبنا على التقوى

« وإيماننا بما ثبت من نعوته كمايماننا بذاته المقدسة عن الأشياء من غير أن نتعمل الماهية فكذلك القول في صفاته فؤمن بها ونعقل وجودها ونعلمها في الجملة

من غير أن نتعلها أو نشبهها أو نكيفا أو نمثلها بصفات خلقه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلاستواء - كما قال الامام مالك وجهامة غيره - معلوم والكيف مجهول . ومن الأحاديث الواردة في الملو حديث معاوية بن الحكم ، ثم أخذ في ذكر الأحاديث والآثار وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة أئمة المفسرين ، وأئمة المحدثين ، وأئمة الفقهاء ، وأئمة علماء الكلام والصوفية ، وأئمة أهل اللغة ، وغير هؤلاء ، فجاء الكتاب في ٣٤٧ ص كلها دلائل على علو الله واستوائه على عرشه وقال الامام الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ في كتاب « الابانة ، في أصول الديانة » ص ٣٣ :

« باب ذكر الاستواء على العرش . ان قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل له : قول ان الله مستو على عرشه كما قال : « الرحمن على العرش استوى » . ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم نحو السماء اذا دعوا ، لأن الله مستو على العرش الذى فوق السموات ، فلو أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحيطونها اذا دعوا نحو الأرض

« وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : ان قول الله « الرحمن على العرش استوى » انه استولى وملك وقهر وأنه عز وجل في كل مكان . ، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق ، وذهبوا في الاستواء الى القدرة ولو كان هذا كما ذكرنا لكان لا فرق بين العرش والأرض ، فالله قادر عليها وعلى كل ما في العالم . فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها ، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الأفراد ، لأنه قادر على الأشياء مستول عليها ، واذا كان قادراً على الأشياء كلها ، ولم يميز عند أحد من المسلمين أن يقول ان الله مستو على الحشوش والأخيلة ، لم يميز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو

عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها

« ويقال لهم : إذا لم يكن مستوياً على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره كما يقول ذلك أهل العلم ونقله الأخبار وحلة الآثار ، وكان الله في كل مكان ، فهو تحت الأرض التي السماء فوقها ، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض ، ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا إن الله تحت التحت والأشياء فوقه ، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته ، وفي هذا ما يجب أنه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته . وهذا المحال المتناقض . تعالى الله عن اقتراءكم عليه علواً كبيراً » وما يؤكّد أن الله مستو على عرشه دون الأشياء كلها ما نقله أهل الرواية عن رسول الله ﷺ (وهنا ذكر حديث النزول المعروف ثم قال) :

« دليل آخر ، قال الله : (يخافون ربهم من فوقهم) ... فكل ذلك يدل على أن الله في السماء مستو على عرشه ، والسماء بأجماع الناس ليست الأرض ، فدل على أن الله منفرد بوحديته مستو على عرشه

« دليل آخر ، قال الله : (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقال لعيسى : (اني متوفيك ورافعك إلى) . وأجمعت الأمة على أن الله رفع عيسى إلى السماء . ومن دعاء أهل الاسلام جميعاً إذا هم رغبوا إلى الله في الأمر النازل بهم يقولون : يا ساكن العرش ، ومن حلفهم جميعاً : لا والذي احتجب بسبع سموات

« دليل آخر ، وقال الله (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) وقال (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) وقال : (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم) وقال : (وعرضوا على ربك) ، كل ذلك يدل على أنه ليس في خلقه ولا خلقه فيه وأنه مستو على عرشه ، وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة ، ولا أوجبوا بذكركم إياه وحدانية ، إذ كل كلامهم يؤول إلى

التعطيل ، وجميع أوصافهم تدل على النفي ، أتريدون بذلك التنزيه ونفى التشبيه ؟
فنعمذ بالله من تنزيهه يوجب النفي أو التعطيل

« دليل آخر ، روت العلماء عن النبي ﷺ أنه قال : ان العبد لا تزول قدماء
من بين يدي الله حتى يسأله ، وروت العلماء أن رجلا أتى النبي ﷺ بأمة سوداء
فقال يا رسول الله اني أريد أن أعتقها في كفارة فهل يجوز عتقها ؟ فقال لها النبي
ﷺ : أين الله ؟ قالت في السماء ، قال فمن أنا ؟ قالت أنت رسول الله ، فقال
النبي ﷺ : أعتقها فانها مؤمنة ، وهذا يدل على أن الله على عرشه فوق السماء »

هذا بعض ما ذكره الامام الأشعري في كتابه « الابانة في أصول الديانة »
وقد ذكر مثل هذا في جميع كتبه المؤلفة في هذه المطالب العليا ، وهذه نماذج من
النقول عن السلف وأئمة الاسلام والفقهاء المشهورين في جميع الأمصار الاسلامية في
جميع المصور . والنقل في هذا المعنى عن السلف والعلماء لا يحجمه كتاب جامع ولا
يحيط به محيط ، والفرض هنا الاشارة الخفيفة والامامة المعلى ، لا الاحاطة الجامعة
الشاملة وقد جمع الحفاظ من ذلك كتباً كباراً كما فعل الحفاظان الذهبي وابن القيم
في كتاب « العلو » وكتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية » ، وقد قلنا في هذين
الكتابين الاقرار بملو الله والانكار على من أنكره عن جميع علماء الأمصار المشهورين
بالعلم والامامة والتقى والدين والسنة ، وعن نقلا عنهم ذلك الأئمة الأربعة وكبار
أئمة الحديث والفقهاء كالبخاري ومسلم ونفرائهما ، وفي كتاب « السنة » تأليف
الامام ابن الامام عبد الله بن أحمد بن حنبل المولود في مطلع القرن الثالث الهجري
يقول كثيرة متواترة عن أساطين السنة والحديث والفقهاء الاسلامي ، تقرر كلها صفة
العلو والاستواء لله رب العالمين بحماسة وصراحة ، وتنادى بملامة المنكرين الجاحدين
لهذه الصفة من الجهمية المتبذعين ، والكتاب موضوع اصالة لهذا الغرض وللإغراض
الأخرى المتصلة به من صفات الله والرد على المنكرين المحرفين

ونحن نقف عند هذا الحد ، ونحيل الراجح في المزيد من هذه المعارف والعلوم
الالهية على كتب السنة كلها ، لا نخص كتابا دون كتاب
أفلا يرى القارىء بعد هذا أنه يسوغ لنا أن نمد قول هذا الشيعي : « ان
ابن تيمية هو أول من زقا بملو الله » انتحاراً علياً فظيماً ، ولكنه انتحار لا تعبه
واحة المنتحرين ان كان المنتحرين أن يراحوا ١٢ ثم ألا يحس القاريء الاشفاق
على هذا المصنف الشيعي الجريء على ما الخير في الاحجام عنه والتعيب له ١٢
يا ما أضعف رأى من يريد نصرة رأيه ومذهبه واضعاف مخالفه بقول غير
الحق واتصال غير الصدق ١١ وصدق الله العظيم إذ يقول : « وأما الزبد
فيذهب جفاء »

قصة الخبر اليهودي وغلط الرافضي

ومن الخلط الشنيع ما زعمه هذا الرافضي في قصة الخبر اليهودي الذي جاء
كُنْى عليه السلام وقال : انا نجد أن الله يجعل السماوات على اصبع ، والأرضين على
أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يقول : أنا الملك . فضحك النبي عليه السلام
عند مقالة الخبر وتلا الآية الكريمة « ما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً
قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه » . فقد زعم هذا الرافضي أن
ضحك النبي عليه السلام لم يكن تصديقاً لذلك الخبر ، ولكنه كان انكاراً وتكذيباً
وذلك ليقوم له انكار هذه الصفات والكفر بها

وهذا الزعم غلط شنيع باطل يردده الحديث نفسه ، وترده الآية الكريمة ،
وترده الأحاديث الأخرى المتواترة في إثبات هذه الصفات لله . أما الآية فانها
تقول : « ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه » فهي إذن تصريح صريح بمعنى هذا الحديث ، واعتراف به .

واقرار له ، وذلك أنها أثبتت أن الأرض بما فيها تقع في قبضة الله يوم الدين ، وأن السموات يوم ذاك تطوى يمينه أيضا . وهذا هو معنى قوله : ان الله يجعل السموات على اصبع والأرض على اصبع وجميع الخلق على اصبع فيقول أنا الملك ، وإذا كان معنى الحديث ثابتا في القرآن لم يصح لمسلم انكاره استيعاشا من معناه ، والا لكان الانكار له انكارا لمعنى الآية . فان قال الشيعي أو غيره ان الفرق بين الآية والحديث أن الحديث فيه اثبات الأصابع لله بخلاف الآية فليس فيها ذكر لذلك ، قيل له ان في الآية أن الأرض تكون يوم القيامة في قبضة الله ، وأن السموات تكون ذلك اليوم أيضا مطوية يمينه ، ففي الآية القبض والطي وفيها اثبات اليمين لله . فإذا لم يكن معنى القبض للأرض والطي للسموات ومعنى اليمين لله منكرا باطلا لم يمكن أن يكون معنى الأصابع وجعل الخلق على الأصابع باطلا منكرا ، فان كان هذا وصف كمال كان ذلك وصف كمال أيضا ، وان كان وصف نقص كان الآخر أيضا وصف نقص ، ولا بد ، فهذا كذا والحديث في معنى الآية والآية في معنى الحديث ، وإذا كان هذا كله صحيحا - وهو صحيح - لم يصح بقينا أن يكون ضحك النبي الكريم تكذيبا لما قاله الخبر ، لأن تلاوته الآية برهان لا يدفع على أنه يريد بذلك تقرير قول اليهودي وتصديقه إذ قد نزل عليه مثله في كتاب الله وصار بهذا مصدقا لرسالات الأنبياء قبله ، ورسالة نبي الله موسى التي منها مقالة ذلك الخبر اليهودي في شأن من شئون الله وصفة من صفاته . وجليّ جداً أن تلاوة النبي الكريم للآية الكريمة - بعد أن قال الخبر ما قال - تقرير أى تقرير ، وإثبات أى إثبات !

على أن هذا الحديث مصدق لجملة القرآن المثبت لله في غير ما آية صفة اليدين والصفات الأخرى . ولا يمكن إقرار نصوص اليدين وإنكار نصوص الأصابع الصحيحة الثابتة ، فان المعنى في الأمرين واحد كما ذكرنا

(٦٣٠)

هذا من جهة القرآن الكريم ، فهو دال على إقرار هذا الحديث لا على إنكاره .
وأما من جهة الحديث نفسه فانه راد على الرافضي صراحة ، راد ما قاله من أن الضحك كان تعبياً وتكدياً صراحة أيضاً ، وذلك أنه قد جاء فيه نصاً أن الضحك كلن تصديقاً لمقالة اليهودي كما رواه البخاري كذلك في كتاب التوحيد وكتاب التفسير من صحيحه ، وكذا رواه غير البخاري . فزعم الرافضي أن الضحك لم يكن تصديقاً - بعد تصريح الحديث نفسه بأنه كلن تصديقاً - زعم مزهود فيه مرغوب عنه

هذا من جهة الحديث نفسه ، وأما من جهات الأحاديث الأخرى فهي أيضاً رادة قول الشيعة أبلغ رد ، ذلك أن معنى هذا الحديث قد جاء من طرق أخرى من كلام النبوة ابتداء ، فروى البخاري في كتاب التفسير وكتاب التوحيد عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله يقبض الأرض يوم القيامة ، وتكون السموات يمينه ، ثم يقول : أنا الملك » وروى أبو هريرة عن رسول الله أنه قال : « يقبض الله الأرض ويطوي السموات يمينه ، ثم يقول أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ » روى هذين الحديثين البخاري وغيره ، وهذان الحديثان - وهما من كلام النبوة ابتداء - في معنى قول الخبر اليهودي ، فهما يدلان يقيناً على أن ضحك النبي الكريم كان تصديقاً واستحساناً ، لا إنكاراً ولم كذاباً كما يزعم الشيعة على أن الأحاديث النبوية الصحيحة في إثبات هذه الصفات لله أحاديث متواترة معلومة لا يمكن المؤمن جعلها ، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « ان القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » رواه مسلم في الصحيح وروى أيضاً أنه عليه السلام قال « المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن » وفي المعنى أحاديث أخرى ذات عدد

فهذا الحديث صحيح ، وضحك النبي ﷺ تصديق وإقرار ، ولا شك . ولا

نهدى كيف يمكن أن يكون قول هذا اليهودى باطلا ومنكراً في حق الله - كما يزعم الشيعى - ثم لا ينكره النبي ﷺ بل يقابله بالضحك والهدوء ! ولا شك عندنا أن هذا القول لو كان كما يزعم الشيعى باطلا وتنقصاً لله لا ينكره النبي ولا ظهر الانكار والامتناع الشديد من كما كان دأبه المعلوم حينما يسمع في الله أوفى دينه أو في أنبيائه وكتبه ما ليس حقاً ولا صدقاً . وأقل الناس حساسة لدينه ولربه لا يستطيع أن يقابل القول الباطل الضلال في الله وفي صفاته بالضحك والابتسام ، بل لابد من الانكار والفضب والتصريح بذلك . وأما من زعم أن النبي الكريم يسمع القبيح فيضحك ولا ينكر فقد زعم زعماً لا قره ولا نرضاه لنبي الله ﷺ أبداً . وأما تلاوة الآية فليس إنكاراً بل هي إقرار وتصديق كما ذكرنا ، وقوله : « ما قدرنا الله حق قدره » معناه أنهم لم يعظموا الله كما يجب لجلاله وعظمته وسلطانه الواسع الذى منه ما فى الخبر مما سوف يصنعه تعالى بالخلاق يوم الدين . والمعنى أنهم لم يعبدوه العبادة اللازمة المطلوبة من العبد للرب ، ومن الخلق الضعيف للخالق القوى القاهر . فما زعمه هذا الشيعى فى هذا الحديث غير صحيح ولا كرامة . أما ما يذكرون على هذه الصفات من الاعتراضات المألوفة من لزوم الجارحة ، والتجسيم والتشبيه . فجواب هذا كله يؤخذ مما ذكرناه آنفاً فى صفة الاستواء والعلو

زعم الرافضى أن قيام الصفات بالله

يعاند صفة القدم

وأما قوله : « ويلزم من اثبات المحبة والرضا والفضب والرحمة بمآنيها الحقيقية - وهى ميل القلب ورقته ، وهيجان النفس وعدم هيجانها - كونه محلاً للحوادث الموجب حدوثه » فقول لم يؤسس على شئ من أجزاء المنطق الصحيح المحترم .

وطاك أن هذا القول قائم على أمرين اثنين ، أحدهما أن هذه الصفات حوادث
ثانيتها - ان الحوادث لا تقوم بذات الله ، لأن ما قامت به الحوادث حادث ،
فتوله هذا قائم على هذين الأمرين ، ولكن يقال له : اذا صح لديك أن يوصف الله
بمعاني « التكوين » كالخلق والايجاد والاحياء والامانة والنعم والضر والاحداث
وسائر معاني التكوين ولم يلزم هذه الصفات هذا المعنى الباطل الذي أنكرت فراراً منه
صفات الرحمة والمحبة والفضب والرضا ، فكيف يلزم هذا المعنى هذه الصفات ؟ وما
الفرق بين أنواع هذه الصفات ، التي أنكرت والتي سلمت ؟ وهل هذا إلا تحكم
محض في الله ودينه ، وفي المقولات لا نصيب له من المنطق والبرهان والدليل ؟ ألا
ترى أنه لو كان هذا الاحتجاج المذكور صحيحاً لامتنع به وصف الله بصفة من
الصفات ولا تمتنع أن يقوم به فعل من الأفعال وأن يحدث شأناً من الشئون ، لأن
قيام هذه الأمور بذات الله معناه قيام الحوادث به : ولو قامت به الحوادث لكان
حادثاً ، لأن الحادث لا يقوم بذات القديم . ولا شك أن من ذهب يحتاج هذا
النوع من الاحتجاج صار به احتجابه - ولا محالة - الى انكار جميع صفات الله
وأفعاله ، اللازمة والمتعدية حتى يروح ينظم دينه وعقله وعلمه غزلاً ونسيباً في
امتداح أطلال التعطيل . والتعطيل لم يزل خصم الاله والنبي والايمان ، ولم يزل
جرثومة الكفر ومادة الالحاد

فهذا القول قائم على أمرين باطلين فاسدين ، أحدهما تسمية صفات الله حوادث
وثانيتها إنكار الصفات على حساب إنكار الحوادث ، وكلا الأمرين إثم وجناية .
فإن تسمية صفات الله حوادث من الأسماء الباطلة المنكرة ، ومن القول على الله وفي
الله من غير حجة ولا برهان . ومن أظلم ممن فعل ذلك ! وإنكار صفات الله على
حساب إنكار الحوادث إثم وجناية أيضاً ، فهما جنايتان قائمة إحداهما على الأخرى
ومن القبيح أن يسمى الحق بأسماء الباطل كي ينكر على حساب إنكار الباطل ، ومن

الأقبح أن يسمى الباطل بأسماء الحق كي يقبل ويحترم على حساب قبول الحق واحترامه ، وهاتان جريمتان متلازمتان قديمتان لم يزالا عون الباطل وحرب الحق ! أو ليس ما قاله هنا في معنى أن يقال : ان إثبات صفات الرضا والغضب والمحبة والرحمة بمعانيها الحقيقية الثلاثة بالله يلزمه قيام الصفات بالله ؟ ان هذا هو معنى ما قاله الشيعي ، ولكن الفرق بينهما هو الفرق ما بين المبارتين ، فالشيعي اختار ألفاظا منكورة مبتدعة وعبارة زرية مردولة ، فكان ملبسا مضللا ، ونحن اخترنا عبارة شرعية دينية معهودة ، فكانت مقبولة مرضية . وما من صفة من صفات الله إلا ويمكن تشويها والتنفير من الايمان بها بالتعبير عنها التعابير المبتدعة الزرية الخفية ، ولكن هذا لا يفعله من يريدون الحق والهداية . فقول هذا الرافضي إذن : ان إثبات هذه الصفات لله يلزمه أن يكون محلا للحوادث معناه في التحقيق : ان إثبات الصفات لله يلزمه قيام الصفات بالله ، فاذا قيل : نعم ، ولماذا لا يجوز أن تقوم بالله صفات ، وهل يمكن غير هذا ؟ لم يكن لهم من جواب سوى تلك الحجة الواهية التي أنكروا بها الاستواء والعلو ، وقد أرينا القاريء الكريم حقيقة ذلك

أما تفسيره المحبة بميل القلب ، والرحمة برفقه ، والغضب بهيجان النفس ، والرضا بعدم هيجانها ، فتفسير باطل كاذب ، وذلك ان هذا التفسير ان أمكن أن يصبح في صفات المخلوقين لم يمكن أن يصبح في صفات الله ، وذلك ان صفات الله لا تفسر بصفات خلقه وعباده ولا تقاس عليها كما أن ذاته لا تفسر بخواص خلقه ولا تقاس عليها ، وكما أن شؤونه لا تقاس على شؤون المخلوقين العاجزين الضعفاء . ومن فعل ذلك فقد ضل ضللا بعيدا . وذلك أن الله بصفاته وذاته أعظم وأجل من أن تحيط به العقول المخلوقة المحدودة وأن تتحكم فيه ، ثم أجل وأعلى من أن تفهمه كما تفهم المخلوق الميّن . والشئ لا يفسر بالشئ ولا يقاس عليه إلا اذا كان مثله أو قريبا منه ، أما اذا كان مابنا له كل الباطنة فليكون ذلك التفسير وذلك

القياس إلا باطلين كاذبين . ولكن جل الله أن يكون له مثل أو شبه . ونحن نجد معانى هذه الصفات ومعانى غيرها من الصفات مختلفة فى المخلوقات اختلاف حقائق وخصائص كما اختلفت المخلوقات أنفسها ، فأنى تتفق إذن صفات الله وصفات العباد وكيف تكون صفات من ليس كمثل شئ شبه صفات عباده ؟

وإذا كان معلوماً لدى جميع المؤمنين بالله أن ذات الله لا تشبه ذوات العباد ، فليكن معلوماً أيضاً أن صفاته لا تشبه صفاتهم ، وإذا كانت ذات الله ليست مادة ولا مركبة من أمثال اللحم والعظام والأعصاب وذوات الخلق لا تكون إلا كذلك فكذلك رحمته ومحبه ورضاه وغضبه ليست معانيها ما ذكره الشيعى وإن كانت فى المخلوقات لا تكون إلا ما ذكر . وإذا كان علم الله وخلقه وإرادته وكلامه وجميع صفاته المعترف بها ليست كصفات البشر وغيرهم من الخلق فأنى تكون هذه الصفات : الرحمة ، والمحبة ، والرضا ، والغضب ، مثل صفات عباده - ميلا ورقة وهدوءاً وهيجاناً ، كما فسر ذلك الشيعى ؟ !

ان مما يرمى "نطق بالحيرة والعجز أن يجد لهذه الاسئلة جوابا الا أن يلجأ الى الاعتراف بما قلناه من أنه لا فرق بين ما يقرونه من ذات الله وصفاته ، وما ينكرونه من ذلك

يا هذا ! ان المسألة سهلة ميسورة قريبة ، فأنت تعترف بمخالفة ذات الله لذوات خلقه - وله ذات ولهم ذوات - فكيف تعجز بعد هذا أن تعترف بمخالفة صفاته لغيرها من صفات العباد ؟ ! وإن من المعقول المعروف ان الذوات اذا اختلفت اختلفت الصفات ، وان الذاتين المتباينتين لا يمكن أن تتفق صفاتهما ومعانيهما ، اذ لا شك أن الصفات تابعة للموصوفات ، فأمر يخالف أمرأ فى الذات لا بد أن يخالفه فى الصفات ، ولا تتفق الصفات حتى تتفق الموصوفات . فبسير اذن على من آمن بأن ذات الله لا تشبه ذوات الخلق أن يؤمن بأن صفاته لا تشبه صفاتهم ،

فهذه من هذه ، والبايان سواء . واذا كن في المسألة صرأو غوض كن في الايمان باختلاف الذوات لا في اختلاف الصفات المختلفة الذوات . ولكنك أنت يا هذا مؤمن بأن الذوات مختلفة ، وان الايمان بذلك الاختلاف سهل ميسور ، فما عليك بعد من غضاضة في أن تؤمن بما ذكرنا من اختلاف الصفات التي ذراتها مختلفة

يا هذا ، ان القول باتفاق الصفات مع اختلاف الذوات قول باطل يخالف لمبادئ العلوم المنطقية ، وللمعقولات الاولى المشتركة بين العقلاء ، ومن زعم أن صفات ذاتين مختلفتين متماثلة متشابهة فقد نازع المنطق الصحيح والمعقول الصريح ، وقال قولاً تأباه كل العلوم البشرية الصحيحة الثابتة . وما عليك يا هذا الا أن تفهم هذا فهما جيداً بعيداً عن ارث الهوى والعصية والتقليد

ومن المناسب بعد هذا أن نذكر كلمة جاءت في كتاب « نهج البلاغة » الشيعي ترد على هذا الشيعي ما زعم هنا في تفسير هذه الصفات فنقول جاء في احدى الخطب المنسوبة الى الامام علي في وصف الله وتفسير صفاته قوله : « يريد ولا يضم ، ويحب ويرضى من غير رقة ، ويفض ويفض من غير مشقة » هذا صريح من على في ابطال ما زعمه الشيعي في تفسير هذه الصفات ، فهل هم سامعون ؟

لا يلزم الاستواء معروفة الكفر

واما قوله : « والقول بالاستواء يلزمه أحد أمرين التجسيم أو القول بالمحال وكلاهما محال ، لأن حصول حقيقة الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل ، ومع الكيف تجسيم ، فلا بد من التأويل » فقول باطل أيضا غاية البطلان . أما أن الاستواء لا يلزمه التجسيم فقد سبق بيانه في فصل « شبه النافين لعلو الله » وأما أن ذلك أيضا لا يلزمه المحال فقد سبق بيانه أيضا في الفصل المذكور . وأما قوله : « ان حصول الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل » فيقال له : ما تقول في ذات الله

وفي وجوده وحقيقته ؟ ألسنت تتر بأن الله ذاتا وحقيقة ووجودا ؟ ان الجواب لا بد أن يكون « نعم » ثم نستألف السؤال ونقول ما نقول في الذات والوجود والحقيقة ؟ أقول ان هذه الامور حاصلة بكيف أم بغير كيف ؟ فان قلت انها حاصلة بكيف قلنا هذا تجسيم وهو باطل كما ذكرت ، وان قلت بغير كيف قلنا هذا محال كما ذكرت في الاستواء وانكاره ، وما كان جوابا عن هذا كان جوابا عن الاستواء والمعلو ولا فرق . وهذا الإلزام لما ذكره على الاستواء والمعلو أعير عقول العقلاء كافة ، ووجب بيان ملوك البيان جميعا ، ثم جهد على أن يجهد مخرجا منه لما استطاع ، ولما كان منتهاه الاحيث كان مبتداه .

هذا ما يقال من جهة الإلزام ، وأما من جهة البحث الخالص فنقول : لا ندري كيف لا يمكن الايمان بالشئ . الا مع علم كينه وكنهه ، ولا ندري كيف يصح هذا القول أو كيف يطعم في صحته ١١ ألسنا نؤمن بأرواحنا ايمانا لا شك فيه ، ولكننا نجهل كيف هي وكيف حصولها في أبداننا . ولو زعمنا أننا نفلم كيف أرواحنا وكيف حلولها في أجسامنا ، وكيف خروجها منها ، لزعمنا ما لا يصح زعمه . بل أليس كل انسان . . يعلم أن له ادراكا وشعورا ، واحساسا ، وعلماء ، وسمعا ، وبصرا وغير ذلك من أعراض الحى النامي ؟ ولكن انسانا منا لا يدري كيف يحصل له ذلك ، ومن عرف أسباب هذه المعاني القريبة . . جهل . . ولا شك . . أسبابها البعيدة وجعل أسباب الاسباب ، وجعل كيف تحصل هذه الاسباب ، وكيف تكون هذه القوة المودعة في هذه الاعضاء ، أغنى القوة التى تحصل بها هذه المعاني والمشاعر ... ولكننا مع جهلنا هذا كله لا نشك في وجود شئ منه .

بل نستطيع أن نقول ان كل موجود . . مهما كان وجوده . . لا نفلم كيف هو ، ولا كيف يكون ، ولا كيف يتطور ، ولا كيف يصرعه الزوال والاضمحلال ، مع قربنا منه ، ومشاهدتنا إياه القليل والنهار . هذه الكهرباء أقرب شئ .

الينا وأملق شيء بنا ، نشاهد آثارها وأعمالها وخصائصها ، ونستخدمها ونستمد منها ما نستمد ، ومع هذا كله لا يعرف كيف هي ولا كلف كنهها وحقيقتها
 إذن من الخطل العظيم الزعم أن الايمان بالشئ مقارن لمعرفة كنهه وكيف هو
 وإذن من الخطل العظيم قول الشيعة في هذا الفصل الذى نقلناه : « وللموجود للصفة والافرار بها حكم عليها ، والحكم على الشئ فرع معرفته ، والامر القدى يكون فوق العقل لا يمكن للعقل الاذعان به » ، وإذن فالحكم على الله بالوجود فرع معرفته والله لا يمكن أن يعرف المعرفة التى يعينها الشيعة ، وإذا لا يمكن الحكم بوجوده ، ولا الاذعان به ، لأنه فوق العقول ، وفوق إدراكها وأفهامها ، فمن آمن بالله فقد زعم أنه فى متناول عقله وأنه ليس فوق إدراكه ، ومن زعم أن الله ليس فوق عقله وأن فى قوة إدراكه أن يفهم ذاته وحقيقتها فقد كذب وضل الضلال الأبعد ، فكيف يخلص هذا الرجل المؤلف من عاقبة أقواله ؟

يمز على الله أن أعرف بأى قلم يكتب هذا الرفضى وبأى عقل يفكر ، ويمز على أن أعرف كيف يرضى لنفسه أن تتساقط فى هذه الدركات ، وأن ينتحر هذا الانتحار العلمى الشنيع طائفا مختاراً ، ويمز على والله أن ينغمس فى هذا النقصان العلمى العقلى قلم من يشهد ألا اله الا الله وأن محمداً رسول الله . يمز على كل هذا ، ثم يمز على أن يقوم صاحب هذه المزاعم ينعى على أنجب عقلية اسلامية فى جميع القرون الاسلامية الوسطى ، ويسمها بالجهالة والغبارة ، كما سوف يجىء ، يمز على والله كل هذا ، ثم يمز على أن يتدحرج فى هذا النقص رجال يؤمنون بالله ويرسلوه رسول الحكمة والعقل والصواب ، هذا يمز على ، ثم يمز على أن يكذب قول الامام مالك المشهور : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » بأمثال هذه الأوهام الخزية . وهذه الرواية عن الامام مالك التى زعم أنها كذب رواية محيطة المعنى والاسناد ، وقد جاءت عن مالك وعن غيره بأسانيد صحيح قال

الحافظ الذهبي في كتاب العلو ان الرواية ثابتة عن مالك صحيحة ، وقال الحافظ ابن حجر في شرح صحيح البخاري : ان سند الرواية قوى ، وقال أيضا قد أخرجها الامام أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة بالاسناد الى أم سلمة زوج النبي ، قال : ورواها أيضا اللالكائي بالاسناد عن الامام ربيعة شيخ مالك ، وذكروا عن ربيعة الحافظ الذهبي في كتاب العلو بالاسناد ، ورواها غير هؤلاء . وقد تواتر معنى هذه الرواية عن السلف والأئمة ، فقد كان السلف قاطبة يؤمنون بذلك ويرفعون عنه الكيف ، ويشترطون على من أنكره أو سأل عن الكيف . وأى مسلم يأبى الايمان بذلك أو يظن أنه يستطيع أن يعرف كيف هو ، أو كيف ذات الله أو كيف صفاته ، أو يأبى الايمان بهذه الأمور حتى يعلم الكنه والكيف ؟ أو ليس كل مؤمن يقول : ان الايمان بالله واجب ومعلوم ، وأن الكيف مجهول ، وأن السؤال عنه - أى عن الكيف - بدعة ؟ وأي عارف بالله يسأل سؤال مالك فلا يجاب جوابه ؟ الله موجود ، فكيف وجوده ؟ ألا يكون الجواب الذى لا بد منه أن الوجود معلوم ، وأن الله موجود معروف بدلائل مخلوقاته ، وآثاره الظاهرة والباطنة ، وأن الكيف مجهول ، والسؤال عنه - عن الكيف - بدعة ؟ ان هذا جواب لا يختلف العلماء أهل البصر فيه اذا سئلوا السؤال المذكور ، وهذا السؤال وهذا الجواب كالسؤال والجواب المذكورين في الحكاية الروية عن الامام مالك التى لم يتسع لها صدر هذا الرافضى ولا علمه فأكتبها

« الرحمن على العرش استوى »

كيف استوى ؟

ان الاستواء معلوم بالفطرة وبالعقل وبالإجماع وبالنصوص المتواترة عن السلف ، وأن الكيف مجهول ، إذ كيف يعلم المخلوق - المحدود ذهنًا وعقلًا وجسمًا

وبداية ونهاية وكل شيء - الله أو صفاته أو صفة من صفاته ١٧ وكيف يعلم هذا المخلوق الخير الزرى كنه الله وكنه استوائه ؛ وهو عاجز عن أن يعلم كنه نفسه وكنه روحه وكنه ما يحيط بمجهاته ١٨ ان هذا ما لا يكون ، وان السؤال عن الكيف بدعة ، لأنه لم يؤثر في الاسلام ، ولأن علمه فوق الطاقة ، ولأنه يوقع في الأثم والضلالة ، ولأنه قول على الله وفي الله بلا علم ولا دراية . هذا جواب لا يختلف المؤمنون بالله فيه اذا سئلوا ذلك السؤال الذى سئله الامام مالك . فإذا ينكر الشيعى ، وبماذا يكذب بهذا الصدق عن أئمة الصدق ؟ ان هذه الرواية صحيحة الاسناد ، صحيحة المعنى بلا شك ولا ريب

أما ما ذكره عن الامام مالك من استقبال القبر الشريف والتوسل بصاحبه عليه الصلاة والسلام فندع الكلام فيه للباب الخاص به الآتى

ابن تيمية

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا لدى الفضل حتى عد ألف بواحد ان التفاوت المقدور بين افراد النوع الانسانى تفاوت لم يقدر بين أفراد نوع آخر من أنواع هذه الخليقة الغريبة المظيمة ، فالتفاوت الكائن بين أفراد فصائل هذه المخلوقات هو تفاوت محدود ضئيل بقدر محدود ضئيل أيضا ، قريب النسبة والشبه ، قريب « الكم » و « الكيف » تفاوت لا يحل حتى يسود فصيلة فرد منها ويزن المدد الكثير فضلا واستحقاقا وجدارة . أما التفاوت بين أفراد نوع الانسان فهو تفاوت عظيم لا يقف عند حد ، ولا تحيط به غاية من الغايات ، ولا يخضع لقانون من قوانين الطبيعة المحدودة الضئيلة العاجزة . فأكثر أفراد الانسان كهؤلاء الذين نراهم يلجون هذه الدنيا من بابها الخشبي ثم تذف بهم وراء سورها الفولاذي ، لم يختلفوا وراءهم فيها من آثار سوى « عملية » الولادة

وعنائها ، ثم عملية الاكل والشرب وبلائها ، ثم « عملية » الموت والتكفين والدفن وأرزائها ، ثم ما بين ذلك وما بعده من ذكرى خائفة رياحا أرواح فضائل الانسان الكامل

ثم من الانسان أفراد - وما أقلهم - ليسوا كهؤلاء الذين نراهم صباح مساء الا بقدر ما كسبهم يد الله من الثوب الظاهر المساوي لأثواب هؤلاء الجاهير الظاهرة لكي يستطيعوا الاتصال بهم ، ولكي يأمنوا بمرآهم اذا أوحش ما بينهم وبينهم سمو السماء على الارض ومفارقة الرذيلة للفضيلة واستيحاش معنى الشيطان من معنى النبي

وقد جلّ هذا التفاوت بين أفراد هذا النوع ، حتى ان الفرد منه ليسمو به معناه حتى يصبح أهلاً لأن يتصل بالله ، وأن يقربه منه نجياً ، ويحمّله رسالاته وشرائعه وأسراره ، حتى يفترض على جميع أفرادهم أن يخضعوا معانيهم وعقائدهم ونفوسهم لمعنى هذا الفرد وعقيدته ونفسه وما جاء به من الآداب والشرائع ... وتنزل بأفراد آخرين معانيهم ونفوسهم حتى لا يقدروا على الانقلاط من معنى من معاني الحيوان الأعجم البهيم ، بل حتى يروحوا يعلمون الحيوان فنوناً من أفانين الحيوانية « الانسانية » المبتكرة فيصبحون أساتذة لهذا المخلوق الأعجم البهيم . وهذا شأن جواهر هذا الانسان المغرور . وليس ما بين هذا النجم المالىء الدنيا نوراً وجوهرًا ، حياة وجمالاً ، هذا النجم الذى نسميه « بالشمس » وبين أضال نجم لا تكاد ان الحادة تراه يمس مطلا من خلال الظلم الخالكة بصيص الأمل المريض فى الجبهة المحدودة المريضة من تفاوت بأعظم مما بين أفراد نوع الانسان العجيب من التفاوت المنقطع النسبة ، وليست حاجة ما فى هذه الأرض من حيوان ونبات الى هذه الشمس والى نورها وحرارتها وسائر معانيها وخصائصها بأشد من حاجة متانى هؤلاء الأفراد والجواهر ، وحاجة أرواحهم ، بل وبقائهم فى هذه الدنيا إلى

هؤلاء الأفراد الممتازين منهم ، وإلى نبوغهم بينهم الحين بعد الحين حتى لا تنقطع آثارهم وتعاليمهم ومعانيهم وما جاؤا به من المعاني والآداب السماوية التي لولا وجود هذا القدر الضئيل منها بين قوائم هذه الجماهير ومخازينهم المطبوعة لأصبحت الأرض غيرها اليوم ، ولكن الانسان شيئاً آخر غيره اليوم ، فان كل ما تشهده الأحيان الفارطة العجلى من المعنى الصالح الجليل ، والفعل الطاهر المقدس الغريب لامعاً على مسرح هذا الكون الآثم الفاسق الدنس إنما صرده إلى هؤلاء الأفراد الممتازين ، من بقايا ما خلفوه من الآثار والمعاني الممتازة ، ولولا هذا لأصبحت الأرض بأهلها جميعاً لا يطاق ، وأتون رجس لا يطهر أبداً ، ولهذا فان الجانب الذي ينقص حفظه من هؤلاء الممتازين ومن آثارهم وهداياتهم ومعانيهم الموروثة ينقص حفظ أهلهم من ذلك بقدره من الطهارة والسمو الروحي النفسى ، ويزداد بقدر ما نقص من الشقاء والآثام والنزول الروحي والرجاسة النفسية ، وكل ما لهذا المعنى من آثار وممان قبيحة مجرمة تعانينا اليوم أمم وصفت بالمدنية وبالزعامة العالمية الثقافية المخدولة ، ومن أبصر علم

وهناك فريق آخر دون هذا الفريق الذى نسميه ممتاز الممتاز ليسوا بالأنبياء ولا بالمرسلين ، ولا بالمتصلين برب العالمين ، ولكن الله القدير يريد قد أعدهم لحل ما يخلفه الأنبياء والمرسلون من المعارف والآثار والعلوم ، فاختصهم بقسم من السموات الروحي والعظمة النفسية ، تجيء الأمم تلو الأمم ، ثم تذهب تباعاً ، ولم يقدر لها كلها معرفة ما خصهم الله به من هذا القسم ، ولا معرفة ما كانت عليه نفوسهم التي عاشوا بها بين الجماهير من السموات والعظم والفضل الذى لا يه قدره إلا واهبه وواهب كل فضل وخير ونعمة بالغة سابقة

ومن الغريب فى هذا القسم الممتاز أنه كلما أمعن ذهاباً فى عالم الخفاء وضح أمره وفضله ، وإن من تخلفوا عنه زماناً ومكاناً يعرفون من حسن آثاره وأياديه

اليضاء على الجميع ما لم يعرفه المعاصرون له ، الذين كانوا يرونه صباح مساء ، وهذا لأن عيون المعاصرة عمياء ، ولأن هوى المعاصرة شيطان قوى ، لا شغل له إلا مسازلة الحسنات والقضاء على أصحابها بسلاح الشيطان نفسه ، لا بسلاح المحاصمة المحترمة المنصفة ، فما أحسن أثرهم في الناس ، وأقبح أثر الناس فيهم !
وقد كان من ألمع هؤلاء المتأزمين الذين أعدتهم ارادة الله لحل رسالة الاصلاح الثقيلة ، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، الحراني ثم الدمشقي ، النابغة المشهور المولود سنة ٦٦١ هـ ، المتوفى سنة ٧٢٨

اقتدر نعر السماء عن نجم هذا النابغة ، وأضاء كوكبه الوقاد في أفق العالم العربي الاسلامي بمد أن نكب الاسلام والمسلمون والعرب على وجه الخصوص بأعظم النكبات المادية والمعنوية الروحية ، الخاصة والعامة ، وبعد أن اصطاحت عليهم وعليه جميع الأرزاء الجسام التي طاحت بأفضل المعاني الروحية الخلقية الاعتقادية ، التي نشر العرب والمسلمون بها رسالة الله ، واستطاعوا بها وحدها أن يقصوا أجنحة أعظم ظلم كان يسود الأرض إذ ذاك ، وقلعوا أيضا بها وحدها أظفار أطنى الأم الطاغية ، العريقة في نسب الطغيان ، ونسب القوة المادية الآئمة . فقد أصيب الاسلام وأمه قبل تلالؤ هذا النجم الثاقب في الأفق العربي الاسلامي المحدث بأشتات المصيبات التي صرعت أعز ما كان يفتخر به المسلم ، وأعظم ما كان يقل به الحديد ، ويشقت نظام الجوع الظالمة الباغية ، ويفلق به هامات الباطل ، وينذل به كل عزيز بنير الحق وبغير الله الحق ، فقد أصيب الاسلام بدسائس الشيعة الباطنية الملحدة ، وبثوراتهم المظهرة والمضمرة ، وبما نسجوه من حيل ومكايد سلطوها على جوهر الاسلام وصميم التوحيد ، وعلى مكان الايمان والعقيدة والفضل من النفوس المسلمة فقتلت من قتلت ، وجرحت من جرحت . ثم أصيب بالقرامطة ، أحد فروع الشيعة الغالية الباغية ، وبالتتار وبالصليبيين ، وبغير هؤلاء من الأرزاء الآخذ بعضها

يرقاب بعض ، سلسلة طويلة الحلقات ، متماسكة النظام ، يجرأ ولها آخرها ، مندفة كلها بحماسة وحرارة نادرتين إلى معنى القرآن ومعاني أهله اللابقاع به وبهم إيقاعا يظل التاريخ يتحدث عنه ما دام للتاريخ حديث ، وما دام له محدثون . فتم لها حقاً أعظم ما أرادت وما اشتته . فنالت من الاسلام ومن المسلمين أعظم مثال ، ومثلت به وبهم أقبح تمثيل ، ولا يزال ين كمالا يزالون يثنون من تلك الجراحات والضربات القوية ، ولا يزال متيداً كمالا يزالون مقيدين بتلك الأصقاع التي كبل بها و كبلوا ، والله المستعان على تحطيم ذلك كله

أفسدت هذه الفتن معنى الاسلام ومعنى المسلم ، حتى صار الاسلام غير الاسلام وصار المسلمون غير المسلمين : استبدلوا الشرك بالتوحيد ، وعبادة الأموات بعبادة الله ، وهذيان اليونان ، وهذيان فلان وفلان بالقرآن ، ووعونات ان سيناء وأخلاق مزدك وخازر وقرمط بسنة محمد ﷺ ، واستبدلوا ماتاثر عليهم من عقائد اليهود الباطلة ، وفضلات الجوس والفرس ودساتهم العقلية والدينية بسنة المسلمين وطريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، فوضعوا على كل شيء في الاسلام جهيل مشرق الصورة والمعنى نطقا كشيئا من القبح والسخف المقوت والحماقات المرذولة ، فانطلقت تلك الشعل الالهية المقدسة الأخاذة بالأبصار والبصائر ، وانطمس ذلك الدين الأغر البهيج تحت تلك الاطلال والافتاض الخلفة من بقايا تلك الأديان البالية المحرفة ، فاستعجمت الأنفس والعقول ، واستعجمت الألسنة والمعادن ، واستعجمت الحكومات والسياسات والادارات وكل شيء كان اسلاميا عربيا مينا ، فاختفى وجه الحق وبعد مناله على طالبيه ، فاستشعر المسلمون القلة والضعف ، ورضوا بالدون والمون والقسمة الخامسة الضيزى ، وخفقت الرؤوس والنفوس ، وكان ما كان بنتائج وغاياته الالهية العظيمة اللازمة . وكان احدى هذه النتائج والغايات أن ذاب المسلمون أمام سيل التتار والصليبيين ، فنالوا

منهم ومن الاسلام ما نالوا ، وضربوه وضربهم ضربات هذه بقايا جراحاتها وآثارها مشهودة منظورة في العالم الاسلامي المنكوب ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ولا يظلم ربك أحدا

هذه بعض حالة الاسلام والمسلمين الاجمالية حينما تلاً هذا الكوكب الوهاج بين هذه الحنادس الخالكة التي أعدت لتبديدها هذه النفس التي نظر الله اليها نظرة واحدة أعدتها لحل هذه الرسالة العليا ، ولاحياء رسالة خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام . ان الحل لثقيل باهظ منقوض كاهل العزم الجبار العنيد ، ولكن حرارة الايمان تستطيع أن تصهر وتذيب كل شيء يقف في سبيل الخير والهدى والرشاد . فاذا إذن يفعل ؟

نظر فبين حوله وما حوله . فوجد كل شيء فاسداً يحتاج الى اصلاح والعلاج والثورة الحازمة ، ووجد أن هذا الإصلاح المطلوب لا يمكن أن يكون إلا بمعاداة أكثر هؤلاء الجماهير الضالة عن سبيل الله ، ووجد أن هذه المعاداة لا بد لها من الأخطار ، ولا بد لها من الاستهانة بالأخطار . فالنفس والجسم رخيصان في سبيل أداء رسالة الله وإصلاح خلقه ، والنفس والجسم ملك لله . فهو واهبهما وآخذهما متى شاء رغم كل شيء فلا ربح في الضن بهما ، والنفس والجسم ان لم يضع بهما في سبيل الله وبياعاً لله ولدينه ضحى بهما ويما في سبيل الشهوات . أو وضحت بهما الأمراض والنكبات ، وان لم يذبهما الجهاد في سبيل الحق والإصلاح للخلق أذا بهما الأكل والشرب ، وإن لم يصرعا في ميدان الحق صرعا في ميدان الباطل فما أضل اذن وأغبي من ييخل بنفسه وجسمه على الله وعلى الحق وهداية الخلق ثم يسخو بهما - مقتبلاً بصفقته - على هذه الشهوات الحيوانية التي يشارك الانسان فيها جميع الحيوانات والدواب ! إن هذا لشر الضلال وأخسر الصفقات أترى هؤلاء - الذين يعيشون ليعيشوا ، ويأكلون لياكلوا ، ويشربون ليشربوا

ويحيون ليحيوا - راشدين مهتدين ؟ أو ترى هؤلاء الذين يرضون بالهزيمة الروحية والانتحار النفسي والعيش في كنف الدل والباطل والموان خيفة أن يرضوا شهواتهم ولذاتهم وآكلهم وأشرقتهم وحاجات أجسامهم الأخرى للتقصان والضياع راشدين مهتدين ؟ أو ترى هؤلاء الذين يطلبون الحياة والمزج بداراة الموت والدل راشدين في سجل الوسائل والغايات ؟ أو ترى هذه النفس الانسانية خليفة بأن تكون خادمة لهذه الدنيا ، بل لحاجات هذا الجسم الضئيل المادي ؟ وما حاجاه سوى الاكل والشراب المستحيلين بمد الى ما يؤفف من ذكره واسمه ! أترى أحداً من هؤلاء الناس عاقلاً أو سالكا سبيل العاقلين ؟ بل أترى الانسان الذى زعم لنفسه أنه صفوة المخلوقات خلق هذا الخلق البديع وخص به هذا العقل المعجيب . ثم لا تكون الغاية منه سوى غاية أكثر هؤلاء الجماهير من هذا الانسان المغبون ، حياة البهائم : أكل وشرب ، وما يقيم الاكل والشرب ، ثم موت كوت البهائم ؟

نرا كضت هذه الأسئلة عجلى على خاطر هذا النافذة الشفاف المشرق فكان جوابه عليها كلها بلا توقف ولا تريت : كلا والله ، ان الأمر لغير ذلك وان حياة الانسان لأعلى وأغلى من أن تباع لشهوات هذه الدنيا التى هي عمر مختصر الى منزل الانسان الاول والاخر . فلا بد من اجتياز هذا الممر بغاية ما يستطيع من النشاط والحزم والعزم والسرعة والحركة : هذا ما لا بد منه وليكن بعد ذلك ما يكون . فالعاقبة معروفة مضمونة على كل حال . إذن فليهاجم الباطل من كل نواحيه ، ولتلك قلاع حصونه فوق من لاذوا بها ومن ناموا تحت ظلها البارد العيش . هؤلاء العلماء قد قعدوا عن نصرة الحق وعن مقاتله رغبة فى الدنيا . فركبهم رجال الدنيا الظالمون مطايا الى شهواتهم وآربهم الدنيا ولبس ما كانوا يفضلون ! بل وأكثرهم جهلوا الحق وضلوه فأضلوا كثيرا

وهؤلاء جواهر العامة نهب مقسم بين ضلالات العلماء وظلمات الرؤساء ،
فليهاجم هؤلاء كلهم على منهاج الشرع المضاع ومنهاج العدل المنسحق
نهد هذا النابغة لكل فرقة من هذه الفرق يدعوها الى الحق بعد أن يمرضه
عليها مرضاً جلياً واضحاً مؤكداً بالكتاب والسنة والمقولات الخالدة المشتركة .
فوضع كتباً خالدة في جميع الفرق المنحرفة عن الحق ، وفي نقد ما عندها من ضلال
وباطل وعقول عن منهاج الحكمة والصواب . وكان قد اجتمع له من أسباب القدرة
على نقد الباطل وكشف خباياه ما قد يقل أن يجتمع لسواه . وهذا من أسرار حكم
الله الطيفة الخفية ، لأن العصر الذي كان فيه ، والميدان الذي وقف على شطبيه
وضافيه كانا يحتاجان الى ذلك ، وقد اعترف له بجميع هذا أجهد جاحدى فضله
ومتكبرى شمس . فهاجم الفلاسفة الملحدون ، وهاجم المتكلمين المخطئين ، وهاجم
الشبهيين والمعتلين ، وهاجم سائر المبتدعين ، وهاجم القبوريين ، أو القبريين على
قول المعتنقين ، وهاجم غير هؤلاء من أصناف المبتدعة الضالين . وقد هاجم
الرافضة والفرق المتفرعة عنهم كالقرامطة بجملة وشدة ، وذلك لكثرة مصائب
هؤلاء وعظم ما نكب الاسلام والمسلمون بهم . فالرجل نفاذ البصيرة ، حادّ الذهن ،
لا يقول في طائفة قولا ، ولا يضعها وضعا ، الا ويكاد لا يخطئ مرماه ، وقد كان
صريحاً جداً ، شجاعاً جداً ، وكان شجاعاً في صراحته ، صريحاً في شجاعته ، فكان
لا يتهيب أن ينقد الرجل الكبير الشهير ، ذا الاتباع والأنصار الكثيرين ، بل
ولا يورى أو يصانع اذا قد أحد هؤلاء ، فنجدته ينقد مثل الفزالي وابن رشد
والرازي من المتكلمين المتفلسفين بصراحة وجراءة ، ويسميهم في نقده ويمدد
عليهم الأغلاط التي صاروا اليها ، ونجدته ينقد مثل ابن عربي وابن الفارض ،
والحلاج وغيرهم من المتصوفين الاتحاديين بصراحة وجراءة ويسميهم بأسمائهم
ولا يهاب أن يقول للجانب الأسود فيهم انه جانب أسود ، أو أن يقول للابيض

انه أبيض وان زعموه جديما أسود ، فيمدد عليهم أغلاطهم وما قاله الطهارة فيهم من
المقادح والتهمة الكبيرة ، ولكن على شرط أن تكون صحيحة ، ونجده ينقد الأشاعرة
وغيرهم من الطوائف المشهورة بصراحة وجراءة ، ويمدد ما لديهم من الأغلاط
والأخلاق ، وينقد كبار الفقهاء والمفسرين والمؤرخين اذا انحرفوا عن الصواب
بالصراحة المهددة

كان شعبا صريحا كما ذكرنا ، فكان لا يهاب أن ينقد هؤلاء الرجال
وسوام اذا خرجوا عن جادة السلف الصالح والزعيل الأول نقدا لا مصانة فيه
ولا ظلم ولا عدوان ، بل يعترف للمخطئ بمحامده وفضائله ، وما كان غضبه على
الرجل ورده عليه ما عنده من الأخطاء لينمعه من أن يعترف له بالفضل الثابت ،
فكان غضوبا للحق صريحا في غضبه ، ولكنه كان عادلا في ذلك منصف ، وكان كل
ما يريده من هؤلاء الذين يتقدم ويعرض للرد عليهم ومهاجمتهم هو أن يأخذوا
أخذ السلف الأول من الصحابة والتابعين المتهدين ، والائمة الراشدين كالائمة
الاربعة وشيوخ الاحاديث والايثار ، ولهذا كان معظما للسلف كل التعظيم ، مشيدا
بفضائلهم ومناقبهم كل الاشادة ، غضوبا لهم أشد الغضب ، شديدا على من عابهم
وسبهم أعظم الشدة ، ومن هنا كان شديدا على الرافضة والشيعة الغالية السبابة
العيابة ، ولهذا السبب نفسه كان مفضوبا عليه مكروها أشد الكراهية لدى هذه
الطائفة . وقد وضع في الدفاع عن الصحابة والسلف ، وفي نقد خصومهم والمتدين
عليهم من الشيعة كتابا خالدا عظيم القدر جليل المباحث ، وهذا الكتاب هو
المعروف « بمنهاج السنة » فهو بحق يمد مدره السلف الفصيح ، ولسانهم الناطق ،
وصوتهم الذائم الندي ، وحجتهم الظاهرة ، وآيتهم القاهرة الباهرة ، وكتابهم
المنشور الخالد ، وهو المذيع لعلومهم ، الناشر لها

كانت هذه المباحث الجليلة العليا قبل أن يكتب عنها هذا النافذة ، وقبل أن

يمسها بقله الالهى البليغ مفرقة الدلائل ، مشتتة البراهين ، فائرة جامدة ، وكانت مطبوسة مضمورة تحت طبقات هائلة كثيفة من أبخرة الضلال وقساطل الباطل الخيف ، وكان طالبا القليل النادر يمز عليه أن يظفر بها وأن يراها كما ذكرنا ، وكان اذا وجدها وجدها بشكل ضعيف لا يدعو الى الاطمئنان التام والرضا الشافى ، وكان لقله النصير والموافق هيوبا مستخفيا ، كثير التردد والاحجام والوقوف ، وكان يعانى غير ذلك ، فلما أن قام هذا النابغة المائل فسها بقله البليغ وحشا بيانه الباهر وحججه الظاهرة القاهرة ، ووقف بها وقفة طويلة وقصيرة ، وأخيرا لما أن كتب فيها وقال بصوته الرنان المقيم المقعد : أيها الضالون ، أيها المترددون ، ألا ، ألا ، ها هو الحق ، ها هى الحقيقة ، ها هو مراد الله ودينه وشرعه . أجابه كل شيء . ما سوى الهوى والحسد . : أن قد صدقت وهديت وورثت ، والى اليوم لا يزال هذا هو جواب كل شيء ما سوى الهوى والحسد ، قاتل الله الهوى والحسد ، وقاتل من طاف بكعبتهما وأمّ قبلتهما

من الذي جعل عبادة القبور والانتقطاع الى الاموات علما مدروسا مجموع الاطراف والبراهين قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي جعل الكلام فى صفات الله وأسمائه علما مدروسا محبوبا الأطراف مجموع الحجج قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي هتك الأستار وكشف الأسرار عن أولئك الانحادين الملاحدين قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي رد جيوش الرافضة أعداء السلف وخصوم الصحابة وشناة ملوك الاسلام وخلفائه ، مدحورين مكسورين ، ينب على جموعهم غراب الذلة ، وبومة الهوان قبل هذا النابغة العظيم . نضر الله وجهه ونضر وجه والدين نجلاه ، وأعز أرضا حملته وأظلمته ؟ ومن الذي كشف نيات الباطنية الملاحدين وسدد الى مرامهم الخبيثة سهم الله القاتل المسمى قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي دحر عباد الصليان ، وعباد الأبحار والزهيان ، ووضع على جباههم تراب

المون والموان قبل هذا النافذة العظيم ؟ ومن الذي مثل بمنطق اليونان الذي عنه المفتونون فوق القرآن . فأضلوا به أهل الايمان . وحكموه في كلام الله وكلام الانبياء والمرسلين ، وأصاروه الحكم المحكم في عقائدهم ودينهم وإيمانهم : - من الذي أصار هذا المنطق أضحوكة المؤمنين قبل هذا النافذة العظيم ؟ ومن الذي حكم بين دولتي المعقول والمنقول ، وماز بين هذا وهذا وأبان وظيفة هذا ووظيفة هذا ، ومن الذي أبلغ الناس هذا البلاغ أن المقولات الصريحة لا يمكن أن تخالف المقولات الصحيحة ، بعد أن حار في هذه القضية كبار النظار وضل فيها فحول المتكلمين ، مثل فخر الدين الرازي ونظرائه : - من الذي فعل هذا كله قبل هذا النافذة العظيم ؟ ومن الذي استطاع أن يهجم على ضلالات كبار الاتحادية الملحدون ، أمثال ابن عربي الطائي والحلاج وابن الفارض وابن سمين ، ومن الذي جلى دخالهم وخفيات أغراضهم وما يرمون اليه من إلحاد جارف ، وكفر كثيف عفيف قبل هذا النافذة العظيم ؟ ومن الذي أظهر زيف أهل الفلسفة الضالة الهازلة ، وأظهر جنائياتهم على الأديان والعقائد والمقول ، أمثال ابن سينا والفارابي ، وأشباههما من قادة الكفر المحلى بأثواب الايمان والاسلام قبل هذا النافذة العظيم ؟

ارفضت الانسانية بعد عناء عن هذا الرجل الذي لا كالرجال ، فنظر حوله فوجد أمهات المسائل الاعتقادية الكبرى ، وأشدها غموضاً وخفاء تنتظر رجلاً الموقوت المنتظر ، ثم وجد هذه المسائل الكبرى الفاضلة قد عقد نطاق بعد نطاق من الشبهات والريب الموبقة حول نارها المحرقة للايمان ، المذبية لبرده ويرده ، وقد تراعى فيها الخاصة قبل العامة من أهل ذلك المصر الضال أهله : هؤلاء هم للفلاسفة الملحدون ، قد أوردوا على ايمان المؤمنين ، وبقين الموقنين مالا قبل لهم بنفسه أوقفه من الشبهات والمعارضات الماثلة التي أوقصوا في حباثلها من شاء الله

من قادة الفكر والفلسفة في ذلك العهد ، فأوردوا مشاغباتهم وشبهاتهم على قدم العالم وخلوده ، وعلى اختيار الله ، وعلى العقل الأول ، وعلى الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، وعلى النبوات وأعظم الالهيات ، وعلى غير ذلك مما هو معلوم مدون ، ومما لا تزال شظاياها تلفح قلوب وعقول قوم أعرضوا عن مهابط اليقين ، ورغبوا عن تراث المرسلين ، وهؤلاء هم الاتحادية السخفاء المترعنون بأناشيد وحدة الوجود واتحاد الخالق والمخلوق ، بمعنى أنه ليس هناك رب ومربوب ، ولا مؤمن وكافر ولا عالم وجاهل ، بل ليس هناك انسان وحيوان ، ولا ملك وشيطان ، الى آخر هذا الهذيان الذي أصيب بمكروبه القاتل قوم وصفوا بالايمان والولاية ، والعلم والتحقيق الرجوع اليه . وقد طاح في هذا الميدان رجال ما كان أحذقهم وأذكهم وأصنافهم أذهانا وألبابا ، ولكن أسرار مشيئة الله من وراء ذلك كله ، ومن فوق الذكاء والعلم وجميع المواهب الكاملة والناقصة : هؤلاء الاتحادية المرضي قدأصابوا من شاء الله من أهل الايمان والدين ، وأفسدوا العقول والفطر بمرض الاتحاد الموبوء ، وأطالوا في تجميل هذا المرض ونشره ، وجهدوا لايقاع من وصلوا الى قلبه وعقله فيه من خاصة الناس وعامتهم ، وهؤلاء المفتونون بفلسفة اليونان ومنطقهم الناقص المتهاافت قد احتاشوا المؤمنين الى ناره فأحرقوا بها تلك الدائرة المكفوفة على احترام القرآن ونصوصه ، وكلام النبوة وأحاديثها ، إذ راحوا يزعمون لهم أن القرآن وأن الأخبار النبوية وأن جميع النصوص المنزلة على الأنبياء والمرسلين ليست أداة إيقان ، ولا مصدر ايمان ، فلا يليق الرجوع اليها في نسق الاعتقادات المطلوب فيها اليقين الذي لا يتاله الشك ، وأنه لا مناص من الرجوع في أمر كهذا الى منطق اليونان ، والى ما قاله فلان وفلان ، فراجت هذه الدعاية الضالة ، ووجدت في المؤمنين من زادوها تنغيما وتلحينا ، فزلت أقدام ، وضلت أفهام . وهؤلاء المصلطون لذات الله ، المجردون لذاته من الصفات ، من أركان المبتدعين ،

وأصناف الفرق الخيرية كالمعتزلة والشيعة ، والمؤمنين من طريق الفلسفة الناقصة ، وغير هؤلاء قد أطلوا الشغب والاحتجاج على تجريد ذات الله من الصفات الثبوتية ثم وصفه بالأوصاف المذمومة السلبية ، ومن القول بخلق القرآن ، الى غير ذلك من أقوال الضالين عن صحيح المقول والمنقول ، وقد دانت لهؤلاء الشبهات ودان لهم سلطان الاشكالات ، حتى كادت أصواتهم تكبت كل صوت

وهؤلاء الباطنية المنافقون المخادعون قد أجادوا إخفاء أمرهم ، وترويع كفرهم ، بما أضفوه على ذلك من لبوس الايمان ، والتحقيق الدقيق ، والفلسفة العتيدة العميقة ، حتى ضلوا على الناس أمورهم وأغراضهم الحقيقية ، فأضلوا كثيراً . وهؤلاء الرافضة قد رفعوا أصواتهم وعقائهم بسب السلف ، والوقیمة في صحابة النبوة ، وقد مردوا على إكفار المؤمنين ، وثلب المسلمين ، حتى زوروا في ذلك الكتب والأسفار ، ودعوا اليها الناس بلا حياء ولا حذر ، فأغوا بعض من بأيديهم السلطة الحاكمة ، فنيلت ظهور المؤمنين ، وجرحت مشاعرهم وعقائدهم ونفوسهم ، وكان ما كان ، وأحدثوا ما أحدثوا من الشبهات والمعارضات والمشاغبات في ايمان الصحابة - ولا سيما الكبار منهم - وفي دينهم . وها هم عباد الصلابة قد استطالوا على المسلمين وعلى نبیهم ودينهم ، ونسجوا ما نسجوا من الآ كاذب والأوهام والمغالطات القوية المضلة ، وهام غير هؤلاء وهؤلاء من خصوم الشعلة الالهية المقدسة المتقدة في جزيرة العرب لاجراج الانسانية - أينما كانت - من ظلمات المادة ، وظلمات ما اختلقت المادة من العقائد والمذاهب المردية الفاسدة ، فقد صاروا إلبا واحداً ، وصفاً صفا لاطفاء هذه الشعلة المتقدة هنالك بين الصحراء والسماء ، أنقى البقاع جوا وهواء ، وأطهرها أرضاً وسما ، وأحفها نفوساً وقلوباً وعقولاً : قد هبوا كذلك فأذلوا المؤمنين وكوا صوت الحق المبين ، وبعثوا ما بعثوا من الهيئات والجلبات حول نداء السماء ، حتى ظهر الباطل على الحق ، وساد

المفسدون في الأرض . كان هذا كله وكأنه لم يكن إلا إرهاباً لهذه المعجزة الإسلامية الباهرة ، وتوطئة لبروزها وبروزها البروز الذي قدر لها رأى هذا النابغة العظيم هذه العوادي المائلة محدقة بجهات الاسلام ووجهات أهله ، منطلقة كلها الى خنقه وخنقهم ، ورأى من أهله الاستخذاء والخنوع والاستسلام ، هذه الأمراض التي ينكرها الاسلام الحار الملتهب . فما لبث أن اندفع الى الميدان وحاديه ما لا يمكن وصفه من الايمان والعزمات ، التي لو جسمت لما كانت حديدآ ولا فولاذآ ولا غير ذلك من شديد المادة وصلبها ، والتي لو جسمت لما كانت سوى الايمان وعزماته . فما هنالك أصلب من الايمان اذا وجد مكانا قابلا وقلوبا تخلص به . فما لبث أن ظهر في الميدان وصار ملء الأفواه والأسماع والقلوب والنفوس

صمد الى هذه العوادي المحدقة بجهات الاسلام ووجهات أهله ، وسلط عليها أشياء لا يدري ما هي ولا كيف كانت إلا أن الناس يسمونها النقل والعقل ، ويسمونها أحياناً أخرى الحجج والبراهين . فقد انتزع من هذا النقل وهذا العقل ، ومن هذه الحجج والبراهين أشعة ليست من الشمس ولا من القمر ، ولا من النار أو النور ، ولا غير ذلك من الأشياء المشرقة الوضاعة ، ولكنها أشعة تنسب الى العقل والى النقل ، والى الايمان وعزماته ووثباته . فما هي إلا جولات صادقة مؤمنة حتى انجلت تلك الظلمات ، وانجابت ذلك المثير الأدكن ، فاذا الميدان ملآن بمجث الأبطال ، أبطال الضلالت ، ومجث الصناديد ، صناديد الشبهات ، واذا بالبقايا المنهزمة تنادى بالويل والحرب ، وتعيج صاحبة مولودة قائلة بصوت واحد : هذا ما لا يطاق ، هذا عدو الجميع ، فليحاربه الجميع ، وليكن إلماً واحداً عليه ، وليقاتله بكل سلاح ، وليكن هذا السلاح ما يكون من الكذب والنفاق والخداع وشهادة الزور وقول الزور والباطل والوشايات ، لا يتورع من شيء ولا يتأثم من أمر

وضع هذا النابغة كتباً خالدة في هذه الفرق الضالة كلها جاءت آيات خالدة في التأليف من اسعاد البيان ، ومواتاة البرهان ، بل جاءت ثورة راشدة مظفرة على ذلك الضلال الجارف الخيف ، وكان هو أعز قائد ساق الحملات المظفرة الى حساكر الجهالات والترهات الغازية للقلوب والعقول والمعتقدات ، وأصبح هو - بعد ذلك - زعيم المصلحين ، ومن أشرف الهبات الالهية السماوية التي يرسلها الله الاحيان الفارطة العجلى على أضرار هذه الأرض وأضرار أهلها ترحضها ، ولتنفسها ولتدفع ما يمكن دفعه منها عن هذه الخليقة الفرق في سيئات أعمالها واختيارها الناقص الخداج . وقلّ ان كتب كاتب في الاصلاح ، وفي غزو الجهالات والمبتدعات الا كان صادراً عن تراث هذا الامام وعماء خلف من الكتب الخالدة ، والمعين العلى الذى لا ينضب ولا يفيض

كان الرجل - كما رأيت - مهاجماً غنياً قوياً ، وكانت حياته وكتبه مهاجمة عنيفة متواصلة الحلقات . وأى شيء كان في ذلك العصر لا يجب الهجوم عليه لاصلاحه ولتنقيته مما أصابه من الاخلاط والأضرار الضارة الفاسدة ١ ولأجل هذا كثر خصومه ومناوئوه ومعادوه ، وكثرت الوقعة في دينه وعلمه وأخلاقه وما كان يرمى اليه من المطالب العليا الشريفة ، وقد زاد المداوات والخصومات به ضراوة واستشلاء ما كان عليه من المجاهرة بالحق ومصادقة الحق ، ومن كان صديقاً للحق فلا يطعم في صداقة أكثر هؤلاء الناس . ومن كان حريصاً على صداقة الناس فلن يكون من أصدقاء الحق والصدق ، وقد قال بعض السلف قديماً : ان كلمة الحق لم تدع لنا من هذا الخلق صديقاً ، أو ما هذا معناه

فكان هذا الامام لا يبالى في مقالة الحق والمعروف شيئاً ولا يهرب أمراً ، فكان يصدع بالحق للقريب وللبعيد ، ويأمر بالمعروف الصديق والعدو ، والكبير والصغير وكل أحد ، وكان لا يتحرى مسالة شعور خصم الحق ، فكان لا يتحرى

من الألفاظ أخفها أو أقبلها للتأويل والمنازعة ، لأنه كان بعيداً عن المصانعة والمداهنة في إرضاء الله ، فكان في ذلك شبيه السلف الاول الصالح ، وبقيّة ذلك الطراز الواضح من سلفنا الماجد . وقد كانت هذه الصفة من أبرز ما في حياته البارزة ، وكان لأجل هذا صابراً على صنوف الأذى والظلم من السجن والتعذيب والتشريد والتكفير الذي كان يقاتله به خصومه العاجزون الهائمون بالدنيا ولذاتها وصابراً على رقة الحال التي رافقته طول حياته حتى خرج من الدنيا كما دخلها مخفياً من تبعاتها وتكاليفها ، ولولا هذه الصفة المكيّنة فيه ، ثم لولا زهادته في ما هنالك لاسْتَطاع أن يرقى إلى أعلى المناصب العليا ولا استطاع أن يعيش من المترفين المنعمين وأن يسقيه الدنيا المترفة بكفيتها أفضل ما فيها من لذة وشهوة ، كما سقت غيره من العلماء الذين لا يدانونه في شيء من فنون العلوم والمعارف ، ولكن لكل وجهة ... هو موليا

والقصة التي كانت بينه وبين أبي حيان النحوى امام عصره ومصره في العلوم العربية تدلنا على مقدار ولع هذا الشيخ بمقالة الحق لا مداجاة ولا مصانعة ذلك أنه بعد أن ذاع اسمه وأمر أمره ، قدم الى مصر ففقد عدة مجالس التي فيها عدة محاضرات في التفسير والشؤون الاجتماعية والدينية العامة ، فحضر أبو حيان أحد مجالسه فأخذ بما سمع واستولى على مكان الاعظام والا كبار منه ، فلما انتهى من محاضرتة قام أبو حيان وأنشده على البدنية قصيدة يمتدحها بها ويزجى إليه إعجابه وسروره واعتباطه به ، جاء في هذه القصيدة :

قام ابن تيمية بنهر شرعتنا مقام سيد تيم اذ عصت مضر
وبهذا المجلس أصبح أبو حيان من أنصار هذا الشيخ الخالصين ، ومن أحواله وأحوال حبه وإجلاله وتقديره . ثم بعد هذا قدر أن قام بينهما كلام في بعض المسائل النحوية وجاء اسم سيويوه - فاستدل ابن تيمية على مقاله ورأيه بأشياء

اجتهادية فعارضه أبو حيان بأقوال سيديوه . فغضب ابن تيمية وأغلظ القول ؛ وقال
 أن سيديوه ليس رسولا للنحو والعربية حتى يقبل قوله بلا حجة ولا برهان وحتى
 يلزم الناس الأخذ بكل ما قال ، وقال أن سيديوه قد أخطأ في كذا وكذا موضعا
 من كتابه أنت لا تعرفها . وبهذا تنكر أبو حيان للشيخ وصرم جبل وده وقطع
 علاقاته به ، وعاد ذاما له ، واقفا في دينه وعقيدته . وما كان دينه وعقيدته قبل
 هذه الحادثة غير دينه وعقيدته بعدها ، ولكن التخير هو الموى . فبعدا للهوى !
 وما كان أشد حاجة الشيخ الى صداقة ابن حيان ومدجاته فيها لو كان يركن الى
 شيء من هذا أو يقيم له وزنا في حياته وأمره ! ولكنه لم يأب العلم هذه الصداقة
 حينما وجدها تستحق اللطم ، فاستراح منها حين علم أنها سوف تكلفه مالا يستطيع
 ومالا يريد من المصانعة والمداجاة المقوتة لديه ، وهكذا كان خصما المداجاة في
 الحق والمصانعة في الله . ولو أن الله خلق فيه شيئا يقبل شيئا من هذه الأخلاق
 لاستراح من كثير مما لقيه وأصابه من الطغاب والاذى في سبيل الحق ، ولكن
 في استطاعته ووسعه أن يمن على العلماء الرصمين وغيرهم من رجال الدنيا بشيء
 من المداجاة والمصانعة ، والتلطيف من خلافهم وإبطال أمرهم ، فينال بذلك
 رضاهم . بل ينال أشد احترامهم وتقديرهم لأنهم كانوا في حاجة عظيمة الى مسالمتهم
 ورضاهم عنهم لخوفهم من دينه على دنياهم ومن زهدهم على جشعهم ، ومن قوته
 بإيمانه على ضعفهم بمناصبهم ورتبهم الدنيوية ، وقد كان في مجالس المناظرة التي
 عقدت بينه وبينهم يبدى من ذلك ضروب العجائب . حتى أنه كان لا يدع كلمة
 تمر بالمجلس إلا ويوليها ما تستحق من المقت والغضب والثورة إذا كانت من ذلك
 النوع الباطل الذي يمتته ويزدريه ويكرهه ، ولا يبالي أن تكون كلمة من بيده
 الفصل في أمره والقضاء عليه بالحياة والموت والسجن أو ما كان من ذلك أن
 كان لخلق من هذا الأمر شيء فكان الناس الخصوم والاصدقاء يعجبون من

أمره عجباً ممزوجاً بالاعجاب ثم بالاحترام والهيبة المكظومة ، وكان بعض العلماء الفضلاء في تلك المجالس يتعمدون تفسير كلام الشيخ تفاسير ذات وجهين أو وجوه ، ويحولونه معاني لا تثير حفاظ الخصوم الشائين كثيراً . ولا تنأى عما يريده الشيخ كثيراً أيضاً ، وكانوا يريدون بذلك الدفع عنه وإبعاده عن سخط الخصوم وأذام وظلمهم بما في أيديهم من السلطة ، سلطة المناصب الرسمية . ولكن الشيخ كان لا يرضى هذا التوفيق ولا هذا الدفاع ، ولا ذاك التفسير ، ولا تلك المدحجة في الحق خيفة خصومه ، وكان يرى أنه إذا كان صاحب الباطل والدنيا شجاعاً قوياً في الدفاع عن باطله ودينه ، وجب أن يكون صاحب الحق والدين أشجع وأقوى في الدفاع عن دينه وحقه . فكان لذلك يثور وكان يفسر كل ما قاله وأراد تفسيراً واضحاً جريئاً تاماً غير مبال بأن يفض من يفض وأن ينجل من ينجل ، وأن يتخلى عن صداقته من يتخلى عن لا يثورون ثورته على غير الحق ، ومن ليسوا صرحاء صراحته في قول الحق والصبر عليه ، فكان في أمره كله أعجوبة الأعاجيب ، وذلك أنه كان يعلم حق العلم أنه إن لم يكن صريحاً هذه الصراحة ، قوياً هذه القوة ، صلباً تلك الصلابة فلن يفصل بين الحق والباطل ولن يتميز الفريقان ، فريق الدنيا وفريق الأخرى ، وحزب الله وحده وحزب الشهوات والآكال والمشارب

وقد كانوا ثلاثة رجال وقفوا ثلاثة مواقف متشابهة : أبو بكر الصديق يوم أن أراد الأعراب والأمم الموثورة أن يضربوا الاسلام وخلافته ووحدته الضربة القاتلة ، وأحمد بن حنبل أيام فتنة المعتزلة والقول بخلق القرآن والبدع الأخرى الجارفة التي لعبت بالاسلام وقلوب أهله وعقولهم أدواراً كان لها الأثر الأسوأ في معنى الاسلام وفي معنى المسلم ، والثالث هذا الامام في قيامه على الضلال والابتداع والجحود والموت الديني العقلي الشامل . فكان الثلاثة - نضر الله وجوههم -

متشابهين في صدق العزمات والمقامات ، وفي الصلابة في الحق والاستهانة بكل مافى سبيل ذلك من الأخطار والأضرار . وبالثلاثة اندفع عن الاسلام والمسلمين ما اندفع من الآرزاء والمصائب الذكراء ، والله في خلقه صفايا يصنعهم على عينه ويربيهم التربية التي تعد لهم لوظائفهم التي أعدها لهم وأعد لهم لها ، وهو أعلم حيث يضع أمره وسره

وبهذه الصفات والخلائق التي طبع عليها هذا الامام لم يكن عجيبا أن يكثر أعداؤه المعاصرون له من العلماء الرسميين ، ورجال الدنيا الطاغية ، ولم يكن عجيبا أن يناله ما ناله من الأذى والاهانة والتجريح والوقعة في دينه وعقيدته ، ومن صنع إلا كاذب عليه ، فانه لم يأت أحد بمثل ما جاء به إلا كان نصيبه مثل نصيبه ، وإلا لقي مثل ما لقي من الظلم والاعتات الجائرة الغاشم وقد قيل :

وكأنما علم العليم وفضله جرم جناه على الوضع الجاهل

فهذا عالم رسمي يخدم السلطة الجائرة التي هي على كل حال لا يمكن أن ترضى الحق أبداً ليصيب عندها ما يصيب من أعراض الدنيا الملعونة ، فهذا العالم يخاف على منصبه ودنياه التي ابتلى بها حتى أصبح غير قادر ولا صابر على فلاحها وفراقها بعد أن علق بأسبابها وأخذت هي بمقادته وناصيته ، فهو يخاف هذا الامام أن يفسد عليه أمره ودنياه ، وأن يبعد عنه العامة وهو لم يكن إلا بهم . فهذا العالم الرسمي الحكومي لا يمكن أن يرضى عن هذا الشيخ وعن دعوته ، فلا بد له إذن من حربه وخصومته لتسلم له دنياه وجاهه الكاذب الزائف

وهذا شيخ ضريح كبير مزور معظم ينطف عليه ذهباً وفضة ، ويرجى الى ساحته الصدقات والندور الحرام بجهالات الأمة والجاهير المسكينه ، فهو يخاف مثل هذا الامام أن يفسد عليه أمره بعلمه ودينه وفتاويه ، فيخرجه مما دخل فيه من الدنيا فما أحوجه الى مناوآته ومخاصمته !

وهذا وال ظالم ، يضرب ظهور الناس ويفتصب أموالهم ، فهو يخاف هذه
 النزعة الزاهلة في الدنيا على أمره وجبايته وسلطانه القائم على الظلم . ولن يعجب
 مثل هذا الوالى من العلماء إلا الراغب في الدنيا ، ليستمتع هذا بدنه المناق ويستمتع
 ذلك بفضلات دنياه ، وإذن لا بد لهذا الوالى من مناوأة هذا الامام ، ولا بد له من
 إخفاء صوته والحيلولة بينه وبين الجماهير لئلا يفسد عليهم ، ثم لا بد له من إجابة
 رغبات الراغبين في ظلمه ومطاردته ، من علماء الدنيا ، وعبيد السوط والمصا يمتلئوا
 لهم الجوى

وهذا شيخ نحلة فاسدة مريضة تدر عليه الرزق الوافر والجاه العريض ،
 وتعلمه على عرش الزعامة الالهية وتلف بحبوته الولاية والنبوة ، بما يدعيه ويدعو
 اليه من مظالم الآراء ومفسد العقائد والدعاوي . فلا بد لهذا الشيخ - إبقاء على ملكه
 وملكوته - من منازعة هذه الدعوة الإصلاحية التي يدعو اليها هذا الامام المصلح
 وهؤلاء قوم ترعرعوا في كنف الابتداع والخرافات ، فتعشقوها صفراً حتى
 صاروا لا يطيقون فراقها ولا النزع عنها ، فهم إذن يمتنون من يريد منهم أن يدعو
 ذلك وأن يسلموه ، ومن غزاه ونار به من أهل الإصلاح والتطهير

وهؤلاء قوم رافضة يعبدون الله بلعن السلف وسب صحابة رسول الله ،
 ويقولون في الله وفي الأنبياء والأولياء والمسلمين الأقوال المنكرة الشنعاء ، فهم
 يكرهون أمثال هذا المصلح العظيم لأنه هو الذى يهتك أستارهم ، ويكشف أسرارهم
 ويذلهم بسلطان الحق وملك البرهان ، ويضرب على رقابهم وأيديهم السلاسل
 والأغلال يطوهم المؤمنون وتدوسهم عساكر الله ، فلا بد لهؤلاء الرافضة من معاداة
 هذا الامام والخط من قدره والوقعة في دينه وشرفه غضباً لباطلهم المقهور وطاغوتهم
 المهطم بيده الله الغالب

وهؤلاء قوم ملحدون قد استمالوا على ضغفاء المؤمنين فأذلوهم بشبهاتهم

ومشاغباتهم وحيلهم المنكورة يرون أنهم في حاجة الى عدااء هذا الشيخ واتهامه بأمهات الكبائر تنفيراً عنه وحطاً من قدره ، لأنه هو الذى استطاع أن ينتقم منهم للحق وأن يثأر منهم لله ولحزبه ودينه ، ولأنه هو الذى استطاع أن يلقى فوق رؤوسهم ما رفعوه ليقوه على دين الله وعلى عباده المؤمنين ، فهذه الطوائف كلها وغيرها وغيرها من طوائف الالحاد والضلال والآهواء لا تستطيع إلا معاداة هذا الشيخ وإلا انكاره وانكار فضله ودينه وإصلاحه ، لأن الاعتراف له بذلك يناق الأغراض والآهواء التى يخدمون والتى وهبوا لها حياتهم وأنفسهم ودينهم وكل ما يملكون من المعاني الإنسانية

فليس بمجيب إذن ولا بمنكر أن يلاقى من هؤلاء القوم في عصره وفي أغلب العصور الكراهية المرة والعداء العنيف ، وأن يلقى الأذى وكل ما تستطيع النفس الإنسانية الظالمة الناقصة من الاجرام ومعاينه ، وليس بمجيب أن يسعى هؤلاء غير راقين الله ، ولا راقين معنى من المعاني العاجزة عن التساقط في هوة الآهواء التى لا يسرها مثل أن تلغ في دماء الفضائل ، وأن ترتفع في الشهوات المتخمة على أشلاء أهل الفضل والشرف الماجد المطهر الى انشاب أظافر العدوان في سالفته ، وليس بمنكر أن يناله أذاهم كما نال الأنبياء وجميع المصلحين في كل زمان ومكان ؛ وليس هذا بتناقض من قدره ، ولا بدال على أنه من الخارجين على الحق ، بل هذا كله معدود زيادة في قدره ، وحسنات يخصه الله بها لما أن صابر وصبر وجاهد في سبيله وسبيل دينه ودافع عن حرمه ومحارمه . فلا تقرر عينا هذا الشيعى أن ظفر بقدح وعيب في هذا الامام ، وأى ذي عرض نقى أبيض لم يوجد من يقول له انه لدو عرض أسود ! وأى ذي قدر رفيع لم يوجد من يحاول خفضه والهبوط به تحت أقدام الرذائل ! بل وأية فضيلة في هذه الأرض لم تحارب وتطارد ! وأى معنى ماجد شريف سلم من المطاردة والأذى !

(٦٦٠)

هذا الله في عليا بمحوته قد أنكره وسبوه وآذوه وأضافوا اليه من النقائص
والمعائب ما نزهوا أنفسهم عنه . وهؤلاء الرسل قد كذبوا وأوذوا وقتلوا وألحق
بهم أنواع الايذاء والبلاء . وهؤلاء الصحابة لم يسلخوا من عدوان الشيعة ومقادحهم
وباطلهم ، فأكفروهم وسبوه وقالوا فيهم الصيالم . وهذا على رضى الله عنه إله
طوائف منهم ، ونبي طوائف ، ووصي الجميع قد كفر وسب وتدح فيه وفي آله
الطاهرين الطيبين ، وهكذا كان سبيل جميع المصلحين ، وهكذا كان سبيل هذا
الناخلة الفذ ، وهكذا كان سبيل من قالوا للجانب الأسود في هذه الانسانية : إنه
أسود ، ولليل في هذه الأرض أنه ليل . فان هذا الانسان المغرور لا يرضيه إلا من
يفول للجانب الأسود فيه : أنه أبيض شديد البياض ، ولليل الحاكم الظلام أنه
شديد الضياء !

فهل ضارَّ الأنبياء والمرسلين وجميع المصلحين تنقص المتنقسين وقبح القادحين
واتهام المتهمين ؟ أم عاد ذلك كله حسنات موفورة وارتعاعاً لأقدارهم الرفيعة وبرهاناً
لهم على محاربتهم الفساد والزور والضلال والظلام وكل نقائص الانسان ؟
قال ابن عساكر في كتاب بيان كذب المقتري : « قال عبد الرحمن بن مهدي :
لولا أني أكره أن يعصى الله لتمنيت ألا يبق في هذا المصر أحد إلا وقع في »
واغتاني ، وأي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة لم يعاملها
ولم يعلم بها ؟

وليس من يذكر بالسوء مغبونا ، بل الذام واللاعن له يصير ملعونا ، وكيف
يكون المذكور بسوء الذكر مرجوما ، وقد صار مثابا وذاكراً بما قال فيه
مأثوماً ؟ . . . »

وذكر ابن عساكر أيضا بالسند قال قال رجل لعمر بن عبيد : يا أبا عثمان
إني لأرحمك مما يقول الناس فيك ، قال يا ابن أخي أسمعني أقول فيهم شيئا ؟ قال :

لا ، قال : إياهم فارحم . قال : وأرسل اليه بعض الناس يذكروه بالسوء والأذى ، فقال لحامل الرسالة : قل لمرسلك القيامة تضمننا ، والموت يجمعنا ، والله يحكم بيننا . وروى ابن عساكر أيضا بالسند قال قيل للحسن البصري : ان قوما يحضرون مجلسك ليتبعوا سقط كلامك فقال الحسن : يا هذا اني قد أطمعت نفسي في جوار الله فطمعت ، وأطمعتها في الحور العين فطمعت ، وأطمعتها في السلامة من الناس فلم تطمع اني لما رأيت الناس لا يرضون عن خالقهم علمت أنهم لا يرضون عن مخلوق مثله . ثم روى ابن عساكر بالاسناد الموصول الى مجاهد قال سأل يحيى بن زكريا ربه ، قال يا رب اجعلني أسلم من ألسنة الناس ، فأوحى اليه : يا يحيى لم أجعل هذا لي فكيف أجعله لك ؟ قال ابن عساكر : « ولا شك أن الله لما قبضهم الى رحمته ، وتوفاهم عند منتهى آجالهم ، أراد أن يجري لهم الثواب بعد توفيقهم بأن يكتب لهم أجرا بما يقال فيهم مع أجر ما قدموا من صالح الأعمال ، وعطوا الناس في سائر الأحوال ، لئلا ينقطع عنهم الأجر بعد مماتهم ، ويكون ذلك زيادة لهم في الحسنات . . . »

ثم روى بالسند عن عائشة رضى الله عنها أنه قيل لها ان قوما يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى انهم ليتناولون أبا بكر وعمر ، فقالت أتمجبون من هذا ؟ إنما قطع عنهم للعمل وأحب ألا يقطع عنهم الأجر . ثم روى عن الامام الشافعي بالسند أنه قال : ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام الا ليزيدهم الله بذلك ثوابا عند انقطاع أعمالهم . وروى ابن عساكر في هذا الفصل من هذا الكتاب في الامام أحمد بن حنبل :

أضحى ابن حنبل فتنة مأمونة ويحب أحمد يعرف المتنسك
فاذا رأيت لأحد متقصا فاعلم بأن ستوره ستهتك
وإذن ليس لهذا الرافضى مسرة في أن يجد من يقدحون في شيخ الاسلام

ابن تيمية ومن يكفرونه وينالونه بأفانين العلوان والمقادح ، وليس في هذا شيء من الدلالة على فساد أمره أو عقيدته ، فلا تقرر عين الشيعة ولا أعين اخوانه من أهل الزور والابتداع والضغن المر اذا وجدوا هاجيا لهذا النابغة العظيم ، وفي ديوان حكمة الشعر :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
وما قدح في ابن تيمية الا أهل النقص والجهل والغباء ، أو من آثروا الدنيا وشهواتها على الله وعلى الحق . وهؤلاء لم يكونوا يوما من الأيام قائلين للحق ، ولا راضين عنه

ابن تيمية أيضا

قال الرسول عليه الصلاة والسلام « ان الله عند كل بدعة كيد بها الاسلام وليا يذب عنه ويتكلم بعلاماته ، فاغتنموا تلك المجالس » رواه أبو القاسم ابن عساكر في كتاب بيان كذب المقتري

وجع الانسان ! ما أقساه وما أظلمه إذا قدر ، وما أضعفه إذا عجز ! هذا أنبح المسلمين قاطبة في القرون الاسلامية الوسطى كلها ، وهذا أجمعهم لشتمائل الرجل المسلم الكامل من الاقدام والشجاعة ، والصراحة والصرامة والذكاء ووفور المعرفة وسعة الأفق العلمى والزهد فى الدنيا ولذاتها وشهوات النفس وما ربهها والاعراض عن وسائل الملو والشهرة وذبوع الاسم والذكر ، الى غير ذلك من الشتمائل التى تحدث عنها الكتب ولا تحصل عليها العين : هذا أفضل المسلمين ذهنا ونفسا فى تلك المصور كلها يفسر عليه ظلم الانسان وطفياه وولعه بالنقص والناقصين فتتوافر همه ، وتصطلح ما ربه المختلفة على اضطهاده وعلى نيله بألوان الأذى والظلم ، فيحارب فى حياته كلها ، ويمس بالسوء والبلاء ، ويراد به كل منكر لولا دفع الله ، فيظل عمره

كله مطارداً محارباً لا ينتفع بشيء من حياته سوى ما في نفسه من الإيمان وبرد
الإيمان ، ولذة الروح والقلب بالله وبرضاه بما قدم من صالح ، وما قام به وأسداه
إلى ظالميه ومطارديه من نصيح وإرشاد . حتى يفار الله على روحه الطاهرة ، ونفسه
الذكية المعذبة بآثام الإنسان الآثم ، فينتزعها - جلت قدرته وحكمته - من بين
جدوان سجن وضعه فيه الإنسان غيره منه على باطله وجهله وفساده وما آثمه فيذهب
إلى الله تاركاً لم دنياهم يتصاولون عليها كما كان تاركها لم يوم أن كان حياً بين
أظهرهم ، مخلفاً وراءه عقله وعلمه وجهاده الطويل المضني زهرات دانية يجتنيها من يجتنى .
ثم لا يكتفى ظلم الإنسان الإنسان أن يقف عند هذه المرحلة من التعذيب والمطاردة
والجناية على العلم والفضل والدين . لم ينته هذا عند انتهاء حياة هذا الشيخ وخروجه
من الدنيا القاسية موجع الفؤاد والنفس على ما لاقى من ظلم وأذى ونفى وتشريد
وسجن وتعذيب لا شيء غير قوله للظلام : هذا ظلام ، وللأسود : هذا أسود .
فيظل خصومه وأعداؤه يمتحنون له التهم ، ويعثون إلى روحه - في الملأ الأعلى -
الافساق والاكفار والنقائص الأخرى على أجنحة الهوى والحقد والحسد والحبلة
الناقصة الآثمة ، ويظلمون يشرفون ويفربون في تطلاب المثرات والمهلكات للرجل
وفي لم شعث ما يحسبونه ثمة في دينه ، أو نقصاً في علمه ، أو خدشاً في نفسه وشرفه
وورعه ، ثم لا يقتصم هذا كله ، فيروحون يخلعون عليه الأباطيل في دينه وورعه
وعلمه ونفسه اختلاقاً لأشبهة فيه ولا صمة للحق في معانيه ، ثم يذهبون يستصرون
الفتاوي في كفره وفساد أمره ، ثم يظلمون يتوارثون هذا الظلم وهذا الكذب في
العلم ، ثم يتسع أفق هذا الظلم وهذا الكذب في العلم كلما اتسعت حلقات الزمان ،
وكلا بعد الرجل عن خصومه وظالميه ، ثم يبدع الآخر من هذه الجرائم والمآثم
ما قصر عنه جواد الأول ، أول خابط في هذا الآثم الإنسانى ، وأول آكل من
شجرة الخطيئة ، ثم لا يكون بعد ذلك لتوفر دلائل البراءة ووضوحها لدى

هؤلاء الخصوم الباغين قيمة ما ء فلا يعدلون عن تهمة رموا الشيخ بها مهما قامت الدلائل صارخة في آذانهم قائلة : انكم لكاذبون ، وإنكم باغون ظالمون ويح الانسان ! ما أظلمه وأبغاه ! أفا شفيع لهذا النابغة عند أولئك الناس علمه ووقور معارفه ؟ ثم أما شفيع له دينه وزهده واعراضه عن الدنيا ؟ ثم أما شفيع له إخلاصه وحبه الخير وغيرته على الدين والحق ؟ ثم أما شفيع له إقدامه وشجاعته وهجومه على الخطر والعذاب رغبة في الحق وإسعاد الخلق ؟ ثم أما شفيع له ما فتق لهم من أحكام المعارف والعلوم ، وما دل عليه من وجوه الدلائل وسبيل العلم ؟ ثم أما شفيع له عندهم ما رفع عنهم من ضغط المارقين الملحدين ، وما دحر وهزم من جحافل الباطل والضلال ؟ ثم أما شفيع له ما أخرج من كتب خالدة يانعة الفوائد والمعارف ، تجد فيها جميع الطوائف - على اختلافها - فوائد ومعارف يمز عليها أن تجدها في غيرها ، ويصدر عنها كل وارد ظمآن الى مناهل العلم والعرفان ريان شبعان ؟ ثم أما شفيع له ما أضاف الى خزائن العلم وما أفاد دولة المعارف من علوم ومعارف ؟ ثم أما شفيع له انصافه وعدله وما كان عليه من بعد عن السوء والشر ؟ أما شفيع لهذا النابغة الفذ شيء من هذه الفضائل ، أو أما شفيعت له كلها مجتمعة تخففت عنه ما لاقى من أذى ، وما مسه من ظلم ، وما ناله من تكفير وإفساق وآثام عظيم ؟ أفليس للعلم حرمة ، وللدين شفاعة ، ولأورع مكانة في هذه الدنيا المجرمة الفاجرة ؟

أيها الناس هبوه قد أخطأ الصواب في أشياء ، وهبوه قد زل وقال أقوالا كان الصواب ألا يكون قالها ، وهبوكم قد أحصيتم عليه كما زعمتم سيئات وذنوبا : هبوا ذلكم كله محييا ، ولكن ألا تنظرون بعد هذا الى حسنات الرجل وأياديه البيضاء التي قلد بها جيد العلوم والمعارف ، ودفع بها عن الاسلام والحق ، وعن الأخلاق والفضل ، أفن الانصاف أيها الناس أن تفرق بحار فضائله وحسناته ومحاسنه في

ضمحضاح سينثاته المقررة المزعومة ١٢

ان أساس التهمة التي راموا بها اصابة دين هذا الشيخ ، واصابة علمه وعقيدته هو زعمهم أنه ما كان معظماً للنبي الكريم ، ولا معترفاً بما يجب له من الاحترام والاعظام والحب ، وانه كان يقول أقوالاً هي تنقص له عليه الصلاة والسلام واهباط له من رتبة العالية الرفيعة ، ومن مقامه السامي الرفيع . هذه هي التهمة التي شادوا عليها جميع مقادحهم وعدوانهم الظالم ، ولقد كان منشأ هذه التهمة عندهم هو تمسك هذا الشيخ بالسنة النبوية الصحيحة ووقوفه عند النصوص الثابتة . فما جاء في النصوص كان حقاً لازماً الاحترام له والعمل به وإلا فلا ، وعلى هذا الأساس الصحيح الثابت الدعائم منع الاحداث التي أحدثها الجاهل الأغرار ظانها رفعاً لقدّر الرسول عليه الصلاة والسلام واحتراماً له وإعظاماً ، وهي في الواقع والدين ليست كذلك ، فمنع مثلاً الاستغانة بالرسول عليه السلام وبغيره بعد المات ، ومنع سؤاله مالا يقدر عليه إلا الله حياً وميتاً ، ومنع شد الرحال والأسفار لأجل زيارة قبره الشريف . لأنه هو الذي منع هذا عليه الصلاة والسلام بقوله « لاتشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد المدينة » ولأن السلف كانوا يكرهون ذلك ويأبونه فلا يفعلونه ، ومنع أيضاً التمسح بقبره الشريف وتقبيله ، وأمثال هذه المبتدعات المنكرة التي لم يكن السلف الصالح يعرفونها ولا يعملونها ، والتي جاءت النصوص بالاجمال ناهية عنها . وجاء الاسلام بالاجمال أيضاً منكرآ لها

فزعم هؤلاء أنه بأقواله هذه قد أساء الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأنه أنكر حقه المعلوم المفروض على جميع المؤمنين ، وأنه قد تنقص له ! وساء ما زعموا وما قالوا

ومن يُسر له أن يعرف هذا الامام وأن يقرأ شيئاً من كتبه الخالدة فلا يشك

في أنه معظم للنبي الكريم عليه السلام ، عارف لمقامه ولحقوقه ، قائم بها ، محب له عليه الصلاة والسلام أعظم مما عند هؤلاء المعارضين جميعاً ، وأنه لم يبق أحد منهم بحقوقه عليه السلام قيام هذا الامام ، بل وأنهم كلهم مجتسمين لم يؤدوا حقه المشروع المفروض مثل ما أدّاه هذا الامام مفرداً واحداً

أو ليس هو الذي أغضب هؤلاء الخصوم وتقبل عدوانهم وظلمهم واذاهم راضياً مسروراً انتصاراً للسنة النبوية وقياساً بحقها وفضيلتها ، ودفعاً للبدع والجهالات والضلالات المخالفة لها ؟ أو ليس هو الذي كتب كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » في بيان حقوق النبي الكريم ، وتعميد فضائله ورفعة قدره وماله من الواجبات على المسلمين أفراداً وجماعات . حكومة وشعباً ؟ وقد جمع في هذا الكتاب وأبان من فضل الرسول فيه ما لم يصنعه ، وما لا يستطيع أن يصنعه هؤلاء الخصوم المخالفون القادحون مجتسمين متعاونين ، أو ليس هو الذي قد كتب كتاب « العقل والنقل » الذي مافي الوجود له نظير ثان ، كما يقول تلميذه البار ابن قيم . رزية ؟ وقد ألف هذا السفر المفرد المنقطع النظير في باب دفاعه عن النصوص من قرآن وحديث ، وذوداً عن الكتاب والسنة ، واقصاء واحباطاً للشبهات والمعارضات التي أهدقت بالنصوص الثابتة وأحاطت بها من كل جانب حتى عظم الويل وجل أمر الشكوك والشاكين والمشككين حتى زعم رجال من الموصوفين بالايان وبالزعامه والامامة والنبوغ في العلوم العقلية والفلسفية والدينية وغيرها ، ان النصوص أبداً لا تستطيع أن تفيد العلم والمعرفة واليقين المطلوب في الاعتقادات ، وإنما غاية جهدها وحولها وطولها أن تكون مفيدة الظن لا غير وإنما لذلك لا تصلح أن تكون مرجعاً من مراجع الايمان والاعتقاد ، وأن المؤمن لا يصح له أن يأخذ منها وصفاً ولا شأناً من أوصاف الله وشؤونه ، ولا أن يتلقى عنها نظرية علمية البتة ، وأن المرجع - ولا مرجع سواه - للاعتقادات هو العقل

وحده ، والبحث القائم على المقدمات العقلية لا غير ثم زعم هؤلاء أن النصوص المتواترة قد تخالف العقل وقد يخالفها العقل ، بحيث لا يمكن التوفيق ولا إيقاع الصلح بينهما البتة ، وأنه إذا ما عرض شيء من هذا النوع وجب تقديم العقل وتمحيصه في النصوص معها كان أمرها ، ومهما كانت واضحة الدلالة ، متواترة الرواية ، وأن المسلك الذي لا مسلك غيره حينئذ اما رد النصوص وإنكارها وسلكها في نظام المكذوبات ، وأما تفسيرها تفسيراً يشهد العقل والنقل وكل شيء أنه ليس هو التفسير المراد بها ، وهو ما يسمونه بالتأويل ، هذا قانون وضعه قوم وصفوا بالايمن وبالفلسفة وقوة الحجة وبالإمامة والزعامة ، وقد حافظوا على العمل بهذا القانون بدقة ووفاء وإخلاص له ، فسلطوه على الكتاب والسنة حتى أضاعوها ونزعوا منها سلطانها القوي الواسع في القلوب ، الذي وهبها إياه الايمان ويرد اليقين

وقد فتن كثيرون من المؤمنين ومن العلماء أيضاً بهذا الطاغوت ، فها به الناس وأكبروه وحسبوه الحقيقة الخالدة الواحدة حتى نهد له هذا الامام الالهى فوضع كتاب « العقل والنقل » أو « موافقة صحيح المنقول لصريح المقول » فهد به هذا البناء المشمخر ، وحطم به هذا الصنم الذي عبد العقول فسجدت له العقائد الرخوة والايمن المريض وشهدت بألوهيته القلوب المعجاء . فعزز به سلطان النصوص ورده ، وقوى أمرها ، وشرذم من حولها تلك الأوهام والشبهات ، بل نفخها فلم تقم الا حيث شاء الله أن تقم ، ثم أحاط النصوص بنطاق بعد نطاق من التمديس والا كبار والجلال حتى أعاد لها ما فقدته من سلطان وشأن ، وحتى أقام شهود الصدق من المقول والمنقول على أن النصوص الصحيحة لا يمكن أن تنازعها المقولات الصريحة ، وأن كل ما زعم منازعة ومعارضة هو أغلاط باطلة غزت المسلمين وعقائدهم من جهات الفلسفات الأعجمية الضالة الناقصة التي انبعثت في

الجو الاسلامي بعد اتساع نطاق الحضارة والفتوحات الاسلامية ، وأبان لأجل ذلك أن الواجب على المسلمين كافة تحكيم النصوص الصحيحة في كل ما زم من المقولات والفلسفات ، فرجم لها قدسها وجلالها وقوتها وكل ما كان لها أيام أن كان الاسلام غضا طريا ، وأيام ان كانت عقائد المسلمين خالصة قوية نقية من هذه الأمراض ، والذي يرجع الى هذا الكتاب يعرف هذا جيدا

وما كان في هذا الكتاب إلا معظما للرسول ﷺ أصح التعظيم ، قائما بالدفاع عنه وعن حقوقه أفضل القيام ، عارفا له من الواجبات والرتب الرفيعة ما لم يعرفه هؤلاء الخصوم الزاعمون أنه كان غير معظم له ﷺ وغير معترف بحقه وعظيم شرفه ومن هؤلاء الخصوم القادحين دافع دفاعه في فصل واحد من فصول هذا الكتاب ؟ ومن منهم أغنى غناه في هذا الزيادة عن الكتاب والسنة ؟ أو ليس هو الرجل الذي أفق عمره كله وراحته في مناصرة السنة والدفاع عنها ، ومناضلة البدع والأحداث النكراء حتى أخرج من المؤلفات في هذا ما لا يستطيع إخراج أحد فيما أحسب والله أعلم . ولا تضيق فضل الله الواسع ، وحتى أخرج من ذلك ما يمدثره طيبة باقية على الدهر وحدثاته حينما كان غيره من المشايخ الرسميين عاكفين على شهواتهم ، مشغولين بأنفسهم وما ربهما عن الله وعن دينه وعن نصرة الحق ؟ أو ليس هو الرجل الذي استطاع أن يرفع أعلام السنة بعد تنكيسها ، وينكس رؤوس البدع والاحداث في الدين بعد ارتفاعها بمهارة فائقة ؟ أو مثل هذا الامام أيها الناس يوصم بتنقص النبي الكريم وبانكار حقوقه ؟

ثم ان ها هنا تهمة أخرى يرددها الخصوم كثيرا ، وهذه التهمة هي زعمهم أنه كان ينزع الى عقيدة التشبيه ، وأنه كان يقول أقوالا ما لها تمثيل الله بخلقه ووصفه بصفات الحوادث وممااتهم ، وقد أعادوا هذه التهمة وأبدوها ، وأكثروا من إبدائها واعادتها ، وقد أنسوا بها كل الأنس ، وحسبوا الحسام القاتل لخصمهم

وافضائله ، وهذه التهمة من أكذب التهم وأفجرها ، فانه لا ريب أن هذا العالم كان من أعظم الناس تنزيها لله وبعداً عن هذه النقيصة ، ومن أعظم الحاملين على المشبهين الصالحين ، وهذا يظهر من جملة كتابنا هذا ومن جميع كتبه . وما أخلقه بأن يكون القائل :

كم تطلبون لنا عيباً فيمجزم ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والتقصان عن شرفي أنا الثريا وذان الشيب والمهرم
أجل لقي هذا النابغة خصومات نكراه ظالمة ، خصومات قاسية عنيفة من بنى
عصره ومن بعدهم ، ونالوا منه كل منال تجريحاً وقدحا واتهاماً مزرياً ، وإكفاراً
وإفساقاً ، وأمعنوا كل الامعان ، وجهدوا غاية الجهد ارادة اثبات أنه ضال قاسد
الأمس والدين والعقيدة ، وارادة ترويج هذه البهية على الجماهير وإقناعهم بها ،
وبأنها حق لا باطل فيها ، وجدوا غاية الجهد ابتغاء النيل منه وإلحاق أعظم الأذى
به ونثر أشد أنواع الظلم في سائر جهاته ، وراموا - لو استطاعوا - ألا يدعوا للخير
والسعادة اليه منفذاً يخلصان اليه منه ، وألا يدعوا للحياة ومعانيها لديه منها نصيباً ،
وما كان مقامهم هذا منه إلا برهاناً ناصعاً قاهرراً يقدمه الخصوم أنفسهم بأيديهم على
ما لهذا الامام النابغة من القدر والمكانة في النفوس التي تنكره وتشكر مكانه بألسنتها
وما أقام هؤلاء وأقدمهم إلا ما يجدونه في أنفسهم وفي ثنايا سرائرهم من اعظام مبعثه
للعظم الذاتى الذى شاء الله له ، ومن إكبار منشؤه الكبر الذى قسمه مقسم المخطوط
والخلائق والفضائل ، وأحفظ في هذا المقام آياتاً شعرية جاء فيها :

لو لم تكن لى فى القلوب مهابة لم يطنن الأعداء فى ويقدحوا
كالليث لما هيب خط له الزبا وعوت لهيبته الكلاب النبح
يرموتى شزر الميون لأتقى غلست فى طلب العلى وتصبحوا
ووجدت من يمزو هذه الآيات لهذا الامام ، ولكنى أشك فى هذا العزو

لأن الرجل لم يكن تياها ولا مزهواً ولا فخوراً بنبوغته وما خص به من آيات القدرة الالهية ، وما أذكر فيما قرأت له ما يدل على إدلاله واعتزازه بنفسه وعلمه ومواهبه النادرة ، وقد يتاح لك أن تقرأ له الآيات الخالدة في التحقيق وفي الهبوط على أسرار الحقائق الغامضة ، فلا تحس منه إلا أنه يكتب أشياء عادية قريبة يستطيع كل واحد أن يكتبها وأن يلم بها ، وقد يورد ما يورد من الآراء النادرة الطريفة التي لم تشرئب اليها أذنق العلماء الربانيين لبعدها عن مطارح العقول ومهابط الفطن فيأخذ يصغرها ويهون من شأنها حتى يحسب القاريء أن ذلك يعرفه كل الناس وأنه من المعارف العامة التي لا يختص بعلما قوم دون قوم ولا طائفة دون طائفة ولن تجده البتة يذهب يقول للقاريء اتقى سابق الى رأي من هذه الآراء وان لي فضلاً في بيانه وتقريبه ، وهذا الخلق من فضائل هذا الامام . وقد نجد الكثيرين من العلماء الكبار المقدمين يحبرون المقدمات الطوال في تعريف مواهبهم وامتداح كفاياتهم وعلوهم ، والاشادة بعظم تبريزهم وتفوقهم وإحاطتهم بالعلوم وأسرارها والفنون وطرائفها ، الى آخر ما يقال في هذا الباب

ولاجل هذا أشك في صحة نسب هذه الآيات الى هذا الامام ، بل أكاد أوقن أنها لغيره من التياهين بعلومهم ومعارفهم ، والمعهود عنه مثل قصيدته الثائية المشهورة التي مطلعها :

أنا الفقير الى رب البريات أنا المسيكين في مجموع حالاتي

وروح صاحب هذه القصيدة غير روح صاحب هذه الآيات

ولكن هذه الآيات - سواء أكانت له أم كانت لغيره - هي في معنى ما ذكرناه من أن مقام الخصوم العنيف الطاغى من هذا الامام برهان يقدمه الخصوم على رقة قدره ، وعظم أمره ، فإنا قد وجدنا الفضائل كثيرة الحساد الشائنين ، ووجدنا أنه لا يصطلم بالخصومات العنيفة والعداوات الملحة إلا النابغون

المظلم ، وانه بقدر حفظ المرء من هذه يكون حفظه من النبوغ والفضل ، وهذا معقول مفهوم المعنى ، وذلك أن كل ما في هذا الوجود خلق زوجا : فالليل والنهار ، والنور والظلام ، والجحر والبرد ، واليبوسة والرطوبة ، والخير والشر ، وغير هذه الأمور كلها أشياء خلقت أزواجا متقارنة ، وأعدادا متخاصمة ، هذا ضد ذلك ، وذلك ضد هذا ، وكل ضد يقالب ضده ، فحيث تكثر المحاسن والفضائل تكثر أضعافها ، وحيث يشتد معنى العلم يشتد معنى الجهل ، وحيث تجدد السمو العظيم تجدد الهبوط العظيم ، وحيث تجدد التقى والورع والدين تجدد الفجور والفسوق ، وحيث يستيقظ معنى الفضيلة يستيقظ معنى الرذيلة ، موقف الضرة من الضرة ، وحيث ينبعث معنى النبي ينبعث معنى الشيطان ، وحيثما تجدد النبوة في فعلها فعلها تجدد الكذابة في فعلها فعلها ، ولأجل هذا كان أشد الخصومات والعداوات هي التي يصطدم بها الأنبياء والمرسلون ، لأن أشد المعاني الالهية التي يرسلها الله الى الأرض هي المعاني التي جاء بها الأنبياء والمرسلون ، ولأجل هذا كانت خصومة الرافضة واخوانهم ، وعداوتهم لأبي بكر وعمر وكبار الصحابة والمسلمين عينية قويتين ، لأن معاني هؤلاء الصحابة النبوية الالهية قوية عنيفة ، فكانت المعاني المضادة لها من المعاني الشيطانية قوية عنيفة أيضا . ولأجل هذا كانت عداوة الرافضة لهذا الامام شديدة قوية ، لأن معانيه المضادة للمعاني الرافضية الباطلة قوية عنيفة . ولقد لحظ الشاعر هذا المعنى حيث قال :

لقد زادني حبا لنفسى أتى بفيض الى كل امرئ غير طائل
واهتدم هذا المعنى شاعر القوة والواقع بقوله :

واذا أتتك مذمتى من ناقص ففى الشهادة لى بأنى كامل

والمعنى في هذا كله هو ما ذكرناه من أن المعاني هي التي تتعادي وتتخاصم فعنى الرجل الناقص لا يمكن أن يعجبه معنى الرجل الكامل ، ومعنى الرجل الورع

الصالح لا يمكن أن يعجب معنى الرجل الفاجر الفاسق ، ومعنى الضعة والمهبط والحسة لا يمكن أن يرضى عن معنى الرفعة والمجد والشرف الرفيع ، والعلم لا يمكن أن يرضى عنه الجبل ، والظلام لا يمكن أن يصالح النور . فمعانى الرسل والأنبياء والعلماء الفضلاء لا يرجى أن ترضى عنها وأن تعجب بها معانى الشياطين والفاسق والجهلاء والسفلة الوضعا ، وإذا كنا لا نرجو من السارق أن يرضى عن حد السرقة الصارم ولا من الزانى أن يرضى عن حد الزنى الصارم ، ولا من القاتل أن يرضى عن حد القتل الصارم قلن نرجو من الناقص أن يرضى عن معنى الرجل الكامل ، ولا من عبد الشهوات والآهواء أن يرضى عن عبد الله وحده لاشريك له ، ولامن الجاهل أن يعرف كنه العالم الجليل ، وقد ألم بهذه المعانى كلها بألفاظ موجزة قوله ﷺ « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » وهذا تأويل ما تجده بين الرجال الكاملين كالأنبياء ومن دونهم ، وبين الناقصين الكاملين فى النقصان من خلاف ونزاع لا يهدأ ، وهذا هو تأويل ما تجده أيضا بين عشاق الفضيلة وعباد الذليلة من بغضاء وخلاف حاد عنيف ، وهذا هو تأويل ما تجده من تناكر بين الظلام والنور . ونحن اذا ما أردنا من وضع ناقص أن يرضى عن رفيع شريف كامل كان معنى هذا أن تقتل معنى ذلك الناقص الوضع وأن نجرده من معناه وطبعه ، أو أن نقيم الدلائل له على أن ذلك الشريف الكامل ناقص وضع مثله ، وأنه لا يمت الى الشرف والكمال الا بالأسباب التى يمت هو به الى ذلك ، وأما أن نطلب منهما الائتلاف والاتفاق ، وهما مختلفان - والمعنى - كـ الاختلاف ، فهذا بعيداً عن أن يكون صحيحاً مقبولاً فى طبائع الأشياء وفى القانون العام الذى قيد الخلاق خلقه بوثاقه القاهر القاسر . وهذا كأن نطلب من الحيوان أن يكون إنساناً عاقلاً فاضلاً ، وان ما بين أفراد النوع الانسانى من التفاوت والخلاف أعظم وأظهر مما بين نوع الانسان ونوع الحيوان

وإذن لن نرجو من هذه المعاني الناقصة الوضعية أن ترضى عن هذا المعنى
الحرف الشريف الرباني الذي وهبه الله - جلّت قدرته وحكمته - هذا الامام النابغة
المعظم ، وإذن لا تقرر عينا هذا الشيعة الرافضي بأن أنكر معناه ومعاني اخوانه
معنى هذا الامام ، أو ان وجدوا لذة روحية هائلة في ثلثه والوقعة في عرضه ودينه
وعقيدته ، فان مرجع هذا هو ما ذكرنا لا الى نقص وعيب في الشيخ نفسه

ابن تيمية أيضا

كان العلماء الناهلون بكلمات الفلسفة ، الذين استقوا طويلا وطويلا بكفى علم
الكلام المطعم بالفلسفة أمرى خاضعين للفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات
الاعجمية ، لا يمدون ما قاله - ولو تظنوا - ارسطو وتلاميذه وأشياخه من الآراء
في الالهيات والنبوات والطبعيات ، وكان قصارى جهد العالم الفاضل وحادي فضله
ونبوغه وعلمه أن يفهم ما قاله أولئك السادة وما أثر عنهم ، وأن يحتاج لآرائه
وعقيدته وكل ما يقوله برواية - ولو ضعيفة محتملة - عن أحد هؤلاء الاشياخ وكان
فضل الرجل ووفور علمه يوزن بمقدار اطلاعه على آثار هؤلاء الفلاسفة وإلمانه
بأغراضهم وما يرمون اليه من معان عميقة عزيزة سابعة في الاحشاء الكونية البعيدة
القرار وكان الغريب عن هذه العلوم اليونانية الناقصة جاهلا أو ناقصا وإن كان من
كان ، وان جمع ما جمع من علوم وثقافات يفرق ضحاضحا هؤلاء الفلاسفة
أجمعين . وبالأجمال كان كل شيء خاضعا لهذه الفلسفة المخادعة وكانت هي مرد
أولئك القوم ، وكعبة عقولهم ومصدرايمانهم وعقائدهم . وكانوا يفضبون غضبا شديدا
لهذه الفلسفة ، وينالون ما استطاعوا من أراد أن ينال منها وأن يظهر لها عيبا أو نقصا .
هذا الامام الغزالي - وحسبك به ذكاء وعلماء ودينا - قد سبّح في هذه الفلسفة سبحا
طويلا ، ونفذ الى أعماقها وأحشائها محاولا إخراج تلك اللائحة والدرر المذكورة

بين طوائف الأنصار والمجيبين المخلصين ، ثم محاولا أن يتطهر بحارها الفزيرة من
أوضاع الشكوك والريب ، ومن معاني الآمية والجهالة الموصوف بها من لم يفرق دينه
وعقله وعقله وقلبه في قاموس هذه الفلسفة المريضة الموبوءة ، وبعد أن سبج هذا
الامام - أغنى الغزالي - في هذه الفلسفة ، واكتشف أمرها وما طويت عليه ،
وقلبها ظهراً لبطن ، وبطناً لظهر - كما يقولون - فرأى عيوبها ونقائصها وضلالها
وضع كتاباً في نقدها وفي النقض على أصحابها وأربابها أممائه « تهافت الفلاسفة » ،
وقد نقض في هذا الكتاب من آرائهم ومذاهبهم أشياء كثيرة قضا فرياً ، وأبان
من أخلط القوم وتهافتهم الشيء الكثير ، ورد به كفرهم وإلحادهم بالله وبالأنبياء ،
وجلبى أغراضهم التي كانت تدق على أفكار الجماهير من عشاقها ، المسيحين بمحمد
التاخرين لوجهها عقولهم وقلوبهم وعقائدهم وإيمانهم بالله ! أفتظن أن هذا الكتاب
أرضى جميع المسلمين أو شكروه لمؤلفه ؟ كلا ، ان طوائف من العلماء المعظمين لهذه
الفلسفة غضبوا لها وهبوا للدفاع عنها وعن أصحابها ، مؤولين كل ما فيها من الخروج
على الإيمان والأديان ، محاولين اصلاحها والنيل من الغزالي التأثير بها وعلى رجالها
وكان من هؤلاء الناضيين على الغزالي لذلك القاضي الفيلسوف ابن رشد ، فانتصر
لها من صاحب « تهافت الفلاسفة » ووضع كتاباً بممائه « تهافت التهافت » ردَّ به
على الغزالي وتحامل عليه وما أنصفه في كثير ، ثم ألف ثالث كتاباً ثالثاً حاول به
الحكم بين الغزالي وابن رشد . وإلى اليوم يوجد من يقضون لابن رشد على الغزالي .
وهذا الذي فعله القاضي ابن رشد يدلنا على قدر هيام الناس بهذه الفلسفة ، وقدر
إكبارهم إياها واقتنائهم بها وبأربابها حتى انتقم الأخ من أخيه غيرة وغضباً لها .
وهذا من أبلغ ما يكون التعظيم والخلو في التعظيم

وقد كان لخلو في هذه الفلسفة أثر بارز قوى في عقائد المسلمين وعلماء الكلام
منهم على وجه الخصوص ، فانهم قد حكموا هذه الفلسفة في كتاب الله وسنة رسوله

ﷺ ، وفي عقائد الاسلام الضرورية القاطمة ، وسلطوها على النصوص حتى سلبتها سلطانها وحكمها ، حتى صارت هي المرجع لها والحكم المتحكم فيها . وحتى لم يبق للكثيرين من هؤلاء غرض في النصوص غير الاشتغال بتأويلها وتحميلها التفسير الباطلة المنكرة افقة وعقلا وذوقا ودينا لتصبح موافقة أو ساجدة خاضعة لهذا المشوق المبود ، وتجد هذا واضحا جليا في مكتب أمثال ابن سينا والفارابي والامدى والرازي ، وغير هؤلاء كشيوخ المعتزلة وغيرهم ، وأما الرافضة فهم أقل من ذلك ولهذا الغلو الأثر القوي في انحراف عقائد كثيرين من المسلمين من طريق علم الكلام والجدل . والى اليوم يوجد من يحلون هذه الفلسفة المحل الأول من نفوسهم وعقائدهم وإيمانهم

هكذا كان سلطان هذه الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات العجيبة التي نقلت الى اللغة العربية في عصور الاسلام القوية

وقد كان من أسباب هيام المسلمين بهذه الفلسفة أن بعض الخلفاء قد وقعوا في حبائلها وغرامها فعموا بها وشجعوها ، ونثروا الأموال الطائلة على القائمين بنشرها وتعليمها ونقلها الى اللسان العربي الفنى . فأكبر الناس هذه الفلسفة وعظموها تعظيم هية واحترام وإجلال ، وتهيوا أن يقولوا فيها شيئا غير المديح والثناء ، وغير التشبيب وصنع النسب في خيالها وطيفها ومحاسنها الفاتنة ، فاجتمعت لها جميع أسباب السلطان والزعامة على العقائد والثقافات المختلفة ما بين إلهية ومادية الى عصر هذا الامام

أما هذا الامام فقد كان أول من أعلن الثورة والتدرد على هذه الفلسفة وعلى هذا السلطان الغريب ، وأول من رفع النداء والصوت بسقوطها واندحارها ، وأول من قام بمجد ونشاط لاجباطها وتقويض سلطانها ، وإظهار عوارها وعيوبها وقصصها ضعفها وتهاقها ، وكان أول من هاجم شيوخها وأساطينها بجراءة وصراحة نادرين

فقد تصدى لهذه الفلسفة وأنصارها في مختلف كتبه بالنقد والتجريح القامئين على الباحث العلمية الصادقة ما بين عقلية ونقلية ، وقد شيوخها ووضعها نقداً جريئاً صريحاً بجمهرة ومعرفة واسعة محيطتين ، وتناول سائر نظرياتهم في الالهيات والنسويات والطبعيات بالانتقاد الصريح القوي ، وأورد من أغلوطاتهم الشيء الكثير وفي أكثر كتبه تجمداً ألوفاً كثيرة من هذا ، بل يكاد القاري يجد هذا النوع في كل كتاب من كتبه . فقد تقدم نقداً قوياً شديداً في مسألة قدم العالم ، ونقد المتأخرين المقلدين لهم كابن سينا وأخوانه في قولهم ان العالم قديم وحادث معاً ، وقديم ومخلوق لله أيضاً ، ويعنون بهذا أنه قديم الوجود الزماني ، بمعنى أنه لم يكن حادثاً وجوده بعد عدمه ، ومع قدمه الزماني هو مخلوق لله وحادث أيضاً ، ويعنون بهذا أن وجوده تابع لوجود الله قديم بقدمه ، فهو لازم له تعالى لزوم المعلول للعلة لموجبة ، وتأويل هذا أن العالم لم يكن حادثاً بخلق الله تعالى واختياره ، وأنه لهذا ليس مختاراً ولا فعلاً لما يريد ، وقد نقد هذا القول في مواضع من كتبه ، وتجد شيئاً من هذا في أول كتاب منهاج السنة . وكذلك تقدم في قولهم : الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، وكذا في إنكارهم الصفات ، وفي قولهم انه علة موجبة ، تعالى الله ، وكذا نقد أقوالهم في الأفلاك وفي الفلك الأول ، وما قالوه من أن حركات الأفلاك هي السبب في حدوث الحوادث اليومية ، وكذلك نازعهم في الجوهر الفرد وفي تماثل الأجسام ، وكذلك كشف أغلوطهم في النبوت والوحي ، وكذلك أكثر ما قالوه في المنطق ، وأظهر ما شاء الله من خلطهم ودعائهم ، وكذلك هاجم منطقهم المؤله ، وأظهر ما فيه من النقصان والدوران والتخليط والتضليل ، وما أحسن قوله في هذا المنطق : « ان معرفته لا تفيد الفهم ، وجهله لا يضر الذكي » وكذلك هاجمهم في غير هذا . وقد كان في جميع مهاجماته شديداً عنيماً وحاداً قوياً لكنه مع هذا يعترف لهم بما معهم من الحق والصواب ، ويمتدحهم لأجله وبضيفه اليهم

والعجيب أنه في نقده هؤلاء الفلاسفة يعتمد على الفلسفة أكثر من اعتمادهم هم عليها ، ويبدى من المعرفة بها ما يجعل قاري كلامه يتضائل ويصغر في أفق نفسه وأفق الوجود مهما كان ذلك القارئ تياها مغروراً . وعندى أن كتب هذا الامام تصلح علاجاً لمرض المغرورين بعلومهم وثقافتهم وذكائهم الفياش . فإنا إلا أن قول لكل مغرور تياها : اقرأ كتب هذا الامام يفارحك غرورك ويذب كبرك . وما أذكر أنى قرأت شيئاً من كتب هذا النابغة إلا أحسبني أنضال وأقل في نفسي ، وأحسست ذلك الأفق الذى أراه لنفسى يضيق ثم يضيق حتى يكاد المدم يغلب الوجود . وما فتحت له كتاباً إلا أحسست ذلك الغرور الذى يطلب المره وعقله وحقيقته في فجر حياته يذوب شيئاً فشيئاً حتى يكون مكانه ذلك الانهزام النفساني المخاذل الذي يهاجم النفس أحياناً فيهرها هزاً عنيفاً حتى تكاد تترك كل شيء مما يتعاطاه الناس الراغبون الآملون في هذه الدنيا السعادة والنجاح والنفوذ ولقد كتبت مرات ، ومرات أيضاً أطلق القلم وكل شيء وأكب على دراسة كتب هذا الامام عند ما يمروني هذا التخاذل النفساني الذى يمرون نفساً رأيت فجأة ، وعلى غير انتظار أعظم الأمثال البشرية . وما أحسب انساناً يفهم ما يقرأ يوفق لقراءة بعض كتب هذا الشيخ ثم لا يجد الرغبة الملحة في الاستزادة ، أو لا يجد الاندفاع اليه والا كباره والايمان الصادق بصدق نظرائه وآرائه . وقد عرفنا أن أقواماً ربوا على مقت هذا الشيخ والخوف منه ومن كتبه كانوا يتحامون أن يقرءوا له شيئاً خيفة أن يجذبهم الى سحره أو ضلاله على ما علموا ، فكانوا يتقونه اتقاءهم المرض الملقى . وقد كان هذا دأب خصوم الأنبياء والمصلحين العالمين ، فانهم يلجؤون الى تحذير الجماهير الاتصال هؤلاء المصلحين من الأنبياء فن دونهم بحجة الزيرة عليهم وعلى عقائدهم القديمة الموروثة ، التى يريد هؤلاء المصلحون تغييرها وانزعاجها من بين مرائر قلوبهم ، وكان هؤلاء الخصوم يطمون أن هذا

أعظم سلاح يلجؤون إليه في مناهضة الإصلاح ومناهضة المصلحين وذلك أن سلطان الحق لا تستطيع الحيلولة بينه وبين أعماق النفوس السليمة إلا بالابتعاد بين مهايطه ومهايط أهله ، الذين يمرضونه على القلوب والعقول عرضا واضحا صريحا ، ولهذا فإن الناس يؤتون أكثر ما يؤتون من ناحية التضليل والمضللين

ولو أن المعجبين بالفريين وعلومهم وتحليلاتهم الموصوفة بالدقة والتحقيق ، وبموضوعهم في أحشاء الحقائق الخفية أتيح لهم أن يقرأوا لهذا النابغة الفذ لتبدلت نظراتهم الى الفريين والى المسلمين أيضا ، ولاصبحوا مسلمين شرقيين لا غربيين ثم لطفوا من علومهم واعجابهم بكل ما يقذف به الغرب القابض هذا الشرق المتقنون ، ولكن ضل القائد فضل القود وضعف الطالب والمطلوب

وبما اتفق لهذا الشيخ مما لم يتفق لسواه أنه في كل علم يسبق المتخصصين البرزين فيه : فهو في عصره يفوق المحدثين في علوم الحديث رواية وحداية وحفظا وقدأ ، ويسبق علماء الكلام في علم ما قيل وما يقال ، وما في ذلك من آراء ومذاهب ، وما لكل مذهب من استدلال وحجة ووجه ، ويفوق الفقهاء في معرفة الفقه ووجوهه ومذاهبه ، ويعرف فقه كل مذهب أعظم من معرفة رجال المذهب له ، ويفوق المفسرين بما قيل في تفسير الآية من الآراء والمعاني حديثا وقديما ، عن السلف وعن الخلف ، وما في الآية من وجوه واحتمالات وروايات وآثار ، ويفوق الفلاسفة في معرفة فلسفتهم ، وما قاله المتقدمون والمتأخرون منهم ، من المسلمين وغير المسلمين ، هذا الفارابي وابن سينا وابن رشد والفخر الرازي محدودون في الطليعة الأولى من فلاسفة المسلمين المعنيين كل العناية بما قاله أرسطو واخوانه من فلاسفة اليونان ، ولكنه مع هذا اذا تعرض لنقد أحد هؤلاء الفلاسفة أو لنقدم جيمنا أورد الشيء الكثير من آراء أولئك الفلاسفة القدامى مما فأت هذه الطبقة من فلاسفة الاسلام ، ويفوق علماء الملل والنحل في علم ذلك ، أما في علوم

السلف الصالح والاحاطة بآرائهم وما قالوه في كل وجه من وجوه العلم والمعرفة
 فهو لا يجارى ولا يلحق له غبار ، وهذه الناحية أبرز ناحية في نواحيه ، وأما في
 العلوم العربية : النحوية والصرفية ودقائق اللغة وأسرارها وأفرادها فله الباع الطولى
 والقدم المراسخة ، وما به من هذا في سائر كتبه يعرفنا مقدار نبوغه في هذه العلوم
 وقصته السابقة مع أبي حيان النحوى تدلنا على قوة هذا الجانب فيه ، وقد قيل أنه
 مثل عن حرف « لو » وما فيه من الوجوه وما له من المعاني ، فكتب فيه كتابا
 مستقلا ، وله من الأسرار والحكم في خلقه ما لا يستطيع النفوذ اليه كاه ذهن نالقه
 وهذه الصفة المحيطة فيه لم تتفق فيما أذكر لغيره من العلماء ، فان من المستقرأ أن من
 نبغ في علم أو علمين أو علوم قصر - ولا بد - في العلوم الاخرى أو جهلها جهلا
 تاما ، وهذا ما اتفق لجهازة العلماء وخولهم ، أنظر هذا الامام الغزالي مثلا عالم
 بالكلام والفلسفة والفقه وأصوله ، ولكنه متأخر جداً في علوم الحديث رواية
 ودراية ، وفي علوم السلف رواية ودراية أيضا ، وفي علوم التفسير ، وفي علوم
 اللغة ، وفي غير ذلك ، وهذا أيضا الفخر الرازى نابغ في الجدل وفي صناعة الحجج
 المسفطة وفي علوم الكلام ، ولكنه بعد ذلك متأخر جداً فيما تأخر فيه الغزالي ،
 وهذا أيضا الفيلسوف القاضي ابن رشد ليس خيراً من هذين الشيخين في ما تأخرا
 فيه . وعلى هذا النحو انظر الى جميع العلماء - الا من شاء الله - نخدم كذلك ،
 نابغين في جانب أو جوانب ، مقصرين في الجوانب الاخرى ، والله من خلقه
 صفايا بمنزلة

فهذا الامام إذ ينقد الفلاسفة ويهاجمهم ينتقم ويهاجمهم بعلم واسع وخبرة
 مستفيضة ، تارة بملوهم وفلسفاتهم ، وتارات باحسن من ذلك . ثم هو محدود
 أول رافع لم الثورة والتمرد على هذه الفلسفة الاجنبية الباطلة التي ألحقت بالاسلام
 واصله ماشاء الله من الاضرار المادية والمعنوية الخاصة والعامة ، وأول مناد باجلاء

هذا الغريب الثقيل المؤذى من ساحة المسلمين المؤمنين المحمدين ، وأول من حل
 الفأس لتحطيم هذا الوثن المعبود دون الله في بلاد الاسلام والتوحيد والايان
 والقرآن ، وأول من رفع الكأس القاتلة ليفرغها في جوف هذا العدو المحتل لغزو
 قلوب المسلمين وعقائدهم . وليس الاحتلال للمقائد والايان والاخلاق دون
 الاحتلال العسكري للديار أخطارا وأضرارا وفتائج مشؤومة . وليس الحامل على
 محتل العقائد والقلوب دون الحامل على المحتل العسكري ثوابا وفضلا . فإني تيمية
 بهذا المكان المحمود غير مدفوع

آثار ابن تيمية في العالم الاسلامي

الآثار التي ترتبت على ظهوره

ولقد كان هذا الامام من أفذاذ الرجال القلائل الذين يعمدون الى تاريخ
 الانسانية الأسود القائم فيلونونه بالوانهم الالهية التورانية الناصعة ، ويعمدون الى
 صحائف مظلمة مخيفة أملاها دين الانسان الجاهل ، وعقله الناقص ، ونقصه الكامل
 فيمزقونها بأسلات أقلامهم ، ويحجلون مالم يمزقوه بخيوط من نور الله المشرق
 في جوانب معاني الانسان المريضة المظلمة اشراق الشمس في جوانب المادة الكثيفة
 المظلمة ، ويفسلون من وجه هذا الوجود معاني ظلمه ، كما تفسل الشمس معاني
 ظلماته ، ويطهرونه من جرائم امراضه العقلية والقلبية ، كما تطهره الشمس من
 جرائمه الجسدية المادية . ولولا هذه المعاني الالهية المشرقة في بعض القلوب
 الممتازة لما عرف الانسان الفرق بين المعنى الاسود والأيض ، وبين المعنى
 المشرق والمعنى القائم ، كما لا يستطيع ان يميز الجسم الأسود من الجسم الأبيض ،
 والحالك من الناصع لولا نور الله الذي أظهره في بعض الجماد من خلقه . وليست
 مادة الانسان بأحوج إلى النور المادى من معناه الى النور المعنوي ، وليس

بصره بأحوج الى نور الشمس من بصيرته الى نور المعنى . والناس قد يعيشون في ظلمات المادة كما يعيش العميان ، ولكنهم لا يعيشون في ظلمات المعنى الا بقدر ما تبقى بينهم من أنواره

ولهذا الامام آثار كثيرة بارزة في بناء هيكل الاصلاح الاسلامي العظيم ، وفي توجيه الناس وجوها ما كانوا - فيما يظن - مهتدين اليها - الا ما شاء الله - لولا جهاده الصابر المصابر ، وما خلق معدا له من النبوغ في جميع نواحي النبوغ البشرى المستعمل في ما يرضى واهب النبوغ وواهب كل شيء . وقد قامت على يد هذا الامام هياكل كثيرة من هياكل الاصلاح :

١ - فلا شك أنه هو الرجل الفرد الفذ الذي قد بحث في العلوم الاسلامية الحياة والنشاط والحركة الدؤوب بعد الركون والرقود والجمود ، وهو الذي شجذ عزائم العلماء وألهب جهودهم وأشواطهم نحو الكمال والفضل والخير والسمو ، وذلك بما قام به من الهجوم والنضال العلى العنيف ، والحملات الشديدة القوية التى صلبها على أهل النقص والضعف والقصور والتقليد والركود والرجوع القهقرى ، ثم بما أرى الحاسدين المطاولين المسامين من التفوق والتبريز القاهر الواضح ، وبما أبداه من النشاط وغزارة العلم ووفور الذكاء والمعرفة ، وتطلب الحقيقة الخالدة الواحدة بالجد الذى لا يدرك ولا يطال ، ثم بما أكسبه ذلك كله من هبة الصدور ومحبتها ، وبعد الصيت ورفعة القدر والشأن ، والاستهانة بالدنيا وأهلها ، فان هذه الأمور الفاضلة التى فاز بأشرفها وأطيبها هزت أناس ذلك العصر هزات أيقظت النائم ، وشجذت الكليل ، وحركت الساكن ، واصطدمت بهم اصطدام الموجب بالسالب أو المطلوب بالغالب ، وأحدث هذا الاصطدام ما يحدث التقاء موجب الكهرباء بسالبها من الاشرار والنور والقوة وايراز أشد ما فى الطبيعة من السر الكامن والطبع القوى الحاد . فأن الاصطدام المعنى القوى بالمعنى الضعيف مثل ما لاصطدام الجسم

القوي بالجسم الضعيف من ذلك : فاما حلم القوى الضعيفة ، وإنما دفعه الى جهته ووجهه فراح يفعل فعله ويقصد قصده . وهذا هو ما كان من معنى هذا الامام ، فانه حلم ما لا يصلح للبقاء وكتبه وأذله ، ووجه الصالح الطيب الى الخير والنافع المفيد ، فقامت نهضة علمية زاهرة ، وقوية ناجحة ، هو الباعث الموقظ لها ، فكثر العلماء النابغون ، والمؤلفون الخالدون في عالم التأليف الخالد الصالح ، واتسمت آفاق العلم والعلماء وجلت منازعهم ومناحيهم ، فقامت سوق العلم والمعرفة ، وقام في تلك الآونة رجال عدوا - والى اليوم يعدون - من أفذاذ العلماء ونوابغ المؤلفين المحيطين بآفاق المعارف والعلوم والفنون ، ما بين عقلية وتقنية . ولندكر من هؤلاء الرجال أمثال ابن قيم الجوزية وابن عبد الهادي والحافظ الذهبي والحافظ ابن كثير وغير هؤلاء من الرجال المعاصرين لهذا الامام ، والمعاصرين المعاصرين ، من المخالفين له والموافقين ، فان المخالفين قد استفادوا منه مثل ما استفاد الموافقون ، فالمخالف وان أقر الاعتراف له والموافقة فقد حملته المنافسة ، وحمله حب البقاء وخوف الفناء على هيب المنافسة والاستعداد له والتسلح بما تسليح هو به . وقد تلاحت سلسلة هذه النهضة العلمية وامتد أثرها الى الامام عصوراً طوالاً أفاد بها العلم والتأليف والدين ما لا يقدر من الفوائد القيمة الباهرة الظاهرة ، وفضل هذا كله يرجع الى مصدر هذه النهضة الأول

وقد خطت عصور وقرون على هام الأمم الاسلامية والعربية قبل ظهور هذا الامام ركزت فيها العلوم والمعارف والثقافات ركوداً يشبه الموت في معانيه ، وتبلدت فيها الأذهان تلبداً كاد يقطع الصلات بين حاضر الاسلام وغايه ، وبين المسلمين والاسلام . ولو أنك طالبت عصوراً ضخمة سبقت مولد هذا الشيخ بعالم واحد يشار اليه كأولئك العلماء الذين ولدت عصور الاسلام الأولى ، كأولئك الذين كانوا في عصر هذا الامام وما بعده عصره من المتأثرين بعلومه ووجوده ،

وعلم تلاميذه ووجودهم ، لما أجابتك تلك المصور إلا بالمجز والاعتراف
بالافلاس الظاهر

فهذا الامام هو بلاريب أبو النهضة الطيبة الاسلامية في عصور الاسلام
الوسطى ، وما زال المصلحون في الاسلام من ذلك العهد الى اليوم يفكرون بذلك
الرأس وينزعون منه معانى الاصلاح وحججه ، عرف ذلك من عرفه ، وجهله
من جهله

٢ - لاريب أن هذا الشيخ هو أول نائر ثورة قوية منظمة ثابتة ذات قواعد
وآساس وبراين قاهرة معلومة على الدخيل الغريب في الدين ، وعلى المبتدعات
الحقى ، وأنه هو أول من أرسل القوت المدوى القارع مطالباً بإبعاد كل غريب في
الدين عن الدين ، ومطالباً بأخذه غصاً طرياً كما جاء ونزل ، وكما تلقاه المسلمون
الأولون من محمد بن عبد الله ﷺ

أجل ، لاريب أنه هو أول من آذن الابتداع والمبتدعين بالحرب والعداء ،
وأول من أقام سوق الحرب العنيفة بين أنصار السنة وأنصار البدعة ، وأنه هو القائد
الأعظم المظفر زعماء الاصلاح الحاملين على كل غريب في الدين : عملياته واعتقاداته
وما نعلم أن عالماً أبلى بلاده في معجزة الابتداع والمبتدعين ، وما نعلم من أحسن
مهاجمة ذلك وتأليف الدلائل لمهاجمة مثله ، ولا نعلم من ألف ما ألفه في هذه المطالب
العليا من الكتب المنقطعة المثال في شجوة تأليف الحجج وتصنيف الدلائل عقلية
ونقلية ، ثم في ذبوع الاسم ، وما من يلبى من أبواب البدع المحمولة على الاسلام
جهلاً إلا وقد كتب فيه وأجاد ما شاءت له الاجادة ، وإلا وقد حشر من البراهين
العقلية والنقلية ، على الانتصار للجنة ما لا أمل لأحد - فيما نعلم - بأن يسبقه فيه .
وقد أخرج في جميع أبواب الاستبصار - التي لم تطرق قبله إلا لماماً واختطافاً وكلمات
طائرة قصيرة - كتباً عظيمة كبيرة مملوءة بالدلائل والبراهين القاهرة ، حتى أصار

هذه المباحث مطروقة ميسورة ، معلومة الدلائل مجموعتها ، يسهل على كل أحد
الالمام بها وعرفانها سريعاً بسهولة ، بعد أن كانت كلمات شاردة قصيرة ، أو كتباً
مشوشة لم تنضج ، ولم تصبح جديرة بالبقاء والانتشار الذين قدرا لمؤلفان ،
هذا الامام الفذة ، وآية ذلك أنه ما من داع من دعاة الابتداع الا ويعقته
ويقتل اسمه ، ويتمنى لو استطاع محو اسمه من بطون الكتب وقلوب الرجال ،
وصفحات الدهر والوجود ، وما من داع من دعاة البدعة الا وقد آذاه ، وأضاف
اليه من التهم والا كفار والافساق واختلاق الا كاذب ما استطاع . وقد
أنكر ما أنكره هو من البدع جهابير العلماء من جميع المذاهب وجميع البلدان ،
وألف فريق منهم في ما ألف هو فيه ، ولكن قدح المبتدعين وهجاءهم
- على رغم ذلك - ينطلقان اليه وحده ، وهذا لأنهم يطون أنه هو القائد
الأكبر المظفر لنزو المبتدعات والجهالات . وآية ذلك أيضاً أنه ما من داع
من دعاة السنة الا ويحمله ويوده ، ويزجى اليه أجل الثناء الخاص الماطر ، ويفخر
بالانتماء اليه وطائفته ، ويسجب به وبكتبه ، ويحرص على قراءتها والاستفادة منها ،
ويعترف له بالامامة والزعامة ، ويرجع اليه كثيراً مما عنده من المعرفة والهداية الى
السنة وحبها والحرص عليها والقيام بنصرتها والذيادة عنها ، فهو العدو الأشهر للبدع
وأربابها ، والصديق الأكبر للسنة وأصحابها ، فما عادى المبتدعون في عصره وبعده
مثله ، ولا أحب أهل السنة والاعتصام بها في عصره وبعده مثله ، فقد نال من أهل
السنة أخلص الولاء والرضاء ، وناله من أنصار البدعة أشد الكراهة والمقت ، فله
أجل ثناء أولئك وأكبر عداؤهم هؤلاء ، فله أعظم العدا وأعظم الولاء ، فهو محبوب
مكروه ، محبة يحبه بشدة ، وكارهه يكرهه أيضاً بشدة ، وهذان برهانان على أنه هو
رجل السنة الأواحد ، وخصم المبتدعات المفرد ، فعلى يديه تم نصر السنة على
المبتدعات ، وانتصار أهل السنن على أهل البدع ، وبه قام الفرقان واضحاً جلياً بين

الحزين والطافتين والأميرين ، وهذا لا يدقمه الا مكابر للحق ، مغموس في الهوى
أو في الجهل أو فيهما معا

٣- لا ريب أنه هو الذى استطاع بهارة وقوة أن يوفق بين نصوص
الشريعة الثابتة وبين العقولات الصريحة ، وأن يزيل ما بينهما من اختلاف مدعى
وتعارض حسب حقا عصوراً طويلة ، حتى أسبغ الى العقولات والى المنقولات معا
وقد جاء هذا الامام وامهات الدين الاعتقادية قد عقدت حولها وعليها ألوان
من الشبهات والمعارضات المختلفة الخفية : فكانت على الصفات السمية عقد ، وعلى
قيام الصفات بذات القديم عقد ، وعلى الافعال الاختيارية وقيامها به تعالى عقد ،
وعلى مغايرة الصفات للذات عقد ، وعلى صفات الحكمة والتعليل والاختيار عقد ،
وعلى صفة الكلام عقد ، وعلى صفة الاستواء والموعد عقد ، وعلى حدوث العالم
عقد ، وعلى بحث الاجسام عقد ، وعلى النبوات والكرامات والمعجزات عقد بمد
عقد ، وعلى التوفيق بين العقل والنقل عقد أية عقد . وبالأجمال كانت على سائر
أمهات الدين الاعتقادية عقد معقدة ، وكانت الفلسفات الاجنبية المعربة قد نسجت
على قطيعات الاسلام الضرورية العقد والأشكالات من كل جانب ووجه ، حتى
صار أكثر الناس المصابين بهذه الفلسفة ازاء النصوص فريقين فريقاً زهد فيها
وسخر منها بمد أن أيقن مخالفتها للعقولات الضرورية التى لا تنازع ، فكان موقفه
منها موقف المحرف المؤول ان اصطدم شئ منها بشئ من عقلياته . وفريقاً قبلها
بإيمان واستسلام ظاهر على مضض مع اعترافه بأنه لا يمكن الاصلاح بينها وبين
العقولات فى الظاهر ومع اعترافه بأنه لا يمكن إقناع العقليين بها ، وكان غاية أمره
أن قال إنها فوق العقول البشرية ، فلا مناص من التفويض والامراض عن محاولة
فهمها وعليها . وكان موقف هذا الفريق موقف القادح المادى للمعقول ودلائله ،
كما كان موقف الفريق الأول موب القادح المادى للنصوص . وكان موقف كل

ريق من الآخر موقف المتنص الذام ، فكان أهل العقليات يسمون أهل النصوص بأنهم لا يقولون فلا يليق بهم الخطاب ، وكان أهل النصوص يسمون أهل العقليات بأنهم ملحدون كافرون ، فواجب على المؤمن الفرار بدينه وإيمانه منهم ومن عقلياتهم لئلا يضلوه ويفسدوه . وكان إحلال الصلح بين الفريقين بعيداً لا يرغبى وكان لكل من الفريقين أتباع وأنصار ، وكان الظفر - أئمة الظفر بكثرة الأتباع والأنصار - غالباً في جانب العقليين ، لأن الناس مجبولون على الفرار مما لا يفهمون ولا يدركون ، وعلى الاستمسك بما فهموا وعلموا . وبهذا كان للمعتزلة التفوق على خصومهم في عهد المأمون والواثق والمتنصم ، حتى لقد استطاعوا أن يكسبوا هؤلاء الخلفاء العظام ، وأن يجعلوهم من أنصارهم ، الحاملين الناس على عقيدتهم وآرائهم بالسيف والوسط والسجن . ولست أشك أن هذا الامام لو كان هو الخصم المناهد للمعتزلة في ذلك العهد لاستطاع رفع الحنة عن أهل الحديث ولا استطاع أن يقف أولئك الخلفاء عن الاندفاع في تيار الاعتزال الجارف ، ولا استطاع أن يذهب ذلك السلطان العلى الاعتزالي الذي طاح برقاب كانت بريئة ، وأشاط بدماء ما كان أخلفها بأن تصان وتسبى

هذا ما كان من الأمر بين المعقولات والمنقولات قبل ظهور هذا الامام . فلما أن ألقى الأمر كما ذكرنا عمد إلى تبديد هذه الغمة ، وتصدى الإصلاح بين العقل الصريح والنقل الصحيح . فأشاد البراهين على أنها اخوان لا يختلفان أبداً ، وأن كل نص صحيح صريح لابد أن يسير العقل الصحيح الصريح في جانبه مؤيداً مقوماً لا يخالفنا منابداً ، فتم له ما حاول وأشاد صرح ما أراد . فكان فيصلا من فياصل الله وفاروقا من فواريقه ، فكان هو أول من تم له التوفيق بين المعقولات والمنقولات والإصلاح بينهما بمهارة خارقة عجيبة . فلنضمه بهذا المكان بلا جمجمة ولا احجام

٤ - ثم ليس من شك في أن النهضة الإصلاحية الإسلامية المشهودة في هذا

المصر ، والقائمة منذ قرنين بشكل واضح جلي ، والمدوي صوتها منذ قرون الحين
 بعد الاحيان ، هذه النهضة الرامية الى تخليص الدين من الترهات والزيادات -
 مرجعها الى هذا الامام والى كتبه القيمة المضمنة آراءه وعلومه ونظرياته الناضجة
 الصحيحة ، وما من اصلاح ديني في هذا العصر الا وهو السبب له إما مباشرة منزعا
 من كتبه مباشرة ، وإما بوساطات قليلة أو كثيرة تتصل حلقتها الأخيرة به ومؤلفاته
 الخالدة في العالم العربي والاسلامي المنادي بالاصلاح الديني الاعتقادي الرامي الى تخليص
 الدين والعقل من كل دخيل غريب باطل - مدين كله لهذا الامام ولكتبه بأفضل
 ما معه وهو فكرة الاصلاح وإبعاد الدين عن الترهات ، بل لاريب أن دعاة البدع
 والضلالات الاعتقادية المريضة القادحين في هذا الامام وفي إصلاحه مدينون له
 بالفضل واستنارة الأذهان وصل العقائد ، وذلك أنه بثوراته ومهاجراته ومؤلفاته
 التي لجوا في عدائهم ومطاردتها وهجائها قد هزّ نفوسهم وعقائدهم ودخائلهم هزات
 تطايرت من هولها وشلتها أنواع كثيرة من رخيص الآراء ، وهجين العقائد ،
 فانصقلت عقائدهم وأذهانهم وآراؤهم شيئا فشيئا ، وفارقوا كثيراً من المبتدعات
 المردودة الناقصة تحت ضغط قانون المنافسة والمجازفة والمساجلة اما يعلم منهم وإما
 بغير علم ، فله عليهم بذلك الفضل العظيم ، والأيادي التي لا يستطيعون جزاءها
 عرفوا ذلك أم جهلوه

وقد قامت على هياكل هذه النهضة الإصلاحية الراجعة إليه حركات سياسية
 نافعة ، ويوجب لها الزيد والقوة والنشاط والانتشار والعز الباذخ ، وإليه يرجع
 الفضل في قيام الدولة العربية السعودية أولاً وأخيراً . وذلك أن هذه الدولة الفتية
 قائمة على قواعد الاصلاح الديني وتخليص الاسلام مما لوثه من الأوضار الاعتقادية
 والعقلية ، ولا ريب أنه هو الدال على هذا الاصلاح الذي قامت عليه هذه الدولة
 بواسطة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رضى الله عنه ، فهما مشتركان في هذا

الفضل العظيم . ولهذا فان رجال هذه الحكومة وأنصارها يحملون له خالص
الولاء والاحلال

فالنهضة الإصلاحية الاسلامية في العالم العربي والاسلامي اليوم وقبل اليوم
بعدة قرون مدينة لهذا الامام ، راجعة إليه وإلى كتبه الخالدة ، فهو - ولا شك -
أبو النهضة الاسلامية الحديثة ، وهو - ولا شك - الواضع لأساسها وقواعدها
الراسية الثابتة . ولو أننا أردنا معرفة جميع دعاة الإصلاح في هذا العصر لوجدناهم
جميعا من المتخرجين على كتبه المدارس لها . وهذا أمر لا يدفع ولا ينكر

٥ - ثم لا ريب أن هذا الشيخ أول من أبدى هبوب الفلسفات الأعجمية من
يونانية وغير يونانية ، وأول من أبدى أضرار مزج هذه الفلسفات بالمقائد
الاسلامية الصافية ، وأول من عدما نال إيمان المؤمنين من جراء هذه الفلسفات
وجراء مزجها بالعقيدة التي مصدرها القرآن والرسالة المحمدية ، وأول من أبدى
مخالفته لنصوص الدين ، ودل على أنها هي الباطلة عقلا وتقالا ، وعلى أن النصوص هي
الصحيحة عقلا وتقالا ، ثم هو أول من هاجم الفلاسفة المهاجرة القوية البارعة ، ووضع
اللائم من أخطائهم وأخلاقهم ، وأول من أبدى للمخدوعين المفرورين بهم أمكنة
الضعف والنقص فيهم بأساليب مختلفة كثيرة

٦ - ثم لا شك أنه هو أول من خرج على ذلك الأسلوب اللفظي المقصوب
الاستعجاج والأوزان ، الشائع بين العلماء والأدباء قبيل خروجه وفي عصره . بعد أن
ركبت العلوم وتناقص العلماء في عصور الانحطاط والجهل والضعف الشامل كل شيء
في الاسلام لأسباب ذات عدد أصابت الاسلام وأهله أصابات بالغة موحجة . فكان
العلماء والكتّاب والأدباء أيضاً مقيدون بالسجعات المريضة والألفاظ المهلهلة ،
المسوحة بكلف التكلف ، الملونة بألوان البلاغة اللفظية الفارغة . فكانت الأساليب
أساليب لفظية لأن اللفظ ومحاولة تزيينه - على حساب ذلك الذوق المالك - كان

هو المقصود المرعى أولا وآخرا . فكان القول والتأليف يجيء - ولا محالة - ركيكا فارغا هالكا ، لا يمكن أن يصل مكان الشمور أو يلامس النفس والقلب والعقل ، وكان غايته أن يطرب الاعمصاع لترويقه سجعاته المتناكرة المتعادية ، فكان أئمة العلماء والأدباء والكتاب خاضعين لهذا العرف البلاغى الميت

أما هذا الامام فانه كان نائرا على كل بدعة وعلى كل ضعف وقص ، حتى على بدعة الأسلوب وضمف التأليف ، وقصص الكتابة ، فكانت أقواله وألفاظه وآراؤه ومعانيه لا تنقيد إلا بوثاق الحق والقوة ، ولا تخضع إلا لبرهان والحجة ، أما الناس وعاداتهم وعرفهم الخاص والعام ومبتدعاتهم وأهواؤهم : أما ذلك كله فليس جديرا بأن يقيد المرء به نفسه وعقله ودينه وألفاظه وعاداته . فكان لذلك يرسل ألفاظه كما كان يرسل معانيه وآراءه حرة طليقة غير مقيدة إلا بالمعنى الذى أراد أن يفهمه الناس وأن يطموه . فلفظ هو المقصود والمراد ، وأما الألفاظ فعارض له وأزياء فيجب أن تكون تابعة له خاضعة . فكما يجب أن يكون الثوب ملائما لملك الجسم المعروض فيه وأن يكون بقدره فكذلك يجب أن يكون اللفظ ملائما لمعناه وبقدره أيضا . ولهذا جاءت أساليبه أساليب عطية محكمة مفهومة المعنى بسهولة ويسر ووضوح ، بعيدة عن التكلف وعن الزخارف اللفظية المشوشة ، بعيدة عن خدمة الأوزان والتوقيع الأدائى الآلى ، لا تنكف قارئها فى فهم معناها والاحاطة بمرماها إلا بقدر ما يكلفه انتقال المعنى القريب من صفحة هذا الوجود الى صفحة قلبه ونفسه . ولهذا أيضا كانت مؤلفاته خالدة لأنها تلامس شهور القارىء قبل أن تمر بأذنه ، ولأنها قد أفرغت فى قالب الفطرة الالهية الأولى ، فما من قارىء لها إلا ويجد فطرته المولودة مع شعوره وفهمه وعطيه وجسمه ، فهى حيية الى كل قلب وهى خالدة ما خلقت القلوب والمشاعر

ولو أنك عرضت فصلا من فصوله العطية التى كتبها منذ أكثر من ستة قرون

على كتاب هذا العصر وعلمائه لما حسبوا ذلك إلا من توليد عصرهم ومن تناج
الأقلام والألأباب العصرية . وهذا هو آية الخلود ، ومثل هذا هو الجدير بالبقاء
والذويوع من الكلام العالي ، فهذا الامام مجدد في الاسلوب والتأليف كما كان
مجدداً في الآراء والنظريات والمبادئ
وقد تأثر صفوة تلاميذه أساليبه كما تأثروا معانيه واصلاحاته ، فكانوا
بذلك ممتازين .

هذه بعض النواحي الاصلاحية التي قدمها هذا الامام الى الاسلام والمسلمين ،
والى العرب والعربية ، فما أعظم بركته ! وما أحسن أثره في نفسه وفي أمته !

المقادح في ابن تيمية

وأما ما ذكره هذا الشيعي وما ذكره غيره من المقادح في هذا الشيخ فيقال
في الجواب عن ذلك : ان المقادح التي ذكروها قسمان : قسم كذب على الرجل
لا أصل له ، وقسم صحيح النسبة اليه ولكن الحق هو ما قاله فيه . أما قسم الأكاذيب
فهو ما ذكره من أنه كان يقول ان علياً كان مخذولاً حينما توجه ، وأنه عاج
الخليفة مراراً ففاته ، وأنه كان يقاتل لثراثة لا للديانة ، وأنه كان يحب الملك ،
وأن عثمان كان يحب المال ، وأن أبا بكر أسلم شيخاً يلري ما يقول وأن علياً أسلم
صبيلاً لا يلري ما يقول وأن الصبي لا يصبح إسلامه ، فهذا كله كذب صريح ،
وكذلك ما ذكره من أنه كان يفض آل البيت النبوي ، وأنه كان يسعى للمخلقة
والامامة ، وأنه كان ينسب الجسم والجهة الى الله ويضل من لم يقل ذلك ، وأنه
كان يقول بأن شيئاً من المخلوقات قديم . فهذه الأمور كلها كذب صريح وبهتان
عند الله جزاؤه . ولقد صرح في أكثر كتبه المعروفة المقررة بانكار هذه التهم
وإبطالها والرد على القائلين بها ، فقد أنكر صراحة في غير ما كتاب من كتبه
القول بأن الله جسم أو أنه في جهة ، ولكن يقر ما جاء في النصوص من الاستواء

والملو المطلق ، لا يزيد ولا ينقص ، وصرح كذلك في جميع كتبه بأن كل ماسوى
الله وصفاته حادث كائن بحد علم ، وقد رد ردوداً باهرة على الفلاسفة وغيرهم من
القاتلين بقدم شيء من العالم ، وألف الحجة الخالدة القاهرة على حدوث العالم وجميع
أجزاء هذا الكون ، وقد دافع عن الصحابة عموماً وعن آل البيت خصوصاً في
مالا نعلمه من كُتبه ولا سيما كتاب « منهاج السنة » الذي ردَّ به آثام الشيعة
وعدوانهم على الصحابة وعلى المسلمين ، وأحرق شبهات النواصب القادحين في آل
النبي ﷺ ، وشبهات الشيعة القادحين في الصحابة وفي الأمة الإسلامية عامة .
وما كتب كاتب - فيما نعلم - دفاعاً عن الصحابة كافة ، وعن المسلمين كافة مثله في
كتابه « منهاج السنة » وفي غير هذا الكتاب من كتبه الذائعة الاسم ، المطبوعة
وغير المطبوعة . وقد دافع خاصة عن الخليفة المهين ابن عثمان رضى الله عنه وحرق
مقادح الشيعة الظالمة فيه ، وحل ما نسجوه من التهم والمذام حول دينه وعمله
وإيمانه حتى انقشع ذلك الجهام المدمم عن سماء صحابة رسول الله ﷺ وأركان
دينه ودعوته رضى الله عنهم جميعاً . وقد كانت مقادح الرافضة قبل ذلك غشاء
كثيفاً حائلاً بين الأبصار وبين محاسن أولئك الصحابة الكرام
وأنا أشهد الله شهادة حق أسأل عنها بين يدي الله يوم القيامة أتى لا أعرف
حالاً أحسن الدفاع وصدق الدياد عن صحابة رسول الله ﷺ وآل بيته مثله في
كتاب منهاج السنة ، وأشهد الله شهادة حق وصدق أسأل عنها يوم الدين أتى لا أعلم
من رد عدوان الرافضة وعدوان النواصب على الصحابة وعلى آل النبي ﷺ مثل
هذا الامام الربانى

فهذا القسم كله كذب ظاهر على الشيخ ، وعند الله جزاء الكاذبين . ومن
شك في هذا تحديناه وطلبنا اليه أن يدلنا على شبهة واحدة من هذه الشبه في كتاب
من كتبه ، بل ليدلنا على شبهة من هذه الشبه لم يصرح هو بضدها وبإبطالها وبالرد

على القائلين بها في سائر مؤلفاته . أما ان يقول حاقده ذو ضمن ان فلانا كان كذا وكذا ، وكان في دينه وعقيدته كيت وكيت - في حين أن جميع كتبه تنادي بخلاف قول ذلك الحاقده - فأمر لا يمتأ به العاقل ولا ينعم به الحق مينا ومن مصائب الدنيا والله أن يقول هذا الشيى ان ابن تيمية منافق لأنه قال في عثمان ما ذكر من حب المال في حين أنه هو وإخوته الشيعة يكفرون عثمان ويكفرون أبا بكر وعمر وعائشة وغيرهم ، ويقولون فيهم أعظم الأقاويل ويشنون اليهم من الآثام ما قد يتأثم من غشياته أعلام الفجار والكفار ١ ويل للانسان ١ فما أظلمه وما أجهله ١

واذا كان من قال ان عثمان يحب المال وأن عليا كان مخذولا وأنه كان يحب الرئاسة والملاى ، اذا ما كان قائل هذا منافقا وزنديقا ، فما يكون من قال في أبى بكر وعمر وعائشة وفي سائر الصحابة والمسلمين ما ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب وفي أثناءه ١ ؟

هذا جواب القسم الأول من المقادح التى هي كذب واختلاق . وأما القسم الثانى من المقادح التى هي صدق ولكنها ليست مقادح وإنما هي فضائل قائمة فهي انه يقول بملو الله على خلقه وعرشه ، وأنه يؤمن بجميع ما جاء فى الآيات والأخبار الثابتة من صفات الله كالنزل الى سماء الدنيا ، والمجيء والقرب والوجه واليدين والأصابع ، والرضا عن المؤمنين والصالحين ، والغضب على الظالمين والكافرين وكلهبة للحق والايان والاستقامة ، والكره للباطل والفسوق والروق ، وأنه تعالى يتكلم بحرف وصوت - كما دلت عليه الدلائل - فهذه الصفات وغيرها وغيرها من أوصاف الكمال لله يؤمن بها هذا الامام إيماناً خالصاً قويا ، ويدعو الى الايمان بها جميع المؤمنين ويخطئ من لم يؤمن بها ، ولكنه يؤمن بها مع التنزيه ورفع التشبيه كما يؤمن بذاته تعالى وأسمائه وسائر صفاته مع التنزيه ورفع التشبيه . فلا يقول :

ان هذه الصفات لله تشبه صفات المخلوقات . كما لا يقول : ان ذاته تعالى تشبه خوات المخلوقات ، ولا ينكر هذه الصفات خوف التشبيه وبمجة التنزيه . كما لا ينكر ذات الله وأسماءه وصفاته الأزلية خوف التشبيه وبمجة التنزيه ، واذا كان ممكنا الايمان بالذات والحقيقة والوجود وسائر مالا يمكن الانكار له من الصفات - مع المحافظة على التنزيه والاستمسك به - كان ممكنا الايمان بهذه الصفات المذكورة مع المحافظة على التنزيه والاستمسك به أيضا ، ولو كان الايمان بهذه الصفات قاضيا بالتمثيل - كما يزعمون - لكان الايمان بالذات والوجود والحقيقة قاضيا بذلك فالذات والصفات في هذا المعنى سواء لزوما واقتضاء ، والتفريق بينهما غلط لا حيلة في دفعه أو رفعه ، ولا ريب أنه اذا لم يكن المؤمن بالذات لله والوجود وبعض الصفات مشبها أو ممثلا لم يمكن أن يكون المؤمن بسائر الصفات التابعة مشبها ولا ممثلا ، وأنه اذا ما كان المؤمن بسائر الصفات مشبها ومثلا فلا بد أن يكون المؤمن بالذات وبعض الصفات كذلك أيضا ، ومن الحال عقلا ونظرا وجدلا الخلاص من هذا الالتزام . ولو استعان الخالف بالجن والانس وكل ما خلق الله على أن يجد مخرجا من هذا الالتزام لما وجده ، ولو أمير عقله عقول المقلاء جميعا ثم جهد على أن يظفر بفرق بين الأمرين لاصحاه ذلك الفرق

فان تيمية - كسائر السلف والعلماء المستمسكين بالنصوص والآثار - يؤمن بما جاء من الصفات لله رب العالمين بلا تفريق بين صفة وصفة ، ولا بين نص صحيح ونص آخر صحيح . إذ كل ذلك من عند الله . ثم يعلم بعد أن الايمان بذلك ليس فيه شيء من تشبيه الله بالمخادئات والمخلوقات ، وليس في شيء من ذلك نقص ولا ضعف لا يليق بالله . بل ثم يعلم أن الايمان بذلك هو عين التنزيه والتقديس والاجلال والاكبار لله رب العالمين ، ويعلم أن المطولين المجردين هم المشبهون للمثلون حقا . إذ لولا شعورهم بذلك ، وشعورهم بأن النصوص بظاهرها تشبيه

وتمثيل لما فزعوا الى التأويل والتجريد ، زاعمين أنهم ما فزعوا إلا من تشبيه الله وتمثيله بخلقه ، ومن وصفه بصفات الحدوث التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة . فالتشبيه أولاً قد قرئ - ولا بد - في قوس المؤولين المنكرين . فالذين ينكرون على ابن تيمية وغيره من السلف الصالح الايمان بالصفات الثابتة للنصوص ويزعمون أنهم ان آمنوا بذلك كانوا مشبهين - في حين أنهم هم يؤمنون بذات الله ووجوده وأنواع أخرى من صفاته ، ولا يرون أنهم شبهوا ولا مثلوا - غلطاً فاحشاً ظاهراً ، وتحقيق هذا البحث قد ألمنا به في ثانياً هذا الكتاب وأول هذا الفصل

إذن شيخ الاسلام ابن تيمية يؤمن بصفات الله الواردة في النصوص الثابتة ايماناً قوياً حازماً ويدعو الى الايمان بذلك بلا تفريق بين صفة وصفة ، كما يؤمن السلف قاطبة ، وهذا من حسناته لا من سيئاته

وأما قوله « ومنهم من ينسبه الى الزندقة لأنه قال ان النبي عليه الصلاة والسلام لا يستغاث به » فيقال في جواب ذلك أولاً انه لم يقل أن النبي لا يستغاث به مطلقاً حياً وميتاً في ما يقدر عليه ومالا يقدر عليه . بل الذي قاله ودونه في جميع كتبه وشهره في الفصول الطوال هو أنه لا يستغاث بالنبي عليه السلام ولا بغيره في ما لا يقدر عليه إلا الله من ضرور الحاجات وضرور المطالب العليا . كما لا يستغاث به بعد وفاته وبعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، ولا وهو غائب لا يسمع الداعي ولا يسمع دعاءه ولا يقدر على اجابته عادة . أما في الحياة فلا خلاف في جواز الاستغاث به في ما يقدر عليه من الشؤون والحاجات التي جمل الله له القدرة على أن ينعم فيها شيئاً . بل ولا خلاف في جواز الاستغاثه بسائر المؤمنين في ذلك فضلاً عن أكرم الخلق على الله وعلى المؤمنين ، وكذلك في الدار الآخرة في ما يقدر عليه . فهذا كله لا ينكر منه ابن تيمية شيئاً . بل لقد ذكره وذكر

جوازه ووجوبه أحيانا في جميع مؤلفاته ، وهذا أمر لم يختلف المسلمون فيه قط
فالقول بأنه ينكر الاستغانة بالرسول إطلاقا حيا وميتا قول كاذب ، والخالف نفسه
بما أنه كاذب ، وأنه خلاف مذهب الرجل المعروف

ثم يقال ثانياً : كيف يكون قائل ذلك - لو فرضنا أن أحداً قاله - زنديقاً وهو
لفظ حديث نبوى مشهور ، وقد ذكره الشيخ في كثير من كتبه ؟ والحديث هو
أنه كان في زمن النبي عليه الصلاة والسلام منافق يؤذى المؤمنين ، فقال بعض
المسلمين : لنستغث برسول الله من هذا المنافق ، فكان رد النبي عليه السلام :
« إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله » وإذا كان المتكلم بالنصوص زنديقاً فما
يكون المسلم المؤمن ، وبماذا يتكلم الصديق الولي ؟ ! نعوذ بوجه الله من سوء القلب
هذا ، ولنعلم أن كمال الأنبياء وغيرهم من عباد الله الأبرار ليس في أنهم
يفيئون الناس ويقضون حاجات الخلق ، ويقدررون على الاعطاء والمنع والضر والنفع
ولا في أنهم يسألون ويستغاثون ويدعون . ليس كمال الأنبياء والصالحين في شيء
من ذلك حتى يكون منكر ذلك منكراً كالمهم وفضلهم وشرفهم ، ولكن كالمهم
وفضلهم وشرفهم في أن الله جعلهم موضع سره وهدايته ورسالته ، وجعلهم المدادة
اليه والذلال عليه ، المرفين لمهايط رضاه ومواقع سخطه . فن أنكر هذا كان
- ولا ريب - منكراً فخرهم وشرفهم وفضلهم قادحا فيهم أيضاً ، لا من أنكر
الاستغانة بهم ، وأنكر قدرتهم على إغناء العباد وقضاء حاجاتهم وما ربهم ، وهذا
لا يتنازع فيه العارفون بالإسلام وبأصل دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهذا
ما دل عليه الكتاب والسنة بجملة وتفصيلا . ولهذا كان أعظم أصحاب النبي عليه
السلام أقل الناس سؤالاً له واستجداءً ، وكان الأعراب والجهالة وغلاظ الطباغ
أكثر الناس سؤالاً له واستغانة به ورغبة في عطايه ومنحه ، وكانوا يتفتنون في
اقتراح المسائل عليه واقتراح المطالب والحاجات المختلفة ، وقد يذهب الضلال

وضألة العقل والفهم بكثيرين الى أن القدرة على الأمور المستحيلة عادة وشرعا مقارنة للنبوة ومعنى النبي ، فكانوا يذهبون الى أن النبي هو الذي يستطيع أن يصنع لهم ما يريدون وما يشتهون وما يتمنون على دنياهم ويقترحه عليهم شهواتهم وأنفسهم ولهذا كثيرا ما طالبوه بمعجز الطالب كإيجاد الكنوز والأنهار والجنات في الصحارى المقفرة وأمثال ذلك من المطالبة برقى السماء وانزال الملائكة ، والكتب المكتوبة ، الى آخر ما قصه القرآن من مسائل الماعدين الكافرين للأنبياء عليهم السلام . وهذا كله مبنى عندم على أن النبي هو القادر الفعال لما يريد المعطى لما يسأل ويطلب ويقترح عليه ، ولأجل هذا كان جواب الله عن رسله أمثال قوله : « قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا » « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي » وهذا كله رد على أولئك القوم الذين يريدون من النبي والنبوة نيل المآرب الدنيوية والاغاة والغوث . . ولكن وظيفة النبوة هي غير ذلك ، هي أممي وأجل ، هي وظيفة التلميم والارشاد والهداية الى الله ، وإلى الصلاح والفلاح ، وإلى كسر ناموس الشهوات الطاغى الغيف ، وإلى الأخذ بيد الروح والمعاني الروحية لتنتصر على المادة والماديات ، فناموس النبوة مضاد لناموس الشهوات المادية ، ملطف من حدته وعنفه ، فإذا ما عزت دولة الأرواح والمعاني الفاضلة ذلت - ولا محالة - دولة المادة الشهوانية بصف وشدة ، هذه هي وظيفة النبوة

أما الاعطاء والمنع والخلق والإيجاد والاغاة والغوث ونحوه ، فذلك كله لله رب العالمين لا شريك له ولا معين ، وما كان لله لا يصح أن يضاف الى خلقه ولا أن يشطب منهم ، ومن فعل ذلك فقد ضل وجهل ، فيجب التفريق بين الحقين : حق الله وحده وحق رسله وأنبيائه وعباده جميعا ، والضلال العظيم هو الخلط بين الحقين ، أو إعطاء هذا حق هذا

إذن ليس الزنديق هو الذي يقول : ان الأنبياء - بل والخلق جميعاً - لا يستغاث بهم في ما لا يقدّر عليه الا الله وحده ، وإنما ذلك هو المؤمن حقاً ، العارف بحق الله وحق عباده ، المصلح كلاحته ، لا يخط ولا ضلال هذه هي جملة المقادح التي حورب بها هذا الامام ، وأراد المخالفون أن يبلغوا بها ما يشتهون من ابداء دينه وعقله وعلمه وسمعته ، وان لقاريه المنصف حكماً عادلاً من نفسه يحكم بين هذا الشيخ وبين خصومه الشائئين بعد أن وضعنا بين يديه ما زعموه له من السيئات والصوب ، وقليل مما كان له من الحسنات ، وان الحق لا يضيع بين الله والناس ، وان المفلس حقاً ، المغبون حقاً ، هو ذلك الذي أعدم من الفضائل والحسنات ، فراح يبادى أهل ذلك انتقاماً لنقصه وعيبه من كمال الكاملين وفضل الفاضلين

ما ذكره ابن بطوطة عن ابن تيمية

يوجد هنالك في رحلة الرحالة المشهور ابن بطوطة حكاية عن ابن تيمية اتخذها الخصوم حجة على ما ينهبون اليه من اتهام الرجل وأتاهم دينه وعقيدته . وخلاصة هذه الحكاية ما يأتي قال : وكان في دمشق الشام من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام ، يتكلم في الفنون الا أن في عقله شيئاً ، وكان أهل دمشق يظلمونه أشد التعظيم ، وكان يعظمهم على المنبر . وتكلم مرة بأسر أنكره الفقهاء ورفعوه الى الملك الناصر فحبس ، فألف في السجن تفسيراً للقرآن سماه « البحر المحيط » يقع في نحو أربعين مجلداً ، ثم أطلق من السجن فصاد الى وعظ أهل دمشق ، فحضرت يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ، فكان من جملة ما تكلم به أن قال : ان الله ينزل الى معناه الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجة من حرج المنبر ، فأنكر عليه فقيه مالكي ، فقام الجمهور الى هذا الفقيه فضربوه بالنمال

والأيدى ضرباً شديداً ، ثم حمله الى دار قاضى الحناطة فأمر بسجنه وتعزيره ، فأذكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ، ثم كتب الى الملك الناصر فى ما حدث وذكر له قول ابن تيمية أن الطلاق الثلاث بلفظة واحدة يقع طلاقاً واحدة وأن المسافر يقصد زيارة القبر النبوى لا يقصد الصلاة وسوى ذلك مما يشبهه ، فأمر الملك الناصر بسجنه فسجن حتى مات

هذا خلاصة ما فى رحلة ابن بطوطة من هذه الرواية والذى يمتدنا من الحكاية هو ما ذكر عنه أنه قال ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا . أما ما قاله فى الطلاق الثلاث فقد اعترف له الناس أخيراً بأن ما قاله هو الحق الذى يرجع اليه وقد رجعوا الى العمل بذلك فى محاكمهم للشرعية ، وأما ما ذكر فى السفر الى زيارة القبر الشريف فندع القول فيه الى الباب الخاص به ، وأما ما ذكره فى النزول فهو ما تتكلم عليه هنا فنقول ان هذه الحكاية مفرغة - كما رأيت - فى قالب المديح والاطراء فهو - على ما قيل فيها - من كبار الفقهاء ، وهو كبير الشام ، والناس هناك كانوا يعظمونه أشد التعظيم ، وهو يتكلم فى جميع الفنون ، وهو لا يدع الاشتغال بالعلوم رتياً لىف حتى فى أدق الساعات واحرج الأوقات ، وقد وضع وهو مسجون معذب القلب والبدن كتاباً فى تفسير كلام الله يقع فى ما يقارب أربعين مجلداً ، والناس يحبونه جداً ويفارون له جداً حتى ان من أنكر عليه شيئاً مما قال ضرب وأهين وعذب وعزر وسجن وهو من الفقهاء الطماء . هذا ما ذكره ابن بطوطة من كلمات الثناء والاطراء لهذا الامام ، فالحكاية مفرغة فى قالب الامتداح والثناء . أما انه قال ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا فهذا هو مكان القدم والخطأ لو كان حقاً قال ذلك ، ولكننا نقول - واثقين مما نقول - ان الرواية على ظاهرها وسياقها المذكور خير صحيحة ولا ثابتة لأمرين اثنين لاشك فيها أمر يرجع الى سياق القصة ، وأمر يرجع الى أنها خلاف المتواتر عن الشيخ

في جميع كتبه . أما ما يرجع الى سياق القصة فيقال : لا ريب أنه لو كان قال ذلك حقاً لفضب عليه الناس جميعاً ، ولوقفوا كلهم منه موقف ذلك الفقيه المنكر المحتج لأن المسلمين جميعاً لا يشكون في أن من قال ان الله ينزل كنزول الخلق ، أو أن صفة من صفات الله تشبه صفة من صفات الخلق فقد ضل ضلالاً بعيداً ، ولو كانت الرواية صحيحة عنه كما ذكرت لما عاقب قاضي الخناينة ذلك الفقيه المنكر الغاضب بل لشكره ولجأه بالامتداح والثناء ، والغضب للشيخ لا أحسبه يبلغ بذلك القاضي الحنبلي أن يذهب يعذب من أنكر تمثيل الله بخلقه من العلماء ، هذا مالا نظنه بذلك القاضي . ثم لو كانت هذه الرواية صحيحة عن الشيخ كذلك لكان كلام ابن بطوطة فيه غير كلامه المذكور في الرحلة ، وأيضاً لو كانت صحيحة لما استجاز ابن بطوطة ولا ذلك الفقيه ولا غيرها من الحاضرين الصلاة خلفه . وظاهر القصة أنه صلى بهم الجمعة ، وظاهرها أيضاً أنهم لم يدعوا الصلاة وراءه . هذه أمور راجعة الى القصة نفسها والى سياقها تدل بمجموعها دلالة قوية ظاهرة على أن الرواية غير صحيحة بالنص المذكور

وأما الأمور الدالة على بطلان الرواية ، التي لا ترجع الى القصة نفسها ، فهي : ان هذه المقالة مخالفة لأقواله التي لا تحصى من التنزيه والأخذ بطريقة السلف الصالح ومخالفة لما علم عنه بالضرورة من أنه لا يقول ان صفة من صفات الله تشبه صفة من صفات العباد ، وهذا معلوم عن الشيخ بالضرورة والتواتر ، وهذا ما صرح به في ما لا يمد من كتبه المطبوعة المشهورة . ومما يدل دلالة لا تكذب على كذب الرواية واختلافها أنه قد كتب كتاباً شرح به حديث النزول الى معام الدنيا ، وقد طبع الكتاب ، وهو بجملة وتفصيله كذاب لهذه الرواية ، وقد قال في مواضع لا نعدا من هذا الكتاب : ان نزول الرب وسائر صفاته ليست كهصفات المخلوقات ، ولن يوجد في هذا الكتاب ولا في غيره من كتبه لفظ واحد يشير الى

صحة الرواية وإقرار معناها أو يتهاون في إنكارها وإنكارها ، بل كل ما كتبه
 إ كذاب لها صريح . ولا ريب أن مذهب الرجل يجب أن يؤخذ مما كتبه يده
 وما دونه ليكون رأيا له وعقيدة لا مما يتلقفه بعض الناس عنه من السنة الريح ومنطق
 الهوى والهواء ، ولو أن آتيا أتانا وحدثنا عن الامام مالك أو الشافعي أو أحد
 أو غير هؤلاء كالبخاري أو مسلم أو ابن حزم أو ابن تيمية أو غيرهم بحديث يخالف
 ما هو مدون في كتبهم وما هو معلوم عنهم في مذاهبيهم بالتواتر والضرورة لما كان منا إلا
 أن نرد ذلك الحديث وأن نكذبه وأن نلج في تكذيبه وإنكاره ، ولما أجزنا البتة
 أن يكون ذلك الحديث صحيحا مقبولا ، وهذا أمر لا شك فيه عند جميع العقلاء
 العارفين بالموازين العقلية

فهذه الرواية كذب على الشيخ لأنها مخالفة لجميع ما كتب في جميع كتبه ،
 ولأنها مخالفة لما قاله في الكتاب الذي شرح به حديث النزول ، فلا يصح الاعتماد
 عليها بحثا ومنطقا

هذا ما يقال من جهة ثم يقال من جهة أخرى : ان الدلائل على كذب هذه
 الحكاية كثيرة ، منها أنها لم تذكر في مجالس مناظرته لخصومه في الجلسات التي
 عقدها السلطان له ، ولو كانت صحيحة لأخذ بها مجادلوه ومناظروه . ومجالس
 مناظراته مدونة مطبوعة ، ومنها أن الذين ردوا عليه وقلعوا فيه من المتصلين به
 للوطنين الشائنين له لم يذكروها ، وهي لو كانت صحيحة فذكروها لكأنت من
 أعظم المقادح فيه ، وكانت أقوى من جميع ما ذكروه لأجل أنخاف محمته وعلمه
 ودينه ، ومنها أن رجلا مسلما لا يمكن أن يقول ان صفة من صفات الله تشبه صفة
 من صفات ، هذا ما لا يمكن أن يقوله مسلم يؤمن بالله مهما كان نزوعا الى الزيف
 والخيال الاعتقادي فضلا عن عالم محدود من أكبر علماء المسلمين . هذا كله يدل
 على أن القصة على ظاهرها كذب ولا ريب

وحينئذ يقال : هل تتمد ابن بطوطة الكذابة على الشيخ ؟ هذا ما لا نميل اليه
وان كلن ابن خلدون قد ارتاب في كثير مما ذكره في رحلته ، ومال الى أن
الكتب أو الخلط والنسيان قد داخل ذلك حتى ارتفعت الثقة عن الرحلة بما فيها
من غرائب وأخبار ، ذكر ذلك ابن خلدون في المقدمة ، بل وان كانت دلائل
الخلط في الرحلة وانحة جليلة عديدة ، فإن فيها أشياء من البعيد جداً أن تكون من
الصدق الحق . اننا لا نميل الى التكذيب رغم ذلك كله ، وإذن يقال كيف تخرجون
هذه الحكاية ؟ فنقول من القريب أن يكون هناك حرف سقط من الكلام ، على
أن يكون قد قال : « ان الله ينزل (لا) كنزولى هذا » ، فسقط حرف (لا) ،
وقد سمعت السيد رشيد رضا رحمه الله يذكر هذا الاحتمال ويميل اليه ، واذا
ما اختير هذا الاحتمال التأم سياق القصة وتماسكت أجزاؤها ودانت للواقع ولمذهب
الشيخ المعلوم الذى لا يختلف

وها هنا احتمال ثان لا مانع من الذهاب اليه ، وهذا الاحتمال هو أن يكون
النسيان قد غلب الرحالة في هذه القصة ، وهذا قريب لأن الرحلة لم تجمع إلا بعد
أن طوّف ما طوّف ، وآب الى بلاده متعب الجسم والنفس بعد الأعوام الطوال
المُنسية ، وبعد الأسفار الشاقة المضنية ، ويظهر أنه ما كان يذكر في جمع الرحلة
وجملها كتاباً إلا بعد أن ألقى عصا التسيار واستقر به النوى ، وهذا كله يحتمل
احتمال النسيان قريباً

هذا ثم انه لم يكن هو الجامع للرحلة المؤلف لأجزائها ، وانما جمعها وألفها
تلميذه ابن جزى ، ولهذا يوجد فيها كلام كثير ليس من كلام الرحالة وانما هو
من كلام الجامع الراوى ابن جزى . وهذا واضح من قراءة الرحلة
ثم يقال بعد هذا أن ابن بطوطة لم يذكر - على ما في الرحلة - انه سمع ألفاظ
ما ذكر من ابن تيمية مشافهة ، وانما زعم أنه قال ذلك فقط . حينئذ يقال : لعل

(٧٠٢)

خير صادق أبْلغه هذه المقالة الكاذبة فخالها حقاً وصدقاً ، والله العليم . ولو لم يبق إلا
إِ كذاب ابن بطوطة لصرنا إلى إِ كذابه لأجل الدلائل المذكورة

القادحون في ابن تيمية

الخرفان الناس فيك ثلاثة مستعظم أو حاسد أو جاهل
لو أنك أردت أن تترجم موقف الناس إزاء كل عظيم من عظماء هذه الدنيا
لما توجهت بأحسن ولا أصدق من هذا البيت الشعري الصادق . فان الناس - مهما
اختلفوا طباعاً وجهات - ثلاثة رجال إزاء كل عظيم بارز رفيع القدر والجاه
رجل معظم مستعظم ، وهذا هو من أفلت من وفاق الجبل وصنوه الحسد . ورجل
ثان حاسد حاقد ، وهذا هو من آمن قلبه رغماً ، وسكفر لسانه رغماً أيضاً .
ورجل ثالث جاهل لا يعرف العظيم ولا العظيمة ، لآلهما فرق سمائه وفوق
مذاهب عقله ونفسه وطبعه ، فهو يعيبهما ويزدريهما ويحتقرهما لأنه لا يعرفهما
ولا يعرف قيمهما

فواقف للناس في كل الأمم والعصور والبيئات من كل عظيم لاتعدو ثلاثة
مواقف : موقف المعظم المحب ، وموقف الحاسد الحاقد ، وموقف الجاهل الغر
وفتش عن كل عظيم في هذا العالم المعجيب فلن تجده إلا معظماً محسداً محبوباً ، ولن
تجد الناس إزاءه إلا معظماً أو حاسداً أو جاهلاً ، ومن حكم الله البالغة أن كل حق
ومحق في هذه الدنيا لا بد أن يكون لهما أنصار وعشاق يصدقون الدفاع عنهما في
هذا العالم الصاخب بالآثام والجرائم . ثم يتولون حفظ ذلك وإبلاغه وإيصاله إلى
الاجيال الآتية والنائية لتقوم الحجة الظاهرة على الشائنين الجاحدين ، وما من
فضيلة في هذه الأرض إلا ولا بد أن يسكون لها حاسدون محققون ، تطرف
أعينهم رؤيتها ، وينضج أكبادها استذكارها . حتى ان الناس كانوا - وهم إلى

اليوم كذلك - يستدلون بكثرة الحاسدين على عظم الحسود وكثرة فضائله وابن تيمية كان أحد هؤلاء العلماء الذين كان لهم مستعظمون معظمون وكان لهم حاسدون حاقدون ، وكان بهم الأغرار الجاهلون ، وقد اقتلت عليه هذه المعاني الثلاثة : الحسد والتعظيم والجهل أى اقتتال منذهب مناه يفعل فعله في المعاني الثلاثة ويضرم في كل معنى أثره المحتوم . أما المعظمون له المستعظمون فهم كل من سما بنفسه ، دينه وأدبه على رذيلة الحسد والحقد ، وارتفع به قدره وجده واستعداده عن وهلة الجهل والغباء ، وأما أعداؤه وخصومه فهم أسرى الحسد والجهل إذ خافوه على مكاناتهم العلمية الجمهورية ، وعلى مناصبهم المادية الدنية ، واذ قصرت أنفسهم عن علم مادعا اليه من الاصلاح والهداية الحمديدية فأنكروا أمره وتناولوه بالتجريح والتفكير والتهمة الموبقة الكاذبة

فاذا قال هذا الرافضي : ان ابن تيمية قد سب وقدح فيه وكفر وحبس وعذب ومات مسجوناً معذباً ، قلنا له : أجل ، وأى مصلح عظيم لم ينله نصيب من ذلك ؟ ومتى كان هذا دليلاً على فساد أمر الرجل وفساد ما دعا اليه وجاهد لأجل اعلائه ونصرته ؟ ونحن لو عكسنا الاحتجاج لكان هذا العكس أهدي وأصدق من احتجاج الرافضي ، وذلك أن المهود الأكر أن السلطة تلج بحجارة المصلح الداعي الى العدل والحق عادة ، وكثيراً ما يصطدم رضا السلطة والزعامة الزمنية برضا الحق وأهله ، وقليل أن تتفق وجهة الحق ووجهة السيف والسوط . وما زال الناس يستدلون بمناصرة العالم الديني للحكومات على فساد أمره وحرصه على الدنيا وزهده في الآخرة والدين ، ولا يزالون يستدلون بمفاضيته الحكومات ومفاضيتها هي اياه ، وازوراره عنها وازورارها هي عنه على صلاح أمره ورغبته في الله وفي الدار الآخرة وفي قول الحق وادغام الباطل والظلم ، ونحن نرى بأبصارنا في الحاضر وقرأ في بطون الكتب في الغابر أن أكثر العلماء الذين تمتعوا برضا

السلطة وبذمها وورقها إنما نالوا من ذلك بقدر ما فقدوا من دينهم وعقولهم
وشرفهم وضمايرهم وحرىاتهم وعلمهم وآدابهم

وإذن لن يدل تمذيب ابن تيمية وحجسه ومطاردته على نقص في دينه أو خلل
في حله أو ضلال في عقيدته، وإن كانت لهذا دلالة كانت على قوة دينه وصلاح
أمره وعقيدته وإعلان الحق وإن رغم كل كاره له

فإذا قال هذا الرافضى أو غيره من الخصوم لهذا الامام : ان العلماء في عصره
أو بعد عصره قد أجمعوا على إكفاره ، واضلاله ، واجتمعوا على الرغبة عنه وعن
دينه ومذهبه ، قيل : كلا والله ، وما اجتمع على عداوته وخصومته الا خدام
الدنيا ، وحساد الفضائل ، وأحلاس البدع ، وشيع الترهات المخجلة ، هؤلاء الذين
اصطلحت شهواتهم وما ربههم بما يدعو اليه هذا الامام هم الذين جدوا في عداوته
وإيذائه والحق الأذى الأعظم به ، أما العلماء الربانيون الذين يريدون وجه الله وحده
ويريدون أن ينتصروا للحق قبل أن ينتصروا لشهواتهم وهوى أنفسهم فقد كانوا
من أنصاره المبجلين له ، المعترفين بسبقه وإمامته وديانته وفضله وقيامه لله مقام
الصدقين المجاهدين . وقد اجتمع فضلاء المذاهب الأربعة وغيرها وكبارهم على
الثناء عليه والاعتراف له بالتهريز في فنون العلوم وبالقيام بحق العلم قولاً وعملاً .
وثناه الناس عليه ، المعاصرين له والمتأخرين ، لا يجمعه كتاب جامع . وقد ألقت
الكتب الضخمة في تعداد فضائله وفي امتداح العلماء الكبار له ، وقد وضعت في
ترجمته الأسفار الكبار ، ومن الكتب المؤلفة في الثناء عليه وفي نقل مدح العلماء
المعاصرين والمتأخرين له كتاب « الرد الوافر » تأليف شمس الدين محمد بن أبي بكر
الشافعى المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، وكتاب « القول الجلى في ترجمة شيخ الاسلام
ابن تيمية الحنبلى » تأليف الشيخ صفي الدين الحنفى البخارى ، وكتاب « الكواكب
الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية » تأليف الشيخ مرعى الحنبلى . وهناك

كتب أخرى غير هذه الكتب منها المطبوع ومنها غير المطبوع . والنقول في هذه الكتب امتداداً وثناء على هذا الامام ، والشهادات له ، شهادات أكابر العلماء والكتاب والأدباء ومدحهم لا يستطيع جمعها في كتاب واحد . ولشهرة هذه الكتب وذيوها نستغنى عن إيراد شيء من ذلك ، ونحيل القارئ إليها . والذي نريد هنا هو أن نقول لهذا الرافضي : ان من الهوى المربق والانحطاط المسف قوله : « ان العلماء في عصره حكموا بضلاله وكفره ، وألزموا السلطان قتله أو حبسه » ، أفعمى هذا الشيعي عن هذا الشهادات المدونة في الكتب الكبار في الثناء عليه وفي تعداد حسناته ومحاسنه ١؟ وكيف يستطيع من يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يزعم أن علماء عصر هذا الامام قد أجمعوا على إكفاره والمطالبة بقتله وقد استطاع رجال عدة أن يجمعوا كتباً ضخمة من شهادات العلماء المعاصرين بالثناء عليه والاعتراف له بالامامة والزعامة العلمية ٢؟ ما أغنى الدين والحق عن الكذابة وآتهم الأبرياء إذا كان هؤلاء يزعمون أو يظنون أنهم ينصرون الدين ويخدمون الحق ١ وما أخلق العلماء بالصدق ومقالة الحق إذا كان هؤلاء ينصبون أنفسهم مناصب العلماء المرشدين ١ وما أقبح الكذب ولكن أقبح هذا القبيح أن يكون ممن يقولون للناس أنهم هم المؤمنون وخدمهم ، وهم الناجون المستمسكون بخلائق آل النبي ﷺ وخدمهم ١ ولكن أقبح هذا القبيح أيضاً أن يكون صادراً ممن لم ترضهم سيرة أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة والصحابة الآخرين ١

ولا نعلم كيف يتفق قوله هنا أنهم أجمعوا على ضلاله وكفره ، وأنهم مع هذا « طالبوا السلطان بقتله أو حبسه » ؟ فانهم إذا كانوا يرونه كافراً لم يصح أن يكتفوا بحبسه دون قتله بل لا بد من القتل ، إذ هذا هو حد المرتدين المغيرين لدينهم ١ ما أجدر الباطل بالتناقض ١

واننا نسأل هذا الشيعي : من من العلماء نال من الثناء مثل ما نال هذا الامام

الفذ؟ ومن من العلماء كتب فيه من المديح والاطراء مثل ما كتب فيه؟ ومن منهم وضعت فيه المجلدات الكبيرة ثناء ومديحاً قبل هذا الشيخ أو بعده؟ اننا ندع جواب هذه الأسئلة للواقع الذي لا يكذب ولا يحابي ولا ينافق

نعم نحن نسلم للرافضى أن ابن حجر الهيتمى المكي قد قدح في ابن تيمية وسبه وأضاف اليه ما شاء من الاتهام والتضليل والاكفار، ولكننا نقول ان الجواب عن ذلك هو معرفة الفرق بين ابن تيمية وبين ابن حجر الهيتمى وبعد ما بينهما من بون الأفق العلمى. وما مثل قدح الهيتمى في ابن تيمية إلا قدح جاهل من جهال الشيعة في أبى بكر الصديق أو عمر بن الخطاب أو عثمان أو عائشة أو غير هؤلاء من الصحابة وأركان الاسلام، وما قيمة هذا القدح في الميزان العلمى الصادق؟ ثم ان الجواب عن هذا أيضاً أن ننظر ما الذى نقمه الهيتمى من ابن تيمية، وما ضلاله وزيفه لديه! ان القدح الذى نقله الرافضى عن هذا الهيتمى في ابن تيمية هو ما زعم أنه كان يقول بالجهة والتجسيم، وهذا كذب على الشيخ كما قدمنا، فان ابن تيمية يذكر صراحة القول بالجهة والتجسيم في جميع كتبه، ولكنه يقر الاستواء على العرش والعلو على الخلق وينكر ما سوى ذلك من الأقوال المبتدعة فاذا كان قدح الهيتمى في هذا الامام كذباً صريحاً فما قيمة الكذب؟ ومتى كان الكذب واضعاً من قيم حقائق الأشياء الصادقة؟ ثم يقال: ان ابن حجر هذا، القادح في شيخ الاسلام ابن تيمية هو القادح أيضاً أمر القادح في الشيعة، وقد أنصحبهم مقادح وملاوم في كتابيه « الزواجر » و « الصواعق ». فان كان قدحه في انسان ما يدل على نقص ذلك الانسان وفساده ونقص دينه وفساده كان قدحه في الشيعة دالاً على ضلالهم وفساد أمرهم ودينهم، وإلا لم يدل قدحه في ابن تيمية على ما أراد هذا الشيعى. فالشيعى على كل حال غير خارج من الميدان إلا بعكس ما أراد

وأما ما نقله عن كتاب « الدرر الكامنة » فنقول له : ان كتاب « الدرر » ليس من تأليف الهيتمي كما زعم ، وإنما هو من تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني المحدث المشهور ، مؤلف كتاب « فتح الباري » شرح صحيح البخاري . ثم نقول : ان الذي فعله هذا الرافضي يدل على خنوعه الفاضح لهواه ، وذلك أن ابن حجر في هذا الكتاب قد ذكر ترجمة طويلة لشيخ الاسلام ابن تيمية فيها المقادح وفيها الممدوح أيضا دأب جميع كتب التراجم الحافلة ، فذكر في الترجمة ثناء اثنين كما ذكر مقادح القادحين ، وان كان هو لا يرتضى القدح فيه ولا يصدقه ولا يقره ، وإنما نقله استيفاء للبحث وإتماماً للترجمة . أما هو فانه يبالغ في الثناء على الشيخ وإعظام أمره ودينه وعلمه وذكره كانه الخارق النادر المثال ، وينقل أقوال التزكية الكثيرة الطيبة فيه ، التي قالها كبار العلماء المعاصرين للشيخ . وفي الترجمة من الثناء والاطراء الشيء الكثير ، ومما ذكره في الترجمة بعد الثناء الطويل : ان القاضي امام الدين القزويني وأخاه جلال الدين قالوا : من قال عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيئاً عزراه . وذكر من المنتصرين له من جميع المذاهب ومن كبار القضاة والمحدثين والفقهاء والأدباء الخلق الجم . ومن شاء معرفة ذلك فليراجع الترجمة في الكتاب المذكور

أما هذا الشيعي فانه فعل فعل من تغلبت خصومته وحقدته على دينه وعلى جلال السن ووقار الامامة . وذلك أنه اقتصر قصداً وعمداً من الترجمة الحافلة على المقادح كأنه لم تكن الترجمة سواها ، وكأنه لا ممدوح لهذا الامام ، ثم ورى أن ذلك هو رأى صاحب الكتاب فيه وهو يعلم أن الأمر ليس كما ورى . فكان بذلك صانعا ما لا يصنعه « السيد الأمين » ، وصانعا ما لا يقره الافتخار بالانتماء الى آل النبوة ، والافتخار بالانتصار للحق . وما كان أولياء النبوة والحق إلا المتقون ، وما كان المتقون إلا من يتقون الظلم والكذب والمسدوان على أنصار الحق والدين . ويسير

على من أراد أن يعرف ما اختار هذا الرجل لنفسه ولدينه ولسمته من الظلم للعلم والعلماء أن يراجع هذه الترجمة في كتاب « الدرر الكامنة »

فابن حجر المصقلاني مؤلف كتاب الدرر الكامنة من المعجيين بهذا الامام المطرین له ، وكل ما ذكر من المقادح في الترجمة لم يكن من رأيه ولكنه قله على عادة الناس من استيفاء الترجمة قدحاً ومدحاً

هذا ثم يقال أن لا بطل مقادح القادحين في الشيخ طريقاً آخر غير ما ذكر وهو طريق صحيح لا ريب في صحته ، وذلك أن يقال : هبوا أننا لم نظفر بمادح للشيخ ، وأننا لم نجد من قال فيه كلمة خير وثناء وتزكية لا في عصره ولا في العصور اللاحقة من بعده ، وهبوا أننا وجدنا كثيرين من القادحين فيه الخاصمين له الناقين منه ومن مذهبه وعقيدته وآرائه وعلومه : هبوا هذا كله صحيحاً فهل يدل على ضلال الشيخ وفساد أمره واعتقاده ، وعلى أن القادحين فيه صادقون راشدون ؟

والجواب أن يقال : كلا ان شيئاً من هذا لا يدل على شيء من هذا . وبيان ذلك أن الخالفين والموافقين ، القادحين والمادحين ، متفقون على أن هذه الكتب المشهورة المطبوعة المنسوبة الى هذا الشيخ هي كتبه حقاً ، وأنها هي علمه ومذهبه واعتقاده وآراؤه ظاهره وباطنه ، ومتفقون على أن المآخذ الموجهة اليه هي مادونه في هذه الكتب من آراء زعم أنه بها خالف الجمهور وخالف الحق والاسلام وحينئذ علينا الرجوع الى هذه الكتب والحكم عليه وعلى عقيدته وعلمه بما فيها من حق وباطل وهدى وضلال ، ولا يصح التحويل على ما ليس فيها ولا أخذه بما خالفها ، وكل ما يقوله الخصوم ويزعمونه لا قيمة له . لأن كتب الرجل هي الحكم الحاكم له أو عليه ، وما دونه الرجل بيده في سائر كتبه هو أصدق شاهد عليه أو له . هذا ما لا شك فيه وما لا ريب في صحته ووجاهته ، وإذا علم ذلك كله

قيل لا شك أن المخالفين للشيخ والموافقين متفقون على أن الرجل كان من أصدق الناس دفاعاً عن الدين والحق ، ومن أعظمهم غيرة له ، وأنه كان من أغزر الناس علماً وذكاء ، وأنه كان من أزهدهم في الدنيا وأرغيبهم في الآخرة ، وهذا كله مادلت عليه جميع كتبه ، وأما ما خالفه الخصوم فيه وما قدحوا فيه لأجله - وهو الموجود في كتبه - فهو جملة أمور معروفة . أشهرها دعوته إلى الأخذ بنصوص صفات الله كالاستواء وغيره بدون تشبيه ولا تعطيل . ثم دعوته إلى توحيد الله القاضي بأن الأموات لا يدعون ولا يستفتون . ثم ما قال في مسألة الطلاق الثلاث . ثم الحلف به ، أى تعليقه على أمر من الأمور ، إلى مسائل أخرى هينة دون ما ذكر باعتراف الخصوم له ، وهذه الأمور صحيحة عنه مثبتة في كتبه لا شك أنه قال بها ودعا الناس إليها بشدة وحساسة ، وهذه هي ما يمكن أن يثبت له خصومه من السيئات والمقادح لو كانت هذه سيئات ومقادح . فإذا ما قام الدليل القاهر على أن هذه المسائل من حسناته المشهورة القائمة الواضحة لم يبق في أيدي الخصوم القادحين مقدح واحد فيه . ومن كتابنا هذا تؤخذ الدلائل على أن الحق قرين هذا الإمام في هذه المطالب العليا المذكورة

أما مسألة الطلاق الثلاث والحلف به فقد رجع الناس إلى العمل بما قاله ودعا إليه ، وما كان يقدح في دينه لأجله ، وقد تكلم الناس هذا العصر في هذا كثيراً وأشادوا الدلائل على إصابته الحق والرشد . بل رجّعوا دلائله على هذه المسائل الاجتماعية الخطيرة . فلم يبق إذن لدى الخصوم من المقادح في هذا الإمام شيء يعتد به أو يقام له وزن

هذه كلمات موجزة في الدفاع عن هذا الإمام الفذ ، وفي إبطال مقادح طالما تقنى بها الشنآن والظلم والخصومة والمهوى ، وطالما أھين بها العلم والفضل والتقى سطرناها على عجل دون أن نراجع كتاباً أو أن نستشير منها حرفاً واحداً ، ودون

أن نستعين بترجمة من تراجم الامام الكثيرة المعلومة ، ولم ننقل في هذه الكلمات كلمة مما قاله معاصرو الشيخ فيه من الثناء والامتداح والاطراء لأن ذلك كله مدون في تراجم الأقدمين من تلاميذ الشيخ وغيرهم يسهل على من أراد الاستزادة من ذلك الرجوع اليها والالمام بها ، وإنما كان كل غرضنا أن نضع جلاله يسبق اليها أحد في ترجمة الشيخ منتزعة من مكتبه وعلمه وما أحاط به من زمان ومكان وإنسان ، ونحن نرى أن أصدق التراجم هو ما كان منتزعا من كتب المترجم وعلمه وزمانه ومكانه . أما التراجم التي يقال فيها : قال فلان ، وقال فلان فهي تراجم يكثر أن تكون غير صادقة ، وذلك ان مثل هذه التراجم يبنى غالباً على المبالغة والامصراف في القدح والمدح والتعريض والتعديل ، وهذه حال أكثر كلام الناس في من يحبون ويكرهون ويذمون ويمتدحون ، ولم يسلم من هذا النقص إلا قوم خصوا من الله بأن يكونوا موازينه في الأرض لتوزن بهم معاني الناس وأقذارهم ومعاني غير الناس وأقذارهم ، ولكن هؤلاء الموازين قليل ما هم

وإننا نرجو من الله المثوبة والأجر الجزيل على كل حرف نسطره دفاعاً عن هذا الشيخ وعن علمه وإصلاحه ، فانه إن كان ذنب من اعتدى على العلماء المجاهدين عظيمًا فإن ثواب من قام بالدفاع عنهم أعظم ، وإن كان شانيء الحق ظالماً فإن شانيء أهله أظلم

ونحن لا نذكر عالماً فذاً لقي من الظلم والأذى والسوء والعدوان - في حين استحقاقه خلاف ذلك كله - مثل هذا الرجل العظيم . ولا نعلم سمعة نال منها الحق والחסد والجهل والخصومة مثل ما نالت هذه الأدواء من سمعة هذا الشيخ العظيم ولا نعلم ذكرى غمطت وأهينت وكبتت - وهي من أحق الذكريات بالذشر والاعظام والامتداح - كذكره ، ولكن قضت حكمة الله الزالبة القاهرة ان العدل لا بد أن يأخذ مجراه ، وإن طالت أيام الظلم والجور ، حتى يقال متى نصر الله ؟ !

العبرة في حياة هذا الشيخ

نشأ هذا الشيخ طريداً غريباً ، ثم شب فقيراً معوزاً ، ثم اكتهل وشاخ مطارداً معذباً ، ثم لج به تقادم السن وخصومة الخصم حتى أودع السجن وحرم لذة الحرية ولذة التطواف لهداية الناس ، وحيل بينه وبين القلم والقرطاس ، خيفة أن يفيد اصلاحه وعلمه ودينه ، فحرم بذلك أعظم اللذات وأشرفها عليه . وهكذا ظل تحت تقادم السن وكاب هذا الظلم ، حتى فزعت روحه الى الله في شمائه تشككو اليه ظلم الانسان الانسان ، وجور الباطل على الحق ، مخلفاً وراءه ما استطاع أن يخلف من العلم والاصلاح ، منزوياً في بعض زوايا القلوب وعلى صفحات الأوراق . فعاش ما عاش في هذا العالم بعيداً عن الدنيا وعن أهلها وعن لذاتها ومتعها ، بعيداً عن السلطان وعن أهل السلطان ، قليل الأنصار والأعوان من حملة السيف والسوط ومن أهل النزاهة والجاه الكاذبين الظالمين القامئين على غير تقوى الله وعلى غير الحق حتى استطاع الأعداء الظالمون أن ينالوا منه وأن يظلموه وأن يتماذى ظلمهم إياه فلا ينقطع حتى يبعث الله اليه رسولا من رسله فيستخلص روحه الزكية من بين جدر سجن الظالمين وعلى أعين حرسه . هذا ما كان نصيبه من هذه الدنيا أما خصومه وظالموه ومعذبوه فقد كانوا يتنقلون - بينما كان يتنقل هو بين السجون ومطاردة المطاردين - بين الآكال الشبية ، والأثواب الفضاضة ، والفرش الرفيعة ، والقصور الضخمة النخمة ، ويخطرون بين السيف والصولجان في الخول والعبيد والعديد بين الأمر والنهي . وهذا ما كان من نصيبهم هم في هذه الدنيا فإذا كان ؟

نعم . دار الفلك دورات ، ودار بدورته كل شيء فيه . فإذا الظالم والمظلوم ، وإذا الشيخ والخصوم ، وإذا كل شيء وهين أمر الله المحتوم . انقطعت اللذات والشهوات

وتحطم السيف والصولجان تحت « عجل » الفلك الدوار ، وتنداعت تلك القصور
وتهاوت تلك السجون ، وذهب كل شيء وأمن في الذهاب والخفاء ، وأمن
الفلك في الدوران أيضا ، فكان في كل دورة من دوراته يقذف بخصوم ذلك الشيخ
الجليل الظلوم قذفة قوية الى عالم الفناء وظلمات الخفاء ، ويقذف بالشيخ الجليل
المظالم قذفة أقوى وأشد الى الحياة والى الظهور والبروز ، وكان في كل دورة من
دوراته يحطم أثر من آثار أولئك الخصوم تحت « عجلاته » ويظهر أثر من آثار
ذلك الشيخ على رغم الباطل وحداته . فزال الشيخ يحيى وخصومه يموتون ، ويظهر
وهم يختفون ، حتى صار هو في موته أحيى منه في حياته ، وصار في بطن الأرض
أظهر منه على ظهرها ، وحتى صار خصومه بعد حياتهم أفنى منهم قبل الحياة ، وبعد
وجودهم أخفى منهم قبل الوجود ، حتى اذا بقارىء يقرأ قول الله : « فاما الزبد
فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » واذا بهاتف يهتف وأكثر
العيون نائمة : أيها العلماء ! انما هما أمران ، دنيا ودين ، أما الدنيا فبئست الموضة
ثم بئست الفاطمة ! انما هي كالحيبة التي قيل فيها :

ويلاه ان نظرت وان هي أعرضت وقمّ السهام ونزعن أليم
ان الدنيا كلها بما لها من شرف ومجد وخطر لا تعدو أن تكون حاجة الجسم ،
حاجة البطن ، حاجة ما دون البطن ، حاجة أضى حيوان أعجم في هذا الوجود .
انما الدنيا كلها بمادحها ومحاسنها لا تتجاوز أن تكون ذرات متتلة طوافة مرت
بأجسام هذا الوجود ومواضع شهواته ، واستتمت بها هذا الوجود من حيوانه أرذله
وأشرفه ، ومن أناسيه أرذلهم وأشرفهم ، ومن نباتاته أرذلها وأشرفها
فهل يدري الآكل والشارب ماذا يأكل وماذا يشرب ؟ لعله لو درى ذلك
لخفف من غلوه وخلواته في هذه الدنيا : دنيا المساكين والشاربين . . . انما الدنيا
هي الدنيا

وأما الدين فهو الله ، منه نزل وإلى جلاله يصمد ويمرج ، أنزله ووضع في ذلك للكان المحفوظ « القلب » ليحفظه من طغيان الجسم ومكروه الذي هو الشهوة لتكون شهوته النفسية التي هي ثمرة الدين ، وتظهر فيه بعض آثار الإلهية وآثار العبودية الصادقة الموصلة لترضى ما ترضى ، وتمحو ما تمحو من ظلام هذه الأرض وظلمها ، وتخفف ما تخفف من كلب الاعضاء الفاسقة في هذا الانسان ، وتبعد من طغيانها واغترابها ، وتثثر عليها من برده وبرده ما يطفئ اضطرابها ولهيبة الحرق للكان النفسية

أيها العلماء ، إنما العالم ملك أو شيطان ، وما من شيء في هذا الوجود فليس كنفيس العلماء وخسيسه كخسيسهم ، وما أعمز العلم محروما من الشهوات وما أذله مغسوساً فيها ، وما أخسر العالم صفقة يمين بطله لموص هذه الأرض « الشرفاء » ليصيب الفضلات مما يسرقون وينهبون على حساب طمعه المزيّف وما أربحه صفقة ينفق طمعه ليصيب رضا الله ، وليخلص به إلى مائدته المدة لمن صاموا عن موائده هؤلاء القصوص « الشرفاء »

وبع العلماء ! ان في استطاعة العالم أن يهز أعظم عرش في هذا العالم لو أنه صان طمعه وضم به على غير الله ثم قام بمحقه !

أيها العلماء . انظروا ، انظروا ، كيف عاش من مات ليحيى طمعه ، وكيف مات من عاش ليحيى شهوته ! أنهما مثلان ما أعظمهما ! أجل ، صدق الله العظيم « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض »

عبر الله على القصص

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني إن شاء الله

(٧١٤)

فهرس

الجزء الأول من كتاب الصراع بين الاسلام والوثنية

صفحة	
١	الشعاع الهابط
٣٩	لماذا ألقت هذا الكتاب
٤٢	حماقات الشيعة
٦٣	مقدمة كتاب الشيعة الثانية وفيها أمور كالمقدمات لمباحث الكتاب
٣٢٨	مقدمة الشيعة الثالثة ، وهي في شبه الوهابيين بالخوارج كما زعم ، ونقد ذلك كله
٣٨٥	أحاديث ذم المشرق ، وذم البلاد النجدية
٤١٤	تأول الآيات النازلة في الكفار في من عمل عملهم
٤٢٦	تكفير الرازي المتوسلين بالأموات
٤٦٩	ليسوا من الخوارج
٤٩٢	شبه الشيعة باليهود
٥٠٤	الاجتهاد
٥١٢	الاستواء على العرش وإثبات صفات الله
٥١٥	التشبيه
٥٢٩	دلائل الاستواء على العرش
٥٤٦	شبهات النافين لعلو الله

(٧١٥)

صفحة

٦٠٦ مذاهب السلف في علو الله ، اجماعهم عليه

٦٢٨ قصة الخبر اليهودي وغلط الرافضي

٦٣١ زعم الرافضي أن قيام الصفات بالله يماند صفة القدم

٦٣٥ لا يلزم الاستواء معرفة الكنه

٦٣٩ ابن تيمية

كتب المؤلف

- ١ البروق النجدية
- ٢ شيوخ الأزهر
- ٣ الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفهم
- ٤ مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها
- ٥ نقد كتاب حياة محمد
- ٦ الثورة الوهابية

رقم الإيداع ٣١٥٦ / ١٩٨٢

مصنع الصحافة للطباعة والنشر

امام المسجد الحرام يسجل قصيدته عن :

الصراع بين الاسلام والوثنية

لم نجد ابلع من ان
ننقل سطورا من القصيدة
البساعة التي كتبها
الاستاذ الجليل الشيخ
عبد الظاهر ابو السمح
امام المسجد الحرام
وخطيبه ومدير دار
الحديث بمكة المكرمة في
هذا الكتاب لتقدمها..
يقول الاستاذ الشيخ :

الا في الله ما خط الصراع
« صراع » لا يماثله صراع
صراع بين اسلام وكفر
خبير بالبطولة عبقرى
يقول الحق لا يخشى ملاما
لنصر الدين واحترم الصراع
تميد به الاباطح والقلاع
يقوم به القصيمي الشجاع
له في العلم والبرهان باع
وذلك عنده نعم المتاع

اعبد الله من على الاسارى
ابنت عوارهم وصرعت منهم
لقد احسنت في رد عليهم
لقد كنا نعد الرفض جرما
كتاب قد حوى علما غزيرا
واطعمهم هدى فهمو جياع
اكابرهم ، ولم ينج الصراع
وجنتهم بما لا يستطيع
فبين كفره هذا « الصراع »
له من نور صاحبة شعاع

الا لله درك يا ابن « نجد »
وكم لك من مواقف خالدات
« بروك » في سما الحق تعلو
« وفصلك » ما يزال يشع نورا
« ونفدك » هيكلا احلى واحلى
كبت الخصم ، فانقطع النزاع
بها للحق عز وارتفاع
وفيها للذى عمى انضاع
وفي راس العدى منه انصداع
به للناس ما مرضوا انتفاع

لقد رابطت في مصر فاغنى
وكم سيف لدى الهيجا ينبو
وان يراعك السيل سيف
فدم واسلم لاهل الحق تقضى
لعمرى منك عن جيش دفاع
ولا يجدى بها الا الصراع
إذا ما شمته اندكت قلاع
على من ليس عندهم اتباع

عبد الظاهر ابو السمح

مكة : عام ١٣٥٧